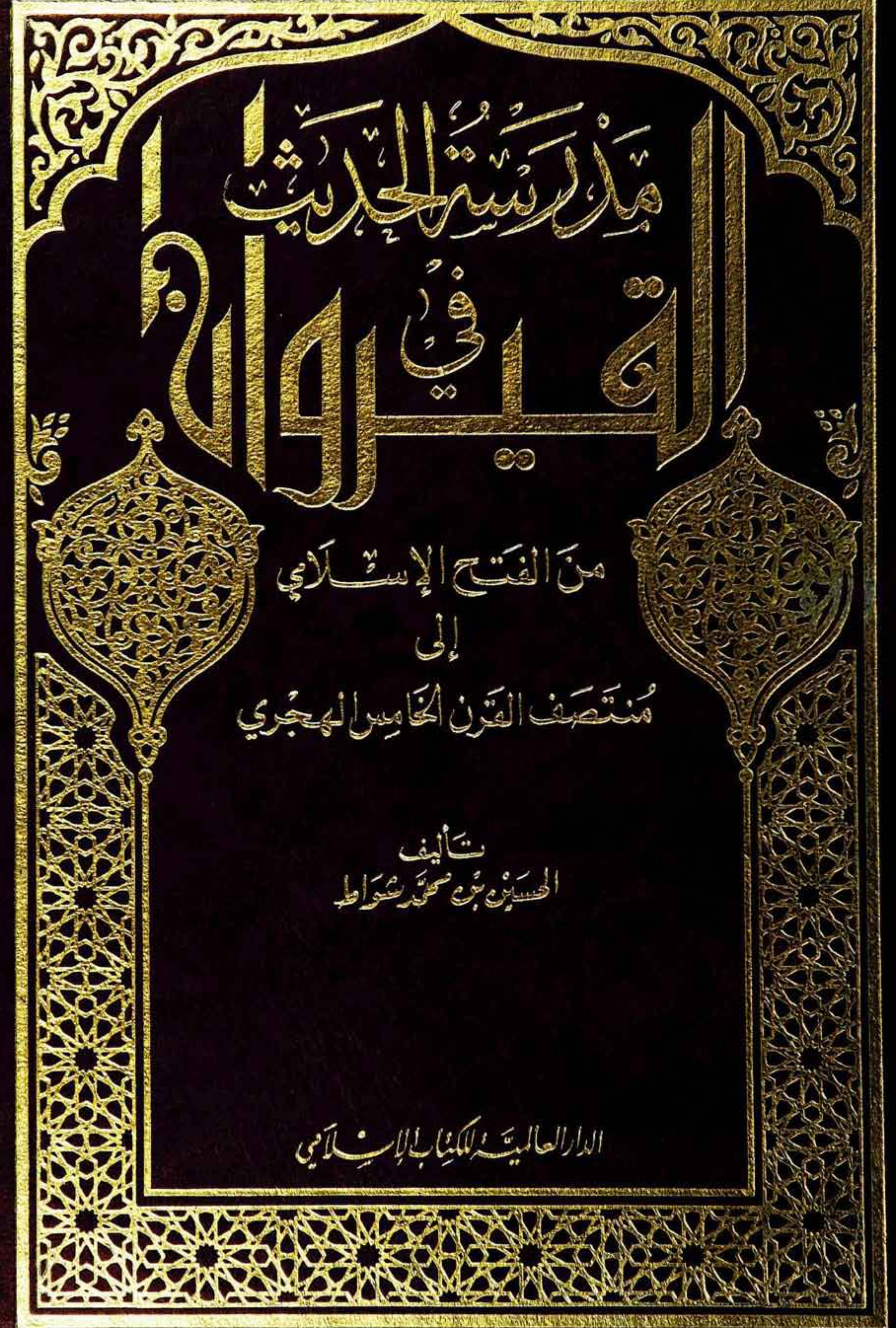

مدرسة الحديث في القيروان
من الفتح الإسلامي
إلى
منتصف القرن الخامس الهجري
تأليف
الحسين بن محمد شواط
الدار العالمية للكتاب الإسلامي

الدار العالمية للكتاب الإسلامي
الرياض - ت ٤٦٤٧٢١٣ - ٤٦٥٠٨١٨

الطبعة الأولى - ١٤١١هـ

مدرسة الحديث في القيروان

من الفتح الإسلامي
إلى منتصف القرن الخامس الهجري

تأليف
الحسين بن محمد شواط

الجزء الأول

الدار العالمية للكتاب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت بقاعة المحاضرات في كلية أصول الدين بالرياض بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤٠٧ هـ.

وأجيزت بتقدير «ممتاز» من قبل اللجنة:

د. أحمد معبد عبدالكريم/ مشرفاً.

د. محمد أديب الصالح/ مناقشاً.

د. أبو لبابة الطاهر حسين/ مناقشاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدتي ووالدي العزيزين، اللذين شجعاني على طلب العلم، وتكبدا المشاق من أجل تعليمي بكل صبر، سائلاً المولى عز وجل أن يحسن خاتمتهما ويكرمهما في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المؤلف

المقـــدّمــة

وفيــها:

- سبب اختيار الموضوع.
- قيمته العلمية وأهميته.
- أبرز الصعوبات التي واجهتني فيه.
- منهجي في إعداده.



المقـــدّمـــة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصّمد، ذي النّعم الجزيلة، التي أعيت المحصين، والصّلاة والسّلام على خاتم المرسلين، محمد بن عبدالله، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، بدين الإسلام العظيم، وجعل معتنقيه خير أمّة أُخرجت للنّاس، ولم يَـرضَ لعبـاده ديناً سواه، وقصر الفلاح، والفوز برضاه، على من اتّبع طريقة محمد ﷺ وما سار عليه الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وقد تكفّل الله عزّ وجلّ بحفظ هذا الدّين، فصان كتابه العزيز عن التّحريف، وعصمه من التّبديل، وهيّأ لسنّة نبيّه ﷺ رجالاً أفذاذاً التزموا بها، وقاموا بحفظها، وتدوينها، ونشرها، وشرحها، وحمايتها، من الدّخيل، وتمييزها من الشّوائب، والمنافحة عنهـا في مشارق الأرض ومغاربها، جيلاً بعد جيل، على مرّ الزّمان وتعاقب الشّهور والأعوام، أولئك هم أهل الطّائفة المنصورة، الـذين لا يزالون قائمين على الحق، مستمسكين بسنّة المصطفى ﷺ، ذابّين عنها، عاملين لإحياء ما أمات النّاس منها، لا يضرّهم المخالف، ولا يصدّهم الحاقد المعارض، ولا يثنيهم الجاحد المعاند، ولا يفلّ في عزيمتهم المرواح المتخاذل، ولا يُضعف من همّتهم المتخلّـف الخانع، يبذلون في سبيل ذلك كلّ غال حتّى يأتي أمر الله وهم على هذا النّهـج، فيفوزون برضوانه عزّ وجلّ، وما ذلك إلا لأنّ الاشتغال بالسّنّة والتزامها من أفضل القربات إلى الله عزّ وجلّ، فإنّ السّنّة هي المبيّنة للقرآن الكريمَ، تفصيلاً لمجمله، وتوضيحاً لمبهمه، وشرحاً لغامضه، وتخصيصاً لعامّه، وتقييداً لمطلقه، وردّاً لبعض ما تشابه منه إلى محكمه، بالإضافة إلى ما تفرّدت به من الأحكام الشّرعيّة الكثيرة التي لم يرد بها الكتاب العزيز.

ولقد استوى في الاهتمام بالسّنّة النّبويّة المطهّرة، والحرص على سلامتها من الدّخيل، أهلُ المشرق والمغرب من سلفنا الصّالح، وخدموها قدر طاقتهم وإمكاناتهم، بدرجات متفاوتة، وقد نالت جهود المشارقة في ذلك حظّها من الدّراسات المتعلّقة بتدوينها، وتحقيق تراثها ونشره، والتّعريف بأعلامها، وإن كانت هي أيضاً لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحوث المتعلّقة بتأريخ مراحلها، وبيان مناهج بعض مدارسها؛ للاستفادة منها، وقد بدأت تظهر في هذا العصر بعض الدّراسات المتعلّقة بذلك(١).

أمّا جهود أهل إفريقيّة ـ وعاصمتها القَيْرَوَان ـ فإنّها لم تنل من ذلك شيئاً يُذكر وخاصّة في العلوم الشّرعيّة، وبصفة أخصّ في مجال السّنّة وعلومها، وتعتبر المرحلة الأولى ـ التي تمتد من الفتح الإسلاميّ إلى خراب مدينة القَيْرَوَان سنة ٤٤٩ هـ ـ أكثر المراحل هضماً لجانبها من حيث العنايةُ بدراستها، بالرّغم من ثرائها بالعلم، وأهمّيّتها البالغة؛ لأنّها تمثّل أساس توجّهات الأفارقة العلميّة والدّينيّة، وكلّ ما جاء بعدها إنّما هو مبنيّ عليها.

ومن خلال حديثي مع بعض الباحثين الذين لهم بعض اهتمام «بالإفريقيّات» تبيّن لي أنّ سبب تخوّف الباحثين من خوض غمار هذه المرحلة وتجليتها، وخاصة في المجالات الشّرعيّة، هو قلّة المادّة المتوافرة حولها، بسبب فقدان معظم ما ألّف فيها من المصنّفات، وبخاصّة المتعلّقة منها بعلوم السّنّة، بالإضافة إلى ندرة المختصّين في الحديث النّبويّ وعلومه من المعاصرين ببلادنا.

---

(١) ممّن رأى ضرورة التّدوين لمدارس الحديث، والتّأريخ لها، ودارسة مناهجها في كلّ بلد من بلاد الإسلام، ودعا إلى ذلك وألّف فيه: الدكتور محمد رشاد خليفة، وهو من أساتذة الحديث بجامعة الأزهر. انظر مقدّمة كتابه مدرسة الحديث في مصر د. ت، كما تناول الشّيخ محمد أبو زهو في كتابه «الحديث والمحدّثون» المراحل التي مرّت بها السنّة في مختلف بلاد الإسلام، غير أنّه لم يتعرّض لذلك بالنّسبة لبلاد إفريقيّة والمغرب والأندلس.

وقد رأيت اقتناع جميع من تحدّثت معهم بأهمّيّة هذه الدراسة، وتشوّفهم لظهورها، وتمنّيهم لو يقوم بذلك قائم، فرأيت أن أنبري لسدّ هذا النّقص مستعيناً بالله عزّ وجلّ:

إبرازاً لدور القَيْرَوان وإفريقيَّة في خدمة السّنّة النّبويّة المطهّرة من جوانبها المختلفة رواية ودراية وتصنيفاً في ذلك.

وتقديراً لجهود من كان فيها من العلماء، الذين عملوا جاهدين على نشر السّنّة، وإحيائها، وغرسها في تلك الرّبوع، فكانوا سبباً في التزام أهلها للسّنّة وبقائهم في حظيرة الجماعة.

وخدمة للتراث الإسلامي في بلادي العزيزة تونس.

وتذكيراً لشبابنا بعظمة سلفهم الصّالح، وما كابدوه من المشاقّ من أجل الحفاظ على سنّة المصطفى ﷺ.

واستنهاضاً لهمم الشباب بعرض المجهود العظيم الذي بُذل من أجل أن يصلنا الإسلام صافياً نقيّاً، عسى أن يعود بسبب ذلك منبهرٌ بحضارة الغرب المادّيّة الزّائفة إلى رشده، ويرجع ضالٌ عن غيّه، ويعتزّ مبتورٌ بأصوله، ويجد تائهٌ هويّته.

ولمّا كانت القَيْرَوان هي المركز العلميّ والعاصمة السّياسيّة والدّينية لإفريقيَّة، وموضع تجمّع أهل العلم في تلك الرّبوع من الفتح الإسلاميّ إلى منتصف القرن الخامس ـ كما سيأتي تفصيله في التّمهيد[1] ـ رأيت أن تكون الرّسالة متعلّقة بها.

ومن أجل كلّ ذلك كان اختيار هذا الموضوع بحثاً لنيل درجة الماجستير في السّنّة وعلومها بكلّيّة أصول الدّين بالرّياض بعنوان[2]: «الحديث والمحدّثون بالقَيْرَوان من سنة ٥٠ هـ إلى سنة ٤٤٩ هـ».

---

(١) انظر: ص ٣١، ٤٣، ٤٤، ٤٨، من هذه الرسالة.

(٢) رأيت عند الطباعة تغيير العنوان إذ إن البحث قد أثبت وجود مدرسة حديثية مكتملة العناصر.

وممّا زاد في تشجيعي على هذا الاختيار أنّ أحد الطّلبة النَّابهين قد اختار قبلي موضوع «الحديث بإفريقيَّة من القرن السّادس إلى القرن الثّامن» ونبَّهني إلى أهمّيّة البحث في مدرسة القَيْرَوان في القرون الأولى ونبهني إلى بعض صعوبات هذا البحث، كندرة المادّة العلميّة[1]، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل مثوبته.

وتبدو أهمّيّة هذا الموضوع من خلال النّقاط التّالية:

١ ـ إنّه موضوع بِكر لم تسبق دراسته في العصر الحديث، وسيسدّ فراغاً في المكتبة الإسلاميّة بإذن الله تعالى.

٢ ـ إنّه يُفنّد ما شاع من القول باقتصار الأفارقة على العناية بالفقه، ويبيّن اهتمامهم الكبير بالحديث وعلومه أيضاً.

٣ ـ إنّه يُلقي الضّوء على مدرسة مبكّرة من مدارس الحديث الشّريف، كان لها دورها في نشر السّنّة وعلومها بإفريقيَّة والمغرب والأندلس، ولا تزال مجهولة المعالم، لدى كثير من أهل العلم.

٤ ـ إنّه يُعرّف بجملة من مشاهير المحدّثين القرويّين الذين حملوا لواء السّنّة وذادوا عنها في تلك الدّيار، منذ عهد الصّحابة إلى منتصف القرن الخامس، والذين لا يزال كثير منهم مجهولاً لدى كثير من أهل الاختصاص فضلاً عن عامّة المثقّفين.

٥ ـ إنّه يَحصر ما عرف حتّى الآن ـ حسب المادّة العلميّة المتوافرة ـ من مصنّفات القرويّين، المتعلّقة بالحديث وعلومه في تلك الفترة، مع التّعريف ببعض المطبوع منها والمخطوط، وهي قليلة التّداول حتّى الآن رغم أهمّيّتها.

٦ ـ إنّه يُبرز جهود محدّثي القَيْرَوَان ونشاطاتهم في مجالات علوم الرّواية والدّراية، ويبيّن موقفهم من كثير من مسائلها.

---

(١) الحديث بإفريقيَّة من القرن السّادس إلى القرن الثّامن ١/٧، ٨.

٧ ـ إنّه يُبيّن صلة مدرسة القَيْرَوان الحديثيَّة بغيرها من مدارس العلم ومراكزه، في المشرق والمغرب والأندلس وإفريقيَّة وصِقِلّيَّة.

٨ ـ إنّ هذا الموضوع، وإن كان عنوانُه مقتصراً على القَيْرَوان باعتبارها عاصمة إفريقيَّة وقاعدة العلم والدّين فيها إلاّ أنّه اقتضى تناول النّشاط الحديثيّ في كامل إفريقيَّة، نظراً لأنّه يندر أن نعثر على من نبغ في الحديث وعلومه من أهل مختلف مدن إفريقيَّة إلاّ ونجده قد دخل القَيْرَوان لطلب العلم، وربّما استقرّ بها فترة للعطاء، أو أوطنها وأخذ مكانه بين علمائها.

وقد بحثت في هذا الموضوع من خلال الخطّة التّالية المتكوّنة من تمهيد، وثلاثة أبواب وخاتمة.

أمّا التّمهيد فقد بدأت فيه بالتّحديد الجغرافيّ لمنطقة إفريقيَّة، وموقع القَيْرَوان منها في ذلك العصر، ثمّ تناولت فيه بالدّراسة المركّزة مختلف الأوضاع السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، مع بيان أثرها جميعاً في الحياة العلمية عامّة والحديث بصفة خاصّة، وهو مدخل ضروريّ لفهم طبيعة البيئة التي سأتحدّث عن مدرستها الحديثيّة، ذلك لأنّ كثيراً من الظّواهر التي أصبحت ملازمة لأهل القَيْرَوان وإفريقيَّة لا يمكن إدراكُها، وفهم أبعادها وآثارها، إلاّ عن طريق هذا التّمهيد ـ كما سيأتي قريباً ـ مع عدم التّوسّع في ذلك إلاّ بالقدر الذي يُحتاج إليه في خدمة الموضع الأصليّ، وهو مدرسة الحديث في القَيْرَوان.

وقد تناولت في الباب الأوّل أسس الحياة العلميّة بالقَيْرَوان وأثرها في الحديث، وقسّمته إلى فصلين:

ذكرت في أوّلهما مختلف المراكز العلميّة في القَيْرَوان، وبيّنت أثرها في الحديث، ثمّ تطرّقت إلى الكلام على أهمّ العلوم الشّرعيّة التي عُرفت بالقَيْرَوان في هذه الفترة، مع ذكر بعض مشاهير علماء كلّ فنّ، ونماذج للمصنّفات في كلٍّ منها، وبيّنت منزلة الحديث بين تلك العلوم.

أمّا الفصل الثّاني فقد خصّصته لتفصيل الكلام على الرّحلة في طلب الحديث وثمراتها، فتحدّثت عن الرّحلة من القَيْرَوان إلى المشرق والأندلس، وبالعكس، وتوسّعت في إيراد نماذج لكلّ ذلك، ثمّ ذكرت ثمرات تلك الرّحلة، وفوائدها للحديث بالقَيْرَوَان، من حيث شيوعُ روايته، وتحصيلُه بأسانيد عالية، ودخولُ مصنّفاته، ومعرفةُ محدّثي القَيْرَوَان بنقد الحديث وفقهه وأحوال رواته.

ثمّ أشرت إلى أهمّيّة المصنّفات باعتبارها دعامة للعلم بالقَيْرَوَان.

أمّا الباب الثّاني فقد محّضته للكلام على السّنّة وعلومها بالقَيْرَوان في الفترة المذكورة، وقسّمته إلى ثلاثة فصول:

تحدّثت في أوّلها عن مظاهر النّشاط العلميّ وخصائصه في مجال رواية الحديث، وذلك من خلال توطئه وسبعة مباحث، ذكرت فيها أهمّ أنشطة الرّواية، كالإقبال على طلب الحديث وروايته، ودخول بعض أمّهات السّنّة مثل الموطّأ وصحيح البُخاري، مع بيان اهتمام القرويين بها، وذكر أسانيدهم إليها، وذكر نماذج لكل طبقة من طبقات سند الرواية بالقَيْرَوان وإفريقيَّة، مُبرِزاً الحلقة التي تمّ بها تواصل سلسلة السّند بعد خراب القَيْرَوان.

كما تحدّثت عن الإضافات الحديثيّة لمدرسة القَيْرَوان وغير ذلك.

ثم خَلَصت إلى الكلام على مباحث أخصّ في علم الرّواية لدى القرويّين، مثل: آداب المحدّث وطالب الحديث، وكيفيّة سماع الحديث، وطرق تحمّله، وصفة أدائه، وتقييده، وضبطه، ونحو ذلك.

وفي الفصل الثّاني تحدّثت عن أهمّ مظاهر النّشاط العلميّ، وخصائصه، في مجال دراية الحديث لدى القرويّين، وذلك من خلال تمهيد، وثلاثة مباحث كبيرة:

تعلّق أوّلها بعلوم أحوال الرّواة وأسمائهم، فذكرت صفة من تُقبل روايته من المحدّثين وبيّنت بعض ما يقابلها ممّا تختلّ به الرّواية، ثم تحدّثت عن بعض أنواع علوم الرّجال عندهم، كالجرح والتّعديل، ومعرفة الصّحابة وغير ذلك.

وذكرت في المبحث الثّاني بعض أنواع الحديث التي تناولها أهل القَيْرَوان، ونقدهم للحديث، ومدى معالجتهم للوضع، ونحو ذلك.

أمّا المبحث الثّالث فقد ذكرت فيه بعض ما وجدت للقرويّين حول علوم السّند والمتن، مثل أهمّيّة الإسناد، والألفاظ الدّالة على اتّصاله أو انقطاعه، وطلب العلوّ فيه، وتحدّثت عن بعض علوم المتن، من حيث مخرجُه ودرايتُه وفقهُه، وختمت المبحث بذكر المناظرات المستدلّ فيها بالسّنّة باعتبارها من تطبيقات فقه الحديث.

وفي الفصل الثّالث بيّنت الصّلات العلميّة لمدرست القَيْرَوان الحديثيّة ببقيّة المدارس المتواجدة في مختلف حواضرَ العالم الإسلاميّ في المشرق والأندلس والمغرب، وذكرت أثر هذه المدرسة في نشر الحديث في صِقِلّيّة ومختلف مدن إفريقيَّة.

أمّا الباب الثّالث فقد تناولت فيه التّعريف بأشهر رواة الحديث وعلمائه، وأشهر المصنّفات الحديثيّة بالقَيْرَوان في الفترة المذكورة، وقسّمته إلى فصلين كبيرين:

تحدّثت في أوّلهما عن رواة الحديث وعلمائه، وذلك من خلال مدخل وثلاثة مباحث، تعلّق أوّلها بالصّحابة الذين نزلوا القَيْرَوان، من حيث عددُهم، وأثرهم في نشر السّنّة بالقَيْرَوان، وتراجمهم، مع تحقيق القول في ذلك.

ويتعلّق المبحث الثّاني بالتّابعين، على نفس النّسق الذي سرت عليه في مبحث الصّحابة، غير أنّي قسمتهم عند التّرجمة لهم إلى أربعة أقسام:

كبار التّابعين، أعضاء بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميَّة العشرة، التّابعون الذين استقرّوا بالقَيْرَوان وبثّوا فيها العلم غير العشرة، وأخيراً التّابعون الذين نشروا العلم في القَيْرَوان ثمّ نزحوا عنها إلى بلدانهم أو غيرها.

وذكرت في المبحث الثّالث تراجم بقيّة المحدّثين مع تحقيق القول فيهم،

وقد قسّمتهم إلى قسمين: المحدّثون القرويّون أصالة، والمحدّثون الذين هاجروا إلى القَيْرَوان واستوطنوها، مُركّزاً في كلّ ترجمة على توضيح شخصيّة صاحبها ثمّ بيان نشاطاته المتعلّقة بالحديث وعلومه.

أمّا الفصل الثّاني فقد عرّفت فيه بأشهر ما وصل إلينا من مصنّفات القرويّين الحديثيّة وذلك من خلال توطئة وثلاث مباحث:

تحدّثت في أوّلها عن حركة التّصنيف الحديثيّ في القَيْرَوان، وحصرت في الثّاني جميع ما عُرف حتّى الآن - حسب علمي - من مصنّفاتهم مع الإشارة إلى أسباب فقد معظمها.

وفي المبحث الثّالث عرّفت بأشهر ما وصل إلينا من مصنّفاتهم، مطبوعة كانت أو مخطوطة، وهي أحد عشر كتاباً قسّمتها إلى أربعة أنواع: المصنّفات على الأبواب، كتب الطّبقات، كتب رجال الحديث خاصّة، المصنّفات التي جمعت بين الحديث وغيره من العلوم كالتّفسير بالمأثور والفقه.

أمّا الخاتمة فقد ذكرت فيها تلخيصاً مناسباً للرّسالة، وذيّلته بأهمّ النّتائج التي توصّلت إليها.

أمّا الصّعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث فهي كثيرة، لم يخفّف من أثرها إلا ما أرجوه من الأجر من الله على هذا العمل ثم ما أؤمله من النفع به، وقد تمثّل أهمّ تلك الصّعوبات فيما يلي:

١ - صعوبة المبتدأ؛ فإنّ هذا الموضوع بِكر - كما أسلفت -، وقد خلت المكتبات من الدّراسات المتعلّقة بالنّشاطات الحديثيّة لأهل القَيْرَوان في الفترة التي أدرسها، عدا بعض التّراجم التي كثيراً ما يقع إهمال الكلام فيها على النّشاط الحديثيّ لصاحب التّرجمة، أو بعض المقالات التي لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، والتي تتناول عموميّات لا تكاد تضيف جديداً للمدرسة الحديثيّة.

وقد اتصلت ببعض قدماء أهل العلم في تونُس ـ وهم الزّيتونيّون ـ لأنّهم من مظانّ الإفادة في هذا الموضوع وقد استفدت من إرشادات بعضهم فجزاهم الله خيراً.

٢ ـ قلّة المادّة الحديثيّة المباشرة، وتشتّتها، وتناثرها في المصادر، ممّا جعل تتبّعها وجمعها أمراً عسيراً.

٣ ـ قلّة المادّة المتعلّقة بعلوم الرّواية والدّراية بصفة أخصّ، ممّا جعلني أستعمل أساليب التّحليل، والتّركيب، والاستقراء، والاستنباط؛ لأتمكّن من إبراز هذه الجوانب مع الحذر من التّكلّف في ذلك قدر الإمكان.

٤ ـ طول الفترة الزّمنيّة التي أدرسها، والتي زادت على أربعة قرون، وبالتّالي طول الموضوع وتوسّع مظانّه، ممّا أخذ جهداً ووقتاً كبيرين لاستقصائها، وسبر مادّتها، واستخراج ما يتعلّق بالبحث، وكثيراً ما أقرأ المجلّد والمجلّدين لأخرج بصفحة أو صفحتين.

٥ ـ لقد اضطررت أمام ندرة المادّة العلميّة في المظانّ المتخصّصة إلى الرّجوع إلى المظانّ العامّة المتعلّقة بهذه الفترة، من كتب الفقه، والتّفسير، والتّواريخ العامّة، والخاصّة، وكتب الجغرافيا، وكتب العقيدة، والفرق، والشّعر، والأدب، وطبقات الفقهاء، والقرّاء، واللّغويّين، وغير ذلك، كما هو واضح في قائمة المصادر، ولا يخفى ما يأخذه تتبّع كلّ هذه المصادر من الوقت.

٦ ـ كثرة الأحداث السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة في هذه الفترة وتضارب تواريخها، ممّا جعل إنجاز التّمهيد، وعرضه بشكل مركّز يستغرق من الجهد والوقت مثل ما بُذل في بعض أبواب الرّسالة، ومعلوم أنّ عرض هذه الجوانب لمدّة زادت على أربعة قرون له صعوبته حتّى لو كانت المادّة مُمهّدة، فكيف مع التّضارب وكثرة الأخطاء؟ وقد لا حظ هذه الصّعوبة كلّ من تعرّض لتاريخ المغرب في هذه الفترة، فيما وقفت عليه.

٧ ــ إذا كانت المادّة العلميّة قليلة حول رجال القَيْرَوان في هذه الفترة فإنّ ذلك قد شكّل عقَبة خاصّـة بالنّسبة لرجال القرن الأخير (حوالي ٥٣٠ ـ ٤٤٩)؛ لأنّ أهمّ كتابين ترجما لرجال القَيْرَوان لم يُغطّيا هذا القرن، وهما: طبقات أبي العرب (ت ٣٣٣)، ورياض النّفوس للمالكيّ (ت بعد ٤٦٤)، وتزداد هذه الصّعوبة فيما يتعلّق بالطّبقة التي خُرّبت القَيْرَوان على عهدها؛ لعدم وجود من اهتمّ بالتّدوين لها.

٨ ــ افتقار معظم المصادر المتعلّقة بهذه الفترة إلى فهارس تفصيليّة ممّا جعل الطّريق الوحيدة للاستفادة منها هو قراءتها كاملة.

٩ ــ شيوع التّصحيفات والأخطاء المتعلّقة بالتّواريخ، وأسماء عدد من الرّواة ووفياتهم، وقد أخذ التّحقيق في ذلك كثيراً من الجهد والوقت.

١٠ ــ كثيراً ما يقع الاكتفاء في ذكر شيوخ الرّواة وتلاميـذهم بالنّسبـة أو الكنية، التي لا يتّضح الشّخص المقصود بها، ولا يخفى ما يحتاج إليه تحديدهم وتمييزهم من التّقصي والنّظر.

١١ ــ لقد اضطررت إلى حصر واستقصاء جميع علماء القَيْرَوان في هذه الفترة ـ حسب المصادر المتوافرة ـ لأتمكّن من تحديد من كانت له منهم عناية بالحديث وعلومه، وهذا يحتاج إلى تتبّع كبير، وممّا زاد في صعوبته أنّ بعض المصادر تُغفل تماماً الجـانب الحديثيّ لصـاحب التّرجمـة، بينما تُبـرزه مصادر أخرى، ممّا جعل حصر جميعهم من مختلـف المصادر أمراً لا بد منه.

أمّا أهمّ ملامح المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذه الرّسالة فهي:

١ ــ جمع المادّة العلميّة مُستقصياً جميع المظانّ التي أعلمها وتمكّنت من الحصول عليها، مع التّدبر والنّظر والنّقد والتّمحيص قدر الاستطاعة.

٢ ــ حَرَصت على الاستفادة ممّا تيسّر الوصول إليه من مخطوطات القرويّين وغيرهم ممّا له صلة بالموضوع، وكذا الرّسائل الجامعيّة والبحوث التي لم تُطبع.

٣ ــ بقيت متتبّعاً للإصدارات الجديدة إلى أن انتهيت من تحرير البحث عسى أن أظفر فيها بما يُفيد الرّسالة، وتسهل ملاحظة ذلك لمن نظر في قائمة المصادر.

٤ ــ صغت التّمهيد بشكل مُبسّط ومركّز يمكّن القارىء من استيعاب مادّة الرّسالة باعتباره مدخـلاً ضروريّـاً لفهم الحركـة العلميّة في القَيْـرَوان، والسّبيل الوحيد للوقوف على كثير ممّا اختصّ به المجتمع القَيْرَواني، والإجابة عن كثير من التّساؤلات المتعلّقة بالحديث وعلومه ورجاله، مثل:

ــ ما سبب إقبال القرويّين على السّنّة والآثار، ونفورهم من البدع والرّأي؟.

ــ ما سبب التفافهم حول العلماء ووقوف جميعهم ضدّ من كان من أرباب الحكم ظالماً منحرفاً عن تعاليم الشّرع؟.

ــ لماذا تأخّر دخول صحيح البُخاري إلى إفريقيَّة والمغرب لمدّة تزيد عن مائة عام من تاريخ تصنيفه؟.

ــ لماذا أقبل القرويّون عـلى مذهب مالك وتخلّوا عمّا سواه؟.

ــ لماذا فتَرت الرّحلة إلى المشرق في عهد الرّافضـة (٢٩٦ - ٣٦٢)، وتكثّفت رحلتهم إلى الأندلس؟.

ــ كيف استطاعت الحياة العلميّة أن تحافظ على بقائها في عهد الرّافضة، الذين سجنوا العلماء في دورهم، ومنعوهم من نشر العلم في المساجد، وحـرّموا عليهم الاجتماع بالطّلاّب؟.

ــ لماذا لم تصل إلينا معظم مصنّفات علماء القَيْرَوان الحديثيّة وغيرها؟.

٥ ــ أبـرزتُ دور المراكـز العلميّة المختلفـة في نشـر الحـديث وفقهـه، والالتزام به.

٦ ـ بيّنت أثر الرّحلة في اكتساب القرويّيـن للحديث وللمصنّفات التي عند غيرهم، وبالعكس، وما أدّت إليه من ربط للصّلات العلميّة بينهم وبين غيرهم.

٧ ـ أبرزتُ مظاهـر نشاط محـدّثي القَيْرَوان وخصـائصه في مجـال رواية الحديث ودرايته، وخصّصت لذلك باباً كاملاً، مع التّنبيه غالباً على آراء محدّثي المشرق في تلك المسائل، والإشارة إلى موافقة القرويّين أو مخالفتهم لهم.

وقـد ألّفت بين ما عثـرت عليـه للقـرويين متنـاثـراً من هـذه العلوم وفق التقسيمات التي وضعها أهل الحديث لعلمي الرواية والدراية.

٨ ـ حرصت على إظهار دون الصّحابة والتّابعين في نشر الحديث وعلومه بإفريقيَّة والقَيْرَوان؛ لبيان أنّ أهل تلك البلاد قد أخذوا العلم من طريقه الشّرعيّ، وبسنده العلميّ الصّحيح، مع التّركيز في التّعريف بهم على الجانب الحديثيّ، وخاصّة ما تعلّق منه بالقَيْرَوان وإفريقيَّة؛ حتى لا أُطيل البحث بما لا يخـدمه، مُستقصياً جميع ما أمكن الوقوف عليه من مصادر كلّ صحابيّ أو تابعيّ؛ لعلّي أعثر في ثناياها على معلومة تتعلّق بالقَيْرَوان، محقّقاً القول في كلّ ذلـك قدر الاستطاعة.

٩ ـ ترجمتُ لأشهر علماء الحديث ورواته من القرويّين ومن هاجر إليهم، من بيان أحوالهم من حيث التّعديل والتّجريح وتحقيق القول في ذلك، مُقتصراً على من رأيت أنّ معظم خصائص مدرسة القَيْرَوان الحديثيّة قد تجمّعت فيهم، إذ إنّ ذكر جميع من وقفت عليه منهم ممّا تطول به الرّسالة جدّاً، عِلماً بأنّي قد جمعت المادّة المتعلّقة بجميعهم حتّى تمكّنت من تحديد الذين سأترجم لهم، ولعلّ الله عزّ وجلّ يُيسّر لي وضع معجم لمحدّثي القَيْرَوان في هذه الفترة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ـ أشرت إلى المطبوع من مصنفات القرويين، وحددت أماكن المخطوط منها ما أسعفتني المصادر بذلك.

١٠ ـ لقد ركّزت في تراجم المحدّثين على الجوانب المتعلّقة بالسّنّة وعلومها غالباً، مع الإشارة في صدر كلّ ترجمة إلى العلوم التي برع فيها صاحب التّرجمة، حتّى لا تطول الرّسالة بما لا يخدمها.

١١ ـ اعتمدت في معظم مباحث الرّسالة ـ من تراجم وغيرها ـ نوعين من الإحالات.

أ ـ الإحالات العامّة أو الإجماليّة، ويقع ذكرها في أوّل المبحث أو التّرجمة، وهي التي رجعت إليها في ذلك الموضوع.

ب ـ الإحالات التّفصيلية: وهي ما يُعزى إليه من المصادر، ممّا له تعلّق بمعلومة معيّنة.

وقد سلكت هذا المنهج حتّى لا أكرّر ذكر جميع المصادر أو كثير منها عند كلّ نقطة، ولأفيد القارىء الذي يريد مزيداً من التوسّع حول تلك المواضيع، ولِمَا لاحظتُه من نقل كثير من المصادر بعضها عن بعض، فأذكر جميعها في الإحالات العامّة، وأقتصر غالباً على الأهم في الإحالات التّفصيليّة، مُقدّماً المصدر الأصليّ للمعلومة كلّما أمكن ذلك.

١٢ ـ قمتُ بتخريج جميع الأحاديث والحكم عليها نقلاً عن العلماء أو اجتهاداً منّي على ضوء قواعد الجرح والتّعديل، كما قمت بشرح الألفاظ الغريبة التي رأيت حاجة إلى تفسيرها.

١٣ ـ لقد ذكرت أنّ هذه الرّسالة جديدة في بابها، وكان المشرف ـ حفظه الله ـ يطلب منّي التّنبيه على ما لم يُسبق إليه هذا البحث، وهو كثير، وقد فعلتُ ذلك في بعض الأحيان، دون استقصاء، وإنّما فعلته عندما أرى فائدة في التّنبيه، كتصحيح معلومة شائعة، أو الإشارة إلى إحصاء لم يَسبق تتبّعه وإبرازه، وقد أكتفي في الإشارة إلى الجديد بقولي: وبعد البحث والنّظر والتّتبّع وجدت كذا، أو تبيّن لي كذا... وقد أشير إلى ذلك بتوهيم باحث أو مصنّف في مسألة معيّنة بقصد إظهار الحقيقة.

١٤ ـ عرّفت بالمدن التي ورد ذكرها في الرّسالة.

١٥ ـ ذيّلت الرّسالة بجملة من الفهاري الفنّية المتنوّعة، والبالغ عددها أحد عشر فهرساً؛ وذلك لمساعدة القارىء على الاستفادة من هذا البحث.

١٦ ـ أرجأت البيانات المتعلّقة بالمصادر التي أحلت عليها إلى فهرس المراجع إلاّ لفائدة، وذلك حرصاً على عدم تضخيم الحواشي.

١٧ ـ إن التدوين التاريخي مع التحقيق والنقد والتمحيص في غاية الأهمية بالنسبة لمثل هذا الموضوع غير أنّي لم أكتف بذلك، بل قمت أيضاً بتتبع المسائل العلمية الدقيقة لمحدثي القيروان وذكرت نماذج موسعة من الأحاديث والآثار المتعلقة بعلوم السنة رواية ودراية وبيّنت مناهج المحدثين في تصانيفهم المتعلقة بالحديث وعلومه، وبذلك جمعت هذه الدراسة ـ بحمد الله تعالى ـ بين الجانب التاريخي وجانب الصناعة الحديثية بالقدر المناسب، وأمكن بفضل الله إبراز مدرسة حديثية مكتملة العناصر.

وبالرغم من الجهد الذي بذلته في إعداد هذا البحث فإني لا أدّعي له الكمال؛ إذ إنّ النقص ملازم للأعمال البشريّة، وقد أبى الله عزّ وجلّ أن تكون عصمة لغير ما أوحى به إلى نبيّه عليه الصّلاة والسّلام.

فلا عَدمت أخاً وقف على ما في هذه الرسالة من خطأ أو سهو فنبّهني إليه مشكوراً، مأجوراً إن شاء الله تعالى.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الغماري (ت ٧٣٠) في مقدمة كتاب كشف الأسرار عن أصول البزدوي: «... ثم إني وإن لم آل جهداً في تأليف هذا الكتاب وترتيبه، ولم أدخر جداً في تسديده وتهذيبه فلا بد أن يقع فيه عثرة وزلل، وأن يوجد فيه خطأ وخطل، فلا يتعجب الواقف عليه منه، فإن ذلك مما لا ينجو منه أحد ولا يستنكفه بشر...» إلى أن قال رحمه الله تعالى:

«فالمأمول ممن وقف عليه أن يسعى في إصلاحه بقدر الوسع والإمكان أداء لحق الأخوة في الإيمان».

وفي الختام أحمد الله عزّ وجلّ على ما أسبغ عليّ من النّعم الجليلة، والتي منها إنجاز هذا البحث قبل مدّته المقرّرة له، رغم ضيقها وطوله.

ثمّ أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، التي مكّنتني من الانتظام فيها، والالتحاق بكلّيّة أصول الدّين، حيث نهلت من معين العلم الصّافي، وقد قضيت فيها أخصب فترات حياتي العلميّة، في المرحلة الجامعيّة ومرحلة الماجستير، وكان الجوّ فيها مُهيّأ للطّلب، ممّا ساعدني على الإقبال على العلم، وفسح أمامي المجال للتّفوّق بفضل الله تعالى، ثمّ بسبب جدية القائمين على الكلّيّة وتقواهم، وما اجتمع فيها من فضلاء علماء هذا العصر.

كما أنّي أشكر قسم السّنّة وعلومها، الذي حوى جماعة من أهل الفضل والعلم، تعلّمت منهم الأدب والعلم والعلم جميعاً، فجزاهم الله عنّ خير الجزاء، وأخصّ بالذّكر منهم أستاذي الفاضل العلاّمة، الجامع بين العمل والعلم والأدب والفضل: الدّكتور أحمد معبد عبدالكريم، وقد حضرت عليه لمدّة سنتين في مرحلتي الجامعة والماجستير، ثم تفضّل مشكوراً مأجوراً بقبول الإشراف على هذه الرّسالة، وكان من جدّيّته ومتابعته لهذا البحث وحرصه على إنجازه بدقّة وموضوعيّة ما كان له أبعد الأثر وأعظم الفائدة، وكان ذلك من أهمّ أسباب ظهور هذا البحث بالحالة التي هو عليها، ولم يكن الشّيخ حفظه الله يبخل عليّ بوقته من ليل أو نهار، مباشرة أو بالهاتف، كما كانت مكتبته العامرة تحت تصرّفي كلما احتجت إليها، فله الشّكر موصولاً غير مقطوع، وله الودّ والتّقدير ممدوداً غير مجذوذ.

أسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وألا يجعل

حظي منه مجرد النصب والتعب، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لقاه، وأن ينفع به المسلمين، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

والحمد لله أولاً وأخيراً، وهو حسبي ومولاي وناصري ووكيلي.

وكتبه/ الحسين بن محمد شواط

الرياض في ١٤٠٧/٣/١٥ هـ

الاصطلاحات الخاصّة

- ل = لوحة.
- خط = مخطوط.
- تح = تحقيق.
- مح = محقّق.
- ت = توفّي.
- د. ت = بدون تاريخ.
- ص = صفحة.
- ط (معها اسم كتاب) = طبقات، مثل ط الخشني = طبقات الخُشني.
- ط (وبعدها رقم) = طبقة، مثل ط ٢ = الطّبعة الثّانية.
- ١٠٠/٢/٣ = الجزء الثّالث، الصّفحة الثّانية، حديث رقم ١٠٠.
- ٥٠/٢ = الجزء الثّاني الصفحة الخمسون، وهذا بالنّسبة للكتب التي لم تُرقّم فيها الأحاديث، مثل صحيح البخاري، وسنن الدّارمي.
- للموطّأ (غير طبعة محمد فؤاد عبدالباقي) رمز خاص؛ لأنّه مجلد واحد وأحاديثه مرقّمة، فالرّقم الأوّل يكون للصّفحة، والثّاني لرقم الحديث مثل: الموطّأ ٧/١٠٠ = صفحة ١٠٠، حديث رقم ٧.
- كثيراً ما أشير إلى أسماء الكتب في الهوامش بذكر أوّل لفظ من اسم الكتاب،

خاصّة إذا كان الاسم طويلاً، مثلاً: شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة = الشّجرة، معالم الإيمان في معرفة أهل القَيْرَوان = المعالم، وهكذا.

- بالنّسبة للمجلّات، يمثّل الأوّل غالباً العدد، والثّاني السنة، والثّالث التّاريخ، مثلاً ٤/٢/١٩٧٥ م = العدد الرّابع، السّنة الثّانية، سنة ١٩٧٥ م، ثم أذكر رقم الصّفحة.

- م. ن = المصدر نفسه.

التمهيد

الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وأثرها في الحياة العلمية

وفيه خمسة مباحث يتفرع كل منها إلى مطالب ونقاط:

١ ــ القيروان، وأهميتها في نشأة الحياة العلمية بإفريقية.

٢ ــ الوضع السياسي، وأثره في الحياة العلمية.

٣ ــ الوضع الديني، وأثره في الحياة العلمية.

٤ ــ الوضع الاجتماعي، وأثره في الحياة العلمية.

٥ ــ الوضع الاقتصادي، وأثره في الحياة العلمية.

* * *

تمهيد

الأوضاع السيّاسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وأثرها في الحياة العلميّة

مدخل:

إنّ مختلف جوانب الحياة البشريّة شديدة التّرابط، يؤثر كلّ منها في غيره ويتأثّر به، ومن هنا كان لزاماً على من يدرس أحد جوانب النّشاط الإنسانيّ، في بيئة ما أن يمهّد له بالحديث عن بقيّة الجوانب، وذلك مدخل ضروريّ حتّى يصل الباحث إلى نتائج صائبة مبنيّة على دراسة متكاملة.

وفي هذا الإطار جاء هذا التّمهيد عن الأوضاع السّياسيّة، والدّينيّة، والاجتماعيّة، والاقتصادية؛ ليتسنّى لنا فهم الحركة العلميّة بالقَيْرَوان عامّة والنشاطات المتعلّقة بالسّنّة وعلومها بصفة خاصّة.

إلاّ أنّه ليس من الممكن أن أتعرّض في هذا التّمهيد لدقائق هذه الأوضاع وجزئيّاتها خلال مدّة تزيد على أربعة قرون مملوءة بالأحداث، فإنّ كلّ جانب منها يمكن أن يصلح موضوعاً لعدّة رسائل علميّة[1]، ولهذا فسأقتصر على إيراد ما

---

(١) من ذلك ما كتبه عبدالعزيز المجدوب عن الصّراع المذهبيّ بإفريقيّة، وصالح باجيّة عن الإباضية بالجريد، وعبدالمجيد بن حمدة عن الفرق الكلاميّة، ومحمود إسماعيل عن الخلافة والخوارج، وهند شلبي عن القراءات بإفريقيّة... انظر: قائمة المصادر.

يحقّق الغرض من هذا التّمهيد وهو بيان أثر هذه الأوضاع على الحياة العلميّة، دون الإخلال بأساسيّات كلّ وضع.

ومعلوم أنّ الإشـارة إلى اختـلافـات المؤرّخين، والتّـوسـع في تحليـل الأحداث، ليس من مقاصد هذا التّميهـد إلاّ لضرورة يقتضيهـا البحث، وذلك حرصاً على الإفادة بأخصر الطّرق وبعداً عن الإطالة والحشو.

١ ـ القَيْرَوان وأهمّيّتها في نشأة الحياة العلميّة بإفريقيّة

يحسن بنا قبل التّطرّق إلى ما يتعلّق بفتح إفريقيَّة وتأسيس القَيْرَوان أن نبدأ بتحديد المراد بإفريقيَّة؛ ليعرف القارىء حدود هذا الإقليم الذي سيتكرّر ذكره كثيراً في هذه الرّسالة باعتبار أن القَيْرَوان عاصمته.

أ ـ حدّ إفْرِيقِيَّة والعلاقة بينها وبين القَيْرَوان:

إفْرِيقِيَّة بكسر الهمزة[1] ـ وهو المشهور ـ وقيل بفتحها[2] والنّسبة إليها إفريقيّ[3]. وقد اختلف الجغرافيّون في تحديد هذه البلاد على أقوال، أهمّها:

١ ـ قيل هي الأرض الواقعة بين بَرْقَة وطَنْجَة[4]. وعلى هذا فهي تشمل المغرب والجزائر وتونُس والجزء الأكبر من ليبيا.

٢ ـ وقيل هي ما بين بَرْقَة وتَاهَرْت[5] أي الجزائر وتونُس، والجزء الأكبر من ليبيا.

٣ ـ وقيل حدّها من طَرَابُلُس إلى بِجَايَة[6] أي أنّها تشمل تونُس وجزءاً من الجزائر وجزءاً من ليبيا.

---

(١) معجم البلدان ١/٢٢٨، فتح المغيث ٣/١٤٨.

(٢) اللّباب ١/٩٧.

(٣) الإكمال ١/١٤٩.

(٤) مسالك البكري ٢١، اللّباب ١/٧٩، دائرة المعارف ٢/٣٣٧.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٢/٣٣٨.

(٦) معجم البلدان ١/٢٢٨، دائرة المعارف ٢/٣٣٨، قادة فتح المغرب ١/١٤.

٤ ــ وقيل إنّها بين طَرَابُلُس وقُسَنْطِينَة[١]، أي ما يقارب حدود البلاد التّونسيّة حاليّاً.

٥ ــ وقيل هي مدينة القَيْرَوَان[٢].

والاختلاف في تحديد هذا الإقليم يرجع إلى الظّروف السّياسيّة التي كانت عليها هذه البلاد، فأحياناً تتْسع رقعتها، وأحياناً تضيق تبعاً لامتداد نفوذ سلطان صاحب القَيْرَوان، أمّا في هذا البحث فسيكون المراد بإفريقيَّة ما يعرف الآن بالجمهوريّة التّونسيّة؛ لأنّه أكثر الإطلاقات التصاقاً بها في الفترة التي أدرسها.

والقَيْرَوَان[٣] هي العاصمة الدّينيّة والسّياسيّة لإفريقيَّة في الفترة التي أدرسها، وهي مركز الإشعاع العلمي، ومنطلق الحياة الثّقافيّة فيها، وسيرد كثيراً في هذه الرّسالة استعمال إفريقيَّة بدل القَيْرَوان في بعض ما وُجد من الأنشطة العلميّة المتعلّقة بالقَيْرَوان خاصّة وبإفريقيَّة عامة؛ للإشارة إلى أنّ تلك الأنشطة لم تقتصر على القَيْرَوان بل تعدّتها إلى بعض المدن إفريقيَّة الأخرى.

ب ــ فتح إفريقيَّة[٤] (٢٧ هـ ـ ٩٥ هـ):

أشرق نور الإسلام في مكّة المكرّمة ببعثة النّبيّ محمد ﷺ، الذي صدع

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٨/٢، معالم تاريخ المغرب ٢٧ ٤٨.

(٢) المؤنس ١٤، فتوح البلدان ٢٣٠، تاريخ ابن الفرضي ١١٢/٢.

(٣) سيأتي تحديد موقعها قريباً.

(٤) انظر: نهاية الأرب ٤١٢/٢٠ ـ ٤١٤، ٥٣/٢٤، الخلاصة النقية ١١/٣، الإمامة والسياسة ٤٩/٢ ـ ٦٨، دائرة المعارف ٣٣٧/٢، ٣٠/٦، ٣٧٧/٧، ١٢٠/٨، ١٥٥/١٠، ١٠٧/١٥، فتوح ابن أعثم ١٣٠/٢ ـ ١٣٧، تاريخ أبي زرعة ١٨٣/١، ١٨٥، ٢٩٠، ٢٩١، كتاب المحن ٢٧١، ٢٧٢، الحلة السيراء ٣٢١/٢ ـ ٣٣٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٧٩/٢، ٨٠، ١١٥، ٢١٠، ٢١٢، تاريخ الطبري ٢٥٣/٤ ـ ٢٥٧، ٢٢٩/٥، البداية والنهاية ١٥١/٧، ٤٥/٨، تاريخ ابن عساكر ١٤٩/٤، تاريخ الرقيق ٤١ ـ ٧٠، تاريخ ابن خلدون ١٢٨/٢، ١٨٥/٤ ـ ١٨٨، النجوم الزاهرة ٧٩/١ ـ ١٦٠، =

بالحقّ، وبلّغ رسالة ربّه، وجاهد في الله حق جهاده، مع صحابته الكرام، الذين ارتضاهم الله لمؤازرة نبيّه، فأخذت رموز الباطل تتهاوى أمام قوّة الحقّ وسلطانه، وانحسر نفوذ الشّرك والكفر، ودخل النّاس في دين الله أفواجاً.

ولما توفي الرسول ﷺ كان الإسلام قد عم جزيرة العرب، ثم انتشر الصحابة خارجها في الأمصار فاتحين وناشرين لدعوة الإسلام.

وفي أقلّ من ربع قرن أتمّوا فتح كلّ من العراق (بين ١٦ - ٢١ هـ)، وجميع بلاد الشّام (بين ١٣ - ١٥ هـ)، ومصر (سنة ٢٠).

وما إن أتمّ المسلمون الفتح النّهائي لمصر بمعاهدة الإسكندريّة سنة ٢١ هـ حتّى سارع عمرو بن العاص ففتح بَرْقَة[1] سنة ٢٢ هـ، وطَرَابُلُس[2] سنة ٢٣ هـ، وترك في تلك النّواحي جزءاً من جيشه؛ للحفاظ على البلاد المفتوحة، ونشر الإسلام بين أهلها، وللتوسّع في عمق الصّحراء. وكان ضمن هذه الحامية: عُقبة بن نافع الفِهْرِيّ، الذي كان له بعد ذلك شأن عظيم في تاريخ إفريقيَّة والمغرب.

= خلاصة تاريخ تونس ٥٤ - ٦٣، إتحاف أهل الزمان ١/ ٧٨ - ٨٦، الاستقصاء ١/ ٣٦ - ١٠٠، الكامل ٣/ ١٢، ١٣، ٤٤ - ٤٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٣٠٨، ٣١٠، ٤/ ٣٢، ٣٣، ١١٢، ١١٣، جامع السيرة ٣٤٤، فتوح مصر ١٧٠ - ٢١١، المؤنس ٣٦ - ٤٠، الحلل السندسية ١/ ٢/ ٥٣٠ - ٥٣٨، معجم البلدان ٢/ ٢٢٩، ٤/ ٤٢٠، قادة فتح المغرب ١/ ٥١ - ٢٣٧، حركة الفتح الإسلامي ١٥٦ - ١٧٩، تاريخ خليفة ١٥٢، ١٥٩، ١٦٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٧١، معالم تاريخ المغرب والأندلس ٣١ - ٥٥، القيروان ٢٤ - ٤٤، حسن البيان ٥١ - ١٦١، تاريخ المغرب العربي ١/ ١٤٣ - ١٣٨، البيان المغرب ١/ ٩ - ٣٩، معالم الإيمان ١/ ٤٣ - ٦٩، أبو العرب مح ١٢ - ١٦، شجرة النور ٩٤ - ١٠٨، فتوح البلدان ٢٢٥ - ٢٣١، المغرب الكبير ١٦٥ - ٢٥٨، رياض النفوس ١/ ١٠ - ٥٧.

(١) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية. . معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

(٢) طَرَابُلُس أو أَطْرابلس مدينة في آخر أرض بَرْقَة وأول أرض إفريقيَّة معجم البلدان ١/ ٢١٧، ٤/ ٢٥.

وقد لاحظ عمرو بن العاص حسن انقياد أهل تلك النّاحية للإسلام، فقوي عزمه على التّوغّل في إفريقيّة، وأخذ يرسل السّرايا فتغير على أطراف إفريقيّة، وتعود مظفّرة، ممّا شجّعه على التّفكير في غزوها، فأرسل يستشير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويرغّبه في أن يفتحها الله على يديه، ويذكّره بقربها من حوزة المسلمين. وكان الجواب حاسماً: «لا، إنّها ليست بإفريقيّة ولكنها المُفَرّقة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت»[1].

وهذا الموقف ليس مستغرباً من عمر رضي الله عنه، «وذلك أنّ أهلها (إفريقيّة) كانوا يؤدون إلى ملك الرّوم شيئاً، فكانوا يغدرون به كثيراً، وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم، وكان خبرهم قد بلغ عمر»[2]. كما أنّ عمر كان يخشى أن ينفرد بالمسلمين عدوُّهم، مع صعوبة نجدتهم؛ لبعدهم عن مركز الخلافة، فلم يجد عمرو بدّاً من العودة إلى مصر. وبقي الأمر كذلك إلى زمن عثمان رضي الله عنه (ولي الخلافة سنة ٢٤ هـ)، فولّى على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح[3]، فأخذ عبدالله يرسل المسلمين في جرائد الخيل فتصيب من أطراف إفريقيّة، فأرسل إلى عثمان يبشّره بذلك، ويستأذنه في غزوها، وكان عثمان متردّداً في أمرها لموقف عمر منها، فجمع الصّحابة واستشارهم[4]، فلم يخالف في غزوها إلا سعيد بن زيد العدويّ[5] الذي استمسك برأي عمر. فعزم

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ١٧٣، وانظر: ط أبي العرب ١٣، ١٦، فتوح البلدان ٢٢٧، الاستقصاء ١/٧٣، كما نلاحظ أن عمر قد تخوّف قبل ذلك من فتح مصر وكرهه. انظر: فتوح مصر والمغرب ٨٠، ٨١.

(٢) فتوح البلدان ٢٢٧.

(٣) سيأتي في الباب الثالث التعريف بالصحابة والتابعين الذين ذكروا في التمهيد.

(٤) انظر عن تفاصيل علميّة الشورى: طبقات أبي العرب ١٢، ١٣، والرياض ١/١٤.

(٥) صحابي جليل من العشرة، أحد السابقين أخرج له الجماعة (ت ٥١). التجريد ١/٢٢٢، الكاشف ١/٢٨٦.

عثمان على غزوها وندب المسلمين لذلك، فتسارع النّاس من الصّحابة وكبار التّابعين، من مختلف القبائل العربيّة(١)، فأرسلهم عثمان إلى مصر فسار بهم ابن أبي سرح إلى إفريقيّة في جيش يعد عشرين ألفاً(٢)، بعد أن انضمّ إليهم عُقبة ومن معه ببَرْقة(٣)، وذلك سنة ٢٧ هـ، وهي الغزوة المعروفة بغزوة العبادلة(٤). واتّجه بهم عبدالله نحو سُبَيْطِلَة(٥)، ولم يكن هناك بدّ من القتال؛ لأنّ جرجير قد رفض الإسلام والجزية(٦)، ورغم ضخامة جيش العدوّ (بين ١٠٠ و ١٢٠ ألفاً) فقد انتهت المعارك العديدة التي دارت بين الطّرفين على مشارف مدينة سُبَيْطِلَة بانتصار المسلمين، وقتل جرجير وكبار قادته، وكثير من جيشه، وغنم المسلمون أموالاً عظيمة(٧)، وبثّ المسلمون سراياهم بتلك النّاحية حتّى بلغوا مدينة

(١) انظر في تسمية هذه القبائل وعدد المشاركين من بعضها مع تسمية بعضهم: ط أبي العرب ١٣، والرياض ١/١٤.
(٢) انظر مثلاً: البيان المغرب ١/٢٨، تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٥.
(٣) العبر ٢/١٢٩.
(٤) وذلك لكثرة من اشترك فيها ممن اسمه عبدالله من الصحابة وسيأتي ذكر أسمائهم.
(٥) سُبَيْطِلَة: هي عاصمة ملك جرجير وتقع على ٧٠ ميلاً غربي القيروان. انظر: البيان المغرب ١/١٠، الرياض ١/٢٠، المعالم ١/٣٥.
(٦) لقد كان ضمن الجيش الإسلامي الفاتح أناس من أقباط مصر يقومون بخدمته، ولم تشر المصادر إلى كونهم أسلموا أم لا، وكانت لهم معرفة بلغة البربر وعاداتهم (الرياض ١/١٧، وانظر: الكامل لابن الأثير ٣/١٣)، كما كان معه بعض العرب الذين يتقنون لغة الروم. فتوح ابن عبدالحكم ١٨٦.
وعن طريق هؤلاء كان يتم التفاهم بين المسلمين وبين الروم والبربر فيما يخص الأمور الحربية، وكذلك فيما يخص التعريف بالدين الإسلامي، وانظر: ورقات ٦٢، ٦٣.
(٧) بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهباً، وسهم الراجل ألف مثقال ذهباً. انظر: تاريخ خليفة ١٦٠، البيان المغرب ١/١٢. وترجع كثرة هذه الأموال إلى أنّ ابن أبي سرح قد افتتحها بكراً ولم يغزها أحد منذ عدّة قرون، البيان المغرب ١/١٢.

قَفْصَة[2]، وقد أسلم في هذه الغزوة كثير من أهل إفريقيَّة[3] والتجأ من لم يُسلِم إلى الحصون، وطلبوا من ابن أبي سرح الصّلح على مبلغ عظيم من المال، فقبل ذلك وانصرف عنهم بعد أن أقام سنة وثلاثة أشهر، «ولم يولّ على إفريقيّة أحداً ولم يكن لهذا يومئذ قَيْرَوان ولا مصر»[4]. ولا يمكن التّقليل من شأن هذه الغزوة بسبب عدم بناء مدينة يستقرّ بها المسلمون، ويكفي أنّها أذلّت الروم بإفريقيّة[5] بحيث لم يتمكّنوا من استرجاع قوّتهم بعد ذلك كما أنها عرّفت أهل البلاد - ولو جزئياً - بالإسلام حتّى اعتنقه بعضهم، ومن ناحية أخرى فقد وقف المسلمون على حالة البربر وعرفوا طبائعهم وعاداتهم عن قرب، كما أنّ المنطقة المفتوحة لا يستهان بحجمها.

أمّا الغزوتان التّاليتان فلم تكونا محلّ اتّفاق بين المؤرخين القدامى، كما أنّ بعض المعاصرين قد شكّك في وقوعهما واعتبروا أنّ المسلمين لم يلتفتوا إلى إفريقيّة إلّا عندما هدأت الفتن في المشرق وآلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[6]، ولا يمكن أن نسلّم لهؤلاء مقولتهم، إذ يستبعد أن يفرّط المسلمون في هذا الكسب العظيم بسهولة، كما أنّ الغزوتين اللّتين هما محلّ شكّ قد وقعتا قبل اشتداد أمر الفتنة. أمّا سكوت بعض المصادر القديمة عن ذكرهما فسببه صغر حجم الغزوتين وقلّة ما فيهما من الأحداث. وقد عبر أبو العرب عن ذلك حين وصف غزوة سنة ٣٤ بأنّها «لا يعرفها كثير من النّاس»[7].

---

(١) قفصة: مدينة صغيرة في طرف إفريقيّة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (أي حوالي ١٧٠ كلم). معجم البلدان ٣٨٢/٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٨٠/١، تاريخ الإسلام ٧٩/٢.

(٣) فتوح البلدان ٢٢٨ (ط - بيروت).

(٤) البيان المغرب ١٢/١.

(٥) انظر مثلاً: المغرب الكبير ١٧٤/٢، معالم تاريخ المغرب ٣٣، سيرة القيروان ١٢.

(٦) طبقات أبي العرب ١٥.

فالأرجح إذن وقوع هاتين الغزوتين، وقد كانت الأولى سنة ٣٣ هـ بقيادة عبدالله بن سعد أيضاً حين نقض أهل إفريقيّة العهد[١]، فجاهدهم حتّى دخل بعضهم في الإسلام ورضي الباقون بالجزية.

أمّا الثّانية فكانت سنة ٣٤ هـ وقادها معاوية بن حديج[٢] فأعاد أهلها إلى الطّاعة.

ثمّ اشتغل المسلمون في المشرق بما أهمّهم عن شأن المغرب حتّى اعتدل الأمر لمعاوية رضي الله عنه سنة ٤١ هـ، فأرسل إليها معاوية بن حُديج[٣]، وفي سنة ٤٢ هـ عزاها عُقبة بن نافع[٤]، ويبدو أنّ هاتين الغزوتين لم تتوغّلا داخل أرض إفريقيّة.

أمّا الغزوة الموالية فكانت ذات شأن، وقد قادها معاوية بن جُديج سنة ٤٥ هـ[٥]، وكانت ردّاً على المحاولة التي قامت بها الدّولة البيزنطيّة لإعادة إفريقيّة إلى نفوذها، فهزم معاوية جيوش البيزنطيّين، وأعاد فتح إفريقيّة مدينة مدينة، حتى وصل جبل القرن، (قريباً من موضع بناء القيروان)، فعسكر هناك وبنى مساكن للجيوش، واتخذ ذلك الموقع منطلقاً وجه منه سراياه إلى أنحاء البلاد ففتح سُوسَة وجَلُولَاء، والجمّ، وبِنْزَرْت، ولا شكّ أنه قد سيطر على جميع تلك الجهات؛

---

(١) البيان المغرب ١/١٤، النجوم الزاهرة ١/٨٠، تاريخ الإسلام ٢/١١٥، قادة فتح العرب ١/٦١.

(٢) أبو العرب ١٥، الرياض ١/٣٠، ٩٣، فتوح مصر وأخبارها ١٩٤، تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٥، تاريخ المغرب العربي ١/١٦٧.

(٣)، (٤) البيان المغرب ١/١٠.

(٥) الرياض ١/٢٨، البيان ١/١٧، النجوم الزاهرة ١/١٣٠، قادة فتح المغرب ١/٧٩، المعالم ١/٤٥، حسن البيان ٧٦، وفي بعض المصادر سنة (٥٠ هـ) وهو خطأ إذ من الثابت أن تأسيس القيروان تم في هذا التاريخ على يد عقبة بن نافع، انظر: الإصابة ٣/٤١١.

لأنّه تمكّن سنة ٤٥ هـ من غـزو صِقِلّيَّة(١) لأوّل مرّة في التّاريخ الإسلامي، كما أغزى جيشه جزيرة جَرْبَة ففتحت سنة ٤٧ هـ بقيادة رُوَيفع بن ثابت الأنصاري(٢)، ويبدو أن معاوية قد مكث في إفريقيَّة مدة لا تقلّ عن أربع سنوات؛ لأنّه لم يعزل عن ولايتها إلاّ في بداية سنة ٥٠ هـ(٣)، ولذلك فقد آتت هذه الغزوة أكلها حيث ظهر الإسلام في البربر(٤)، وتمكّن الجيش الإسلامي من التّوغّـل في أراضيهم وكسر شوكتهم(٥)، فلم تكن هذه الغزوة من الغزوات التّمهيديّة(٦)، وإنّما كانت غزوة عظيمة تركّز بها الإسلام في إفريقيّة إلى حدّ كبير وكانت خير ممهّد لبناء مدينة القَيْرَوان واستقرار المسلمين بإفريقيّة.

وفي سنة ٥٠ هـ بدأت إفريقيّة الإسلاميّة عهداً جديداً مع عُقبة بن نافع، المتمـرّس بشؤون إفريقيّة منذ حداثة سنّه، فقد لاحظ كثرة ارتداد البربر، ونقضهم العهود، وعلم أنّ السّبيل الوحيد للمحافظة على إفريقيّة، ونشر الإسلام بين أهلها هو إنشاء مدينة تكون محطّ رحال المسلمين، ومنها تنطلق جيوشهم، فأسّس مدينة القَيْرَوان وبنى جامعها(٧) وافتتح كثيراً من البلدان، وعمل على نشر الإسلام بين البربر وشرّد من بقي على الكفر.

ثمّ ولي إفريقيّة أبو المُهاجِر دينار(٨) سنة ٥٥ هـ، وكانت له مع البربر سياسة

---

(١) البيان المغرب ١/١٨، الاستقصاء ١/٧٧، قادة فتح المغرب ١/٨١، فتوح ابن أعثم ١٣٧.
(٢) المؤنس ٢٨.
(٣) البيان المغرب ١/١٩ ويمكن أن يكون في هذه الفترة يتردد بين إفريقية ومصر.
(٤) الاستقصاء ١/٧٨، ولا غرابة في ذلك فقد كان في هذه الغزوة بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، انظر: ابن عبدالحكم ١٩٣.
(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٦.
(٦) كما وصفها صاحب معالم تاريخ المغرب ٣٤، وانظر: سيرة القيروان ١٣.
(٧) سيأتي تفصيل الحديث عن تأسيس القيروان ص ٤٣.
(٨) هذا من الأعلام الذين أهملهم المؤرخون.

حسنة؛ فقد تألّف قادتهم وعلى رأسهم كُسَيْلَة البربريّ فانقادوا للإسلام، وازدادت رقعة البلاد المفتوحة حتّى بلغت تلمسان من بلاد الجزائر. وطالت مدة إقامة أبي المهاجر ومن معه من الصّحابة والتّابعين إلى أن عاد عُقبة ثانية إلى القَيْرَوان، سنة ٦٢ هـ، بأمر من يزيد بن معاوية، فأعاد عمارة المدينة[١]، ودعا لها ومن معه من الصّحابة كما سيأتي، وخرج إلى الغزو ففتح جميع بلاد المغربين الأوسط والأقصى، أي ما يعرف الآن الجزائر والمغرب، حتى وصل إلى البحر المحيط، فأدخل فيه قوائم فرسه، وقال كلمته الخالدة: «اللّهم اشهد أنّي قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتّى لا يعبد أحد من دونك»[٢]. ثم كرّ راجعاً وفتح في طريقه بعض بلاد السّودان، فلمّا اقترب من مدينة تَهُوَدة[٣] صرف أصحابه إلى منازلهم «ثقة بما دوّخ من البلاد»[٤] وقيل بل خالفه العدوّ إلى القَيْرَوان فأرسل أصحابه لنجدتها[٥]، وأصبح في عدد قليل، فاستغلّ الروم والبربر تلك الفرصة وأحاطوا به بقيادة كُسَيْلة[٦] في جموع عظيمة، فاستشهد عُقبة فيمن معه من الصّحابة والتّابعين وذلك آخر سنة ٦٣ هـ. وكان لهذه الحادثة أثر عميق في نفوس المسلمين، وزحف كُسَيْلَة نحو القيروان فدخلها سنة ٦٤ هـ، وأمّن من بقي بها من أهل الأثقال من المسلمين، وأمّا زُهَيْر بن قَيْس البَلَوِيّ خليفة عُقبة على القيروان فقد اضطرّ للسّير نحو المشرق، فأقام ببَرْقَة إلى أن جاءه المدد من عبدالملك بن مروان سنة ٦٩ هـ[٧]، فسار إلى القيروان، واستنقذها

---

(١) وذلك لأنّ أبا المهاجر قد بنى جوارها مدينة تِيكَرْوَان ونقل النّاس إليها، انظر: فتوح مصر ١٩٧.

(٢) الرياض ١/٣٩. وانظر: الاستقصاء ١/٨٢.

(٣) تهودة: تقع الآن بالجزائر وتعرف بسيدي عقبة. وانظر: ص ٢٧٠ هاشم ٤.

(٤) البيان ١/٢٨.

(٥) انظر: فتوح مصر ١٩٨.

(٦) هو كُسَيْلة بن لَمْزَم الأوربّي وقيل البُرْنُسيّ وهو من ملوك البربر، أسلم على يد أبي المهاجر الذي تألفه وأحسن إليه ولكن عقبة لم يتبع نفس الأسلوب بل تشدد مع كسيلة فحنق عليه (انظر: البيان ١/٢٨ - ٣٩).

(٧) المغرب الكبير ٢/٢٣٤، البيان المغرب ١/٣١، الرياض ١/٤٦.

من يد كُسَيْلَة الذي اضطربت صفوصه، لأن المسلمين البربر قد تنازعوا معه، ولم تذكر المصادر أنّ كُسَيْلَة قد أساء إلى المسلمين في الفترة التي حكم فيها القيروان، وقد دامت مدّة خمس سنوات، وفي هذه الموقعة قُتل كُسيلة وملوك الرّوم والبربر وأشرافهم وفرسانهم، وخلد أهل إفريقيّة إلى الطّاعة، وتمهّدت البلاد لزُهَيْر بن قَيْس البَلَوِيّ، فخاف على نفسه الفتنة لِما رأى من عظمة الملك «وكان من رؤساء العابدين وكبار الزّاهدين»[٩] وقرّر الرّحيل إلى المشرق، بينما أقام معظم أصحابه بالقيروان، ولكنّه استشهد في قلّة من أصحابه على يد الرّوم الذين أغاروا على بَرْقَة، «وكانت المصيبة بزُهَير وأصحابه رضي الله عنهم مثل المصيبة بعُقبة بن نافع وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين»[١].

وبموت زُهَير اختلّت الأمور في إفريقيّة من جديد، إلا أنّ الوضع بالمشرق لم يكن يمسح بسرعة إرسال من يعيد الأمور إلى نصابها[٢]، فمضت أربع سنوات كاملة حتّى تمكّن عبدالملك بن مروان من أن يرسل حسّان بن النّعمان إلى إفريقيّة سنة ٧٣ هـ في جيش عظيم، وقد انضمّ إليه كثير من أهل مصر وممّن أسلم من بربر إفريقيّة، وقد قصد حسّان قرطاجنّة[٣] آخر قلاع الرّوم بإفريقيّة ففتحها، واضطرّ إلى هدمها؛ لأنّ أهلها غدروا به، وفرض سيطرته على كامل تلك المنطقة، وأثخن في الرّوم والبربر بالقتل.

ثمّ توجّه حسّان لمحاربة الكاهنة[٤]؛ لأنّها هي الخطر الوحيد الذي بقي

---

(١) البيان المغرب ١/٣٣.

(٢) المعالم ١/٥٩، المؤنس ٣٣.

(٣) وذلك لانشغال عبدالملك بن مروان بحروبه مع عمرو بن سعيد بن العاص ثم مع عبدالله بن الزبير. انظر: تاريخ خليفة ٢٦٦، ٢٦٩.

(٤) قَرْطَاجَنَّة: بلد قديم من نواحي إفريقيّة على ساحل البحر يبعد عن القيروان مسيرة ثلاثة أيام وهو قريب من موضع تونس الآن، وانظر: معجم البلدان ٤/٣٢٣.

(٥) الكاهنة هي ملكة البربر في جبال الأوراس. انظر: فتوح مصر ٢٠٠، معالم تاريخ المغرب ٤٣.

يهدّد الكيان الإسلامي في إفريقيَّة والمغرب، وقد قال له البربر المسلمون: «فإن قتلتها دان لك المغرب كلّه، ولم يبق لك مضادّ ولا معاند»[1] إلا أنّ ابن النّعمان قد انهزم أمام الكاهنة، التي كانت في جموع عظيمة جدّاً، فتتبّعته حتّى خرج من عمل قابِس[2]. وأقام في الموضع الذي عُرف فيما بعد بقصور حسّان، وقامت الكاهنة بتخريب مدن إفريقيّة ظنّاً منها أنّ ذلك هو غاية مطلب المسلمين من إفريقيّة[3] وقد أثار عَملها نقمة كثير من سكان تلك المدن فاستجاروا بالمسلمين. وبعد مضيّ خمس سنوات تمكّن حسّان من العودة لمقاتلة الكاهنة في جيش لم يدخل إفريقيّة مثله قط، فانهزمت أمامه، وقتل أكثر رجالها، وطلب الباقون الأمان، فاشترط عليهم حسّان «أن يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفاً يجاهدون مع العرب، فأجابوه وأسلموا على يديه»[4]، وبذلك انكسرت شوكة الرّوم والبربر بإفريقيّة نهائياً، فاتّجه إلى ناحية قَرْطَاجَنَّة، فبنى مدينة تونُس، وأنشأ بها داراً لصناعة السّفن، وحفر إليها البحر فأصبحت ميناءاً هامّاً، وبنى جامع الزّيتونة، ثم عاد إلى القيروان فجدّد بناء جامع عُقبة، ودوّن الدّواوين وولّي على الصّدقات حَنَشاً الصّنعاني[5] وكتب الخراج على من لم يدخل في الإسلام من عجم إفريقيّة.

وبذلك تمهّدت إفريقيّة، وأصبحت دار إسلام، وحسنت طاعة أهلها، وأقام بها حسّان «لا يغزو أحداً ولا ينازعه أحد»[6]؛ لأنّ جميع من بها إمّا مسلم مطيع

---

(١) البيان ١/٣٥، وانظر: المعالم ١/٦١، الاستقصاء ١/٩٣.

(٢) قابِس: مدينة على ساحل البلاد التونسية بينها وبين القيروان حوالي ٢٠٠ كم. انظر عنها: معجم البلدان ٤/٢٨٩، اللباب ٣/٥.

(٣) قيل إن إفريقية كانت ظلّاً واحداً من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة فخربت الكاهنة ذلك كله، حسن البيان ١٥٨، انظر: المعالم ١/٦٤، وابن عذارى ١/٣٦، الرياض ١/٥٣.

(٤) البيان المغرب ١/٣٨، انظر: تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٧.

(٥) المعالم ١/٦٩.

(٦) البيان ١/٣٨.

أو كافر خاضع مستكين. ووجّه حسّان عناية كاملة لنشر الدّين الإسلاميّ، واللّغة العربيّة فدخل البربر في دين الله أفواجاً، خاصّة وأنّ حسّاناً كان إلى جانب ذلك يقسم الفيء والأرض بينهم[1]، واستمرّ حسّان في تركيز مبداىء الإسلام لدى أهل إفريقيَّة وإعادة تعمير ما خربته الكاهنة حتّى رجع إلى المشرق سنة ٨٥ هـ.

ويمكن أن نعتبر أنّ فتح إفريقيَّة قد تمّ نهائياً في هذه المرحلة، لولا وجود بعض البؤر التي لم تفتح، وبقيت تشكّل خطراً على الإسلام مثل قلعة زَغْوَان الواقعة بين القَيْرَوان وتونُس، وبعض المدن الواقعة في أطراف إفريقيّة، وذلك هو ما قام به موسى بن نُصَير لمّا قدم القيروان سنة ٨٦ هـ[2] فمهّد جميع ما تبقّى في نواحب إفريقيّة، وسيطر على قبائل المغرب الأوسط ومدنه.

ثم وجّه عنايته للغزو البحريّ، فغزا صِقِلّيَّة وافتتح سَرَقُوسَة وسَرْدَانِيَة[3]، ثمّ وجّه جيشه إلى المغرب الأقصى ففتح جميعه. وتسابق البربر إلى اعتناق الإسلام، فكلّف من يعلّمهم اللّغة العربية وشرائع الإسلام[4].

وبذلك تمّ نهائيّاً فتح إفريقيّة والمغرب، ودَانَ أهل تلك البقاع بالإسلام، وانتهت الانفاضات المتكرّرة للبربر، قال ابن أبي زيد القيروان: «ارتدّت البربر اثنتي عشرة مرّة من طرابُلُس إلى طَنْجَة، ولم يستقرّ الإسلام إلاّ على يد موسى بن نُصير»[5] وهكذا تمّ بحق خضوع بلاد إفريقيَّة والمغرب للإسلام ودخل معظم أهلها في الدّين الجديد، وشاركوا إخوانهم الفاتحين في الذّود عن حماه.

---

(١) الرياض ٥٦/١.
(٢) البيان ٤١/١.
(٣) صِقِلّيَّة جزيرة في البحر الأبيض المتوسط مقابل إفريقيّة على بعد ١٤٠ ميلاً. انظر: معجم البلدان ٤١٦/٣.
سَرَقُوسَة: أكبر مدينة بجزيرة صِقِلّيَّة. معجم البلدان ٢١٤/٣.
سَرْدَانِيَة: من جزائر المغرب الكبرى، وقيل مدينة بصِقِلّيَة. معجم البلدان ٢٠٩/٣.
(٤) الكامل في التاريخ ١١٢/٤، تاريخ ابن خلدون ١١٠/٦.
(٥) الاستقصاء ١٠٠/١، إتحاف أهل الزمان ٨٦/١.

إلّا أنّ هذا الفتح، كما تقدّم، لم ينته في سنوات قليلة كما اعتاده المسلمون في فتح مدن المشرق، إنّما دام أكثر من ستّين سنة، بذل فيها المسلمون تضحيات غالية، وقدّموا أعداداً هائلة من الشّهداء من الصّحابة والتّابعين الذين كانوا بإيمانهم، وجهادهم، وبعزمهم، وإصرارهم، سبباً في إضافة هذا القطر الهائل إلى أمّة الإسلام، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

ولم يكن فتح إفريقيّة فتحاً استعماريّاً عسكريّاً، إنّما كان فتحاً رساليّاً سارت فيه الدّعوة إلى الله جنباً إلى جنب مع التّقدّم في فتح البلاد، تنفيذاً لأوامر الله تعالى بتبليغ دينه العالميّ وجهاد من كفر به: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، ولم يكن أفراد الجيش الفاتح جنوداً مقاتلين فحسب، وإنّما كانوا قبل ذلك معلّمين، وهداة، وقدوة، يحملون الخير إلى كلّ بلد قصدوه، ومنه إفريقيّة التي نحن بصدد الكلام عنها.

جـ ـ تأسيس القَيْرَوَان:

١ ـ معنى «القَيْرَوَان» وموقعها والنّسبة إليها:

القَيْرَوان ـ بفتح القاف والرّاء ـ لفظ فارسي معرّب، وقد تكلّمت به العرب قديماً، قال امرىء القيس:

وغارة ذات قَيْرَوَان كأنّ أسرابها الرّعال

وهي اسم للقافلة، وللجيش أيضاً، وقيل إنّها بفتح الرّاء: الجيش، وبضمّها: القافلة، ومن معانيها كذلك: معظم العسكر، وموضع اجتماع النّاس ومحطّ أثقال الجيش[2].

---

(١) سورة الصف: الآية ٩.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤٢٠/٤، مراصد الاطلاع ١١٣٩/٣، الحلل السندسية ٢٥٩/١/١، حسن البيان ١٨٦، قادة فتح المغرب ١٠٣/١، معالم تاريخ المغرب ٣٦، المعالم ٨/١.

وتقع القَيْرَوان الآن في الجمهوريّة التّونسية في جنوب غربي العاصمة على بعد ١٨٠ كلم، وقديماً حدّها البَكْرِيُّ بقوله: «ومدينة القيروان في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونُس، وفي الشرق بحر سُوسة والمَهْدِيّة، وفي القبلة بحر صَفَاقُس وقابِس، وأقربها منها البحر الشّرقيّ بينها وبينه مسيرة يوم، وبينها وبين الجبل مسيرة يوم، وبينها وبين سواد الزّيتون المعروف بالسّاحل مسيرة يوم، وشرقيّها سبخة ملح عظيم»[١].

والنّسبة إليها: قَرَوِيّ وقَيْرَوَانِيّ[٢]، وقد تلتبس النّسبة الأولى على بعض أهل المشرق بتسمية جامع القَرَوِيّين في مدينة فَاس بالمغرب الأقصى، فلْيُعلم أنّ أصل هذه التّسمية راجع إلى مدينة القَيْرَوان التي معنا، فإنّ نحو خمسمائة عائلة من أهل القَيْرَوان قد رحلوا منها إلى المغرب الأقْصى في عهد إدريس الثّاني (١٨٧ - ٢١٣)، وسكنوا في منطقة سمّيت عدوة القرويّين، التي كانت تمثّل نصف مدينة فاس، ويقابلها عدوة الأندلسيّين، وكان ضمن الوافدين أميرة فاضلة من آل عُقبة بن نافع الفِهْرِيّ قامت ببناء جامع مدينة فاس، وهو الذي عرف بجامع القرويّين، ثمّ تحول بعد ذلك إلى جامعة لا زالت إلى اليوم تؤدّي رسالتها العلميّة[٣].

٢ ـ تأسيسها:

لا شكّ أنّ من أوّل ما ينبغي على الجيش الفاتح تحقيقه هو إيجاد مدينة يستقرّ بها المسلمون، وتكون محطّ رحال الجند: منها تنطلق سراياهم، وبها يحتمون عند الخطر، وتكون المنطلق الطّبيعي لنشأة الحياة الإسلاميّة، وتثبيت شعائر الدّين، وإقامة أحكامه في البلد المفتوح، إلّا أنّ هذه الغاية لم تكن سهلة المنال في إفريقيّة؛ لصعوبة مراس أهلها وكثرتهم، وبُعدها عن مركز الخلافة،

---

(١) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ٢٤، وانظر: حسن البيان ١٨٦.
(٢) انظر: الأنساب ١١٦/١٠، ٢٨٦، اللباب ٣٠/٣، ٦٩.
(٣) انظر: سيرة القيروان ٧٢ - ٧٤، معالم تاريخ المغرب ١١٤، البيان المغرب ٢١١/١.

وهذا يعني انعدام المدد المستمرّ كما يعني أنّ اهتمام الخليفة سينصبّ أولاً على البلاد القريبة منه، ولذلك فإنّ مشاكل المشرق كثيراً ما كانت تصرف أنظار وليّ الأمر عن التّفكير في وضع أفريقيَّة، ولهذه الأسباب لم يتمكّن المسلمون من تأسيس مدينة القَيْرَوان إلّا بعد أكثر من عشرين سنة من بداية الفتح.

ولقد استهوت ناحية القَيْرَوان المسلمين منذ غزوة العبادلة سنة ٢٧ هـ فإنّ ابن أبي سرح قد نزل فيها مدّة وضرب فسطاطه في أرضها[(١)].

وأوّل من بنى مساكن للجند وسماها «قَيْرَوان» هو معاوية بن حُديج سنة ٤٥ هـ، وكان ذلك عند القَرْن[(٢)]، (وهو جبل قريب من القَيْرَوان)، وفي هذه الغزوة توفّي الصّحابي أبو زمعة البَلَوِيّ، وبه سمّيت مقبرة القيروان بعد ذلك بالبلويّة[(٣)]، ممّا يؤكّد قرب المساكن التي بناها ابن حُديج من موقع القيروان، وذلك ما صرّح به صاحب المعالم حين قال: «فنزل بمكام القيروان اليوم»[(٤)].

ولمّا قدم عقبة سنة ٥٠ هـ، لاحظ كثرة ازتداد البربر، وضرورة تأسيس مدينة للمسلمين فقال لأصحابه: «إنّ إفريقيّة إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتّخذوا بها مدينة تكون عزّاً للإسلام إلى آخر الدّهر»[(٥)].

فاتّفق رأيهم على ذلك، ونظر عُقبة فيما بناه ابن جُديج فلم يعجبه، فتحول

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٠، البيان المغرب ١/١٣.

(٢) انظر: الرياض ١/٩٣، المعالم ١/١٤٣، الكامل ٣/٢٣١، الاستقصاء ١/٧٧، ٨٨، حسن البيان ٧٦.

(٣) انظر: الرياض ١/٨٤، المعالم ١/١٤٢، ورقات لحسن عبدالوهاب ١/٤٥، وقد أرخت بعض المصادر وفاته بسنة ٣٤ هـ ولا يصح ذلك إذ لم يثبت وصول تلك الغزوة إلى نواحي القيروان بينما يوجد قبر أبي زمعة في طرف القيروان.

(٤) المعالم ١/١٤١.

(٥) البيان المغرب ١/١٩، وانظر: الرياض ١/١٠، حسن البيان ٧٦، أعلام ابن عاشور ٥.

عنه قليلاً وأمرهم بالبناء[1] بعد أن استشارهم حول الموقع الذي امتاز بطيب مرعاه، وبعده عن البحر حتّى لا يطرقه العدوّ ليلاً، وكان المكان وادياً كثير الشّجر تأوي إليه الوحوش والسّباع فنادى فيهم عُقبة بقوله: «يا أهل الوادي إنّا حالون إن شاء الله فاظعنوا، ثلاث مرّات، قال (الرّاوي): فما رأينا حجراً ولا شجراً إلاّ يخرج من تحته دابّة حتى يهبطن الوادي، ثم قال: انزلوا بسم الله»[2].

فنزلوا وقطعوا الأشجار، وبنوا المسجد الجامع[3] ودار الإمارة، وبنى النّاس بيوتهم ومساجدهم، واستمرّ البناء خمس سنوات كان عقبة يرسل أثناءها السّرايا لتوسيع الفتح، ودعوة البربر للإسلام، وعظمت مدينة القَيْرَوان، وقصدها البربر المسلمون للتّعلُّم والاشتراك مع إخوانهم العرب في الفتح.

ولمّا تولّى أبو المهاجر إمارة إفريقيّة بنى مدينة تِيكَرْوَان على ميلين من مدينة القيروان[4] فانتقل أكثر أهل القَيْرَوان إليها، فلمّا عاد عُقبة في إماراته الثّانية أعاد

---

(١) انظر: الاستيعاب ٣/١٠٩، أسد الغابة ٣/٤٢٠.

(٢) تكاد المصادر تجمع على ذكر هذه الحادثة. انظر مثلاً: تاريخ خليفة ٢١٠، فتوح مصر والمغرب ٢٦٤، فتوح البلدان ٣٢٠، تاريخ الطبري ٤/١٧٨، البداية والنهاية ٨/٤٥، طبقات أبي العرب مح ٧٥، الاستيعاب ٣/١٠٨، وأول من ذكرها خليفة في تاريخه وقد نقلها عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ٨٠ وحكم على إسنادهما بأنه حسن، ومع ذلك فقد شكك في صحتها بعض المعاصرين، زاعمين أنها مجرد أسطورة أملتها الظروف التي أحاطت بتأسيس القيروان. انظر مثلاً: المغرب الكبير ٢/٢٠٥، القيروان ٥٦، معالم تاريخ العرب ٣٦، وأنا أقول زيادة على حسن الإسناد فليس هناك مانع شرعي من وقوع مثل هذه الكرامة على يد أولئك الصحابة والتابعين الذين كانوا قمة في الفضل والدين، وقد تحملوا المشاق العظيمة مجاهدين في سبيل الله، وبناء هذه المدينة إنما يراد به وجه الله ونشر دينه.

(٣) ارتبط تحديد قبلة جامع القيروان بكرامة أخرى لعقبة بن نافع ذلك أن المسلمين لم يتمكنوا من تحديدها ولبثوا في التحري أياماً؛ لأنها ستكون إماماً لأهل المغرب فحدّدها عقبة عن طريق رؤية رآها، انظر: البيان المغرب ١/٢١، الرياض ١/١٢.

(٤) انظر: حسن البيان ٧٧.

عمارة القيروان، وكان في معسكره هذه المرّة خمسة وعشرون صحابيّاً فجمعهم في وجوه العسكر، ودار بهم حول المدينة، وجعل يدعو، وهم يؤمّنون وممّا قال في دعائه: «اللّهم املأها علماً وفقهاً، وأعمرها بالمُطيعين والعابدين واجعلها عزّاً لدينك، وذلاً لمن كفر بك، وأعزّ بها الإسلام وامنعها من جبابرة الأرض»(١).

قال المالكيّ(٢): «فشدّ إليها النّاس المطايا من كلّ مكان، وعمرت بفضلاء النّاس من الفقهاء والمحدّثين والمتطوّعين والعابدين والنّسّاك والزّاهدين، وأُعزّ بها الإسلام وأهله، ودُمغ بها أهل النّفاق والأهواء والشّكّ والضّلالة».

وسرعان ما اتّسع بناء القيروان حتّى اشتمل سورها على أربعة عشر باباً، وسبعة محارس، وقُسّمت إلى أرباض(٣)، وحارات، وشوارع، وأزقّة، وأسواق، وحمّامات(٤).

وقد وُصفت القيروان في كتب الجغرافيّين والمؤرخين بأوصاف جليلة تنبىء بعظمتها وتدلّ على فضلها، من ذلك قول الإدريسيّ(٥): «ومدينة القيروان أمّ أمصار، وقاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطراً، وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً، وأتقنها بناء، وأنفسها همماً...

والغالب على فضلائها التّمسّك بالخير والوفاء بالعهد والتّخلّي عن الشّبهات، واجتناب المحارم والتفنّن في محاسن العلم...».

---

(١) طبقات أبي العرب ٨، وانظر: البيان المغرب ٣٣/١، حسن البيان ١٨٧.

(٢) الرياض ١٣/١.

(٣) جمع ربض ومن معانيه الناحية من الشيء، وسور المدينة. انظر: القاموس المحيط ٣٣٠/٢.

(٤) انظر: بساط العقيق ١٤ ـ ١٦، ورقات ٥٢/١.

(٥) صفة المغرب ١١٠، وانظر: معجم البلدن ٢١٢/٤، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ٢٤، أحسن التقاسيم ٢٢٤، صورة الأرض ٩٦، البلدان ٣٤٧، البيان المغرب ٢٠٨/١.

ونظراً لتأسيس الصّحابة لهذه المدينة ودعائهم لها، والكرامات التي ارتبطت بتأسيسها، وكونها منطلق جيوش الفتح، وقاعدة الدّعوة إلى الله في إفريقيّة والمغرب، بالإضافة إلى أنّه لم يعبد فيها غير الله، فقد أصبحت مدينة القيروان مدينة جليلة مباركة، لها مكانة سامية في نفوس المسلمين، وقصدها النّاس من الآفاق، وسرعان ما أضحت عاصمة المغرب السّياسيّة والعلميّة والدّينية، وكثر فيها الفقهاء والمحدّثون والشّعراء والعُبّاد، قال صاحب المعالم[1]: «أمّا القيروان فهي البلد الأعظم والمصر المخصوص بالشّرف الأقدم، قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطرهم الأفخر، الذي أصبح لسان الدّهر عن فضله يُعرب، وبشرفه يُغرب، قرارة الدّين والإيمان، والأرض المطهّرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان، قبلتها أوّل قبلة رُسمت في بلاد المغرب، وسُجد لله فيها سرّاً وعلانية، وناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبيّنا ﷺ ومحطّ رحالهم... مصراً مؤسّساً على التّقوى إلى يوم الدّين، دار هجرة المغرب والتّربة المقدّسة التي ضمّت شعر المصطفى، فأصبحت قسيمة يَثْرِب[2]... رابعة الثّلاثة: المدينة ومكّة وبيت المقدس والقيروان...».

د ـ أهمّيّة القيروان في نشأة الحياة العلميّة بإفريقيّة:

إذا كانت المصادر قد فَصَّلت القول في الأحداث السّياسيّة المتعلّقة بتاريخ إفريقيّة فإنّا نجدها تضنّ علينا فيما يتعلّق بالحياة العلميّة، خاصّة إذا قورنت بما كتب عن هذه النّاحية في المشرق، وأمام ندرة المادّة العلميّة في هذا المجال

---

(١) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٦/١.

(٢) يشير بذلك إلى ما ورد من أن أبا زمعة البلوي صاحب النبي ﷺ دفن بمقبرة القيروان ودفنت معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله ﷺ، فقاسمت المدينة بضم شيء من جسد الرسول ﷺ، ولا يعني ذلك أنها تقاسمها في الفضل الذي ثبت للمدينة شرعاً كتضعيف ثواب الصلاة في مسجدها، وموقف الدجال منها، وغير ذلك، راجع عن بداية التعليق: المعالم ١٣/١، ٩٨.

يجد الباحث نفسه مضطرّاً للإنطلاق من الإشارات القليلة، المباشرة وغير المباشرة الواردة في هذا الشّأن ثم تحليلها والاستنباط منها اعتماداً على الأصل والـواقع المتمثّل في وجود مجتمع إسلاميّ متكامل في تلك البلاد يدين بما يدين به باقي المجتمعـات الإسـلاميـةَ في مختلف المـدن الإسـلاميـة وإن اختلفت الـظّروف والإمكانات.

إنّ الحياة العلميّة بإفريقيّة قد بدأت قبل تأسيس القَيْرَوان، إلاّ أنّها كانت غير منظّمة ولا مسترسلة، فقد اشتملت الغزوة الأولى سنة ٢٧ هـ على عشرين ألفاً «أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ»[١]، والصّحابة أداة طبيعية لنشر الإسلام وسنّـة النّبي ﷺ، وذلك هو غرضهم من الفتح، ورغم قصر مدّة هذه الغزوة (سنة وثلاثة أشهر) فقد أسلم فيها كثير من البربر[٢]، وهؤلاء في حاجة إلى تعلّم اللّغة العربيّة وأساسيّات الدّين الإسلامي، ولا شكّ أنّ الصّحابة قد قاموا بهذه المهمّة خيـر قيام، ممّا يجعلنا نؤكّد على أن التّعريب ونشر الإسلام كانا يسيران جنباً إلى جنب مع الفتح، ولا يصح ما ذهب إليه بعض المعاصرين[٣] من أن شغل المسلمين في القرن الأوّل كان منصبّاً على إقرار سلطانهم؛ لأن السّيطرة العسكريّة لم تكن ذات يوم هي هدف أصحاب رسول الله ﷺ في فتوحاتهم، إنّما كانت الدّعوة إلى الله هي الدّافع الأسمى لتلك الفتوحات، هذا بالإضافة إلى أنّ النّتائج الهائلة التي حقّقها المسلمون في وقت قصير لتدلّ دلالة واضحة على الجهد العظيم الذي بذله الفاتحون منذ الخطوة الأولى في سبيل أسلمة البلاد[٤]، وقد ذكر العَبْدَرِيّ في رحلته أنّه شاهد في بيت الحكمـة القَيْرَواني المصحف الـذي بعثه عثمـان

(١) طبقات أبي العرب ١٥.
(٢) النجوم الزاهرة ١/٨٥، تاريخ الإسلام ٢/٧٩.
(٣) انظر مثلاً: ورقات ١/٧٧، الصراع المذهبي ١٨.
(٤) مما يدل على الانتشار المبكر للّغة العربية بين البربر وجود من أتقنها من البربر إلى حد أن قال بها شعراً غاية في الفصاحة، ذلكم هو سابق البربري المطماطي الذي وعظ عمر بن عبدالعزيز بقصيدة جاء في مطلعها: =

رضي الله عنه إلى أهل المغرب[1] وإذا صحّت هذه الرّواية فإنّ هذا المصحف يكون قد دخل إفريقيَّة إمَّا في غزوة ابن سَرْح الثّانية سنة **٣٣ هـ** أو في غزوة ابن حُديج الأولى سنة **٣٤ هـ**.

أمّا غزوة ابن حُديج الأخيرة سنة **٤٥ هـ** فلا شكّ أنّها قد اهتمّت بالجانب العلميّ اهتماماً كبيراً، وذلك لطول مدّتها (حوالي ٤ سنوات كما تقدّم)، ولكثرة من كان فيها من الصّحابة، وظهرت نتائج النّشاط العلميّ في إقبال كثير من البربر على الإسلام فقد «ظهر الإسلام في البربر ثم عاد (ابن حديج) إلى مصر بعد أن خلّد آثاراً حسنة»[2]. غير أن الحياة العلميّة المركّزة لم تبدأ إلّا بعد تأسيس القَيْروان سنة **٥٠ هـ**، فسرعان ما أصبحت القيروان مركز الحضارة الإسلاميّة بالمغرب وعاصمته العلميّة، منها انطلق الدّعاة وإليها رحل طلّاب العلم من الآفاق، وممّا رشّح القيروان لهذه المكانة ما يلي:

١ ـ إنّ إنشاء مدينة القيروان يعني أنّ إفريقيّة أصبحت ولاية إسلاميّة جديدة وجزءاً لا يتجزّأ من العالم الإسلاميّ الكبير، وبالتّالي سيعيش المسلمون فيها حياتهم العاديّة، وعلى رأسها التّعليم وبثّ الثّقافة الإسلاميّة، فإنّ القيروان مدينة رسالة، وعلى أهلها تُلقى مسؤولية نشر الإسلام في المغرب، فكما كانت منطلق الجيوش الفاتحة، كانت كذلك منطلق الدّعاة إلى الأنحاء لنشر الإسلام، وقد شعر الصّحابة بهذه المكانة للقيروان منذ تأسيسها، فقد قالوا لعُقبة عندما أراد تحديد قبلة الجامع: «إنّ أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا الجامع فأجهد نفسه في تقويمه»[3].

= إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت ... وفي تدبّرها التّبيان والعبر
والمرء ما عاش في الدّنيا له أمل ... إذا انقضى سفر منها أتى سفر

انظر: المغرب العربي ٥١، الإكمال ٣٩٨/١.

(١) القراءات بإفريقيّة ٥٤، نقلاً عن رحلة العبدري ٦٥.

(٢) الاستقصاء ٧٨/١.

(٣) الرياض ١٢/١.

٢ ـ لقد تمّ بناء الجامع وهو المدرسة الأولى في الإسلام، ولا شك أنّ الصّحابة الذين كانوا في جيش عُقبة قد جلسوا للتّدريس فيه على النّمط الموجود في مدن المشرق آنذاك، فقد كان مع عُقبة أثناء تأسيس القيروان ثمانية عشر صحابيّاً[١] وقد مكثوا بها خمس سنوات كاملة كان عملهم فيها، ولا شكّ، نشر اللّغة العربيّة وتعليم القرآن والسّنّة في جامع القيروان، وذلك أثناء بناء مدينة القَيْرَوان، حيث لم تكن هناك غزوات كبيرة تتطلّب غياباً طويلاً عن القيروان، أمّا في غزوة عُقبة الثّانية فقد كان معه خمسة وعشرون صحابيّاً[٢] وسائر جيشه من التّابعين، وقد انتشرت رواية الحديث النّبوي الشّريف في هذه الفترة، ممّا دعا عُقبة أن يوصي أولاده ومن ورائهم جميع المسلمين بتحرّي حديث الثّقات وعدم كتابة ما يشغلهم عن القرآن[٣] وسيأتي مزيد بيان لهذه الجوانب عند الحديث عن أثر الصّحابة في نشر السّنّة بالقيروان.

٣ ـ لقد استقطبت القَيْرَوان أعداداً هائلة من البربر المسلمين الذين جاءوا لتعلّم الدّين الجديد، قال ابن خلدون عند حديثه عن عُقبة: «فدخل إفريقيَّة وانضاف إليه مسلمة البربر، فكبر جمعه ودخل أكثر البربر في الإسلام ورسخ الدّين»[٤]، ولا شكّ أنّ الفاتحين قد خصّصوا لهم من يقوم بهذه المهمّة.

ومن القيروان انتشر الإسلام في سائر بلاد المغرب، فقد بنى عُقبة بالمغربين الأقصى والأوسط عدّة مساجد لنشر الإسلام بين البربر، كما ترك صاحبه شاكراً في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر الإسلام[٥]، ومن قبله تألّف أبو المهاجر كُسَيْلَة وقومه وأحسن إلى البربر، فدخلوا في دين الله أفواجاً. ودعّم حسّان بن النّعمان جهود عُقبة في نشر الإسلام بين البربر، حيث خصّص

---

(١) البيان المغرب ١/٢٠. (٢) البيان المغرب ١/٢٣.

(٣) شجرة النور ٢/١٠٠، وانظر: الرياض ١/٣٤، المعالم ١/٤٨، الإصابة ٣/٨١.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٦، وانظر البداية والنهاية ٨/٤٥.

(٥) البيان المغرب ١/٢٧.

ثلاثة عشر فقيهاً من التّابعين لتعليم البربر العربيّة والفقه ومبادىء الإسلام[1]، وواصل موسى بن نُصير هذه المهمّة حيث: «أمر العرب أن يعلّموا البربر القرآن وأن يفقّهوهم في الدّين»[2] وترك في المغرب الأقصى سبعة وعشرين فقيهاً لتعليم أهله[3].

٤ ـ كان كثير من أفراد الجيش قد صحبوا معهم زوجاتهم، ومنهم من اتّخذ بإفريقيَّة السّراري وأمّهات الأولاد، قال أبو العرب[4]: «روى بعض المحدّثين أنّ عبدالله بن عمر بن الخطّاب لمّا غزا مع معاوية بن حُدَيج كانت معه أمّ ولد له، فولدت له صبيّة من أمّ الولد وماتت، فدفنها في مقبرة قريش بباب سَلَم، فاتّخذتها قريش مقبرة يدفنون فيها لمكان تلك الصبيّة».

ومن هنا كان لا بدّ من الاهتمام بتعليم النّشىء المسلم مبادىء الإسلام واللّغة العربيّة ولذلك فقد نشأت الكتاتيب بالقيروان في وقت مبكّر جدّاً.

فقد رُوي عن غِيَاث بن شبيب أنّه قال: «كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمرّ بنا ونحن غلمة بالقَيْرَوان فيسلّم علينا ونحن في الكُتَّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه»[5]، وكان سفيان بن وهب قد دخل القَيْرَوان مرّتين أولاهما سنة ٦٠ هـ أي بعد الانتهاء من تأسيس القَيْرَوان بخمس سنوات، والثّانية سنة ٧٨ هـ[6].

---

(١) انظر: الخلافة والخوارج ٣٨.
(٢) البيان ١/٤٢.
(٣) البيان ١/٤٢، تاريخ ابن خلدون ١/١٣٦.
(٤) طبقات أبي العرب ١٨.
(٥) الرياض ١/٩١، المعالم ١/١٥١، الإصابة ٢/٥٦، الاستيعاب ٢/٦٦، أسد الغابة ٢/٣٢٣.
(٦) انظر: الرياض ١/٩١.

٥ ــ إنّ الموقع الجغرافيّ لمدينة القيروان كان له دور كبير في إثراء الحياة العلميّة وإنعاشها، فقد كانت في موقع متوسّط بين الشّرق والغرب يمرّ بها العلماء والطّلبة من أهل المغرب والأندلس في ذهابهم إلى المشرق، فيسمعون من علمائها[١]، وكثير منهم يصبح أهلاً للعطاء عند عودته فيسمع منه أهلها كما فعل بَقِيّ بن مَخْلَدَ المسند القُرْطُبيّ (٢٠١ - ٢٧٦) والمحدّث درّاس بن إسماعيل الفاسي (ت ٣٥٧)[٢] وغيرهما. كما كان يدخلها من كان يقصد المغرب أو الأندلس من أهل المشرق[٣].

٦ ــ لقد كانت التّجارة في القَيْرَوان رابحة والسّلع فيها نافقة، ولذلك أمّها كبار التّجّار من المشرق والمغرب وكثير منهم من المحدّثين والفقهاء، فكان ذلك عاملاً مهمّاً في إزدهار الحياة العلميّة بالقَيْرَوان فإنّ أبا عبدالرّحمٰن المقرىء المحدّث قدم إفريقيّة سنة ١٥٦ هـ وكيلاً لأحد التّجّار وسمع منه أهل القَيْرَوان[٤]، كما قدمها عبدالعزيز بن يحيى المدني سنة ٢٢٦ هـ وأتى معه بمسك يبيعه، وقد سمع منه محمد بن سَحنون وبشر كثير من أهل القَيْرَوان[٥]، بل من هؤلاء من تاجر بالكتب، فقد جلب أبو علي إسماعيل بن القاسم البغداديّ (ولد سنة ٢٨٨ هـ) إلى القيروان عدّة أحمال من الكتب في مطلع القرن الرابع، فباع كثيراً منها، وحمل ما تبقّى فباعه في بلاد الأندلس[٦].

٧ ــ وممّا أسهم في إثراء الحياة العلميّة كون القيروان آنذاك هي العاصمة السّياسيّة، ذلك أنّه كلّما جاء أمير جديد اصطحب معه مجموعة من العلماء

---

(١) انظر مثلاً: جذوة المقتبس ٧٩، ٨٥، بغية الملتمس ١٢٧، ٢١٤.
(٢) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٠٧، نيل الابتهاج ١١٦.
(٣) انظر: نفح الطيب ٣/١٣٤، بساط العقيق ٨٢.
(٤) انظر: طبقات أبي العرب ٨١.
(٥) ن. م ٧٨، وهو ضعيف جداً متهم بالكذب، انظر: التهذيب ٦/٣٦٣
(٦) انظر: فهرسة ابن خير ٣٩٥.

والأدباء، كما فعل يزيد بن حاتم (١٥٥ - ١٧٠)، ومنهم من كان يرسل في طلب العلماء والكتب النّادرة من المشرق كما فعل إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (١٦١ - ٢٨٩)[1].

كما كان كثير من المحدّثين والفقهاء يفدون إلى العاصمة الإفريقيّة ضمن الجيوش القادمة من المشرق، والتي استمرّ مجيئها إلى بعد منتصف القرن الثّاني، هذا بالإضافة إلى من كان يقصد الأمراء للمدح والتّسلية من أهل الشّعر والأدب.

٨ ـ وكان بُعد القيروان عن مركز الخلافة سبباً آخر لإثراء الفكر، إذ إنّها كانت ملاذاً أميناً لأولئك الذين لاحقتهم جيوش الخلافة بالمشرق وضيّقت عليهم، فقد شهد آخر القرن الأوّل ومطلع القرن الثّاني وفود عدة من الدّعاة إلى المذهب الخارجي من الإباضيّة والصُّفْرِيّة، كما كان بها عدد من المعتزلة وكان كلّ من هؤلاء يبثّ فكرة في مسجد عُقبة بالقيروان حتّى منعهم الإمام سَحنون[2] لمّا تولّى قضاء القيروان سنة ٢٣٤ هـ. وبسبب وجود هذه النّحل المختلفة أثيرت كثير من المسائل الكلاميّة، وكثرت المناظرات، ونشطت كلّ فرقة في الرّدّ على غيرها، وألّفت في ذلك كتب عديدة، وكانت الصّولة والكلمة الأخيرة لأهل السّنّة والجماعة[3].

٩ ـ كما أنّ القيروان اكتسبت نوعاً من الاحترام والتّعظيم باعتبارها البلد الذي أسّسه صحابة رسول الله ﷺ، وظهر بها على أيديهم كثير من الكرامات، واستقر بها بعضهم مدّة من الزّمن، وهي آخر ما دخله الصّحابة من بلاد المغرب.

كلّ هذه الأمور هيّأت القيروان لدور الرّيادة العلميّة بإفريقيّة والمغرب حتّى

(١) انظر: ورقات ١/١٦١، ٣٢٧.

(٢) انظر: المؤنس ٥، طبقات أبي العرب ١٠٢.

(٣) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن الوضع الديني.

وصفها أبو إسحق بالجِبِنيَانِيّ بقوله: «القيروان رأس وما سواها جسد، وما قام بردّ الشّبه والبدع إلاّ أهلها، ولا قاتل وقُتل على إحياء السّنّة إلاّ أئمّتها»(١).

وقال ابن الشّبّاط(٢): «ولم يزل بها على الزّمان من العلماء والكتاب وذوي البراعة في المعارف والآداب من تزدان بأوصافه الأقطار وتشرق بأنوار كلامه الأسطار»(٣).

وقد لهج المؤلّفون القدامى بفضل القيروان على سائر بلاد المغرب في المجال العلميّ، من ذلك ما وصفها به مقديش بأنّها: «منبع الولاية والعلوم، فهي لأهل المغرب أصل كل خير، والبلاد كلّها عيال عليها، فما من غصن من البلاد المغربيّة إلاّ منها علا، ولا فرع في جميع نواحيها إلاّ عليها ابتنى، كيف لا ومنها خرجت علوم المذهب، وإلى أئمّتها كلّ عالم ينسب... ولا ينكر هذا خاصّ ولا عامّ، ولا يزاحمها في هذا الفضل أحد على طول الأمد والأيّام»(٤).

وهكذا أصبحت القيروان دار العلم بإفريقيّة، برز فيها كبار المحدّثين والفقهاء والقرّاء، ورحل إليها أهل المغرب والأندلس لطلب العلم، وقد نافح أهلها عن مذاهب السّلف فصارت دار السّنّة والجماعة بالمغرب.

---

(١) انظر: مناقب أبي إسحاق الجبنياني ٦٠، ٦١، حسن البيان ١٨٩.

(٢) أبو عبدالله محمد بن علي المصري ثم التوزري الإفريقي المعروف بابن الشباط أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء، له تآليف مفيدة (٦١٦ - ٦٨١)، الشجرة ١٩١/١.

(٣) المؤنس لابن أبي دينار القيرواني ٢٠.

(٤) حسن البيان للشيخ محمد النيفر ١٨٩.

٢ ـ الوضع السّياسيّ وأثره في الحياة العلميّة

لم يكن الوضع السّياسي بإفريقيَّة يسير على وتيرة واحدة، فقد تعاقب على حكم القَيْرَوان دول وأشخاص تباينت نزعاتهم، هذا بالإضافة إلى الفتن الخارجيّة والانتفاضات المتعدّدة التي عرفها هذا الإقليم، وقد كان لكلّ ذلك أثره الكبير في الحياة العلميّة بالقيروان خاصّة، وبإفريقيّة عامّة، كما سيتّضح من خلال هذه الدّراسة الموجزة.

ويبدأ الوضع السّياسيّ بعصر الفتوحات، وقد تقدّم الكلام عليه، ويليه عصر الوُلاّة.

أ ـ عصر الولاّة[1] (٩٦ ـ ١٨٤ هـ):

يطلق عصر الولاة على تلك الحقبة الزّمنيّة الواقعة بين انتهاء زمن الفتح

(١) انظر: أعمال الأعلام ٨ ـ ١١، الحلة السيراء ٢/٣٣٥ ـ ٣٤١، ٣٥٨ ـ ٣٦٢، الخلاصة النقية ١٢ ـ ٢٣، نهاية الأرب ٢٤/٥٣ ـ ٩٩، تاريخ الطبري ٤/٢٥٤، تاريخ المغرب العربي ١/٣٦٧ ـ ٣٧١، خلاصة تاريخ تونس ٦٣ ـ ٧٥، تونس والقيروان(بالفرنسية)٩ ـ ١٦، الاستقصاء ١/١٠٠ ـ ١٣٦، الكامل ٤/٢٢٢ ـ ٢٢٤، ٢٧٨، ٥/٢٦، ٣١ ـ ٣٣، ٨٥، ٩٤ ـ ٩٦، ١٠٣ ـ ١٠٥، تاريخ الرقيق ٩٣ ـ ٢٠٥، النجوم الزاهرة ١/٢٤٥، ٢٩٤ ـ ٢٩٥، فتوح مصر وأخبارها ٢١٣ ـ ٢٢٥، العبر ٤/١٨٨ ـ ١٩٥، إتحاف أهل الزمان ١/٨٧ ـ ٩٢، المغرب الكبير ٢/٢٨٨ ـ ٣١٤، ٣٣١ ـ ٣٦٥، القيروان ٤٤ ـ ٥٤، الشجرة ٢/١٠٨ ـ ١١٢، تاريخ الإسلام ٥/٢٧ ـ ٣٦، بساط العقيق ٥٥ ـ٥٩، البيان المغرب ١/٤٧ ـ ٩٠، حسن البيان ١٧٩ ـ ١٩٤، ٢١١ ـ ٢٢٠، معالم تاريخ المغرب ٥٧ ـ ٧٧، المؤنس ٣٨.

وقيام الدّولة الأغلبيّة، وفي هذه الفترة كان حكّام القيروان يُعيَّنون من قبل الخليفة، ويمتدّ نفوذهم إلى المغرب والأندلس إلى أن استقلّ بالأندلس عبدالرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك سنة ١٣٧ هـ.

لقد امتازت بداية هذا العصر بوئام عجيب بين عرب الفتح وإخوانهم البربر المسلمين الذين أقبلوا في شغف على تعلّم الدّين الجديد، وانضمّوا إلى الجيش الإسلامي، وحدثت بينهم المصاهرات، وكثر بناء المساجد والكتاتيب في سائر بلاد إفريقيّة، وأخذ أهل مدنها يقلّدون العاصمة الإسلامية حتّى في طرازها المعماري، وانتشرت الثّقافة الإسلامية بين البربر، ولا غرابة في كلّ هذا فإنّ أوّل الولاّة وهو محمد بن يزيد القُرَشي (٩٦ - ٩٩) قد استقر في إفريقيّة بأحسن سيرة وأعدلها، وكان يقسم ما يصيبه من غنائم على المسلمين من البربر والعرب على السّواء[1] وبذلك نعم البربر بعدالة الإسلام، فكان لهذا التّصرّف أبعد الأثر في نفوسهم، وتدعّمت هذه السيرة الحسنة بقدوم إسماعيل بن أبي المهاجر (٩٩ - ١٠١) والياً من قبل الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، فكان على قدم من أرسله «خير والٍ وخير أمير، وما زال حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام فأسلم بقيّة البربر على يديه»[2]، وكان إذا عاد من الغزو افترش ذراعه فنام عليه، وكان زاهداً متواضعاً من كبار العُبّاد، فأقبل عليه البربر المسلمون يسمعون منه حديث رسول الله ﷺ، وقد كان في روايته من الثّقات، أخرج له الجماعة إلاّ التّرمذيّ[3]، ونظراً لاهتمام عمر بن عبدالعزيز بتدوين السّنّة وحرصه على نشرها فقد أرسل واليه ابن أبي المُهاجر ضمن عشرة من التّابعين، من ثقات رواة الحديث؛ لتفقيه أهل القَيْرَوان ونشر السّنّة في ربوع إفريقيَّة، وكانوا أهل علم وفضل اختطّ كلّ منهم داراً بالقَيْرَوان، وبنى مسجداً وكُتّاباً[4]؛ لتعليم البربر

---

(١) انظر: البيان المغرب ١/٤٧، المغرب الكبير ٢/٢٨٩، الاستقصاء ١/١٠٠.

(٢) تاريخ الرقيق ٩٧، وانظر: إتحاف أهل الزمان ١/٨٧، تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٧.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب ١/٣١٧، الكشاف ١/٧٦.

(٤) ورقات ١/٨٧.

وأبنائهم اللّغة العربيّة ومبادىء الإسلام، وقد وصف كل منهم بأنّه «انتفع به أهل إفريقيَّة وبثّ فيها علماً كثيراً»[1]، ولا شكّ أنّ المقصود بالعلم هنا علم الرّواية المتعلّق بالكتاب والسّنّة بصفة عامّة، سواء من ناحية أدائها إلى طلّابها بالإسماع والإقراء وغيرهما، أو من ناحية تبليغ أحكامها المتعلّقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات والإخلاق؛ إذ إنّ المذاهب الفقهيّة المحدّدة بالأئمة الأربعة وغيرهم لم تكن قد ظهرت بعد، وقد استقرّ هؤلاء التّابعون بالقَيْرَوان حتّى عُدّوا من أهلها، فقد اعتبرهم المالكيّ الطّبقة الأولى من علماء القَيْرَوان[2]، ومنهم من زادت إقامته بها على ثلاثين عاماً[3]، وهم في كلّ ذلك لا يفترون عن القيام بمهمّة نشر العلم بإفريقيَّة. إلا أنّ هذا التّوجّه لم يدم طولاً بسبب فساد سياسية الولاة التّالين، فما أن توفّي عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ هـ حتّى سارع يزيد بن عبدالملك بعزل إسماعيل بن أبي المُهاجر، وتولية يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج وصاحب شرطته[4]، وكان ظلوماً غشوماً أساء السّيرة في البربر، وأراد وَسْم حرسه في أيديهم، (وكان أكثرهم من مسلمي البربر)، كما تفعل ملوك النّصارى، ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذّمّة، متّبعاً سيرة الحجّاج في أهل العراق، فنقم عليه البربر، واتّفق حرسه على قتله، وقالوا: «جعلنا بمنزلة النّصارى»[5]، فلم يلبث أن قتلوه وتولّى بعده بِشر بن صَفْوان الكَلْبِيّ (١٠٣ - ١٠٩) ثم عُبيدة بن عبدالرحمٰن السُّلَمِيّ (١١٠ - ٢١٤) فكان همّهما الغزو، ولم يُؤثَر عنهما اهتمام بالعلم، إلاّ أنّ الثّاني ظلم البربر وتعسّف في معاملتهم فحنقوا عليه.

---

(١) الرياض ١/١٠٠، وانظر: المعالم ١/١٨٠.

(٢) الرياض ١/٩٩.

(٣) مثل بكر بن سوادة الجذامي توفي بها سنة ١٢٨ هـ. جذوة المقتبس ١٩٦.

(٤) لما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة سمع أن يزيد خرج في بعض جيوش المسلمين فأمر بردّه وقال: «إني لأكره أن أستنصر بجيش هو منهم» الاستقصاء ١/١٠٢.

(٥) البيان المغرب ١/٤٨، وانظر عن سوء سيرته: تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٧، النجوم الزاهرة ١/٢٤٥، الاستقصاء ١/١٠٢، ١٠٣، إتحاف أهل الزمان ١/٨٨.

ثمّ قدمها عُبيد الله بن الحَبْحَاب سنة ١١٦ هـ فأتمّ بناء جامع الزّيتونة، ودار الصّناعة بتونُس، وغزا صِقِلّيَة وجنوب الصّحراء إلاّ أنّه استجاب لمطامع رؤسائه بالمشرق فإنّهم كانوا يستحبّون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عمّال إفريقيّة. . . فيرسلون لهم البربريات السَّنيّات، فلمّا أفضى الأمر إلى ابن الحَبْحَاب منّاهم بالكثير وتكلّف لهم، أو كلّفوه أكثر ممّا كان، فاضطرّ إلى التّعسف وسوء السّيرة[1] فظلم البربر المسلمين وكلّفهم مالاً يطيقون، وتعدّى على أموالهم، وأساء عمّاله السّيرة، وخاصّة عمر بن عبدالله المُرَادِي عامل طَنْجَة فإنّه «تعدّى في الصّدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنّهم فيء للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنّما كان الولاّة يخمّسون من لم يجب إلى الإسلام، فكان فعله الذّميم هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة»[2].

واشتدّ استياء البربر المسلمين من هذه الأفعال القبيحة، ورأوا التّناقض الصّارخ بين تعاليم الإسلام وبين سلوك هؤلاء العُمّال، وأصبحت عندهم قابليّة للتّمرّد، في الوقت الذي فشت فيه النّزعة الخارجيّة في إفريقيّة والمغرب، ونادى أصحابها بشعارات خادعة، ظاهرها فيه بعض الحقّ وباطنها ينطوي على شرّ عظيم، كالمساواة بين المسلمين ووجوب الخروج على الحكّام الظّلمة وغيرها، فصادف ذلك هوى في نفوس البربر، وتحمّس كثير منهم لما نادى به دعاة الخوارج، إلا أنّهم لم يعلنوا التّمرد والعصيان إلاّ بعد أن يئسوا من إمكانيّة تبليغ صوتهم بالشّكوى إلى الخليفة، ذلك ما ذكره الطَّبَرِيّ حيث قال: «فمازالوا (بربر إفريقيَّة) من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبدالملك. . . فلما دبّ إليهم دعاة العراق واستثاروهم شقّوا عصاهم، وفرّقوا بينهم إلى اليوم»، وكان من سبب تفريقهم أنّهم ردّوا على أهل الأهواء فقالوا: «إنّا لا نخالف الأئمة، بما

(١) البيان المغرب ١/٥٢، وانظر: الخلافة والخوارج ٦٠.
(٢) البيان المغرب ١/٥٢، وانظر: فتوح مصر وأخبارها ٢١٧، تاريخ ابن خلدون ٤/١٨٩، الاستقصاء ١/١٠٦.

تجني العمّال، ولا نحمل ذلك عليهم»، فقالوا لهم: «إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك». فقالوا لهم: «لا نقبل ذلك حتّى نبورهم (أي نختبرهم)»، **فخرج مَيْسَرَة** (المطَغْرِيّ، زعيم الصُّفَرِيّة) في بضعة عشر إنساناً حتّى يقدم على هشام، **فطلبوا** الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأَبْرَش (وزير هشام بن عبدالملك) فقالوا: **«أبلغ** أمير المؤمنين أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا» وقال: **«تقدّموا** وأخّر جنده» فقلنا: «تقدّموا فإنّه ازدياد في الأجر ومثلكم كفى إخوانه... ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السّخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سُنَّة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟» قال: «نفعل» فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم... كان وجههم إلى إفريقيَّة فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقيَّة...»[1].

وهكذا اندلعت بإفريقيَّة، والمغرب ثورات لا نهاية لها، ابتدأت سنة ١٢٢ هـ، وهي أوّل ثورة في إفريقيَّة في الإسلام[2]، وتضافرت جهود الإِبَاضِيَّة والصُّفْرِيَّة للإطاحة بحكومة القيروان، وأصبح هَمّ الخليفة بالمشرق القضاء على هذه الثّورات فكان يرسل الجيش تلو الآخر، وقد ذكروا أنّ هذه الحروب منذ أن استعرت إلى أن تمّ القضاء عليها، في عهد يزيد بن حاتم سنة ١٥٦، بلغت ٣٧٥ موقعة[3] ذهب ضحيّتها آلاف القتلى، وقد شارك فيها العلماء مقاتلين وواعظين، فقد استنجد حَنْظَلَة بن صَفْوَان بمن تبقّى من بعثة عمر بن عبدالعزيز لمّا ثارت

---

(١) تاريخ الطبري ٢٥٤/٤، ٢٥٥، وانظر الاباضية بالجريد لصالح باجية نقلاً عن الكامل لابن الأثير ٤٥/٣.

(٢) البيان المغرب ٥٢/١، تاريخ الرقيق ١٠٩.

(٣) ابن خلدون ١١٣/٦.

عليه الخوارج[1]، وقد دامت هذه الحروب أكثر من ثلاثين سنة تمكّن الخوارج خلالها من الاستيلاء على القيروان مرّتين، حيث استولى عليها الصُّفْرِيَّة سنة ١٤٠ هـ لمدّة سنة وشهرين، وقد ربطوا دوابّهم في المسجد الجامع وقتلوا كلّ من كان فيها من قريش وعذّبوا أهلها. . .[2] ثم وليها بعدهم الإباضيّة لمدة سنتين[3].

وقد تسبّبت هذه الحروب في تعطيل الحركة العلميّة وانشغل النّاس عن الطّلب، حتّى قال الإمام سَحنون عن هذه الفترة: «كان من يعمل العلم يبقى في صدره لا يسألونه عنه فيموت به مثل عبدالرحمٰن بن زياد بن أَنْعُم (ت ١٦١) بقي العلم في صدره لا ينشر عنه ولا يعرف»[4]، ومع ذلك فقد وجد من اهتمّ بطلب العلم من أهل إفريقيَّة وبرع فيه منذ هذا الوقت المبكّر إلا أنّهم قلائل مثل: جَميل بن كُرَيْب المَعَافِرِيّ (ت ١٣٩)[5]، وزيد بن الطُّفَيْل الذي كان يرأس في هذا العهد حلقة عظيمة بجامع عُقبة[6]، وعبدالرحمٰن بن زياد (ت ١٦١)[7]، وعبدالله بن فَرُّوخ (١١٥ ـ ١٧٦) الذي رحل إلى المشرق قبل سنة ١٤٥ هـ[8] وبرع في الحديث والفقه ثمّ عاد إلى القيروان «فأقام بها يعلّم النّاس العلم، ويحدّثهم بسنّة رسول الله ﷺ حتى انتفع به كثير»[9].

---

(١) تاريخ الرقيق ١٢٠، الرياض ١/١٠٣، وقد استشهد أبو كريب قاضي القيروان وجماعة كثيرة من العلماء في قتال الصفرية سنة ١٣٩ هـ (المعالم ١/٢٢٩).

(٢)، (٣) البيان المغرب ١/٧٠ ـ ٧١.

(٤) أبو العرب ١٠٠.

(٥) انظر: الرياض ١/١٦٨، المعالم ١/٢٢٤.

(٦) انظر: الرياض ١/١٧٢، تاريخ قضاة القيروان خط ٣.

(٧) انظر: ترجمة رقم ١٦ في المحدثين.

(٨) لأنه روى في هذه الرحلة عن هشام بن عروة المتوفّى في هذه السنة أو التي تليها. انظر: التهذيب ١١/٤٨.

(٩) المعالم ١/٢٣٩، الرياض ١/١٧٧.

وفي أوّل عهد يزيد بن حاتم (١٥٥ ـ ١٧٠) «ركدت ريح الخوارج من البربر وتداعت بدعتهم إلى الاضمحلال»[١] فالتفت إلى النّاحية العمرانيّة، ورتّب أسواق القيروان، وأفرد لكلّ صناعة مكاناً، وجدّد بناء الجامع، وانتعشت الحياة العلميّة في عهده[٢]؛ لطول فترة حكمه، مع الهدوء والاستقرار وقلّة الحروب، وكذا الحال في عهد خلفه، إلاّ ما كان من ثورة بعض الجند وخاصّة في عهد محمد بن مُقَاتِل العَكِّيّ (١٨١ ـ ١٨٤) الذي كان سيّىء السّيرة حتّى إنّه ضرب عابد القَيْرَوان البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) وحبسه ظلماً[٣]، ولمّا اختلّت عليه الأمور عزله هارون الرّشيد سنة ١٨٤ هـ، وبذلك انتهى عصر الولاّة ليبدأ العهد الأغلبي كما سيأتي.

وفي الحقبة الأخيرة من هذا العصر نشطت الرّحلة إلى المشرق[٤] وعاد الطّلاب الأفارقة بعلم مالك (ت ١٧٩)، وغيره من كبار محدّثي المشرق كسفيان الثّوري (ت ١٦١) واللّيث بن سعد (ت ١٧٥)، ودخل موطّأ الإمام مالك، وبذلك ازدهرت الحياة العلميّة من جديد، وفشت في القيروان رواية الحديث، وكثر العلماء والفقهاء، فعن ابن غانم (ت ١٩٠) أنّه «انصرف يوماً من جامع القَيْرَوان بعد صلاة الجمعة، فسأل بعض أصحابه: حضرت اليوم الجامع؟ قال: نعم، قال: كيف رأيت؟ قال: رأيت، أصلحك الله، به سبعين قلنسوة تصلح للقضاء، وثلاثمائة قلنسوة فقيه، فترجّع ابن غانم وقال: مات النّاس»[٥]. كما امتازت هذه الفترة الأخيرة بعزة القضاة وقيامهم بالحقّ والعدل، حتّى إنّ منهم من انتصف للرّعيّة من الوالي نفسه[٦].

(١) الاستقصاء ١٣٣/١، العبر ١١٣/٦.
(٢) انظر: تاريخ المغرب العربي ٣٦٧/١، ورقات ١٦٢/١.
(٣) البيان المغرب ٨٩/١.
(٤) سيأتي تفصيل ذلك في فصل الرحلة.
(٥) المعالم ١٨/٣، وانظر: بساط العقيق ٥٧.
(٦) انظر: تاريخ قضاة القيْروان خط ٦، ٧.

ب ـ الدّولة الأغلبيّة[1] (١٨٤ ـ ٢٩٦):

نظراً لكثرة الفتن والانتفاضات في إفريقيَّة، كما تقدّم، لم تجد حكومة الخلافة بدّا من أن تعهد بحكم البلاد لعائلة من عرب إفريقيَّة، تكفيهم مؤونة تلك الفتن التي طالما شغلتهم، ويكون لها حرّيّة التّصرف داخل البلاد، مع التبعيّة لدولة الخلافة، فكان أن كلّف الرّشيد بهذه المهمّة إبراهيم بن الأغلب بن سالم التَّمِيمِيّ (١٨٤ ـ ١٩٦)، الذي كان يتمتّع بشجاعة نادرة، وثقافة عالية، بالإضافة إلى معرفته بشؤون إفريقيَّة، فإنّ أباه الإِغْلَب قد تولّى حكم القَيْرَوان (١٤٨ ـ ١٥٠)، كما كان هو عاملاً على الزَّاب[2].

لقد دامت الدّولة الأغلبيّة بإفريقيَّة ما يزيد عن قرن من الزّمان، يعتبر من أزهى عصور هذه البلاد في المجال العلميّ، وفي مجال الحضارة والعمران والأمن والاستقرار.

فقد تخلّصت هذه الدّولة من فتن الخوارج، حيث أسّس الصُّفْرِيَّة دولتهم بِسِجِلْمَاسَة[3] (١٤٠ ـ ٢٩٦)، وأسس الإِبَاضِيَّة دولتهم بتِيهَرْت الجديدة[4] (١٦١ ـ

---

(١) البيان المغرب ١/٩٠ ـ ١٣٨، إتحاف أهل الزمان ١/١٠٢ ـ ١١٩، خلاصة تاريخ تونس ٧٨ ـ ٩١، العبر ٤/١٩٦ ـ ٢٠٦، نهاية الأرب ٢٤/١٠٠ ـ ١٥٣، الشجرة ٢/١١٨ ـ ١٢٢، الكامل ٥/١٠٤ ـ ١٠٥، ١٤١، ١٨٤ ـ ١٨٦، ٢١٥، ٢٥٢.
الخلاصة النقية ٢٤ ـ ٣٥، الحلة السيراء ١/١٦٣ ـ ١٧٩، أعمال الأعلام ١٤ ـ ٤٥، تونس والقيروان (بالفرنسية) ٢٨/١٦، تاريخ المغرب العربي ٢/٢٧ ـ ١٨٣، تاريخ الرقيق ٢١٢ ـ ٢٣٣، الدولة الأغلبية للطالبي (كاملاً)، المجتمع التونسي على عهد الأغالبة ١٩ ـ ٢١، القيروان للجنحاني ٦٥ ـ ٨٠، مقدمة طبقات أبي العرب مح ٧ ـ ١٢، معالم تاريخ المغرب ٨٣ ـ ١٠٠، ذكرى المازري ٥٤، الحياة الاجتماعية ١٣٢ ـ ١٣٧، رسالة افتتاح العدوة ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) الزَّاب: إقليم بالمغرب الأوسط يشمل عدة مدن منها بِسِكْرَة وتَوْزَر وقُسَنْطِينَة وطَوْلَقَة وغيرها، انظر: معجم البلدان ٣/١٢٤.

(٣) انظر: البيان ١/٣١٧، الخوارج في بلاد المغرب ١١٢.

(٤) انظر: البيان المغرب ١/٣١٧، الخوارج في بلاد المغرب ١٤٤.

٢٩٧)، واهتمّت كلّ من الدّولتين بشؤونها الدّاخليّة، ومالتا إلى السّلامة غالباً، إذا استثنينا بعض المحاولات الفاشلة التي لم تشكّل خطراً على الأغالبة، إلا أنّ نوعاً آخر من الثّورات عرفه العهد الأغلبيّ، وقد تمثّل في الثّورات المتتالية التي قام بها قادة الجند، الذين رأوا لأنفسهم حقّاً في مشاطرة الأغالبة الحكم، وكان منبت هذه الثّورات في تونُس غالباً، وأحياناً في طَرَابُلُس، وأخطرها ثورة عمران بن مُجَالِد الرَّبَعِيّ سنة ١٩٤ هـ، وهو قائد إبراهيم بن الأغلب ووزيره، وقد تمكّن من الاستيلاء على القيروان لمدّة سنة كاملة قبل أن ينجح إبراهيم في إخماد ثورته، كما ثار على زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١ - ٢٢٣) كبير قادته منصور بن نصر الطُّنْبُذِيّ سنة ٢٠٩ هـ، وتمكّن من السّيطرة على معظم إفريقيَّة، واستولى قادة الجيش على المدن، ولم يتمكّن زيادة الله من إعادة الأمور إلى نصابها إلّا بعد أربعة أعوام (سنة ٢١٣ هـ).

وأمّا الثّورات الأخرى فلم تكن ذات بال، وبذلك تمكّن أمراء الأغالبة من تمهيد البلاد، واهتمّوا بالغزو الخارجي ففتحوا صِقِلّيّة (٢١٢ هـ)، ومَالِطَة، وسَرْدَانِيَة وسَرَقُوسَة (٢٦٤ هـ) حتّى وصلوا إلى رُوما[1]، كما اعتنوا بالنّاحية العمرانيّة، فأسّسوا عدّة مدن كالعبّاسيّة (١٨٥ هـ)، ورَقَّادَة (٢٦٣ هـ)، وبنوا المحارس والحصون وقصور الرّباط ومواجل المياه.

وقد وُصف عامّة أمراء الأغالبة الأحد عشر بحسن السّيرة، والإحسان إلى الرّعيّة[2]، إلّا ما كان من عبدالله بن إبراهيم (١٩٦ - ٢٠١) الذي فرض العشر مالاً عوض أن يكون حَبّاً، فسخط عليه النّاس، ورفضه الفقهاء، ودعوا عليه فمات بسبب دعوتهم[3]، ويمثّل عصر الاستبداد في العهد الأغلبي: إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١ - ٢٨٩)، فقد فسد فكره بعد مدّة من حكمه، وأتى

---

(١) ورقات ٢/١١٤.

(٢) انظر مثلاً: العبر ٤/٢٠١، إتحاف أهل الزمان ١/١٠٤، ١٠٧، الكامل ٥/٢٥٣، ٢٦٣.

(٣) انظر: العبر ٤/١٩٧، البيان المغرب ١/٩٦.

بمنكرات لا يفعلها عاقل، منها أنّه قتل ابنه وبناته الستّ عشرة، وثلاثمائة من خدمه، كما قتل كُتَّابه وحُجَّابه وثمانية من إخوته، وله طرق بشعة في القتل كالخنق، والطّرح في النّار، أو البناء على المعاقَب حتّى يهلك جوعاً وعطشاً، وكان يمارس القتل شهوة وبطراً، ويعتبر عهده بداية النّهاية للدّولة الأغلبيّة خاصّة بعد ما أوقع ظلماً بسبعمائة من رجال قلعة بَلْزَمَة، وكانوا أولي بأس شديد في الدّفاع عن الدّولة، وبقتلهم انفتح الطّريق أمام داعي الشّيعة الإسماعيليّة لدخول القيروان[1].

وثارت أطراف البلاد على ظلم إبراهيم[2]، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه دعوة الشّيعة الإسماعيليّة بين قبائل البربر، فأعلن إبراهيم التّوبة، وتخلّى عن الملك لابنه أبي العبّاس عبدالله (٢٨٩ ـ ٢٩٠) الذي لم يحكم إلّا سنة واحدة؛ إذ قتله بعض خدمه، فتولّى بعده ابنه زيادة الله الثّالث (٢٩٠ ـ ٢٩٦) خاتمة أمراء الأغالبة، وقد استهلّ عهده بقتل جميع أعمامه، حتّى عمّه الزّاهد السّاكن بقصر سُوسَة، كما استدعى أخاه أبا عبدالله الأَحْوَل الذي كان يقاتل أبا عبدالله الشّيعي في الزّاب، وقتله ساعة وصوله، فكان ذلك أعظم فتح عند الشّيعيّ الذي بدأ يتقدّم نحو عاصمة الأغالبة.

ولمّا رأى زيادة الله الخطر محدقاً به لم يجد بداً من التّودد إلى العامّة والاستنصار بالعلماء، فعزل قاضيه المعتزلي الذي اضطهد أهل السّنّة وأبدله بحِمَاس بن مَرْوان الفقيه المالكي (٢٩١ ـ ٢٩٣)، وكتب إلى النّاس «إنّي عزلت عنكم الجافي الجلف المبتدع المتعسّف. ووليت القضاء حِمَاس بن مَرْوان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسّنّة». كما أرسل إلى العلماء وقال لهم: «إنّ هذا الصّنعاني الخارج علينا مع كُتَامة يلعن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعم أنّ أصحاب النّبيّ ﷺ ارتدّوا بعده، ويسمّي أصحابه المؤمنين ومن يخالفه في

---

(١) انظر: أعمال الأعلام ٢٧، العبر ٤/٢٠٤، تاريخ المغرب العربي ٢/١١٣.

(٢) إتحاف أهل الزمان ١/١١٥.

مذهبه الكافرين، ويبيح دم من خالف رأيه». فأظهر الفقهاء لعنه والبراءة منه وحَرَّضوا النّاس على قتاله[1]؛ لعلمهم بما ينطوي عليه مذهبه من التّعطيل والإباحيّة والعداوة للإسلام.

وقد بذل زيادة الله أموالاً طائلة لتجهيز الجيوش التي أرسلها لمحاربة أبي عبدالله ثم عكف على شهواته، وفي حين كان الشيعي يحتل البلاد مدينة بعد مدينة، كان زيادة الله «قد أقبل على اللّذّات واللّهو ومعاشرة المضحكين وأهمل أمور الملك»[2] ولم ينتبه من غفلته إلا على نبأ سقوط مدينة الأُرْبُس، وهي آخر معقل يحميه من الشّيعة، فجمع ما خفّ من أمواله، وهرب ليلاً إلى مصر في خاصّته، وترك أهل إفريقيَّة نهباً للطّمع الباطنيّ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ، وخراب الملك نتيجة طبيعيّة للظّلم وسفك دماء الأبرياء، فإنّ الظّلم من أهمّ العوامل المعجّلة بزوال السّلطان، والمؤدية إلى أوخم العواقب في الدّنيا والآخرة.

أمّا عن الحياة العلميّة فإنّها شهدت في عهد الأغالبة ازدهاراً كبيراً، لطول عمر هذه الدّولة، وما شهدته من الاستقرار، بالإضافة إلى أنّ مؤسّسها قد طلب العلم في أولّ حياته وسمع من اللّيث بن سعد وغيره[3]، وكان حافظاً للقرآن يلي الصّلاة في الجامع الأعظم بنفسه[4]. فكان يعرف حقّ العلم وأهله، أمّا خلَفه فلم يكن لهم مثل ثقافته واهتمامه، إلاّ أنّهم كانوا يفزعون إلى العلماء عند الحاجة، ويعقدون في دواوينهم مجالس المناظرة والمذاكرة[5]، كما كانوا يقومون بزيارة دور العُبَّاد والعلماء والكتاتيب في المناسبات المختلفة[6]، وكان الأمراء الأغالبة يميلون

---

(١) البيان المغرب ١/١٣٦، ١٣٧.

(٢) العبر ٤/٢٠٥، وانظر: البيان المغرب ١/١٤٣، الكامل ٦/١٢٣.

(٣) سير أعلام ٩/١٢٩، وانظر: شهيرات ٣٨، ورقات ١/٨٣.

(٤) إتحاف أهل الزمان ١/١٠٤.

(٥) انظر: الرياض ١/٢٧٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤٨٩، ط أبي العرب ٨٨، ط الخشني ٢٣٧.

(٦) انظر: الرياض ١/٤١١.

إلى مذهب الحنفية، لما فيه من الرّخص والتّسهيل لهم، بالإضافة إلى أنّه كان المذهب الرّسميّ للدّولة العبّاسيّة، وكان هذا ممّا أحدث نفرة شديدة بين علماء المالكيّة وبين الأمراء.

ولمّا حدثت في بغداد محنة القول بخلق القرآن دعا إليها بعض أمراء القَيْرَوان، وكتبوا السّجلاّت بذلك وقرئت على المنابر[1]، وامتُحن بسببها كبار علماء القَيْرَوان مثل: موسى بن معاوية الصُّمَادِحِيّ، وأحمد بن يزيد وهما من جلّة محدّثي القَيْرَوان[2]، كما امتحن بسببها الإمام سَحنون فاختفى «ثم جيء به إلى ابن الأغلب فجمع له القوّاد والوزراء والقاضي ابن أبي الجَواد (وهو حنفيّ أظهر الاعتزال ت ٢٣٤) وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال سَحنون: أصلح الله الأمير، أمّا شيء أبدأ به من نفسي فلا، ولكن الذي سمعت ممّن تعلّمت منه وأخذت ديني عنه، فهم كانوا يقولون: إنّ القرآن كلام الله وليس بمخلوق. فقال ابن أبي الجَواد: إنّه قد كفر فاقتله ودمه في عنقي، وقال مثل ذلك نصر بن حمزة القائد وغيره، فقال لداود بن حمزة: ما تقول يا داود فقال: أصلح الله الأمير، قتله بالسّيف راحة له، ولكن اقتله قتل الحياة: يُؤخذ عليه الحُمَلاء (أي الكُفَلاء) وينادَى عليه بسماط القيروان أن لا يفتي ولا يسمع أحداً ويلزم داره، ففعل ذلك أبو جعفر وترك قول من أشار عليه بقتله»[3]، وهكذا كانت محنة القول بخلق القرآن سبباً في اختفاء كثير من علماء القيروان، ومنعهم من التّدريس والإفتاء.

وكان أكثر أمراء الأغالبة يميلون إلى تعيين القضاة الحنفيّة، وهؤلاء غالباً ما ينكّلون بالعلماء المدنيّين، مثل محمد بن عبدون الذي «امتحن على يديه جماعة من الفقهاء المالكيّة وأهل السّنّة، وضربهم ونكّل ببعضهم وأطلقهم، وأغرى الأمير

---

(١) المحن ٤٥٤، الحلل ٧٩٢/٣/١، المدارك ٢٢٢/٣.
(٢) ستأتي ترجمتاهما في المحدثين رقم ٣٨ ورقم ٣.
(٣) المحن ٤٥٦.

بعضهم فقتل منهم..»[1] وقد قال الأمير إبراهيم بن أحمد بعد أن عزله: «لو ساعدته لجعلت له مقبرة على حدة»[2].

وفي المقابل كان علماء المالكيّة يرفضون كلّ عرض وظيفيّ من الأمراء متأسّين في ذلك بما فعله الإمام مالك من البعد عن السّلطان؛ توقيراً للعلم ورفعاً لشأنه، ومن قبل منهم القضاء إنّما قبله بعد أن أدير عليه مدّة طويلة، وبعد أن اشترط شروطاً استوثق معها قيامه بالعدل كما فعل الإمام سَحنون وعيسى بن مسكين وغيرهما[3].

فلم يكن الازدهار العلمي في تلك الفترة إذن ناتجاً عن تشجيع من الأمراء الأغالبة، إنّما كان سببه حرص العلماء ومقدرتهم على الاستفادة من الظّروف المتاحة لهم لنشر العلم، ونحن إذا استثنينا مسألة القول بخلق القرآن، نجد أنّ حكومة القيروان لم تكن تتدخّل في الحياة العلميّة بدليل أنّ حلقات الإباضيّة والصُّفريّة والمعتزلة كانت تعقد في جامع عُقبة لمدّة نصف قرن في العهد الأغلبي، ولم يمنعها أحد حتى جاء الإمام سَحنون فشرّدهم[4].

وفي عهد الأغالبة استقرّ المذهبان: المالكيّ والحنفيّ، ونشطت الحياة المسجديّة، وكثر العلماء وتكثّفت الرّحلة إلى المشرق، وبدأت المصنّفات الحديثيّة تدخل القَيْرَوان، كما سيأتي تفصيله، مثل جامع سفيان الثّوري[5]، وأقبل أهل القيروان على التّصنيف، فصنّف يحيى بن سلاّم (ت ٢٠٠) تفسيره وجامعه في الحديث، ورتّب الإمام سَحنون المدوّنة وذيّل مسائلها بالأحاديث، وصنّف

---

(١) المدارك ٢٣٣/٣.
(٢) ط الخشني ١٨٧.
(٣) انظر مثلاً: المعالم ٨٤/٢، المدارك ٢١٤/٣، وراجع تاريخ قضاء القيروان للجودي خط ٢٢.
(٤) انظر: المؤنس ٥٠، ورقات ٧٣/١.
(٥) ط أبي العرب ٥٢، وانظر: فصل الرحلة في هذه الرسالة ص ١٤٣.

محمد بن سَحنون شرحاً على الموطّأ ومسنداً في الحديث، وغير ذلك[1]. كما امتلأت الحصون والمحارس بالعلماء والعُبَّاد المرابطين، فقد بنى الأغالبة أكثر من ثلاثين ألف معقل[2]. وبهذا تكاملت جوانب الحياة العلميّة بالقيروان وأصبحت قادرة على مواجهة الخطر الباطنيّ الذي حلّ بساحتها بعد ذلك، كما سيأتي.

جـ ـ الشّيعة الإسْمَاعِيليَّة بالقَيْرَوَان[3] (٢٩٦ ـ ٣٦٢):

ينتمي العُبَيْدِيُّون[4] إلى الطَّائفة الإسماعيليَّة من الرَّافضة، وهم القائلون بإمامة إسماعيل بعد أبيه جعفر الصّادق، رغم اتّفاق أهل التّاريخ على وفاة

(١) سيأتي التوسع في ذلك عند الحديث عن المصنفات.

(٢) انظر: سير أعلام ٤٨٨/١٣.

(٣) انظر: البيان المغرب ١٢٤/١ ـ ٢١٠، ٢١٥ ـ ٢٢٨، حسن البيان ٢٢٩ ـ ٢٣٣، المغرب الكبير ٥٩٣/٢ ـ ٦٣٧، الخطط ٨/٢ ـ ٢٨، ٣٠٣ ـ ٣٠٥، تاريخ عجائب الآثار ٢٦/١، الكامل في التاريخ ١٢٧/٦ ـ ١٣٥، ١٥١/٦، ١٦٠، ١٩٠، ٢٣٨، ٣٠٥، ٣١١، المؤنس ٥٤ ـ ٦٥، الشجرة ١٢٢/٢ ـ ١٢٣، معالم تاريخ المغرب ١١٩ ـ ١٣٦، القيروان ٨٣ ـ ٩٧، تاريخ المغرب العربي ٥٣٥/٢ ـ ٥٧٧، أعلام ابن عاشور ٣٩ ـ ٤٤، الاستقصاء ٦٠/١، الرياض ٤١/٢ ـ ٤٥، ٥٩/٢ ـ ٨٧، ٢٩٢، ٢٩٧ ـ ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٣٩، الفرق الإسلامية ٢٠٠، ٢٠١، إتحاف أهل الزمان ١١٧/١ ـ ١٣٩، الوضع الاجتماعي لابن حمدة ١٤٠ ـ ١٥٥، الصراع المذهبي ١٦٧ ـ ١٩٣، ٢٠٣ ـ ٢١١، أعمال الأعلام ٤٦ ـ ٦٥، الحلة السيراء ١٩٠/١ ـ ١٩٦، ٣٨٧/٢ ـ ٣٩٣، الخلاصة النقية ٣٥ ـ ٤٢، النجوم الزاهرة ١٦٨/٣ ـ ١٧٧، الإباضية بالجريد ١٢٠، ١٢٣ ـ ١٢٥، المدارك ٣١٨ ـ ٣٢١، ط الخشني ٢١٥، ٢٢٥ ـ ٢٢٦، رسالة افتتاح الدعوة ٦٢ ـ ٢٧٤، الفكر السامي ١٤٨/٢، رحلة التجاني ٢٦٦، العبر ٢٨/٤ ـ ٤٩، البداية والنهاية ١٧٩/١١، ٣٤٥، مقدمة ابن خلدون ٢١ ـ ٢٣، موقف متصوفة إفريقية (كاملاً)، المازري ٧ ـ ١٥، اتعاظ الحنفاء ٥٥ ـ ١٠١، المغرب العربي ١٦٦ ـ ١٧٤، مرحلة التشيع في المغرب العربي ١٧ ـ ٥٨.

(٤) نسبة إلى عبيد الله الذي لقب نفسه بالمهدي، أول ملوك الرافضة بإفريقية.

إسماعيل في حياة أبيه، ويعتبرون أنّ عُبْيد الله صاحب إفريقيَّة رابع أئمّتهم المستورين[1].

ويُلقَّبون بالبَاطِنيَّة[2] والرَّافضة، ويسمّون الملاحدة؛ لما في مقالاتهم من الإلحاد، كما سُمّوا بالمشارقة لقدومهم من المشرق[3].

وينتسب عُبَيْد الله، أوّل ملوك هذه الطّائفة، إلى آل البيت زوراً وبهتاناً، فالصّحيح أنّه دَعِيّ في نسبه، وأنّه من ولد عبدالله بن ميمون القدّاح[4] وقد كانت هذه الحقيقة شائعة في أوّل أمرهم بإفريقيَّة ومصر والحرمين[5] بما لا يدع مجالاً للشّكّ واللّبس.

أمّا عن دعوتهم في المغرب فإنّه لمّا وقعت مطاردة الرّوافض في المشرق أخذوا يبثّون دعاتهم في الأمصار البعيدة عن يد الخلافة، فكلّفوا بأمر المغرب أحد دهاتهم المسمّى أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريّاء الصَّنْعَانِيّ، وقد تعلّم طرق الدّعوة في اليمن ثم اتّصل بحجيج كُتَامَة[6]، فخدعهم بالحديث

---

(١) انظر: العبر ٤/٣٠.

(٢) الفرق بين الفرق ٦٣.

(٣) رسالة افتتاح الدعوة ٩٣.

(٤) أحد كبار مؤسسي الفكر الباطني، انظر: الفرق بين الفرق ٢٢.

(٥) انظر: الكامل في التاريخ ٧/٢٦٣، البيان المغرب ١/٢٨٢، وراجع عن بيان كذبهم في الانتساب إلى آل البيت: المنار المنيف ١٥٣، سير أعلام ٥/١٨٤، تعزية أهل القيروان نقل عنه ابن عذارى ١/٢٨٢، الإعلان بالتوبيخ ٨، البداية والنهاية ١١/١٧٩، النجوم الزاهرة ٤/٧٥، وصنف أبو بكر الباقلاني كتاباً سماه «كشف الأسرار وهتك الأستار» فضح فيه ادعاءهم، كما ألف في ذلك بعض الشيعة المعاصرين لهم، انظر: اتعاظ الحنفاء ٢٢.

وممن دافع عن صحة نسبهم: ابن خلدون في المقدمة ٢١، والتاريخ ١/٧، ٤/٣١، والمقريزي في اتعاظ الحنفاء ٢٢، ولم يستدلا بما يفضي إلى الركون إلى رأيهما.

(٦) كتامة: من أكبر قبائل البربر في المغرب، وعليهم قامت دعوة الرافضة فيه، انظر: الشجرة ٢/١٠٥، البيان المغرب ١/١٢٤.

عن حبّ آل البيت حتّى ألحّوا عليه في مصاحبتهم إلى بلادهم، فأظهر التّمنّع أوّلاً ثم وافقهم بعد أن علم من أوضاع بلادهم ما شجّعه. وفي كُتَامَة أظهر دعوته والتفّ النّاس حوله، ووقعت بسببه فتن كاد يهلك فيها، ثمّ قوي أمره وقصدته قبائل البربر من كل فج، فبدأ يحتلّ بلاد المغرب بلداً بلداً، وفي أثناء ذلك دخل عُبَيد الله المغرب متخفّياً وعيون الخلافة تلاحقه حتى سُجن في سِجِلْمَاسَة، وبعد حروب دامت أكثر من خمس سنوات تمكّن أبو عبدالله من طرد الأغالبة، ودخل القيروان سنة ٢٩٦ هـ، ثم أخرج عُبَيد الله من سجنه بِسِجِلْمَاسَة، ودخلا معاً عاصمة إفريقيّة سنة ٢٩٧ هـ، وبذلك بدأ عهد الاضطهاد الذي عاشه أهل السّنّة تحت الاحتلال العُبَيْدي، وقد استمر حكم الإسماعِليّةِ بإفريقيّة والمغرب ستّاً وثمانين سنة كرّسوا فيها كلّ جهودهم لإماتة السّنّة ونشر البدع، ومنع العلم، مستعملين في سبيل ذلك أخسّ الوسائل، فتعرّض النّاس في عهدهم لظلم عظيم، وضيق شديد، وكان علماء السّنّة من قُرّاء ومحدّثين وفقهاء لهم بالمرصاد، جاء في المعالم[1]: «جزى الله مشيخة القيروان خيراً، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرّون ولو فروا لكفرت العامّة دفعة واحدة».

ورغم سيطرتهم العسكريّة على جميع أنحاء المغرب وصِقِلّيّة وحوض البحر الأبيض المتوسّط فإنّ العُبَيديّين لم يحسّوا بالأمن والاستقرار، ولم تكن الثّورات الكثيرة التي شهدها عهدهم[2] هي السّبب الأكبر في قلقهم، وإنّما مثار قلقهم هم هؤلاء العزّل إلّا من إيمانهم، الذين يعبّر صمتهم عن ألف ثورة وثورة، ومن هنا راح الرّوافض يقومون بأعمال منكرة لنشر أباطيلهم وحمل النّاس على اعتناق مذهبهم، إلا أنّها لم تزد أهل السّنّة منهم إلا نفوراً.

(١) المعالم ٢/٢٩٢.

(٢) من أخطر هذه الثورات ثورة داعيته أبي عبدالله الذي شكك في إمامة عبيد الله، فقتله سنة ٢٩٨ هـ. النجوم الزاهرة ١/١٥٤، وثورة أبي يزيد الخارجي الذي استولى على كامل بلاد إفريقية حتى لم يبق للعبيديين إلا المهدية. انظر: العبر ٤/٤٠ - ٤٤.

ويمكن أن نلخّص في النّقاط التّالية جرائمهم في حقّ الإسلام عامّة، وفي حقّ العلم وأهله بصفة خاصّة:

١ ــ لقد ادّعى عُبَيد الله الرّسالة، فإنّه لمّا وصل إلى رَقّادة طلب فقيهين من فقهاء القيروان، فدخلا عليه ـ وهو جالس على كرسي ملكه ـ، فقال لهما بعض دعاته: «اشهدا أنّ هذا رسول الله، فقالا بلفظ واحد: لو جاء هذا والشّمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنّه رسول الله ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما»[(١)]، بل لقد غلا فيه أصحابه حتّى ألّهوه، فقد كانت أَيمانهم: «وحقّ عالم الغيب والشّهادة، مولانا الذي بَرقّادَة»[(٢)]، وكان بعضهم يقول: «لست ممّن يعبد مالا يُرى». وكان يتصدّى لعُبيد الله ويقول له: «اِرق إلى السّماء لِمَ تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق»[(٣)]. كما أنّ أميرهم الرّابع مَعَدّ بن إسماعيل ادّعى النّبوّة وجعل من نادى فوق صومعة القيروان: «أشهد أنّ مَعَدّاً بن إسماعيل رسول الله» فارتجّ البلد لذلك[(٤)]. وقد أُسند لقب الرّسالة إلى كبار دعاتهم أيضاً.

٢ ــ لقد مُدح حكّامهم بأنواع من الكفر وأقرّوها، منها قول أحد شعرائهم في عُبَيد الله:

حلّ برَقّادَة المسيح ... حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها الله ذو المعالي ... فكلّ شيء سواه ريح

وقول الآخر في المُعِزّ:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهّار[(٥)]

---

(١) سير أعلام ١٤/٢١٦، الرياض ٢/٤٩.

(٢)، (٣) البيان المغرب ١/١٦٠، ١٨٦.

(٤) البيان المغرب ١/٢٨٢، ٢٨٥، ولقد عجبت من وصف الشيخ الفاضل ابن عاشور له بأنه عاقل بني عبيد. أعلام ابن عاشور ٤٤.

(٥) انظر: الكامل ٧/٤٦.

كما شبّه شعرواؤهم المَهْدِيَّة بمكّة المكرّمة وقصر المَهْدِيّ بالكعبة:

هي المَهْـدِيَّـة الحـرم المُـوَقّى كمـا بتِهَـامَـة البلد الحـرام
وإن لثم الحجيج الرّكن أضحى لنـا بعـراص قصـركم التثام[1]

٣ ــ أظهروا سبّ الصّحابـة، رضوان الله عليهم، وطعنـوا فيهم، وزعموا أنّهم ارتدّوا بعد النّبيّ ﷺ وخصّصوا دعاة للنّداء بذلـك في الأسواق، وعلّقـوا رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والـدّواب، وكتبوا عليهـا أسماء الصّحابة[2] وكان هذا العمل الخسيس من الحرب النّفسيّة التي اشتدّ أثرها على أهل القَيْرَوان، فمن ذكـر الصّحابـة بخير أو فضّل بعضهم على عليّ، قُتـل أو سُجن[3] فلم يكن أحد يذكرهم بالثّناء إلاّ في دور العلماء[4].

٤ ــ زادوا في الأذان: «حيّ على خير العمل»، وأسقطوا من أذان الفجر: «الصّلاة خير من النّوم»، ومنعوا النّاس من قيام رمضان، وليس شيء أشدّ على بني عُبَيد من هذه الصّلاة، ومنعوا صلاة الضّحى، وقدّموا صلاة الظّهر قبل الزّوال وأمروا بصلاة العصر في وقت الظّهر لفتنة النّاس[5]. أمّا خطبة الجمعة فقد أظهروا فيها سبّ الصّحابـة وضروبـاً من الكفر، فتـركها النّـاس وأقفرت المسـاجد في زمانهم. وكان بعض أئمّتهم يصلّون إلى رَقّادة فلمّا انتقل عُبَيد الله إلى المَهْدِيّة صلّوا إليها[6] وكثيراً ما يجبرون النّاس على الفطر قبل رؤية هلال شوّال[7].

---

(١) البيان المغرب ١/١٨٤.
(٢) المدارك ٣/٣١٨، الرياض ٢/٣٣٨، ٤٢٤.
(٣) المعالم ٣/٣٥، المحن ٢٧٩. (٤) المدارك ٣/٣٧٨.
(٥) مناقب أبي إسحاق ٦٥.
(٦) انظر: رحلة التجاني ٢٦٦، المدارك ٣/٣٣٨، المعالم ٣/٥، البيان المغرب ١/١٨٦، المحن ٢٨٧، الرياض ٢/٤٢.
(٧) انظر: المعالم ٣/٤٩.

٥ ـ دعوتهم إلى الإباحيَّة، وتعطيل الشّرائع، وإسقاط الفرائض عمّن تبع دعوتهم حيث يقع إدخالهم إلى داموس ويدخل عليهم عُبَيد الله لابساً فرواً مقلوباً، دابّاً على يديه ورجليه، فيقول لهم: «بَخْ»، ثم يُخرجهم ويفسّر لهم هذا العمل بقوله: «فأمّا دخولي على يديّ ورجليّ فإنّما أردت بذلك أن أعلمكم أنّكم مثل البهائم لا شيء عليكم؛ لا وضوء ولا صلاة ولا زكاة ولا شيئاً من الفروض، سقط جميع ذلك عنكم، وأمّا لباسي الفرو مقلوباً فإنّما أردت أن أعلمكم أنّكم قلبتم الدّين الذين كنتم عليه ودخلتم في هذا الدّين، وأمّا قولي لكم: بَخْ، فإنّما أردت أن أعلمكم أنّ الأشياء كلّها مباحة لكم من الزّنا وشرب الخمر...»[1].

وكانوا يرسلون دعاتهم بذلك إلى الأطراف لإظهاره، فإن وجدوا النّاس مغضين عَنه أشاعوه، حتّى كان الرّجل يأتي حليلة جاره وهو ينظر، فإن قبل ذلك عُدّ عندهم من الصّابرين[2].

٦ ـ إجبار النّاس على الدّخول في دعوتهم فمن أجاب تركوه وربما ولّوه بعض المناصب، ومن رفض قُتل، كما فعلوا عقب أوّل جمعة خطبها عُبيد الله بالقَيْرَوان، ثمّ لمّا أكثر دعاتهم على أهل القيروان وقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة فأمر الشّيعي بالكفّ عن العوامّ[3]، وطلب العلماء لتشريقهم[4]، وافتعل مناظرات صوريّة، فدارت على علماء السّنّة محن عظيمة، وقتل منهم عدّة آلاف بسبب تمسّكهم بإسلامهم ومنافحتهم عن السّنّة. قال القابِسي: «إنّ الذين ماتوا في دار البحر (سجن العُبيديين) بالمَهْدِيَّة من حين دخل عُبَيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح»[5] هذا عدا من كانوا

(١) الرياض ٢/٥٠٤.
(٢) انظر: البيان المغرب ١/١٨٥. (٣) انظر: الكامل ٦/١٣٣، ١٣٥.
(٤) المعالم ٣/٩١، المدارك ٣/٥٢١، ط الخشني ٢٢٥، المازري ١١.
(٥) المعالم ٣/٣٤، وانظر: الرياض ٢/٣٢٦.

يقتلون دون سجن ويُمثَّل بهم في شوارع القيروان، فأثّر ذلك على سير الحياة العلميّة، وقد خمل ذكر كثير من العلماء الذين آثروا اعتزال الفتنة، مثل أبي محمد الوَرْدَانِيّ[1]، ومع ذلك فإنّ هذه الشّدّة لم تزد أهل القيروان إلّا تمسّكاً بسُنّيتهم.

٧ ــ منعوا العلماء من التّدريس في المساجد، ونشر العلم، والاجتماع بالطّلبة، وحبسوهم في بيوتهم: «فكان من يأخذ عنهم ويتذاكر معهم إنما يكون سِرّاً، وعلى حال خوف وريبة»[2]؛ فكان الموطّأ وغيره من كتب السّنّة لا تقرأ إلّا في البيوت[3]، وكانت السّنّة تُعرض بالقيروان سرّاً[4]، وكان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو محمد بن التّبّان، وغيرهما، يأتيان إلى أبي بكر بن اللّبّاد، شيخ السّنّة بالقيروان، في خفية، ويجعلان الكتب في أوساطهما حتّى تبتلّ بالعرق خوفاً من بين عُبَيد[5]، وكان بعض العلماء يخرج إلى المقبرة فيستتر فيها ويقرأ على الطّلبة؛ «للخوف من بني عُبَيد؛ لأنّهم منعوا من بثّ العلم، وسجنوا العلماء في دورهم»[6].

وبذلك خلت المساجد من حلق الذّكر ومجالس العلم، وأصبحت هذه المهمّة تقع في دور العلماء، وبعض قصور الرّباط خفية. وفي مقابل ذلك فسح العُبَيديّون لدعاتهم المجال لنشر ضلالاتهم، ومكّنوهم من كلّ الوسائل في سبيل القضاء على الإسلام والسُّنّة.

٨ ــ حرّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضّرب والسّجن أو القتل أحياناً، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب

(١) انظر: المدارك ٤/٤١٦.
(٢) المدارك ٥/١٢١، الفكر السامي ٢/١٤٨.
(٣) انظر: ط الخشني ١٩٥.
(٤) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٥٣، ٢٠١.
(٥) انظر المعالم ٣/٢٥.
(٦) المعالم ٣/ ٣٩.

النّفسيّ، حيث يُدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادى عليه: «هذا جزاء من يذهب مذهب مالك»[1]، ولم يُبيحوا الفتوى إلاّ لمن تشرّق وكفر[2].

٩ ـ مصادرة مصنّفات أهل السُّنَّة وإتلافها، ومنع النّاس من تداولها، من ذلك أنّ أبا محمد عبدالله بن أبي هـاشم التُّجِيبِيّ (ت ٣٤٦) توفّي وتـرك سبعة قناطير كتب، كلّها بخطّ يده، فرفعت إلى سلطان بني عُبيد فأخذها، «ومنع النّاس منها كيداً للإسلام وبغضاً فيه»[3].

وقد وجدوا الموطَّأ عند رجل فضربوه وطافوا به[4]، ورفعت إلى السّلطان أشياء على سعدون الخَوْلَانِيّ (ت ٣٢٤) المتعبّد بقصر الطّوب فأرسل إليه بعض حرسه فقيَّدوه وجمعوا ما في بيته من الكتب وأخذوه إلى عُبَيد الله[5].

١٠ ـ منع التّجمّعات خوفاً من الثّورة، فقد رفع على بعض العلماء العُبَّاد أنّه يجتمع إليه العامّة، ويدور بهم على قصور الرّباط، فمنعوهم خشية الخروج عنهم، وكانوا يفرّقون النّاس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء[6]، كما أنّهم منعوا الجولان باللّيل، ولهم بوق يضربونه أوّل اللّيل فمن وجد بعده ضرب عنقه[7].

١١ ـ حرص العُبَيديُّون على محو آثار من سبقهم، ولذلك أمر عُبَيد الله بإزالة أسماء الحكّام الذين بنوا الحصون والمساجد، وأن يكتب اسمه بدلها، كما

---

(١) إنباه الرواة ٢/٥٤، وانظر: الرياض ٢/٤١، ٢٦٥، البيان المغرب ١/١٥٩.

(٢) الرياض ٢/٥٦.

(٣) الرياض ٢/٤٢٣، وانظر: المدارك ٣/٣٤١.

(٤) انظر: الفكر السامي ٢/٧١.

(٥) انظر: الرياض ٢/٢٥٩.

(٦) انظر: المدارك ٣/٣٨٩، الرياض ٢/٢٥٨.

(٧) انظر: المدارك ٣/٣٨٤.

استولى على أموال الأحباس وسلاح الحصون، وطرد العُبَّاد والمرابطين بقصر زياد وجعله مخزناً للسّلاح[1].

وهكذا يتبيّن بكلّ وضوح حرص العبيديّين على مصادرة الفكر السّنّي، وتعطيل شرائع الإسلام، وإماتة العلم الصّحيح واضطهاد أهله، وإني لأستغرب من وصف حسن حسني عبدالوهّاب ومن تابعه لعصرهم بأنّه أزهى العصور الفكريّة وأنّ العُبَيديّين قد شجّعوا العلم والأدب[2]، اللّهم إلاّ إذا كانت دعوتهم الباطلة وما يتّصل بها علماً وأدباً.

ونتساءل الآن عن موقف علماء السّنّة، وطرقهم في مقاومة الكيد الباطني، والمنافحة عن السّنّة ونشر العلم، إنّها المواجهة بين الإيمان القويّ الرّاسخ وبين قوّة السّلاح، بين الحقّ والباطل، لا شكّ أنّ النّتيجة تكون دائماً لصالح أهل الإيمان وإن طال الطّريق.

لقد تضامن علماء أهل السّنّة وعبّادهم ومتصوّفوهم[5]، وتضافرت جهودهم لردّ كيد العُبَيديّين، وإخراجهم من أرض إفريقيَّة، ومنعهم من أن ينالوا من حصن السُّنّة بالمغرب، وتمحور الشّعب حول هؤلاء العلماء العاملين، الذين عُرفوا بتضحياتهم المثاليّة في سبيل الحقّ، وتمسّكهم بالسُّنَّة، وأصبحوا هم القادة الحقيقيّين لشعوبهم، ويمكن أن نلخّص الأساليب التي انتهجها العلماء لمقامة الإسماعيليّين والحفاظ على سُنِّيّة إفريقيَّة فيما يلي:

١ ـ إنّ صمودهم في الميدان، ومواجهة المحنة بشجاعة، وعدم فرارهم إيثاراً للسّلامة كان له أبعد الأثر في تمسّك العامّة بالسُّنَّة ولو فرّوا لسهل على العُبَيْديّين إغواء العامّة، وإدخالهم في دعوتهم، ولم يفهم هذه الحقيقة أحمد بن

---

(١) انظر: الرياض ٥٦/٢، ٢٢٢، موقف متصوفة إفريقية ١٩.

(٢) انظر: ورقات ١٥٣/٢، القراءات بإفريقية ٦١.

(٣) لقد امتاز متصوفة القيروان عن غيرهم بالتزامهم بالسنة وبعدهم عن الغلو والتطرّف والزّيغ. انظر: متصوفة إفريقية ٧.

نصر الدَّاوُدِي (ت ٤٠٢ هـ) الذي كان بطرابُلُس وأنكر على علماء القيروان عدم خروجهم منها أيّام بني عُبيد فأجابوه: «أُسكت لا شيخ لك»؛ لأنّه لم يتلقّ علمه عن إمام مشهور، قال القاضي عِياض[1]: «يشيرون أن لو كان له شيخ يُفقّهه حقيقة الفقه لعَلِم أنّ بقاءهم مع من هناك من المسلمين تثبيتٌ لهم على الإسلام، وأنّه لو خرج العلماء عن إفريقيَّة لتشرّق من بقي فيها من العامّة»، وقد فهم العُبيديّون هذا الأمر فحرصوا كلّ الحرص على إدخال العلماء في دعوتهم؛ لأنهم عرفوا أنه إذا سقط العلماء سهل سقوط العامّة.

٢ ــ مقاطعة أهل القَيْرَوان لجميع المؤسّسات الحكوميّة، فلا يختصمون إلى قضاتهم، ولا يصلّون وراء أئمّتهم، ولا يأتون معزّين ولا مهنّئين، ولا يناكحونهم، ولا يتوارثون معهم، ولا يصلّون على موتاهم...[2].

وقد كان بعض العلماء يغتسل يوم الجمعة، ويلبس ثيابه ويتطيّب، ويخرج إلى الجامع حتى إذا وصله يرفع عينيه إلى السّماء ويقول: اللّهم اشهد، ويرجع إلى داره[3]. وقد شعر العُبيديون بهذا الإنكار الصّامت، فلم يكن شيء أشدّ عليهم منه، وكان ذلك من أهمّ أسباب انتقالهم إلى المَهْدِيَّة ثمّ إلى مصر.

٣ ــ لقد أفتى علماء القَيْرَوان بكفر بني عُبيد، وأنّهم ليسوا من أهل القبلة، كما كفّروا من دخل في دعوتهم راضياً، ومن خطب لهم، ولم يعذروا المكره، وقالوا: يختار القتل ولا يدخل في دعوتهم[4]، وقد شاعت هذه الفتاوى وعرفها الخاصّ والعامّ، فكانت حاجزاً منيعاً بين العوامّ وبين التّردّي في دعوة الرّافضة.

---

(١) انظر: المدارك ٣/٦٢٣.

(٢) الرياض ٢/٢٩٨، المدارك ٣/٧٢٠.

(٣) المدارك ٣/٥٢٦، ٣/٧١٩، الرياض ٢/٤٣.

(٤) انظر في هذه الفتاوى: المدارك ٣/٧١٩، ٧٢٠، ٧٦٧، المعالم ٣/١٧٧، الرياض ٢/٣٣٩.

٤ ـ مقاطعتهم لمن تلبّس بالعُبَيديّين من أهل العلم وإن لم يدخل في دعوتهم، ولذلك أفتى العلماء بطرح كتب أبي القاسم البَرَاذِعِي[١]، وكان سعيد بن الحداد يقول عن مالك بن عيسى القَفْصيّ: «لو علمتُ أنّ يقظة مالك بن عيسى أنبه من نومي لأزريت على نفسي»[٢]؛ لأنّه امتُحن بوظيفة مع العُبَيديّين.

٥ ـ دأب علماء السُّنّة على تعرية العُبَيديين وفضح معتقداتهم الباطلة حتى يحذرها العامّة، قال أبو إسحاق السّبائي (ت ٣٥٦) لأصحابه: «افتحوا باب داري نأخذ في ذمّهم والتّحذير منهم». وكان ممّا ملأ به مجالسه: الإكثار من ذكر فضائل الصّحابة والثّناء عليهم لانتشار أمر المشارقة[٣]. وكان أبو الحسن الدَّبَّاغ (ت ٣٥٩) يقول للنّاس: «تمادوا على الأذان على سنّته في أنفسكم فإذا فرغتم فقولوا حيّ على خير العمل، فإنّما أراد بنو عُبيد خلاء المساجد»[٤].

٦ ـ لم يتخلّ العلماء عن التّدريس في هذه الفترة الحرجة، فلمّا منعوا من التّحديث والإقراء في المساجد فتحوا بيوتهم للطّلبة فقصدوهم للتّلقي، حتى إنّ دار أبي إسحاق السّبائي كانت كالمسجد[٥]؛ لكثرة من يؤمّها من الطّلبة، وكان أحمد بن يزيد الدَّبَّاغ يُسمع في داره[٦]، كما كان تلاميذ أحمد بن نصر الهَوَّارِيّ يقصدونه في بيته بعد أن منعه العُبَيديّون من التّدريس في مسجد رحبة القُرَشِيّين[٧]. وغير هؤلاء كثيرون جدّاً، فكان هذا ممّا ساهم في استمرار نشر العلم وعدم انقطاع الحياة العلميّة ونتج عن ذلك تعميق الوعي السّنّيّ بخطورة الفكر الباطني.

---

(١) المعالم ١٤٨/٢.
(٢) ط الخشني ١٧٤.
(٣) انظر: المدارك ٣٧٨/٣.
(٤) ن. م ٢٥٦/٣.
(٥) المعالم ٦٦/٣.
(٦) الرياض ٢٧٢/٢.
(٧) المعالم ٦/٣.

٧ ـ ومن ألطف ما عثرت عليه من صور مجاهدة بني عُبَيد هو التّحيّل في تعليم أطفالهم حتّى يتربّوا على السّنّة، وذلك ما قام به أبو إسحاق الجِبِنيَانِيّ وغيره، فإنّه كان يعلّم أولاد الكُتاميّين (حَمَلة الدّعوة العُبَيْدِيَّة) ولا يأخذ منهم أجراً؛ ترغيباً لهم في الإقبال عليه «ويعلّمهم القرآن والسّنّة ولا يعلّمهم يكتبون، ويقول: ليس يضرّون النّاس بالقرآن وإنّما يضرّونهم بالأَقْلَام... فعزم كلّ صبيّ كُتاميّ علّمه أبو إسحاق على الإسلام والسُّنَّة»[1].

٨ ـ المناظرة: من طرق مقاومة علماء القيروان للرّافضة طريقة الجدل والمناظرة، وقد أفحموا فيها دعاة بني عُبَيد، وأقاموا عليهم الحجّة، ودحضوا مزاعمهم بالراهين القاطعة، فحفظوا للسّنّة مكانتها وللإسلام عزّه، وقد عرف بذلك كثير من علماء القيروان، منهم: أبو بكر بن القَمُّودِيّ الذي ناظر أبا العبّاس الشّيعيّ مناظرة أفحمه فيها[2]، وإبراهيم بن محمد الضَّبِّيّ[3]، وأبو محمد عبدالله بن التَّبَّان[4] إلا أنّ أقدرهم على ذلك وأشهرهم به: أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحدّاد[5]، فقد كانت له مع بني عُبَيد «مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدّفاع عن الإسلام والذّبّ عن السّنّة ناظر فيها أبا العبّاس المخطوم أخا أبي عبدالله الشّيعيّ الصّنْعَانِيّ[6] بملء فيه وعزّ نفسه، مناظرة القرين المساوي بل مناظرة المتعزّز المتعالي»[7].

---

(١) مناقب أبي إسحاق ٢٦، المدارك ٣/٥١٦.

(٢) انظر: ط الخشني ٢١٤.

(٣) انظر: الرياض ٢/٤٦.

(٤) انظر: المدارك ٣/٥٢١.

(٥) ستأتي ترجمته رقم ١٥ في المحدثين.

(٦) الصواب أن المناظرات كانت مع عبيد الله نفسه. انظر: الرياض ٢/٥٩.

(٧) ط الخشني ٩٩، وقد بلغت مجالسه مع الرافضة أربعين مجلساً لم يصلنا منها إلا أربعة. انظر: الرياض ٢/٥٨، المعالم ٢/٢٩٨، ط الخشني ١٩٩، ورقات ١/٢٥٩. كما يوجد منها دفتران مخطوطان في مكتبة القيروان. انظر: سجل قديم ٣٦٤.

٩ ـ المواجهة المسلّحة: لم يكن تفكير أهل القيروان في المواجهة المسلّحة متأخراً (أي مع أبي يزيد الخارجي سنة ٣٣٣) كما درج عليه الكُتّاب، بل لقد كان ذلك منذ حلول الرّافضة بالقيروان، غير أنّ الأمر كان يحتاج إلى إعداد، خاصّة مع يقظة العُبيديّين واستيلائهم على سلاح الحصون، ومنعهم من التّجمّع والجولان ليلاً كما تقدّم[1]، وممّا يؤيّد هذا الرّأي أنّه لمّا نزل عُبَيد الله بَرَقّادة ترك جَبَلَة بن حَمُّود الصَدَفِيّ (ت ٢٩٧) الرّباط في قصر الطّوب ونزل رَقّادة، وقال: «كنّا نحرس عدوّاً بيننا وبينه البحر فتركناه، وأقبلنا على حراسة هذا الذي حلّ بساحتنا؛ لأنه أشدّ علينا من الرّوم»، فكان يجلس طول اليوم محاذياً لرَقّادَة ومعه سلاحه، وكان يقول: «أحرس عورات المسلمين من هؤلاء القوم، فإن رأيت منهم شيئاً حرّكت المسلمين عليهم»[2]. ولكن جَبَلَة لم يعش في حكم العُبَيديّين إلاّ سنة واحدة.

وفي بداية الحكم العُبَيْدِي بايع أهلُ القيروان وكثير من قبائل إفريقيَّة أبا عبدالله السّدريّ على جهاد بين عُبيد إلا أنّ خبره بلغ عُبَيد الله، فخرج إلى مكّة، فلمّا عاد قبضوا عليه وقرّبوه للقتل ـ وكان على درجة عظيمة من العبادة والتّقوى ـ «فهرب العسكر كلّه، فلم يجدوا أحداً يقتله، فأخذوا روميّاً سقوه خمراً حتى سكر، فقتله ثمّ صلبوه»[3]، لعنهم الله تعالى، وكان قتله سنة ٣٠٩ هـ.

فلما ثار أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد الخَارِجِيّ النَّكّارِيّ[4] واشتدّ أمره سنة ٣٣٢ هـ واستولى على القيروان كان الناس مُهيَّئين للخروج على بين عُبيد

---

(١) انظر: ص ٧٦.

(٢) الرياض ٢/٣٧، ٣٨، ومما يجدر التذكير به هنا إجماع علماء القيروان على وجوب جهاد العبيديين قبل استيلائهم على القيروان. انظر: البيان المغرب ١/١٣٧.

(٣) الرياض ٢/١٦٩.

(٤) انظر عنه وعن ثورته: الكامل ٦/٣٠٢، اتعاظ الحنفاء ٧٥، إتحاف أهل الزمان ١/١٢٤، العبر ٤/٤٠، ٧/١٣، الإباضية بالجريد ١٢٠، البيان المغرب ١/٢١٦.

«يتمنّون قائماً عليهم فيتحرّك النّاس لقيامه»[1]، وكان الأمر واضحاً أمام علماء القيروان وقد رأوا أنّ الخروج معه واجب لأنّه من أهل القبلة أمّا الرّافضة فهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام وقالوا: «إن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد والله يسلّط عليه إماماً عادلاً يخرجه عنّا»[2]، وخرجوا إلى المَهْدِيَّة سنة ٣٣٣ هـ بقيادة العلماء، ولكن أبا يزيد غدر بهم فاستشهد منهم خمسة وثمانون عالماً[3] فتنكّر النّاس لأبي يزيد، ومنعوه من دخول القيروان، وقد شهد عهد أبي يزيد نشاطاً علميّاً ملحوظاً حيث عادت الحياة إلى المساجد وحلّق العلماء للتّدريس[4].

ولما استردّ العُبَيديّون نفوذهم على القيروان رجع الوضع كهيئته أوّلاً، ونظراً لهذه المقاومة التي لا تهدأ فقد تأكّد بنو عُبيد أنّ القَيْرَوان ليست لهم بدار، وقد لفظهم أهلها، فانتقلوا أوّلاً إلى المَهْدِيّة ولكنّهم لم ينعموا بالأمن، ولم يجدوا من استجابة أهل إفريقيّة لأفكارهم ما يشجعّهم على البقاء فيها، فانتقلوا إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ تاركين لأنصارهم من بني زِيرِي حكم إفريقيّة نيابة عنهم.

ورغم أنّ الحياة العلميّة قد حافظت على وجودها في عهد العُبَيديّين إلا أنّها لم تشهد الازدهار المتوقّع لها بالنّظر إلى العهد السّابق وبالمقارنة مع حال العلم في المشرق، وفي النّصف الثّاني من عهدهم دخلت القَيْرَوان بعض المصنّفات الحديثيّة الهامّة مثل مصنّف عبدالرَّزَّاق[5] والجامع الصَّحيح للإمام البُخَارِي[6].

---

(١) المدارك ٣/٣١٨.

(٢) انظر عن مناقشتهم لمسألة الخروج مع أبي يزيد: الرياض ٢/٢٩٢ - ٢٩٩، ٣٣٨ - ٣٤٥، المعالم ٣/٢٩ - ٣٤، المدارك ٣/٣١٨ - ٣٢١.

(٣) انظر مثلاً: الشجرة ٨٣ والمصادر أعلاه.

(٤) انظر: المدارك ٣/٣٨٨.

(٥) انظر: الخشني ١٧٣، المعالم ٣/٤٤.

(٦) انظر: المدارك ٣/٦١٧، الشجرة ١/٩٧.

د ـ دولة بني زِيرِي أو الدّولة الصّنهاجية[1] (٣٦٢ ـ ٤٤٩):

لقد كان لعائلة بني زِيرِي الصّنهاجية[2] دور هام في القضاء على ثورة أبي يزيد النَّكَّارِيّ فكافأهم العُبيديّون بتسليم حكم إفريقيّة والمغرب، عندما انقلوا إلى مصر، ومؤسّس هذه الدّولة هو أبو الفُتوح يوسف بن زِيرِي بن مَنَاد الصّنهـاجي (٣٦٢ ـ ٣٧٣) الذي استهلك سنوات حكمه في تمهيد البـلاد وقمع الثّـائرين، وخلفه ابنه المنصور (٣٧٤ ـ ٣٨٦)، وقد شهد عهده عدّة ثورات رغم أنّه حاول أن يأخذ النّاس بالإحسان[3].

وازدادت الحياة السّياسيّة اضطراباً في عهد ابنه باديس (٣٨٦ ـ ٤٠٦) الذي قضى أيّامه في حروب متّصلة، حتّى إن أعمامه كانـوا من بين الثّائـرين عليه، وأعلنوا فيما بعد استقلالهم بقلعة بني حمّاد في المغرب الأوسط.

لقد كان هؤلاء الأمـراء الثّلاثـة محافـظين على تبعيّتهم للعُبَيديّن وولائهم للمذهب الإسماعيلي، إلاّ أنّهم لم يتشدّدوا في مطالبة النّاس بالتّشيّع، فانفسح المجال تدريجيّاً أمام العلماء لنشر السّنّة، وبذلك بدأت الحياة العلميّة تعود إلى

---

(١) انظر: نهاية الأرب ١٥٦/٢٤ ـ ٢١٧، الكامل ٤٥/٧، ٤٦، ٨٦، ٨٧، ١٢١، ١٣٣، ١٢/٨، ٣٩، ٥٥، إتحـاف أهل الـزمان ١٢٨/١ ـ ١٣٩، البيـان المغـرب ٢٢٨/١ ـ ٢٩٤، المؤنس ٧٣ ـ ٨٥، الخلاصة النقيـة ٤٢ ـ ٤٨، أعلام ابن عـاشور ٤٤، ٤٥، أعمال الأعلام ٦٦ ـ ٧٦، بنو هلال ٩٣ ـ ٩٨، تاريخ التمدن الإسلامي ٣٢٤/٤، ٣٢٥، العبـر ١٥٥/٦ ـ ١٦٣، ذكـرى المـازري ٥٥، ٥٦، المغـرب العـربي ١٨٨ ـ ١٩٨، المازري ٦، ١٤، ١٩، الحياة الأدبية في عهد بين زيـري (بالفـرنسية) ٢١٧ ـ ٢٢٨، المغرب الكبير ٢٤١/٢ ـ ٦٧٣، القيروان ٩٨ ـ ١٠٧، بساط العقيق ٦٩، ٧١، شهيرات ٨٩، ٩٠، الصارع المذهبي ٢٢١ ـ ٢٢٤، الفرق الإسلامية ٢٠٨ ـ ٢١٦.

(٢) نسبة إلى صنهاجة وهي قبيلة بربرية كبيرة كان لها دور في مناصرة دعوة الرافضة بالمغرب، وخاصة إبان ثورة أبي يزيد الخارجي، الشجرة ١٠٥/١، المؤنس ٧٤.

(٣) انظر: إتحاف أهل الزمان ١٣٣/١، الكامل ١٢١/٧.

المساجد والكتاتيب شيئاً فشيئاً، غير أنّ تلك المظاهر الرّسميّة من التّبعيّة لحكّام مصر والدّعوة لهم على المنابر كانت تقلق العلماء، وأسهمت في إيجاد هوّة عميقة بينهم وبين حكّام بني زِيرِي، فاستمرّوا في مقاومة هؤلاء الحكّام الذين لم يكونوا متحمّسين للدّعوة الإسماعيليّة، وخاصّة مع صمود الشّعب ومواصلتهم مقاطعة الدّولة، غير أنّهم لا يستطيعون الإعلان بذلك خوفاً على سلطانهم، وأحسّ أهل القيروان بذلك فراح علماؤهم يعملون جاهدين على نشر السّنّة وآراء السّلف، فعَجّت القيروان بالعلماء من جديد، وكثرت المصنّفات في مختلف فروع الشّريعة، فقد ألّف ابن أبي زيد (ت ٣٨٦) مصنّفات عديدة في الفقه والحديث والرّد على أهل البدع[١]، كما سيأتي في ترجمته، وألّف القابِسي (ت ٤٠٣) في الحديث وأصول الدّين[٢] وغيرهما كثير.

أمّا التّخلّص النّهائي من أتباع العُبَيديّين، وانتصار السنّة على الرّفض فقد كان على عهد آخر أمراء صنهاجة بالقَيْرَوان: المعزّ بن باديس (٤٠٧ ـ ٤٤٩)، فقد دام حكمه قريباً من نصف قرن، شهدت فيه الحياة العلميّة بالقَيْرَوان عصرها الذّهبيّ، وعادت البلاد إلى حظيرة أهل السّنّة والجماعة بصفة رسميّة، وتوفّرت فيها أسباب العمران والحضارة، ونفقت سوق العلم والأدب، وحدث شيء من التّقارب بين المعز وعلماء القيروان؛ فإنّ هذا الأمير قد تربّى «على مذهب مالك وعلى السّنّة والجماعة»[٣]، وكان يضمر قطع دعوة العُبيديّين، فلمّا علم أهل القَيْرَوان ذلك وضعوا السّيف فيمن عندهم من الرّافضة، حتّى أبادوهم في سائر أنحاء إفريقيّة، وذلك سنة ٤٠٧ في مطلع عهد المعزّ[٤]، ولم يزل أمر السّنّة يقوى والمعزّ يعدّ العدّة للتّخلّص من سلطان بني عُبيد حتّى كانت سنة ٤٣٥ هـ، وفيها قطع دعوتهم، وأحرق بنودهم، ولعنهم على المنابر، ودخل في طاعة الدّولة

---

(١) الشجرة ٩٦/١. (٢) المدارك ٦١٨/٣.

(٣) البيان المغرب ٢٧٣/١.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: الكامل ٢٩٤/٧، نهاية الأرب ٢٠١/٢٤ ـ ٢٠٤، البيان المغرب ٢٦٨/١.

العبّاسيّة، وحمل النّاس على مذهب الإمام مالك حسماً للخلاف، ولأنّه مذهب معظم أهل إفريقيَّة، «وكانت بإفْريقيَّة مذاهب الصُّفرِيّة والشّيعة والإباضيّة والنَّكّاريّة، والمعتزلة، ومن مذاهب أهل السّنّة الحنفيّة والمالكيّة، فلم يبق في أيّامه إلّا مذهب الإمام مالك»[1]، ففرح أهل السّنّة بذلك، وقضوا على من بقي من الرّوافض بإفريقيَّة، ولاحقوهم في كلّ مكان، فعمّت الفوضى حتّى اضطرّ المعزّ إلى استعمال القوّة للسّيطرة على الوضع.

ولم يكن الحقد الباطني ليسكت على عودة إفريقيَّة للسُّنَّة، ونبذها علناً لطاعة بني عُبيد، فأرسلوا إليها أعراب بني هلال وبني سُلَيم، وكانوا ممنوعين من اجتياز نهر النّيل؛ لِمَا عُرفوا به الإفساد في الأرض[2]، فتسابقوا إليها ودخلوها سنة ٤٤٣ هـ، فخربوها، وأتوا على الأخضر واليابس، وتقاسموا مدنها، فما من قرية «إلّا وقد سُحقت وأُكلت، أهلها عراة أمام حيطانها، من رجل وامرأة وطفل، يبكي جميعهم جوعاً وبرداً، وانقطع الميرة عن القَيْرَوان، وتعطّلت الأسواق...»[3].

وجرت بين الأعراب وبين المعزّ حروب كثيرة كانت فيها الدّائرة عليه، وتمكّنوا من دخول القيروان سنة ٤٤٩ هـ فاستباحوها، وقتلوا أهلها، وخربوا عمرانها، وسبوا حريمها وهدموا دورها، واستولوا على خيراتها، فاستحالت أثراً بعد عين، في أخبار تشيب لها الولدان[4].

---

(١) المؤنس ٨٢. وانظر: الشجرة ٢/١٢٩.

(٢) انظر عن أصل بني هلال واشتهارهم بالتخريب والفساد ودخولهم إفريقية: العبر ٦/١٣ - ١٦/١٣ - ١٦، البيان المغرب ١/٢٨٨ - ٢٩٥، تاريخ التمدن الإسلامي ٤/٣٢٤، رحلة التجاني ١٦.

(٣) البيان المغرب ١/٢٩١.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: الكامل ٨/٥٩، العبر ٤/٦٣، ٦/١٦، ١٥٩، البيان المغرب ١/٢٩٢ - ٢٩٤، إتحاف أهل الزمان ١/١٣٩، المعالم ١/١٥ - ٢٠، ٣/١٩٠ - ١٩٢، الشجرة ٢/١٢٨ - ١٣١، وقد ألف في ذلك محمد بن سعدون القروي (ت ٤٨٦) كتاباً =

وبـذلك انتهت حضـارة القَيْرَوان التي كانت العاصمـة الدّينيّـة والعلميّـة، والسّيـاسيّـة لإفـريقيّـة والمغـرب، فهي «منـذ الفتـح إلى أن خـربت دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم»[1]. فلمّا خربت جلا أهلها عنها، وتفرّق من بقي حيّاً من علمائها في الأمصار[2]، ولـم تعـد إليها الحيـاة العلميّة إلا بعـد أكثر من قـرن من الزّمـان وذلك بعـد سنـة ٥٥٥ هـ[3]، إلا أنهـا لم تعد أبـداً إلى سالف عهـدهـا، وانتقـل مشعـل العلم والحضارة بإفريقيَّة إلى المَهْدِيّة ثم إلى تونُس الحَفْصِيّة.

= سماه «تعزية أهل القيروان بما جرى في البدان من هيجان وتقلب الأزمان» البيان المغرب ١/ ٢٨١.

(١) الشجرة ٢/ ١٣٠، مقدمة ابن خلدون ٤٣١.

(٢) انظر: المعجب ٣٥٨.

(٣) انظر: المعالم ٣/ ٢٠٣.

٣ ـ الوضع الدّيني[1] بالقَيْرَوان وأثره في الحياة العلميّة

لقد وجدت بالقَيْرَوان في فترتنا هذه مذاهب متعدّدة، وفرق متنوّعة، راح كلّ منها يدافع عن كيانه، فظهرت المناظرات في عدّة مسائل علميّة في الفقه والعقيدة وخصّصت المؤلّفات للرّد على الخصوم، فنتج عن ذلك صراع فكريّ أدّى إلى إثراء الحياة العلميّة، ودام الصراع عدّة قرون انتهى بتبنّي إفريقيّة لمذهب السّلف وعقيدة أهل السّنّة والجماعة. وفي الفروع انتصر المذهب المالكيّ على غيره من المذاهب. وقبل الحديث عن هذه المذاهب وتلك الفرق لا بدّ أن نتطرّق إلى الكلام على الحياة الدّينية قبل ظهور المذاهب، بالرّغم من أنّ المصادر لم تسعفنا بشيء كاف في هذا المجال.

أ ـ الوضع الدّينيّ قبل ظهور المذاهب:

تمّ فتح إفريقيّة على أيدي الصّحابة والتّابعين، فعلّموا أهلها القرآن واللّغة العربيّة ومبادىء الإسلام، ولقّنوهم أحكام الدّين رواية عن النّبيّ ﷺ[2] أو اجتهاداً منهم[3].

---

(١) المقصود بالدين هنا: التدين ومدى الالتزام بالدين في الأصول والفروع، إذ الدين بمفهومه العام يشمل جميع جوانب الحياة من سياسة واقتصاد واجتماعيات وغيرها، ولا فصل في الإسلام بين هذه الجوانب.

(٢) انظر: الرياض ١/٨١، ١٢٤، المعالم ١/١٢٣.

(٣) انظر: الرياض ١/١٢٤.

كما كان أهل القَيْرَوان يسألون من عندهم من الصّحابة فيما يشكل عليهم من أمور الدّين، فإنّ يزيد بن قاسط ـ وهـو من أهل إفـريقيَّة ـ سـأل عبدالله بن عمر(١)، كما روى عن ابن عمر ميسرةُ الزَّرُّودي(٢) وهو قيرواني، وجاء قوم إلى عبدالله بن عمر بإفريقيَّة، «فلمّا أرادوا أن يفارقوه قالوا: زوّدنا منك حديثاً ننتفع به...»(٣)، ولا شكّ أنّ الصّحابة الذين جاءوا مع عُقبة وبعده قد علّموا بجامع القَيْرَوان كما مرّ، وسيأتي مزيد بيانه. ثمّ كان القادة الفاتحون يكلّفون من معهم من كبار التّابعين بتفقيه الدّاخلين في الإسلام.

وقبل نهاية القرن الأوّل كثر المسلمون بإفريقيّة، وأشكلت عليهم عدّة أمور، فجمعوا مسائلهم وأرسلوا بها خالد بن أبي عِمران (ت حـوالي ١٢٥ هـ) ليسأل عنها التّابعين في المشرق فأتى سالم بن عبدالله بن عمر (ت ١٠٦)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٦) فأبيا أن يجيباه عنها، فقال لهما: «إنّا بموضع جفاء في هذا المغرب وإنّهم حمّلوني هذه المسائل، وقالوا لي: «إنّك تقدم المدينة وبهـا أبناء أصحـاب النّبيّ ﷺ فسلهم لنا»، وإنّكمـا إن لم تفعلا كـانت حجّـة لهم»(٤)، فأجاباه فدوّن عنهما وعن سليمان بن يَسَار (ت حوالي ١٠٠ هـ)(٥) كتاباً كبيراً رواه أهل القَيْرَوان(٦)، وعملوا بما فيه، ثم أرسل عمر بن عبدالعزيز التّابعين العشرة سنة ٩٩ هـ لتفقيه أهل إفريقيّة فـأشاعـوا بالقيـروان رواية علوم الكتـاب والسّنّـة، وتلقّاهـا عنهم أهل القيـروان(٧)، وقد كثـر عدد التّـابعين بـالقيـروان،

(١) ط أبي العرب مح ٩١.
(٢) م.ن ٩٣.
(٣) الرياض ١/١٣٧.
(٤) ط أبي العرب مح ٢٣٦، الرياض ١/١٦٣.
(٥) سليمان والقاسم وسالم من فقهاء المدينة السبعة على خلاف في سالم، وهم من كبار رواة الحديث الثقات، أخرج لهم الجماعة، انظر: التهذيب ٣/٤٣٦، ٤/٢٢٨، ٨/٣٣٣.
(٦) انظر: ط أبي العرب مح ٢٣٥.
(٧) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ١/٩٩، الحياة الاجتماعية ٢٣، الصراع المذهبي ٢١، الفرق الإسلامية ٩٧.

وتضافرت جهودهم مع هؤلاء العشرة على نشر العلم فتخرّج على أيديهم أفواج من العلماء.

وإذن فقد كان الدّين في هذه المرحلة يؤخذ بالرّواية المتعلّقة بعلوم الكتاب والسّنّة، وفتاوى الصّحابة والتّابعين، «فكان المغاربة في صدر الإسلام لذلك على مذهب جمهور السّلف من الأئمّة واعتقادهم، وهو المذهب الحق»[1]. وعلى هذا تربّى أهل القيروان فكانوا شديدي التّعلّق بالنّصوص بعيدين كلّ البعد عن أعمال الـرّأي، خاصة وقد رأوا المزالق التي أدّى إليها التّأويل وما ساقه للبلاد من فتن.

ب ــ دخول المذاهب الفقهيّة:

ومع شعور أهل القيروان بقلّة منابع العلم في بلادهم، خاصّة بعد وفاة من عندهم من التّابعين، واستشهاد كثير من العلماء في الحروب الطّويلة مع الخوارج[2]، بدأ توجّههم يتكثّف نحو المشرق لطلب العلم، تعويضاً عن هذا النّقص، واتّصلوا بكبار المحدّثين والفقهاء، من أمثال: أبي حنيفة النّعمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثّوري، وكان صاحب مذهب متبوع... وغيرهم، ثمّ عادوا إلى القيروان ونشروا علم هؤلاء الشّيوخ، فكانت تلك هي البذرة الأولى لظهور المذاهب في المغرب.

١ ــ المذاهب غير المشتهرة:

وبعض المذاهب دخلت القيروان، ولكنّها سرعان ما اندثرت ولم يكثر الآخذون بها، مثل: مذهب أبي عمر الأَوْزَاعِيّ (ت ١٥٧)، وقد روى عنه بعض أهل القيروان[3]، ومذهب سفيان الثّوري (ت ١٦١) وقد روى عنه كثير من أهل

---

(١) الاستقصاء ١/١٣٦.

(٢) من ذلك استشهاد أبي كريب القاضي في ألف من العلماء والصلحاء سنة ١٣٩ هـ في قتال الخوارج. انظر: الرياض ١/١٧٢، والناظر في تواريخ وفيات التابعين الذين دخلوا القيروان وتوفوا بإفريقية يستنتج أن أكثرهم توفي في هذه الحروب.

(٣) انظر: الرياض ١/٢٤٧، ٣٠١، ٣٨٦، ورقات ١/٧٣، الحياة الاجتماعية ٧٢.

القيروان، وسمعوا منه جامعيه الكبير والصّغير، وكان بعضهم يميل إلى رأيه[1]، ومذهب داود بن علي الأَصْبَهَانِيّ الظّاهري (ت ٢٧٥)، أدخله أبو جعفر بن خَيْرُون[2]، أمّا مذهب محمد بن إدريس الشّافعي (ت ٢٠٤)، فقد كان حظه بالقيروان أكثر من سابقيه حيث مال إليه مجموعة من أهلها[3]، وقد صنّف بعض علماء القيروان في الرّدّ على مذهب الشافعي كتبا منها: كتاب «الرّدّ على الشّافعي لمحمد بن سَحنون» (ت ٢٥٦)[4]، وكتاب «الحجّة في الرّدّ على الشّافعي فيما أغفل من كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ليحيى بن عمر» (ت ٢٨٩)[5]، وكتاب «الرّدّ على الشّافعي لسعيد بن الحدّاد» (ت ٣٠٢)[6]. أمّا أكثر المذاهب أتباعاً بالقيروان فهما: مذهبا مالك وأبي حنيفة:

٢ ـ المذهب الحنفي[7]:

يعتبر المذهب الحنفي أسبق المذاهب في الدخول إلى القَيْرَوان، وكان هو الغالب على أهلها قبل دخول المذهب المالكي[8]؛ باعتباره مذهب الدّولة الرّسمي، ثمّ ضعف عندما أقبل النّاس على مذهب مالك، إلاّ أنّه عاد إلى

---

(١) انظر: الرياض ٢٠١/١، ط أبي العرب ٥٢، ٢٥١، ورقات ٧٣/١، الحياة الاجتماعية ٧٢.

(٢) انظر: ط الخشني ١٧٥، المدارك ٥٤/١، الصراع المذهبي ٩١.

(٣) المدارك ٥٤/١، ٤١٥/٤، ط الخشني ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، الصراع المذهبي ٨٧، الحياة الاجتماعية ٧١.

(٤) المدارك ١٠٦/٣.

(٥) منه نسخة مصورة بمكتبة القيروان رقم ١٢٨٨ ـ ١٣١٠، انظر: المكتبة الأثرية ٣٨.

(٦) مخطوط مصور بالقيرون رقم ١١٥٦ ـ ١٢٢١. المكتبة الأثرية ٣٨.

(٧) انظر عن المذهب الحنفي بالقيروان: الاستقصاء ١٣٦/١، المدارك ٥٤/١، الحياة الاجتماعية ٥٠، الصراع المذهبي ٦٢، تاريخ معالم التوحيد ٨٨ ـ ٩٠، الشجرة ٤٥٠، الإمام المازري ٢٣، المدارس الكلامية ٣٧، القراءات بإفريقية ٢٢٤. ٢٢٥.

(٨) المدارك ٥٤/١، تاريخ معالم التوحيد ٨٨، ٨٩.

الظّهور في عهد بني عُبيد لموافقتهم إياهم في مسألة التّفضيل ورخصة مذهبهم[1]، إلى أن زالت أسبابه في مطلع القرن الخامس فامّحت آثاره من إفريقيّة، وخاصّة بعد ما ألزم المعزّ بن باديس (٤٠٧ - ٤٤٩) النّاس بمذهب مالك حسماً لمادّة الخلاف في المذاهب[2].

وأوّل من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى القيروان: عبدالله بن فرّوخ (١١٥ - ١٧٦)؛ فإنّه دوّن عن أبي حنيفة نحو عشرة آلاف مسألة قبل أن يصنّف أبو حنيفة كتبه[3]، ودخل بها القيروان، وسمعها منه النّاس، ثمّ كان عبدالله بن غانم (١٢٨ - ١٩٠)، وقد لقي أبا يوسف صاحب أبي حنيفة[4]، يخصّص يوماً في الأسبوع لتدريس كتب الأحناف[5]، رغم أنّه مالكيّ المذهب، كما كان أسد بن الفرات يدرّس كتب المذهبين[6]، وزاد إقباله على تدريس كتب الأحناف عندما ترك النّاس الأسديّة، وأقبلوا على مدوّنة سَحنون، وبذلك شاع المذهب الحنفيّ وانتشر، وقد تبيّن لي بعد البحث في كتب طبقات الأفارقة أنّ المدرسة الحنفيّة لم تنجب علماء أفذاذاً، في تلك المنطقة وتلك الفترة، وإنما كان أتباعه من متوسّطي الثّقافة وبعض العوام وأصحاب السلطان، وحتّى الثّلاثة الذين تقدّم التّنصيص على مساهمتهم في نشر المذهب الحنفيّ لم يكونوا يعتنقونه، إنّما درّسوه من باب نشر العلم.

---

(١) انظر: سير أعلام ٢١٦/١٤، المدارك ٥٤/١.

(٢) انظر: الاستقصاء ١٣٧/١.

(٣) انظر: الرياض ١٨٠/١.

(٤) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي، القاضي، من أكثر أصحاب الرأي اتباعاً للحديث، اختلف النقاد في قبول حديثه، وهو ثقة إن شاء الله لأن ما ورد فيه من جرح مفسر مرده إلى الخلاف المذهبي (ت ١٨٢)، انظر: اللسان ٣٠٠/٦، الميزان ٤٤٧/٤، الطبقات الكبرى ٣٣٠/٧، التاريخ الكبير ٣٩٧/٨، ثقات ابن حبان ٦٤٥/٧، سير أعلام ٤٧٠/٨، نقد ابن حزم للرواة في "المحلى في ميزان الجرح والتعديل ١٢٠٤/٤.

(٥) انظر: الحلل السندسية ٢٤٧/٤.

(٦) انظر: الرياض ٢٦٦/١، ٢٦٧.

ونظراً لضحالة علم أتباع المذهب الحنفي بالقيروان آنذاك، وتلبّسهم بالسّلطان، ومناصرة الحكام لهم، فقد امتُحن على أيدي قضاتهم كثير من العلماء المدنيّين بالضّرب والحبس والمطاردة، بل والقتل أحياناً[1].

وكان لذلك أثره البالغ على العلم حيث اضطرّ كثير من العلماء إلى الاختفاء وترك التّدريس، فقد اختفى محمد بن سَحنون من سليمان بن عِمران[2]، واختفى يحيى بن عمر من محمد بن عبدون وأُجبر على مغادرة القَيْرَوان إلى سُوسَة[3]، كما امتحن قضاتُهم علماءَ المدينة بسبب رفضهم القول بخلق القرآن[4]، وقد دارت في هذه المسألة مناظرات بين أتباع المذهبين[5]، حتّى ألّفوا في ذلك كتباً، من ذلك أنّ سعيد بن الحداد ألّف كتاباً في الرّدّ على من يقول بخلق القرآن، فردّ عليه محمد بن الكَلاَعِيّ، فتولّى إبراهيم بن المقتول الانتصار لسعيد بن الحدّاد في كتاب نقض فيه أقوالهم، فكان ذلك سبباً في قتله[6].

كما تناظر أتباع الفريقين في شرب النّبيذ[7]، وفي المفاضلة بين الصّحابة[8]، وغير ذلك، وقد وصل التّنافر بين الفريقين إلى حد أنّ البيت الذي بناه سَحنون ليقضي فيه هدمه قضاة الأحناف، فإذا ولي مالكيّ أعاد بناءه[9]. ولا شكّ أنّ للسّلطان دخلاً في إثارة هذه العداوة التي بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً حتّى تحوّلت في آخر القرن الرّابع إلى أُلفة وتعاون بحمد الله تعالى، قال المقدسي عن القَيْرَوان في هذه الفترة: «ليس فيها غير حنفيّ ومالكيّ مع أُلفة عجيبة، بلا شغب

---

(١) انظر: المدارك ٣/٢٣٣.
(٢) ط الخشني ١٣٠.
(٣) انظر: المدارك ٣/٢٤٠.
(٤) انظر: المعالم ١/٩٤.
(٤) انظر: ط الخشني ٢١٣، ٢١٥، ٢٢١.
(٦) م. ن ٢٢١، ٢٢٢.
(٧) انظر: المعالم ٢/٣٦، الرياض ١/٢٨٨.
(٨) انظر: الرياض ١/٢٨٧.
(٩) انظر: المعالم ٢/٨٨.

بينهم ولا عصبيّة، لا جرم أنّهم على نور من ربهم، قد أقبلوا على ما يعنيهم، وارتفع الغلّ من قلوبهم»[1].

٣ ـ المذهب المالكي[2]:

لقد تلّقى أهل القيروان مذاهب السّلف على يد الصّحابة والتّابعين، كما مر، وشاهدوا بأعينهم الفتن التي أدّى إليها التّأويل والبُعد عن النّصوص، ولذلك ما إن أدخل علي بن زياد (ت ١٨٣) الموطّأ إلى إفريقيَّة وفسّر لهم قول مالك[3]، ولم يكونوا يعرفونه، حتّى أقبلوا عليه إقبالاً منقطع النّظير؛ لأنّهم وجدوا فيه ضالّتهم المنشوده لجمعه بين البساطة والأصالة، واعتماده على الحديث، فإنّ صاحب هذا المذهب يدرّس في مدينة الرّسول ﷺ، ويلتزم النّص من الكتاب والسّنّة، ولا يأخذ إلاّ عن الثّقات، وبرع في السّنّة حتّى سمّي أمير المؤمنين في الحديث، وهو إلى جانب ذلك شديد الورع لا يفتي إلاّ بحذر شديد وينفر من الرّأي والتّأويل[4]، فلم يكن انتشار مذهب مالك في إفريقيَّة بسبب السّلطان كما ذهب إليه ابن حزم[5]، إذ «لو أنّ السّلطان يقهر الأفكار على المبادىء لكان لسلطان العبيديّين من اجتذاب الأفكار ما أبقى مذهبهم سائداً في الشّمال الإفريقي»[6].

وإنّما كان ميل الأفارقة إليه بسبب اعتماد صاحبه على الحديث كما تقدّم، وذلك ما ذهب إليه الشّيخ الشّاذلي النّيفر أيضاً، فإنه علّل اتّباع الأفارقة لمذهب

---

(١) أحسن التقاسيم ٢٢٤.

(٢) انظر عن المذهب المالكي بالقيروان: المدارك ١/٨ ـ ١٢، ٥٤، الاستقصاء ١٣٧ - ١٤٠، الفرق الإسلامية ١٢٧، موطأ ابن زياد ٧، ٨، الصراع المذهبي ٣٩، الحياة الاجتماعية ٥٨، معالم تاريخ المغرب ٧٣ ـ ٧٧، القراءات بإفريقية ٢٢٤ ـ ٢٢٦، المدارس الكلامية ٣٧، جذوة الاقتباس ١/١٩٤، مقدمة ابن خلدون ٤٤٩.

(٣) الرياض ١/٢٣٤.

(٤) انظر: الفكر الإسلامي ١/٣٨٣، مقدمة الرياض لمؤنس ص ١١ فيما بعدها.

(٥) انظر: جذوة المقتبس ٣٦٠.

(٦) موطأ ابن زياد ٣٠، ٣١.

مالك بأنّه «مذهب بني على حديث أهل الحجاز[1]، وهم الصّفوة والكثرة من الصّحابة والتّابعين، وإلى تعطّشـ(هم) إلى الموصول إلى المذهب الذي تتمثّل السّنّة النّبويّة في أقوى رجالها فيه. . .»[2].

وهناك أمر آخر يجدر التّنبيه عليه، وبه يكتمل هذا التّعليل، وهو التّقدم الزّمني للمذهب المالكي على غيره من المذاهب الأخرى المشتهرة بالاعتماد على الحديث، وخاصة مذهب الإمام الشّافعي ومذهَب الإمام أحمد، فكان الخيار أمام القرويّين محصوراً في المذهبين الحنفيّ والمالكيّ، فتجنّبوا الأوّل لاشتهاره بالميل إلى الرّأي، الذي كان سبباً في الفتن التي عاشوها كما تقدّم، وأقبلوا على الثّاني؛ لاعتماده على الحديث وموافقة ذلك ما في نفوسهم من التعطّش إلى السّنّة.

ويأتي في الدّرجة الثّانية من التّعليل ما ذهب إليه ابن خلدون[3] من أنّ رحلة أهلها (إفريقيّة) كانت غالباً إلى الحجاز فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة[4]، وكذلك لمناسبة البداوة بين الشّعبين. وعلى يد عليّ بن زياد تخرّجت الطّبقة الأولى من علماء المالكيّة بالقَيْرَوان، مثل: أسد بن الفُرات، والبهلول بن راشد، وعبدالله بن غانم، وغيرهم، ثمّ تسارع أهل هذه الطّبقة للأخذ مباشرة عن الإمام مالك، حتى زاد الرّواة عنه من أهل القيروان عن ثلاثين تلميذاً[5]، وبذلك

---

(١) الأولى التعميم لأن مالكاً لم يقتصر على حديث أهل الحجاز، ومن ذلك أنه حدث من طريق المصريين. انظر: الجرح والتعديل ١/٣١.

(٢) موطأ ابن زياد ٣١.　　　(٣) المقدمة ٤٤٩.

(٤) هذا الكلام ليس على إطلاقه فقد رحل أهل القيروان منذ وقت مبكر إلى العراق وخراسان والشام وغيرها. انظر: فصل الرحلة من هذه الرسالة.

(٥) انظر: المعالم ٢/٨٣، وبعد البحث تبين لي أنهم ٤٤ راوياً كما سيأتي في مبحث الرواة عن مالك.

كثر رواة الموطّأ بالقيروان، وانتشر علم مالك، فأقبل عليه النّاس ووجدوا فيه الحصن الواقي من الاتّجاهات الخارجيّة الخطرة التي كانت تجتاح البلاد.

ثمّ جاء الإمام سَحنون فجمع في مدوّنته علم مالك وفقهه، واستشهد لمسائلها بالآثار، فأصبحت عمدة المذهب، والكتاب الثّاني بعد الموطّأ، وقد أخذها عنه أهل إفريقيَّة والمغرب والأندلس، حتى بلغ تلاميذه نحو السّبعمائة[1]، نشروا علم مالك في هذه البلاد، قال الخُشَنِيّ: «ثمّ قدم سَحنون بذلك المذهب، وجمع مع ذلك فضل الدّين والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله تعالى فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ، وقد محا ما قبله فكان سراج القَيْرَوان»[2]، وأقبل تلاميذ سَحنون ومن بعدهم على التّصنيف في المذهب واهتمّوا بالمدوّنة خاصّة، ما بين شارح ومختصر ومعلّق، ثم جاء ابن أبي زيد (٣٨٦) الملقّب بمالك الصغير، وعلى يديه استقرّ المذهب، فهو الذي «لخّص المذهب وضمّ نشره، وذبّ عنه، وملأت البلاد تآليفه»[3]، واستمرّ المذهب في نموّ حتّى صار في مطلع القرن الخامس هو المذهب الوحيد بإفريقيَّة، وهكذا أصبحت القيروان هي المركز الثّاني للمذهب المالكي بعد المدينة المنوّرة، وقد وجد أهل إفريقيَّة في علماء هذا المذهب المثال الصّادق للالتزام بالإسلام، من التقوى والورع والقيام بالحق، فهم كإمامهم مالك يكرهون مداخلة السّلطان، ويتعفّفون عن عطايا الأمراء، ويقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[4]، مهما أدى إليه ذلك من تضحيات، فارتفعوا في أعين النّاس إلى مقام الأولياء[5]، فالتحموا معهم في جبهة قوية، صمدت أمام ظلم الحكّام واستبدادهم، وأمام أهل الأهواء والبدع، حتّى انتصروا للسّنّة ومذاهب السّلف.

---

(١) انظر: الشجرة ١/٦٩.

(٢) المعالم ٢/٨٣.

(٣) الديباج ١٣٧.

(٤) انظر: الرياض ١/٤٤٧.

(٥) مقدمة الرياض لمؤنس ١/١٤ م.

جـ ـ الفرق الكلاميّة بالقَيْرَوان:

إنّ معظم الفرق التي ظهرت بالمشرق قد وجدت لها صدى في إفريقيّة، ويكون ذلك غالباً عن طريق الدّعاة الذين يرسلونهم إلى الآفاق؛ للبحث عن أنصار في مواطن بعيدة عن متناول يد الخلافة التي ما انفكت تطاردهم، وربما كان عن طريق بعض أهل إفريقيَّة الذين يتأثّرون أثناء رحلتهم إلى المشرق بأفكار هذه الفرق[1]، وقد كان لوجود هذه الفرق أثر واضح في الحياة العلميّة كما سيتبيّن من خلال هذا العرض السّريع:

١ ـ الخــوارج[2]:

ظهرت هذه الفرقة إثر التّحكيم بين عليّ ومعاوية، رضي الله عنهما، في موقعة صِفّين، وكانوا في جيش علي فخرجوا عليه عندما رضي بالتّحكيم، فقاتلهم علي، رضي الله عنه، ومن بعده من الخلفاء حتّى تشتّت شملهم، وتفرّقوا في الأمصار، فانقسموا إلى عشرين فرقة[1]، وقد ساعد على ظهور النّزعة الخارجية في المغرب ما تعرّض له البربر المسلمين من ظلم بعض العمال، كما تقدم، في عصر الولاة، فوجدوا في تعاليم الخوارج سنداً للخروج على الحكّام، قال السَّلَّاوي: «... وحسُن موقعها لديهم؛ بسبب ما كانوا يعانون منه من وطأة

---

(١) انظر مثلاً: ط الخشني ٢٢٠.

(٢) انظر عن الخوارج في إفريقية: الاستقصاء ١/١٠٧، ١٠٨، الخلافة والخوارج ٢٠ ـ ١٣٥، تاريخ المغرب العربي ١/٢٨٤ ـ ٢٩٥، المؤنس ٤٦، ٥٠، ٥٧ ـ ٦٢، الفرق الإسلامية ١٤٠ ـ ١٥١، الحياة الاجتماعية ٩٣، ٩٤، الصراع المذهبي ١٩٤ ـ ١٩٧، المدارس الكلامية ٦٧ ـ ١٥٦، العبر ٤/٤٠، ٦/١١٠، ٧/١٣ ـ ١٧، معالم تاريخ المغرب ١٠٠ ـ ١٠٧، النظم الاجتماعية ١٦ ـ ٢٠، الخوارج في بلاد المغرب ٢٤ ـ ٩٥، رحلة التجاني ١٢٧، ١٨٧، ٢٠٨، ٣٢٢، أهم الفرق الإسلامية ٦٦، ٦٩.

(٣) الفرق بين الفرق ٧٢.

الخلافة القُرشيَّة وجور بعض عمالها، فلقّنهم أهل البدع أنّ الخلافة لا يشترط فيها القُرَشيّة، وأروهم ما هم عليه من التّصلّب في دينهم، فظهر للبربر ببادىء الرّأي أنّ ذلك هو عين التّقوى المأمور بها شرعاً»[1].

وقد دخل المغرب فرقتان فقط من فرق الخوارج هما: الإبَاضِيَّة والصُّفْرِيَّة، وكان ظهورهما في مطلع القرن الثّاني.

أ ـ الإباضيّة[2]:

تنسب هذه الفرقة إلى عبدالله بن إباض المِرّي[3]، ومن أهم مبادئهم: تكفير مخالفيهم من المسلمين كفر نعمة، تكفير مرتكب الكبيرة، عدم اشتراط القُرَشيّة في الخلافة، نفي رؤية الله في الآخرة، القول بخلق القرآن، إنكار الشّفاعة لمرتكب الكبيرة، تكفير بعض الصّحابة، يكثرون من التّأويل الباطل كتأويل الميزان بأنّه العدل، وتأويل الصّراط بأنه الدّين القيّم، تحريم دماء مخالفيهم من المسلمين وسبي ذراريهم، واعتبار دراهم دار توحيد إلا معسكر السّلطان، وجوّزوا مناكحتهم وموارثتهم، وهذا ما جعلهم أقدر من غيرهم على الاستمراريّة في المجتمعات السّنّيّة، وأوّل من أدخل الإباضيَّة إلى القَيْرَوان هو سلمة بن سعد الحَضْرَمِيّ[4]، وعنه فشت في قبائل المغرب، ثم وقع إرسال بعثة إلى البصرة، حيث تمّ تكوينهم لمدّة خمس سنوات، على يد مُسلِم بن أبي كريمة زعيم الإباضيَّة، وسمّوا طلبة العلم، وبعد رجوعهم تفرّقوا بين القبائل ناشرين لأفكارهم، وكانت ثمرة جهودهم أن قامت في كامل أنحاء المغرب فتن

---

(١) الاستقصاء ١/١٣٦، ١٣٧.

(٢) راجع التعليق رقم (٢) ص ٩٦.

(٣) الفرق بين الفرق ١٠٣.

(٤) انظر: الخوارج في بلاد المغرب ٤٦، النظم الاجتماعية ١٦.

كقطع اللّيل المظلم، تمثّلت في تلك الحروب التي استمرت أكثر من عشرين سنة تمّ بعدها إقصاء الإباضيَّة عن إفريقيَّة، فأسَّسوا دولتهم بتَاهَرْت سنة ١٦١ هـ. ومع ذلك فقد استمر دعاتهم في إلقاء دروسهم في جامع القَيْرَوان إلى أن منعهم سَحنون سنة ٢٣٤ هـ.

ومن أكبر علمائهم محمد بن أفلح (ت ٢٨١) الذي ألّف أربعين كتاباً في الاستطاعة لم يبق منها إلاّ رسالة في خلق القرآن[1]، وأبو خزر الحامّي (ت ٣٨٠) صاحب كتاب الرّدّ على جميع المخالفين[2]، وفي تَاهَرْت انقسم الإباضيّون على أنفسهم، وظهرت فرقة النُّكار الذين أنكروا إمامة عبدالوهاب بن عبدالرحمٰن بن رُسْتُم، ومن زعمائهم: أبو يزيد صاحب الثّورة الشّهيرة ضدّ العُبَيديّين، وقد قام بمنكرات لا يفعلها حتّى أعداء الدين؛ لأنّ مذهبه تكفير أهل السّنّة واستباحة أموالهم ونسائهم[3].

ب ـ الصُّفْرِيَّة[4]:

اختُلف في نسبتهم والرّاجح انتسابهم إلى زياد بن الأصفر[5]. ويشترك الصُّفْرِيَّة مع الإباضيَّة في أغلب مبادئهم، إلا أنّهم أكثر تشدّداً مع المخالفين حيث كانوا يستحلّون سبيهم، ودماءهم، ونساءهم، ولذلك لم تطل حياة هذه الفرقة في المغرب، وتكاد المصادر تجمع على أنّ أوّل داعية للصُّفْرِيّة بالقَيْرَوان هو عِكْرِمَة

---

(١) انظر: المدارس الكلامية ١٤٦.

(٢) المدارس الكلامية بإفريقية ١٤٤.

(٣) انظر: المؤنس ٥٧، رحلة التجاني ٣٢٨.

(٤) انظر عن الصفرية بإفريقية: الاستقصاء ١/١٠٨، تاريخ المغرب ١/٣٣٩، ٣٤٢، المدارس الكلامية ١١٢، ١٢٥، ١٤٧، ١٤٩، المغرب العربي ٨٨، البيان المغرب ١/٥٩، الرياض ١/١٦٠، أهم الفرق الإسلامية ٦٥، ٦٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ٩٠، دائرة المعارف ١٤/٢٢٩.

مولى ابن عبّاس[1]، الذي دخلها في مطلع القرن الثاني ودرّس بجامع القيروان، واتصل به بعض رؤساء القبائل خفية، ومن أشهرهم مَيْسَرَة المَطْغَرِي الذي تزعّم الصُّفْرِيّة بعد ذلك، وهو الذي أعطى إشارة الإنطلاق لثورات البربر بقيادته لثورة سنة ١٢٢ هـ، ضدّ عُبَيد الله بن الحَبْحَاب، وفي سنة ١٤٠ هـ استولى الصُّفْرِيَّة على القيروان فاستباحوها، وعاثوا فيها فساداً حتّى ربطوا دوابّهم في جامع عُقبة[2] ثمّ طُردوا منها، فسارعوا بتأسيس دولتهم في سِجِلْمَاسَة في نفس السّنة.

وقد استمرّ دعاة الصُّفْرِيَّة أيضاً في نشر أفكارهم بجامع عُقبة بالقيروان إلى أن جاء سَحنون ففضّ حلق المخالفين.

ولم أعثر فيما بين يديّ من المصادر على أسماء لعلماء من الصُّفْرِيّة، أو لمؤلّفات تبسط أفكارهم، غير إنّ ردود أبي خزر الحاميّ الإباضي (ت ٣٨٠) تجعلنا نعتقد وجود مؤلّفات لهم لم تصلنا أسماؤها[3].

إنّ وجود الخوارج بإفريقيّة والويلات التي جرّوها على البلاد جعل أهل القيروان يزدادون تمسكاً بالنّصوص الشّرعيّة، ووقوفاً عندها، وينفرون من التّأويل والجدل، ويرفضون كلّ دعوة منحرفة، «ومن هنا كان تعلّق النّاس بسنّة الرّسول ﷺ فنبذوا كل من يُجَافيها، ولذلك لم تستطع المذاهب المبتدعة أن تعمّر طويلاً في هذه البلاد، فما تكاد تطفو على السّطح حتّى يلتفّ حولها الوعي السّنّي فيدحرها ويفلّ أسلحتها مهما كانت عاتية ومرهقة»[4].

ولم يكن العلماء في هذه المرحلة المبكّرة يستمرئون طريقة الجدل، فقد

---

(١) انظر مثلاً: الخوارج في بلاد المغرب ٤٦، التهذيب ٢٦٧/٧ مع الملاحظ أن أبا العرب والمالكي لم يشيرا إلى ذلك وذكراً بثه للعلم. انظر: الرياض ١٤٦/١، ط أبي العرب ١٩.

(٢) انظر: البيان المغرب ١/ ٧٠.

(٣) انظر هذه الردود في: الفرق الكلامية ١٤٦، ١٤٧.

(٤) تدريس السنة النبوية في الزيتونة ص ١.

أحجموا عن المناظرة والخوض في المسائل العقائديّة اقتداءاً بسلف الأمّة[1]، ولذلك لم يدخل علماء القيروان في مجادلات مع الخوارج، ولم يؤلّفوا في الرّدّ عليهم، فقد كتب عبدالله بن فروخ إلى الإمام مالك: «إنّ بلدنا كثير البدع، وإنّه ألّف كلاماً في الرّدّ عليهم، فنهاه الإمام مالك عن ذلك خشية «أن يكون ذلك سبباً لإظهار طريقة الجدل بإفريقيّة... فأراد حسم الباب»[2].

وقد تمثّلت مقاومتهم للخوارج في مقاطعتهم، فلا يسلّمون عليهم، ولا يردّون عليهم السّلام، ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم، وينبذون من يجالسهم، ولا يمشون في جنازة من مات منهم، وقلّدهم العامّة في ذلك، واشتدّوا على أهل البدع، ومن هنا نجد كتب تراجم الأفارقة تثني على المترجم له بمباينة أهل الأهواء، والمعاداة لهم، والشدّة عليهم[3].

٢ ـ المعتزلة[4]:

تعود نشأة الاعتزال إلى الاختلاف الواقع بين واصل بن عطاء (ت ١٣١) والحسن البصري (ت ١١٠) حول مرتكب الكبيرة[5]، فكان واصل أوّل من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ودعا إلى بدعته حتّى صار له أتباع، فوجّه دعاته إلى أنحاء العالم الإسلامي، وكا مبعوثه إلى إفريقيّة هو عبدالله بن الحارث[6] الذي دخلها في بداية القرن الثّاني، بُعيد دخول دعاة الخوارج، ولم تشر المصادر إلى نشاط ابن الحارث في إفريقيّة، غير أنّ ظهور الاعتزال في القيروان ـ حتى

---

(١) انظر: المسائل الكلامية ١٠، ٤١.

(٢) الرياض ١/١٧٧.

(٣) انظر مثلاً: المعالم ١/٢٦٦، ط أبي العرب ٥٤، الرياض ١/١٧٦.

(٤) انظر عن الاعتزال بالقيروان: ط أبي العرب ٥٥، ٨٢، ١٢٩، ط الخشني ٢١٩، ٢٢١، سير أعلام ١٤/٢٠٦، المدارك ١/٦٤، ٣/٤٨٦، الصراع المذهبي ٩٢، الوضع الاجتماعي ٩٥، المدارس الكلامية ١٥٨.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ٢٠، ١١٥، ١١٧، ١١٨.

(٦) انظر: المدارس الكلامية ١٦٢، الصراع المذهبي ٩٢.

تبنّاه بعض الولاة الأغالبة ـ وبين قبائل البربر يدلّ على أنّه قد بذل جهداً كبيراً في سبيل نشر أفكاره، هذا الجهد الذي تدعّم فيما بعد بالوافدين ضمن الجند من معتزلة العراق، وببعض طلبة القيروان الذين رحلوا إلى العراق[1]، بل إنّ بعض معتزلي المشرق راسل فقهاء القيروان يدعوهم إلى الاعتزال[2]. وقد كان للمعتزلة بالقيروان سقيفة يتناظرون فيها[3]، كما كانوا يدرّسون نظريّاتهم في جامع عُقبة[4]، وتمكن المعتزلة في هذه الفترة من منصب القضاء مرّتين بالقيروان شدّدوا فيهما على أهل السّنّة، وامتحنوهم بسبب امتناعهم عن القول بخلق القرآن[5].

وقد أثار المعتزلة بالقيروان عدة مسائل كلاميّة منها: مسألة الأسماء والصفات، ورؤية الله في الآخرة، والقدر، والوعد والعيد، والاستطاعة والإرادة، غير أنّ جلّ اهتمامهم كان منصبّاً على مسألة خلق القرآن، التي نافحوا عنها ووضعوا فيها المصنّفات، وقد كثر المناظرون من المعتزلة بالقيروان حتّى خصّص لهم الخشني فصلاً في طبقاته[6]، وقد وقف علماء القيروان منهم في البداية موقف الاعتزال والمقاطعة. قال محمد بن الحدّاد: «جزت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في الاعتزال، فوقفتُ أسمع منهم، فبلغ ذلك بُهلولاً فلما جئته أقبل عليّ وجعل يقول: أما بلغني أنّك مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في القدر فوقفتَ إليهم تستمع منهم؟ وأغلظ عليّ»[7]. كما كانوا لا يصلّون على موتى المعتزلة[9]، ولا يسلمون عليهم، وعلى ذلك مدار معرفة الحقّ من الباطل عندهم، غير أنّ أمرهم بدأ يذيع، فاضطرّ علماء أهل السّنّة للدّخول في الحجاج

(١) انظر: ط الخشني ٢٢٠. (٢) انظر: المدارك ٣/٤٨٦.

(٣) انظر: الرياض ١/٢٠٤، ط أبي العرب ٥٥.

(٤) انظر: المؤنس ٥٠، الرياض (مؤنس) ١/٢٧٦.

(٥) وذلك على يد ابن أبي الجواد والصدفي. انظر: تاريخ قضاء القيروان خط ٢٠، ٣٨.

(٦) ط الخشني ٢١٩.

(٧) ط أبي العرب مع ١٢٩، الرياض ١/٢٠٤.

(٨) انظر: ط أبي العرب ٣٤.

والمناظرة؛ للمنافحة عن السّنّة بعد إحجامهم عن الجدل في المرحلة السّابقة، كما أقبلوا على التّصنيف للرّدّ على المبتدعة. ومن هذه المناظرات ما وقع بين أسد بن الفُرات، وسليمان الفرّاء شيخ المعتزلة بالقيروان (ت ٢٦٩) حول رؤية الله في الآخرة، حيث أنكر الفرّاء دلالة الآية والحديث اللّذين استشهد بهما أسد فقام إليه وضربه[١].

كما ناظر محمدُ بن سَحنون (ت ٢٥٦) الفرّاءَ في مسألة الأسماء والصّفات. قال الفرّاء: «يا أبا عبدالله، الله سمى نفسه؟» أراد أن يقول له: نعم، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصّفات، فقال له ابن سَحنون: «الله سمّى نفسه لنا ولم يزل وله الأسماء الحسنى»[٢]، كما كان لسعيد بن الحدّاد معهم مناظرات رجع بها عدد من المبتدعة[٣]. منها ما دار بينه وبين الفرّاء حول الجهة، قال الفرّاء: أين كانت ربّنا إذ لا مكان؟ فقال له ابن الحدّاد: «السؤال محال؛ لأنّ قولك: أين كان، يقتضي المكان، وقولك: إذ لا مكان، ينفي المكان، فهذا نعم لا...»[٤].

ولقد كانت أغلب مناظرات المعتزلة حول خلق القرآن، فقد كان شيخهم الفرّاء يناظر فيه وله فيه كتب، وكان أبو إسحاق المعروف بالعمشاء «يذهب إلى خلق القرآن، ويناظر فيه المناظرة الشّديدة، وله في ذلك داعية ولمّة وأصحاب وأحزاب»، وكان محمد بن الكَلاَعِيّ يجادل عن القول بخلق القرآن، وألّف في ذلك كتاباً، وكان محمد المُسَحي من مقدّميهم في المناظرة في خلق القرآن...[٥].

وقد ناظرهم في ذلك علماء السّنّة، وأشاعوا الرّدود على هذا الأمر في

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٦٤، ٢٦٥. (٢) ط الخشني ١٩٨.
(٣) انظر: سير أعلام ١٤/٢٠٦، الرياض ٢/٧٠.
(٤) انظر: ط الخشني ١٩٨.
(٥) انظر عن هذه النماذج: ط الخشني ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢.

مجالسهم العلميّة، من ذلك أنّ أسداً كان يفسّر لتلاميذه قول الله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، فقال: «ويح لأهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أنّ الله عزّ وجلّ خلق كلاماً يقول ذلك الكلام: أنا الله»[1].

ولذلك كان موقف العامّة ممّن رُمي بهذه البدعة شديداً فضلاً عمّن ثبتت عليه ودافع عنها، من ذلك أنّ البُهلول بن عمر التُّجِيبِي، وهو من أصحاب مالك، نُسب إلى القول بخلق القرآن فلمّا مات «رُمي نعشه بالحجارة، وقال النّاس: الوادي الوادي، أي ألقوها في الوادي»[2]. وبلغ من مقاومة أهل إفريقيَّة لهذه البدعة أن نقشوا في مساجدهم: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق»[3]، بل إنّ منهم من يوصي بكتابتها على قبره بعد وفاته[4].

وقد شاع في هذه المرحلة التّصنيف في الرّدّ على أهل البدع كطريقة أخرى لمقاومتهم، من ذلك أنّ محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) ألّف الحجّة على القدريّة، الرّدّ على أهل البدع، وألف أحمد بن يزيد القُرَشِي (ت ٢٨٤) كتاب السّنّة، وقد تضمّن الأحاديث النّاهية عن البدع، وألّف يحيى بن عون الخُزَاعِي (ت ٢٩٨) كتاب الحُجَّة، وألّف سعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢) كتاب الاستواء، وكتاباً في الرّدّ على من يقول بخلق القرآن، وكتب محمد بن مَحْبُوب (ت ٣٠٧) في الرّدّ على القَدَرِيَّة، كما ألّف ابن أبي زيد (ت ٣٨٦) رسالة في الرّدّ على القدريّة، ناقض بها الرّسالة التي كتبها علي بن أحمد البغدادي المعتزلي نزيل مصر ووجّهها إلى فقهاء القيروان يدعوهم فيها للاعتزال.

ومن صور مقاومة الاعتزال في القيروان ما قام به الإمام سحنون، فإنّه منعهم من إلقاء مسائلهم في المساجد، «وعزلهم أن يكونوا أئمّة للنّاس أو معلّمين

(١) انظر: ط أبي العرب ٨٢، الرياض ١/٢٦٥، والآية في سورة طه ١٤.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٩١.

(٣) انظر: حسن البيان ١٩٩، المدارك ١/١١.

(٤) المدارك ١/٦٠٠.

لصبيانهم أو مؤدّبين، وأمرهم ألّا يجتمعوا، وأدّب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره، وأطافهم وتوّب جماعة منهم»[1].

كما أنّه أفتى في أهل البدع أنه: «لا يسلّم عليهم، ولا يناكحوا، ولا يعاد مريضهم، ولا تشهد جنائزهم أدباً لهم، ويؤدّبون ويسجنون حتّى يرجعوا عن بدعتهم[2]»، فلم يزل لذلك أمر المعتزلة في تناقص، ولمّا جاءت دولة بني عُبيد تشرّق بعضهم[3]، غير أنّ ذلك لم يفدهم، وزال أثرهم من إفريقيَّة.

وهكذا أسهم الاعتزال في إثراء الحياة الفكريّة بالقيروان، إذ كان من أهمّ الأسباب التي دفعت بعلماء أهل السّنّة إلى انتحال النّظر والتّحلّي بالجدل؛ للدّفاع عن السّنّة، ووضعوا في ذلك المصنّفات[4].

٣ ـ الشّيعة الإسماعيليَّة:

تمتاز هذه الفرقة عن سابقاتها بأنّها كانت صاحبة سلطان استعملته لقهر النّاس على اعتناق فكرها، ولقد سبق الحديث بما فيه الكفاية[5] عن نشأتهم في إفريقيَّة وأساليبهم في نشر أفكارهم، من التّعطيل والإباحيّة وإماتة السّنّة، وكذا الحديث عن مقاومة أهل السّنّة لهم. ولعلّه من المفيد هنا أن أشير إلى أهمّ المسائل الفكريّة التي أثاروها في القيروان أثناء مناظراتهم لعلمائها، ويمكن أن نلاحظ عن هذه المناظرات ما يلي:

ـ إنّه لم يصلنا منها إلّا القليل، فإنّ مناظرات ابن الحدّاد وحدها قد قاربت الأربعين مجلساً لم يصلنا منها إلّا أربعة[6]، هذا عدا مناظرات ابن التّبّان التي لم

---

(١) الجامع في السنن ١٢٦.
(٢) انظر: ط الخشني ٢٢٤.
(٣) انظر: ط الخشني ١٩٨ - ٢١٩.
(٤) انظر: ما تقدم في الجانب السياسي من الحديث عن هذه الفرقة.
(٥) انظر: ورقات ١/٢٥٩.
(٦) انظر: المدارك ٣/٥٢١.

يصلنا منها إلا مجلس واحد[1]، ومناظرات ابن القَمُّودِي التي لم يصلنا منها شيء...

ـ لقد كان العُبيديّون وهم يناظرون كبار علماء السّنّة شديدي الحيطة، فلم ينزلقوا في الاستشهاد بأحاديث موضوعة، كالتي شاعت في مصنّفاتهم[2]، وذلك حتّى لا تكون حجّة سهلة في يد الخصم، كما أنّهم تجنّبوا المواضيع العقائديّة الشّائكة البيّن بطلان رأيهم فيها، حتّى لا تكون مدعاة للنّفور السّريع من مذهبهم.

ـ نلاحظ فيما وصلنا من هذه المناظرات أنّ أكثر ما نقل عن العُبيديّين فيها هو الأسئلة، أمّا الأجوبة فكانت من نصيب السّنّيّين.

ـ إنّ هذه المجالس تنتهي عادة بدعوة المناظر السّنّي للدّخول في دعوتهم[3].

وقد تناولتْ هذه المناظرات الموضوعات التّالية:

ـ المفاضلة بين الصّحابة، وقد حاول العُبيديّون إبراز فضائل عليٍّ، والتّنقيص من بقيّة الصّحابة وخاصّة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً، كما أثاروا مسألة موالاة علي، وأرادوا الاستدلال بها على وجوب تعبيد النّاس لهم[4].

ـ المفاضلة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما[5].

ـ حجّية القياس، وقد أنكرها العُبيديّون[6].

---

(١)، (٢) انظر مثلاً: المدارس الكلامية، وقد نقل عن كتبهم بعض الأحاديث ص ٢٣٥ - ٢٧٢.

(٣) انظر مثلاً: ط الخشني ٢٠٢، المدارك ٣/٥٢٢.

(٤) انظر: الرياض ٢/٥٩، ٧٩، ٨١، ٨٣ - ٨٥، سير أعلام ١٤/٢٠٧، ٢٠٩، ط الخشني ٢٠٠، المدارك ٣/٥٢٢.

(٦) انظر: الرياض ٢/٧٧، سير أعلام ١٤/٢٨، ط الخشني ٢٠٠.

ـ تعريف الألوهية، والسّنّة، والعمل في مختلف الحديث[1].

ـ تقديم المفضول على الفاضل وقد رفضها العُبَيديون[2].

ـ النّصّ على خلافة علي رضي الله عنه[3].

ـ معرفة أهل الجاهليّة لربهم؟[4].

ـ مدى احتياج المتعلّم إلى المعلّم[5].

ـ صلاة قيام رمضان، وقد انتهت بقول داعيتهم: «من صلى القيام ضربت عنقه»[6].

ـ أدلّة حد شارب الخمر[7].

ـ كون محمد ﷺ خاتم النّبيّين، وقد أنكر ذلك العُبيديّون[8].

أمّا كتب مفكْريهم فقد اشتملت على طامّات كبرى يستغرب الباحث من عدم إشارة ما وصلنا من الكتب الإفريقيّة إليها، فلعلّها لم تقع بين أيديهم لحرص العُبيديّين على إخفائها، وقد لاحظ صاحب المدارس الكلاميّة أنّ: «للإسماعيليّة كتب تسمّى كتب الظّاهر وأخرى كتب الباطن... أما كتب الباطن فهي تضمّ حقيقة المذهب، وقد كانت تأويليّة رمزيّة، وهي في أغلبها بقيت سرّية... ولعلّ في وجود كتب الظّاهر رغبة من الإسماعيليّة في إبراز وجههم المعتدل حتّى يخفّفوا من ضغط الخصوم»[9]، وقد ساهم بعض أمرائهم في وضع أسس

(١) انظر: الرياض ٢/٧٦، ٧٧، ٩٢، سير أعلام ١٤/٢٠٨، ٢١٢، ط الخشني ٢٠٢.
(٢) انظر: ط الخشني ٢٠٨.
(٣) انظر: ط الخشني ٢٠٩، ٢١٠.
(٤) انظر: الرياض ٢/٩٢، سير أعلام ١٤/٢١٣، ط الخشني ٢٠٦.
(٥) انظر: الرياض ٢/٨٦، ط الخشني ٢٠٤.
(٦) انظر: الرياض ٢/٦٠ ـ ٦٢.
(٧) انظر: الرياض ٢/٧٨.
(٨) انظر: الرياض ٢/٦٢.
(٩) المدارس الكلامية ٢٩٢، ٢٩٣.

المذهب[١]، إلاّ أنّ أبرز مفكّريهم في القَيْرَوان هو أبو حنيفة النُّعمان بن محمد القاضي[٢] وهو يعدّ مؤسّس الفقه الإسماعيليّ، ذكر له صاحب تاريخ التّراث **٢٦** كتاباً صنّفها في فقههم، وقد قال الحافظ ابن حَجَر في لسان الميزان: «في تصانيفه ما يدلّ على انحلاله»[٣]، ومن مصنّفاته: مختصر الآثار فيما روي عن الأئمّة الأطهار[٧] ـ مناقب بني هاشم ومثالب بني أُميّة ـ أساس التّأويل ـ المجالس والمسايرات ـ دعائم الإسلام ـ اختلاف أصول المذاهب، وغيرها.

أمّا أصول مذهبهم فهي: القرآن، ويتأوّلونه حسب أهوائهم، والحديث المرويّ عن رجالهم، وجلّه موضوع أو مؤوّل على غير وجهه، ثم اجتهاد الأئمة، فالإمام عندهم هو المصدر الثّالث للتّشريع[٤] وينكرون الإجماع والقياس.

ويذهبون إلى أنّ لفظ القرآن من عند الرسول ﷺ أمّا المعنى فمن الله، كما أنّ النّبيّ عندهم يمرّ بعدة مراحل قبل أن يتّصل بالرسالة، وأنّه مختصّ بعلم الظّاهر بينما يختصّ الأئمّة بعلم الباطن[٥]. وضلالهم غير هذا كثير، تركته رغبة في الاختصار، وفيما ذكرته كفاية لخدمة هذا المبحث.

٤ ـ المُرْجِئَة:

وهم الذين يؤخّرون العمل عن الإيمان[٦]، فالإيمان عندهم مجرّد الإقرار، ولم يُعرَف لهذه الفرقة بالقيروان أتباع ولا مصنّفات، غير أنّ الذي يجعل الباحث يجزم بدخولها إلى إفريقيّة ـ وإن لم تعمّر فيها ـ وجود تصنيف في الرّدّ عليها،

---

(١) انظر: تاريخ التراث ٣٥٩/٣/١.

(٢) انظر عنه: الخطط ٣٤١/٢، الولاة والقضاة ٤٩٤، تاريخ التراث ٣٦٣/٣/١، اللسان ١٦٧/٦.

(٣) اللسان ١٦٧/٦.

(٤) انظر: المدارس الكلامية ٢١٩، ٢٤٥، وراجع إحالاته على كتبهم.

(٥) انظر: المدارس الكلامية ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٩٢.

(٦) انظر: الفرق بين الفرق ٢٠٢.

حيث ألّف يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) كتاب الرّدّ على المرجئة[1]، كما أنّ يحيى بن سلّام (ت ٢٠٠) قد رُمِي بالإرجاء خطأ فأقسم أنْـه ما عَبَـد الله على شيء من الإرجاء قط[2]، وقد ظهرت بعد ذلك براءته.

وهكـذا تبيّن لنا أنّ إفـريقيَّة قـد تلقّت الإسلام النّقي على يـد الصّحابـة والتّـابعين، فتربّت على مـذاهب السّلف، ثمّ دخلتها نحـل الخارجيّـة والرّفض والاعتزال، فقاوم أهلها هذه البدع، ونافحوا عن السنة، وقد اعتصموا بمذهب مالك لتمسّكه بنصوص الكتاب والسّنّة وبعده عن التّأويل ومزالقـه، وقد أحجم أهل إفريقيَّة في البداية عن جدال المبتدعة ثم اضطرّوا لذلك، فظهر منهم علماء أفذاذ برعوا في المناظرات، والرّدّ على المخالفين، وصنّفوا في ذلك المصنّفات فالمحت البدع، وتمحّضت إفريقيَّة للسّنّة ومذهب مالك، قال السَّلَّاوي: «فبعد أن طهّرهم الله تعالى من نزعة الخارجيّة أوّلاً والرّافضة ثانياً أقاموا على مذهب أهل السُّنَّـة والجمـاعـة مقلّدين للجمهـور من السّلف رضي الله عنهم في الإيمـان بالمتشابه، وعدم التّعرّض له بالتّأويل، مع التّنزيه عن الظّاهر، وهو ـ والله ـ أحسن المذاهب وأسلمها»[3].

---

(١) انظر: المدارك ٣/٢٣٦.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٣٧.

(٣) الاستقصاء ١/١٤٠.

٤ ـ الوضع الاجتماعي[1] وأثره في الحياة العلميّة

عنـدما فتـح المسلمون إفـريقيَّة كـان يقيم فيها الـروّم البيـزنـطيّـون وهم الفَرَنْجَة[2]، وكانوا قد استولوا على البلاد وأذلّوا أهلها، كما كان فيها البربـر[3] وهم سكّانها الأصليّـون، والأفارقـة وهم سكان إفـريقيَّة الـذين وفدوا إليهـا من مختلف البلاد وهم لا يرجعون فيها إلى أصل بعيد.

وقد استمات الرّوم في مقاومة المسلمين دفاعاً عن سلطانهم، فأبيد كثير منهم، ومنهم من عـادوا إلى بلادهم، ولم يبق في إفـريقيَّة إلاّ القليـل، وكذا الأفارقة لارتباط مصالحهم بمصالح الرّوم؛ فإنّهم دخلوا في خدمتهم، أمّا البربر فقد كانت مقاومتهم أوّل الأمر شديدة ظنّاً منهم أنّ هذا الغازي كسابقيه لم يأت إلاّ لاستغلال خيراتهم وتسخيرهم، فلمّا عرفوا سماحة الإسلام وعدله دخلوا فيه أفواجاً.

---

(١) انظر عن المجتمع القيرواني: المغرب الإسلامي ٨٥ ـ ٩٤، القيروان ١٤٦ ـ ١٥٣، قادة فتح المغرب ١/١٥ ـ ٢٠، حسن البيـان ٨٤، ٨٥، ١٦٠، الحياة الاجتمـاعية ١٨٩ ـ ٢٠٠، الصراع المذهبي ٢٣٥ ـ ٢٣٩، المغرب الكبير ٢/١٣٣ ـ ١٤٠، البلدان ١٠٠، المجتمع التونسي ٣٦، الحياة الأدبية (بالفرنسية) ٢٥٠ ـ ٢٥٩، شهيرات التونسيات ١٠، ٢٥، ٦٢.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون ٦/١٠٧.

(٣) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن البربر هم قوم جالون فلما قتله داود عليه السلام انتقلوا من فلسطين إلى بلاد المغرب. انظر: مسالك ابن خرداذبة ٩١، فتوح مصر ١٧٠، العبر ٢/١٢٨.

ولمّا أسّس المسلمون مدينة القَيْرَوان سنة ٥٠ هـ سكنها أوّلاً العرب ومن أسلم من البربر، ثمّ بدأت تستقطب مع الزّمن أجناساً متعدّدة، وذلك ما عبّر عنه اليَعْقَوبِيّ الذي زار القيروان في آخر القرن الثّالث حيث قال: «وفي مدينة القَيْرَوان أخلاط من قُرَيش ومن سائر بطون العرب، من مُضَر وربيعة وقحطان، وبها أصناف من عجم البلاد: البربر والرّوم، وأشباه ذلك»[1].

أ ــ أهمّ عناصر المجتمع القيرواني:

يمكن أن نحصرهم فيما يلي:

١ ــ **العرب**: وأوّلهم الذين جاءوا مع عُقبة، ثمّ مع حسّان بن النّعمان وغيره من القادة، وقد تواتر وفودهم المكثّف على القيروان إلى آخر القرن الثّاني، وهم الذين قاموا بمهمّة التّعليم ونشر الإسلام واللّغة العربيّة في إفريقيَّة، كما كانت إدارة البلاد بأيديهم، وهم من قبائل شتّى من قريش وغيرها كما مر.

٢ ــ **البربر**: وقد كثرت انتفاضاتهم وارتدادهم عن الإسلام في أوّل الأمر، ثمّ أقبلوا على الإسلام والعلم، وحسن تديّنهم، غير أنّ سوء معاملة بعض العمّال لهم شجّعهم على الانتقاض من جديد، وكان هذا من أهمّ عوامل تقبّلهم للنّحل الخارجيّة، خاصّة في أطراف إفريقيّة، ممّا تسبّب في شلّ الحركة العلميّة فترة من الزّمن كما تقدّم، أمّا عمليّة التّعريب فرغم أنّها سارت مع الفتح جنباً إلى جنب، إلّا أنّها أخذت جهداً ووقتاً لا شكّ أنّه كان على حساب إثراء الحياة العلميّة وسرعة تقدمها. وقد شاع في إفريقية التّصاهر بين العرب والبربر، وأدى إلى التمازج وتقوية الرّوابط الاجتماعية بين العنصرين، وكان ذلك من أهمّ أسباب استقرار الإسلام لدى البربر، وانتشار لغته بينهم، وسرعان ما شارك البربر المسلمون إخوانهم العرب في طلب العلم، وزاحموهم بالمناكب في حلقات الدرس، حتّى نبغ كثير منهم، فأصبحوا معلّمين وساهموا في نشر الثّقافة

(١) البلدان ١٠٠.

الإسلاميّة في إفريقيَّة، من أمثال عمر بن سُمُك مولى موسى بن نُصير، وهو من الرّواة عن مالك[1]، ومروان بن أبي شَحْمَة من طبقة سَحنون، سمع من وَكيع بن الجرَّاح وابن مَهْدِي فبرع في الحديث، وكان سَحنون يعرف له فضله[2]. وعيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥)[3] الذي أدخل إلى القَيْرَوان مسند ابن سنجر، وأبي عِمران الفاسي[4] (ت ٤٣٠)، فقيه القيروان ومحدّثها، وغير هؤلاء كثيرون[5] برعوا في مختلف العلوم وكان لهم أبعد الأثر في إثراء الحياة العلميّة وازدهارها.

٣ ــ **فئات أخرى**: مثل الصّقالبة، والسّودان، وعجم الروم، وأكثرهم من الرّقيق أو الجند ولم يكن لهم في الحياة العلميّة دور يذكر.

٤ ــ **اليهود والنّصارى**: لقد وجدت الدّيانتان قبل الفتح الإسلاميّ[6]، ولكن لم يكثر انتشارهما بين البربر.

وقد عاش أتباع الدّيانتين في ظل الإسلام في أمان تام، حيث تمكّن النّصارى من بناء كنيسة لهم في القيروان في وقت مبكّر سنة ١٧٧ هـ[7]، وكانت لهم صلة بالسّلطان، وخاصّة العُبيديّين ومن بعدهم[8]، وقد وقعت مناظرات بينهم وبين المسلمين، من ذلك أنّ أحد كبار النّصارى دخل القيروان فناظره أبو محمد بن التَّبَّان (ت ٣٧١) مناظرة أفحمه فيها، حيث قال له: «أنتم تعتقدون

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٥٣.

(٢) انظر: المعالم ٢/١٠٥، ط أبي العرب ١١٥.

(٣)، (٤) ستأتي ترجمتاهما رقم ٢٧ في المحدثين ورقم ٧ في المهاجرين.

(٥) انظر مثلاً: الشجرة ١/٦٨/٧٤، ١/٧١/٨٥، ١/٧٢/٩١، ١/٨١/١٥٢.

(٦) فالمسيحية دخلت حوالي ق ٣ م في الدولة الرومانية (١٤٦ق م - ٤٣٨)، الشجرة ٢/١٠٤، أما اليهودية فلعلها دخلت مع الجالية اليهودية إلى إفريقية بعد خراب بيت المقدس في ق ٢ م، ورقات ٢/٥٣، كما جاءت جالية في ق ٤ م، تاريخ معالم التوحيد ١٢٦.

(٧) أنظر: تاريخ الرقيق ١٨٥، المدارك ١/٦٢٣، الحلل ١/٣/٨٠٤.

(٨) انظر: المدارك ٣/٦١٩، ٧١٤.

ثلاثة؟ قال: نعم. فقال له: أخبرني: الواحد مفتقر إلى الاثنين أو مستغن عنهما؟، فضرب النّصراني على وجهه وأطرق وعليه كآبة الانقطاع»[1].

أمّا اليهود فيبدو أنّ عددهم كان أكبر؛ لأنّه كان لهم في القيروان حيّ خاصّ لسكناهم يسمّى اليَهُودِيَّة[2]، ولهم مقابر خاصّة، كما اختصّوا بسوق أيضاً[3]، وكانوا مقرّبين لبني عُبَيد وغيرهم، وأكثر أطبّاء الحكّام منهم، وكانوا يتصرّفون في التّجارة، وربما تقبّل بعضهم أسواق بعض القرى[4].

وكانوا يتدارسون أمور دينهم، ومنهم من برع فيها حتّى كانت الأسئلة ترد عليه من يهود الأندلس ومصر والعراق، ومن القيروان يتمّ تحديد مواقيت مواسم اليهود الدّينيّة، ولهم اتّصالات ومراسلات مع يهود بقيّة الأمصار[5]، كما أقبل اليهود على دراسة الطّبّ والفلك ونحوها، ولهم في ذلك مصنّفات. وقد اشترط الفقهاء على أهل الذّمّة صبغ طرف العمامة لتمييزهم عن المسلمين[6]، ولكن يبدو أنّهم في فترة ما حاولوا إفساد المجتمع القيرواني بتوسيع الملاهي، وإدخال الرّبا في المعاملات، فتشدّد معهم عبدالله بن طالب القاضي (٢١٧ ـ ٢٧٥)، وجعل على أكتافهم «رقاعاً بيضاء في كلّ رقعة صورة قرد وخنزير، وعلى أبواب دورهم ألواحاً مسمّرة مصوّر فيها قردة، وضيّق على أهل القيروان في ملاهيهم وملاعبهم وقطع المنكر والملاهي من القيروان»[7].

ب ـ المرأة القيروانيّة والعلم:

إنّ النّتف اليسيرة الواردة في هذا الشّأن رغم قلّتها تجعلنا نجزم بأنّ المرأة القيروانيّة قد نالت حظّاً وافراً من العلم، فقد كانت للبنات كتاتيب خاصة بهن؛

---

(١) المعالم ٣/٩٠.
(٢) انظر: الرياض ٢/٣١٠.
(٣) ط أبي العرب مح ١٣٠، بساط العقيق ١٥.
(٤) انظر: الرياض ٢/٥٠١.
(٥) انظر: ورقات ١/٢٨، ٢٩٧.
(٦) انظر: المعالم ٣/١٦١.
(٧) الرياض ١/٤٧٦.

لأنّ الإمام سَحنون كره خلطهنّ بالغلمان[1] ، وكان المحدّث عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) قد خصّص فترة ما بعد العصر لتدريس بناته وبنات أخيه[2]، كما علّم سَحنون ابنته خديجة (ت ٢٧٠) حتّى برعت في الحديث والفقه فكانت لها بعد ذلك حلقة لتعليم النّساء، وكانت مفتية نساء أهل زمانها، وكذا علّم أسد ابنته أسماء (ت حوال ٢٥٠) حتّى برعت في رواية الحديث[3]، وقد وجد من نساء القيروان من حفظت القرآن الكريم وموطّأ الإمام مالك. قال أحمد بن نصر الفقيه (ت ٣١١): «تزوّجت امرأة حافظة لكتاب الله عزّ وجلّ، وحفظت الموطّأ، ولقد توفّي لها ولد أكله السّبع، فلمّا بلغها ذلك توضّأت وجلست تقرأ، ولم تعبأ بما طرأ عليها ولم تحزن»[4].

وبعضهنّ برع في الأدب والشّعر مثل: مَهْرِيّة الأغلبيّة (ت حوالي ٢٩٥)[5]، وأخريات برعن في الخطّ وكتبن المصاحف وحبّسنها علىٰ مكتبة جامع عُقبة[6].

جـ ـ من سمات المجتمع القيرواني:

يمكن إبراز أهمّ ملامح هذا المجتمع في النّقاط التّالية:

ـ لقد كان المجتمع القيرواني مجتمعاً نظيفاً، غلب على أهله التّعبّد وحبّ الخير والتّمسّك بالفضيلة، وكان العلماء بالمرصاد لكلّ بادرة من بوادر التّحلّل، فقد قطع القاضي ابن طالب (ت ٢٧٥) الملاهي[7]، وكسر مَرْوان بن أبي شَحمة

---

(١) انظر: آداب المعلمين ١١٧، وربما كُنّ أولاً يدرسن مع الصبيان حتى منعهن سحنون.

(٢) المدارك ٣/٢٢٧.

(٣) انظر عنهما: المجتمع التونسي ٣٦، المغرب العربي ٦٩، شهيرات ٤٦ ـ ٤٨ سحنون مشكاة نور ٩٠.

(٤) الرياض ٢/١٨٦.

(٥) انظر: ورقات ١/٨٦، بساط العقيق ٥٩.

(٦) انظر: المكتبة الأثرية بالقيروان ١٤ ـ ١٧.

(٧) انظر: الرياض ١/٤٧٦.

عوداً وجده بيد بعض الفتيان على باب الأمير[1]، وبنى الإمام سَحْنُون باب دار امرأة عُرفت بالفساد ونقلها بين قوم صالحين، وهكذا حافظت العاصمة الدّينيّة على مستوى رفيع من الأخلاق، إلّا أنّ حياة المدن المجاورة، والتي كان يسكنها الأمراء وحاشيتهم، مثل: رقَّادَة وصَبْرَة والعَبَّاسِيّة قد عرفت المجون واللّهو، حتّى قال بعض الظّرفاء من أهل القيروان:

يا سيّد النّاس وابن سيّدهم ... ومن إليه الرّقاب منقادة
ما حرّم الشّرب في مدينتنا ... وهو حلال بأرض رَقَّادة[2]

أمّا ما ورد من حكايات في اللّهو، فقد وجدتُ أنّها خارج القيروان، أو داخل البيوت الخاصّة، ولم أجد سلفاً لصاحب الورقات في قوله بوجود حيّ للملاهي في القيروان يسمّى ربض البقريّة[3].

وقد عرف المجتمع القيرواني تكافلاً كبيراً وتضامناً بين أفراده، فقد كان العلماء والفقهاء وصلحاء الأغنياء يواسون الفقراء، ويهتمّون بأمر المحتاجين، ويتفقّدون أحوالهم، والأمثلة على ذلك لا تحصى، منها ما فعله البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) عندما أخذ من أحد أصحابه مائة دينار كان عزم أن يحجّ بها، (وكان قد حجّ حجّة الإسلام)، وكان النّاس في ضيق، فأخذ يوزّعها على المحتاجين، «فواحد يقول له: تزوّج منها وعش بالباقي، وآخر يقول له: وسّع بها على عيالك وصبيانك، وآخر يقول له: استر بها وجهك»[4].

وكان سَحنون قد وضع نفسه في ماله كبقيّة الفقراء، فلا يأخذ منه إلّا ما يحتاجه ويتصدّق بالباقي، قال بعض تلاميذه: «باع سَحنون زيتوناً له بنحو ثمانمائة

---

(١) ط أبي العرب ١١٥.
(٢) انظر: مسالك البكري ٢٨، ورقات ٢/١٩١.
(٣) ورقات ٢/١٨٣.
(٤) المعالم ١/٢٧٢.

دينار فدفع ذلك المال إليّ فكان يبعث إليّ رقعة يقول: ادفع لفلان كذا وكذا دينار، ولفلان كذا، صدقة منه عليهم، حتّى فني المال كلّه»[1].

ــ وممّا تميّز به المجتمع القيرواني كثرة من فيه من العُبّاد، والزّهّاد، والصّلحاء، الذين غصّت بهم المساجد والحصون وقصور الرّباط، ولم تظهر لديهم انحرافات عقديّة كالقول بالحلول ونحو ذلك من البدع والضّلالات، فقد حافظوا على سنّيّتهم، وابتعدوا عن التّأويل ومزالقه[2]، وذلك لاشتغالهم بالعلم إلى جانب العبادة.

ــ ولقد شاهد تاريخ القيروان التحاماً كبيراً بين العلماء والعُبّاد وبين العامّة، حتّى أصبح العلماء هم القادة الحقيقيّين للشّعب وذلك لما عُرفوا به من التّقوى، والعزوف عن المناصب، والتّرفّع عن الدّنيا، والصّبر على المحن، والدّفاع عن المظلومين، والوقوف في وجوه الحكّام دفاعاً عن الدّين.. وكسبوا بذلك مكانة خاصّة لدى النّاس ولذلك تجدهم يفزعون إليهم في المُلمّات[3] ويقفون إلى جانبهم في محنهم، أمّا إذا مات أحد العلماء فإنّ الأخبية تضرب على قبره الأيّام الطّويلة، وتُنصب الأسواق عنده، حتّى يضطّر الحاكم إلى تفريقهم[4]، فكان المجتمع القيرواني من هذا المنظار ينقسم إلى قسمين: العلماء والعُبّاد وعامّة الشّعب من ناحية، والحكّام ومن سار في ركابهم من ناحية أخرى.

ــ وكان الإقبال على حضور مجالس العلم والذّكْر بالقيروان يشمل أغلب أفراد المجتمع ولم يكن خاصّاً بفئة معينة، لهذا نجد حتّى المزارعين يشاركون في ذلك[5]، فكثر عدد المتعلّمين.

---

(1) الرياض ١/٣٦٢.

(2) موقف متصوّفة إفريقيّة ٧.

(3) انظر مثلاً: الرياض ٢/١٢٤.

(4) انظر مثلاً: المعالم ٢/١٣٦، الرياض ١/٤٥٥.

(5) انظر: الرياض ١/٢٦٩.

٥ ـ الوضع الاقتصادي[1] وأثره في الحياة العلميّة

لقد زخرت كتب تاريخ المغرب بالحديث عن وفرة الغنائم التي أصابها المسلمون في إفريقيَّة[2]، والتي كان كثير منها يُحَوَّل إلى المشرق، واستمرّ ذلك طيلة فترة الفتح، فلمّا استقرّ الإسلام في البربر بدأ النّاس يشتغلون في الفلاحة والتّجارة، غير أنّ كثرة الثّورات والحروب شلّت الحركة الاقتصاديّة ومنعتها من النّمو، ولذلك كانت الخلافة تعين ولاّة إفريقيَّة بمائة ألف دينار سنويّاً[3]، إلى أن ازدهرت الأوضاع الماليّة في بداية عهد الأغالبة فتنازل إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦) عن المائة ألف، وتعهّد بإرسال أربعين ألفاً إلى الخلافة[4]، وقد بلغت إفريقيّة في ظلّ الأغالبة مبلغاً عظيماً من التّمدّن والحضارة، حيث نشطت الحركة التّجاريّة، وازدهرت الفلاحة والصّناعة، وظهر أثر ذلك في كثرة المنشآت العمرانيّة كالمساجد، والحصون، والقصور، والحمّامات، والفنادق، والأسواق، ومواجل المياه، كما أنشىء مستشفى (وهو المعروف بالدِّمْنة) للعلاج وإيواء العجزة، وكان من بينهم كثرة من أهل العلم[5]، وقد بلغ عدد الحصون والمحارس وقصور الرّباط التي أنشئت في عهد الأغالبة ثلاثين ألفًا، فإذا حدث

---

(١) انظر: القيروان ١٣٠ - ١٣٨، المجتمع التونسي ١١ - ١٤، بساط العقيق ٣٢ - ٣٨، الحياة الاجتماعية ١٧٤ - ١٨٣، الصراع المذهبي ٢٢٧ - ٢٣٣، المغرب الإسلامي ٥٤ - ٨٣، ذكرى المازري ٥٤، ٥٥.

(٢) انظر مثلاً: ط أبي العرب ١٦، المؤنس ٢٧.

(٣)، (٤) انظر: العبر ٤/١٩٦، الاستقصاء ١/١٣٥.

(٥) انظر: الرياض ١/٤١١.

أمر تُوقد النّار، فيتّصل الخبر في ليلة واحدة من سَبْتَة إلى الإِسْكَنْدَرِيّة[1]، وكان أكثر من يؤمّها العبّاد وأهل العلم لحراسة المسلمين، كما أمّن الأغالبة طرق القوافل التّجاريّة وقضوا على قطّاع الطّرق.

وهذا الازدهار لا يعني عدم وجود بعض الأزمات الاقتصاديّة في عهد الأغالبة كما حدث في عهد إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩) حتّى اضطرّ إلى سبك حليّ نسائه، وثار عليه النّاس الثّورة المعروفة بثورة الدَّرَاهم[2].

فلمّا جاء العُبيديون افتعلوا الأسباب لأخذ أموال النّاس بكلّ طريق، وكثرت المغارم على الضّياع وغيرها، وحالوا بين الأموال وبين مستحقّيها وأعطوها إلى أتباعهم وإلى «. . . اليهود والنّصارى وأنفقوها في الخمور»[3] فأصاب النّاس في عهدهم ضيق شديد.

أمّا في عهد بني زيري فقد أخذت الحياة الاقتصاديّة تستعيد حيويّتها وازدهارها شيئاً فشيئاً، وخاصّة بعد مجاعة سنة ٣٩٥ هـ، التي خلت بسببها المساجد، ومات فيها كثير من العلماء والصّلحاء[4]، فلم يأت عهد المعزّ بن باديس (٤٠٧ - ٤٤٩) حتّى بلغت البلاد من الثّروة والبذخ والأبّهة ما لم يسبق لها أن شهدته، واستقرّ الوضع، وأقبل النّاس على ما ينفعهم من التّحصيل العلمي والتّصنيف في شتّى فنون العلم، كما سأفصّله في مواضعه من هذه الرّسالة.

ولقد قام الاقتصاد القيرواني على التّجارة والفلاحة والصّناعة، وبلغ كلّ منها شأواً بعيداً، حتّى إنّ الباب الواحد من أبواب صَبْرَة[5] كان يدخله كلّ يوم ٢٦

---

(١) سير أعلام ١٣/٤٨٨.

(٢) انظر: البيان المغرب ١/١١٩، ١٢٠.

(٣) المدارك ٣/٧١٤، وانظر: ط الخشني ١٦٨.

(٤) انظر: المعالم ٣/١٢٧، البيان ١/٢٥٦.

(٥) صَبْرة وتسمّى أيضاً المَنْصُورِيَّة مدينة على بعد نصف ميل من القيروان يسكنها ملوك القيروان، انظر: المؤنس ٦٢، بساط العقيق ٢٨.

ألف درهم[1]، وكثرت الصّناعات ورتّبت حتى خُصّت كلّ صناعة بسوق[2]، وبلغ تجّار القيروان أقاصي المعمورة[3]، وخاصة بعد فتح صِقِلِّيَّة، وسيطرة الأغالبة على حوض البحر الأبيض المتوسّط. وليس يعنينا هنا أن نعدّد المنتوجات الفلاحيّة أو أنواع الصّناعات ونحو ذلك، إنّما يهمّنا أن نشير إلى العلاقة بين الجانب الاقتصادي وبين الحياة العلميّة:

من الطّبيعي أن يكون الازدهار الاقتصادي سبباً في إثراء الحياة العلميّة، فقد نشطت الحركة التّجاريّة، وتنج عنها كثرة المنشآت العمرانيّة، وفي مقدّمتها المساجد، وقد قارب عددها بالقيروان ثلاثمائة مسجد[4]، كانت تضمّ حلقات العلم والوعظ والتّوجيه، وتزخر بنشاط العلماء وطلبة العلم، وكذا كثرت قصور الرّباط، كما تقدّم، وكانت من أهمّ المراكز العلمية بإفريقيَّة، وصدرت بعض المؤلّفات العلميّة المواكبة للحركة الاقتصاديّة، واستوردت بعض الكتب من خارج البلاد بكمّيّات كبيرة، وحرص العلماء والقضاة على إخضاع الحياة الاقتصاديَّة لنظم الشّريعة وأحكامها، وسيتّضح ذلك بما يلي:

إنّ ممّا ينبغي التّأكيد عليه هنا هو خضوع الحياة الاقتصاديّة عموماً في القيروان لأحكام الشّريعة الإسلاميَّة، وفق مذهبي مالك وأبي حنيفة، رغم أنّ العُبيديّين حاولوا فرض مذهبهم على الاقتصاد أثناء حكمهم، وقد كان الفقهاء وقضاة أهل السّنّة بالمرصاد لكلّ خروج عن تعاليم الشّرع.

وكان أوّل من ولي عشور إفريقيَّة في الإسلام هو حَنَش بن عبدالله الصّنعاني

(١) انظر: مسالك البكري ٢٥، وكان لا يدخل شيء القيروان حتى يمر على صبرة لدفع الجباية.

(٢) انظر: تاريخ الرقيق ١٤٩، الشجرة ٢/١١١.

(٣) انظر: حسن البيان ٢٢٣، الرياض ٢/١٠١.

(٤) انظر: بساط العقيق ١٧.

(ت ١٠٠)، وذلك سنة ٨٢ على عهد حسَّان بن النُّعمان[1]، ولا شكّ أنّه سار فيها بالكتاب والسّنّة، واستمر الأمر على ذلك إلى عهد عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١) فخالف السّنّة حيث «قطع العشر حبّاً، وجعله ثمانية دنانير للفقير، أصاب أو لم يصب»[2]، فضجّ النّاس لذلك، وقصده العلماء ناصحين فلم يقبل منهم، واستخفّ بهم فدعوا عليه، فمات في اليوم السّابع من دعائهم.

ولمّا تولّى الإمام سَحنون القضاء لاحظ عدم الدّقّة في مراقبة سير الأسواق، وكان ذلك بيد الولاّة فجعله سَحنون من عمل القضاة؛ قال القاضي عِياض: «أوّل ما نظر سَحنون في الأسواق، وإنّما كان ينظر فيها الولاّة دون القضاة، فنظر فيما يصلح من المعاش ويُغشّ من السّلع، ويجعل الأُمناء على ذلك، ويؤدّب على الغشّ وينفي من الأسواق من يستحق ذلك»[3]، ولا شكّ أنّ تدخّل سَحنون هذا ناتج عن انحراف المعاملات عمّا جاء به الشّرع، وإلاّ لم تكن هناك حاجة لتدخّله. وألّف يحيى بن عمر (٢٢٣ - ٢٨٩) كتاب «النّظر والأحكام في جميع أحوال السوق»[4]، تعرّض فيه لبيان حكم الشّرع في المعاملات التّجاريّة، ودور وليّ الأمر في سلامة تطبيقها.

وكان لليهود مشاركة في التّجارة بالقيروان، وقد حاولوا إدخال الرّبا في المعاملات[5]، فكان موقف القاضي ابن طالب منهم حازماً وصارماً؛ حيث وسَمَهم بعلامات مخزية جعلها على أكتافهم، وعلى أبواب منازلهم، فيها صور قردة وخنازير[6]، وذلك ردعاً لهم وزجراً حتّى لا يفسدوا على المسلمين حياتهم،

---

(١) انظر: الرياض ١/٥٧، المعالم ١/٦٩، بغية الملتمس ٢٣٥، تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٩.

(٢) البيان المغرب ١/٩٥، وانظر: الرياض ١/٣٣٢.

(٣) المدارك ١/٦٠٠، وانظر: المعالم ٢/٨٧.

(٤) تراجم المؤلفين ٣/٤٢٤، وقد طبع بتونس سنة ١٩٧٥.

(٥) انظر: المغرب الإسلامي ٥٥، ٥٧. (٦) انظر: الرياض ١/٤٧٦.

ودعّم ابن طالب هذه الخطوة بأن أصدر للصّيارفة أمراً بألاّ يصرفوا لأحد حتّى ينظروا في كتاب الصّرف، فلجأوا إلى أبي جعفر الصوّاف الفقيه (ت ٢٩١) فقرأه عليهم في مسجده[١]، وبذلك أسهم ابن طالب مساهمة كبرى في حماية البلاد من الرِّبا. كما كان للعلماء دور بارز في مقاومة الاحتكار والتّحذير منه في مجالسهم، بذكر عواقبه الوخيمة في الدّنيا قبل الآخرة، من ذلك أنّ أبا بكر بن اللَّبّاد (ت ٣٣٣) كان يقول في مجلسه: «أدركت بالقيروان رجالاً أملياء افتقروا، ما دخلوا فتناً ولا أغرمهم سلطان مالاً، ولكنّهم اتّجروا بالحنطة في أيام الشّدائد»[٢].

ولمّا شرع أهل القيروان في مزوالة التّجارة البحريّة، وهي أمر جديد عليهم، ألّف لهم يحيى بن عمر كتاب «أكرية السّفن»[٣] ليبيّن لهم كيف يزاولونها وفق شرع الله. وكان أهل القيروان شديدي الحرص على سلامة معاملاتهم الماليّة ومكاسبهم من الدّخن؛ ولهذا نجدهم يستفتون العلماء عنها، قال أحد التّجّار: «كنت أعمل السّلاسل من نحاس، وأطليها بماء الذّهب الذي يُجعل في اللُّجم، وأبعث بها تباع ببلد السّودان، فوقع في قلبي منها شيء، فسألت البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) فقال: ما عندي فيها علم، ولكن اذهب إلى ابن فَرُّوخ الفارسي وانظر الجواب وأخبرني؛ فذهبتُ إلى ابن فَرُّوخ فسألته فقال: أهؤلاء الذين تبعث إليهم هذه السّلاسل معاهدون؟ قلت: نعم. فقال: ما أرى هذا، وهذا غشّ»[٤].

وتنازل أحدهم عن ثورة طائلة كانت نصيبه من ميراث أبيه، فلما سئل عن ذلك قال: «كان ذلك من تجارة العاج فكرهت أن أتلبّس بشيء جاء فيه عن أهل العلم كراهية»[٥] وقد ترك النّاس السّماع من محمد بن رُشَيد لتساهله في المعاملة بالعينة[٦].

---

(١) م. ن ١/٥٠٧.
(٢) الرياض ٢/٢٩٢، المعالم ٣/٢٣.
(٣) المغرب الإسلامي ٦١.
(٤) الرياض ١/١٨٢.
(٥) م. ن ١/٤٧٩.
(٦) ط أبي العرب ١١٠.

ويظهر لنا أثر الاقتصاد في الحياة العلميّة من ناحية أخرى، وهي دخول التّجّار إلى القيروان من شتّى البلدان، ومنهم كثير من حملة العلم، مثل أبي عبدالرحمٰن المُقرىء (ت ٢١٣)، قدم وكيلاً لأحد التّجّار، وهو من ثقات رواة الحديث، وقد سمع منه أهل القيروان سنة ١٥٦ هـ[١]، كما دخلها عبدالعزيز بن يحيى المدني (ت بعد ٢٣٥) بائعاً للمسك، وقد سمع منه محمد بن سَحنون وغيره، وقد استعانوا عليه ببعض الوجهاء عندما أراد الخروج حتّى يستوعب النّاس أسمعتهم منه[٢]، ودخلها في بداية القرن الثالث أحد تجّار الكتب وباع فيها عدّة أحمال[٣].

وممّا يلاحظ في هذا الصدّد أيضاً أنّ أكثر علماء القيروان كانوا فقراء، ومع ذلك فقد حفظوا للعلم عزّته، وصانوا منزلته، فلم يتزلّفوا للحكّام، بل كانوا يتعفّفون عمّا يأتيهم من العطايا فضلاً عن أن يطلبوها، ومن ذلك أنّ إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ ـ ١٩٦) عرض مساعدة ماليّة على أحد العلماء فرفضها، فظنّ الأمير أنّه استقلها فزاد فيها حتّى بلغت خمسمائة دينار، ومع ذلك لم يقبلها، فقال له إبراهيم: «أفسدكم البربريّ ـ يعني البُهلول (لزهده) ـ والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفي. قال: فأحسست شعري قد خرج من عمامتي، ثمّ أقبلت عليه فقلت له: والله لو أدركتَه لكنتَ أهون عليه من هذا الطِّين الذي يعجن بين يديك»[٤].

وقد عوتب سَحنون على خروجه للبادية لخدمة أرضه، مع حاجة الطّلبة إليه، فقال: «تريد أن ترى كتبي في هذا الغدير؟» وأشار إلى غدير بين يديه، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أحتاج إلى دراهم هؤلاء القوم ـ يريد الملوك ـ فآخذها،

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٨١، التقريب ٤٦٢/١.

(٢) وقد تركه أهل المشرق، ووصفه أبو العرب بالحفظ. انظر: ط أبي العرب ٧٨، ١٠٠، التهذيب ٣٦٣/٦.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٣٩٥.

(٤) الرياض ٣٢٨/١.

فإذا أخذتها فارموا كتبي في هذا الغدير[1]، هـذا من سَحنون دلالة على أنّ صيانة العلم لا تكون إلّا بالاستقلال المادّي عن أرباب الحكم، ولذلك نجد علمـاء القيروان يتكسّبون من عمل أيديهم، فهذا سَحنون يفلح أرضه، وكان لابن فَرُّوخ دكّان يتّجر فيه، وكان حمديس يبيع القطن، وكان مروان بن أبي شَحْمة يصنع الطّوب بيده ويبيعه. . .[2].

وهكذ يتّضح لنا أنّ التّرابط بين الوضع الاقتصادي والعلم كان قائماً تأثّراً وتأثيراً.

(١) ن. م ٣٦٨/١.

(٢) انظر: ط أبي العرب ١١٥، الرياض ١٨٧/١، ٣٥٦، ٣٥٩.

البابُ الأوّل

أسس الحياة العلمية بالقيروان
في هذه الفترة (٥٠ ـ ٤٤٩ هـ)
وأثرها في الحديث

وفيه فصلان يتفرع كل منهما إلى مباحث ومطالب ونقاط:

ـ **الفصل الأول**: المراكز العلمية في القيروان، وأثرها في نشر الحديث وغيره من العلوم الشرعية.

ـ **الفصل الثاني**: الرحلة في طلب ونشر الحديث وغيره، وثمراتها.

تمهيد

لقد تقدّم أنّ الفتح الإسلاميّ لإفريقيَّة لم يتمّ في فترة قصيرة كما اعتاد المسلمون في فتح بلاد المشرق، فقد دام أكثر من ستّين سنة، تمخّضت بعدها إفريقيَّة للإسلام وأصبحت جزءاً من وطنه الكبير.

ولقد كان العلم ـ متمثّلاً في التّعريب والدّعوة إلى الله وتعليم أساسيّات الدّين ـ يسير جنباً إلى جنب مع التّقدّم في فتح البلاد، وإنّ كثرة ارتداد البربر وصعوبة مراسهم وطول مدّة الفتح... كلّ ذلك لم يشغل المسلمين عن الجانب العلمي، لأنّ نشر الإسلام كان هو الهدف الأسمى والأوّل لهذه الفتوحات، وإن كانت المصاعب الآنفة الذّكر قد أسهمت في تأخير تعمّق العلم وازدهاره.

وما إن تأسّست القيروان وبُني جامعها سنة ٥٠ هـ حتّى تسابق النّاس إلى بناء المساجد والكتاتيب، وجلس فيها بعض الصّحابة والتّابعين لنشر العلم بين من أسلم من أهالي البلاد، ومن استوطن القَيْرَوان من الفاتحين ومن وفد إليها، غير أنّ الذي لاحظته بالنّسبة للحديث وعلومه أنّ أثر الصّحابة في نشره بالقيروان، مع وجوده، لم يكن كأثرهم في غيرها من بلاد المشرق لارتباط مقامهم فيها بالفتح والجهاد، فلم يوجد منهم من استمرّت إقامته فيها بهدف نشر العلم[١].

وإنّ وصيّة عُقبة بن نافع (ت ٦٣) ـ مؤسّس القَيْرَوان ـ لأولاده بألّا يأخذوا

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أثر الصحابة في نشر السنّة بالقيروان في مطلع الباب الثاني.

الحديث إلاّ عن الثّقات، وألاّ يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن[1]، لتدلّ على ظهور رواية الحديث وكتابته منذ هذه الفترة المبكّرة في القيروان، مع مراعاة ضوابط الرّواية وقواعدها، وذلك في غزوة عُقبة الثّانية سنة ٦٢ هـ وكان معه خمسة وعشرون صحابياً[2].

وكان قادة الفتح يكلّفون من معهم من كبار الفقهاء والرّواة من الصّحابة والتّابعين بنشر اللّغة العربيّة ومبادىء الإسلام بين البربر، وتفقيه من أجاب منهم إلى الدّخول في الدّين[3].

وما أن انتهت الفتوح في إفريقيَّة واستقَرّ الإسلام بين البربر حتّى قدمت من المشرق دعامة عظيمة للحياة العلميّة بالقيروان، تلكم هي بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميّة سنة ٩٩ هـ[4]، وقد تكوّنت من عشرة من التّابعين الرّواة[5]، وأكثرهم من رجال الكتب السّتّة، كما سيأتي في تراجمهم، فبنوا المساجد، والكتاتيب، في القيروان، وأقبلوا على نشر العلم بها، وانتفع بهم أهل إفريقيَّة، وطال مقام بعضهم بالقيروان حتّى زاد على الثّلاثين عاماً[6]، وعلى أيديهم تخرّجت طلائع علماء القيروان، كما سيأتي.

وفي حوالي منتصف القرن الثّاني بدأت الرّحلة إلى المشرق تتكثّف لاقتباس ما عند أهله من علوم الكتاب والسّنّة، وكان أكثر إقبال أهل القيروان على محدّثي

---

(١) الشجرة ٢/١٠٠، الإصابة ٣/٨١.

(٢) البيان المغرب ١/٢٣.

(٣) انظر مثلاً: البيان المغرب ١/٤٢.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ١/٩٩، تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٦، المعالم ١/٢٠٣.

(٥) انظر: عن هؤلاء العشرة ودورهم في نشر السنة بالقيروان ما يأتي في مبحث التابعين، وأثرهم في نشر السنة بالقيروان.

(٦) منهم إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر، فقد بقي بها بين سنتي (٩٩ - ١٣١)، انظر: ترجمته رقم ١ في التابعين العشرة.

المدينة، لوفرتهم من جهة، ولكثرة تردّد القرويّين على مدنية الرسول ﷺ، وكان في المقدمة عندهم الإمام مالك بن أنس، فأقبلوا عليه واتّبعوا مذهبه، لاعتماده على الحديث، وموافقة ذلك ما في نفوسهم من التّعطّش إلى السّنّة والسّعي إلى التزام الآثار، خاصّة وأنّه المذهب الوحيد، آنذاك، الذي يعتمد على الحديث إذ لم يظهر بعد مذهبا الشّافعي وأحمد[1].

وإنّ أثر الصّحابة والتّابعين، كما سيأتي تفصيله، لواضح في تمسّك القرويّين بالسّنّة، وإقبالهم على الحديث، ونفورهم من الرّأي، وقد زاد هذا التّوجهَ رسوخاً ما شهده أهل القيروان من الحروب والفتن، التي تعرّضت لها بلادهم بسبب المبتدعة، تلك الفتن التي تسبّبت في شلّ الحركة العلميّة أكثر من ثلاثين سنة ابتداء من سنة ١٢٢[2].

وعاد المرتحلون إلى المشرق من القرويّين بعلوم جمّة، وجلس كلّ منهم في مسجده أو بيته ينشر علمه، وأقبل النّاس على الأخذ عنهم بشغف، وسرعان ما ازدهرت الحياة العلميّة، وكثر أهل العلم ابتداء من الرّبع الأخير من القرن الثّاني، وخاصّة في مجالي الفقه والحديث اللّذين عرفا بالتّلازم والارتباط كما سيأتي، ثمّ تعرّضت العلوم لبعض الفتور في عهد العُبَيديّين الرّوافض (٢٩٦ - ٣٦٢)، الذين منعوا من نشر العلم، وقاوموا السّنّة، وحرصوا على إماتتها، وضغطوا على العلماء، وما إن تخلّصت إفريقيّة منهم حتّى انطلقت العلوم من جديد، وعادت إلى قوّتها وازدهارها، إلى أن انطمست معالمها بخراب القيروان سنة ٤٤٩ هـ.

وقد قامت الحياة العلمية بالقَيْرَوان على الأسس الطّبيعيّة لاكتساب العلوم وتلقّيها وإشاعتها، والمتمثّلة أوّلاً في المساجد والكتاتيب وغيرها من المؤسّسات

---

(١) راجع ما سبق ذكره في التمهيد عن المذهب المالكي.

(٢) انظر: البيان المغرب ١/٥٢.

العلميّة الآتي ذكرها، وقد جلس فيها العلماء لنشر علوم الكتاب والسّنّة، والفتوى، والوعظ، والتّوجيه، وأقبل عليهم الطّلاّب والعامّة في رغبة وشغف وحماس للأخذ عنهم.

ثم الرّحلة التي كانت وسيلة عظيمة لاقتباس علوم المشارقة وغيرهم، ونشرها في القيروان.

ثمّ المصنّفات المختلفة التي ألّفها القرويّون، أو التي صنّفها غيرهم ودخلت إلى بلادهم، وكانت تُقرأ في المساجد ودور العلماء وقصور الرّباط...

وسأفصّل القول فيما يلي عن كلّ واحد من هذه الأسس في مبحث خاصّ به، إن شاء الله تعالى.

الفصل الأوّل

المراكز العلميّة في القَيْرَوَان وأثرها في نشر الحديث وغيره من العلوم الشرعيّة

ظهرت الحياة العلميّة بإفريقيَّة قبل تأسيس القَيْرَوان وذلك لوجود الصّحابة بها في الفتوح منذ سنة ٢٧ هـ، وهم منهل طبيعيّ لنشر علوم الكتاب والسّنّة قولاً وعملاً، غير أنّ المراكز العلميّة، متمثّلة في المساجد والكتاتيب وغيرها، لم توجد إلّا بعد إنشاء مدينة القَيْرَوان وبناء جامعها سنة ٥٠ هـ، كما مرّ، وقد ظهرت بها بعض الأنشطة العلميّة التي تركّزت وتعمّقت في مطلع القرن الثّاني للهجرة.

وسأذكر فيما يلي أشهر هذه المراكز، ودورها في نشر العلم عامّة، والحديث بصفة خاصّة بالقَيْرَوان، ثمّ أتعرّض إلى أهمّ العلوم الشّرعيّة التي ظهرت فيها.

أ ــ المراكز العلميّة:

أوّلاً: المساجد:

إن المسجد هو المؤسّسة التّعليميّة الأولى التي عرفت في الإسلام على يد الرّسول ﷺ، ثمّ الصّحابة فمن بعدهم، وقد ترجم الإمام البُخاري لبعض أبواب كتاب العلم بقوله: «ذكر العلم والفتيا في المسجد»[1]، فهو بالإضافة إلى وظيفته

(١) صحيح البخاري ١/٤٢.

العباديّة المتمثّلة في الصّلاة وغيرها يعتبر المكان الرّئيسيّ لنشر الثّقافة الإسلاميّة، فخطبة الجمعة وسيلة مستمرة للتّعليم، كما وجدت فيه الحلقات الدّراسيّة منذ نشأته[1]، فقد كان الرّسول ﷺ يعلّم أصحابه في مسجده[2]، ويبلّغهم الوحي، ويسمعهم الحديث، وإذا جدّ أمر جمعهم فيه، وخطب فيهم، فكانوا يتحلّقون حوله في المسجد بشغف منقطع النّظير يَعُون أقواله، ويترجمونها إلى سلوك يلتزمونه، وآداب يعيشونها ويُبلِّغ حاضرهم من غاب في بعض شئونه[3]، كما كان يفد عليه الغرباء فيعلّمهم في مسجده، وربما قطع خطبته من أجل تعليم غريب جاء يسأل عن دينه[4].

وبعد وفاة الرّسول ﷺ انتشر الصّحابة في الأمصار معلّمين، وساروا على خطى الرّسول ﷺ، والتزموا هديه، فأنشأوا المساجد لتعليم النّاس ونشر علوم الكتاب والسُّنّة[5] في مختلف حواضر العالم الإسلامي، ثمّ نسج التّابعون على منوالهم في ذلك وجرى العمل به، ولم يكن للسّلف مدارس على الطّريقة التي عرفت في القرون المتأخرة، وإنّما كان المسجد هو المركز الأساسي الذي يقصده طالب العلم، وناشره، فكانت المساجد تستقطب عدداً «ليس بالقليل للرّواية أو الدّراية، والاستفادة فيما يعرض لهم من قضايا ومشكلات، تتّصل بشؤون حياتهم المتعلقة بالدنيا والآخرة.

وقد اتّسمت هذه المؤسّسات بالظّاهرة العلميّة من عهد الرّسول ﷺ، واشتهرت بالمدينة والشّام والعراق ومصر، ولعبت دوراً جليلاً بإفريقيَّة أيضاً، في

---

(١) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ١٠٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ١/٢٤.

(٣) انظر: ن. م كتاب العلم باب التناوب في العلم ١/٣١.

(٤) انظر: صحيح مسلم كتاب الجمعة باب التعليم في الجمعة ٢/٥٩٧/٦٠، وراجع الروض الأنف ٢٢١.

(٥) انظر: شجرة النور ١/٤٤، وانظر: سيرة ابن هشام ٤/١٤٤٦.

القيروان والمَهْدِيَّة وتونُس»[1]، واستمرّ الأمر على ذلك حتّى ظهرت المدارس فزاحمت المسجد في دوره التّعليميّ، وقلّصته لانتقال كثير من الحلقات العلميّة إليها.

وكانت المساجد أوّلَ ما يهتمّ المسلمون ببنائه في البلاد التي يفتحونها، أو المدن التي يؤسّسونها[2]، ولذلك كان أوّل عمل قام به عُقبة بن نافع الفِهْرِيّ (ت ٦٣) عندما اختطّ مدينة القَيْرَوان سنة ٥٠ هـ هو بناء جامعها الأعظم، بمشاركة جماعة كثيرة من الصّحابة رضوان الله عليهم[3]، ثمّ شرع النّاس في بناء المساجد[4] للعبادة والتّعليم.

فقد بنى التّابعون كثيراً من المساجد، كما سيأتي، وهكذا كلّ جيل، كان ينشىء علماؤه وأفاضل أغنيائه المساجد، حتّى زخرت بها مدينة القيروان، وبلغ عددها في عصور ازدهارها ثلاثمائة مسجد[5] من أشهرها:

- الجامع الذي بناه عُقبة بن نافع ومن معه من الصّحابة والتّابعين سنة ٥٠ هـ[6]، ويعرف بالجامع الأعظم بالقَيْرَوان، وهو أوّل معهد للإسلام بإفريقيَّة، والكُلّيّة الوحيدة بها في عهودها الأولى[7]، وكان عدد أعمدته كعدد أيّام السّنة[8]، وبقبلته احتذى أهل إفريقيَّة والمغرب والأندلس عند بناء مساجدهم[9].

---

(١) الحياة الثقافية ص ٣٩، النشرة العلمية للكلية الزيتونية ٤/٤/٧٦ - ٧٧.
(٢) انظر مثلاً: دراسات في لعمارة ٣٨، ٤٤، ٥٠، ٥٥، ٦٠، ٦١، ٦٥.
(٣) انظر: الرياض ١/١٢، ط أبي العرب ٢٨، المعالم ١/١٠.
(٤) انظر: الرياض ١/١٣. (٥) انظر: بساط العقيق ١٧.
(٦) انظر: حسن البيان ١٨٢، مسالك البكري ٢٢، المغرب الكبير ٢/٤٢٢.
(٧) انظر: الشجرة ١/٤٤١، بساط العقيق ١٧.
(٨) المعالم ٢/٢٥٢.
(٩) الرياض ١/١٣، المعالم ١/٨١.

ـ مسجد الأنصار: يقال أنّه أنشىء قبل اختطاط القَيْرَوان على يد الصّحابي رُوَيفع بن ثابت الأنصاري سنة ٤٧ هـ[١].

ـ مسجد الزّيتونة، وهو مسجد كبير أسّسه التّابعي إسماعيل بن عُبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله، وذلك سنة ٩١ هـ[٢]، أقول: وقد رأيت هذا المسجد لا يزال قائماً يؤمّه النّاس لأداء الصلاة.

ـ مسجد أبي ميسرة[٣]، وقد بناه أحد التّابعين في نهاية القرن الأوّل، وإنّما ينسب إلى أبي مَيْسَرة أحمد بن نِزَار الفقيه (ت ٣٣٧)، ولا يزال موجوداً بالقَيْرَوان حتّى الآن.

ـ مسجد حَنَش الصّنعاني التّابعي (ت ١٠٠)[٤]، وكان قد بناه لعبادته ومجالسه العلميّة.

ـ مسجد أبي عبدالرحمٰن عبدالله بن يزيد الحُبُلِيّ (ت ١٠٠)[٥]، وكان ينشر فيه العلم.

ـ مسجد عُلَيّ بن رباح اللَّخْمِيّ (ت حوالي ١١٤)[٦]، وقد بثّ من خلاله علما كثيراً، كما سيأتي.

ـ مسجد السّبت، وكان يجتمع فيه الصُّلحاء، والقُرّاء، والحفّاظ، فيكون فيه خير كثير كلّ يوم سبت من أوّل النّهار إلى الزّوال ١٠ .

(١) المعالم ١/٢٧، وستأتي ترجمته في الصحابة.

(٢) انظر: الرياض ١/١٠٧، ١٠٩، وانظر: ترجمة إسماعيل رقم ١ في التابعين الذين سكنوا القيروان غير العشرة.

(٣) المعالم ١/٣٠، وانظر: ترجمة أبي ميسرة في الرياض ٢/٣٦١.

(٤) الرياض ١/١٢١، المعالم ١/٣١، وانظر: ترجمة حنش رقم ٢ في التابعين غير العشرة.

(٥) المعالم ١/٣٠، وانظر: ترجمة الحلبي رقم ٩ في التابعين العشرة.

(٦) الرياض ١/١١٩، وانظر: ترجمة عُلي رقم ٩ في التابعين غير العشرة.

(٧) المعالم ١/٣١، وانظر: الرياض ١/٤٧١، ٤٩٣.

ـ مسجد الخميس، يجمع فيه الصّلحاء والقرّاء وأهل الخير، كلّ يوم خميس من العصر إلى اللّيل[1]. وغيرها.

وهناك كثير من المساجد عُرفت بأسماء الشّيوخ الذين يتولّون التّدريس فيها، مثل: مسجد ابن سَحنون، ومسجد البُهلول بن راشد، ومسجد يحيى بن عمر[2]، وغيرها.

وقد قامت هذه المساجد بالدَّور الأكبر في نشر العلوم بالقَيْرَوان، وعلى رأسها الفقه والحديث، وفي رحابها عقدت المجالس العلميّة، وانتصبت الحلقات الدّراسية التي رُويت فيها المصنّفات، وقرئت على كبار العلماء، وتلقّاها الطّلاب من سائر بلاد إفريقيَّة والمغرب والأندلس، كما سيأتي تفصيله في مواضع متعدّدة.

وكان الحظّ الأوفر في ذلك من نصيب جامع عُقبة، الذي أحسبُ أنّ التّدريس فيه قد بدأ على عهد الصّحابة، بعد تأسيسه مباشرة في غزوة عُقبة الأولى، التي استمرت لمدّة خمس سنوات كاملة (٥٠ ـ ٥٥)، كان أهمّ عمل للمسلمين فيها هو اختطاط المدينة، ولم تقع أثناءها غزوات كبيرة تتطلّب غياباً طويلاً عن القَيْرَوان، وقد سكن النّاس واستقرّوا[3]، وذلك يستلزم أنّ الصّحابة الثّمانية عشر[4]، الذين كانوا مع عُقبة، قد جلسوا في الجامع لنشر علوم الكتاب والسُّنّة، وتعليم مبادىء الإسلام لمن أسلم من البربر.

أمّا غزوة عُقبة الثّانية، سنة ٦٢ هـ، فقد ثبتت فيها رواية الحديث، حيث ورد أنّ عُقبة أوصى أولاده ـ والمسلمين من ورائهم باعتباره قائد الجيش ـ بعدم رواية الحديث إلاّ عن الثّقات، وعدم كتابة ما يشغلهم عن القرآن[5]، ولا شكّ أنّ

(١) المعالم ١/٣٢، وانظر: الرياض ٢/١٣٧.

(٢) انظر: الرياض ١/٤٣٦، ٢٠٧، ٤٩٤.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٨، الرياض ١/١٣.

(٤) البيان المغرب ١/٢٠.

(٥) انظر: الشجرة ٢/١٠٠، الرياض ١/٣٤، المعالم ١/٤٨. الإصابة ٣/٨١.

انتشار رواية الحديث والتّفكير في كتابة ما يُروى هو الذي دعا عُقبة لإعلان هذه الوصيَّة، وخير مكان يقع فيه ذلك هو المسجد الجامع، وممّا يؤكده أنّ القيروان كانت في هذه الفترة قد شهدت نوعاً من الاستقرار، بعد أن مضى على بداية تأسيسها قرابة اثني عشر عاماً، وقد سكنها النّاس وبدأوا يعيشون حياة طبيعيّة، ومن لوازم ذلك أنّ الصحابة الذين كانوا موجودين آنذاك وهم خمسة وعشرون رجلاً[1]، قد جلسوا في جامع القيروان لرواية السُّنّة وتعليم مبادىء الإسلام لمن أسلم من البربر.

أمّا في عهد التّابعين فقد زادت الرّسالة العلميّة للمسجد الجامع، واتّسعت عن ذي قبل، فكان حافلاً بالمجالس العلميّة، لوفرة من كان بالقيروان من التّابعين واهتمامهم بالرّواية[2].

وقد ثبت أنّ عِكْرِمة مولى ابن عبّاس لم يدخل إفريقيَّة غازياً، وإنّما دخلها لنشر العلم، وكان قد نشر علمه من حديث وتفسير في جامع عُقبة، وله مجلس معروف في مؤخرّةِ الجامع يقصده الطّلاّب فيه[3].

كما كان لكثير من التّابعين مساجد عُرفت بنسبتها إليهم[4]؛ لأنّهم كانوا يجلسون فيها لنشر العلم، وخاصّة أعضاء البعثة العلميّة التي أرسلها عمر بن عبدالعزيز لتفقيه أهل القيروان، فإنّ كلّ واحد منهم قد بنى مسجداً قام بنشر علمه من خلاله، عن طريق مجالسه العلميّة[5].

وممّا يصوّر دور جامع عُقبة التّعليمي في حوالي العقد الرّابع من القرن الثّاني قول المالكي: «قدم وزير للخليفة، فدخل المسجد الأعظم فرأى حلقة

---

(١) ط أبي العرب ١٧، الرياض ١/١٠.
(٢) انظر: مبحث التابعين وأثرهم في نشر السنة بالقيروان.
(٣) انظر: ط أبي العرب ١٩، الرياض ١/١٤٦.
(٤) انظر مثلاً: الرياض ١/١٠٧، ١٠٩، ١٢١، ١٢٩.
(٥) انظر: ورقات ١/٧٨.

عظيمة، وفيها شابّ، كلّما اختلف اثنان ممّن حضر الحلقة رجعا إليه وصدرا عن رأيه . . . »[1].

غير أنّ جامع عُقبة لم يقتصر على استقطاب علماء أهل السُّنّة، وخاصّة في عهود الأغالبة الأولى، وإنّما كان يجتمع فيه المخالفون أيضاً، فكانت فيه حلقات المبتدعة من الصُّفْرِيَّة والإِبَاضِيَّة والمعتزلة يتناظرون فيه، ويظهرون ضلالاتهم، ولم يكن للدّولة اهتمام بمراقبتهم، واستمرّت حلقاتهم في الجامع إلى أن تولّى سَحنون القضاء سنة ٢٣٤ هـ، فطهّر جامع عُقبة من حِلق المبتدعة، ومنع من لم يكن سُنّيّاً من التّدريس فيه.

فقد ذكرت المصادر أنّه «أوّل القضاة فرّق حِلق أهل البدع، وشرّد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حِلَقاً من الصُّفْرِيَّة، والإِبَاضِيَّة، والمعتزلة، يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم، وعزلهم أن يكونوا أئمّة للنّاس أو معلّمين لصبيانهم أو مؤذّنين»[2].

وبذلك تمحّض جامع عُقبة لأهل السُّنّة ينشرون فيه علومهم، «وكانت الحلقة (فيه) مكتظّة من سائر أنحاء إفريقيّة، والمغرب، والأندلس، وحتّى من السّودان الغربي، على نمط ما نعرفه في الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزّيتونة بتونُس، والقرويّين بفاس. . . »[3].

ومن نماذج هذه الحلقات حلقة يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)، التي كانت عظيمة العدد حافلة بالطّلّاب، إلى درجة أنّه كان يَنصب كرسيّاً يجلس عليه؛ ليتمكن من بَعُد من السّماع، ومع ذلك لم يصل صوته إلى كثير منهم؛ لبعدهم،

---

(١) الرياض ١/١٧٢، تاريخ قضاة القيروان خط ص ٣.
(٢) المدارك ١/٦٠٠، ط أبي العرب ١٠٢، المعالم ٢/٨٧.
(٣) ورقات ١/١٠٧.

فسألوه عن سماعهم فقال: «يجزئهم»[1]، وكذا حلقة مُسافر بن سِنان، قال البُهلول بن راشد (ت ١٨٣): «وكنت أمرّ على مُسافر بن سِنَان في المسجد الجامع وهو يُذكّر النّاس ويعظهم، وقوم من القرّاء يقرأون»[2].

وكانت المساجد الخاصّة أيضاً حافلة بالمجالس العلميَّة، مُدعِّمَة لدور جامع عُقبة، فقد كان لسَحنون (ت ٢٤٠) مجلس حفيل في مسجده[3]، وكذا كان ابنه محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) يعلم أصحابه في مسجده[4]، وعون بن يوسف الخُزَاعي (ت ٢٣٩)[5]، وغيرهم.

وهكذا كانت المادّة العلميّة التي تلقى في المساجد شاملة لتحفيظ القرآن الكريم، وتلاوته، ورواية الحديث، وإلقاء المواعظ...

وممّا تجدر الإشارة إليه الدّور التّربويّ والتّعليميّ الذي قام به مسجد السّبت[6]؛ فإنّه كان يجتمع فيه العلماء، والصّلحاء، والعُبّاد، كلّ يوم سبت، من أوّل النّهار إلى الزّوال، ويحضره جمع غفير من النّاس، وكانوا في العهود الأولى يقرءون فيه الرّقائق، من الآيات والأحاديث المذكّرة بالآخرة، فلما طال الأمد أصبحت الأشعار المرغّبة في الزّهد ونحوه أكثر ما يقرأ فيه، وكان أثر ما يلقى فيه من الوعظ يبقى إلى الأسبوع الموالي، وأكثر مشيخة القيروان يرون جواز حضوره حتّى في حالته الثّانية، ولكن نهى عن ذلك ثلاثة من كبار العلماء يرون أنّ ذلك من فعل المبتدعة، وهم: يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)، وقد ألّف كتاباً في النّهي عن حضوره، وأبو الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)، وأبو عِمران الفاسي (ت ٤٣٠).

---

(١) انظر: المعالم ٢/٢٣٥، الرياض ١/٤٩٣، اللسان ٦/٢٧٠.
(٢) الرياض ١/١٩٩.
(٣) انظر: الرياض ١/٣٧٠، المعالم ٢/٩٨.
(٤) انظر: الرياض ١/٤٣٦.
(٥) انظر: الرياض ١/٣٧٥.
(٦) انظر: المدارك ٣/٢٣٧، المعالم ٢/١١٤، ٣/٢٤، الرياض ١/٤٧١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٢/٢١٥، ٢٨٦.

واستمر هذا الدّور التّعليمي للمساجد، تُروى فيها المصنّفات الحديثيّة وغيرها إلى أن احتل العُبَيديّون الرّوافض إفريقيَّة، وحكموا البلاد سنة ٢٩٦ هـ، فمنعوا العلماء من التّدريس في المساجد، وحرّموا عليهم نشر العلم، والاجتماع بالطّلبة[1]، وحبسوهم في بيوتهم ومن ضبط متلبّساً بشيء من ذلك أُخذ وعُذّب، ونتج عن ذلك خلوّ المساجد وإقفارها من النّشاط العلميّ، فكان الطّلبة يقصدون العلماء في دورهم، في غاية الحذر والحيطة، وكان السُّنّة في القيروان على عهدهم تعرض وتقرأ سرّاً في البيوت[2].

وإذن فإنّ الحياة العلميّة لم تتوقّف، فقد استعاض العلماء عن المساجد بالدّور وغيرها من المراكز، حيث قاموا بنشر السّنّة من خلالها، مدفوعين بإيمانهم القويّ بصحّة ما هم عليه من الحقّ، وتيقّنهم بما عليه الرّوافض من الزّيغ والضّلال.

وما أن انزاح كابوس العُبَيديّين، وتركوا إفريقيَّة سنة ٣٦٢ هـ، حتّى عادت الحياة إلى المساجد، وانتصب فيها العلماء للتّدريس من جديد، فعرفت الحياة العلميّة بسبب ذلك ما لم يسبق لها أن شهدت مثله في تاريخ القَيْرَوان، ودام الأمر على ذلك إلى أن خرّبها الأعراب سنة ٤٤٩ هـ.

وهكذا فقد كان للمساجد أبعد الأثر في نشر العلم بالقَيْرَوان، وتخريج أفواج من العلماء، قاموا بنشر السُّنّة، والمنافحة عنها، ووضع المصنّفات في ذلك.

ثانياً: المكاتب:

«المكاتب» جمع مكتب وهو موضع التّعليم[3] للصّبيان كما هو معتاد، ويقال أيضاً «الكُتَّاب»، والأوّل أفصح، وإن كنت قد أستعمل الثّاني أيضاً لشهرته.

---

(١) انظر: المدارك ١٢١/٥، الفكر السّامي ١٤٨/٢.

(٢) انظر: ط الخشني ١٩٥، تاريخ ابن الفرضي ١٥٣/١، ٢٠١، الفكر السامي ١٤٨/٢، المدارك ١٢١/٥، المعالم ٢٥/٣.

(٣) القاموس المحيط ١٢١/١.

والمكتب هو المؤسّسة التّعليميّة الثّانية التي عرفها المسلمون، وخصّصوها لتعليم الأطفال، فكانت تقوم بالدَّور الذي تلعبه المدارس الابتدائيّة في العصر الحاضر.

وقد وجدت دور تعليم الصّبيان منذ عهد النّبيّ ﷺ، فقد جاء الأمر بإبعاد الأطفال عن المساجد لعدم احترازهم من النّجاسات، حيث رُوي أنّ الرّسول ﷺ قال: «جَنِّبوا مساجدكم صبيانكم»[1]، وثبت تعليم الصّبيان على العهد النّبويّ، فقد ترجم البُخاري لبعض أبواب صحيحة بقوله: باب تعليم الصّبيان القرآن، وروى بسنده إلى عبدالله بن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: «توفّي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد جمعت المحكم»[2]. فإذا جمعنا بين الأمرين اقتضى ذلك وجود دور مخصّصة لذلك في عهد الرّسول ﷺ، ويرى بعضهم أنّ تعليم الصّبيان في العهد النّبوي كان يتمّ في حوانيت في أطراف الأسواق[3]، وقد جعل الرّسول ﷺ، فداء بعض أسرى بدر «أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة»[4]. ولا شك أنّه اتّخذ لهم موضعاً يقومون فيه بهذه المهمّة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من طريق واثلة بن الأسقع في أبواب المساجد، باب ما يكره في المساجد ١/٢٥٣/٧٥٦، وكذا الطبراني في الكبير من هذا الطريق ٥٧/٢٤، كما أخرجه الطبراني أيضاً في مراسيل معاذ بن جبل ١٧٣/٢٠، والحديث ضعيف، فإن طريق واثلة فيه عتبة بن يقظان وهو ضعيف كما في التقريب ٢/٤، وأبو سعيد الشامي وهو مجهول (التقريب ٢/٤٢٨)، أما طريق معاذ فهو منقطع؛ لأن مكحولاً لم يسمع من معاذ كما في مجمع الزوائد وكذلك فإني لم أعثر عليه في تلاميذ معاذ، ولم أعثر على معاذ في شيوخ مكحول. انظر: تهذيب الكمال ١٣٣٨/٣، ١٣٦٩، وقد ضعف هذا الحديث الهيثمي أيضاً (مجمع الزوائد ٢/٢٥، ٢٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل تعليم الصبيان القرآن ١١٠/٦.

(٣) انظر: الحياة الاجتماعية في القيروان ٣٨نقلاً عن نهاية الرتبة ١٠٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢٤٧/١، وانظر: الروض الأنف ٨٤/٣، وهو حديث حسن، فإن رجاله في المسند ثقات إلا علي بن عاصم فقد اختلف فيه وأخذوا عليه أحاديث غلط فيها وسائر حديثه مستقيم إن شاء الله، انظر: التقريب ٣٦٦/٢، التهذيب ٣٤٤/٧.

أمّا في عهد الصّحابة فقد شاع أمر المكاتب وانتشر[1]، وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، «. . . ولا بدّ للنّاس من معلّم يعلّم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجراً، ولولا ذلك لكان النّاس أمّيين»[2]، ولمّا تفرّق الصّحابة في الأمصار أسّسوا المكاتب لتعليم أطفال المسلمين، ثمّ تبعهم النّاس في ذلك، قال ابن خلدون: «اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين، أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم»[3].

وقد وُجدت المكاتب في القيروان منذ عهد مبكّر؛ فإنّ الذين أسّسوا المدينة من الصّحابة والتّابعين كان معظمهم يصطحب عياله[4]، ومن البَدَهِي أنّهم اهتمّوا بتعليمهم، وتعليم أبناء مسلمي البربر، وخصّصوا مجلّات لذلك.

وقد ثبت قدم وجود المكاتب في القيروان بالخبر الذي نقله المالكيّ عن أبي الحسن الدَّارقُطْنِيّ[5] بسنده إلى غِيَاث بن أبي شَبِيب قال: «كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمرّ بنا ونحن غلمة بِالقَيْرَوان، فيسلّم علينا، ونحن في الكُتَّاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه»[6]، وقد دخل سفيان بن وهب

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب الديات، باب من استعان عبداً ٨/٤٦، آداب المعلمين ٨٦.

(٢) آداب المعلمين ٨٢.

(٣) المقدمة ٥٣٧، وانظر: أقوال بعض السلف في ذلك في سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ٢/٥١٦/٤١٤٣، سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن ٢/٤٣٩.

(٤) انظر: مقدمة آداب المعلمين ح ح ع ٣٣.

(٥) لا يوجد في سنن الدارقطني.

(٦) انظر عن غِيَاث: التاريخ الكبير ٧/١٠٩، الجرح والتعديل ٧/٥٧. والحديث في: الرياض ١/٩١، وانظر: التاريخ الكبير ٤/٨٧، تعجيل المنفعة ١٥٦، الاستيعاب ٢/٦٦، أسد الغابة ٢/٣٢٣، المعالم ١/١٥١، ولم يسنده غير البخاري في التاريخ الكبير حيث لم أعثر على سند الدارقطني، والحديث بإسناد البخاري في التاريخ حسن، فإن رجاله ثقات إلا الحكم بن المبارك فإنه مع توثيقه قد يهم، انظر عنه: التهذيب ٢/٤٣٨، التقريب ١/١٩٢.

القيروان مرّتين: سنة ٦٠ هـ وسنة ٧٨ هـ[١]، فهذا يؤكّد أنّ الكتاتيب قد شاعت وانتشرت في القيروان بعد تأسيسها بزمن يسير، وهو أمر عاديّ بالنّظر إلى اهتمام الإسلام بالعلم وبتربية النّشء وتزويدهم بالثّقافة الإسلاميّة، وبتعليم فرائض الدّين.

وأخذت المكاتب تنتشر شيئاً فيشئاً في القَيْرَوان مع اتّساع المدينة، وازدياد عمرانها ومساجدها؛ إذ إنّ المكاتب عادة ما تكون ملحقة إلى جانب المساجد في إفريقيَّة[٢].

وكان لبعثة عمر بن عبدالعزيز العلميَّة دور هام في إنشاء هذه المكاتب والقيام عليها، فقد اختطّ كلّ منهم داراً لسكناه، ومسجداً لعبادته ومجالسه العلميّة، وكُتَّاباً لتحفيظ القرآن وتلقين مبادىء العربيّة لأطفال المسلمين[٣]، وقد كان لبعض أفراد البعثة سابقة خبرة في تأديب الأطفال وتعليمهم، فهذا إسماعيل بن عُبَيد الله بن أبي المُهاجر (ت ١٣١) كان يؤدّب أولاد عبدالملك بن مروان، ويعلّمهم القرآن والعربيّة قبل قدومه إلى القَيْرَوان[٤].

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العشرة، وإنّما كانت لكثير من التّابعين غيرهم مساجدهم وكتاتيبهم، يبثّون العلم في القَيْرَوان من خلالها[٥].

وإنّ انتشار الكتاتيب بإفريقيَّة هو السّرّ في سرعة انتشار التّعريب بين البربر وسيره جنباً إلى جنب مع الفتح، حتّى وجد منهم من أجاد نظم الشّعر على رأس المائة الأولى للهجرة[٦].

---

(١) الرياض ٩١/١، وانظر: ترجمة سفيان رقم ١٨ في الصحابة.
(٢) انظر: ورقات ٩٤/١.
(٣) انظر: ورقات ٧٨/١.
(٤) انظر: تهذيب ابن عساكر ٣١١/٢.
(٥) انظر مثلاً: الرياض ١٠٧/١، ١٠٩، ١٢١، ١٢٩.
(٦) انظر: المغرب العربي تاريخه وثقافته ٥١.

ولم يكن في القَيْرَوان شارع أو حارة إلّا وقد وجد فيها مكتب أو أكثر، بل إنّها وجدت في قصور الأمراء أيضاً[1]، وكان بعض الموسرين يخصّصون المعلّمين لصبيانهم[2]، وإذا علمنا أنّ مدينة «بَلَرْم» (عاصمة صِقِلِّيَّة) وحدها قد وجد فيها أكثر من ثلاثمائة مكتب لتعليم الصّبيان[3] أمكن لنا أن نتصوّر عدد المكاتب الذي اشتملت عليه القَيْرَوان، عاصمة إفريقيَّة، وهي المدينة التي توسّع عمرانها واستبحر حتّى إن «بَلَرْم» لتوازي بعض قراها.

وقد نسجت بقيّة مدن إفريقيَّة وقراها على منوال القَيْرَوان في الاهتمام ببناء المكاتب لتعليم أطفال المسلمين، من ذلك أنّ أسد بن الفُرات قد علّم القرآن في بعض قرى إفريقيَّة قبل أن يرحل إلى المشرق في طلب العلم[4]، غير أنّ هناك بعض الجهات النّائية التي لم تحظ بذلك في العهود الأولى، ممّا جعل أهلها يبذلون جهوداً ذاتيّة لتعلّم القرآن، ومن نماذج ذلك ما فعله عُمر بن يَمَكْتَن (كان حياً سنة ١٤٠ هـ) الذي كان يخرج إلى الطّريق، فيتلقّى القادمين من المشرق فيكتب عنهم نصيباً من القرآن، ثمّ يعود إلى منزله فيحفظه، ثمّ يعود ثانية فيكتب قسطاً آخر، وهكذا إلى أن أتمّ حفظ القرآن، ثمّ اتّخذ لنفسه مكتباً يعلم فيه القرآن ببعض قرى جبل نَفُّوسَة[5].

وكان العلماء وصالح الأمراء يشعرون بقيمة المكاتب وأهمّيّتها في تربية النّشء وتعليمه، فكانوا يشجّعون المعلّمين بالعطايا، ويعطفون على الصّبيان، فهذا عبدالله بن عمر بن غانم القاضي الفقيه المحدّث (ت ١٩٠)[6] يصل مؤدّب

---

(١) انظر: ط الخشني ١٣٠، الرياض ٢/٣١٧.
(٢) انظر مثلاً: المدارك ٣/٤٩٨.
(٣) انظر: ورقات ١/٩٠، الحياة الاجتماعية ٤٠ نقلاً من مسالك ابن حوقل ٨٧.
(٤) انظر: الرياض ١/٢٥٥، وانظر: ترجمة أسد رقم ٤ في المحدثين.
(٥) انظر: ورقات ١/٨١، القراءات بإفريقية ٤٣، نقلاً عن سير الشماخي ١٤٢.
(٦) انظر: ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

ابنه بحوالي عشرين ديناراً حين أتمّ حفظ سورة الفاتحة وتعلّم هجاءها، فلمّا استغرب المؤدّب من صنيعه قال له ابن غانم: «أتدري ما علّمته؟ كلّ حرف منها خير من الدّنيا وما فيها»[1]، وكان أمراء بني الأغلب يعطون المعلّمين والقُرّاء الأموال الطّائلة[2]، وكان هاشم بن مَسْرُور (ت ٣٠٧) إذا جاء وقت الفاكهة يدور على مكاتب القَيْرَوان فيطعم الصّبيان الفاكهة، ويدهن رؤوسهم، ويقبّل بين أعينهم[3].

وقد استمرّت الكتاتيب في القيام بدورها التّعليميّ حتّى في عهد بني عُبيد، وممّن كان يدرّس بها في عهدهم أبو إسحاق الجِبِنْيَانيّ (ت ٣٩٩)[4].

وإنّ شيوع المكاتب بإفريقيّة وأهمّيّة دورها التّعليميّ هو الذي دفع محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، ومن بعده علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣) إلى التّأليف في ذلك، والاعتناء بوضع قواعد وطرق لهذا التّعليم، وتحديد مواصفات المعلّم وواجباته، والمواد التي يجب أن يعلّمها للصّبيان وحدود تأديبهم...[5].

وممّا ينبغي لفت الانتباه إليه أنّ طلّاب المكاتب بإفريقيّة كانوا يتلقّون الحديث الشّريف[6]، ويتعلّمون السُّنن[7]، بالإضافة إلى حفظ القرآن، وتعلّم إعرابه، وترتيله، والشّكل، والهجاء، والخطّ الحسن، والدّعاء، والتدرّب على الخطابة، وتعلّم الوضوء، والصّلاة...[8] وممّا يبيّن ما كان عليه مستوى التّعليم

(١) المعالم ٣٠٥/١، الرياض ٢١٨/١.
(٢) انظر: الرياض ٤١١/١، مقدمة آداب المعلمين ٣٧.
(٣) الرياض ١٤٥/٢.
(٤) انظر: مناقب أبي إسحاق ٢٦، المدارك ٥١٦/٣.
(٥) انظر: التعريف بكتاب آداب المعلمين في المصنفات.
(٦) انظر: مقدمة ابن خلدون ٥٣٨.
(٧) انظر: آداب المعلمين ١١٠، ١١٢.
(٨) انظر: آداب المعلمين ١٠٢، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٢.

في الكُتَّاب بإفريقيَّة أنّ رسالة ابن أبي زيد القَيْرَوان وُضعت من أجل أن تُدرَّس في المكاتب، ويتعلّمها الأطفال كما يتعلّمون حروف القرآن[1]، كما كان صبيان المكاتب يستعيرون كتب الشّعر والغريب وأخبار العرب ويدرسون فيها[2].

وهكذا تكون المكاتب قد أدّت دوراً في نشر رواية الحديث ودرايته، ضمن ما قامت به من تعليم النّشء الأسس العلميّة والتّربويّة، وتزويدهم بتكوين متكامل، وتهيئتهم للانتقال إلى المساجد في مستوى علمّي أعلى، حيث يتلقّون عن الشّيوخ، ويترقّون في مدارج العلوم المختلفة.

ثالثاً: المكتبات:

يعتبر الكِتَاب من أهم الركائز العملية التّعليميّة، خاصّة في العلوم النّقليّة، كما أنّ التّأليف هو الثّمرة الطبيعيّة لازدهار العلوم، وصيانة نصوص الشّرع وفقهه، من كتاب وسُنّة، وأقوال السّلف، ولذا فإن توفير نسخ من القرآن الكريم ومن كتب السُّنَّة والفقه وغيرها، وصيانتها من التّلف، وتسهيل عمليّة الاطّلاع عليها وتنظيمها من أخصّ لوازم ذلك حتّى يمكن الاستفادة منها في الدّراسة والمذاكرة، والرّجوع إليها عند الحاجة، وإلاّ كان تصنيفها ضرباً من العبث، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء المكتبات لحفظ الكتب وتوفيرها وصيانتها من الضّياع، وتسهيل الاستفادة منها، فكان ذلك من أولى اهتمامات المشتغلين بالعلم، ولم يقتصر دَوْر المكتبة على ما تقدّم ذكره، بل كثيراً ما تكون موضعاً للتّدريس، أو المناظرة، أو المذاكرة، أو مقابلة الكتب وتصحيحها، بل ونسخها أيضاً، حيث لم تكن الطّباعة قد عرفت بعد.

وقد وجد بالقَيْرَوان في عصور حضارتها ثلاثة أنواع من المكتبات هي: المكتبات العامّة، والمكتبات الخاصّة، والمكتبات التّجاريّة.

---

(1) انظر: المعالم ٣/١١١.

(2) انظر: نكت الهيمان ١٨٤.

١ ـ المكتبـات العامّـة:

وهي المكتبات الملحقة بالمساجد، غالباً، لتكون في متناول من يطلبها من الدّارسين[1] كما امتازت إفريقيّة بنوع آخر من المكتبات العامّة، وهي المكتبات الملحقة بقصور الرّباط[2]، وسيأتي الحديث عنها عند الكلام على العلم في قصور الرّباط.

والمكتبة العامّة التي عُرفت واشتهرت بالقَيْرَوان هي مكتبة جامع عُقبة بن نافع، الموجودة بالمقصورة الأغلبية قِبْلِيّ بيت الصّلاة[3]، وقد أنشئت هذه المكتبة تدريجيّاً ابتداء من أوّل القرن الثّالث على عهد الأغالبة، عندما ازدهرت الحياة العلميّة في زمن سَحنون وتمحّض الجامع لدراسة الفكر السُّنّيّ كما أشرت من قبل، قال صاحب الحلل: «وفيها كتب مُحَبَّسة ـ أي موقوفة ـ قديمة التّاريخ من عهد سَحنون (ت ٢٤٠) وقبله منها: موطّأ ابن القاسم وغيره»[4]، وأقدم ما يوجد بها الآن هو المصحف الذي حبّسته «فضل» مولاة أبي أيّوب أحمد بن محمد في محرّم سنة ٢٩٥ هـ[5].

ويعتبر التَّحبيس هو المورد الأساسي لهذه المكتبة، ويكون من قبل العلماء والأمراء والأثرياء، ويتمّ التّحبيس غالباً على أيدي القضاة[6]، ويكون وقفاً على طلبة

---

(١) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ١٨١.
(٢) انظر: ورقات ١/٣٣٩.
(٣) المكتبة الأثرية ٨.
(٤) المحلل السندسية ١/١/٢٦١، برنامج المكتبة العبدلية المقدمة «ت»، واعتبر شَبّوح أن تاريخ المكتبة يعود إلى أواسط القرن الثالث (سجل قديم ٣٣٩)، وذكر ح ح ع أنها أنشئت في عهد الأغالبة (ورقات ١/١١٤)، وقد أغرب النيال حين ذكر أن بداية حفظ الكتب في هذه المكتبة كان سنة ٤١٠ هـ (المكتبة الأثرية ٨).
(٥) المكتبة الأثرية ١٤، سجل قديم ٣٣٩.
(٦) انظر: المكتبة الأثرية ١٤، شهيرات ٨٠، ٨٢.

العلم، عموماً، أو على من يقول بقول مالك وأصحابه، أو حُبُس على جماعة العلم من المسلمين وحرام من الله ورسوله على من باعه أو رهنه. . .»[1].

وقد ضَعُف توقيف الكتب على مكتبة جامع عُقبة في عهد بين عُبَيد، لمنعهم من نشر علوم السُّنَّة، وتضييقهم على أهلها، ومتابعتهم لمصنَّفات أهل السُّنَّة بالاغتصاب والإتلاف، فلمّا غادروا إفريقيَّة، وعادت الحياة العلميَّة إلى سالف مجدها، كثر الاهتمام بمكتبة الجامع، وتكثّف التّحبيس عليها؛ لتوافر الأسباب الدّاعية إلى ذلك، من ازدهار العلوم، وكثرة الثّراء، ونشاط استيراد الكتب، مع ما انضاف إلى ذلك من الأمن والاستقرار، ومن ذلك ما حبَّسه الشّيخ أبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِيّ خاتمة علماء القيروان (ت ٤٦٢) وكان محدّثاً فقيهاً مقرئاً[2]، وممّا أوقفه صحيح مُسْلِم[3]، ومن أهمّ هذه المُحبَّسات الكتب الكثيرة التي أهداها المعزّ بن باديس أمير القَيْرَوان (٤٠٧ ـ ٤٤٩) إلى أبي بَكر عَتِيق السُّوسِيّ الفقيه المحدّث، فرفض قبولها وطلب منه أن يحبّسها فكتب عليها: «ممّا أمر بتحبيسه سيّدنا سيف الله وعبده المعزّ لدينه المؤيد لسنّة نبيّه أطال الله بقاءه وأدام نعمه، بالمسجد الجامع بمدينة القَيْرَوان، طلباً لثواب الله عزّ وجلّ على يد قاضي القضاة عبدالرّحمٰن بن محمد بن عبدالله بن هاشم، في سنة أربع وعشرين وأربعمائة»[4] واستمرّت المكتبة في زيادة ونموّ، وكانت في متناول طلبة العلم يدرُسون في كتبها وينسخون منها ويذاكرون بها، إلى أن اجتاحت القَيْرَوان فتنة الأعراب الذين خرّبوا المدينة وأتوا على ما فيها، فلم يبق من كتب الجامع «إلا نزر قليل لا يُعدّ شيئاً مذكوراً بالنّظر لما كانت عليه»[5].

---

(١) انظر: المكتبة الأثرية ٨، سجل قديم ٣٣٩، بساط العقيق ٦٣.

(٢) انظر: المعالم ١٨١/٣ ونص تحبيسه في المكتبة الأثرية ١٤.

(٣) انظر: سجل قديم ٣٦٢.

(٤) المكتبة الأثرية ١٤، وانظر: المعالم ١٨١/٣، الشجرة ١٠٧/١.

(٥) بساط العقيق ٦٣، وانظر: سجل قديم ٣٤١، المكتبة الأثرية ٨، مقدمة موطأ مالك برواية ابن زياد ٩٧.

وقد ألحقت محتويات مكتبة جامع عُقبة بدار الكتب الوطنيّة بتونُس، لعدّة سنوات في العقد الماضي، ثمّ أعيدت الآن إلى القَيْرَوان ولا يزال العمل جارياً لترتيبها وفهرستها.

وأقدم سجلّ عرف للمكتبة يعود تاريخه إلى سنة **٦٩٣** هـ، وقد عرّف به النّيّال[١] ونشره إبراهيم شَبُّوح[٢]، وقد صُوّرت كتبها بالميكروفيلم بأرقام مسلسلة من ١ إلى **٢٧٩٥**[٣].

٢ ـ المكتبات الخاصّة:

لقد اهتمّ علماء القَيْرَوان بتدوين المصنّفات ونسخها، وكان لهم شغف كبير باقتنائها وجمعها، فتكوّنت لدى كثير منهم قناطير من الكتب، وأصبح لكلّ عالم مكتبة خاصّة به تحتوي على مصنّفاته، ومرويّاته، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

ـ مكتبة الإمام سَحنون[٤]، فقد كانت تحتوي على جميع كتب عبدالله بن وهب، وهي كتب أغلبها حديثيّة: كالجامع، والمغازي، والزّهد، والموطّأ بروايته عن مالك وغيرها، وكان سَحنون عنده سماع سنتين عن سفيان بن عُيَيْنة، وإذا علمنا أنّهم كانوا يلقون المُدوَّنة في شهر، على كبر حجمها[٥]، أمكن لنا أن نتصوّر مقدار هذا السّماع عن سفيان، هذا عدا سماعه من بقيّة شيوخه.

ـ مكتبة علي بن حُميد التِّميمي (ت **٢٥١**)، وقد كان من الأمراء، ولكنّه

(١) المكتبة الأثرية ١٢.

(٢) سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢/٢/ ربيع الثاني ١٣٧٦، نوفمبر ١٩٥٦.

(٣) المكتبة الأثرية ٣٧ ـ ٤١، ولا يعرف موضع هذا الميكروفيلم الآن وقد بذلت جهوداً للحصول عليه لكن دون جدوى.

(٤) انظر: ترجمته رقم ١٣، في المحدثين.

(٥) انظر: مناقب أبي إسحاق الجبنياني ١١.

انقطع للعلم، واعتنى بجمع الكتب ونسخها، حتّى وُصف بكثرة الكتب وسعة الرّواية، وقد بيعت كتبه بعد وفاته بألف ومائتي دينار(١).

ـ مكتبة محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) الذي فتح له باب التّأليف(٢)، وبلغت مصنّفاته مائتي كتاب(٣) في جميع العلوم، منها: الحديث، والرّجال، وعلوم القرآن، والفقه، والتّاريخ والسّير، وغيرها، هذا عدا مرويّاته وكتب أبيه.

ـ مكتبة عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥)(٤): فقد خصّص عيسى لمكتبته غرفة من منزله، كانت مملوءة بالكتب، وقد وُصف بأنّه أروى أصحاب سَحنون للكتب والحديث(٥)، وقال تلميذه أبو الحسن الكانشي: «أدخلني عيسى بن مِسكين إلى بيت مملوء بالكتب، ثمّ قال لي: كلّها رواية، وما فيها كلمة غريبة إلاّ وأنا أحفظ لها شاهداً من قول العرب»(٦).

ـ مكتبة محمد بن بِسْطَام الضَّبّيّ (ت ٣١٣): وقد كان كثير النَّسخ للكتب، حتّى إنّه اشترى وصيفاً ليصلح له المصباح أثناء نسخه باللّيل، فإذا نعس الغلام وضع له في فيه قطعة من القصب الحلو ليزيل عنه النّعاس(٧).

ـ مكتبة حَمْدون بن مجاهِد الكَلْبِيّ (ت ٣١٩ أو ٣٢١)، وقد اشتملت على ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب كلّها بخطّ يده(٨)، وكان لا يكتب إلاّ بالفهم ويضبط كلَّ مشكل، ويحبّ نشر العلم وإذاعته(٩).

---

(١) انظر: المدارك ٤/٤٠٨.
(٢) المدارك ٣/١٠٤، المعالم ٢/١٢٤.
(٣) الرياض ١/٤٤٣، الديباج ٢٣٤، وانظر: مصنفاته في ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.
(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٧ في المحدثين.
(٥) المدارك ١/٥٩١.
(٦) الديباج ١٧٩، المدارك ٣/٢١٣.
(٧) انظر: الرياض ٢/١٨١.
(٨) انظر: الرياض ٢/٢٠٣.
(٩) المدارك ٥/١٤٧.

ـ مكتبة أحمد بن محمد القَصْرِيّ (ت ٣٢٢)، فإنّه كان شغوفاً بجمع الكتب، كثير النّسخ لها، وكان يقول: «منذ أربعين سنة ما جفَّ لي قلم»[١]، وقد زار مرّة يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[٢] في سُوسَة، فوجده ألّف كتاباً ولم يجد القصْرِي ثمن الرّقوق لينسخه عليها، فباع قميصه واشترى الرّقوق ونسخ الكتاب وقابله، وأتي به القَيْرَوان[٣].

ـ مكتبة أبي العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِي حافظ القيروان (ت ٣٣٣)، وقد اشتملت على ثلاث آلاف وخمسمائة كتاب، كلّها بخط يده[٤].

ـ مكتبة عبدالله بن أبي هاشم بن مسرور التُّجِيبيّ (ت ٣٤٦)، وقد اشتملت على سبعة قناطير من الكتب كلّها بخطّ يده إلاّ كتابين[٥]، وكان لكثرة نَسْخه يُصنع له مقدار أربعين لتراً من الحبر كلّ سنة[٦].

ـ مكتبة بني الجَزَّار، وهي من أكبر المكتبات القَيْرَوانيَّة، وقد اشتملت مكتبة أحمد بن الجزّار (ت ٣٦٩) وحدها على عشرين قنطاراً من الكتب[٧].

ـ مكتبة عبدالله بن أبي زيد القيروان (ت ٣٨٦) وقد قال عنه عِياض: «ملأت الدّنيا تآليفه، عارض كثير من النّاس أكثرها، فلم يبلغوا مداه، مع فضل السّبق وصعوبة المُبْتَدَأ»[٨]. وقد عُرف له منها أكثر من ثلاثين كتاباً، بعضها يتكوّن من عدّة مجلّدات[٩].

---

(١) ورقات ١/٣٤٠. (٢) انظر: ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.

(٣) انظر: الرياض ٢/١٩٧.

(٤) انظر: المدارك ٣/٣٣٤، الشجرة ١/٨٤، وانظر: مصنفاته في ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين.

(٥) انظر: المدارك ٣/٣٤١. (٦) انظر: ورقات ١/٣٤١.

(٧) انظر: ورقات ١٢/٣٤٢ نقلاً عن طبقات الأطباء لابن جلجل ١/٣٨.

(٨) المدارك ٣/٤٩٣.

(٩) انظر: مصنفاته في ترجمته رقم ١٩ في المحدثين.

ومن المكتبات الخاصّة أيضاً خزائن الكتب التي كانت في قصور الأمراء؛ إذ كانت الاستفادة منها مقصورة عليهم، ومن هذه المكتبات:

ـ خزانة العَبَاسِيَّة، وهي المكتبة الموجودة بالقَصر الأبيض بالعبَّاسِيَّة[1]، ويؤمّها أمراء بني الأغلب وأهل بيتهم، للمطالعة والتّعليم، ثمّ نقلت إلى «رَقَّادَة» عندما أصبحت منزل أمرائهم[2].

ـ خزانة المَنْصورِيَّة[3]، وهي مكتبة العُبَيْدِيّين الرّافضة لمّا حكموا القَيْرَوان، وقد اشتملت على الكتب التي استحوذوا عليها من خزانة رَقَّادَة، كما اشتملت على كتب الدّعوة الإسماعيليَّة[4]، وقد نقلها العُبَيديّون معهم عندما خرجوا إلى مصر سنة **٣٦٢ هـ**.

ـ خزانة كتب المعزّ بن باديس خاتمة أمراء القَيْرَوان (**٤٠٧ ـ ٤٤٩**)؛ ويستفاد وجودها من الخبر الذي أوردته المصادر عن إهداء المعزّ لأبي بكر عَتِيق السُّوسِي أحمالاً من الكتب، فرفض أبو بَكْر قبولها، فقال له الرّسول: «يقول لك المعزّ هذه الكتب في خزانتنا ضائعة، وبقاؤها عندنا ممّا يزيدها ضياعاً، وأنت أولى باقتنائها...»[5].

٣ ـ المكتبات التّجاريّة:

لقد كانت سوق الكتب بالقَيْرَوان نافقة، وتجارتها رابحة، وقد اتّخذت لبيعها مواضع بأسواق القَيْرَوان، وهي شبيهة بحوانيت الورّاقين، تعرض فيها

---

(١) هي دار حكم الأغالبة من سنة **١٨٥** إلى سنة **٢٦١ هـ**، على بعد ثلاثة أميال من مدينة القيروان، وتسمى أيضاً القصر القديم. انظر: البيان المغرب **٩٢/١**، بساط العقيق **٢٥**.

(٢) انظر: ورقات **٣٢٧/١** نقلاً عن تاريخ الرقيق.

(٣) والمنصورية هي مدينة صبرة، وهي دار حكم العبيديين في عهد ثالث ملوكهم إسماعيل المنصور (**٣٣٤ ـ ٣٤١**) وقد أسسها سنة **٣٣٦ هـ**. انظر: البيان المغرب **٢١٨/١ ـ ٢٢١**.

(٤) انظر: ورقات **٣٣٣/١**.

(٥) المعالم **١٨١/١**، الشجرة **١٠٧/١**.

الكتب للبيع، وفيها تستنسخ الكتب أيضاً، كما يجتمع بها بعض العلماء للمذاكرة والدّرس والمناظرة، وممّا يصوّر لنا ذلك هذا النّص الذي ذكره المالكيّ في ترجمة أبي عبدالله محمد بن نظيف البَزّار (ت ٣٥٥) قال: «ذُكر عنه رحمه الله تعالى أنّه دخل إلى موضع تُباع فيه الكتب، وقد حضر ذلك المكان جماعة من العلماء والصّالحين، فلمّا دخل قاموا كلّهم على أرجلهم إجلالاً له وهيبة... وكان في ذلك المجلس السَّكَاكِينِيّ الشّاعر، فلما رأى تعظيمهم له وقيامهم هاله ذلك، وقال: لقد أُعطي هذا الرّجل أمراً كبيراً والله لأختبرنّه، قال: فألقى عليه مسائل من معاني القرآن للزّجَّاج (إبراهيم بن إسحٰق ت ٣١١) فوجده بحراً لا تكدره الدّرء وكأنّه إنّما يجيب من الكِتاب لا يتعلثم في حرف منه...»[(١)].

وكان الطّلاب القادمون للدّراسة بالقَيْرَوان يقبلون على شراء الكتب، ومن صور ذلك تنافسهم في اقتناء المدوّنة وتغاليهم في ثمنها حتّى عُدمت من القَيْرَوان[(٢)].

كما كان من الشّائع بيع كتب العالم بعد وفاته، إذا لم يحبّسها، ولم يكن له عقب من أهل العلم[(٣)].

وقد تسامع أهل المشرق برواج سوق الكتب بالقَيْرَوان فرحلوا إليها في تجارة الكتب، فهذا أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ولد سنة ٢٨٨)، قد جلب إلى القيروان أحمالاً كثيرة من الكتب، باع منها لأهل إفريقيَّة مدّة عام كامل، ثم انتقل إلى الأندلس بما بقي منها سنة ٣٣٠ هـ، وإنّه لممّا يؤسف له أن لا نجد من اهتمّ بذكر أسماء الكتب التي باعها أبو علي في القيروان، أمّا ما باعه في الأندلس فقد ذكره ابن خَيْر في فَهْرَسَتِه[(٤)]، وكلّه في الشّعر والأدب، والذي

---

(١) الرياض ٢/٤٦٧.
(٢) ورقات ١/٣٤٩ نقلاً عن المعالم ٣/٢٢٦.
(٣) انظر مثلاً: المعالم ٢/٣٢٣، الرياض ١/٤٧٩، الديباج ٣٢.
(٤) انظر: فهرسة ابن خير ٣٩٥، ورقات ١/٣٤٢.

يظهر لي أنّ الذي باعه في القيروان يشتمل على أمّهات المصنّفات في علوم الكتاب والسُّنَّة؛ لرواج سوقها في القيروان، ولإقبال الطّلاّب عليها، كما أنّه لا يعقل أن يقدم من المشرق إلى مدينة اشتهرت باهتمام أهلها بالعلوم النّقليّة ليتاجر فقط بالكتب الأدبيّة، فكان أن ن قد ما جلبه من المصنّفات المتعلّقة بالعلوم الشّرعيّة في القيروان، وبقيت كتب الشّعر والأدب لزهادتهم فيها، فباعها في بلاد الأندلس.

رابعاً: بيت الحكمة القيروانيّ:

اكتفت بعض المصادر القديمة بالإشارة إلى اسم بيت الحكمة القيرواني، واسم الشّخص الذي ترأسه، ولم تذكر طبيعة مهمّته، أو تاريخ تأسيسه، أو العلوم التي كانت تدرّس فيه[1]، ولم تشر إليه كتب الأفارقة الواصلة إلينا باعتباره مؤسّسة رسميّة، بسبب الحواجز التي كانت تفصل العلماء عن أصحاب السّلطة، هذا بالإضافة إلى أنّ أنواع العلوم التي كانت تدرّس فيه لم تكن مستساغة من قبل العلماء.

وفي العصر الحديث توسع الأستاذ ح. ح. ع في الكلام عنه[2]، وينبغي أن نأخذ ما ذكره بكثير من الحذر؛ لأنّ معظمه مبنيّ على التّخمين والاستنتاج البعيد، ولم يستند فيه إلى معلومات موثّقة.

والذي يمكن قوله بخصوص بيت الحكمة القيرواني أنّ الأمراء الأغالبة كانوا يقلّدون الخلفاء العبّاسيّين في كثير من أمورهم، ومن ذلك تأسيسهم لبيت الحكمة القيرواني على غرار بيت الحكمة ببَغْداد، حرصاً منهم على مواكبة حركة العلوم الرّياضيّة والفلسفيّة بالمشرق.

---

(١) انظر: التكملة ١/١٧٣، نفح الطيب ٣/١٣٤، ونقل عنهما صاحب الأعلام ١/٢٢.
(٢) ورقات عن الحضارة العربية ١/١٩٢ - ٢١٩. (لحسن حسني عبدالوهاب).

ويعتبر بيت الحكمة القيرواني أوّلَ جامعة للعلوم التّجريبيّة بإفريقيَّة[1]، وقد أنشىء بمدينة رَقَّادة التي تقع في جنوب غربيّ القيروان على بعد ثمانية كيلو مترات، وكان الأغالبة قد اتّخذوها داراً لملكهم في عهد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦١ ـ ٢٨٩)[2]، وكان هذا الأمير مولعاً بالعلوم الرّياضيَّة، وهو الذي أسّس بيت الحكمة وجلب له العلماء والمصنّفات في مختلف الاختصاصات كالطّبّ والفلك والفلسفة والهندسة[3]، وقد اتُخذ بيت الحكمة لتدريس هذه العلوم، وترجمة المصنّفات ونسخها ومقابلتها[4]. وبالإضافة إلى ذلك كان بيت الحكمة يحتضن المناظرات الكثيرة والمجالس العلميّة التي كان يعقدها الأمراء الأغالبة، ويستدعون لها بعض علماء القيروان[5].

على أنّ بيت الحكمة لم يستمرّ على حالته هذه من الاهتمام بالعلوم العقليّة فحسب، فإنّ اتخاذ محدّث مقرىء أديب لرئاسته في عهد زيادة الله الثّالث (٢٩٠ ـ ٢٩٦)[6] يجعلنا نعتقد أنّ العلوم الشّرعيّة أيضاً قد بدأت تأخذ مكانتها في بيت الحكمة؛ فإنّ إبراهيم بن أحمد الشَّيْبَانِيّ (ت ٢٩٨) رئيس البيت له مسند في الحديث، وكتاب سراج المهدي في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، إلى مصنّفات كثيرة في الأدب، وهو الذي أدخل إلى القيروان رسائل المحدِّثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم[7]. كما كان بعض أهل القَيْرَوان يذهبون إليه لشكل الكتب وتصحيحها[8]. غير أنّ هذا الاهتمام بالعلوم الشّرعيّة في بيت الحكمة لم

(١) انظر: ورقات ١/٢٧.
(٢) انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/٤٨٧.
(٣) انظر: ورقات ١/١٩٣.
(٤) انظر: الحياة الاجتماعية ٧٥، ورقات ١/٢١٣.
(٥) انظر: طبقات النّحويين واللّغويّين ٢٥٨.
(٦) البيان المغرب ١/١٣٤.
(٧) وإبراهيم بن أحمد أصله من بغداد، ونزل القيروان، انظر: ترجمته رقم ١ في المهاجرين.
(٨) انظر: طبقات النحويين واللغويين ٢٥٨.

يدم طويلاً، حيث احتلّ العُبَيديّون إفريقيّة سنة ٢٩٦ هـ، واستحوذوا على ما في بيت الحكمة، واتخذوه مجلساً لدعاتهم ومكاناً لمناظراتهم مع بعض علماء السُّنّة[١].

ولمّا انتقلوا إلى مصر أخذوا معهم ما فيه من المصنّفات، ووضعوها في خزائن كتبهم بالقاهرة، فقد ورد أنّ إحدى خزائنهم كان بها ستّة آلاف وخمسمائة مجلّد في الفلك والطّبّ[٢] وهما من أهمّ الاختصاصات التي اعتنى بها بيت الحكمة القيرواني.

خامساً: قصور الرّباط:

وهي الحصون التي تنشأ قريباً من السّواحل غالباً، والتي تتّخذ لمراقبة العدوّ القادم من البحر، وحماية المسلمين من مباغتاته.

وقد امتازت إفريقيَّة في الفترة التي أدرسها بكثرة ما فيها من قصور الرّباط، المنتشرة على سواحلها، والتي بدأ إنشاؤها من منتصف القرن الثّاني للهجرة على يد بعض ولاة الدّولة العبَّاسِيَّة بإفريقيَّة، منهم هَرْثَمَة بن أَعْيُن والي هارون الرّشيد على إفريقيَّة، فقد بنى قصر رباط المُنَسْتِير سنة ١٨٠ هـ[٣]، ثمّ تكاثرت وشاعت على يد أمراء الدّولة الأغلبيَّة، فقد ورد أنّ جملة ما بنوه من الحصون والمحارس والقلاع يصل إلى ثلاثين ألفاً بحيث إنّ الإشارات الضّوئيّة التي كانت تستعمل للإنذار بالخطر بين هذه المراكز، كانت تصل من سَبْتَة بالمغرب إلى الإسْكَنْدَرِيّة في ليلة واحدة[٤].

وقد كان العلماء والصّالحون يسهمون أيضاً في بناء قصور الرّباط، من ذلك أنّ محمد عبدالرّحيم بن عبد ربّه الفقيه الزّاهد (ت ٢٤٧) بنى قصر زياد

(١) انظر: ورقات ١/٢٠٥.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٤/١٠١، الكامل ٧/٧٧.
(٣) انظر: البيان المغرب ١/٨٩، تاريخ ابن خلدون ٤/٤١٧، ذكرى المازري ٣٥، ٧٠.
(٤) انظر: سير أعلام ١٣/٤٨٨، تاريخ ابن خلدون ٤/٤٢٩، ٤٣٤، أعلام ابن عاشور ١٧.

بمشاركة بعض إخوانه[1]، وبنى سَهْل بن عبدالله بن سَهْل القُبْرِيَانِي (ت ٢٨٢) قصر الرّباط بسُوسَة وقد اشتهر بعد ذلك بقصر سَهْل[2]، وسَهْل هذا فقيه له مشاركة في الحديث، سمع منه عالم كثير[3].

وبالرّغم من أنّ الغالبيّة العظمى لهذه القصور قد بنتها الدّولة إلاّ أنّ مهمّة الإشراف عليها وتسييرها كانت دائماً منوطة بالعُبَّاد والعلماء[4]، وخاصّة في المناطق القريبة من القَيْروان، كما أنّ الحراسة بها كانت من باب التّطوّع، ومع ذلك كانت الحصون مكتظّة دائماً لرغبة النّاس في الثّواب؛ قال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: «وقد أنشئت هذه الرّبط مباني رسميّة أسّسها الولاة والأمراء من أموال الدّولة، ولكن دخول القيام بها في نطاق الجهاد وفضله الشّرعيّ، قد جعل عمارة الرّباط، والقيام به، وتجهيزه، وإعانة القائمين عليه، وخدمتهم، من أعمال البرّ التي يتسابق المسلمون بداعي التّقوى إلى بذل جهودهم وأموالهم في سبيلها بقدر الطّاقة...»[5].

وكانت هذه الرّبط من جملة مواضع التّعليم بإفريقيَّة[6] ويسكنها مقيمون رسميّون من العلماء والعُبَّاد، كما يتناوب الحراسة بها أهل القَيْروان وغيرهم[7]، وكان العلماء كثيراً ما يقصدونها وخاصّة في شهر رمضان حيث يعتكفون ويعلّمون النّاس[8].

فإذا كانت مهمّة الرّباط في أوّل أمره عسكريّة تتمثّل في حراسة المسلمين خشية نزول الأعداء من جهة البحر، فإنّ هذه القصور سرعان ما أصبحت مراكز

---

(١) انظر: المدارك ٩٩/٣.
(٢) انظر: المعالم ١٩٦/٢، ورقات ٩١/٢.
(٣) انظر ترجمته في: المدارك ٢٧٤/٣، المعالم ١٩٦/٢، ط الخشني ١٣٤.
(٤) انظر مثلاً: الشجرة ٨٣/١.
(٥) أعلام الفكر الإسلامي ١٨.
(٦) انظر: أعلام ابن عاشور ١٩.
(٧) ذكرى المازري ٧٦، ٧٧.
(٨) انظر مثلاً: المدارك ٦٢٧/٣، الرياض ٤٩٧/١.

علميّة نافست مساجد القيروان لكثرة من كان بها من العلماء وما يلقى بها من الدروس، وخاصة بعد أن سيطر الأغالبة على حوض البحر الأبيض المتوسّط وأَمِن أهل إفريقيَّة من مهاجمة الأعداء «فأصبحت تلك القصور معاهد تعليم وتربية وعبادة وتوجيه، واستشعر العلماء أنّ مقامهم فيها يفتح لهم أبواباً من إيصال النّفع إلى عموم المسلمين من طرق بعيدة عن الذّكر والسّمعة، مستوفية لعوامل الانتفاع بالعلم فأقبلوا عليها. . . وأصبح الشّيوخ يوصون خِرّيجيهم بتعمير الرّبط وإقامة العبادات وعقد حِلَق التّعليم فيها. . .»[1].

ويعتبر «ألفردبل» أنّ الرّباط كان له نفس دور المسجد في نشر الإسلام[2].

وقد كانوا يسمّون قصر زياد[3] دار مالك لكثرة من فيه من العلماء، وما يعقد فيه من المجالس العلميّة، وقد اجتمع فيه أربعة عشر رجلاً من أصحاب سحنون[4]، كما اجتمع في قصر ابن الجَعْد بالمُنَسْتِير قبل تمامه ٤٨ رجلاً كلّهم قد حفظ القرآن[5].

وكان نشر الحديث عن طريق تلك القصور لا يقلّ أهمّيّة عن غيره من العلوم كالقرآن والفقه وغيرهما، فممّن نزلها لنشر العلم: سعيد بن إسحٰق الكَلْبِي (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥)، وهو محدّث، عالم بالرّجال والمغازي، كثير الرّواية، فكان ينزل قصر الطّوب الواقع قرب مدينة سُوسَة للعبادة والتّعليم، فيقيم به الشّهور العديدة، ثمّ يخرج إلى القَيْرَوان من أجل الإسماع، فيجلس للطّلبة يحدّثهم مدّة ثمّ يعود إلى الرّباط[6].

---

(١) أعلام ابن عاشور ١٩.

(٢) انظر: الفرق الإسلامية ١٠٠.

(٣) يقع على ساحل البحر بجهة جبنيانه قريباً من مدينة صفاقس. انظر: ورقات ١٤٥/٢.

(٤) انظر: المدارك ٢٥٩/٣، مناقب أبي إسحاق ١٠.

(٥) انظر: الرياض ١١٧/٢.

(٦) انظر: ترجمته رقم ١٤ في المحدثين.

ومنهم جَبَلَة بن حَمّود الصَّدَفِيّ (ت ٢٩٧)، وهو فقيه له مشاركة في الحديث، وكانت أغلب إقامته بقصر الطّوب يحدّث المرابطين ويقصده الطّلبة للأخذ عنه[١].

ويوسف بن مَسْرُور اللّخميّ (ت ٣٢٤)، كان فقيهاً محدّثاً، نزل بقصر سَهْل يقرىء الطّلبة ويدلّ على أعمال البرّ إلى أن توفّي[٢]، وكان قد ألّف كتاباً في أهمّيّة الحصون وما يجب على المرابطين في ذلك[٣].

وكان المحدث مَسرّة بن مُسلم (ت ٣٩٣) يُسمع أصحابه تحت صومعة قصر زياد[٤]، كما كان الطّلبة يقصدون هذا القصر للسّماع من أبي جعفر عمر بن مُثنّى[٥]، وكان أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد اللَّبِيدِي (ت ٤٤٦) يأتي إلى قصور الرّباط للسّماع ممّن بها من العلماء، ولذلك كان أكثر شيوخه من المرابطين[٦].

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء الذين يطول مقامهم بقصور الرّباط كان هناك علماء آخرون يرابطون في شهر رمضان، ويستفيدون من تلك الفرصة في نشر العلم ورواية الحديث، ومن هؤلاء: الإمام سَحنون الذي كان من أكثر علماء القيروان مداومة على هذه العادة، ومعه موسى بن معاوية الصُّمَادِحِيّ المحدّث (ت ٢٢٥) وغيرهما[٧]، وكان سَحنون قد حدّث بكتب ابن وهب كلّها في قصر زياد عندما خرج إليه فراراً من محنة القول بخلق القرآن[٨].

---

(١) انظر: الرياض ٢/٣٥، وانظر: ترجمته في الشجرة ١/٧٣، الرياض ٢/٢٧٧، المعالم ٢/٢٧٠، ط الخشني ١٤٣.

(٢) ورقات ٢/١٤٧.

(٣) انظر: الرياض ٢/٢٣٥.

(٤) الرياض ١/٤٢٢.

(٥) المدارك ٣/٦٢٧.

(٦) انظر: الشجرة ١/١٠٩، المدارك ٣/٧٠٧.

(٧) انظر: الرياض ١/٣٨١.

(٨) انظر: الرياض ١/٤٢٦.

وكان يحيى بن عمر الفقيه المحدّث (ت ٢٨٩) يعتكف بقصر المُنَسْتِير، ويحدّث به، قال أحد المرابطين بالقصر: «كان يحيى بن عمر يأتي إلينا إلى المُنَسْتِير يصوم رمضان وكان يحدّثنا»[(١)].

وممّا يمثّل انتشار العلم ورواية الحديث في قصور الرّباط هذه القصيدة التي قيلت في أبي الفضل مولى نجم (ت ٣٢٤)، وهو فقيه زاهد كان يعلّم بقصر المُنَسْتِير:

ألا يا أخلّائي وأهلي وجيرتي ... ومن يرد التّصحيح في الدّين عن أصل
بقصر المُنَسْتِير المبارك عالم ... نزيل غريب الدّار يُكْنَى أبا الفضل
فشدّوا المطايا نحوه وتغرّبوا ... لكي تسمعوا ما جاء حقّاً عن الرّسل
وما عنده في صحّة الدّين رخصة ... وكالذّهب الإبريز في القول والفعل
وينشر نور العلم في كلّ مشهد ... فأصبح محموداً بريّاً من البخل
وكالحسن البصريّ في الزّهد والتّقى ... ونصح البرايا حذوك النّعل بالنّعل
أنار حصون الغرب بالعلم فاهتدى ... رجال وقد كانوا من الّدين في جهل[(٢)]

ونظراً لشيوع العلم وانتشاره في قصور الرّباط فقط سلم من فيه من العُبَّاد والمتصوّفة من الابتداع في الدّين والغلوّ والتّطرّف، فهم شديدو التّمسّك بالسّنّة والمنافحة عنها، وكانوا عنصراً أساسيّاً في مجابهة بني عُبيد كما تقدّم في التّمهيد.

وكانت قصور الرّباط بالإضافة إلى ذلك مركزاً لنسخ كتب الحديث وغيرها وتصحيحها، ومقابلتها، فهذا حمدون بن مجاهد الكبي (ت ٢٢١) نسخ برباط المُنَسْتِر أكثر دواوين العلم، وكتب بيده ٣٥٠٠ كتاب، مع تصحيحها وضبط مشكلها[(٣)]، فهي دار لاستنساخ المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه[(٤)].

(١) الرياض ٤٩٧/١، ورقات ١٣٠/١.
(٢) الرياض ٢٥٠/٢.
(٣) انظر: الرياض ٢٠٣/٢، المدارك ١٤٧/٥.
(٤) انظر: الحياة الاجتماعية ٤٦ نقلاً عن مراكز الثقافة ١٦.

كما كانت الرُّبُط تضمّ مكتبات تشتمل على مصنّفات عديدة، مُحبَّسة على المرابطين للانتفاع بها، من ذلك أنّ أبا محمد عبدالرّحيم الزّاهد (ت ٢٤٧) كتب بخطّه كتباً كثيرة، وضبطها وحبّسها على المرابطين بقصر زياد[1]، وقد قال ح. ح عبدالوهاب: «إنّني كثيراً ما رأيت أجزاء مخطوطة على الرّقّ، يرجع تاريخها إلى القرن الرّابع والخامس مرسوماً تحت عنوانها: حُبُس على جماعة المرابطين بقصر كذا، ويذكر حصن الرّباط الموقوف عليه، وأحياناً تكون عبارة التّحبيس هكذا: حُبُس على من يسكن حجرتي برباط كذا...»[2].

وفي عهد بني عُبيد كانت قصور الرّباط مصدراً لخوفهم وقلقهم، فاستولوا على سلاح الحصون، وأخلوا أكثر القصور وأفسدوها، وأخرجوا مرابطي قصر زياد وجعلوه مخزناً للسّلاح[3] ولم يسلم إلاّ قصر المُنَسْتِير؛ لأنّ شيخ القصر سعدون بن أحمد الخَوْلَانِيّ (ت ٣٢٤) كان يداريهم ليكفّ أذاهم عن القصر، فكان يجتمع إليه فيه نحو أربعة آلاف رجلٍ حتّى خاف منه الرّافضة[4]. وكان بعض العلماء المرابطين قد ترك سكنى الرّباط لمّا احتلّ بنو عُبيد إفريقيَّة، ونزلوا القَيْرَوان، ومن هؤلاء جَبَلَة بن حَمُّود الصَّدَفِيّ (ت ٢٩٧)، فلمّا سئل عن ذلك قال: «كنّا نحرس عدوّاً بيننا وبينه البحر، ولآن حلّ العدو بساحتنا»[5] وقال: «أحرس عورات المسلمين من هؤلاء القوم فإن رأيت منهم شيئاً حرّكت المسلمين عليهم...»[8].

ولمّا خرج العُبيديّون إلى مصر عادت قصور الرّباط إلى القيام بوظيفتها التّعليميّة.

---

(١) انظر: الورقات ١/٤٢١. (٢) ورقات ١/٣٣٩.

(٣) انظر: الرياض ٢/٥٦، ٢٢٢، ٢٦٠، موقف متصوفة إفريقية ١٩.

(٤) انظر: الشجرة ١/٨٣، الرياض ٢/٦٠.

(٥) الشجرة ١/٧٣. (٦) الرياض ٢/٣٨.

وهكذا يتبيّن لنا أنّ قصور الرّباط كانت من أهمّ المراكز العلميّة بإفريقيَّة، أسهمت في التزام النّاس بالدّين، ونشر الثقافة الإسلاميَّة بصفة عامّة، وعلوم الحديث بصفة خاصّة، وقد تخرّج فيها أفواج من العلماء، فكلّ رباط منها كان معهداً علميّاً تدرّس به مختلف العلوم الشّرعيّة، وتروى فيه الأحاديث النّبويّة، وتتوفّر فيه مكتبة جامعة تضمّ نفائس الكتب وأعظم الذّخائر، ومن بينها المصنّفات الحديثيّة، كما كان داراً لنسخ الكتب ومقابلتها وتصحيحها[1].

سادساً: دور العلماء:

إنّ اتّخاذ المنازل الخاصّة لنشر العلم أمر قديم في الإسلام، فقد كان الرّسول ﷺ يجتمع بأصحابه في أوّل البعثة بمكّة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، يعلّمهم مبادىء الإسلام، ويتلو عليهم ما ينزل من القرآن، ويقصده فيها من يرغب في الدّخول في الدّين الجديد[2].

ولمّا أظهر الله الإسلام وانتشرت المساجد وغيرها من المراكز العلميّة كانت هي المواضع الأساسيّة للتّعليم، وقلّت الحلقات في المنازل، لصعوبة التّوفيق بين هدوء المنزل وبين ما تستدعيه حلقة الدّرس من حركة ونشاط، فلم تتّخذ الدّور للدّرس إلا عند الضّرورة غالباً[3].

أمّا في القيروان فإنّ كثيراً من العلماء قد اعتبروا المنازل مكاناً صالحاً للتّعليم، فعقدوا فيها المجالس العلميّة، وفتحوا أبواب دورهم لاستقبال من يقصدهم من طلبة العلم، ولهم في هذا الأمر قدوة بمن عُرف عنه ذلك من أهل العلم، كالإمام مالك الذي كانت له حلقة في داره[4].

---

(١) انظر: مدرسة البخاري في المغرب بتصرف ٢/٤٧٩.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٣/١١٦، ٤/٤٢، وراجع سيرة ابن هشام ١/٣٥٥.

(٣) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ٦٦، ٦٧.

(٤) انظر: الرياض ١/٢٨٤.

وقد كان للحديث نصيبه في حلقات بيوت العلماء بالقيروان، وممّن كان يُسمع في داره من القرويّين البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، فقد كانت له حلقة في منزله يحدّث فيها أصحابه[(١)]، وأسمع عليّ بن زياد (ت ١٨٣) الموطّأ للإمام سَحنون في المنزل الذي سكنه عندما رحل إلى تونُس[(٢)].

وكان الإمام سَحنون (ت ٢٤٠) حلقة عظيمة في داره يختلف إليه فيها تلاميذه[(٣)] بالإضافة إلى مجلسه في المسجد[(٤)].

ولمحمد بن يحيى بن سلاَّم (ت ٢٦٢) في داره حلقة كبيرة أعجب بها الحافظ أبو العرب التَّمِيميّ، وكانت سبباً في إقباله على طلب العلم[(٥)].

وكان عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥) يحدّث في منزله بجامع ابن وهب وغيره من مرويّاته[(٦)].

وقد قامت دُور العلماء بدَور عظيم في نشر العلم ورواية الحديث ودراسته، وخاصّة في عهد بني عُبيد الذين منعوا التّدريس في المساجد، وحرصوا على إماتة السّنّة، ممّا جعل العلماء ينقلون حلقاتهم العلميّة ودروسهم إلى البيوت والمجالس الخاصّة، فكانت السُّنَّة في عهدهم تقرأ سرّاً[(٧)].

وقد كان لأبي عمرو ميمون بن العَلاَّف (ت ٣٠٤) حلقة في بيته يُقرأ عليه فيها الموطّأ وغيره[(٨)].

---

(١) انظر: الحلل السندسية ١/٣/٧٢٠. (٢) انظر: الرياض ١/٣٥٠.

(٣) انظر: الرياض ١/٣٦٥، ٣٦٨، ٢/٢٩.

(٤) انظر مثلاً: ط أبي العرب مح ١٤٦.

(٥) انظر: المدارك ٣/٣٣٥، وترجمته رقم ٣٥ في المحدثين.

(٦) انظر: المكتبة الأثرية ٣٤.

(٧) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٥٣، ٢٠١.

(٨) انظر: ط الخشين ١٩٥.

وكان أحمد بن نصر الهَوَّارِي (ت ٣٢٧) يدرِّس في مسجد رَحْبة القُرَشِيّين بالقَيْرَوان، فسجنه العُبيديّون ومنعوه من التّدريس به، وأمروه بلزوم بيته، فكان يجتمع إليه فيه من يقصده من طلبة العلم[1].

ومثل هذا وقع لأبي بكر محمد بن محمد بن اللَّبَّاد (ت ٣٣٣) شيخ السُّنّة بالقَيْرَوان، فإنّه «سُجن أيّاماً، ثمّ أُطلق ومُنع الفتوى والإسماع واجتماع الطّلبة عليه»[2]، فكان الطّلبة يجتمعون إليه في بيته سرّاً، وربما وضعوا الكتب في أوساطهم حتّى تبتلّ بالعرق خوفاً من بني عُبيد[3]، وكانت حلقة ربيع القطّان في منزله حافلة بالطّلبة على عهد بين عُبَيد[4].

وكان لأبي مَيْسَرة أحمد بن نِزَار الفقيه (ت ٣٣٧) حلقة في بيته[5]، أمّا أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد السَّبَائِيّ (ت ٣٥٦) فقدِ كانت داره كالمسجد لكثرة من يقصده من طلبة العلم[6]، ولم يكن أحد يذكر الصّحابة بخير إلاّ في داره؛ لانتشار أمر الرّافضة وسبّهم للصّابة رضي الله عنهم[7].

وبعد خروج بني عُبَيد إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ عادت الحياة العلميّة تدريجيّاً إلى المساجد، ومع ذلك فقد استمرت دُور العلماء في أداء وظيفتها التّعليميّة والحديثيّة، من ذلك أن الحافظ أبا الحسن القابِسي (ت ٤٠٣) قد خصّص الدُّور العلويّ من منزله للطّلبة الذين يقصدونه من مختلف البُلدان، قال تلميذه حاتم بن محمد الطَّرَابُلْسِيّ ثمّ الأندلسيّ (ت ٤٦٩): «كنّا عند أبي الحسن القابِسي في نحو ثمانين رجلاً من طلبة العلم، من أهل القَيْرَوان والأندلس وغيرهم من المغاربة في عَلِيَّة له، فصعد إلينا الشّيخ . . .»[8].

---

(١) انظر: المعالم ٦/٣.
(٢)، (٣) المعالم ٢٥/٣.
(٤) انظر: الرياض ٣٢٦/٢، ٣٢٧.
(٥) انظر: المدارك ٣٦٠/٣.
(٦) انظر: المعالم ٦٦/٣.
(٧) انظر: المدارك ٣٧٨/٣.
(٨) الصلة ١٥٦/١.

سابعاً: مجالس الأمراء:

من المواضع التي يقع فيها تداول العلم والمذاكرة فيه: المجالس التي كان يعقدها أمراء القيروان ويستدعون لها العلماء، وقد وجد ذلك منذ عهد الولاة؛ فإنّ محمد بن الأشعث الخُزَاعِيّ لمّا تولّى إمارة إفريقيَّة ونزل القيروان سنة ١٤٤ هـ[١] قال: «هل في بلدكم أحد من أهل الحديث؟» قالوا: نعم، رجل يقال له يزيد بن أبي منصور[٢]، هو من التّابعين من بقايا النّاس، فبعث إليه فجاءه وهو شيخ كبير قد خرف وضعف، فحادثه ساعة... [٣] وتذاكر معه بعض الأحاديث.

وفي عهد الأغالبة تكثّفت هذه المجالس وكثرت، بالرّغم من الحواجز التي كانت قائمة بين أكثر أمراء هذه الدّولة وبين علماء المالكيّة بالقَيْرَوان، الذين لم يكونوا يستجيبون غالباً لهذه المجالس إلاّ لضرورة، كالنّظر في حكم مسألة نازلة.

ومن صور هذه المجالس ما ذكره أبو العرب قال: «نزلت نازلة أحضر لها محمد بن الأغلب (٢٢٦ ـ ٢٤٢) علماء القيروان، فتقدّم عون[٤]، فقال له ابن الأغلب: تقدّم يا أبا محمد فلك السّنّ ولك الجلالة، ألم يقل مالك كذا؟ ألم يقل مالك كذا؟ وهو يقول: نعم...»[٥].

وقال المالكي: «أُخذ في زمن زيادة الله (٢٠١ ـ ٢٢٣) زنديق فأرسل إلى أسد وأبي مُحْرِز وزكريّاء بن محمد ـ وكان من أصحاب مالك ـ يسألهم عن وجه الحكم فيه...»[٦]، فتناظروا عنده وخرجوا بحكم نفّذه زيادة الله.

---

(١) انظر: البيان المغرب ٧٢/١.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٢ في القسم الرابع من التابعين.

(٣) طبقات أبي العرب ٢١.

(٤) هو عون بن يوسف الخزاعي، فقيه محدث (ت ٢٣٩)، انظر: ترجمته رقم ٢٦ في المحدثين.

(٥) ط أبي العرب ١٠٦.

(٦) محدث فقيه لغوي من تلاميذ مالك (ت ٢٢٧)، انظر: ترجمته رقم ١٨ في المحدثين.

وقال عبدالله بن أبي حسَّان اليَحْصُبِيّ[1]: «دخلت على زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١ ـ ٢٢٣) فأصبت عنده أسد بن الفُرات وأبا مُحْرِز وهما يتناظران في النّبيذ المسكر. . .»[2].

ومن المجالس الأميريّة الثّابتة مجلس إبراهيم بن أحمد (٢٦١ ـ ٢٨٩)، قال حَمْدِيس القَطَّان (ت ٢٨٩)[3]: «اجتمعنا عند إبراهيم بن أحمد أنا ويحيى بن عمر وجماعة، فطال بنا المجلس والمذاكرة. . . فقلت له: «لي إلى الأمير حاجة» فنشط إليها وقال: «أُذكر حاجتك» فقلت له: تعافيني من المجيء إليك بعد هذا المجلس؛ فإنّك لست تجد عندي ما تريده» فسكت ساعة ثم قال: «قد فعلتُ» فعطف عليه يحيى بن عمر وقال: «وأنا أيّها الأمير» فقال: «لست أفعل»، ثمّ انصرفنا»[4].

وقال الخُشَنِيّ: «استقضى إبراهيمُ بن أحمد سليمانَ بن عِمران[5]، وأمره بالنّظر على ابن طالب[6] فنظر عليه في ثلث الجَدّة[7]، ودار في ذلك عند إبرهيم مجلس مناظرة بحضرة شيوخ القَيْرَوان»[8].

---

(١) الرياض ١/٢٧٦.
(٢) ط أبي العرب ٨٨.
(٣) كان فقيهاً ورعاً صلباً في السنة، شديداً على أهل البدع، انظر: الرياض ١/٤٨٨، المعالم ٢/٢٥٠.
(٤) الرياض ١/٤٨٩.
(٥) أحد قضاة الأحناف تولى القضاء قبل ابن طالب وبعده، انظر: ترجمته في طبقات الخشني ١٨٠، ٢٣٦، ٢٣٧.
(٦) عبدالله بن أحمد بن طالب التميمي، عم أمراء بني الأغلب، كان عالماً، من كبار أصحاب سحنون، وكان محبوباً من قبل الناس فخاف إبراهيم بن أحمد منه على ملكه، فعزله عن القضاء وامتحنه، وتسبب في قتله سنة ٢٧٥ هـ، انظر: الرياض ١/٤٧٤، الديباج ١٣٤، المعالم ٢/١٥٩، طبقات الفقهاء ١٥٨، المدارك ٣/١٩٤.
(٧) هكذا في نص الخشني، والمعروف أن الجدة لها السدس، انظر مثلاً: الشرح الكبير ٤/١٧.
(٨) ط الخشني ٢٣٧.

ومن القضايا التي أخذت حيزاً كبيراً في مجالس بني الأغلب مسألة القول بخلق القرآن، وخاصّة في عهد أحمد بن الأغلب سنة ٢٣١ هـ الذي امتحن بسببها كثيراً من علماء القيروان، وعقد المجالس لمناظرتهم[١].

وفي عهد بني عُبَيد اتُّخذت المجالس لمناظرة علماء السّنّة بالقَيْرَوان، ومحاولة إدخالهم في دعوتهم، وكانت المناظرات تدور حول المفاضلة بين الصّحابة، وحكم تقديم المفضول على الفاضل، وصلاة قيام رمضان، وتعريف الألوهيّة، والسّنّة، والعمل في مختلف الحديث، وغير ذلك[٢]. ومن أشهر من ناظرهم من علماء السّنّة أبو عثمان سعيد بن محمد بن صُبَيح المعروف بابن الحَدَّاد (ت ٣٠٢)[٣]، وقد بلغت مجالسه معهم أربعين مجلساً، لم يصلنا منها حاليّاً إلّا أربعة[٤]، كما ناظرهم عبدالله بن إسحاق المعروف بابن التَّبَّان (٣٧١)[٥] وأبو بكر بن القَمُّودي[٦]، وغيرهم.

أمّا في عهد صنهاجة فقد اشتهر بلاط المعزّ بن باديس (٤٠٧ - ٤٤٩)، وهو واسطة عَقْدهم وخيرة أمرائهم، بكثرة مجالسة العلميّة، وكان يتودّد إلى العلماء ويهدي لهم الكتب[٧]، ويزيّن مجالسه بحضورهم ومذاكرتهم[٨].

ثامناً: حوانيت العلماء:

لقد اشتغل بعض علماء القيروان بالتّجارة، واتّخذوا فيها المجالس

---

(١) انظر: المحن ٤٥٤، ٤٥٦، الحلل السندسية ٧٩٢/٣/١، المدارك ٢٢٢/٣، ط أبي العرب ٨٩.

(٢) انظر: رقم ٣ من الفرق الكلامية في التمهيد.

(٣) انظر: ترجمته رقم ١٥ في المحدثين.

(٤) انظر: ورقات ٢٥٩/١، الرياض ٢٨/٢، ط الخشني ١٩٩، سجل قديم ٣٦٤.

(٥) انظر: المدارك ٥٢١/٣.

(٦) انظر: ط الخشني ٢١٤.

(٧) انظر: المعالم ١٨١/٣، الشجرة ١٠٧/١.

(٨) انظر: ورقات ٣٤٣/١، بساط العقيق ٧٨.

للمذاكرة، فكان يقصدهم فيها الطّلبة، ومن هؤلاء أبو طالب عبدالله بن عثمان الأَبْزَارِي المَعَافِرِيّ تلميذ مالك[1]، روى أبو العرب بسنده إلى أبي الهَيْثَم اللُّؤْلُؤِيّ [2] قال: «جلست أنا ودَحْيُون إلى أبي طالب الأَبْزَارِيّ في حانوته فجاء يحيى بن سلاَّم (ت ٢٠٠) فذكر حديثه. . .»[3].

وكان ربيع القطّان (ت ٣٣٣)[4] قد حوّل حلقته إلى حانوته في عهد بني عُبيد، قال عياض: «وكان جعل على نفسه ألاّ يشبع من طعام ولا نوم حتّى يقطع الله دولة بني عُبيد، وكان مع ذلك ملتزماً في حانوته يبيع فيه القطن، وفيه يأتيه من يطلب منه ويسأله»[5].

وقال أحد إخوة ربيع: «يأتي إليه قوم فيقعدون عنده فيسألونه عن علم رفيع فيجيبهم بكلام عال، فإذا قاموا عنه رجع إلى حلقة القطن يبصر فيها ويطلب الحبّة والخَرّوبة»[6].

وكان رباح بن يزيد اللّخمي (ت ١٧٢)[7] إذا دخل حانوته استقبل القبلة وذكر الله تعالى ثمّ يقبل على غلامه بالوعظ، وكان يفعل ذلك كلّ يوم[8].

تاسعاً: البادية:

لم تقتصر مواضع التّعليم على المدن والحواضر، وإن كان معظمها قد وجد فيها، فإنّ البادية أيضاً قد أخذت حظّها من العلم عن طريق انتقال أساتذته إليها ومنهم المحدّثون وغيرهم.

---

(١) انظر: ترجمته في الرياض ٢٥٣/١، المدارك ٤٨٥/١، ط أبي العرب ١٠٠.

(٢) محدث ثقة، انظر: ط أبي العرب ٧٦.

(٣) ط أبي العرب ١٠٠.

(٤) انظر: ترجمته في رقم ١١ في المحدثين.

(٥)، (٦) المدارك ٣١٣/٥.

(٧) انظر: ترجمته رقم ١٠ في المحدثين.

(٨) انظر: ط أبي العرب ٤٨.

فقد كان بعض علماء القيروان يحدّث في البادية، وقد يقصده إليها من جاء للسّماع منه فلم يجده بالقيروان، بالإضافة إلى سكّان البادية، ومن هؤلاء الإمام سَحنون الذي كان يكثر من الخروج إلى البادية وخاصّة قبل تولّيه القضاء، قال يحيى بن عمر: «لمّا قدمت إلى سَحنون سألت عنه، فقيل لي: خرج إلى البادية فمضيت إلى البادية فاجتمعت به، فرأيت رجلاً أشعر عليه جُبَّة صوف ومنديل، وهو يتولّى حرث ضيعته وأسباب مؤنته، فاستقللته فقلت: «إنّا لِلَّه وإنّا إليه راجعون، جئت من المشرق وخلّفت به العلماء، وجئت إلى هذا الرّجل وما أراه يحفظ من العلم شيئاً ولا معه شيء، فأنزلني ورحّب بي، فلمّا كلّمته وسألته في العلم رأيت بحراً لا تُكَدّره الدّلاء...»[1]، وكان يجتمع لدى سَحنون في باديته كثير من طلبة العلم[2].

وكان عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥)[3] يذاكر حديثه في باديته، ويقصده فيها بعض طلّابه[4] وأهدى أبو علي حسن بن خلدون (ت ٤٠٧)، وهو شيخ السّنّة في وقته[5]، كتاب جامع عبدالله بن وهب إلى أحمد بن عوانة الفقيه «فسار به إلى باديته»[6]، ولا شكّ أنّه قد حدّث هناك به وبغيره من مرويّاته.

عاشراً: ساحات الجهاد:

لقد كانت ساحات الجهاد من مواضع التّعليم التي عرفها القرويّون، من ذلك ما حدث أثناء الحروب مع الخوارج حيث كان الولاّة يستقدمون العلماء إلى مواقع القتال؛ لتوعية الجند بحقيقة الخوارج ومعتقداتهم، ويسمعونهم الآيات والأحاديث المرغّبة في الجهاد، ومن أمثلته ما حدث قُبيل وقعتَي القَرْن

---

(١) الرياض ١/٤٩١.　　(٢) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٥٩.

(٣) انظر: ترجمته رقم ٢٧ في المحدثين.

(٤) انظر: المدارك ٣/٢٢٧، ورقات ٢/١٠٤.

(٥) انظر ترجمته في: المعالم ٣/١٥١.

(٦) المعالم ٣/١٥٢.

والأَصْنَام[1] سنة ١٢٤ هـ، جاء في تاريخ الرّقيق على لسان بعض من شهد الوقعتين قال: «. . . وإذا بقُرّاء من أهل العلم والدّين والفقه قد أرسلهم إلينا، (حَنْظَلَة بن صَفْوان الكَلْبِيّ أمير القيروان)، فتفرّقوا فينا، وحرّضوا على الجهاد وذكروا فضله، وذكروا مذهب عدوّنا وعِظم ما يريدونه من السّبي وهتك الحريم وسفك الدّماء، وأنّه ليس هناك ملجأ بعد هذ المقام»[2]، وكان النّصر حليفاً لهم، ووقعت في الخوارج مقتلة عظيمة، فكان اللّيث بن سعد يقول: «ما من غزوة كنت أحبّ أن أشهدها بعد غزوة بدر أحبّ إليّ من غزوة القَرْن والأَصْنام»[3].

ولمّا خرج علماء القيروان فيمن معهم من أهل السُّنّة لقتال بني عُبيد في المَهْدِيَّة وحاصروها، وذلك سنة ٣٣٣ هـ، قرأ أبو العرب على النّاس كتابي الإمامة لمحمّد بن سَحنون فقال بعد الفراغ منهما: «كتبت بيدي هذه ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب، فوالله الذي لا إله إلاّ هو لسماع هذين الكتابين عليّ هنا في هذا الموضع أفضل من كلّ ما كتبت»[4].

قال ابن ناجي: «يريد لكثرة من سمعه من الخلق الذين اجتمعوا إليه من سماع ذلك من علماء وغيرهم»[5]، قلتُ: ولشرف الموضع والظّرف فإنّهم في ساحة الجهاد يقاتلون عدوّاً عاتياً يعمل على تعطيل الشّرائع وإماتة السُّنّة.

أحد عشر: المقابر:

لمّا منع الرّافضة على علماء القيروان نشر العلم راحوا يتلمّسون المواضع لمواصلة التّدريس بعيداً عن أعين بني عُبَيد، ومن ذلك الاستتار في المقابر والاجتماع بها للقراءة والسّماع، فقد ورد أنّ أبا عبدالله محمد بن الفتح (ت ٣٣٤)

---

(١) انظر: البيان المغرب ١/٥٨، ٥٩.

(٢) تاريخ الرقيق ١١٩.

(٣) البيان المغرب ١/٥٩.

(٤) الرياض ٢/٣١٠، المعالم ٣/٣٧.

(٥) المعالم ٣/٣٧.

«كان يخرج إلى مقبرة باب سَلَم فيستتر خلف حائط فيقرأ هنالك على أصحابه خوفاً من بين عُبَيد؛ لأنّهم، لعنهم الله، منعوا من بثّ العلم، وسجنوا العلماء في ديارهم»[1]، ويبدو أنّ أمثال أبي عبدالله هذا كثيرون ممّن اتّخذ المقابر موضعاً لنشر العلم فراراً من ملاحقة الرّافضة، غير أنّ المصادر قد أغفلت ذكرهم.

وفي هذه المراكز المتعدّدة انتشرت العلوم المختلفة، ومنها الحديث وعلومه، وفي رحابها تخرّجت أفواج من العلماء في كلّ طبقة، قال صاحب المعالم في ترجمة أبي القاسم بن عبدالله (ت ٣٣٠)، بعد أن أورد اسم **٢٩** عالماً شهدوا احتضار هذا الشّيخ، قال: «حضور هؤلاء المشيخة لاحتضار هذا الشّيخ ينبئك بما احتوت عليه القَيْرَوان من كثرة العلماء والزّهّاد في ذلك الزّمان، والذي كان في زمن سَحنون وقبله أكثر، وقال سأل عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠) القاضي بعض ثقاته يوم الجمعة فقال: هل حضرت للجامع اليوم؟ قال: نعم، قال: من رأيت به؟ قال: رأيت سبعين قلنسوة يستحقّون القضاء، ورأيت ثلاثمائة قلنسوة فقيه فاسترجع ابن غانم عندما سمع ذلك وقال: «ذهب النّاس»، فاسترجاعه يدلّ على أنّ علماء زمانه أقلّ ممّا كان عليه العلماء في القديم من الكثرة...»[2].

ب ـ أهمّ العلوم الشّرعيّة التي عُرفت بالقَيْرَوان وإجمال منزلة الحديث بينها:

من المفيد بعد أن أتيت على ذكر المراكز العلميّة بالقيروان وسرد نماذج تتعلّق بنشر الحديث وغيره فيها، أن أذكُر بشيء من التّفصيل أهمّ العلوم الشّرعيّة التي كانت تدرّس في هذه المراكز.

---

(١) الرياض ٣١٣/٢، المعالم ٣٩/٣.
(٢) المعالم ١٨/٣.

أولاً: القرآن وعلومه[1]:

إنّ القرآن الكريم هو أهمّ ما يحرص المسلم على تلاوته وحفظه وفهم معانيه والعمل به، وهو أوّل ما تسعى الجيوش الفاتحة لأن تُلقّنه لمن أسلم من أهل البلاد المفتوحة، وذلك يستلزم ضرورة أن تتضمّن تلك الجيوش أعداداً كبيرة من القُرّاء، ولم يتخلّف هذا الأمر عند فتح إفريقيَّة؛ فقد اشتهر بعض من دخلها من الصّحابة بالنّبوغ في القرآن ومعرفة معانيه[2]، هذا بالإضافة إلى ما عُرف عن الصّحابة جميعاً من العناية الفائقة بالقرآن والاهتمام بشأنه، وعلى عهد الصّحابة نشأت الكتاتيب بالقَيْرَوان[3]، كما أسلفت، وكانت مهمّتها الأساسيّة تعليم القرآن، ثمّ ازدادت انتشاراً في عهد التّابعين[4]، الذين عُرف كثير منهم بالتّقدّم في علوم القرآن، مثل عِكْرِمَة مولى ابن عبّاس وراوي علمه، وقد كانت له حلقة علميّة في جامع عُقبة[5]، وإسماعيل بن عُبيد الله مؤدّب ولد عبدالملك بن مروان الخليفة[6]، وجُعثُل بن عَاهَان الرُّعَيْنِي الذي كان من القُرّاء[7]، وغيرهم.

وعن طريق التّابعين تلقّى أهل القيروان علوم القرآن المنقولة بالرّواية، والتي كانت في تلك المرحلة تعتبر من أبواب الحديث كما سيأتي[8].

---

(١) لقد كانت عناية القرويين في الفترة التي أدرسها متجهة أساساً إلى الفقه والحديث، وإنما قدمت الكلام على القرآن لشرفه وعلو منزلته.

(٢) منهم عبدالله بن عباس ترجمان القرآن، وعبدالله بن سعد أحد كتبة الوحي، وعبدالله بن الزبير أحد الذين كتبوا المصاحف في عهد عثمان، وغيرهم. وسيأتي التعريف بهم في مبحث الصحابة في مطلع الباب الثالث.

(٣) انظر: الرياض ٩١/١، التاريخ الكبير ٨٧/٤، الاستيعاب ٦٦/٢.

(٤) انظر: ورقات ٧٨/١.

(٥) الرياض: ١٤٦/١.

(٦) تهذيب ابن عساكر ٣١١/٢.

(٧) انظر ترجمته: رقم ١٠ في القسم الثاني من التابعين.

(٨) انظر: ص ١٥٤.

وبعد منتصف القرن الثّاني دخلت بعض أجزاء تفاسير المشارقة إلى القيروان ورويت بها، مثل تفسير المسيَّب بن شَرِيك الكُوفِيّ[1]، الذي كان يُقرأ على أسد بن الفُرات في جامع عُقبة[2].

ثمّ ظهر في القيروان على يد يحيى بن سلاّم (ت ٢٠٠) أوّل تفسير كامل للقرآن عُرف حتّى الآن[3]، وهو التّفسير الوحيد الذي ظهر بالقَيْرَوان في هذه الفترة إذا استثنينا تفسير أبي العباس أحمد بن عمّار المَهْدَوِيّ (ت ٤٤٠)، الذي يغلب على الظّنّ أنّه ألّفه في بلاد الأندلس بعد هجرته إليها[4]، وكذا تفسيرَا أبي الحسن علي بن فَضال القيرواني (ت ٤٧٩)، الذي ولد وعاش خارج القَيْرَوان[5]، هذا بالرّغم من أنّ المصادر قد وصفت العديد من علماء القيروان بمعرفة التّفسير ومعاني القرآن[6].

والذي يمكن الجزم به استناداً إلى المصادر أنّ مختلف علوم القرآن كانت تدرَّس بمواضع التّعليم بالقيروان، وخاصّة القراءات، والنّاسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن، وبيان مشكلة. . .[7] وقد عرف بذلك عدد الكبير[8] من العلماء منهم:

---

(١) أجمع النقاد على ترك حديثه، انظر: اللسان ٣٨/٦، الديوان ٢٩٨، الضعفاء الكبير ٢٣٤/٤، الكامل في الضعفاء ٢٣٨٢/٦، الضعفاء والمتروكين ٣٦٠.

(٢) انظر: الرياض ٢٦٥/١.

(٣) انظر: التعريف بتفسير يحيى في المصنفات.

(٤) لأن قدامى الأفارقة لم يترجموا له، وإنما عرّف به المصنفون الأندلسيون، ثم إن تلاميذه كلهم من أهل الأندلس، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٣٠، الشجرة ١٠٨/١، القراءات بإفريقية ٣٤٩.

(٥) له «برهان العميدي» في التفسير، وهو عشرون مجلداً، والإكسير في علم التفسير، خمسة وثلاثون مجلداً، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٨٢.

(٦) انظر مثلاً: المدارك ٦٢٧/٣، ٣١١/٥ (ط المغرب)، المعالم ١٢٨/٣.

(٧) انظر مثلاً: الشجرة ٧٤/١، تاريخ ابن الفرضي ١١٢/٢، الرياض ٣٢٤/٢.

(٨) ذكرت هند شلبي ٧٥ عالماً من أهل القيروان، ممن عرفوا بالعناية بعلوم القرآن، وخاصة القراءات، انظر: القراءات بإفريقية ٢٦٩ ـ ٣٦٥.

- يحيى بن سلاَّم البَصْرِيّ ثمّ القيروانيّ (ت ٢٠٠)، صاحب التّفسير الآنف الذكر، والذي وُصف بأنه ليس لأحد من المتقدّمين مثله[١].

- أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، وقد كان يُدرّس التّفسير في جامع عُقبة[٢].

- محمد بن برغوث القَرَوِيّ (ت ٢٧٢)، كان يدرّس مختلف القراءات في جامع عُقبة، ويتوسّع في ذلك، فأمره القاضي عبدالله بن أحمد بن طالب (ت ٢٧٥) بالاقتصار على قراءة نافع[٣].

- إبراهيم بن أحمد الشَّيْبَانِيّ (ت ٢٩٨)، صاحب كتاب سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه[٤].

- أبو عبدالله محمد بن عمر بن خَيْرُون الأندلسيّ نزيل القيروان (ت ٣٠٦)، كان إماماً في القراءة[٥]، أخذها عنه عامّة أهل القيروان وسائر المغرب[٦]، له كتاب الابتداء والتّمام، وهو في فن القراءات، وكتاب الأَلِفَات واللّامات، وهو في رسم المصحف، وكتاب الأداء، وهو ملخّص لما رواه ابن خَيْرُون عن أصحاب وَرْش وقراءة نافع[٧].

- ربيع بن سليمان القَطَّان (ت ٣٣٣)، «كان حافظاً لكتاب الله عزّ وجلّ، قارئاً له بالرّويات، عالماً بتفسيره، ومعانيه، وغريبه»[٨]، بالإضافة إلى علمه بالحديث[٩].

---

(١) غاية النهاية ٢/٣٧٣، وانظر ترجمة: يحيى رقم ٨ في المهاجرين، وانظر تفسيره في: التعريف بالمصنفات.

(٢) انظر: الرياض ١/٢٦٥.

(٣) انظر: القراءات بإفريقية ٢٨١.

(٤) انظر ترجمته: رقم ١ في المهاجرين.

(٥) الرياض ١/١٣٥.

(٦) الشجرة ١/٨١.

(٧) انظر: القراءات بإفريقية ٢٩٢، ٢٩٣.

(٨) الرياض ٢/٣٢٤.

(٩) انظر ترجمته: رقم ١١ في المحدثين.

ـ أبو بكر محمد بن سَعْدون التَّمِيمِيّ (ت ٣٤٤ أو ٣٤٥)، كان مجوّداً للقراءات، حسن الصّوت بالقرآن، أمَّ النّاس بجامع القيروان، وأخذوا عنه القراءات[١].

ـ أبو بكر أحمد بن أبي بكر الزويلي (ت ٣٩١): كان حافظاً للقرآن، عالماً بالقراءات، والناسخ والمنسوخ، مقدّماً في ذلك على معاصريه[٢].

ـ أبو إسحاق إبراهيم أحمد الجِبِنْيَانِيّ (ت ٣٩٩): من كبار علماء إفريقيَّة، وكان يتولّى الإقراء، «ويحسن تفسير القرآن، ومعانيه، وإعرابه، وناسخه ومنسوخه. . .»[٣].

ـ أبو جعفر عمر بن مُثَنّى: كان عالماً بالقراءات يجيد رواية وَرْش، ويدرّسها، عارفاً بالنّاسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والتّفسير وغيرها[٤].

ـ أبو عبدالله محمد بن سفيان الهَوَّارِي المقرىء (ت ٤١٥): كان عالماً بالقرآن وعلومه، متفوّقاً في علم القراءات حتّى وُصف بأنّه «أشهر من في المغرب في وقته بالقراءات وأبصرهم بها»[٥]، وهو من أكبر من أسهم في ازدهار هذا الفنّ بالقيروان تدريساً وتأليفاً، ومن مصنّفاته[٦]: الهادي في القراءات، اختلاف قرّاء الأمصار في عدد آي القرآن، الإرشاد في مذاهب القُرّاء، التّذكرة في القراءات، وشاعت رواية هذه الكتب في جميع بلاد المغرب حتّى وصلت الأندلس[٧].

---

(١) انظر: الرياض ٢/٤١٤، المعالم ٣/٥٤.
(٢) انظر: المعالم ٣/١٢٨، القراءات ٣٠٦.
(٣) مناقب أبي إسحاق ٢٣، المدارك ٣/٤٩٩.
(٤) انظر: المدارك ٣/٦٢٧، القراءات ٣١٠.
(٥) المدارك ٣/٢١٧.
(٦) انظر: الشجرة ١/١٠٦.
(٧) انظر: فهرسة ابن خير ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٣٩.

- أبو محمد مكي بن أبي طالب القَرَوِي نزيل قُـرْطُبَة (ت ٤٣٧)[١]: لم تعـرف القيروان وسـائر بـلاد المغرب عـالماً بلغ مبلغ مكّي بن أبي طـالب في القراءات وعلوم القرآن، فكان من أئمّة هذه الفنون وكبار أساتذتها، صنّف في ذلك ثمانين كتاباً[٢]، كلّها حسنة مفيدة، منها: الإبانة عن معـاني القراءات[٣]، التّبصرة في القراءات السّبع[٤] الهداية إلى بلوغ النّهاية في معاني القرآن الكريم وأنواع علومه[٥]، الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء[٦]، المأثـور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء[٧] وغيرها من الكتب النّافعـة في علوم القرآن.

- أبو بكر عَتِيق بن أحمد التَّمِيمِيّ القَصْرِي (ت ٤٤٧): كان عالماً بعلوم القرآن، أخذها عن محمد بن سفيان المقرىء، تخرّج عليه كثير من العلماء، وقد اختصّ في جلساته العلميّة بتوقيت لم يعرف لغيره، حيث كان يجلس للطّلبة من سدس اللّيل الآخر إلى الضّحي، ومن العصر إلى اللّيل[٨].

وهؤلاء القُرّاء وغيرهم أسّسوا مدرسة علوم القرآن بإفريقيَّة، تلك المدرسة التي كثيـراً ما يكـون أهل المغـرب والأندلس عـالة عليهـا، وخاصّـة في عهد محمد بن سفيان (ت ٤١٥) ومكّي بن أبي طالب هـ٤٣٧).

---

(١) انظر ترجمته في: المدارك ٧٣٧/٣، وفيات الأعيان ٧٣٧/٥، المعـالم ١٧١/٣، بغية الملتمس ٤٥٥، الصلة ٥٩٧/٢، سير أعلام ٥٩١/١٧، القراءات بإفريقية ٣٣٣.

(٢) انظر: سير أعلام ٥٩١/١٧، البغية ٤٥٥.

(٣) حققه عبدالفتاح شلبي وطبع مصر د. ت.

(٤) حققه محمد غوث الندوي وطبع بالهند، سنة ١٣٩٩ هـ.

(٥) توجد منه أجزاء في الخزانة العامة بالرباط، والخزانة الملكية بالرباط، انظر: مخطوطات مغربية ٦٦.

(٦) المدارك ٧٣٧/٣، وفيات الأعيان ٧٣٧/٥.

(٧) وفيات الأعيان ٧٣٧/٥.

(٨) انظر: معالم الإيمان ١٨٠/٣، القراءات بإفريقية ٣٥٨.

ثانياً: الحديث وعلومه:

إنّ الحديث هو موضوع هذه الرّسالة، والمقصود من ذكره هنا الإشارة المجملة إلى عناية القرويّين به، وبيان العلاقة الوثيقة التي تربطه بالفقه في إفريقيَّة، أمّا التّفاصيل الكافية عنه فهي مبسوطة في مواضعها من الرّسالة.

وبالتّأمل في سير الحركة العلميّة نجد أنّ الحديث في القَيْرَوان كان يمثّل معظم مادّة الفقه الأولى التي دخلت القيروان، وهو أسبق وجوداً من الفقه المحض المبنيّ على المسائل، ومن سائر العلوم، شأنه في ذلك شأن الحديث في سائر حواضر العالم الإسلاميّ، ذلك أنّ عامّة العلوم الشّرعيّة كانت تستمد أدلّتها، بعد القرآن، من السّنّة وفتاوى الصّحابة والتّابعين، وكلّ ذلك كان ينقل بالرّواية، فكان التّفسير باباً من أبواب الحديث[1]، وكذا الفقه[2] بأبوابه المختلفة كما يظهر من تبويب الموطّأ ومادّته.

واستمرّ ذلك إلى القرن الثّالث، حيث ظهرت المصنّفات المستقلّة[3] في كلّ فنّ من الفنون المختلفة، مع نقلها لأدلّتها من الكتاب والسّنّة، ثمّ التّفريع عليها، كما هو الحال في تصنيف المدوّنة.

وقد تلقّى أهل القيروان بعض علم الحديث عن الصّحابة[4]، وكثيراً منه عن التّابعين الذين كان جلّهم من الرّواة، وكثير منهم من رجال الكُتب السّتّة[5]، وخاصّة رجال بعثة عمر بن عبدالعزيز الذين جاءوا خصّيصاً لنشر العلم ورواية الحديث بالقَيْرَوان[6]، وقد دخل معهم أو بعيد دخولهم الأحاديث التي دوّنها

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن ١٢. (٢) انظر: بحوث في تاريخ السنة ٢٣٤.

(٣) سيأتي الحديث عنها في المصنفات ص ٥٧٢.

(٤) انظر: مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٥) انظر: مبحث أثر التابعين في نشر السنة بالقيروان.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ٩٩/١، تاريخ ابن الفرضي ١٤٦/١، المعالم ٢٠٣/١.

محمد بن شِهاب الزُّهْرِيّ (ت ١٢٤) بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، كما يفهم ذلك ممّا رواه ابن عبدالبرّ بسنده إلى ابن شهاب قال: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السّنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفتراً»[1]، ولا شكّ أنّ القيروان قد وصلها نصيبها من هذه الدّفاتر، لمسيس الحاجة إلى ذلك، نظراً لبعدها عن مواطن العلم، ولاهتمام عمر بن عبدالعزيز بأمرها.

واستمرّ هؤلاء التّابعون في القيام بمهمّتهم التّعليميّة ناشرين لعلوم الكتاب والسُّنَّة المنقولة بالرّواية أمداً طويلاً، فإنّ أكثرهم قد توفّي بها، ومنهم من كان مقامهم بها معلِّماً أكثر من ثلاثين عاماً، مثل إسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المُهاجِر (ت ١٣١) وبَكر بن سَوادة الجُذاميّ (ت ١٢٨)[2].

وهكذا يمكن القول بأنّ رواية الحديث ودرايته بإفريقيَّة عامَّة وبالقيروان خاصّة، قد عُرفت منذ عهد الصّحابة، ثمّ شاعت وانتشرت في عهد التّابعين، فيكون أهل إفريقيَّة، قد تلقّوا هذا العلم من مصدره الطّبيعيّ، وتوجّهوا منذ البادية توجّهاً سُنّيّاً، وممّا زاد في تدعيم هذا المسار ما عايشه الأفارقة من الويلات التي شهدتها بلادهم بسبب الخوارج وغيرهم من المبتدعة الخارجين عن السُّنّة، فازدادوا تمسّكاً بالسّنّة، ونفوراً من الرّأي والتّأويل ومزالقهما.

ثمّ عرف القرويّون طريقهم إلى الرّحلة واتّصل سندهم بكبار محدّثي المشرق[3] قبل ظهور المذاهب الفقهيّة المحضة، فازدادت رواية الحديث عندهم انتشاراً، وممّن يمثّل هذه المرحلة عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، الذي

---

(١) جامع بيان العلم ١/٧٦.

(٢) انظر ترجمتيهما: رقم ١ و٢ في القسم الثاني من التابعين.

(٣) سيأتي توضع ذلك في فصل الرحلة.

نقل إلى القَيْرَوان كثيراً من حديث المشارَقة، بالإضافة إلى روايته عن جلّ من دخل القيروان من التّابعين[1].

ولمّا ظهرت المذاهب مال القرويّون إلى المذهب الذي سبق إلى الاعتماد على الآثار، والذي يتلاءم مع اهتمامهم بالحديث، ذلكم هو مذهب مالك المبنيّ بالدّرجة الأولى على حديث أهل مدينة الرسول ﷺ[2]، ومن هنا توطّدت عمليّة الارتباط بين الفقه والحديث بإفريقيّة، وتخرّج بها أجيال من العلماء الذين جمعوا بين العلمين، غير أنّ تسمية الفقيه كانت أغلب عليهم، رغم أنّه كان منهم من برع في الحديث أكثر من الفقه مثل محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وأبي العرب التَّميميّ (ت ٣٣٣)، وأبي الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)[3]، وغيرهم ممّن ستأتي التّرجمة لهم، وقد تبيّن لي بالتّتبّع أنّ لفظ الفقيه يطلق عند القرويّين على العالم المتفنّن في مختلف العلوم وعلى رأسها الحديث والفقه، وأحياناً علوم القرآن أيضاً، فهذا المصطلح له في القيروان، في الفترة التي أدرسها، دلالة أوسع ممّا عرف من أنّ الفقيه هو العالم القادر على استنباط الأحكام الشّرعيّة من أدلّتها[4].

ومن أدلّة ارتباط الحديث بالفقه في هذه الفترة (ت ٥٠ ـ ٤٤٩) ما يلي:

١ ـ تفضيل مذهب مالك على غيره؛ لاعتماده على الحديث ولتقدّمه على غيره من المذاهب التي سلكت نفس النهج، فقد أكّد الشّيخ الشّاذلي النّيفر ما لاحظته أكثر من مرّة من أنّ السبب في اختيار الأفارقة لمذهب مالك يعود إلى

---

(١) انظر ما يتعلق بأثره العلمي وتحقيق القول في منزلته من حيث الجرح والتعديل في ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.

(٢) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٣١، وراجع مبحث المذهب المالكي في **التمهيد**.

(٣) انظر تراجم هؤلاء الثلاثة في المحدثين رقم ٣٢، ٣٠، ٢٤.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون ٤٤٥.

تعطّشهم للوصول إلى المذهب الذي تتمثّل السّنّة فيه في أقوى رجالها، وقد وجدوا ذلك في مذهب مالك المبنيّ أساساً على حديث أهل الحجاز[1]، وهم الصّفوة والكثرة من الصّحابة والتّابعين[2]، كما أشار الأستاذ حسن حسني عبدالوهّاب إلى أنّ السّبب في ميل الأفارقة إلى مذهب مالك هو اتّحاد سندهم وسند مدرسة مالك، حيث ذكر «أنّ رواية الأفارقة للحديث (أي قبل نشأة المذاهب) أكثر ما كانت بطريق المدنيّين وسندهم»[3].

٢ ـ إنّ طريقة أهل الحجاز التي أخذ بها القرويّون هي طريقة أصحاب الحديث، «وإنّما سمّوا أصحاب الحديث لأنّ عنايتهم (كانت) بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النّصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجليّ والخفيّ ما وجدوا خَبَراً أو أثراً. . .»[4].

٣ ـ إنّ القرويّين حافظوا على أصول المذهب كما جاءت في الموطّأ، فلم يتوسّعوا في الاجتهاد وطرح المسائل إلّا بقدر النّوازل، حيث قال ابن خلدون: «لم يزل المذهب المالكيّ غضّاً عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها»[5].

٤ ـ إنّ الحديث من المواد التي يتلقّاها الطّالب القرويّ في الكُتَّاب[6]، ولمّا يتخرّج منه يكون الموطّأ أوّل ما يدرس من المصنّفات، حتّى إنّ منهم من يحفظه وهو دون الخامسة عشر من عمره[7]، وبذلك يكون تكوينه مؤسّساً على الحديث الشّريف.

---

(١) الأولى التعميم لأنّ مالكاً لم يقتصر على حديث أهل الحجاز، فقد ثبت عنه أنه روى الحديث بسند مصري كما في مقدمة الجرح والتعديل ٣١/١.

(٢) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٣١.

(٣) الإمام المازري ١٥.

(٤) الملل والنحل ٣٨/١، وانظر: مقدمة ابن خلدون ٤٤٦.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٤٤٩.

(٦) انظر: آداب المعلمين ١١٠، ١١٢، مقدمة ابن خلدون ٥٣٨.

(٧) انظر: المدارك ٣١٧/٣.

٥ ــ لمّا عاد أسد بالأسديّة إلى القيروان أنكر عليه أهلها خلوّها من الأحاديث وجنوحها إلى الرّأي، وقالوا له: «يا أبا عبدالله جئتنا بالرّأي وتركت الآثار وما كان عليه السّلف»[1]، فهذا دليل على تشبّث أهلها بالحديث، وأنّ فقههم مؤسّس على الآثار، وكان هذا النّقص الذي في الأسديّة من أهمّ الأسباب التي دفعت بالإمام سَحنون إلى أن يرحل بها ليعيد سماعها على ابن القاسم، فلمّا فرغ من ذلك أقبل على كبار رواة الحديث من أهل المشرق فسمع منهم حديثاً كثيراً أهّله إلى تأصيل مسائل الأسديّة بردّ معظمها إلى أدلّتها من الأحاديث والآثار، وبذلك سدّ باب الرّأي، وعاد بالفقه المالكيّ إلى طريقته المدنيّة حيث يُبنى الفقه على الحديث والآثار[2].

٦ ــ إنّ طريقة القرويّين في دراسة المدوّنة، عمدة المذهب عندهم بعد الموطّأ، تدلّ على اهتمامهم بالحديث كأساس يعتمد عليه الفقه، فإنّهم يعتنون بتصحيح الرّوايات ويتتبّعون الآثار ونحو ذلك، قال المَقَّري: «وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدوّنة اصطلاحان: اصطلاح عراقيّ واصطلاح قرويّ، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدوّنة كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلّة والقياس، ولم يعرّجوا على الكتاب بتصحيح الرّوايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل، وتحرير الدلائل على رسم الجدليّين وأهل النّظر من الأصوليّين. وأمّا الاصطلاح القرويّ فهو البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وتصحيح الرّوايات، وبيان وجوه الاحتمالات، والتّنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع ما انضاف إلى ذلك من تتبّع الآثار، وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف على حسب ما وقع في السّماع، وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها...»[3].

---

(١) الرياض ١/ ٢٦٦.

(٢) انظر: أعلام الفكر الإسلامي ٢٧، ٢٨. (٣) أزهار الرياض ٣/٢٢.

وهكذا يتبيّن لنا إلى أيّ مدى كانت الصّلة وثيقة بين الحديث والفقه في القيروان، وقد كانا على رأس العلوم التي اهتمّ بها الأفارقة، وكان ازدهار الفقه ازدهاراً له بالتّبع، بالإضافة إلى ازدهاره من حيث العنايةُ به ابتداء.

ثالثـاً: الفقــه:

لقد كان الفقه في البداية يعتمد على الرّواية في أدلّته ومسائله الفـرعيّة، وذلك إلى حدود منتصف القرن الثّاني[1]، ثمّ ظهرت المذاهب الفقهيّة المعروفة وتركّزت بـالقيروان، وصـار لها أتبـاع، وكان المـذهبان الحنفيّ والمـالكيّ أكثر المذاهب أتباعاً، وأوسعها انتشـاراً، وقد تقلّص أتباع المذهب الحنفيّ تدريجيّاً، بسبب اعتماده أكثر من غيره على الرّأي وركون أعلامه إلى السّلطان حتّى تعاون بعضهم مع الرّافضة[2]، إلى أن كاد يزول من إفريقيَّة، وخاصّة في مطلع القرن الخامس عندما ألزم المعزّ بن باديس (٤٠٧ - ٤٤٩) جميع النّاس بمذهب مالك وترك ما عداه حسماً لمادّة الخلاف في المذاهب[3]. ولم أجد فيما بين يديّ من المصادر مصنّفات لأتباع المذهب الحنفي بالقيروان، وإنّما كان اعتمادهم على كتب أبي حنيفة وتلاميذه[4]. وقد أهمل الأفارقة تراجم رجال المذهب الحنفيّ، إلّا مـا كان من الخُشَنِي الـذي خصّص لهم فصلاً من طبقـاته، ولم يـأت في تراجمهم بشيء يذكر[5].

أمّا المذهب المالكي فقد حـظي بتبعيّة معـظم القرويّين؛ بسبب اعتمـاد مؤسّســه على الحديث والآثـار بالـدّرجة الأولى، وبعـده عن الرّأي والتّـأويل[6]

---

(١) انظر: الوضع الديني قبل ظهور المذاهب في التمهيد.

(٢) انظر: سير أعلام ١٤/٢١٦، المدارك ١/٥٤.

(٣) انظر: الاستقصاء ١/١٣٧.

(٤) انظر: المعالم ٢/٢٤٨، الرياض ١/١٨٠، الحلل ٤/٢٤٧، مقدمة ابن خلدون ٤٤٨.

(٥) انظر: ط الخشني ١٨٠ - ١٩٧.

(٦) انظر: مقدمة الرياض لمؤنس ١١، الفكر السامي ١/٣٨٣، مقدمة موطأ ابن زياد ٣١.

بالإضافة إلى تقدّمه زمنياً على غيره من المذاهب التي سلكت نفس النّهج في الاعتماد على الحديث[1].

وكان الموطّأ هو رأس مذهبه، وقد ظهرت أوّل رواية له بإفريقيَّة[2] على يد عليّ بن زياد التّونُسي (ت ١٨٣)، الـذي كان في طليعـة الآخذين عن الإمـام مالك، وهو الذي فسَّر للأفارقة قوله[3]، وسرعان ما فشا المذهب وكثر أتباعه حتّى صارت إفريقيَّة هي المركز الثّاني لهذا المذهب بعـد المدينـة المنوّرة، بـل إنّ المغرب كلّه أصبح عنواناً على مذهب مالك[4].

وفي القيروان ظهر على يد الإمام سَحنون (ت ٢٤٠) أوّل مصنّف جامـع لمسائل المذهب مؤسّسه على الحديث والآثار، ذلكم هو كتاب المدوّنة الكبرى، عمدة المذهب المالكي في إفريقيَّة والمغرب[5]، وقد وُضع عليهـا من الشّروح والاختصارات والتّعاليق ما لم يعرف لغيرها من أمّهات الفقه[6].

وقد خرّجت القيروان ما لا يحصر من علماء المذهب المالكي، منهم أكثر من ثلاثين تتلمذوا على الإمام مالك[7]، وكان لكثير منهم سماعات مدوّنة عنه غير الموطّأ[8].

---

(١) راجع **التمهيد**، مبحث المذهب المالكي.
(٢) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٩.
(٣) الرياض ١/٢٣٤.
(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٥) انـظر مثلاً: فهـرسة ابن خيـر ٢٤٠، الشجرة ١/١٠٣، ورقـات ١/٣٤٩ عن المعـالم ٢٢٦/٣.
(٦) انظر: التعريف بالمدونة في المصنفات، ومقدمة ابن خلدون ٤٥٠.
(٧) انظر: المعالم ٢/٨٣.
(٨) انظر مثلاً: المدارك ١/٣١٧، ٤٩٠، ط أبي العرب ١٥١.

ـ ومن مشاهير علماء المذهب بعد سَحنون ابنه محمد (ت ٢٥٦) حامل لواء المذهب بعد أبيه، وهو أوّل شارح للموطّأ ولبعض كتب المدوّنة بإفريقيَّة[١].

ـ ومحمد بن عَبْدُوس (ت ٢٦١)، وهو أحد أئمّة المذهب[٢]، ألّف كتاباً كالمدوّنة سمّاه المجموعة[٣]، وهو معتمد في المذهب، وله شرح على المدوّنة، وكتاب التّفاسير في أبواب الفقه، يقال إنّه أقام أربع عشرة سنة يصلّي الصّبح بوضوء العشاء الآخر مشتغلاً بدراسة العلم[٤].

ـ وعبدالجَبّار بن خالد السُّرْتِي (ت ٢٨١) وقد ذكرت المصادر أنّه بلغ من العلم مبلغ سَحنون أو قريباً منه[٥].

ـ وأبو جعفر أحمد بن أبي سليمان المعروف بالصّوّاف (ت ٢٩١)، وكان من كبار علماء المذهب ووجوههم، صبوراً على التّدريس وكان يقول: أنا حُبُس وكتبي حُبُس[٦]، وإذا أكثر عليه الطّلبة وملّت نفسه قال[٧]:

سألبس للصّبر ثوباً جميلاً ... وأفتل للضّجر حبلاً طويلاً
وأصبر بالرّغم لا بالرّضا ... أخلّص نفسي قليلاً قليلاً

ـ وأبو بكر محمد بن محمد بن اللَّبَّاد (ت ٣٣٣)[٨]، كان فقيهاً جليل القدر، عالماً باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، وكان من كبار حفّاظ المذهب،

---

(١) انظر مصنفاته ومصادره في ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.

(٢) الشجرة ١/٧٠.

(٣) طبقات الفقهاء ١٥٨.

(٤) انظر ترجمته في: الرياض ١/٤٥٩، ط الخشني ١٣٣، الديباج ٢٣٧، سير أعلام ١٣/٦٣، المدارك ٤/٢٢٢، المعالم ٢/١٣٧.

(٥) انظر: المعالم ٢/١٨٥، الرياض ١/٤٦٣، المدارك ٤/٣٨٤، ط الخشني ١٤٥.

(٦) المدارك ٣/٢٤٣.

(٧) الرياض ١/٥٠٥، والأبيات لصاحب الترجمة.

(٨) انظر: الشجرة ١/٨٤، الرياض ٢/٢٨٣، تراجم المؤلفين ٤/١٩٩، الديباج ٢٤٩، ط الخشني ٢٣٢، المدارك ٣/٣٠٤، المعالم ٣/٢١، سير أعلام ١٥/٣٦٠، الفكر السامي ٢/١٩٨، ألف سنة من الوفيات ٤٩.

وبه تفقّه أكثر القرويّين، له كتاب الآثار والفوائد في عشرة أجزاء، وكتاب فضائل مالك، وكتاب الطّهارة، وكتاب الحجّة في إثبات العصمة للأنبياء، وغيرها، وكانت بعض مصنّفاته في المذهب تروى بالأندلس[1]، وقد امتحنه الرّافضة بالسّجن، ومنعوه من التّدريس والإفتاء، فكان الطّلبة يقصدونه في بيته خفية[2].

ـ وأبو الحسن حسن بن محمد الكانشي (ت ٣٤٧)، كان من كبار علماء المذهب، انتفع به أهل القيروان، ورحل إليه النّاس من الأقطار، وكان مجانباً لمن يخالف مذهب أهل المدينة[3].

ـ وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السَّبَائِيّ (ت ٣٥٦)، كان فقيهاً عالماً، من نظراء ابن أبي زيد، وكان علماء المالكيّة يتذاكرون بحضرته وهو الملقي عليهم، فإذا تنازعوا فصل بينهم فيرجعون إلى قوله، وكانت داره كالمسجد لكثرة من يقصده من أهل العلم[4].

ـ وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)، الملقّب بمالك الصّغير، وعلى يديه استقرّ المذهب، فهو «الذي لخّص المذهب، وضمّ نشرة، وذبّ عنه، وملأت البلاد تآليفه»[5]. حيث صنّف النّوادر والزّيادات على المدوّنة في نحو مائة جزء، ومختصر المدوّنة، وعلى هذين الكتابين المعوّل بالمغرب في التّفقّه[6]، وله مصنّفات كثيرة في المذهب كلّها مفيدة[7].

ـ وأبو القاسم عبدالخالق بن خَلَف بن شَبْلُون (ت ٣٩٠)، كان من كبار

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير ٢٩٥.
(٢) انظر: المعالم ٣/٢٥.
(٣) انظر: المدارك ٣/٣٦٧، الشجرة ١/٨٥.
(٤) انظر: الرياض ٢/٤٦٩، المعالم ٣/٦٤، المدارك ٣/٣٧٦، الديباج ٨٥.
(٥) الديباج ١٣٧.
(٦) المدارك ٣/٤٩٤.
(٧) انظر: مصنفاته ومصادره في ترجمته رقم ١٩ في المحدثين.

الفقهاء، وعليه الاعتماد بالقيروان في الفتوى والتّدريس بعد أبي محمد بن أبي زيد، وله كتاب المقصد، أربعون جزءاً[1].

ـ وأبو الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣) وهو كبير علماء المذهب في زمانه، جمع بين الإمامة في الفقه والإمامة في الحديث، وبه انتفع النّاس من مختلف بلاد المغرب، من مصنّفاته كتاب الممهّد، وهو كتاب كبير كثير الفائدة، رتّبه على أبواب الفقه، وجمع فيه بين الحديث والأثر والفقه[2].

ـ وأبو بكر أحمد بن عبدالرحمٰن الخَوْلَانِيّ (ت ٤٣٢)، وهو شيخ فقهاء القيروان في وقته، انتفع به النّاس، وكان أصحابه الملازمون له نحو مائة وعشرين كلّهم إمام يقتدى به، وكان آية في الحفظ، فكان ربما ألقى كتاباً كاملاً من حفظه، وبقي مواظباً على التّدريس إلى أن مات[3].

ـ وأبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد الحَضْرَمِي المعروف باللَّبِيدِيّ (ت ٤٤٠)، وهو من مشاهير علماء المذهب المؤلّفين فيه، انتفع به خلق كثير، ووجّهه أبو الحسن القابِسي لتفقيه أهل المَهْدِيّة، وقد امتدّ عمره وحاز رئاسة العلم والتّشييخ بالقيروان، له كتاب جامع في المذهب أكثر من مائتي جزء كبار في مسائل المدوّنة وبسطها والتّفريع عليها، وكتاب في اختصار المدوّنة سمّاه الملخّص[4].

ـ وأبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِيّ (ت ٤٦٢)، وهو خاتمة علماء القيروان، وآخر الشّيوخ القائمين على المذهب بها قبل خرابها، وكان يملي المدوّنة من حفظه وله عليها تعليق أخذه عنه أصحابه، وإلى جانب الرّئاسة

---

(١) المعالم ١٢٣/٣، طبقات الفقهاء ١٦٠.

(٢) المعالم ١٦٣/٣، وانظر ترجمته: رقم ٢٤ في المحدثين.

(٣) انظر: الشجرة ١٠٧/١، المدارك ٧٠١/٣، سير أعلام ٥١٨/١٧، المعالم ١٦٥/٣، ألف سنة من الوفيات ٥٥.

(٤) انظر: المدارك ٧٠٧/٣، المعالم ٧٥/٣، الشجرة ١٠٩/١.

في الفقه كان له اهتمام بالحديث، والقراءات، والأصول، والنّحو، وغيرها من العلوم[1].

وما هؤلاء إلا نماذج قليلة جدّاً لفقهاء القيروان الذين بلغوا عدّة مئات في كل طبقة؛ فإنَّ الذين تتلمذوا على سَحنون وحده قد زادوا عن السّبعمائة[2]، أكثرهم من أهل القيروان، وكذا تلاميذ ابنه محمد، وابن أبي زيد وغيرهم، وكان لأحمد بن عبدالرحمٰن (ت ٤٣٢) مائة وعشرون صاحباً كلّهم من أئمّة المذهب كما تقدّم قريباً.

وعلى أيدي هؤلاء الفقهاء تكوّنت مدرسة القيروان الفقهيّة، وكانت محطّ أنظار الدّارسين في مختلف بلاد المغرب والأندلس الذين وفدوا عليها للأخذ عن شيوخها[3]، وبلغت هذه المدرسة من الازدهار درجة عظيمة غطّت على بقيّة العلوم التي ظهرت بالقيروان، حتّى ساد في الأذهان أنّ حُذّاق القرويّين لا عناية لهم إلاّ بتحقيق الفقه[4]، وأنّ إفريقيّة ذات ثقافة فقهيّة خالصة[5]، والواقع أنّ مختلف العلوم قد ازدهرت بالقيروان وخاصّة الحديث الذي كان وثيق الصّلة بالفقه ومادّة لمعظم العلوم لدى القرويّين، كما ظهر من عرض مختلف العلوم، وكما يتّضح من أوصاف النّماذج التي قدمتُها لعلماء الفقه.

رابعاً: العقيدة والكلام:

تلقّى أهل إفريقيَّة العقيدة الصّافية على أيدي من دخلها من الصّحابة ومن استقرّ بها من التّابعين، «فكان المغاربة في صدر الإسلام، لذلك، على مذهب جمهور السّلف من الأمّة واعتقادهم، وهو المذهب الحقّ»[6] وكان اعتمادهم في

---

(١) انظر: الديباج ١٥٨، الشجرة ١/١١٦، تراجم المؤلفين ٣/١١٦، الفكر السامي ٢/٢١٢، المدارك ٣/٧٧٠، المعالم ٣/١٨١.

(٢) انظر: الديباج ١٦٤، الشجرة ١/٦٩، سير أعلام ١٢/٦٨.

(٣) انظر: سيرة القيروان ٢٣.

(٤) انظر أزهار الرياض ٣/٢٦.

(٥) انظر: المدارس الكلامية ٧.

(٦) الاستقصاء ١/١٣٦.

العقيدة على الكتاب والسّنّة، وقد أحجموا عن الخوض في المسائل العقديّة اتّباعاً لمسلك سلف الأمّة[1].

ويعتبر التّابعين أبو قَبِيل المَعافِرِيّ (ت ١٢٨) أوّل من نهى عن الخوض في الكلام بإفريقيَّة[2]. وكان الإمام مالك يتعهّد هذا التّوجّه لدى الأفارقة. ويُرشّده ويحرص كلّ الحرص على أن يجنّب أهل القَيْرَوان الوقوع في الجدل حول أصول الدّين، ولذلك نجده يمنع عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦) من التّأليف في الرّدّ على المبتدعة، وقد علّق المالكي على ذلك بقوله: «أشفق مالك رضي الله تعالى عنه أن يكون ذلك سبباً لانتشار طريقة الجدل بإفريقيَّة... فأراد حسم الباب»[3].

غير أنّ هذا الإحجام من قبل علماء القيروان عن الخوض في مسائل العقيدة لم يدم طويلاً؛ فقد وجدوا أنفسهم مضطرّين إلى ذلك، بسبب وجود كثير من الفرق المبتدعة بالقيروان، وإثارتهم لمسائل تتعلّق بأصول الدّين[4]، وكذلك بسبب ما ينقله إليهم بعض المرتحلين إلى المشرق من المسائل المثارة هناك[5].

ففي أواخر القرن الثّاني أُثيرت في القيروان بعض القضايا المتعلّقة بالعقيدة مثل: الإرادة، والاستطاعة، ورؤية الله في الآخرة...[6].

وفي القرن الثّالث احتدّت المناظرات في مسائل العقيدة، وكثرت المصنّفات في الرّدّ على أهل الأهواء، وأنجبت مدرسة السّنّة بالقيروان عدداً من المناظرين[7]، الذين تصدّوا للرّدّ على المخالفين من معتزلة وخوارج ورافضة،

---

(١) انظر: المدارس الكلامية ١٠، ٤١.
(٢) انظر: الرياض ١/١٤٤، الصراع المذهبي ١٤٠.
(٣) الرياض ١/١٧٧.
(٤) انظر مبحث الفرق الكلامية في التمهيد.
(٥) انظر: ط الخشني ٢٢٠، وقد سبق التمثيل لذلك في التمهيد، مبحث الفرق الكلامية.
(٦) انظر: الرياض ١/٢٣٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ط أبي العرب ٨٢.
(٧) انظر الفصل الذي عقده الخشني لذكرهم. ط الخشني ١٩٧ - ٢١٩.

ودحضوا أفكارهم الباطلة، وظهرت بالقيروان حركة كلاميّة سُنّيّة عادلت الحركة الكلاميّة السّنّية بالمشرق[1]، ومن أشهر المتكلّمين على طريقة أهل السّنّة في هذه الفترة:

ـ محمد بن نصر بن حَضْرَم، كان ذا جدال وحجّة، وهو الذي علّم محمد بن سَحنون طريقة الجدل[2].

ـ محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وهو من أشهر متكلّمي القيروان في المناظرة، وأعرفهم بطرقها، وقد كتب جزءين في أدب المتناظرين، كما كانت له عدّة مصنّفات في الرّدّ على المخالفين من أهل البدع، منها: كتاب الحُجّة على القدريّة، كتاب الرّدّ على البَكْريّة، كتاب الإيمان والرّدّ على أهل الشّرك، كتاب الحُجّة على النّصارى، كتاب الرّدّ على أهل البدع[3] وغيرها، وكانت له مع المعتزلة مناظرات في الأسماء والصّفات[4]، ومسألة القول بخلق القرآن[5].

ـ سعيد بن محمد بن صُبيح المعروف بابن الحدّاد (ت ٣٠٢): يعتبر ابن الحدّاد إمام متكلّمي أهل السّنّة بالقيروان، كان قويّ الحجّة بارعاً في المناظرة، أفحم رؤوس المعتزلة في عصره[6]، وكانت له مع الرّافضة مواقف عظيمة دافع فيها عن معتقدات أهل السّنّة بقوّة واعتزاز وانتصر لها[7]، ومن مصنّفاته في الرّدّ على المبتدعة: كتاب المقالات، ردّ فيه على جميع المخالفين[8]، كتاب الاستواء[9]، كتاب في الرّدّ على من يقول بخلق القرآن[10]، مجالسه الأربعون في مناظرة الرّافضة[11].

---

(١) انظر: أعلام ابن عاشور ٤٣. (٢) انظر: ط الخشني ١٩٨.
(٣) انظر: المدارك ١٠٦/٣، وانظر ترجمته: رقم ٣٢ في المحدثين.
(٤) انظر: ط الخشني ١٩٨. (٥) انظر: الرياض ٤٤٩/١.
(٦) انظر: الرياض ٧٠/٢ ـ ٧٥.
(٧) انظر: ط الخشني ١٩٩، الرياض ٥٨/٢، المعالم ٢٩٨/٢.
(٨) (٩) انظر مثلاً: المعالم ٢٩٦/٢.
(١٠) ط الخشني ٢٢١. (١١) ورقات ٢٥٩/١.

ـ عبدالله بن إسحٰق المعروف بابن التَّبَّان (ت ٣٧١)، وكان قد قام في مناظرة بني عُبَيد مقام ابن الحدّاد في زمانه، وأَبْلغ في دحض مفترياتهم حتّى قطعهم، فتركوا مناظرة شيوخ القَيْرَوان بسببه[١].

ـ عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦): وهو على طريقة السّلف في الأصول، بعيد عن التّأويل[٢]، وكان شديداً على من خالف هذه الطّريقة، مُكثِراً من التّصانيف في الرّدّ عليهم وبيان زيفهم بالأدلّة، ومن مؤلفاته في ذلك[٣]: الاستظهار في الرّدّ على البَكْرِيّة، كشف التّلبيس، الرّدّ على القدريّة، مناقضة رسالة علي بن أحمد البغدادي المعتزلي نزيل مصر، الرّدّ على ابن مَسَرّة المارق (ت ٣١٩).

كما صنّف في عقيدة السّلف جملة من المؤلّفات منها[٤]: أصول التّوحيد، الاقتداء بأهل السّنّة، الثّقة بالله والتّوكّل عليه، المضمون من الرّزق، الرّسالة وقد اشتملت مقدّمتها على مختصر نافع لعقيدة أهل السّنّة، كتاب السّنن وقد تضمّن جملة من عقائد السّلف.

ويعتبر عصر ابن أبي زيد هو خاتمة عهد الصّراع الجدليّ حول مختلف المسائل العقديّة، فقد اختفت الفرق المبتدعة من القيروان، وامّحت آراؤهم منها، وتمحّضت إفريقيَّة لمذهب أهل السّنّة، قال صاحب الاستقصاء: «فبعد أن طهّرهم الله تعالى من نزعة الخارجيّة أوّلاً، والرّافضة ثانياً، أقاموا على مذهب أهل السّنّة والجماعة، مقلّدين للجمهور من السّلف، رضي الله عنهم، في الإيمان بالمتشابه، وعدم التّعرّض له بالتّأويل، مع التّنزيه عن الظّاهر، وهو ـ والله ـ أحسن المذاهب وأسلمها»[٥].

---

(١) انظر: المدارك ٣/٥٢١ ـ ٥٢٣. (٢) انظر: سير أعلام ١٠/٧.

(٣) انظر: المدارك ٤٩٣، وانظر ترجمته: رقم ١٩ في المحدثين.

(٤) انظر: المدارك ٣/٤٩٤، وانظر ترجمته: رقم ١٩ في المحدثين.

(٥) الاستقصاء للسلاوي ١/١٤٠.

أمّا أشهر المسائل العقديّة التي طرحت في هذه المرحلة، فهي:

ـ مسألة الإيمان، وخاصّة ما يتعلّق بدخول العمل فيه وكونه يزيد وينقص[1]، وهل يجوز للإنسان أن يجزم بأنّه مؤمن أم لا بدّ من الاستثناء؟، وقد شغلت هذه المسألة الأخيرة أهل القيروان أكثر من قرن من الزّمان[2].

ـ مسألة الأسماء والصّفات، وكانت المناظرات فيها شديدة مع المعتزلة[3].

ـ مسألة رؤية الله في الآخرة، وقد أثبتها أهل السّنّة ونافحوا عن ذلك، ونفاها المعتزلة[4] والإباضيّة[5].

ـ مسألة القدر والوعد والوعيد وأفعال العباد[6]، وقد ألّف محمد بن مَحْبُوب القروي (ق ٣) رسالة في تناقض مقالة القدريّة[7]، وألّف ابن أبي زيد رسالة في الرّدّ على القدريّة.

ـ مسألة خلق القرآن، وقد أنكر علماء السّنّة أنّ القرآن مخلوق وناظروا المعتزلة في ذلك، وألّف كلّ فريق في الرّدّ على الآخر، فلمّا تبنّى المسألة بعض أمراء الأغالبة امتحنوا كثيراً من علماء القَيْرَوان بسبب ذلك[8].

---

(٣) انظر: الحياة الاجتماعية ٢٢٠.

(٤) انظر: المدارك ٣/١٢٣، ٢٧٣، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٢٨، المعالم ٢/١٣٩، ١٤٠.

(٥) ط الخشني ١٩٨، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢.

(٦) انظر مثلاً: الرياض ١/٢٦٤، ٢٦٥، المدارك ١/٤٧٤.

(٧) انظر: المدارس الكلامية ١٠٩.

(٨) انظر: ط الخشني ١٩٠، ٢٢٠، الرياض ١/١٤٤، ٣٨٦، المدارس الكلامية ٦٠.

(٩) ط الخشني ٢١٣.

(١) انظر: ط أبي العرب ٨٩، المحن ٤٥٤، ٤٥٦، الرياض ١/٤٤٩، المدارك ١/٤٧٤، ٣/٢٢٢، الحلل ١/٣/٧٩٢، ط الخشني ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢.

ـ الاستواء، وقد أنكره المعتزلة وتأوّلوا الآيات الواردة في ذلك، فردّ عليهم أهل السّنّة[1]، وألّف سعيد بن الحدّاد في ذلك كتاباً[2].

ـ الجهة والمكانيّة بالنّسبة لله عزّ وجلّ، وهما من الألفاظ التي لم يرد بها نص في الكتاب أو السّنّة، فلا ينبغي نفيها أو إثباتها إلّا بعد معرفة المراد منها؛ فإن أريد بها أمر وجوديّ كانت من المخلوقات، والله تعالى مباين لمخلوقاته، وإن أريد بها ما فوق العالم فإنّ صفة الفوقيّة (العُلُوّ) ثابتة لله تعالى بالكتاب والسّنّة والعقل والفطرة[3]، وقد أثبت ذلك علماء السّنّة بالقيروان، مثل: سعيد بن الحَدّاد وابن أبي زيد[4]، وناظروا فيه المعتزلة[5].

ـ كون محمد ﷺ خاتم النّبيّين، وقد أنكر ذلك الإسماعيليـة بالقيروان فردّ عليهم ابن الحدّاد[6].

ـ المفاضلة بين الصّحابة: ويذهب أهل القيروان كغيرهم من أهل السّنّة إلى أنّ أفضل الصّحابة: أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ علي، وينبغي السّكوت عما وراء ذلك[7]، واعتبر الرّافضة بالقيروان أنّ ذلك تنقّص من عليّ، رضي الله عنه، الذي هو عندهم أولى بالتّقديم، وناظروا في ذلك بعض العلماء وامتحنوهم[8].

---

(١) انظر: الرياض ٢٦٤/١، الجامع في السنن والآداب ١٢٣، المدارس الكلامية ٥٥.
(٢) كتاب الاستواء لابن الحداد، منه قطعة بمكتبة القيروان، المكتبة الأثرية ٣٨.
(٣) انظر: مختصر العلو ٧٠ ـ ٧٨، شرح الطحاوية ٢٢٧، ٢٤٠.
(٤) انظر: المدارس الكلامية ٥٤.
(٥) انظر: ط الخشني ١٩٨.
(٦) انظر: الرياض ٦٢/٢.
(٧) انظر: الجامع في السنن والآداب ١١٥، شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٢، وهناك من أهل السنة من يقدم عثمان على علي، انظر: المصدرين أعلاه.
(٨) انظر: المدارك ٥٢٢/٣، ط الخشني ٢٠٠، سير أعلام ٢٠٧/١٤، ٢٠٩، الرياض ٥٩/١، ٧٩، ٨١، ٨٣ ـ ٨٥.

خامساً: أصول الفقه:

لقد وُجد علم الأصول بالقيروان في مرحلة متأخّرة كعلم مستقلّ يُتدارس ويُؤلّف فيه، ولم يزدهر بها ازدهار غيره من العلوم. وأوّل من عرف بالكلام فيه سعيد بن محمد بن صُبيح المعروف بابن الحدّاد (ت ٣٠٢)، وخاصّة في كتاب المقالات[1].

كما كان لابن الصّبّاع (بداية القرن الرّابع) اهتمام بهذا الفن، وكان يناظر فيه وينكر حُجّة الإجماع[2] ويقول: «لم يكونوا في بيت واحد ولا مصر واحد فيُسألوا فيُعرف اجتماعهم، من ادّعى الإجماع فقد ادّعى المحال الذي لا يصحّ أبداً»، وكان يقول: «ما أبالي إذا قامت لقول حجّة من كتاب الله أو من سّنة رسول الله لو أُتي بها على قرن جبل»[3].

ثمّ نزل القيروان محمّد بن أبي المنظور الأندلسي (ت ٣٣٧)، وكان عالماً بأصول الفقه[4]، وقد أخذها عنه بعض أهلها، غير أنّ أثره لم يكن كبيراً؛ لأنّه

---

(١) انظر: معجم المؤلفين ٢١٣/٤ وراجع ترجمة سعيد رقم ١٥ في المحدثين.

(٢) الإجماع هو أن يجتمع علماء المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة النبي ﷺ على حكم شرعي، وهو ثالث الأدلة الشرعية المعتبرة بعد الكتاب والسنة.
وإن إنكار حجيّة الإجماع أمر في غاية الخطورة وهو رأي شاذ مخالف لما أجمعت عليه جماهير علماء الأمة سلفاً وخلفاً من أن الإجماع إذا انعقد بشروطه كان حجة موجبة للعمل ولا تجوز مخالفته.
أما إمكان إنعقاده عادة فقد قال به الجمهور وخالف فيه بعض الأصوليين وأنكره بعض أهل البدع من الشيعة والمعتزلة.
(انظر: إحكام الفصول للباجي ٤٣٥ ـ ٤٨٠، أصول الفقه وابن تيمية ٢٦٨/٢، ٢٧٠، ٢٧٨، المحصول للرازي ٢١/١/٢ ـ ١٤٢، علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف ٤٥ ـ ٥٢، الإحكام للآمدي ١٩٨/١ ـ ٢٢٤).

(٣) ط الخشني ٢١٥.

(٤) انظر: الشجرة ٨٤/١، المعالم ٤٦/٣.

أغلق على نفسه باب السّماع، بعد أن جلس للعلم مدّة، بسبب شيء بدر من بعض القرويّين في حقّه، وكان ربما يسمع الرّجل الغريب[1].

وشهد هذا العِلم شيئاً من الازدهار في عهد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) الذي برع فيه[2]؛ وقد بحث في كتاب **الاقتداء** له بعض مسائل أصول الفقه منها الإجماع[3].

ثمّ نزل القيروان بعض تلاميذ أبي بكر محمد بن الطّيّب البَاقِلاَّنِيّ (ت ٤٠٣)[4] ممّن برع في أصول الفقه، منهم: أبو طاهر البغدادي، وقد تتلمذ عليه بعض القرويّين[5]، وأبو عبدالله الحسين بن عبدالله الأَزْدِيّ (ت ٤٢٣) وقد درّس بالقيروان بعض كتب الأصول[6].

وفي هذه المرحلة الأخيرة برع في أصول الفقه جماعة من القرويّين منهم: أبو عِمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)[7]، وعبدالمُنعم بن محمد الكِنْدِيّ، المعروف بابن بنت خلدون (ت ٤٣٥)[8]، وعبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِيّ (ت ٤٦٢)، وهو ممّن تتلمذ على أبي عبدالله الأَزْدِيّ[9].

---

(١) انظر: الرياض ٢/٣٥٨.

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري ١٢٢.

(٣) انظر: مقدمة كتاب الجامع في السنن ٤٦، ٤٧.

(٤) شيخ السنة، فقيه أصولي، متكلم على مذهب أهل الحديث، انظر: ترتيب المدارك ٣/٥٨٥.

(٥) تبيين كذب المفتري ١٢١

(٦) انظر تراجم المؤلفين ١/٥٣، تبيين كذب المفترى ١٢٠، معجم البلدان ٤/٤٢١.

(٧) انظر ترجمته: رقم ٧ في المهاجرين.

(٨) انظر: المدارك ٣/٧٧١، الشجرة ١/١٠٧، المعالم ٣/١٥٨، تراجم المؤلفين ٤/١٧٩.

(٩) انظر: المدارك ٣/٧٧٠، المعالم ٣/١٨١.

سادساً: **اللّغة العربيّة وعلومها:**

لقد حرص قادة الفتح في إفريقيَّة على أن يسير التّعريب جنباً إلى جنب مع التّقدّم العسكري، إذ إنّ ذلك هو السّبيل الوحيد ليدخل البربر في الإسلام عن فهم واقتناع، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً منقطع النّظير، ممّا أثار دهشة كثير من المؤرّخين الأروبّيّين الذين لم يدركوا طبيعة الإسلام(١).

وكانت الكتاتيب من أكبر الوسائل التي أسهمت في تنشيط عمليّة التّعريب، ثم تدعّمت بوسيلة أخرى هامة تتمثّل في المصاهرات التي تمّت بين العرب والبربر والتي كان لها أثر كبير في سرعة تعريب البلاد.

وكان بعض ولاة القيروان يصطحبون معهم من المشرق الأدباء والشّعراء، وهؤلاء أسهموا في رواية الشّعر والأدب وأخبار العرب بإفريقيَّة(٢).

وسرعان ما تطوّرت الحركة الأدبيّة بإفريقيَّة وأنجبت القيروان أعداداً هائلة من الشّعراء والنّحويّين وكبار اللّغويين، وقد اشتمل كتاب الأنموذج(٣) وحده على مائة شاعر من أهل القيروان، وورد في الورقات التّمثيل بأكثر من عشرين من الأدباء والنّحويّين الأفارقة(٤)، وقد اشتهر أكثر المحدّثين والفقهاء والقُرّاء بإتقان علوم اللّغة العربيّة، ولا غرابة في ذلك فهي من علوم الوسائل التي لا يستغني عنها علماء الشّريعة.

وسأكتفي بذكر نماذج قليلة لأهل اللّغة بالقيروان تكون دليلاً على غيرها، وتتناسب مع الغرض من الحديث عن هذا العلم في هذه العجالة:

---

(١) انظر: المغرب العربي ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: ورقات ١/١٤٠ ـ ١٥٠.

(٣) أنموذج الزمام في شعراء أهل القيروان للحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦) جمع وتحقيق المطوي والبكوش. انظر: قائمة المصادر.

(٤) انظر: ورقات ١٣١ ـ ١٨٩، وألفت انتباه أهل الاختصاص إلى أن المدرسة اللغوية بالقيروان مادة دسمة للبحث، ولم تحض حتى الآن بدراسة شاملة.

ـ عبدالله بن أبي حسّان اليَحْصُبِيّ (ت ٢٢٧)، تلميذ مالك وأحد محدّثي القيروان، وكان عالماً باللّغة راوية للشّعر، تتلمذ في ذلك على سِيبَوَيه والكِسَائِيّ(١).

ـ عبدالملك بن قَطَن المَهْرِيّ (ت ٢٥٦)، «كان شيخ أهل اللّغة والعربيّة والرّواية، ورئيسهم وعميدهم والمقدّم في زمانه»(٢)، وكانت الأشعار المشروحة تقرأ عليه بالقيروان مجرّدة من الشّرع فيفسّر للطّلبة معانيها، فلمّا دخلت الشّروح ونظر فيها الطّلبة وجدوها مطابقة لقوله، من مؤلّفاته: تفسير مغازي الواقدي، كتاب في الألفاظ، كتاب في اشتقاق الأسماء(٣).

ـ أبو محمد عبدالله المكفوف النّحويّ (ت ٣٠٨): كان عالماً بالغريب والعربيّة وتفسير الشّروح، وتقريب معانيها للطّلبة، وإليه كانت الرّحلة من جميع إفريقيّة؛ لأنّه كان أعلم من فيها باللّغة والنّحو والشّعر وأيام العرب، له كتاب في العَروض يفضّله أهل العلم على كلّ من صنّف في بابه، وكان إذا سمع الكتاب مرّتين حفظه وأملاه من حفظه(٤).

ـ إبراهيم بن عثمان بن الوَزّان (ت ٣٤٦)، كان إماماً في النّحو واللّغة، حفظ مصنّفات أهل اللّغة ككتاب سِيبَوَيْه، وكتب الفَرّاء، وكتاب الخليل بن أحمد، وغيرها، حتّى قيل فيه: «لو أنّ قائلاً قال إنّه أعلم من المبرّد وثعلب، لصدّقه من وقف على سعة علمه ونفاذه»(٥).

---

(١) انظر: الشجرة ١/٦٣، المدارك ١/٤٨٠، وراجع ترجمته رقم ١٨ في المحدثين.
(٢) الرياض ١/٤٠٣.
(٣) انظر: معجم المؤلفين ٦/١٨٨، الأعلام ٤/١٦٢، ورقات ١/٩٥، تراجم المؤلفين ٤/٤٠٨، كشف الظنون ١/١٠٢، الإكمال ٧/١٢٥، هدية العارفين ٥/٦٢٤.
(٤) انظر: نكت الهيمان ١٨٤، ورقات ١/٩٨، تراجم المؤلفين ٤/٣٦٥، طبقات النحويين ٢٥٨.
(٥) ورقات ١/١٠٠، وانظر: الديباج ٩١، طبقات النحويين ٢٦٩، تراجم المؤلفين ٥/١٣٤.

ـ محمد بن جعفر التَّمِيمي المعروف بالقَزَّاز (ت ٤١٢)، وهو أشهر القرويّين في علوم اللّغة، وإمام الأدب فيها بلا منافس، وله في ذلك عدّة مصنّفات منها: كتاب الجامع في اللّغة، أكثر من ألف ورقة، وقد رتّبه على حروف المعجم على وجه لم يُسبق إليه، أدب السّلطان في عشرة مجلّدات، ضرائر الشّعر، كتاب الضّاد والظّاء، المفترق في النّحو، ما أُخذ على المتنبّي، التّعريض فيما دار بين النّاس من المعاريض، وغيرها، وله شروح وأشعار كثيرة[1].

ـ الحسن بن رَشِيق الأَزْدِيّ القيروانيّ (ت ٤٥٦)، كبير معاصريه في الأدب واللّغة والنّحو، مع منافسه محمد بن شَرَف الأَجْذَابِيّ[2]، له مصنّفات عديدة منها: كتاب العمدة في صناعة الشّعر ونقده وعيوبه، قراضة الذّهب في أشعار العرب[4]، أنموذج الزّمان في شعراء القيروان[3]، كشف المساوىء، وهو في السّرقات الشّعريّة، كتاب الشّذوذ، في المفردات اللّغويّة الشّاذّة. وغيرها[5].

وعلى يد هؤلاء العلماء وغيرهم شاعت علوم اللسان بالقيروان منذ وقت مبكّر، وأصبحت العربيّة هي الأم في إفريقيَّة وغيرها من بلاد المغرب.

وبعد أن أتيتُ على ذكر مواضع التّعليم بالقَيْرَوان، وأهمّ ما ظهر فيها من العلوم الشّرعيّة أخلص إلى الحديث عن الرّحلة كوسيلة لاكتساب الحديث وغيره من العلوم ونشرها، وهي من الأهمّيّة بمكان بالنّسبة للقَيْرَوان البعيدة عن مواطن العلم وحواضر العالم الإسلاميّ، وخاصّة في عهودها الأولى.

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٣٧٤/٤، مرآة الجنان ٢٧/٣، سير أعلام ٣٢٦/١٧، كشف الظنون ٥٧٦/١، هدية العارفين ٦١/٦، أنموذج الزمان ٣٦٥، تراجم المؤلفين ٨١/٤، ورقات ١٧٤/١.

(٢) انظر عنه: المعالم ١٩٣/٣.

(٣) طبع مرتين، القاهرة ١٩٢٦، تونس ١٩٧٢ بتحقيق الشاذلي بو يحيى.

(٤) جمعه المطوي والبكّوش سنة ١٤٠٦ هـ الجزائر ـ تونس.

(٥) انظر: سير أعلام ٣٢٥/١٨، بساط العقيق ٨٦ ـ ١٣٣، كشف الظنون ١١٦٩/١، هدية العارفين ٢٧٦/٥، الشجرة ١١٠/١، المغرب العربي ٣٠٤.

الفصل الثاني

الرّحلة في طلب ونشر الحديث وغيره، وثمراتها

تمهيد:

تفرّق الصّحابة في الأمصار بعد وفاة الرَّسول ﷺ لبثّ العلم، وعند بعضهم من الحديث ما ليس عند البعض الآخر، فكان السّبيل الوحيد لسماع هذه الأحاديث المنتشرة في مختلف البلاد هو الرّحلة في طلبها[1].

وكان الصّحابة رضوان الله عليهم أوّل من تحمّل المشاقّ في سبيل ذلك؛ فقد رحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أُنَيْس في حديث واحد[2]، ورحل أبو أيّوب الأنصاري إلى عُقبة بن عامر في مصر من أجل حديث واحد[3]، وخرج بعض الصّحابة من المدينة إلى دمشق ليسمع حديثاً من أبي الدّرداء[4].

---

(١) انظر: الحديث المحدثون ١٠٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد كاملاً ٣/٤٩٥، وعلقه الإمام البخاري بصيغة الحزم على جابر بن عبدالله في كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم ١/٢٧، وأخرجه الخطيب من عدة طرق في الرحلة في طلب الحديث ١٠٩ ـ ١١٨، فهو حديث صحيح بناء على تعليق البخاري له بصيغة الجزم.

(٣) مسند أحمد ٤/١٥٣، فتوح مصر ٢٧٥، الرحلة في طلب الحديث ١١٨ ـ ١٢١، وقد تكلم الدكتور نور الدين عتر على طرق هذا الحديث، وذكر أنها كلها لم تخل من المقال، ولكن لكثرتها يرتقي الحديث إلى درجة الحسن، حاشية الرحلة في طلب الحديث ١٢٠.

(٤) انظر: سنن أبي داود كتاب، العلم، باب الحث على طلب العلم ٤/٥٧/٣٦٤١، وسنن =

وقد صُنِّفَت بعض الكتب الخاصّة بالرّحلة، منها كتاب الرّحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣)[1]، كما ضُمّنت في كثير من المصنّفات منها كتاب علوم الحديث لابن الصّلاح[2] (ت ٦٤٣)، وتدريب الرّاوي لجلال الدّين السّيوطي[3] (ت ٩١١)، وفتح المغيث للسّخاويّ (ت ٩٠٢)[4].

وهكذا سنّ الصّحابة الكرام الرَّحلة في طلب الحديث وأخذها عنهم التّابعون[5]، فأصبحت أدباً ملازماً للمحدّثين، حتّى لا نكاد نعثر على محدّث لم يرحل إلاّ القليل، وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً للخروج في طلب العلم[6]، وذكر الحافظ ابن الصّلاح أنّ المحدّث إذا فرغ من السّماع عن شيوخ بلده فإنّ عليه أن يرحل إلى غيره[7]، وهذا أمر قد اتّفق عليه الأئمّة[8]، بل إنّ عدم الارتحال ممّا يُشان به المحدّث، فقد قال يحيى بن معين[9]: «أربعة لا تؤنس منهم رشدا...» وذكر منهم من لم يرحل في طلب الحديث.

= الترمذي، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة ٢٦٨٢/٤٨/٥، الرحلة في طلب الحديث ٧٨، جامع بيان العلم ٣٣/١، والحديث في جميع المصادر السابقة من طريق عاصم بن رجاء عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء، فأما عاصم فصدوق يهم (التقريب ٢٨٣/١)، وأما داود وكثير فضعيفان (التقريب ٢٣١/١، ١٣٣/٣)، وعلى هذا فالحديث ضعيف بهذا الإسناد وقد ذكر له ابن عبدالبر (٣٤/١) تابعاً وحسّنه فيرتقي الحديث بمجموع الطريقين إلى درجة الصحيح لغيره.

(١) طبع بتحقيق د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٥ هـ.

(٢) انظر: ص ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣١. (٣) انظر: ١٤٢/٢، ١٦٠.

(٤) انظر: ٣٥٥/٢.

(٥) انظر مثلاً: الإلماع ٢٣٣، الرحلة في طلب الحديث ١٢٧.

(٦) صحيح البخاري كتاب العلم ٢٧/١.

(٧) علوم الحديث ٢٢٢.

(٨) انظر: تدريب الراوي ١٦١/٢.

(٩) علوم الحديث ٢٢٣، الرحلة في طلب الحديث ٨٩، ٩٠.

وقد تيمّن سلفنا الصّالح بـالرّحلة في طلب الحـديث حتّى اعتبروهـا من أسباب دفع البلاء، قال إبراهيم بن أدهم: «إنّ الله تعالى يدفع البـلاء عن هذه الأمّة برحلة أصحاب الحديث»[1].

وقـد عرف أهـل القيروان أهمّيّـة الرّحلة ولمسـوا ضرورتهـا، فتأدّب بهـا محدّثوهم، وتسارعوا في شدّ المطايا إلى مختلف حواضر العالم الإسلاميّ لتوسيع مـرويّاتهم، وإشبـاع نهمهم العلميّ، ثمّ العـودة إلى بلدهم لتصـدّر مجـالسهـا العلميّة.

وكان الارتحال شرفاً ومفخـرة يزهـو به أصحـابه، فهـذا أسد بن الفُـرات (ت ٢١٣) يقول: «ضربنا في طلب العلم آباط الإبل، واغتربنا في البلدان، ولقينا العلماء، وغيرنا إنّما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمّه، ويريدون أن يلحقوا بنا»[2].

وقد أسهمت رحلات القرويّين في إثراء الحياة العلميّة بها، وخاصّة فيما يتعلّق بالسّنّة وعلومها كما سيتبيّن من خلال المباحث التّالية، علماً بأني سأركّز على ما يتعلّق بالحديث؛ لأنّه هو المتعلّق بموضوع الرّسالة.

أوّلاً: الرّحلة من القَيْرَوان إلى المشرق والأندلس:

لقد كان أكثر ارتحال القرويّين في طلب الحديث إلى المشرق الذي عرفوا طريقهم إليه في وقت مبكّر، أمّا الأندلس فقد كانت رِحلتهم إليها متأخّرة، ولم تكن بالكثافة التي عرفتها رحلاتهم المشرقيّة، كما أنّها قد ارتبطت غالباً بالظّروف السّياسيّة أو الاقتصاديّة وكان العطاء فيها أغلب من الأخذ.

وقد وجدت بعد النّظر والتّتبّع أنّ عدد المرتحلين في طلب الحديث من

---

(١) علوم الحديث ٢٢٣، الرحلة في طلب الحديث ٨٩، ٩٠.

(٢) رياض النفوس ١/٢٦٧.

القرويّين قد وصل إلى ١٢٦، أي بنسبة ٢٣، ٦٩ بالمائة من مجموع المحدّثين الذين عثرت عليهم، والبالغ عددهم ١٨٢ محدّثاً[١]، أمّا عدد المرتحلين في طلب العلم عامّة فهم من الكثرة بحيث يتعذّر استقصاؤهم.

١ ـ الرّحلة إلى المشرق:

نشأت الحياة العلميّة بالقيروان على أيدي الصّحابة[٢]، ثمّ تركّزت على أيدي التّابعين الذين بثّوا فيها علماً كثيراً، كما أشرت من قبل[٣]، وفتحوا أعين الأفارقة على المشرق وما فيه من العلوم الغزيرة، فنشأت لديهم الرّغبة في الارتحال للالتقاء بكبار علماء المشرق والرّواية عنهم.

وقد رحل القرويّون إلى معظم عواصم المشرق ومدنه المشتهرة بالعلم والرّواية، واستفادوا من محدّثيها، وكان أكثر مقصدهم بعد المدينة المنّورة إلى مصر ـ مروراً بطرابُلُس الغرب ـ وخاصّة بعد انقراض تلاميذ مالك، ثمّ مكّة[٤]، كما رحل كثير منهم إلى بلاد الشّام[٥] والعراق[٦] واليَمَن[٧] وخُرَاسان[٨].

ولم يكن الحجّ هو الدّافع الأساسي للرّحلة في طلب الحديث كما قد يُتوهّم، بل إنّ طلب الحديث كان غرضاً مستقلاًّ من أغراض الرّحلة، ولذلك نجد

---

(١) انظر: مبحث المحدثين القرويين في الباب الثالث.

(٢) انظر: مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٣) وانظر: مبحث أثر التابعين في نشر السنة بالقيروان.

(٤) انظر: الرياض ١/٣٥٣، المعالم ٢/٨٣، حيث وصف الإمام سحنون خط سير الرحلة العاديّة لأهل القيروان.

(٥) انظر مثلاً: الرياض ١/٢١٥، ٣٠١، ٣٤٨، تهذيب تاريخ دمشق لعبدالقادر بدران ٤/٢٣٥، ٥/١٧٣، ٧/٤٣٤.

(٦) انظر مثلاً: الرياض ١/٢٣٤، ٢٥٥، ٤٥٤، تاريخ بغداد ٣/٦٧، ١٤/٢٢٣.

(٧) انظر: الديباج ٣٥٦، تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٠١.

(٨) انظر: الرياض ١/٣٨١.

أبا العرب يعبّر عن ذلك بوضوح في تراجمه فيقول مثلاً: «كان ممّن رحل في الحديث»[1] أو يعيّن المحدّث الذي قصده، فيقول مثلاً: «كان قد رحل إلى سفيان الثّوري. . .»[2].

كما نجد من القرويّين من رحل مرّتين وخصّص إحداهما للحديث، فهذا عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥) جعل رحلته الثّانية خاصّة للقاء الحافظ محمد بن سنجر (ت ٢٥٨) وسماع المسند منه[3]. وقد محّض ربيع القطّان رحلته الأولى لسماع الحديث[4]، وجعل الثّانية للعبادة.

ولكن من المقرّر أيضاً أنّ الرّحلة المزدوجة بقصد الحجّ والطّلب كانت موجودة ولها تأثيرها. ثم إنّ المحدّث كان إذا رحل أقام في رحلته مدّة تتفاوت قصراً وطولاً، حتّى تبلغ عدّة سنوات، يطوف فيها على مختلف عواصم العلم، البيعدة عن طريق الحجّ، يتتبّع المحدّثين ويأخذ عنهم، فقد دامت رحلة أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) قريباً من عشر سنوات[5]، وبقي الإمام سَحنون في رحلته خمس سنوات[6]، أمّا رحلة الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) فقد قاربت مدّتها السّت سنوات[7].

وقد غطّت رحلة القرويّين إلى المشرق كامل هذه القرون الأربعة، ابتداء من أواخر القرن الأوّل، غير أنّها لم تكن دائماً بنفس الكثافة. وهذا واضح لمن نظر في كتب طبقات الأفارقة[8]، ولا يصحّ ما ذهب إليه الأستاذ ح. ح.

---

(١) ط أبي العرب ١٢١.
(٢) ط أبي العرب ٩٠.
(٣) انظر: المدارك ٢٢٣/٣.
(٤) انظر: المدارك ٣٢٥/٣.
(٥) انظر ترجمته: رقم ٤ في المحدثين.
(٦) انظر ترجمته: رقم ١٣ في المحدثين.
(٧) مثل ط أبي العرب، وط الخشني، ورياض النفوس، وشجرة النور، ومواضع الأفارقة في ترتيب المدارك.
(٨) انظر ترجمته: رقم ٢٤ في المحدثين.

عبدالوهاب من أنّ حركة الارتحال إلى المشرق لم تدم إلّا أكثر من مائة عام[1]، ولا ما ذهب إليه الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور من أنّ الرّحلة توقّفت بعد عودة سَحنون من المشرق سنة ١٩١ هـ لاشتغال العلماء بالأخذ عنه[2]؛ فإنّ سَحنون نفسه كان يشجّع تلاميذه على الرّحلة وفي مقدّمتهم ابنه[3].

وأوّل رحلة للأفارقة في طلب الحديث، فيما وقفتُ عليه بعد البحث والتّتبّع، كانت قبل سنة ٩٤ هـ[4]، أي قبل قدوم بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميّة سنة ٩٩ هـ[5] بعدّة سنوات، وتاريخ هذه الرّحلة مبكّر جدّاً بالنّظر إلى أوضاع إفريقيَّة آنذاك[6]، وفي ذلك دلالة على ظهور العلم بإفريقيّة في تلك الفترة، خاصّة وأنّ هذه الرّحلة مثّلت توجّهاً عاماً لدى الأفارقة، الذين أحسّوا بحاجتهم إلى علوم أهل المشرق ورواياتهم، فجمعوا مسائلهم في مختلف أمور الدّين، وأوفدوا بها المحدّث خالد بن أبي عِمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩) ليسأل عنها أبناء الصّحابة[7]، وإنّ الباحث ليعجب من سكوت المصادر عن مرافقي خالد في هذه الرّحلة حيث يُستبعد أن يكون قد ارتحل بمفرده.

وقد احتفظ لنا أبو العرب والمالكي بصورة عن هذه الرّحلة حيث قالا: «وعن خالد بن أبي عِمران أنّه أتى القاسم (ابن محمد بن أبي بكر الصديق ت ١٠٦)، وسالماً (ابن عبدالله بن عمر ت ١٠٦) بمسائل من المغرب، فذهب

---

(١) انظر: بساط العقيق ٥٦.
(٢) انظر: أليس الصبح بقريب ٦٧.
(٣) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٥٣، المدارك ١/٥٢١، المعالم ٢/٨٣.
(٤) لأن خالد بن أبي عمران صاحب هذه الرحلة قد روى فيها عن عروة بن الزبير المتوفّى سنة ٩٤ هـ على الصحيح. انظر: التقريب ٢/١٩، سير أعلام ٥/٣٧٨.
(٥) انظر مثلاً: المعالم ١/٢٠٣.
(٦) انظر: مبحث فتح إفريقية في التمهيد.
(٧) انظر: الرياض ١/١٦٣.

يسائلهما عنها، فأبيا عليه أن يجيباه، فقال لهما خالد: «إنّا بموضع جفاء، وإنّهم حمّلوني هذه المسائل، وقالوا لي: إنّك تقدم على المدينة، وبها أبناء أصحاب رسول الله ﷺ فسلهم لنا»، وإنّكما إن لم تفعلا كانت حجّة لهم، فما شئتما، فقال له القاسم: «سل»، فسألهما خالد فأجاباه فيما سألهما فيه، وكثير منها (أي المسائل) في مدوّنة سَحنون»[1]، وقد سأل أيضاً سليمان بن يسار الهِلاَلِيّ (توفّي بعد المائة وقيل قبلها)[2]، وهؤلاء الثّلاثة من كبار علماء التّابعين بالمدينة، وقد عُدّ القاسم وسليمان من الفقهاء السّبعة باتّفاق، وأمّا سالم فقد ألحقه بالسّبعة عبدالله بن المبارك وغيره[3].

وقد دوّن خالد بن أبي عمران عن هؤلاء التّابعين كتاباً كبيراً أخذه عنه أهل إفريقيّة، وكان يُروى بالقَيْرَوان[4]، وهو شبيه بالموطّأ؛ لأنّه مبنيّ على رواية الحديث بالإضافة إلى اشتماله على أصول فقهيّة[5]، وكان له أبعد الأثر في نشر حديث هؤلاء التّابعين بإفريقيَّة، وتدعيم إقبال الأفارقة على التّمسّك بالسّنّة والتزام الآثار.

وفي مطلع القرن الثّاني كانت القيروان تعجّ بالتّابعين، الذين قاموا بمهمّة التّعليم والرّواية خير قيام، وأغنوا الأفارقة عن ضرورة الاتحال لذلك، وقد كان وجود التّابعين بالقيروان مكثّفاً إلى حدود العقد الثّالث من المائة الثّانية[6]، ثمّ وُجدوا بعد ذلك آحاداً إلى حوالي سنة ١٤٤ هـ[7].

---

(١) الرياض ١٦٣/١، ط أبي العرب ٢٤٦ وليس فيه الجملة الأخيرة، وانظر: المدونة ٢٨/١، ٣٩٨، ٤٠/٢، ٣/٣، ٤٨/٤، ٥٨.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٢٤٥.

(٣) انظر: علوم الحديث ٢٧٣، ٢٧٤، الباعث الحثيث ١٩٤، وانظر: تيسير مصطلح الحديث ٢٠٢.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٢٤٥.

(٥) انظر: مقدمة النيفر لموطأ مالك برواية ابن زياد ٢٤.

(٦) حيث إن حنظلة بن صفان جمعهم واستنجد بهم لما ثارت عليه الخوارج سنة ١٢٤، انظر: الرياض ١٠٢/١، البيان المغرب ٥٩/١.

(٧) انظر: ط أبي العرب ٢١، البيان المغرب ٧٢/١.

وقد أقبل الأفارقة ـ وخاصّة أهل القيروان ـ على هؤلاء التّابعين يأخذون عنهم العلم واستغنوا بذلك عن إكثار الرّحلة، ولهذا فقد قلّ من ارتحل من القرويّين في عده التّابعين، ومن هؤلاء القلائل نجد عُرفُطة بن حكيم الإفريقيّ الذي ارتحل قبل سنة ١١٠ هـ لأنّه يحدث عن الحسن البصري المتوفّى في هذه السّنة[١].

أمّا أشهر المرتحلين في هذه الفترة وأكثرهم أثراً في نشر السّنّة بالقيروان فهو عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، وقد كانت رحلته في الحديث قبل سنة ١١٨ هـ، وهو تاريخ وفاة شيخه عبدالله بن نُسَيّ[٢]، وقد أخذ في هذه الرّحلة عن كثير من تابعي أهل مصر والشّام والعراق[٣]، ثمّ رجع إلى القيروان لينشر علمه رواية ودراية بين أهلها، وقد تتلمذ عليه كثيرون، وعُرف له كتابان دوّن فيهما بعض حديثه، ورواهما عنه أهل القيروان[٤].

وقد عاد عبدالرحمٰن بعد ذلك إلى المشرق مرّتين، مُوفداً من أهل إفريقيَّة إلى الخلافة بالمشرق، للاستنصار بها على الخوارج، وذلك سنة ١٢٢ هـ وسنة ١٤٠ هـ، وقد جمع في هاتين الرّحلتين بين الأخذ والعطاء، فقد كتب عنه يحيى القطّان بالكوفة، وسمع منه سفيان الثّوري بمكّة، وعبدالله بن وهب المصري، وغيرهم كما سيأتي في ترجمته[٥].

وفي هذا العهد أيضاً رحل عبدالله بن علي الإفريقيّ قبل سنة ١٢٤ هـ،

---

(١) انظر: المراسيل للرازي ١٣٤، وقد ورد في اللسان ١٦٢/٤، والجرح والتعديل ٤٢/٧: عُرْفُطَة بن أبي الحارث يروي عن الحسن، مجهول، فلعله الإفريقي الذي معنا، وانظر ثقات ابن حبان ٣٠٦/٧.

(٢) انظر: التهذيب ١١٣/٥.

(٣) انظر ترجمته: رقم ١٦ في المحدثين.

(٤) ط أبي العرب ٣٠، وانظر: دراسات في الحديث النبوي ١٨٤/١.

(٥) انظر ترجمته: رقم ١٦ في المحدثين.

وهي السّنة التي توفّي فيها ـ على الرّاجح ـ شيخه محمد بن مسلم بن شهاب[1]، كما رحل عُبيد الله بن زَحْر الكِنَانِيّ في هذه الفترة[2]، وكلاهما لم يعد إلى القيروان بعد رحلته حسب المادّة المتوافرة حتّى الآن، بالرّغم من أنّ الثّاني معدود في شيوخ إفريقيّة[3]، إلاّ أنّي لم أجد له تلاميذ من أهلها أو الوافدين عليها.

وقد أسهمت الحروب التي أثارها الخوارج ابتداء من سنة ١٢٢ هـ[4] في تعطيل الحركة العلميّة، كما مرّ في التّمهيد، وكانت تلك الحروب سبباً في التّقليص من عدد المرتحلين، بالرّغم من أنّ الحاجة كانت ماسّة إلى ذلك، خاصّة ابتداء من العقد الرّابع حين توفّي معظم تابعي القيروان.

وفي خضمّ هذه الحروب رحل إلى المشرق عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، وكانت رحلته في بداية العقد الخامس[5]، وتُعتبر هذه الرّحلة عظيمة الفائدة للحياة العلميّة عامّة وللسّنّة بصفة خاصّة؛ لأنّها أعقبت فترة من الرّكود النّسبيّ الذي دام عدّة سنوات بسبب وفاة أكثر التّابعين وانشغال النّاس بفتن الخوارج، وقد سمع فيها عبدالله بن فَرُّوخ من كبار محدّثي المشرق كالإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩) وسفيان الثّوري (ت ١٦١) وسليمان بن مِهْرَان الأعمش (ت ١٤٧) وعبدالملك بن جُريج (ت ١٥٠ أو بعدها) وغيرهم[6]، وسمع وكتب في رحلته هذه حديثاً كثيراً، ثمّ عاد إلى القيروان، وهو يدرك مسيس الحاجة إلى ما عنده من العلم، فجلس في جامع عُقبة أكثر من عشرين سنة «يعلّم النّاس ويحدّثهم بسنّة رسول الله ﷺ حتّى انتفع به خلق كثير»[7].

---

(١) انظر: التهذيب ٥/٣٢٦، ٩/٤٥٠، الكاشف ٣/٨٥، طبقات الحفاظ ٤٩، ٥٠.

(٢) انظر ترجمته: رقم ٢٣ في المحدثين.

(٣) انظر: المعالم ١/٢٤٨.

(٤) انظر: الوضع السياسي في التمهيد.

(٥) لأن من شيوخه في رحلته هشام بن عروة المتوفي سنة ١٤٥ أو ١٤٦، انظر: التهذيب ١١/٤٨.

(٦) انظر ترجمته: رقم ٣ في المهاجرين.

(٧) الرياض ١/١٧٧، المدارك ١/٣٤٠، المعالم ١/٢٣٩.

وقد رافقه في هذه الرّحلة البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)[1] في رحلته الأولى[2]، وكان لكلّ منهما أثره في نشر الحديث بالقيروان.

وفي منتصف القرن الثّاني فما بعده كثر طلبة العلم بالقيروان، وتكثّفت الرّحلة إلى المشرق، وخاصّة بعد أن قضى يزيد بن حاتم (١٥٥ - ١٧٠) على فتن الخوارج سنة ١٥٦ هـ[3]، فلا نكاد نعثر في هذه الفترة على عالم لم يرحل إلى المشرق[4].

وكان في طليعة هؤلاء المرتحلين: معاوية بن الفضل الصُّمَادِحِي (ت ١٩٩)، وقد كانت رحلته قبل سنة ١٥١ هـ[5]. سمع فيها من جلّة محدّثي المشرق، ونشر حديثهم بالقيروان إلاّ أنّه لم يكن من المُكْثِرين[6].

أمّا أبعد الرّحلات أثراً في ازدهار السّنّة وعلومها بإفريقيَّة في هذه المرحلة فهي رحلة علي بن زياد (ت ١٨٣)[7]؛ لأنّها توافقت مع انتهاء الإمام مالك من وضع موطّئه، فسمعه منه علي بن زياد، كما سمع من سفيان الثّوري (ت ١٦١) جامعه الكثير الآثار، وجامعه الأوسط، وهو آثار كلّه، وتفقّه على الإمام مالك،

---

(١) انظر: الرياض ٢١٦/١، المدارك ٣١٧/١، المعالم ٣٠٤/١.

(٢) انظر ترجمة: ابن غانم رقم ٢١ في المحدثين.

(٣) انظر: البيان المغرب ٧٩/١، الاستقصاء ١٣٣/١، العبر ١١٣/٦.

(٤) انظر مثلاً: الشجرة ٦١/١ - ٧٣، ٦٨ - ٧١.

(٥) وهي السنة التي توفي فيها شيخه حنظلة بن أبي سفيان المكي، انظر: التقريب ٢٠٦/١.

(٦) انظر ترجمته: رقم ٣٧ في المحدثين.

(٧) لقد كانت رحلة علي بن زياد في آخر العقد السادس لأنه أدرك سفيان الثوري المتوفّى سنة ١٦١ هـ، ثم إن من رحل قبله لم يسمع الموطأ من الإمام مالك الذي انتهى من تأليفه في آخر حياة أبي جعفر المنصور المتوفي سنة ١٥٨ هـ، انظر: المدارك ١٩٢/١، البيان المغرب ٧٩/١.

وعاد بهذه المصنّفات إلى إفريقيّة[1] فكان أوّل من أدخلها إليها[2]، وهي أوّل ما عرفه أهل إفريقيّة من المصنّفات، وبها توطّدت فيها دعائم السّنّة، وقد أقبل أهل القيروان على علي بن زياد يسمعونها منه، وفي مقدّمتهم البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[3]، وأسد بن الفُرات (ت ٢١٣)[4] وموسى بن معاوية (ت ٢٢٥)[5] والإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[6] وغيرهم.

ولما سمع القرويّون الموطّأ وفهموا قول مالك من علي بن زياد[7] اتجهت أنظارهم نحو الإمام مالك، وتسابقوا في الرّحلة إليه، حتى زاد من تتلمذ عليه منهم على الثلاثين[8]، سمعوا منه ومن غيره من محدّثي المشرق، وكان لهم أثرهم في نشر الحديث في القيروان[9]، ومن أشهرهم أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، الذي دامت رحلته قريباً من عشر سنوات كما تقدّم، وقد لقي فيها كثيراً من العلماء عرفنا منهم أحد عشر من كبار محدّثي المشرق[10]،وقد أعاد سماع الموطّأ على الإمام مالك، وسمع من هُشَيْم بن بَشِير (ت ١٨٣) اثني عشر ألف حديث[11]،كما سمع من يحيى بن زكريّاء بن أبي زائدة عشرين ألف حديث[12]، هذا عدا سماعه من بقيّة شيوخه، كما تفقّه بحمد بن الحسن[13]وبعبدالرحمٰن بن

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٥١.

(٢) انظر: الشجرة ١/٦٠، المدارك ١/٣٢٦، الرياض ١/٢٣٤.

(٣) ط أبي العرب ٢٥١. (٤) الرياض ١/٢٥٥.

(٥) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨.

(٦) انظر: الرياض ١/٣٥٠، المعالم ٢/٨٠، المدارك ١/٥٨٧.

(٧) انظر: الرياض ١/٢٣٤.

(٨) انظر: المعالم ٢/٨٣. وبعد التتبّع وجدت أن عددهم يصل إلى ٤٤ كما سيأتي في مبحث الرّواة عن مالك.

(٩) انظر: الرياض ١/١٧٦ - ١٨٨، ٢٠٠ - ٢٩٢، المدارك ١/٣١٦ - ٣٤٦، ٤٦٥ - ٤٩١.

(١٠) انظر شيوخه في ترجمته: رقم ٤ في المحدثين.

(١١)، (١٢) المدارك ١/٤٧٤.

(١٣) انظر: المدارك ١/٤٦٧.

القاسم[1]، فلمّا عاد إلى القيروان نشر فيها علمه الغزير، وفي مقدّمته هذا العدد الهائل من الأحاديث؛ لأنّه جلس للتّحديث وسمع منه النّاس[2].

واستمرّت الرّحلة إلى المشرق بصفة مكثّفة حتّى بعد وفاة الإمام مالك، وكان من أبرز هؤلاء المرتحلين ممّن لم ير مالكاً، المحدّث موسى بن معاوية الصُّمادِحِي الذي رحل سنة ١٨٤ هـ، ودامت رحلته خمس سنوات، دخل فيها طرابُلُس ومصر والمدينة ومكّة والبصرة والكوفة وبغداد وبلاد خُراسان، ولقي في كلّ بلدة كبار محدّثيها[3]، حتّى نبغ في الحديث وعلومه[4]، ثمّ عاد إلى القيروان، وجلس في جامع عُقبة يسمع مرويّاته الكثيرة، وعلى رأسها الموطّأ ومصنّف وكيع بن الجراح[5].

كما رحل الإمام سَحنون لمدّة خمس سنوات والتقى بثلاثة وعشرين من كبار محدّثي المشرق وفقهائه[6]، ونشر ما رواه عنهم بالقيروان، فكان من أكبر المشيعين لعلوم السّنّة بها[7].

وقد شهد النّصف الثّاني من القرن الثّاني كثافة في الرّحلة إلى المشرق لم تشهدها فترة أخرى. وقد بدت ثمار هذه الرّحلة واضحة، حيث ازدهرت الحياة العلميّة، وكثر العلماء بالقيروان، ولذلك نجد أنّ القرن الثّالث قد شهد تقلّصاً في عدد المرتحلين بالمقارنة إلى المرحلة السّابقة، وذلك راجع إلى أنّ معظم أهل هذا القرن قد انكبّوا على سماع وتدوين علوم المرتحلين في آخر القرن الثّاني، ومع ذلك فإنّ هذا لم يمنع من استمرار الرّحلة لجلب مصنّفات المشارقة، ومن

---

(١) ن. م ٤٦٩/١.

(٢) انظر: الرياض ٢٥٥/١، ٢٦٤.

(٣) انظر ترجمته: رقم ٣٨ في المحدثين.

(٤) انظر: ُط أبي العرب مح ١٩٠، ١٩١، المعالم ٥١/٢، الشجرة ٦٨/١.

(٥) انظر: فهرس ابن عطية ٦٤، المكتبة الأثرية ٣٨.

(٦)، (٧) انظر: شيوخه وأثره العلمي في ترجمته رقم ١٣ في المحدثين.

أشهـر من ارتحل في هـذا القرن محمـد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[١]، وأحمـد بن مُعَتِّب بن أبي الأزهر (ت ٢٧٧)[٢]، ويحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[٣]، وكـلّ هؤلاء سمعوا الحديث والفقه كما سيأتي في تراجمهم، وعيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) الذي أدخل مسند محمد بن سنجر إلى القيروان[٤]، ومـالك بن عيسى القَفْصِيّ (ت ٣٠٥)، وقد دامت رحلته في طلب الحديث عشرين سنة[٥].

وفي القرن الرّابع كان الـرّافضة يجثمون على صدر إفـريقيَّة، وقـد منعوا العلماء من نشر علم أهل السّنّة من حديث وغيره، وضيّقوا على النّاس في أمور معيشتهم، وتسبّبوا في أخذ أموالهم بكلّ سبيـل، فكان ذلـك سبباً في تخفيف الـرّحلة إلى المشـرق؛ لأنّ العلمـاء رأوا أنـه لا يسعهم في تلك الـظّروف إلّا الحضور، ومواجهة ضلال الإسماعيليّة حتّى لا يكفر العامّـة دفعة واحـدة، هذا بالإضافة إلى الضّرائب التي وضعها العُبيديّون على الحجيج والتّجّار، فمن هنا قلّ عدد المرتحلين في هذا العهد، وكان ممّن رحل في الحديث آنذاك مَسَرَّة بن مسلم الذي رحل سنة ٣٠٠ هـ[٦]، وربيع القطّان (ت ٣٣٣)[٧]، وعبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦)[٨] وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[٩]، وأبو الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣) الذي ارتحل سنـة ٣٥٢ هـ، وكان أوّل من أدخل صحيح البخاري إلى بلاد المغرب[١٠].

(١) انظر: ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.
(٢) انظر: ترجمته رقم ٢ في المحدثين.
(٣) انظر: ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.
(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٧ في المحدثين.
(٥) انظر: ترجمته رقم ٥ في المهاجرين.
(٦) انظر: المدارك ٣/٣٥٢، ٥٣٤.
(٧) انظر: ترجمته رقم ١١ في المحدثين.
(٨) انظر: ترجمته رقم ٢٢ في المحدثين.
(٩) انظر: ترجمته رقم ١٩، في المحدثين.
(١٠) انظر: ترجمته رقم ٢٤، في المحدثين.

وبعد أن خرج العُبَيديّون من إفريقيّة إلى مصر، سنة ٤٦٢ هـ، أُزيحت القيود عن العلماء تدريجيّاً، وزالت أسباب قلّة الارتحال، فعاودت الرّحلة كثافتها في الوقت الذي شهدت فيه الحياة العلميّة بالقيروان عصر ازدهارها.

وممّن رحل في الحديث وسمع الفقه وغيره في هذه المرحلة محمد بن تميم، حفيد الحافظ أبي العرب (ت ٤١٧)، وقد ارتحل سنة ٣٧١ هـ وطاف مختلف بلاد المشرق[١]، وأبو بكر عَتِيق بن خَلَف التُّجِيبي (ت ٤٢٢)[٢]، وأبو عِمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠) الذين أدخل عدّة مصنّفات، مثل: التّاريخ الكبير للبُخاري، وتصحيف المحدّثين للدّارقطني وغير ذلك[٣]، وعبدالمنعم الكندي (ت ٤٣٥)[٤]، وأبو محمد مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧)، وقد اشتهر بالنّبوغ في علوم القرآن وخاصّة القراءات بالإضافة إلى إلمامه بالحديث[٥]، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله المالكي (ت ٤٣٨ وقيل ٤٤٤)[٦]، وأبو إسحاق إبراهيم بن حسن المَعَافِري (ت ٤٤٣)[٧]، وأبو القاسم عبدالرحمٰن بن مُحْرِز[٨]، وعبدالرحمٰن بن محمد بن رَشِيق[٩]، ومحمد بن سَعْدون القروي (ت ٤٨٥)[١٠]، وغيرهم.

ولم يقتصر القرويّون في رحلاتهم على التّلقّي بل إنّ كثيراً منهم حدّث أثناء

---

(١) انظر: المعالم ١٥٨/٣، الصلة ٥٦٧/٢.

(٢) انظر: المعالم ١٥٨/٣، الشجرة ١٠٦/١.

(٣) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.

(٤) انظر: المعالم ١٨٤/٣، الشجرة ١٠٦/١.

(٥) انظر: المعالم ١٨٤/٣، الشجرة ١٠٦/١، البغية ٤٥٥، سير أعلام ٥٩١/١٧، الصلة ٥٩٧/٢، مخطوطات مغربية ٦٦.

(٦) انظر: المعالم ١٧٣/٣، الشجرة ١٠٨/١.

(٧) انظر: المعالم ١٧٩/٣، الشجرة ١٠٨/١.

(٨) انظر: المعالم ١٨٥/٣، الشجرة ١١٠/١.

(٩) انظر: المعالم ١٨٦/٣، الشجرة ١١٠/١. (١٠) انظر ترجمته رقم ٣٣ في المحدثين.

رحلته، مثل عبدالرحمٰن بن زياد (ت ١٦١) فقد حدث بمصر، ومكّة، وكتب عنه يحيى بن سعيد القطّان كتاباً بالكوفة، وتتلمذ عليه جماعة من كبار المحدّثين، مثل سفيان الثّوري وعبدالله بن المبارك[(١)].

وحدّث أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) بالموطّأ في العراق[(٢)]، وحدث محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) بمصر وألقى بعض المسائل بالمدينة[(٣)]، أمّا عبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦) فقد سمع منه أهل مصر والإسكندريّة وطرابُلُس[(٤)]، وسمع أهل دمشق من أبي سعيد القيرواني[(٥)].

وقد استهوى المشرق بعض علماء القيروان فاستوطنوا بعض مدنه، ولم يعودوا إلى القيروان إثر رحلاتهم، مثل عُرْفُطة بن حكيم الإفريقي[(٦)]، وعبدالله بن علي الإفريقي نزيل الكوفة[(٧)]، ومحمد بن علي بن عبدالله القروي نزيل بغداد[(٨)]، والحسين بن علي بن القاسم القروي نزيل دمشق[(٩)]، وعبدالله بن سَبْعُون القيرواني نزيل بغداد (ت ٤٧١)، وكان محدّثاً سمع منه الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، وحدّث بمكّة أيضاً[(١٠)].

وهكذا اشتملت الرّحلة إلى المشرق على من سمع الحديث ورجع إلى القيروان، وهم الأكثر، وعلى من سمع وحدّث أيضاً بالمشرق ثمّ عاد، وعلى من استوطن بلاد الشرق وهم قلّة.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال ٧٨٧/٢، وانظر: ترجمة عبدالرحمٰن رقم ١٦ في المحدثين.
(٢) انظر: ط أبي العرب ٨٢.
(٣) انظر: الرياض ٤٤٤/١، المعالم ١٢٦/٢، المدارك ١١٥/٣.
(٤) انظر: المعالم ٥٧/٣.
(٥) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ١٧٣/٥.
(٦) انظر: المراسيل للرازي ١٣٤.
(٧) انظر: معرفة علوم الحديث ٢٤٧، وانظر: ترجمته رقم ٢٠ في المحدثين.
(٨) انظر: تاريخ بغداد ٦٧/٣.
(٩) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ٢٣٥/٤. (١٠) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ٤٣٤/٧.

٢ ـ الرّحلة إلى الأندلس:

لقد تأخّر فتح بلاد الأندلس[١] وتأخّر ظهور العلم بها، حيث لم يدخلها أحد من الصحابة على الرّاجح من خلال المادّة المتوافرة[٢]، ولم يبطئ بها من دخلها من التّابعين للجهاد وهم قلّة[٣].

كما أنّ كثرة الاضطرابات والحروب شغلت أهلها عن الاهتمام بالعلم، ولذلك لم يظهر بها العلم ظهوراً بيّناً، فيما وقفت عليه من المصادر، إلاّ بعد منتصف القرن الثّاني[٤]. ولم يكن فيها من العلم في البداية ما يغري القرويّين بالرّحلة لاكتسابه، ثم إنّ من بها من العلماء كانوا يدخلون القيروان عادة عند رحلتهم إلى المشرق فيأخذ عنهم الأفارقة ويستغنون بذلك عن الرّحلة إليهم في بلادهم، فلم ترتبط الرّحلة إلى الأندلس بالطّلب، بل ارتبطت غالباً بالظّروف السّياسيّة أو الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، كما أنّ المرتحل يكون في الغالب قد أكمل أغلب أصول تكوينه العلميّ، وأصبح أهلاً لنشر العلم فينتفع به أهل الأندلس، أي أنّ رحلاتهم قد جمعت بين الطّلب والعطاء في معظم الأحيان، ومن الملاحظ أنّ كثيراً منهم يقيم بها، ولا يعود إلى القيروان.

وقد ابتدأت الرّحلة إلى الأندلس في آخر القرن الثّالث حسب ما تفيده المادّة المتوافرة، ولم تكن مكثّفة، وممّن ارتحل في هذه الفترة أبو جعفر أحمد بن سليمان (ت ٢٩٦)، وقد حدّث بالأندلس[٥].

وفي القرن الرّابع شهدت الرّحلة إلى الأندلس شيئاً من الحيويّة بسبب

---

(١) ابتدأ فتحها سنة ٩٢ هـ، انظر: البيان المغرب ٢/٩.

(٢) انظر: الإصابة ٣/٤٤٤، التكملة ٢/٧٣١.

(٣) انظر: بغية الملتمس ١٣.

(٤) انظر: الشجرة ١/٦٣، المدارك ١/٣٤٧.

(٥) انظر: تاريخ رواة العلم ١/٧٤.

اضطهاد العُبَيديّين للعلماء، وصعوبة الخروج إلى المشرق في عهدهم كما تقدّم، فقد رحل حينذاك إلى الأندلس حكَم بن محمد بن هشام (ت ٣٠٧)، المحدّث المقرىء، بعد أن امتحنه الرّافضة بسبب تصلّبه في السُّنّة، وقد سمع منه النّاس بالأندلس، وكتبوا عنه الحديث[(١)].

ورحل سعيد بن خَلَف بن جَرِير (ت ٣٢٣)، وقد حدّث بها أيضاً[(٢)]، كما رحل إليها حُبَاشة بن حسن اليَحْصُبِيّ المحدّث (ت ٣٧٤)، وهو من رواة صحيح البُخاري، وقد سمع بالأندلس من جماعة من المحدّثين، منهم المحدّث محمد بن معاوية[(٣)]، ومحمد بن أحمد بن الخَرَّاز القروي وغيرهما، وكان له بها آثار[(٤)]، وقد صاحبه في رحلته محمد بن أحمد الفارسي القروي الذي امتحنه العُبيديّون بسبب تمسّكه بالسُّنّة وإنكاره على المبتدعة فغادر القيروان[(٥)].

ومن أشهر المرتحلين في هذه المرحلة محمد بن أحمد بن حارث الخُشَنِيّ، المحدّث الفقيه المؤرّخ (ت ٣٦١)، وقد رحل في مقتبل عمره صحبة عائلته بعد أن سمع من علماء القيروان ثمّ واصل الطّلب بالأندلس فسمع من المحدّث قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠)[(٦)]، ومحمد بن عبدالملك بن أَيْمَن (ت ٣٣٠)[(٧)]، ومحمد بن يحيى بن لُبابة (ت ٣١٤)[(٨)]، وغيرهم. وقد جال في عدّة مدن،

---

(١) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٥.

(٢) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٢٠٩، التكملة رقم ٢٦٤٨.

(٣) من محدثي الأندلس الثقات، وأول من أدخل سنن النسائي إلى الأندلس، توفي بعد ٣٤٧، البغية ١١٦.

(٤) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٥٢.

(٥) انظر: تاريخ ابن الفرضي رقم ١٣٩٩.

(٦) له بصر بالحديث والرجال، وله كتاب المجتبى على سنن أبي داود، طال عمره فسمع منه الكهول والأحداث، وإليه كانت الرحلة في وقته. تاريخ ابن الفرضي ١/٤٠٦، نفح الطيب ٢/٤٧.

(٧) محدث، صنّف كتاباً حسناً على سنن أبي داود، (ت ٣٣٠)، الشجرة ١/٨٨.

(٨) فقيه حافظ مفت. الشجرة ١/٨٦.

واستقرّ بقُرْطُبَة وبثّ فيها علماً كثيراً، وصنّف بها نحو مائة ديوان في الحديث والتّاريخ والفقه والرّجال[1].

كما رحل إليها تميم بن الحافظ أبي العرب التِّمِيمِي، وحدث فيها بكتب والده[2]، وحدّث بها سليمان بن محمد المؤذّن القيرواني (ت ٣٧٥)[3].

وهاجر إليها المحدّث المكثر عبدالله بن محمد بن علي المعروف بالباجي نسبة إلى باجة القيروان، وقد سكن إِشْبِيلِيَة وبها توفّي سنة ٣٧٨ هـ[4].

ولقد جمع أبو عِمران موسى بن عيسى الفاسي هـ٤٣٠) في رحلته إليها آخر القرن الرّابع، بين الأخذ والعطاء، فقد سمع بها من جماعة من المحدّثين منهم أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ (ت قريباً من سنة ٤٠٠ هـ)[5]، وأحمد بن قاسم (ت ٣٩٦)[6]، وسعيد بن نصر (ولد سنة ٣٦٨)[7]، كما حدّث فيها بصحيح البُخاري بروايته عن شيخه القروي أبي الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)[8]، ثم عاد إلى القيروان وحدّث بها عن شيوخه الأندلسيّين وغيرهم[9].

---

(١) انظر ترجمته في: الشجرة ٩٤/١، المدارك ٥٣١/٣، سير أعلام ١٦٥/١٦، مقدمة كتاب قضاة قرطبة للخشني «د»، تراجم المؤلفين ٢٠٥/٢، الإكمال ٢٦١/٣، طبقات الحفاظ ٣٩٨، الديباج ٢٥٩، تذكره الحفاظ ١٠٠١/٣، المعالم ٨١/٣، الفكر السامي ١١٢/٢، وهناك اضطراب في تاريخ وفاته، ومعظم المصادر على أنه توفي سنة ٣٦١ هـ رغم أنهم يذكرون بقاءه بعد وفاة الحكم بن عبدالرحمٰن أمير الأندلس وقد كان ابن حارث في خدمته، والثابت أن وفاة هذا الأمير كانت سنة ٣٦٦ كما في البيان المغرب ٢٣٣/٢، ٢٥٣، وعلى هذا إما أن يكون بقاؤه بعد المستنصر وهماً أو يكون تاريخ وفاته خطأ، وقد ذكرت بعض المصادر أنه توفي سنة ٣٦٤ هـ، وهذا أيضاً لا يحل الإشكال، ولذلك افترض الذهبي في تذكرة الحفاظ أنه توفي سنة ٣٧١ هـ، وقد أخذت بما في أغلب المصادر.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٣٠١، المدارك ٣٣٦/٣.

(٣) انظر: الصلة ٢٠٢/١.

(٤) انظر: البغية ٣١٧.

(٥) جذوة المقتبس ٢٤٠.

(٦) بغية الملتمس ١٨٨.

(٧) بغية الملتمس ٣٠١.

(٨) انظر: مشارق الأنوار ٣٨/١.

(٩) انظر ترجمته: رقم ٧ في المهاجرين.

وفي بداية القرن الخامس استمرّت الرّحلة إلى الأندلس على هذا النّسق، فقد رحل أبو المعالي القيرواني الواعظ المحدّث حوالي سنة ٤٠٧ هـ، وسكن إشْبِيلِيَة، وحدّث فيها بصحيح البخاري وتاريخ الطّبري وغيرهما[١]، كما رحل محمد بن تميم حفيد الحافظ أبي العرب سنة ٤١٦ هـ في تجارة له وسمع الحديث بالأندلس، ولعلّه حدّث بها أيضاً؛ لأنّه رحل إليها في آخر حياته[٢]، وخرج إليها محمد بن القاسم القروي تاجراً، وحدّث بها وتوفّي في بعض مدنها سنة ٤٢٨ هـ[٣]، وقدمها موسى بن عاصم بن سفيان سنة ٤٣١ هـ في تجارة له، فحدّث بها وأجاز بعض محدّثيها[٤].

وفي سنة ٤٣٣ هـ أظهر المعزّ بن باديس أمير القيروان الدّولة العبّاسيّة[٥]، وأخذ يُعدّ لقطع الارتباط الصّوري بالعبيدين بعد أن تطهرت إفريقية من الرّفض، وبدأت تلوح بوادر الفتنة التي انتهت بخراب القيروان وانقطاع ما بها من العلم والحضارة، فأخذت رحلة القرويّين إلى الأندلس تتكثّف وخاصة بعد خراب القيروان وخروج أهلها عنها، فكان للأندلس حظّ وافر من علمائها[٦].

وممّن رحل إليها في هذه المرحلة الأخيرة عثمان بن أبي بكر الصَّفَاقُسِيّ القَرَوِيّ (ت حوالي ٤٤٤) فقد خرج إليها سنة ٤٣٦ هـ في مهمّة سياسيّة، وتجوّل في مدنها لمدّة سنتين وبثّ فيها حديثاً كثيراً، وأدخل إليها عدّة مصنّفات حديثيّة لم تكن معروفة عند أهلها، مثل كتاب غريب الحديث للخطّابي[٧].

كما رحل إليها عبدالسّلام بن مُسَافِر هـ٤٨١)، ومحمد بن نعمة الأسدي (ت ٦٨١ أو ٤٨٢)، ولكلّ منهما عناية بالآثار[٨].

---

(١) انظر: التكملة ٢/٧٤٣.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٣١ في المحدثين.

(٣) انظر: الصلة ٢/٥٦٤.

(٤) انظر: الصلة ٢/٦١٢، ٦١٣.

(٥) انظر: البيان المغرب ١/٢٧٥.

(٦) انظر: المعجب ٣٥٥.

(٧) انظر: ترجمته رقم ٤ في المهاجرين.

(٨) انظر: الصلاة ١/٣٧١، ٢/٥٧١.

ومن أبـرز من خرج إليهـا عند اشتـداد فتنة الأعـراب محمد بن سَعـدون القروي (ت ٤٨٥ أو ٤٨٦) وقد طاف في مختلف مدنها ونشر فيها علماً كثيراً[١].

كما خرج إليها محمد بـن أبي سعيد، ابن شَرَف سنة ٤٤٧ هـ، وهو أديب مشارك في علم الحديث[٢]، وعبدالمنعم بن مَنّ الله الهَوّاري (ت ٤٩٣) خـرج إليها وحدّث بها[٣]، كما حدّث بها عبدالعزيز بن عبدالوهاب القروي (ت ٤٩٥)[٤] وعبدالقادر بن محمـد الصَّدَفِيّ (ت ٥٠٧)[٥]، وغيـرهم ممّن دخلها بعـد خراب القيروان.

وهكذا تميّزت الرَّحلة إلى الأندلس بأنّ الطلب لم يكن الدّافع الأسـاسي لها، بل كان يحصل عرضاً في الغالب، كما أنّ أكثر من ارتحل إليها قد حدّث بها وبثّ فيها العلم أكثر من كونه طالباً، ومعظمهم كان يستقرّ في بعض مدنها، وقد ظهر ذلك بصورة أوضح بعد خراب القيروان سنة ٤٤٩ هـ.

ثانياً: **الرّحلة من المشرق والأندلس إلى القيروان:**

لقد تتلمذ القرويّون على المشـارقة بـاعتبار المشـرق موطن العلم ومهبط الرّسالة، ومنه منطلقها، أمّـا الأندلسيّون فقد تتلمذ كثير منهم على القرويّين؛ لأنّ العلم بالقيروان كان أسبق في الظّهور منه بالأندلس، ولأنّها أقرب إلى مـواطن العلم، وقد كثر المرتحلون من أهلها لاكتسابه، ونظراً لكلّ ما تقدّم فقد ارتبطت رحلة المشارقة إلى القيروان بالعطاء غالباً، بينما ارتبطت رحلة الأندلسيّين إليها بالأخذ في معظم الأحيان، وإليك تفصيل ذلك.

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٣٣ في المحدثين.

(٢) انظر: الصلة ٢/٥٧١، المعالم ٣/١٩٣.

(٣) الصلة ٢/٣٩٢.

(٤) انظر: البغية ٣٧٢.

(٥) انظر: البغية ٣٨١.

١ ـ الرّحلة من المشرق إلى القيروان:

إنّ أوّل رحلة ـ نعلمها ـ قدمت من المشرق بعد انتهاء فتوح المغرب، وخصّصت لنشر العلم، هي تلك التي قام بها التّابعون العشرة الذي أرسلهم عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ هـ لتفقيه أهل القيروان، ونشر السّنّة بينهم، والحكم فيهم بالكتاب والسّنّة[١]، وقد نجحوا في هذه المهمّة نجاحاً كبيراً، وكان لهم أبعد الأثر في إشاعة الحديث والفقه المبني على الرّواية بإفريقيَّة[٢].

وممّن دخلها من التّابعين لنشر العلم، وليس للجهاد، عِكْرِمَة مولى ابن عبّاس، الذي قدم إليها في مطلع القرن الثّاني، وكانت له حلقة في جامع عُقبة[٣].

وفي النّصف الثّاني من القرن الثّاني استقطبت القيروان عدداً من المحدّثين المشارقة الذين وفدوا عليها لنشر العلم، ومنهم من استوطنها.

فقد رحل إليها الحارث بن نَبْهان البَصْرِي[٤] بعد سنة ١٥٠ هـ، وسمع منه جماعة من أهلها، منهم البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[٥].

وأوطنها عبدالعزيز بن بَحِير الرُّعَيْنِي المصريّ، وهو يروي عن التّابعين[٦].

ودخلها سنة ١٥٦ هـ أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن يزيد المقرىء (ت ٢١٢ أو ٢١٣)، البصري نزيل مكّة، شيخ الإمام البخاري، وهو محدّث ثقة، وقد سمع

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ١/٩٩، تاريخ ابن الفرضي ١٤٦، المعالم ١/٢٠٣.

(٢) انظر: مبحث أثر التابعين في نشر السنة بالقيروان.

(٣) انظر: ط أبي العرب ١٩، الرياض ١/١٤٦، الفكر السامي ١/٢٩٨.

(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٠٥.

(٥) انظر: ط أبي العرب ٥٢، الرياض ١/٢٠٠.

(٦) انظر: الرياض ١/١٦٧، الإكمال ١/٢٠١.

الحديث بالقيروان من عبدالرحمٰن بن زياد (ت ١٦١)، كما أخذ عنه بعض القرويين. ثمّ عاد إلى مكّة[(١)].

ورحل إليها كَامِل بن طَلْحة البصري نزيل بغداد (ت ٢٣١ أو ٢٣٢) فسمع بها من عَبّاد بن عبدالصّمد[(٢)]، وحدّث عنه جماعة من أهلها، منهم داود بن يحيى (ت ٢٤٩)[(٣)]، وقد عاد إلى بغداد[(٤)].

كما قدمها علي بن يونس اللَّيْثِيّ وهو مدني من تلاميذ مالك، وقد حدّث بالقيروان وأقام بها[(٥)].

وفي القرن الثّالث رحل إلى القيروان جماعة من أهل المشرق، منهم عبدالعزيز بن يحيى المدني نزيل نيسابور (ت بعد ٢٣٥)، وقد دخلها سنة ٢٢٥ هـ وأقام بها سنة كاملة، حدّث فيها بالموطّأ وغيره، وسمع منه محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) وبشر كثير من القرويّين، وعندما أراد الخروج استعان عليه أهل القيروان ببعض الوجهاء ليستوعب النّاس السّماع منه، وهو غير محمود في روايته عند المشارقة وقد أثنى عليه أبو العرب حافظ القيروان، لكن الرّاجح أنّه ضعيف جدّاً؛ لأنّ الجرح فيه مفسّر فهو مقدم على التّعديل فقد قال ابن حجر في التّقريب إنّه متروك، وجاء في التّهذيب عن أبي مُصَعب أنّه كذّاب يحدّث عمّن لم يدرك، وقال العُقَيلي: «يحدّث عن الثّقات بالبواطيل ويدّعي من الحديث مالا يعرف به غيره من المتقدّمين عن مالك وغيره»، وتركه أبو حاتم بعد أن سمع

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ١٦٣، تهذيب الكمال ٢/٧٨٧، الضعفاء الصغير ١٤٢، وانظر: ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٣٦٧، طبقات الحفاظ ١٦٠، التهذيب ٦/٨٣، تاريخ ابن معين ٢/٣٣٨، التقريب ١/٤٦٢.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٧ في القسم الثالث من التابعين.

(٣) انظر عنه: ط أبي العرب ١٠٩.

(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٦٦، الرياض ١/١٣٨، وراجع ترجمته في التهذيب ٨/٤٠٨، التقريب ٢/١٣١، الميزان ٣/٤٠٠.

(٥) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٩، الرياض ١/٢٩٢.

منه، وقال ابن عديّ: «ضعيف جدّاً... يسرق حديث النّاس»، وقال البُخاري: يضع، كما في الخلاصة[1].

وقد قدم معه زكريّاء بن يحيى الوَقَّار المصريّ (ت ٢٥٤)، وهو كثير الحديث وقد سمع منه أهل القيروان، وذكر أبو العرب: «أن كثيراً من حديثه منقطع، وعن رجال شاميّين غير أعلام»، وعندما أراد الخروج قال للقرويّين: «إن استعنتم عليّ كما استعنتم على عبدالعزيز جلستُ وصبرت لكم»، ولكنّهم زهدوا فيه، وقد أجمع النّقاد على تضعيفه، بل إنّ منهم من اتّهمه بالوضع[2].

ودخلها عبدالله بن المغيرة الكوفي، وقد سمع منه جماعة من أهلها، منهم سليمان بن عِمران (ت ٢٧٠) ولهم عنه كتاب يروونه، ويبدو أنّه أطال المقام بالقيروان حتّى سُمّيت بعض الأسواق باسمه، وهو يذهب إلى تحليل النّبيذ الشّديد، «أما حديثه فمستوى حديث الحُذّاق بالحديث» كما قال أبو العرب[3].

وقدم إليها زَيد بن بِشر الأَزْدِيّ المصري (ت ٢٤٢) فارّاً من المحنة بخلق القرآن، ولم يطل مقامه بها، ثمّ انتقل إلى مدينة تونُس فأَوْطَنَها، وكان له حظّ من

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٨، ١٨٢، التهذيب ٦/٣٦٣، التقريب ١/٥١٣، الميزان ٢/٦٣٦، الشجرة ١/٥٧، الخلاصة ٢٤١، الضعفاء الكبير للعقيلي ٣/١٩، الكامل في الضعفاء ٥/٢٠١٦ في ترجمة عطاف بن خالد.

(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٨٢، المدارك ١/٥٧٨، الميزان ٢/٧٧، اللسان ٢/٤٨٥، طبقات الفقهاء ١٥١، الديباج ١١٨، تنزيه الشريعة ١/٦١، الكامل في الضعفاء ٣/١٠٧١، الضعفاء الكبير ٢/٨٧، الكشف الحثيث ١٨٤.

(٣) انظر: ط أبي العرب مح ١٦١، وقد ترجم في اللسان ٣/٣٦٥ لعبد الله بن المغيرة، غير أنه مصري، كما جاء ذكره عرضاً في الميزان ٢/٦٢٩، وليس هناك ما يفيد أنه الذي معنا أو غيره، فإن كان هو فهو ضعيف خلافاً لما ذهب إليه أبو العرب؛ لأن النقاد فسروا جرحهم له بما يقتضي ذلك، فقد قال ابن حبان: يُغرب وينفرد، وقال العقيلي: يحدث بما لا أصل له، وقال ابن يونس: منكر الحديث، وقال الذهبي: ليس بثقة.

الحديث والفقه، فكان طلبة العلم بالقيروان يرحلون إليه في تونُس للسّماع منه[1].

ورحل إليها أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وقد حدّث بها، وسمع منه النّاس، وقد أغفل المالكيّ تسميته[2].

واستوطنها من البغداديّين المحدّث الأديب إبراهيم الشَّيبَانِي (ت ٢٩٨)، وكان له بها آثار، وقد حدّث فيها بمسنده[3]، ومن البصريّين المحدّث الفقيه محمد بِسْطام الضّبّيّ (ت ٣١٣)، وكان كثير الكتب، واسع الرّواية، وقد سمع وحدّث بالقيروان، وأدخل إليها كتباً لم تكن معروفة عند أهلها[4].

وفي القرن الرّابع خفّت الرّحلة من المشرق إلى القيروان بسبب سيطرة العُبيديّين على إفريقيَّة وضغطهم على أهل العلم، وممّن دخلها في هذا القرن أبو زكريّاء عبدالرحيم بن أحمد بن نصر البُخاري، وقد صحب بعض علمائها، وكان من كبار المحدّثين، فقد قال عن نفسه: «لي ببخارى أربعة عشر ألف جزء حديث»، وقال عنه المَقَّري: «لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث، وهو ثقة عدل. . .»[5].

كما رحل إليها محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن الأَزْرَق (ت ٣٨٥)، وذلك سنة ٣٤٣ هـ، وكان من أهل الحديث، فسجنه الرّافضة لمدّة ثلاثة أعوام وسبعة أشهر، فلمّا خرج غادرها إلى الأندلس فاستوطنها وحدث بها[6].

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ٢٥٥، الرياض ١/٣٩٠، المدارك ٤/٩٨، طبقات الفقهاء ١٥٧.

(٢) انظر: الرياض ١/٤٤٢.

(٣) انظر: ترجمته رقم ١ في المهاجرين.

(٤) انظر: ط الخشني ١٦٨، المدارك ٥/١١١، الرياض ٢/١٨١، الديباج ٢٤٤، الفكر السامي ٢/١٠٤.

(٥) انظر: نفح الطيب ٣/٦٢ ـ ٦٤.

(٦) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/١١٧.

أمّا القرن الخامس فلم أعثر على من رحل فيه إلى القيروان من محدّثي المشرق، بينما يوجد من دخلها من المشارقة من غير أهل الحديث، منهم أبو طاهر البغدادي، والحسين بن عبدالله الأزدي (ت ٤٢٣)، وهما من علماء الفقه والأصول والكلام[1].

٢ ـ الرّحلة من الأندلس إلى القيروان:

بالرّغم من توتّر العلاقات السّياسِيَّة بين حكومتي الأندلس وإفريقيّة، وبُعد المسافة بينهما فقد عرفت الرّحلة من الأندلس إلى القيروان نشاطاً كبيراً، وكانت العلاقات العلميّة والصّلات الثّقافيّة شديدة المتانة بينهما، بسبب كثرة الوافدين على القيروان من الأندلسيّين الذين استهواهم ازدهار الحياة العلميّة بها، حتّى إنّه يندر أن يخرج أندلسيّ للحجّ أو للطّلب ولا يَمرّ بعاصمة إفريقيّة للتزوّد من علمائها، وممّا ساعد على ذلك وحدة المذهب الفقهي بينهما؛ فإنّ المذهب المالكي كان دعامة الحياة العلميّة في إفريقيّة والأندلس[2]، كما أنّ وجود القيروان في طريق حجّ الأندلسيّين ورحلتهم كان ممّا هيّأ لهم سبيل المرور عليها والاستفادة من علمائها.

وإذا كان الأخذ هو الغالب على من دخل القيروان من الأندلسيّين، فإنّ منهم من قام بالعطاء فحدّث بها، وخاصة بعد عودتهم من رحلتهم إلى المشرق واكتسابهم لكثير من العلوم، فإنّهم أوّل من يلقونها في القيروان، كما أنّ منهم من طاب له المقام بها فاستوطنها وجلس فيها للتّعليم، فأسهم هذا وذاك في إثراء الحياة العلميّة عامّة والحديثيّة خاصة.

وقد كان الأندلسيّون الذين ارتحلوا إلى القيروان من الكثرة بحيث يتعذّر إحصاؤهم في مختلف الاختصاصات، أمّا من كانت له منهم عناية بالحديث

---

(١) انظر مثلاً: تبيين كذب المفترى ١٢٠، ١٢١.

(٢) انظر: الأغالبة ـ سياستهم الخارجية ١٤١.

ورحلة في طلبه فقد تتبعّتهم في مختلف المصادر الإفريقيّة والأندلسيّة، ووجدت أنّ عددهم يصل إلى ١١٥ رجلاً[1]، وسأكتفي بذكر نماذج يعرف من خلالها أهمّيّة هذه الرّحلة بالنّسبة للأفارقة والأندلسيّين معاً.

فلقد ابتدأت رحلة الأندلسيّين إلى القيروان في آخر القرن الثّاني، حيث قصد جماعة منهم يحيى بن سلاّم (ت ٢٠٠)[2]، وأسد بن الفُرات (ت ٢١٢)[3]، والإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[4]، ومنهم من حدّث بها وأقام فيها منذ هذا العهد المبكّر، مثل إبراهيم بن زُرْعَة (ت ٢١٢) شيخ الإمام سَحنون[5].

وفي القرن الثّالث تكثّفت الرّحلة، وحلّ بالقيروان كبار محدّثي الأندلس، منهم: بقيّ بن مَخْلَد (ت ٢٧٦) محدث الأندلس ومُسنِدها، صاحب التّفسير والمسند اللّذين لا نظير لهما، فإنّه سمع من كبار محدّثي المشرق كالإمام أحمد بن حَنْبَل (ت ٢٤١) ويحيى بن معين (ت ٢٣٣)، ثم دخل القيروان فسمع بها من الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)، ومن عون بن يوسف الخُزاعي المحدّث (ت ٢٣٩)، وجماعة غيرهما، كما حدّث فيها ببعض مرويّاته، فقد سمع منه محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) في بيت سَحنون، وسَحنون حاضر[6].

---

(١) انظر مثلاً: بغية الملتمس ١١٢، ١١٤، ١٢٣، ١٣٦، ١٩٥، الجذوة ١٦٤، ٢٣٧، ٢٦٦، تاريخ ابن الفرضي ١/١٩، ٣٨، ٥٥، ٢٨٨، ٤٠٤، ٢/٦١، ١٨٢، الصلة ١/٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٦، ٣٠١، ٣٠٧، ٢/٤١٨، ٤٨٩، ٥٠١، ٥٠٨.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٥٦، ٥٧.

(٣) انظر: ترجمته رقم ٤ في المحدثين.

(٤) انظر مثلاً: المدارك ٣/٤٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، البغية ١٩٥.

(٥) انظر: بغية الملتمس ٢٠٤، تاريخ ابن الفرضي ١/١٦.

(٦) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٠٧، جذوة المقتبس ١٦٧، بغية الملتمس ٢٢٩، سير أعلام ١٣/٢٨٥، الصلة ١/١١٦، نفح الطيب ٢/٤٧، ٥١٨، تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٩، طبقات الحفاظ ٢٨١، عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث ٣٣، طبقات المفسرين للسيوطي ٤٠.

ودخلها مثيله الإمام محمد بن وَضّاح (ت ٢٨٦)، المحدّث الجليل، العالم بالحديث ورجاله وعلله، وسمع بها من الإمام سَحنون، وعون بن يوسف المحدّث، وروى عن موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي (ت ٢٢٥)[١] مصنّف وكيع بن الجرّاح، وأدخله إلى الأندلس[٢].

وبهذين الإمامين اللّذين تعلّما بالقيروان فشت السّنّة في الأندلس وصارت دار حديث وإسناد[٣].

ورحل إليها المحدّث الكبير محمد بن إبراهيم بن حَيُّون (ت ٣٠٥) صاحب الرّحلة المشرقيّة التي دامت خمسة عشر عاماً، سمع فيها من جماعة من علماء القيروان، وأخذ عنه كثير من أهلها، وقد وُصف بالإمامة في الحديث، وأنّه لم يكن بالأندلس أبصر بالحديث منه[٤].

كما دخلها المحدّث الثّقة محمد بن عُبيد الله بن أيوب المعروف بالدّبّاج (ت ٣١٧)، وذلك إثر عودته من رحلته إلى المشرق، فنزل في أحد فنادقها، وجاءه كبار القرويّين فسمعوا منه، منهم الحافظ أبو العرب التّميمي (ت ٣٣٣)، وقد رأى الخُشَنِيّ سماعه مُثْبتاً في كتب القرويّين، يروونه عنه[٥].

وسمع بها الحديث محدّث قُرْطُبَة محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٣٨ في المحدثين.

(٢) انظر: البغية ١٢٣، الجذوة ٨٧، تاريخ ابن الفرضي ٢/١٧، سير أعلام ١٣/٤٤٥، تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٦، طبقات الحفاظ ٢٨٧، الشجرة ١/٧٦.

(٣) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٠٧، الشجرة ١/٧٦.

(٤) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٨، نفح الطيب ٢/٥٢، تذكرة الحفاظ ٣/٧٨١، طبقات الحفاظ ٣٣٠.

(٥) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/٣٩، ط أبي العرب مح ٩٢، وهناك اشتباه بينه وبين محمد بن عبيد الجزيري لاشتراكهما في الرحلة والشيوخ، والسماع منهما بالقيروان، انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٩.

(ت ٣٢٧ أو ٣٢٨)، وقد كانت رحلته سنة ٢٩٤ هـ، فأخذ عن جماعة من علماء القيروان، واختصّ بمحدّثها مالك بن عيسى (ت ٣٠٥)، ولم يكن بقُرْطُبَة أكثر حديثاً منه في زمانه[1].

كما رحل إليها الإمام الحافظ، الرّحّالة، صاحب التّصانيف، قاسم بن أَصْبَغ (ت ٣٤٠)، وقد سمع بها مسند مُسَدَّد بن مُسَرْهَد (ت ٢٢٨)، أخذه عن بَكر بن حمّاد (ت ٢٩٦)، كما سمع من محدّثها أحمد بن يزيد المعلّم (ت ٢٨٤)، وغيرهما[2].

وفي القرن الرّابع ازدادت كثافة رحلة الأندلسيّين إلى القيروان، وخاصّة بعد خروج العُبيديّين إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ، وكان أكثر تتلمذهم على أبي محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وأبي الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣).

ومن المحدّثين الذين رحلوا في هذا القرن قاسم بن مَسْعَدْة البَكْرِي (ت ٣١٧)، وقد كان له بصر بالحديث وتمييز الرّجال، قدم القيروان أوّل القرن الرّابع، فسمع بها من مالك بن عيسى القفصي (ت ٣٠٥)، وتدبّج[3] بأبي العرب، قال أبو العرب: «جاءني قاسم بن مَسْعَدة ليسمع منّي فرأيت عنده علماً بالحديث وتمييزاً للرّجال فأخذت عنه...»[4]. وفي سنة ٣١٢ هـ رحل إليها المحدّث محمد بن عبدالله اللَّيْثِيّ (ت ٣٣٩)، فسمع من أبي بكر محمد بن اللَّبَّاد (ت ٣٣٣) وجماعة غيره[5].

---

(١) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٤٨/٢، جذوة المقتبس ٨، نفح الطيب ٦٢/٢، البغية ١١٣، تذكرة الحفاظ ٨٤٤/٣، طبقات الحفاظ ٣٥١.

(٢) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٤٠٦/١، البغية ٤٣٣، نفح الطيب ٤٧/٢، تذكرة الحفاظ ٨٥٣/٣، الديباج ٢٢٢، طبقات الحفاظ ٣٥٤.

(٣) من التّدبيج، والمدبّج هو أخذ كل من الراويين عن الآخر وإن تفاوتت الأسنان، انظر: الباعث الحثيث ١٩٧، علوم الحديث ٢٧٨، التدريب ٢٤٦/٢، ٢٤٧.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ٤٠٤/١، وانظر: البغية ٤٣٦.

(٥) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٦١/٢، البغية ٧٨.

ودخلها أحمد بن سعيد بن حَزْم الصَّدَفِيّ (ت ٣٥٠)، وكان ممّن عني بالآثار والسّنن، وجمع الحديث، وبرز في علم الرّجال وألّف في المحدّثين كتاباً بلغ فيه الغاية، وقد سمع بها محمد بن اللَّبَّاد وأحمد بن نصر وغيرهما[1].

ومن أشهر من ارتحل إليها في هذه المرحلة: أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ (ت سنة ٣٩٢) الإمام الحافظ المحدّث المتفنّن، وقد دخلها حوالي سنة ٣٥٠ هـ فسمع من شيوخها ولازمهم، مثل علي بن محمد بن مسرور (ت ٣٥٩)، وعبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وغيرهما، وفي سنة ٣٥٢ هـ صاحب الإمام القابِسي في رحلته إلى المشرق، وسمعا معاً صحيح البُخاري، وكان الأَصِيلِيّ هو الذي ضبط للقابِسيّ سماعه[2].

ورحل إليها المحدّث الحافظ عبدالله بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الفَرَضِيّ (ت ٤٠٣)، صاحب التّصانيف المتميّزة في رواة العلم بالأندلس، ورجال الحديث عامّة، وقد سمع بها من ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، والقابِسي (ت ٤٠٣)، وتميم بن أبي العرب (ت ٣٧١)، وغيرهم[3].

ودخلها الإمام المحدّث محمد بن يحيى بن الحذَّاء التَّميمي (ت ٤١٦)، وسمع من جماعة من شيوخها، منهم: أبو محمد بن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وقد لازمه حتّى حمل عنه مصنّفاته ومرويّاته، ثمّ رحل إلى المشرق، وعند عودته بقي مدة بالقيروان «مستكثراً من مشايخه، متفقّها عندهم في الحديث والمذهب» كما في المدارك، ولعلّه حدّث بها أيضاً بعد أن تأهّل لذلك؛ إذ بلغت عدّة شيوخه آنذاك ستّين شيخاً[4].

---

(١) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٥٥، البغية ١٦٩.

(٢) انظر: البغية ٣٢٧، الجذوة ٢٤٠، الشجرة ١/١٠٠، المدارك ٣/٦٤٢.

(٣) انظر: بغية الملتمس ٣٢١، جذوة المقتبس ٢٣٧، الصلة ١/٢٤٦، الشجرة ١/١٠٢، مقدمة كتاب تاريخ العلماء ورواة العلم بالأندلس، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٦، الديباج ١٤٣، طبقات الحفاظ ٤١٩.

(٤) انظر: البغية ١٣٦، الصلة ٢/٤٨٠، المدارك ٣/٧٣٣، الشجرة ١/١١٢.

وفي سنة ٣٩٧ هـ رحل إليها المحدّث المكثر، والمقرىء المتقدّم، الحافظ أبو عمروعثمان بن سعيد الدّاني (ت ٤٤٤)، وقد مكث فيها أربعة أشهر، وسمع من جماعة من شيوخها، واختص بالإمام القابِسي (ت ٤٠٣) ولازمه وأكثر الرّواية عنه، فكان بعد ذلك يحدّث عنه في الأندلس ويطنب في الثّناء عليه[١].

وفي القرن الخامس استمرّت رحلة الأندلسيّين إلى القيروان على نفس النّسق الذي كانت عليه في المرحلة السّابقة، وخاصّة في مطلع هذا القرن، حتى إنّ الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) قد خصّص عَلِيَّة منزله لإقامة الطّلبة الغرباء وكان أكثرهم من أهل الأندلس[٢].

ومن مشاهير المرتحلين في هذه الفترة حاتم بن محمد الطَّرَبُلْسِيّ القُرْطُبِيّ (ت ٤٦٩)، الإمام المحدّث المتقن، صاحب الرّحلة الواسعة، والمرويّات الغزيرة، مع الحفظ والضّبط، وقد دخل القيروان سنة ٤٠٢ هـ، فبقي عند الإمام القابِسي ولازمه في السّماع والرّواية لمدّة سنة كاملة حتّى حمل عنه أكثر مصنّفاته كالملخّص، وسماعاته مثل صحيح البخاري وغير ذلك[٣]، ولما توفّي القابِسي سنة ٤٠٣ هـ مضى الطَّرَابُلْسِيّ إلى المشرق للسّماع من علمائه، ثمّ عاد إلى القيروان سنة ٤٠٤ هـ فأقام بها يقابل كتبة، وينتسخ سماعاته، من أصول القابِسي، فلمّا فرغ من ذلك جلس إلى من بها من العلماء فأخذ عن الحافظ أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠) التّاريخ الكبير للبخاري[٤] وغيره، وسمع مسند أسد بن موسى من المحدّث محمد بن عيسى بن مَنَاس القروي[٥]، وروى عن أبي

---

(١) انظر: الصلة ٣٨٦/٢، نفح الطيب ١٣٥/٢، البغية ٣٩٩، الديباج ١٨٨، تذكرة الحفاظ ١١٢٠/٣، طبقات الحفاظ ٤٢٨.

(٢) انظر: الصلة ٢٦٦/١، سيرة القيروان ٧٧.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٩٠، ١٤٥، ١٤٨.

(٤) انظر: فهرسة ابن خير ٢٠٥.

(٥) انظر: فهرسة ابن خير ١٤٢.

عبـدالملك مروان بن علي البُـوني (ت قبل سنـة ٤٤٠) كتابـه الذي شـرح فيه الموطّأ[١]، وغيرهم، ولعلّه حدّث فيها ببعض ما حمله في رحلته مثل صحيـح مسلم ومسند أحمد[٢]، ثم عاد إلى الأندلس ونشر فيها علماً كثيراً ممّا رواه عن شيوخه القرويّين وغيرهم، وقد ثابر على القعود للسّماع والصّبر عليـه على كبر سنّه، فقد طال عمره حتّى ألحق الأحداث بالشّيوخ[٣]، وقد صحبـه في رحلته المحـدّث عبدالله بن محمـد الجَدَلِيّ (ت ٤٤٤) وسمـع بالقيـروان من القابِسي صحيح البُخاري وغيره[٤].

وهاجر إليها مروان بن علي الأسدي (ت قبل سنة ٤٤٠) وهو فقيه محدّث حافظ، سمع بالقيروان من كبار شيوخها مثل القابِسي، وأحمد بن نصر الدّاودي، وغيرهما، وسرعان ما تأهّل لنشر العلم فجلس بها للتّحديث، وألّف شرحاً على الموطّأ أخذه عنه النّاس، وشاعت روايته في إفريقيَّة والأندلس. وقد انتقل إلى بُونة القيروان وبها توفّي[٥].

ورحـل إليهـا المحـدّث الشّهيـر هشـام بن سعيـد الخَيْـر بن فَتْحُـون (ت بعـد ٤٣٠)، وتتلمـذ بهـا على المحـدّث أبي عِمـران الفـاسي (ت ٤٣٠)، وإبراهيم بن قاسم المِكْنَاسي، وَعَتِيق بن إبراهيم، ومحمد بن عيّاش وغيرهم[٦].

وعبدالله بن بَكْر القُضَاعِيّ (ت ٤٣١)، وهو محدّث ثقة، دخلها عندما عاد من رحلته إلى المشرق، وقد سمع الحديث بمكّة ومصر، ثمّ سمع بالقيروان من المحدّث أبي عبدالله محمد بن عيسى بن مَنَاس وغيـره، ولعلّه حدّث فيهـا بما سمعه في رحلته[٧].

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير ١٠٠، ١٤٠.

(٢) انظر: الصلة ٥٨١/٢، فهرسة ابن خير ٨٨.

(٣) انظر: الصلة ١٥٤/١، البغية ٢٥٤، الشجرة ١٢٠/١، سير أعلام ٣٣٦/١٨.

(٤) انظر: الصلة ٢٦٦/١.

(٥) انظر: الجذوة ٣٢١، الصلة ٥٨١/٢، البغية ٤٤٦، الشجرة ١١٤/١.

(٦) انظر: البغية ٤٧١، الجذوة ٣٤٢.

(٧) انظر: الصلة ٢٦٠/١.

ورحل إليها عمر بن سَهْل بن مسعود اللَّخْمِيّ (ت بعد ٤٤٢) وسمع بها من القابِسي، وأبي عِمران الفاسي، وأبي عبدالملك مروان بن علي الأسدي وغيرهم، «وكان إماماً في الحديث وعلومه»[1].

وهكذا اتّسمت الرّحلة الأندلسيّة القيروانيّة بالكثافة وكثرة الفائدة بحيث أسهمت في نشر مختلف العلوم وإشاعة الحديث وعلومه ببلاد الأندلس عن طريق المصنّفات العديدة التي أخذها الأندلسيّون عن محدّثي القيروان، مثل: مصنّف مُسَدَّد بن مُسَرْهَد، ومصنّف وكيع بن الجرّاج، ومسند أسد بن موسى، وصحيح البُخاري، وتاريخه الكبير، وغير ذلك كما تقدّم قريباً، كما أنّ هذه الرّحلة قد أسهمت في إشاعة الحديث بإفريقيَّة أيضاً؛ إذ إنّ كثيراً من محدّثي الأندلس كان يدخل القيروان بعد أن يسمع الحديث بالمشرق، أو يدخلها مرّتين: مرّة في ذهابه وأخرى عند عودته، فيحدّث فيها بما سمعه في المشرق، مثل ما فعل بَقِيّ بن مَخْلَد (ت ٢٧٦)، ومحمد بن إبراهيم بن حَيُّون (ت ٣٠٥)، ومحمدّ بن عُبيد الله بن الدَّبَّاج (ت ٣١٧)، وقاسم بن مَسْعدة (ت ٣١٧) وغيرهم.

ثالثاً: ثمرات الرّحلة وأثرها في الحديث:

لقد تضمّن العرض السّابق للرّحلة بعض إشارات إجماليّة لثمراتها، وفي هذا المبحث سأفصّل القول في ذلك، حتّى تكتمل الصّورة على الوجه المطلوب، فإنّ الرّحلة تعتبر من أهم دعائم الحياة العلميّة بإفريقيَّة، ولقد كان لها أثر واضح في ازدهار السُّنّة وعلومها بالقيروان، التي كان بعدها عن مواطن العلم وحواضر العالم الإسلاميّ من الدّوافع الأساسية لتحمّل مشاق الرّحلة في سبيل تحصيل الحديث من كبار المشتغلين به، ومعرفة أحوال رجاله، وحمل مصنّفاته، ثمّ العودة بذلك لنشره وروايته.

---

(١) انظر: الصلة ١/٣٧٨.

ويمكن أن تتّضح أبرز ثمرات الرّحلة وأثرها في الحديث بإفريقيَّة من خلال النّقاط التّالية:

أ ــ تحصيل الحديث وشيوع روايته:

إنّ التّحمّل المباشر للحديث عن رواته ومصنّفيه ثمّ أداء ذلك ونشره بين طلّابه يعدّ من أسمى ثمرات الرّحلة، وأعظم فوائدها، وذلك عامّ في كلّ الرّحلات الحديثيّة التي يقوم بها علماء الأمصار[1]، وأخذ القرويّون من ذلك بنصيب وافر فقد قصدوا كبار محدّثي المشرق منذ عهد التّابعين، ودوّنوا عنهم الأجزاء الحديثيّة التي شاعت روايتها بالقيروان[2]، كما فعل خالد بن أبي عمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩)[3]، وعبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي (ت ١٦١)[4] وغيرهما، ولم يجلس عبدالله بن فَرُّوخ مُحدّثاً وناشراً للسُّنَّة في جامع عُقبة إلّا بعد أن رحل وسمع من كبار محدّثي المشرق مثل: الإمام مالك (ت ١٧٩)، وسفيان الثّوري (ت ١٦١)، والأعمش (ت ١٤٧)[5]، وغيرهم.

وهذا أمر ظاهر من خلال نماذج الرّحلة المتقدّمة قريباً، وسيظهر أكثر من خلال التّعريف بالمحدّثين في الباب الثّالث، فقد قلّ من يتصدّر مجالس الحديث قبل أن يرحل للأخذ عن رجاله.

وتزداد هذه الثّمرة وضوحاً حين نعرف المصنّفات الحديثيّة العديدة التي دخلت القيروان عن طريق الرّحلة، وهي تحصر لأوّل مرّة في هذا البحث

---

(١) انظر: الرحلة في طلب الحديث ١٨، الحديث والمحدثون ١١٣.

(٢) انظر: مبحث حركة التّصنيف الحديثي في هذه الرسالة.

(٣) انظر: ط أبي العرب مح ٢٤٥، ٢٤٦، الرياض ١/١٦٣.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٣٠، دراسات في الحديث النبوي ١/١٨٤.

(٥) انظر: الرياض ١/١٧٧، المعالم ١/٢٣٩، المدارك ١/٣٤٠.

بحمد الله تعالى، وسأرتّبها بحسب أوّليّتها في الدّخول؛ إذ إنّ ذلك ممّا يساعد على إدراك تطوّر نشر السّنّة بإفريقيّة:

١ ـ موطّأ الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩): يعتبر الموطّأ برواية عليّ بن زياد أوّل مصنّف حديثيّ ظهر بإفريقيّة، وهي أوّل رواية عُرفت للموطّأ خارج المدينة المنوّرة[1]، وأوّل من أدخله علي بن زياد (ت ١٨٣)[2]، محدّث إفريقيّة وفقيهها، وذلك حوالي سنة ١٦٠ هـ، وقد نشره بها فأخذه عنه علماء القيروان، ثمّ رحل كثير منهم لسماعه من مؤلّفه مباشرة[3]. وقد اشتدّت حفاوة القرويّين بالموطّأ رواية وحفظاً كما سيأتي تفصيله في أوّل مباحث الرّواية.

٢ ـ جامع سفيان الثّوري (ت ١٦١) الكبير، الكثير الآثار.

٣ ـ جامعه الأوسط، وهو آثار كلّه، وقد كان شرف إدخالهما من نصيب عليّ بن زياد أيضاً[4].

٤ ـ جامع عبدالله بن وهب (ت ١٩٧)، وقد أدخله الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[5]، وقام بنشره، وكان كثير التّداول بين القرويّين حتّى اعتمدوه في مصنّفاتهم[6].

٥ ـ كُتُب المحدّث أنس بن عياض (ت ٢٠٠)، وقد سمعها أهل القيروان

---

(١) انظر: مقدمة موطأ مالك برواية ابن زياد ٩.

(٢) انظر: الشجرة ١/٦٠، الرياض ١/٢٣٤، الإكمال ١/٥٢٤.

(٣) راجع ما تقدم قريباً عن رحلة علي بن زياد، وانظر: توير الحوالك ١/١٠، ١١.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٢٥١، المدارك ٣/٣٢٦، الإكمال ١/٥٢٤، وقد أدخل عنبسة بن خارجة الغافقي جامعاً للثوري غير أن في المصادر اضطراباً في تحديده. انظر: الرياض ١/١٤١، ط أبي العرب ٥٠، ٧٢.

(٥) انظر: الرياض ١/٣٧٣، وراجع ترجمة سحنون رقم ١٣ في المحدثين.

(٦) انظر مثلاً: المدونة ١/٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، الرياض ١/٧٤، ٩٦، ١١٩.

من محمّد بن تميم القَفْصِيّ (ت ٢٤٩)[1]، الذي يبدو أنّه أخذها عن مؤلّفها مباشرة، لأنّه سمع منه كثيراً كما قال القاضي عِياض[2]، وحدّث بها حِمَاس بن مَرْوَان (٣٠٣)[3]، ولعلّه سمعها من القفصي أو غيره؛ لأنّه لم يدرك أنس بن عياض (ت ٢٠٠) فإنّه ولد سنة ٢٢٢ هـ[4].

٦ ـ كتاب الحافظ أبي الأحوص سلاّم بن سُليم (ت ١٧٩)[5]، أدخله المحدّث عباس بن الوليد الفارسي (ت ٢١٨)، ونشره في إفريقيَّة، وكان يحدّث به من حفظه[6].

٧ ـ مصنّف وكيع بن الجرّاح (ت ١٩٧)، رواه موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي (ت ٢٢٥) وعنه انتشر في إفريقيَّة والأندلس[7].

٨ ـ كتاب السّنّة للإمام الحافظ عبدالرحمٰن بن مَهْدي (ت ١٩٨)، وقد أدخله موسى بن معاوية أيضاً[8].

٩ ـ مسند مُسدَّد بن مُسَرْهَد (ت ٢٢٨)، وقد أدخله المحدث بَكْر بن حَمّاد (ت ٢٩٦)، قبل سنة ٢٢٤ هـ، وعنه انتشر في القيروان وبلاد الأندلس[9].

١٠ ـ مسند أسد بن موسى المعروف بأسد السّنّة (ت ٢١٢)، وقد أخذه

(١) انظر: ط الخشني ١٦٨.
(٢) المدارك ١٩٢/٤.
(٣) المعالم ٩٧/٢.
(٤) المدارك ٧٧/٥.
(٥) ثقة متقن، له نحو من أربعة آلاف حديث. الكاشف ٣٣٠/١، التقريب ٣٤٢/١.
(٦) انظر: الرياض ٢٤٨/١، ط أبي العرب ٢٥٤.
(٧) انظر: فهرس ابن عطية ٦٤، فهرسة ابن خير ١٢٦، ١٢٧، الغنية ٨٧.
(٨) انظر: المدارك ٤٠٣/١.
(٩) انظر: البغية ٤٣٣، وراجع ترجمته رقم ٢ في المهاجرين.

يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) عن نصر بن مرزوق عن مؤلفه وأدخله إلى القيروان حوالي سنة ٢٢٥ هـ، وعنه انتشر في بلاد المغرب[1].

١١ ــ مسند محمد بن سنجر الجُرْجَانِيّ الحافظ (ت ٢٥٨)، وقد رواه عنه المحدّث عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، وأدخله إلى القيروان بُعيد وفاة ابن سنجر[2]، وقام بنشره في القيروان، وروى من طريقه في بلاد الأندلس[3]، وهو من أهمّ مصادر المالكي في رياض النّفوس[4].

وقد رواه عن ابن سنجر محدّث قرويّ آخر، ضاعت معالم شخصيّته حيث لم أجد له ذكراً في غير البيان المغرب، وهو أحمد بن يحيى السَّهْمِيّ (ت ٣٠٩)[5].

١٢ ــ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتَانِيّ (ت ٢٧٥)، وقد رواها من الأندلسيّين قاسم بن أَصْبَغ (ت ٣٤٠)، وكان له استقرار بالقيروان، فلعلّه حدّث بها هناك، وقد دخل القيروان بعد سنة ٢٧٦ هـ[6]، ثمّ أدخلها من القرويّين أبو محمّد مكّي بن أبي طالب، وكانت رحلته الأولى سنة ٣٧٦ هـ أو سنة ٣٧٧ هـ[7].

وقد استفاد منها القابِسيّ في الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين[8]، واعتمدها المالكي في الرّياض[9].

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير ١٤٢.

(٢) انظر: المدارك ٣/٢٢٣.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ١٤٢، وارجع ترجمته رقم ٢٧ في المحدثين.

(٤) انظر: الرياض ١/٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٣.

(٥) انظر: البيان المغرب ١/١٨٨.

(٦) انظر: الشجرة ١/٨٨، فهرسة ابن خير ١٢٤.

(٧) انظر: سير أعلام ١٧/٥٩١، الصلة ٢/٥٩٧، المعالم ٣/١٧١.

(٨) انظر: هذه الرسالة في كتاب التربية في الإسلام ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.

(٩) انظر: الرياض ١/١٣٠.

١٣ ـ مسند بَقِيّ بن مَخْلَد الأندلسيّ (ت ٢٧٦)، وقد أدخله إلى القيروان صَمِيل بن إبراهيم الباجي في أواخر القرن الثّالث[١].

١٤ ـ مصنّف عبدالرّزّاق بن همام الصّنعاني (ت ٢١١)[٢]، وقد دخلها في آخر القرن الثّالث؛ فإنّ يوسف بن يحيى المَغَامّي القُرطبي نزيل القيروان (ت ٢٨٨) قد رحل إلى اليمن وسمع بها من أبي يعقوب إسحٰق بن إبراهيم الدَّبَري (ت ٢٨٥) صاحب عبدالرزّاق وراوي مصنّفه، فيُفترض أن يكون المصنّف من أوّل ما سمعه منه[٣]، ثمّ أدخله محمد بن أبي المنظور الأندلسي نزيل القيروان وقاضيها (ت ٣٣٧)[٤].

١٥ ـ سنن أبي عبدالرحمٰن أحمد بن شُعيب النسَّائي (ت ٣٠٣)، وقد أُدخلت إلى القيروان في حياة مصنّفها، فقد رحل إليه مسرة بن مسلم سنة ٣٠٠ هـ[٥]، ثم سمعها الإمام القابِسي من حمزة بن محمّد الكِنَاني (ت ٣٥٧)، وأدخلها إلى القيروان سنة ٣٥٧ هـ[٦]. وقد أفاد منها في الرّسالة المُفصّلة[٧].

ثمّ أدخلها محمد بن سَعدون القروي (ت ٤٨٥)، وعنه انتشرت في بلاد الأندلس[٨]، وقد اعتمدها المالكيّ في كتاب الرّياض[٩].

---

(١) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٢٤١.
(٢) ثقة حافظ شهير، وكان يتشيّع، أخرج له الجماعة، التقريب ١/٥٠٥، التهذيب ٦/٣١٠.
(٣) انظر: الديباج ٣٥٦، الشجرة ١/٧٦، الأنساب ١١/٤١٨، تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٠١، تراجم المؤلفين ٤/٣٤٥.
(٤) انظر: الشجرة ١/٨٤، وراجع ترجمته رقم ٦ في المهاجرين.
(٥) انظر: ترجمته رقم ٣٦ في المحدثين.
(٦) انظر: الشجرة ١/٩٧، الغنية ٨٥.
(٧) انظر: التربية الإسلامية ٨٣، ٢٨٦، ٢٨٩.
(٨) انظر: فهرسة ابن خير ١١٥. (٩) انظر: الرياض ١/١١٥، ١٣٠.

١٦ ـ الجامع الصّحيح للإمام محمد بن إسماعيل البُخاري (ت ٢٥٦)، وقد نال الإمام القابِسي شرف إدخاله إلى بلاد المغرب لأوّل مرّة، وذلك سنة ٣٥٧ هـ[١]، وعنه انتشر في إفريقيَّة والأندلس[٢]، ثمّ سمعه آخرون كما سيأتي في فصل الرّواية.

١٧ ـ مسند حديث مالك للنَّسائي[٣].

١٨ ـ مسند حديث الأَوْزاعيّ (عبدالرحمٰن بن عمرو ت ١٥٧) لعبد الرحمٰن بن إبراهيم المعروف بدُحَيم. وهو في أربعة أجزاء[٤].

١٩ ـ المنتقى في السّنن المسندة لأبي محمد عبدالله بن علي بن الجَارُود[٥].

وقد أدخل جميعها الإمام القابِسيّ أيضاً، وعنه شاعت روايتها[٦].

٢٠ ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجّاج القُشَيري (ت ٢٦١): لقد دخل هذا المصنَّف الجليل إفريقيّة في النّصف الثّاني من القرن الرّابع، وليس في نهاية القرن الخامس كما ذهب إليه بعض الباحثين جازماً بأنّ أحداً من الأفارقة لم ينقل صحيح مسلم[٧]، بل إنّ المحدّث المقرىء مكّي بن أبي طالب القَيْسِيّ (ت ٤٣٧) قد قام بنقله وأشاع روايته في إفريقيّة والأندلس[٨]، وقد كانت رحلته الأولى سنة ٣٧٦ أو ٣٧٧ هـ، ورحلته الثّانية سنة ٣٨٧ هـ[٩].

---

(١) انظر: الشجرة ٩٧/١، المعالم ١٣٩/٣، الإمام المازري ٣٢.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٩٧، ٩٨، الصلة ٢٦٦/١، مشارق الأنوار ٣٦/١، ٣٨، الغنية ٣٣، وارجع ترجمة القابسي رقم ٢٤ في المحدثين.

(٣)، (٤)، (٥)، (٦) انظر: فهرسة ابن خير ١٤٥، ١٤٨، ١٢٣.

(٧) انظر: «أبو عبدالله الأبي وكتابه الإكمال» ١٠٦، ١٠٧.

(٨) انظر: فهرسة ابن خير ١٠٠، الصلة ٥٩٧/٢.

(٩) انظر: سير أعلام ٥٩١/١٧، المعالم ١٧١/٣.

كما سمعه حاتم بن محمد الطَّرَابُلْسِي (ت ٤٦٩) سنة ٤٠٣ هـ بمكّة[1]، وقدم القيروان سنة ٤٠٤ هـ وأطال المقام بها قبل أن ينتقل إلى الأندلس[2]، ومن المستبعد عدم تحديثه فيها بصحيح مسلم وغيره من مرويّاته.

وأفاد المالكي منه في تصنيف كتاب الرّياض[3]، كما توجد منه نسخة في مكتبة جامع القيروان[4] من تحبيس خاتمة علماء القيروان المحدّث المقرىء الفقيه عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِي (ت ٤٦٠ أو ٤٦٢)[5].

٢١ ـ سنن أبي عيسى محمد بن عيسى التّرمذي (ت ٢٧٩)، وقد أدخله الحافظ عثمان بن أبي بكر الصّفاقُسِي (ت حوالي ٤٤٤) قبل سنة ٤٣٦ هـ، ورواه عنه النّاس[6]، وقد أدخل معه، جملة أخرى من المصنّفات الحديثيّة منها:

٢٢ ـ مسند أبي داود سليمان بن داود الطّيالسي (ت ٢٠٤) وقد قيل إنّه أوّل مسند صنّف في الإسلام[7]، ولعلّ ذلك باعتبار موطنه، لوجود من سبقه إلى ذلك مثل أسد بن موسى (ت ٢١٢)[8]، وقد تقدّم ذكر مسنده في رقم ١٠.

٢٣ ـ مسند أبي بكر عبدالله بن الزُّبير الحُمْيدِي (ت ٢١٩)[9].

٢٤ ـ كتاب الأربعين حديثاً على مذاهب أهل السّنّة، للحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبدالله الأَصْبَهاني (ت ٤٣٠)[10].

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير ١٠٠. (٢) انظر: الصلة ١/١٥٥.

(٣) انظر: الرياض ١/١٣٠، ٢٠١، ٣٧٢.

(٤) انظر: سجل قديم ٣٦٢.

(٥) انظر عنه: الشجرة ١/١١٦، المدارك ٣/٧٧٠، المعالم ٣/١٨١. تراجم المؤلفين ٣/١١٦، الديباج ١٥٨.

(٦) انظر: فهرسة ابن خير ١٢١. (٧) فهرسة ابن خير ١٤١.

(٨) انظر هذه المسألة في: التدريب ٢/١٥٤.

(٩) م. ن ١٤٤.

(١٠) م. ن ١٥٨.

٢٥ ـ كتاب الأربعين حديثاً على مذاهب الصّوفيّة لأبي نُعَيم أيضاً[١].

٢٦ ـ كتاب الحكم والأمثال المرويّة عن رسول الله ﷺ، وشرح ألفاظه التي لم يسبق إليها لأبي أحمد العَسْكَرِي[٢].

وهكذا كانت الرّحلة سبباً في دخول هذه المصنّفات، التي رُويت ودُرست بالقيروان، وعن طريقها انتقل كثير من هذ المؤلّفات إلى بلاد الأندلس، وكانت بهذا منطلقاً لازدهار الحياة العلميّة، وخاصّة في مجال الحديث وعلومه ببلاد إفريقيَّة، والمغرب.

ب ـ نقد الحديث وفقهه:

لقد نتج عن الرّحلة شيوع الأحاديث المقبولة، ومعرفة محدّثي القيروان لطرق نقد الأحاديث، وإدراك ما فيها من العلل، إن وجدت، فقد وُصف جماعة منهم بمعرفة علل الحديث مثل ربيع القَطّان (ت ٣٣٣)[٣]، ولا شكّ أنّه أخذه عن مشايخه في رحلته الأولى التي خصّصها لسماع الحديث[٤]، والإمام القابِسي (٤٠٣) صاحب الرّحلة التي زادت عن الخمس سنوات[٥].

وقد ساعد على اكتساب القرويّين لهذه الفائدة أمور منها:

١ ـ تحمّلهم لأمّهات المصنّفات الحديثيّة بما تجمعه من رواية ودراية، ثمّ روايتها وتدارسها بالقيروان كالموطّأ، والصّحيحين، وبقيّة الكتب الستة إلاّ سنن ابن ماجه، والمسانيد والمصنّفات المختلفة كما تقدّم قريباً، وبتداول هذه الكتب شاعت الأحاديث الصّحيحة والحسنة بأسانيد القرويّين متّصلة إلى مصنّفي هذه الكتب، وتميّزت كثير من الأحاديث الضّعيفة. وكثير من هذ المصنّفات حافل بعلوم الرّواية والدّراية كما هو معلوم، ومن ذلك ما قاله ابن العربي عن كتاب

---

(١)، (٢) م. ن ٢٠٢.

(٣) انظر: الرياض ٣٢٣/٢.

(٤) انظر: المدارك ٣٢٥/٣.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.

سنن التّرمذي[1]: «... فيه أربعة عشر علماً فوائد: صنّف وذلك أقرب إلى العمل، وأسند، وصحّح، وأسلم، وعدّد الطّرق، وجرّح، وعدّل، وأسمى، وأكنى، ووصل، وقطع، وأوضح المعمول به، والمتروك، وبيّن اختلاف العلماء في الرّدّ والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم في تأويله، وكلّ علم من هذه العلوم أصل في بابه وفرد في نصابه...».

٢ ـ اتّصال سندهم بكبار الحفّاظ والنّقّاد المشارقة، وحضور مجالسهم التي لم تكن تخلو من المذاكرة في نقد الأحاديث، والتّكلم على عللها المختلفة والتّنبيه عليها، ومعرفة الأحكام المستفادة منها مثل: الإمام مالك (ت ١٧٩) الذي تتلمذ عليه أكثر من ثلاثين رجلاً[2]، من القرويّين منهم البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) الذي لازم مجلس مالك بن أنس مدّة فكان بعد ذلك يقول: «ما رأيت أنزع بآية من مالك بن أنس مع معرفته الصّحيح والسّقيم والمعمول به من الحديث والمتروك...»[3].

وسفيان الثّوري (ت ١٦١)، الذي أخذ عنه أكثر من ثلاثة عشر من محدّثي القيروان[4]، ومنهم من لازمه شهوراً عديدة، مثل عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦) والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣) وعبدالله بن غانم (ت ١٩٠)[5].

وسفيان بن عُيَينة (ت ١٩٨)، وقد أخذ عنه أكثر من ستّة من القرويّين[6]، وغيرهم ممّن له مقام معلوم في الكلام على علل الحديث وفقهها، والتّنبيه على وجوب رواية صحيح الحديث واجتناب سقيمه.

---

(١) عارضة الأحوذي ١/٥، ٦.

(٢) انظر: الحلل ١/٣/٧٧٥.

(٣) المدارك ١/٩٠.

(٤) انظر: ط أبي العرب مح ٩٥، ١٠٧، ١١٢، ١١٦، ١٢٦، ١٤٠، ١٥٠، ١٥٣، ١٦١، ١٧٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٥.

(٥) انظر: الرياض ١/٢١٦، ٢١٧.

(٦) انظر: ط أبي العرب مح ٤٧، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٢، ٢٥٤.

وبلُقيّ هؤلاء الجهابذة عرف المحدّثون القرويّون هذا الفنّ، فقد كانوا ينبهون على اختلاف ألفاظ الحديث[1]، وعلى المدلّس[2]، والمُنكَر[3]، والضّعيف[4]، ونحو ذلك من العلل، حرصاً على سلامة الحديث الشّريف وصحّته.

٣ ـ دخول بعض المصنّفات المساعدة على تمحيص الحديث، مثل صحيح مسلم بمقدّمته الجليلة النّافعة، المشتملة على جملة من علوم الحديث ووسائل صيانته من الدّخيل[5]، وكتاب تصحيف المحدّثين لأبي الحسن علي بن عمر الدّارقطني (ت ٣٨٥)، وقد أدخله المحدّث أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠) في مطلع القرن الخامس، وعنه انتشر في إفريقيَّة والأندلس[6]، وكتاب تصحيح[7] المحدّثين لألفاظ الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطّابي البُسْتِيّ (ت ٣٨٨)، وقد أدخله الحافظ عثمان بن أبي بكر الصَّفاقُسي (ت ٤٤٤)[8]، وكتابي معرفة علوم الحديث والمدخل إلى معرفة الإكليل، كلاهما لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله الحافظ النَّيْسابُوري (ت ٤٠٥)، وقد أُدخلا في بداية القرن الخامس، أوَّلُهما عن طريق محمد بن سَعدون (ت ٤٨٥)[9] والثّاني عن طريق الصَّفاقُسِي (ت حوالي ٤٤٤)[10].

جـ ـ معرفة أحوال الرّواة:

وهو مطلب مهم جليل؛ إذ عليه مدار التّمييز بين الصّحيح والسّقيم من الحديث[11]، ولقد أفادت الرّحلة القرويّين في معرفة أحوال رواة الحديث، وذلك

(١) انظر: نفح الطيب ٢/٤٩.
(٢) انظر: ط أبي العرب ١١٩، المدارك ١/٩٣.
(٣) انظر: ط أبي العرب ١١١. (٤) انظر: ط أبي العرب ٩٨، ٩٩.
(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١/٤٧ - ١٤٤.
(٦) انظر: فهرسة ابن خير ٢٠٤، وراجع ترجمة أبي عمران رقم ٧ في المهاجرين.
(٧)، (٨) كذا ورد في الفهرسة، ولعله تصحيف، انظر: فهرسة ابن خير ١٩٠.
(٩)، (١٠) انظر: فهرسة ابن خير ٢٢٣، ٢٢٤، وكلاهما مطبوع.
(١١) انظر: الكفاية ٧٨، الرحلة في طلب الحديث ٢١.

عن طريق احتكاكهم بالنّقّاد، وحضورهم مجالس جهابذة علم الرّجال مثل: سليمان بن مِهْرَان الأعْمس (ت ١٤٨)[(١)]، واللّيث بن سعد (ت ١٧٥)[(٢)]، وهُشَيْم بن بَشِير (ت ١٨٣)[(٣)]، وعبدالله بن وهب (ت ١٩٧)[(٤)]، ووَكِيع بن الجَرَّاح (ت ١٩٧)[(٥)]، وعبدالرّحمن بن مَهْدي (ت ١٩٨)[(٦)]، وأبي الحسن أحمد بن عبالله العِجْلِيّ الكوفي نزيل طرابُلُس الغرب (ت ١٦١)[(٧)]، وأحمد بن شُعيب النَّسائي (ت ٣٠٣)[(٨)]، وغيرهم من المتكلّمين في الرجال، المقبول قولهم في الجرح والتّعديل. وكان القرويّون ينقلون عن هؤلاء الشّيوخ ما أفادوه منهم ممّا يتعلّق بأحوال الرّواة[(٩)].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد قام القرويّون بإدخال جملة من المصنّفات، المتعلّقة بأحوال رواة الحديث، ونشروها في القيروان، ممّا زاد في توطيد دعائم

---

(١) انظر: الرياض ١/١٨٠، المدارك ١/٣٤٥، وراجع: المتكلمون في الرجال ٨٧، ذكر من يعتمد قوله ١٦٢.

(٢) انظر: الرياض ١/١٧٥، ٢٠٠، ٢٤١، وراجع: المتكلّمون في الرجال ٨٩، ذكر من يعتمد قوله ١٦٣.

(٣) انظر: المدارك ١/٤٧٤، وراجع: المتكلمون من الرجال ٨٩، ذكر من يعتمد قوله ١٦٤.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٦٧، ١٠٠، ١٠٢، وراجع: المتكلمون في الرجال ٩٠، ذكر من يعتمد قوله ١٦٤.

(٥) انظر: ط أبي العرب مح ١٨٥، ٢٠٠، المعالم ٢/٥٢، وراجع: المتكلمون في الرجال ٩٠، ذكر من يعتمد قوله ١٦٤.

(٦) انظر: ط أبي العرب مح ١٨٥، ٢٠٠، وراجع: المتكلمون في الرجال ٩٠، ذكر من يعتمد قوله ١٦٧.

(٧) انظر: الديباج ٣١، ط أبي العرب مح ١٩١، وراجع: المتكلمون في الرجال ٩٧، ط الحفاظ ٢٤٦.

(٨) انظر: المدارك ٣/٥٣٤، وراجع: المتكلمون في الرجال ١٠١، ذكر من يعتمد قوله ١٨٥.

(٩) انظر: ط أبي العرب ٢٩، ٤٣، المدارك ٣١٤.

هـذا الفنّ، مثل تـاريخ يحيى بن معين (ت ٢٣٣)[١]، والتّـاريخ الكبيـر للإمـام محمـد بن إسمـاعيــل البُخـاري (ت ٢٥٦)[٢]، والأسمــاء والكنى لأبي أحمـد محمد بن محمد بن أحمد الحاكم الكبير (ت ٣٧٨)[٣]، وكتاب الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثّقة والسّداد الذين خرّج لهم أبو عبدالله البُخاري في صحيحه، لأبي نصر أحمد بن محمد الكَلاَبَاذِي الحافظ (ت ٣٩٨)[٤]، وجزء فيه من وافقت كنيتـه كنيـة زوجتــه من الصّحـابــة لأبي الحسن محمـد بن عبــدالله بن حَيْـوَة النَّيْسَابُورِيّ[٥] وغيرها.

د ـ علوّ الإسناد وتعدّد الطّرق:

لقد عني أهل الحديث بطلب الإسناد العالي واعتبروه من سنن السّلف[٦]، بل هو قُربة لما فيه من القُرْب إلى صاحب الرّسالـة ﷺ، وقد أدرك القـرويّون أهمّيته ورحلوا في طلبه، فهذا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الجِبْنِيَانِيّ (ت ٣٦٩) يقول: «نحن إذا بلغنا أنّ رجلاً ببلد هو أقرب إلى النّبيّ ﷺ بدرجة ضربنا إليه آباط الإبل، وقطعنا إليه المفاوز»[٧]، وقد صنّف في عوالي الحديث جماعة من القــرويين ممّن اتّسعت رحلتهم منهم أبـو عِمـران مـوسى بن عيسى الفــاسي (ت ٤٣٠)[٨]، وعثمان بن أبي بكر الصَّفَاقُسِيّ (ت حوالي ٤٤٤)[٩].

---

(١) المدارك ٣/٤٥٩، وقد صرّح بذكره، وانظر: ط أبي العرب ٢٧، وأبو العرب لم يصرح بذكره، غير أنه يفهم مما يردّده أبو العرب من اعتماده على كلام النقاد في الرواة. انظر مثلاً: ط أبي العرب ٣٣.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٢٠٥.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٢١٤.

(٤) انظر: فهرسة ابن خير ٢٢١.

(٥) انظر: فهرسة ابن خير ١٦٨.

(٦) انظر: الرحلة في طلب الحديث ٢٠، معرفة علوم الحديث ٥، ٧.

(٧) مناقب أبي إسحٰق ٥٨، أبو عبدالله الأبي ٩١.

(٨) الأعلام ٧/٢٧٨، الشجرة ١/١٠٦.

(٩) الشجرة ١/١٠٩، تراجم المؤلفين ٣/٢٦١.

وكان بعض القرويّين يسمعون من العائدين من الرّحلة، ثمّ يخرجون إلى المشرق فيدركون شيوخ شيوخهم، ويُعيدون عليهم سماع ما أخذوه في القيروان، وبذلك تعدّدت طرق كثير من المصنّفات مثل: الموطّأ[1]، وجامع سفيان الثّوري[2]، وصحيح البُخاري[3]، وغيرها، بالإضافة إلى علوّ إسناد هؤلاء المرتحلين إلى هذه المصنّفات.

هـ ـ دخول مصنّفات حديثيّة أخرى:

لقد نتج عن الرّحلة دخول مصنّفات أخرى غير ما تقدّم ذكره في الفوائد السّابقة، وقد أسهمت هذه المصنّفات في تنشيط الحركة الحديثيّة في القيروان، وتقدّم علوم السّنّة بها، ومن هذه المؤلّفات:

١ ـ رقائق الفُضَيل بن عياض (ت ١٨٧) وقد أدخلها الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[4].

٢ ـ السّيرة النّبويّة من تهذيب عبدالملك بن هشام المَعَافِرِيّ (ت ٢١٨)، كان يرويها عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[5]، وغيره[6].

٣ ـ مغازي محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧)، كانت تُروى بالقيروان في القرن الرّابع[7].

٤ ـ رقائق عبدالله بن المبارك (ت ١٨١)، أدخلها محمد بن مسرور العسّال (ت ٣٤٦)[8].

---

(١) انظر: موطأ مالك برواية ابن زياد ٧٣.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٥٢، ٧٢، ٢٥١.

(٣) انظر: أبو عبدالله الأبي، وكتابه الإكمال ١٠٤، وانظر ما يأتي في مبحث دخول صحيح البخاري.

(٤) انظر: فهرسة ابن خير ٢٦٩.

(٥) انظر: سير أعلام ١١/١٧.

(٦) انظر: فهرسة ابن خير ٢٣٣.

(٧) انظر: كتاب المحن ١٤٦.

(٨) انظر: فهرسة ابن خير ٢٦٨.

٥ ـ الإعلام في شرح كتاب البُخاري.

٦ ـ المعالم في شرح سنن أبي داود.

٧ ـ تفسير الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ. وهذه الثّلاثة من تأليف أبي سليمان حَمْد بن محمّد الخَطَّابِي، وقد أدخلها عثمان بن أبي بكر الصَّفاقُسيّ قبل سنة ٤٣٦ هـ[١].

٨ ـ غريب الحديث، وغريب القرآن، في كتاب واحد لأبي عبيد أحمد بن محمد الهَرَوي (ت ٤٠١)[٢].

٩ ـ شرح غريب الحديث لأبي سليمان حَمْد بن محمد الخطّابي[٣]. وقد أدخلهما الصَّفاقُسي أيضاً.

وهكذا تبيّن لنا ما للرّحلة من الأثر في نشر الحديث بإفريقيّة، وأنّها كانت من أهمّ وسائل تحصيل الحديث وإشاعته وتمحيصه، وقد مكَّنَت محدّثي القيروان من مواكبة حركة تطوّر علوم السّنّة بالمشرق.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى أهمّيّة الكتب كدعامة للحياة العلميّة بالقيروان، وأمّا تفصيل ذلك فهو مبسوط في مواضعه من البحث.

رابعاً: المصنّفات:

تعتبر المصنّفات من أهمّ أسس الحياة العلميّة بالقيروان وإفريقيَّة، كما هو الحال في غيرها من الأمصار: ففيها تُدوَّن وتُضبَط العلوم المختلفة، ويقرؤها الشّيوخ على الطّلاب مع الشّرح والبيان، أو يَعْرضها هؤلاء على أولئك، ويتوقّف على مدى صحّتها ضبطُ صاحبها وموقفُ العلماء من مروِيّاته، وتُستعمل في المذاكرة والمدارسة والحفظ، ويُرجع إليها عند الحاجة كالاختلاف في مسألة

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير ٢٠١.
(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٦٩.
(٣) انظر: فهرسة ابن خير ١٩٠، الشجرة ١/١٠٩، الصلة ٢/٣٩٠.

علميّة، أو للتّأكّد من نقطة معيّنة، أو لمعرفة حكم شرعيّ، أو نصّ حديث، ونحو ذلك، وبالجملة فهي مدار رئيسي للحياة العلميّة.

وقد اهتمّ بها القرويّون أيّما اهتمام، فجلبوا منها الكثير خلال رحلاتهم العلميّة كما تقدّم قريباً، وكانت لهم عناية بضبط هذه الكتب وتقييد سماعاتهم بها وتواريخ سماعهم، من ذلك ما جاء في الصّفحة الأولى من كتاب السّرقة وقطع الطّريق المرويّ عن الإمام أبي حنيفة: «عن محمّد بن أَبَان (قروي ت ٢٨٤) عن مَعْمَر بن منصور (قروي من أصحاب أسد) عن أسد بن الفُرات عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة... سمعت جميع ما في هذا الكتاب من محمّد بن أَبَان سنة ٢٧٨»، وعلى هذا الكتاب سماع آخر بتاريخ ٣٠٠ هـ[1].

وجاء في مطلع كتاب الشّعر والغناء من جامع عبدالله بن وَهْب: «عن عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥) عن سَحنون بن سعيد عن عبدالله بن وهب... سمعته من عيسى بن مسكين بمنزله سنة ٢٧٠[2].

وأقبل أهل القيروان على التّصنيف في مختلف الفنون، وخاصّة في العلوم الشّرعيّة، واهتموا بالنَّسخ والضّبط، وقاموا بتحبيس الكتب على من يستفيد منها، كما تقدّم عند الحديث عن المكتبات.

ولم أُرد هنا غير التّنبيه على أهمّيّة الكتب في إثراء الحياة العلميّة بالقيروان وانتعاشها، وخاصّة في مجال الحديث وعلومه.

وقد تقدّم في ثمرات الرّحلة ذكر المصنّفات الحديثيّة التي دخلت القيروان عن طريق الرّحلة، وسيأتي عند التّعريف بأهمّ المصنّفات الحديثيّة بالقيروان حصرُ ما عُرف من مؤلّفات القرويّين الحديثيّة، كما سبقت الإشارة إلى بعض ما صُنّف في العلوم الأخرى عند الحديث عن أهمّ العلوم الشّرعيّة في القيروان. وفي كلّ ذلك غناء عن الإعادة والتّكرار.

---

(١) انظر: المكتبة الأثرية بالقيروان ٣٢، ٣٣.

(٢) م. ن ٣٤، ٣٥.

الباب الثاني

السنة وعلومها بالقيروان

وفيه ثلاثة فصول يتفرع كل منها إلى مباحث ومطالب ونقاط:

- **الفصل الأول**: مظاهر النشاط العلمي وخصائصه في مجال رواية الحديث.
- **الفصل الثاني**: مظاهر النشاط العلمي وخصائصه في مجال دراية الحديث.
- **الفصل الثالث**: صلة هذه المدرسة بمدرستي المشرق والأندلس وبعض مدن إفريقية.

توطئة

إنّ علوم الرّواية ـ وقوامها الحديث الشّريف ـ كانت أسبق العلوم وجوداً بالقيروان، كما هو الحال في غيرها من بلاد الإسلام، حيث كانت مختلف العلوم الشّرعيّة تنتقل في العهود الأولى بالرّواية، ويعتبر أكثرها من أبواب الحديث النّبوي(1).

ولقد قام الصّحابة الفاتحون برواية شيء من الحديث بإفريقيّة، والقيروان وخاصّة أولئك الذين وجدوا فيها بعد تأسيسها وبناء جامعها(2)، حيث جلس بعضهم للتّحديث فيه كما سيأتي، وظهرت الرّواية، ممّا جعل الأمير عُقبة بن نافع يوصي بتحرّي حديث النّبيّ ﷺ عن الثّقات، وتجنّب كتابة ما يشغلهم عن القرآن(3).

أمّا في عهد التّابعين فقد فشت رواية الحديث(4)، حيث كانت القيروان تعجّ

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ٣٤٠، وانظر مثلاً: كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري ١٤٦/٥، وفي صحيح مسلم ٢٣١٥/٤، وفي سنن الترمذي ١٩٩/٥.

(2) انظر: مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان في الباب الثالث من هذه الرسالة

(3) انظر: الإصابة ٨١/٣، الشجرة ١٠٠/٢.

(4) انظر: مبحث أثر التابعين في نشر السنة في الباب الثالث من هذه **الرسالة**.

بهم، وكان كثير منهم ذوي رواية واسعة، مع العدالة والضّبط والحرص على حفظ الحديث وروايته[1].

وفي حوالي منتصف العقد العاشر من القرن الأوّل تدعّمت رواية الحديث في إفريقيّة بالكتاب الكبير الذي دوّنه خالد بن أبي عمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩) عن تابعي المدينة، ورواه عنه القرويّون[2].

أمّا أكبر دعامة للسّنّة بالقيروان في هذه المرحلة فقد تمثّلت في قدوم بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميّة سنة ٩٩ هـ، والمتكوّنة من عشرة من رواة التّابعين وفضلائهم[3]؛ فإنّها تمحّضت لنشر علوم الكتاب والسّنّة[4]، وفي عهدهم دخلت نسخة من الأحاديث التي دوّنها محمد بن شِهاب الزُّهْرِيّ (ت ١٢٤) بأمر من عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١)[5]، وبذلك توسّعت معرفة القرويّين برواية الحديث، وتهيّأوا لمواجهة الخطر الخارجي الذي داهمهم بعد ذلك بكلّ شراسة من الصُّفْرِيَّة والإِبَاضِيَّة والنُّكَّار كما تقدّم.

واستمر التّابعون في القيام بهذا الدّور الجليل لفترة طويلة، وكان آخرهم وجوداً بها يزيد بن أبي منصور الأَزْدِيّ، الذي كان معروفاً لدى القرويّين برواية الحديث، وقد ذاكر فيه محمد بن الأشعث الخُزَاعِيّ حوالي سنة ١٤٤ هـ[6].

وكان يساعدهم في هذه المهمّة الطّلاّب القرويّون العائدون من المشرق بعد أن رحلوا إليه ورووا عمّن به من بكار المحدّثين[7].

(١) راجع تراجمهم في مبحث التابعين ص ٣٥٩.
(٢) انظر: ط أبي العرب ٢٤٥، الرياض ١/١٦٣.
(٣) انظر: تراجمهم ومصادرهم في القسم الثاني من التابعين.
(٤) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ١/٩٩، المعالم ١/٢٠٣، تاريخ ابن الفرضي ١/٤٦.
(٥) انظر: جامع بيان العلم ١/٧٦.
(٦) انظر: ط أبي العرب ٢١، ٢٢، وراجع ترجمته رقم ٢ في القسم الرابع من التابعين.
(٧) راجع مبحث الرحلة من القيروان إلى المشرق.

ولقد أسفرت هذه الجهود المبذولة في سبيل نشر الحديث عن تحمّل الأفارقة والقرويّين للأحاديث بأسانيدها، ثمّ روايتها، وتدارسها، والحرص على التزام الآثار، والتّمسّك بالسُّنَّة، وتعزّز هذا التّوجّه حين شاهد القرويّون الآثار السّيّئة التي جلبها الرأي والتّأويل إلى بلادهم.

ولذلك فإنّه ما إن دخل إلى إفريقيّة فقه المذاهب في منتصف القرن الثّاني، حتّى وجد معظم القرويّين أنفسهم منساقين لاتّباع المذهب المالكي، بسبب كثرة اعتماد صاحبه على الحديث، واقتصاره على الأخذ عن الرّواة الثّقات غالباً، وبعده عن التّوسع في الرأي، ونفوره من التّأويل ومزالقه[1].

ولقد تقدّم بيان ارتباط الحديث بالفقه في القيروان، والاستدلال لذلك، عند استعراض أهمّ العلوم الشّرعيّة فيها[2]، وهو أمر ظاهر كذلك من خلال التّراجم والرّحلة والمصنّفات؛ فإنّه يندر أن نعثر على عَلَم لم يبرع في عِلْمي الحديث والفقه، كما أنّ معظم المرتحلين قد سمعوا الحديث، أمّا المصنّفات الحديثيّة التي دخلت القيروان بواسطة الرّحلة[3] فلا يمكن أن تضاهيها المصنّفات المتعلّقة بالفنون الأخرى.

ومن هنا فإنّه لا يصحّ ما ساد في الأذهان من أنّ اهتمام أهل إفريقيّة كان منصبّاً على الفقه[4]، فإنّ حظّ الحديث لديهم لم يكن بأقلّ من حظّ الفقه، بل ربما تجاوزه في المرحلة الزّمنيّة التي أدرسها، ولم يسبق إبراز هذه الحقيقة لقلّة اهتمام الباحثين بدراسة هذه المرحلة ـ وخاصّة في مجال السُّنة وعلومها ـ،

---

(١) انظر: ترجمة مالك في مقدمة الجرح والتعديل ١/١١، مقدمة تعجيل المنفعة ٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ، مقدمة موطأ مالك برواية ابن زياد ٣٠، ٣١، مقدمة الرياض لمؤنس ١١، الصراع المذهبي ٤٥.

(٢) وذلك في فصل المراكز العلمية من هذه الرسالة.

(٣) راجع ثمرات الرحلة.

(٤) انظر: أزهار الرياض ٣/٢٦، المدارس الكلامية ٧/١٧.

وبالتّالي عدم وجود عدد كاف من الدّراسات المتخصّصة حولها، كما أنّ ضياع معظم مصنّفات القرويّين في الحديث[1] نتج عنه ضياع معالم مدرستها، ويحتمل أن يكون المقصود بتلك المقولة الشّائعة حول اهتمام الأفارقة بالفقه المراحل التّالية للفترة التي أدرسها[2].

ولئن كانت رسالتي هذه في عمومها تهدف إلى بيان مدى اهتمام القرويّين بالسّنّة المطهّرة وخدمتهم لها فإنّ هذا الباب من أكثر المواضع دلالة على ذلك، لتعلّقه بعلوم الحديث رواية ودراية، وموقف محدّثي القيروان من بعض قضايا علوم السُّنَّة، وآرائهم حول بعض مسائلها، وذلك بالرّغم من قلّة المادّة العلميّة الواردة في هذا الشّأن وتشتّتها.

(١) انظر: مبحث أهم المواضيع التي صنف فيها محدثو القيروان في فصل المصنفات

(٢) ولعل هذا ما أشار إليه الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) حين ذكر ندرة من يعتني من المغاربة بالرواية في زمنه فضلاً عن الدراية. تذكرة الحفاظ ١٤٨٥/٤.

الفَصْل الأوَّل

مظاهر النّشاط العلمي وخصائصه في مجال رواية الحديث

أوّلاً: تعريف علم الحديث رواية ومتعلّقاته:

يقوم هذا العلم على رواية أحاديث النّبي ﷺ القوليّة والفعليّة، وتقريراته، وصفاته الخَلْقيّة والخُلُقيّة، ويدخل فيه أيضاً أقوال الصّحابة وأفعالهم وتقريراتهم وأقوال التّابعين وأفعالهم، على رأي الأكثر(١)، كما يشمل هـذا العلم ما يتعلّق بالحديث من ضبط وتحرير ونقل للسّند والمتن.

ذلك ما يخرج به الباحث بعد النّظر في مختلف التّعاريف التي وضعها أهل الصّناعة لهـذا العلم، والتي من أشهرهـا تعريف محمـد بن إبراهيم الأكِفّاني (ت ٧٩٤(ت الذي قال(٢):

«علم الحديث الخاصّ بالرّواية علم يشتمل على أقوال النّبيّ ﷺ وأفعالـه وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها».

---

(١) وذلـك واضح من خـلال تعريفـات العلماء. انـظر مثلاً: فتـح البـاقي ١/٧، الشجـرة ٢/٤٩٤، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٢٤، منهج النقد في علوم الحديث ٣١.

(٢) التدريب ١/٤٠، قواعد التحديث ٧٥، منهج النقد ٣٠، وانظر: مقدمة نزهة النظر ٨، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٢٢.

وقد أضاف من جاء بعده تقريرات النّبيّ ﷺ وصفاته كما سيأتي، وبذلك يتكامل التّعريف[1].

وعلى اعتبار الحديث شاملاً لأقوال الصّحابة والتّابعين فلا بدّ حينئذ من إدخالهم في التّعريف.

وقال البَاجُوري: «إنّه علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النّبيّ ﷺ، قيل أو إلى صحابي أو إلى من دونه، قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة»[2].

وهذا التّعريف قد شمل صفة الصّحابي وتقرير التّابعي وصفته، وهي لا تدخل في حدّ الحديث حتّى عند من أدخل فيه أقوال الصّحابة والتّابعين وأفعالهم وتقريرات الصّحابة[3].

وعرّفه محمد بن يوسف الكَرْمَانِيّ (ت ٨٧٦) بأنّه «علم يعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله»[4].

وقد اعتبر الدّكتور نورالدّين عِتْر أنّ من مشمولات هذا العِلم دراسة الأسانيد، والحكم على الأحاديث المعيّنة، وشرحها واستنباط الفوائد منها، ولم ير ذلك خلطاً بين مفهوم الرّواية ومفهوم الدّراية؛ إذ يرى أنّ علم الحديث رواية يبحث في هذه المسائل بحثاً جزئيّاً تطبيقيّاً بينما يهتمّ علم الحديث دراية بوضع القواعد العامّة[5]، ومن قبله ذكر صاحب الحطّة قريباً من هذا الرّأي[6]، بينما يذهب

---

(١) انظر: فتح الباقي ١/٧، الكواكب الدراري ١/١٢، لمحات في أصول الحديث ٧٢، منهج النقد ٣٠، ٣١، مقدمة علوم الحديث ١٢.

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة ٧٨، وانظر: الشجرة ٢/٤٩٤، فتح الباقي شرح ألفيّة العراقي ١/٧.

(٣) انظر: تعريف الموقوف (المروي عن الصحابي)، والمقطوع (الموقوف على التابعي) في التدريب ١/١٨٤، ١٩٤، تيسير مصطلح الحديث ١٢٩، ١٣٢.

(٤) الكواكب الدراري ١/١٢، تدريب الراوي ١/٤١.

(٥) انظر: منهج النقد ٣١، ٣٣، ٣٤. (٦) انظر: الحطة ٧٨.

شيخنا الدّكتور محمد أديب صالح وغيره إلى أنّ علم الرّواية يحقّق مجرد نقل الحديث بدقّة وضبط[1]، وهو الرّأي الذي عليه الجمهور.

موضوعه:

أمّا موضوع هذا العلم فقد ذهب بعض القادمى إلى أنّه «ذات الرّسول ﷺ من حيث إنّه رسول»[2]. وقد ذكر الحافظ جلال الدّين السّيوطيّ (ت ٩١١) أنّ بعض شيوخه كان يتعجّب من ذلك[3]، كما ردّه الدّكتور عِتْر لشموله علوماً أخرى ليست من الحديث، مثل: علوم القرآن وعلم التّوحيد، ولقصوره عن تناول بعض الموضوعات المجمع على كونها من الحديث، مثل سيرة النّبيّ ﷺ قبل البعثة، وصفاته الخِلقيّة ونحو ذلك، وذكر أنّ موضوعه: ما أضيف إلى النّبيّ ﷺ أو الصّحابي أو التّابعين، وتناوُل ذلك بالبحث من حيث الرّواية والضّبط، ودراسة الأسانيد ومعرفة درجة الحديث ومعانيه والفوائد المستنبطة منه[4].

واضعه:

وعلى هذا يكون واضعه أصحاب النّبيّ ﷺ بإذنه، فإنّه قاموا بحفظ أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته، وضبطها وروايتها[5] بناء على أمره ﷺ بالتّبليغ وحثّه عليه وإذنه في كتابة سننه وإقراره لمن كتب[6].

---

(١) لمحات في أصول الحديث ٧٢.

(٢) انظر: التدريب ٤١/١، فتح الباقي ٧/١، الشجرة ٤٩٤/٢، الكواكب الدراري ١٢/١.

(٣) انظر: التدريب ٤١/١، وقد ناقشه المباركفوري في ذلك ورد عليه وعلى شيخه. مقدمة تحفة الأحوذي ٣/١، ٤.

(٤) راجع منهج النقد ٣١، وقد تقدم قريباً التعليق على إدخاله دراسة الأسانيد وشرح الأحاديث في علوم الرواية.

(٥) انظر: الحطة ٧٨، الشجرة ٤٩٤/٢، منهج النقد ٢٥.

(٦) انظر: الأحاديث الدالة على ذلك في صحيح البخاري كتاب العلم ٢٤/١، ٢٥، ٣٦، وفي كتاب الحج ١٩١/٢، وفي كتاب الأنبياء ١٤٥/٤، وفي كتاب الفتن ٩١/٨، وسنن الترمذي في كتاب العلم ٣٣/٥، ٣٩، ومسند أحمد ١٦٢/٢، ١٩٢، ٢٠٧.

غـايتــه:

وغايته الفوز بسعادة الدّارين[1]، إذ به تعرف العقيدة الصّحيحة وكيفيّة العلم الصّالح والاقتـداء بالنّبيّ ﷺ، ثمّ تـطبيق ذلك في واقـع الحياة، وهـو الطّريـق الوحيد الموصل للسّعادة في الدارين.

حـكمــه:

وحكمه الوجوب العينيّ على من انفرد والكفائيّ على من تعدّد[2].

ثانياً: إقبال القرويّين على طلب الحديث وروايته:

لقـد أثمرت البـذرة التي غرسهـا الصّحابـة بالقيـروان وتعهّدهـا التّابعـون بالرّعاية، ولذلك نجد القرويّين ينكبّون منذ البداية على سماع الحديث وروايته، وتحمّل مشاق الرّحلة في طلبه[3].

فقد كانوا يروون الأجزاء الحديثيّة والسّماعات المدوّنـة قبل نهـاية القـرن الأوّل[4]، بالإضافة إلى إقبالهم على سماع حديث من عندهم من التّابعين، فكان جامع عُقبة حافلاً بمجالس التّحديث[5].

وكان القرويّون سبّاقين إلى جلب المصنّفات الحديثيّة، فقد ظهرت لديهم أوّل رواية عرفت للموطّأ خارج المدينة المنوّرة[6]، وذلك في أوائل النّصف الثّاني

---

(١) انظر: التدريب ١/٤١، الحـطة ٧٨، الشجرة ٢/٤٩٤، فتـح الباقي ١/٧، الكـواكب الداراري ١/١٢.

(٢) الشجرة ٢/٤٩٤، الحطة ٧٨.

(٣) انظر: مبحث الرحلة من القيروان إلى المشرق.

(٤) انظر: مبحث حركة التصنيف الحديثي بالقيروان.

(٥) انظر: الرياض ١/١٤٦، ١٧٢، ١٧٧.

(٦) انظر: موطأ مالك برواية ابن زياد ٩.

من القرن الثّاني، حيث كان الإمام مالك لا يزال حيّاً (ت ١٧٩)، وقد خصّوه وموطّأه بحظّ وافر من العناية، كما سيأتي.

وعندما كان يدخل القيروان مصنّف جديد فإنّ النّاس سرعان ما يتناقلون خبره، ويحرصون على سماعه، من ذلك ما فعله البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) فإنّه حين بلغه قدوم عَنْبَسة بن خارجة (ت ٢١٠) بجامع سفيان الثّوري قال لأصحابه: «قوموا بنا نذهب إلى أبي خارجة نسمع منه جامع سفيان الثّوري»[1].

وقد شاعت بالقيروان رواية العديد من المصنّفات الحديثيّة، وفي مقدّمتها: الموطّأ برواياته المختلفة، والصّحيحان، وسنن أبي داود، والتّرمذي، والنَّسائي، ومصنّف وكيع بن الجرّاح، ومصنْف عبدالرّزّاق، ومسند مُسَدَّد، ومسند محمد بن سنجر، ومسند بقيّ بن مَخْلَد، ومسند أسد بن موسى، وغيرها من المسانيد، وكتب غريب الحديث، والرّجال، والرّقائق وغيرها[2]، بالإضافة إلى مصنّفات القرويّين أنفسهم، مثل جامع يحيى بن سلاّم، ومسند محمد بن سَحنون، والممهّد للقابِسي، والآثار لأبي بكر بن اللّبّاد، وكُتُب العوالي، والأمالي، والشّروح، وغيرها[3].

وما ظهور هذه المصنّفات المتعدّدة وشيوع روايتها إلا دليل على اهتمام القرويين بالسُّنّة، وحرصهم على طلب الحديث وروايته.

وليس ذلك بغريب ونحن نجدهم يتداولون رواية الأحاديث المرغّبة في طلب السُّنّة، والمحرّضة على نشرها.

من ذلك ما حدّث به محمد بن سعدون القروي بسنده إلى النّبيّ ﷺ قال:

---

(١) ط أبي العرب ٥٢.

(٢) راجع هذه المصنفات وغيرها في ثمرات الرحلة في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) انظر: مبحث أهم المواضيع التي صنف فيها القرويون في الفصل الثاني من الباب الثالث.

«تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممّن يَسمع منكم»[1]، وما حدّث به الإمام أبو الحسن القابِسي يرفعه إلى النّبي ﷺ قال: «ليُبَلِّغ الشّاهد الغائب فإنّ الشّاهد عسى أن يُبلّغ من هو أوعى منه»[2].

كما كانوا يروون الأحاديث الدّالّة على فضل حملة السُّنّة، فقد روى محمد بن سَعدون بسنده إلى موسى بن هارون قال: «سمعت أحمد بن حَنْبَل وسئل عن معنى هذا الحديث - يريد قوله ﷺ: «لا يزال ناس من أُمّتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتّى تقوم السّاعة» - فقال أحمد: إن لم تكن هذه الطّائفة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟»[3].

---

(1) الإلماع ١٠، والحديث أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٦٥٩/٦٨/٤، والحاكم في المستدرك ٩٥/١، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٤٣/١ كلهم من حديث ابن عباس بلفظه.

(2) الألماع ١٤، والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حجة الوداع بنحوه ضمن حديث طويل من طريق أبي بكرة ١٢٧/٥، ومسلم في كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء عن أبي بكرة بنحوه في حديث طويل ١٦٧٩/١٣٠٦/٣، وابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علماً، من عدة طرق بنحوه ١٠٣/١، ١٠٤/ ٢٣٥ - ١٩٢، ٢٣٧، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم بنحوه عن أبي بكرة بأسانيد مختلفة ٤٠/١، ٤١.

(3) الألماع ٢٥، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في الشام، من طريق قرة المزني بلفظه إلا أن فيه «طائفة» بدل «أناس» ٢١٩٢/٤٨٥/٤ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وأخرجه ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ بنحوه من عدة طرق ٧/١، ٧/٨، ٩، ١٠، وفي الفتن باب ما يكون من الفتن من طريق ثوبان بنحوه ضمن حديث طويل ٤٠١٦/٤٦٤/٢، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه ٤٣٦/٣، ٣٤/٥، ٣٥. وللحديث ألفاظ أخرى في الصحيحين: انظر: صحيح البخاري كتاب الاعتصام باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» ١٤٩/٨، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء..﴾ ١٨٩/٨، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة..» ١٩٢٠/١٥٢٣/٣ - ١٩٢٤، ١٠٣٧.

وكان المرتحلون منهم يحرصون على سماح الحديث ويتتبّعون رجاله في مختلف البلاد؛ فهذا موسى بن مُعاوية (ت ٢٢٥) يسمع بطرابُلُس ومصر والمدينة ومكّة والبصرة والكوفة وبغداد، ثم ذُكر له أنّ ببلاد خُراسان رجلاً كثير الحديث فارتحل إليه، غير أنّ هذا الرّجل خشي الرّياء على موسى فأقسم ألّا يحدّثه إلا بثلاثة أحاديث[1].

وخصّص عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) رحلته الثّانية لسماع مسند محمد بن سنجر[2]. كما خصّص ربيع القطّان (ت ٣٣٣) رحلته الأولى للُقيّ رجال الحديث[3]، وكان لهؤلاء وغيرهم دور بارز في نشر السّنّة بالقيروان.

وإذا فات أحدَهم سماعُ شيء في رحلته ذكر ذلك بكلّ أسف، فيستفيد من ذلك من لم يرحل بعدُ، ويحرص في رحلته على سماع ما فات سابقيه، قال البُهلول بن راشد: «لم آسف على شيء أسفي على كتاب رأيت ابن مَهْدي يعرضه على سفيان الثّوري»: قال الصُّمَادِحِي: «فلمّا قدمت على ابن مَهْدِي ذكرت له ذلك فأخرج لي كتابه في السُّنّة والفتوى من تأليفه»[4].

وكان الإمام سَحنون كثيراً ما يُوجّه طلّابه إلى التزام الآثار قائلاً: «إنّما عزاؤنا في هذه الآثار، فأمّا المسائل فالله أعلم بحقيقتها»[5]، ويقول: «إنّي لأخرج من الدّنيا ولا يسألني الله عزّ وجلّ عن مسألة قلت فيها برأي»[6]، وكان يوصي من يرحل من طلّابه بطلب الحديث على سبيل التّقصّي ليُدخلوا مرويّات جديدة إلى القيروان[7].

---

(١) انظر: ترجمة موسى رقم ٣٧ في المحدثين.
(٢) انظر: المدارك ٢٢٢/٣.
(٣) انظر: ترجمته رقم ١١ في المحدثين.
(٤) المدارك ٤٠٣/١. (٥) جذوة المقتبس ١٤١.
(٦) الرياض ٣٥٤/١.
(٧) انظر: المدارك ٥٢١/١، المعالم ٨٣/٢، الرياض ٤٤٤/١.

ولمّا دخل أسد بن الفُرات بالأسديّة، وكان قد بناها على الرّأي، (يعني الفتاوى والأقوال الفقهيّة لمالك على طريقة أهل الرّأي)[1]، رفضها القرويّون، فقد جاء في المدارك: «وأنكر عليه النّاس إذ جاء بهذه الكتب وقالوا: جئتنا بأخال وأظنّ وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السّلف»[2]، وكان هذا النّقص هو الذي حمل سَحنون على إعادة سماع المدوّنة على ابن القاسم، ثمّ قام بترتيبها واحتجّ لمسائلها بالأحاديث والآثار كما هي عليه الآن في طبعاتها المتداولة، وعند ذلك أقبل عليها القرويّون وسائر المغاربة إقبالاً منقطع النّظير؛ لأنّها أصبحت مؤسّسة على الآثار[3]، وكانت طريقة القرويّين في تدارس المدوّنة تقوم على الاهتمام بجانب الرّواية، حتّى أصبح ذلك اصطلاحاً خاصّاً بهم تميّزوا به عن غيرهم، قال المَقَّري: «وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدوّنة اصطلاحان: اصطلاح عراقي واصطلاح قروي: فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدوّنة كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلّة والقياس، ولم يعرّجوا على الكتاب بتصحيح الرّوايات ومناقشة الألفاظ، ودأبهم إلى إفراد المسائل وتحرير الدّلائل على رسم الجدليّين، وأهل النّظر من الأصوليّين.

وأمّا الاصطلاح القروي فهو البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق، ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وتصحيح الرّوايات، وبيان وجوه الاحتمالات، والتّنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع ما انضاف إلى

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن المدونة في المصنفات. وانظر: أعلام ابن عاشور ٢٧.

(٢) المدارك ١/٤٧٠، ٤٧١، وانظر: أعلام ابن عاشور ٢٧، وسيأتي التوسع في هذا عند التعريف بالمدونة.

(٣) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٨، المكتبة الأثرية ٢٨، الانتقاء ٥٠، أعلام ابن عاشور ٢٨، المعالم ٢/١١، الحلل السندسية ٤٧٥، ٧٤٨.

ذلك من تتبّع الآثار وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف على حسب ما وقع في السّماع، وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها»[1].

ومن حرص القرويّين على الرّواية أنّهم كانوا يهتبلون فرصة وجود بعض المحدّثين الغرباء بين أظهرهم، فيقصدونهم للسّماع منهم، بل إنّ الوافد من هؤلاء المحدّثين إذا قضى حاجته وأراد الخروج قبل أن يستكملوا السّماع عليه استشفعوا لديه ببعض الوجهاء ليطيل الإقامة عندهم، قال سهل بن عبدالله القُبْرِيَانِيّ[2] «لمّا أراد عبدالعزيز بن يحيى[3] الخروج عنّا استعنّا عليه ببعض ولد علي بن حُميد[4] أن يصبر علينا حتّى يستوعب النّاس السّماع منه فصبر»[5]، ولمّا دخل القيروان دَرَّاس بن إسماعيل الفاسي المحدّث (ت ٣٥٧) أقام عند ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وهنالك قصده كبار القرويّين وسمعوا منه[6]، كما كتبوا حديثاً كثيراً عن محمد بن عُبيد الجزيري (ت ٣٠٥)[7]، ومحمد بن إبراهيم بن حَيُّون (ت ٣٠٥)[8] وهما من أئمّة الحديث بالأندلس، وغير هؤلاء كثير، وقد تقدّمت بعض النّماذج الأخرى في فصل الرّحلة.

وكثيراً ما تحول ظروف هؤلاء الوافدين إلى إفريقيّة دون دخول القيروان، ولا يتمكّنون من تجاوز مدينة سُوسَة، وهي ميناء القيروان، فيسارع إليهم القرويّون لسماع ما عندهم، كما هو الحال عندما قدم صَمِيل بن إبراهيم صاحب بقيّ بن

---

(١) أزهار الرياض ٣/٢٢.

(٢) انظر عنه: طبقات الخشني ١٣٤.

(٣) دخل القيروان سنة ٢٢٥ هـ، وسمع منه بشر كثير من أهلها وأثنى أبو العرب على حفظه ط أبي العرب ٧٨.

(٤) أحد كبار وزراء الأغالبة. انظر: الرياض ١/٣٩٧.

(٥) ط أبي العرب مح ١٨٢.

(٦) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/١٧٣، نيل الابتهاج ١١٦، جذوة الاقتباس ١/١٩٤.

(٧) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٩.

(٨) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٨، نفح الطيب ٢/٥٢.

مَخْلَد (ت ٢٧٦) بمسند شيخه إلى سُوسَة، فهرعوا إليه وسمعوه منه[١]، وكانوا يتحيّنون فرصة مجيء محمد بن تميم القَسْطَلِيّ (ت ٢٦٠) محدّث قَفْصَة إلى سُوسَة فيأتونه للسّماع منه[٢].

وتبدأ رواية الحديث لدى القرويّين من أوّل مراحل التّعليم، وهي مرحلة الكُتّاب[٣]. ثمّ يكون الموطّأ من أوّل ما يدرسه الطّالب بعد تخرّجه من الكُتّاب[٤]، ولم يكن الإقبال على مجالس الرّواية مقتصراً على نوعيّة معيّنة من النّاس وهم المعنيّون بالإسناد، وإنّما كانت مختلف الفئات تحرص عليه، ولذلك نجد المجالس الحديثيّة تغُصّ بالتّجار والمزارعين وأهل البوادي والعُبّاد، وأهل الرّباط[٥]. ومن هؤلاء من يحضرها للاستفادة العامّة ومنهم من يحضرها بغرض حمل الحديث ثمّ نشره، وكانت هذه الكثرة هي التي دفعت يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) إلى اتّخاذ كرسي يجلس عليه في جامع عُقبة بالقيروان، ثمّ في جامع سُوسَة بعد ذلك ليتمكّن من إسماع من بَعُد من النّاس[٦]، حيث ذكروا أنّ المسجد كان يمتلىء بالنّاس عندما يجلس يحيى للرّواية، فأدّى هذا إلى سؤاله عن صحّة سماع من بَعُد عنه من الطّلبة فقال: نجيزهم[٧]، فكان ذلك سبباً في ظهور هذه المسألة من مسائل علوم الحديث[٨].

وفي المواقف الحرجة كان الحديث الشّريف هو المحدّد للاختيار، ذلك ما حدث عندما اجتمع علماء القيروان في الجامع لمناقشة أمر الخروج على بني

(١) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٢٤١.
(٢) انظر: المدارك ٣/٩٤.
(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ٥٣٨، آداب المعلمين لمحمد بن سحنون ١١٢.
(٤) انظر: المعالم ٣/٢٧، المدارك ٣/٣١٧.
(٥) انظر: الرياض ١/٢٦٩، ٤٩٧، المعالم ٢/٩٨.
(٦) انظر: الرياض ١/٤٩٣، المعالم ٢/٢٣٥، ٢٣٩.
(٧) انظر: اللسان ٦/٢٧١.
(٨) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٦٥، ١٣٨، الإلماع ٩٢، ٩٣.

عبيد، وطالت المناظرة فحسم أبو العرب (ت ٣٣٣) الموقف مستدلاً بالسّنة حيث طلب من النّاس التزام الهدوء ثمّ قال: «حدّثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبدالله الجُرجاني بإسناده إلى النّبي ﷺ أنّه قال: «يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفّار». فلمّا أتمّ الحديث كبّر النّاس، وخرجوا لقتال بني عُبيد[1]، وبالرغم ممّا حول هذا الحديث من الكلام[2]، فإنّ في هذا الموقف دلالة على انقياد القرويّين للسُّنّة ورجوع علمائهم إلى دلالة الحديث، والانقياد له وتحكيمه عند الاختلاف.

وهكذا ندرك مدى عناية القرويّين بالرواية وحرصهم على طلب الحديث ونشره، والاعتماد عليه.

ثالثاً: دخول الموطّأ والاهتمام به:

ذاع أمر الإمام مالك بن أَنس (ت ١٧٩)، واشتهر بالاهتمام بالحديث الشّريف، والأخذ عن ثقات الرّواة[3] ووقوفه عند نصوص الكتاب والسّنّة، وبعده

---

(١) انظر: الرياض ٢/٣٠٩، المعالم ٣/٣٥، وسيأتي تخريج هذا الحديث والحكم عليه في ترجمة أبي العرب رقم ٣٠ في المحدثين.

(٢) انظر: الرياض ٢/٣٠٩، المعالم ٣/٣٥، وسيأتي تخريج هذا الحديث والحكم عليه في ترجمة أبي العرب رقم ٣٠ في المحدثين.

(٣) انظر: مقدمة الجرح والتعديل ١/١٣ - ١٧، تهذيب التهذيب ١٠/٧، ٩، شرح الزرقاني للموطأ ١/٣، مقدمة الكامل لابن عدي ١/١٠٢، ١٠٣، ومعلوم أن هذا الإطلاق إنما يقع على الغالب من فعل مالك، فقد قال يحيى بن معين عنه: «كل من حدث عنه ثقة إلا رجلاً أو رجلين» مقدمة الجرح ١/١٧، وكذلك على الغالب من فعل من اشتهر من الأئمة بالاقتصار على الأخذ عن الثقات، قال ابن عبدالهادي: «... رواية الإمام أحمد عن الثقات هو الغالب من فعله والأكثر من عمله كما هو المعروف من طريقة شعبة ومالك وعبدالرحمٰن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم، وقد يروي الإمام أحمد قليلاً في بعض الأحيان عن جماعة نسبوا إلى الضعف وقلّة الضبط...» الصارم المُنْكي في الرد على السبكي ٤٠.

عن الرّأي، وصنه للعلم بالبعد عن ذوي السّلطان، وقد وافق ذلك ما في نفوس القرويّين من التّعطّش إلى السُّنّة والتزام الآثار[1]، فتوافدوا عليه لسماع حديثه[2]، والتّأدب بشمائله[3] التي توارثها أهل المدينة جيلاً بعد جيل منذ عهد النّبيّ ﷺ.

وقد بدأت صلة القرويّين بالإمام مالك قبل سنة ١٤٥ هـ[4]، وذلك عن طريق الوفد الذي تكوّن من عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)[5]، وكان من حفاوة الإمام مالك بهم والعناية بأمرهم[6] ما زاد في إقبال الأفارقة عليه.

ثمّ نمت هذه الصّلة، وخاصة بعد رحلة علي بن زياد الذي فسّر للأفارقة قول مالك وأصوله، وحدّثهم بموطّئة[7]، فكان من يسمع منه من طلبة العلم بالقيروان يُعجب بهذا الإمام، ويحرص على الرّحلة إليه، لينال بذلك علوّ الإسناد، وشرف السّماع المباشر من الإمام.

أ ـ الرّواة عن مالك من الأفارقة:

وقد رأيت أنّه من المفيد أن أَذْكُر هنا تلاميذ مالك من الأفارقة، سيما وأنّه لم يسبق أن وقع حصرهم حتّى الآن فيما أعلم، ولما لهم من الأثر في نشر حديث مالك وفقهه في بلادهم.

---

(١) انظر: مقدمة موطأ ابن السبكي

(٢) ط أبي العرب مح ١٣، أبو عبدالله الأبي ٩٠.

(٣) انظر: مقدمة المدارك ٩.

(٤) انظر دليل هذا التحديد في ترجمة ابن فروخ رقم ٣ في المهاجرين.

(٥) انظر عن ترافق هؤلاء الثلاثة في رحلتهم وطلبهم في المشرق: الرياض ٢١٦/١، المدارك ٣١٧/١، المعالم ٣٠٤/١.

(٦) انظر: الرياض ١٧٧/١، ٢١٧.

(٧) انظر: المدارك ٣٢٦/١، الرياض ٢٣٤/١.

ولقد ذكر الحافظ محمد بن حارث الخُشَني (ت ٣٦١) أنّ عدد تلاميذ مالك من الأفارقة يزيد على ثلاثين رجلاً، وتناقل ذلك المصنّفون[1]، وبعد البحث والتّتبّع في مختلف المظان، وجدت أنّ عددهم يصل إلى أربعة وأربعين راوياً، منهم من بلغت شهرته الآفاق، ومنهم من لم تفدنا المصادر المتوفّرة بغير اسمه، وسأذكرهم مرتّبين على حروف المعجم، مرجئاً بحث من ثبت تحمّله للموطّأ منهم إلى المبحث الموالي:

١ ــ الأقرع بن بكّار النُّضَيْرِي، حدّث عنه فُرات العَبْدي، قال أبو العرب: «ما علمت أحداً ذكره بسوء»[2].

٢ ــ البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[3].

٣ ــ البُهلول بن عمر بن صالح التُّجيبي (ت ٢٣٣ أو ٢٣٤)[4].

٤ ــ حاتم بن عثمان المَعَافِري[5].

٥ ــ الحارث بن أسد القَفْصِي، وكان قد زامل عبدالرّحمٰن بن القاسم وعبدالله بن وهب في الأخذ عن الإمام مالك، ولم يكن له أثر علمي يذكر؛ لأنّ مالكاً قد أوصاه بتقوى الله وتلاوة القرآن، ولم يوصه بنشر العلم، فكان الحارث بعد ذلك يقول: «لم يرني أهلاً للعلم»، ويرفض أن يفتي لأحد[6].

---

(١) انظر: المعالم ٢/٨٣، الحلل ١/٣/٧٧٥.
(٢) ط أبي العرب مح ١٥٧.
(٣) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٥ في المحديثن.
(٤) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٦ في المحدثين.
(٥) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٨ في المحدثين.
(٦) انظر: المدارك ١/٤٩٠، تاريخ قفصة ١٠٩.

٦ ــ **خالد** بن يزيد الفارسي: **كان سماعه من مالك يسيراً، وله رواية بالقيروان، وثّقه** أبو العَرَب[١].

٧ ــ رباح بن ثابت الأَزْدِي (**ت ٢٣٧**)[٢].

٨ ــ زُرَارَة بن عبدالله (**ت ٢٣٨ وقيل ٢٣٣**): **طالت ملازمته للإمام مالك**، **وله** سماع من اللّيث بن سعد، **وعبدالله بن فَرُّوخ وغيرهما، وكان له أثر ورواية في القيروان، اتّفقت المصادر على توثيقه**[٣].

٩ ــ زكريّاء بن الحَكَم اللَّخْمِيّ (ت ٢٠٦): سمع من **مالك وغيره، وكان يحدّث** ويفتي في القيروان، وثّقه أبو العرب وغيره[٤].

١٠ ــ زيد بن بِشر الأَزْدِيّ (ت ٢٤٢)، **أصله من مصر ونزل إفريقيَّة، وكان يحدّث** بتونُس، ويرحل إليه القرويّون للسّماع منه، وقد انفرد القاضي عياض بذكر تتلمذه على مالك[٥].

١١ ــ سُوَيّد بن محمد القروي[٦].

١٢ ــ شَجَرة بن عبدالله القيرواني[٧].

١٣ ــ صالح بن عبدالله القروي[٨].

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٦، المدارك ١/٢٦٠.
(٢) انظر: ترجمته رقم ٩ في المحدثين.
(٣) انظر: ط أبي العرب ٧٨، الرياض ١/٢٨٢، المعالم ٢/٦٥، وذكره عياض في الرواة عن مالك ١/٢٦١.
(٤) انظر: ط أبي العرب ٨٦، الرياض ١/٢٣٨، المدارك ١/٢٦١، ٤٩١.
(٥) انظر: ط أبي العرب ٢٥٥، المدارك ١/٢٦١، (في الرواة عن مالك) ٤/٩٨، الرياض ١/٣٩٠، طبقات الفقهاء ١٥٧.
(٦) المدارك ١/٢٧٥.
(٧) انظر: المدارك ١/٢٧٥، (في الرواة عن مالك) ٤/١٠٢ في ترجمة شجرة بن عيسى.
(٨) انظر: المدارك ١/٢٦٢ (في الرواة عن مالك).

١٤ ــ صِقْلاب بن زياد الهَمْدانِي القروي (ت ١٩٣ وقيل ١٩١): وهو محدّث مقرىء، وثّقه الأفارقة وكانت له رواية بالقيروان(١).

١٥ ــ العبّاس بن أشرس، أبو مسعود التّونُسي، وهو فقيه محدّث حسن الضّبط، ثقة حافظ، له سماع ورواية عن مالك(٢).

١٦ ــ عبّاس بن الفارسي التّونُسي (ت ٢١٨): أحد كبار محدّثي إفريقيَّة، له رحلة ورواية واسعة، وكان معروفاً برواية الحديث وحفظه، وكان ربما درس الكتاب ألف مرّة(٣).

١٧ ــ عبدالرحمن بن الجَهْم الخَوْلَانِيّ، سمع الحديث بإفريقيَّة والمشرق، وحدّث بالقيروان(٤).

١٨ ــ عبدالله بن أبي حسّان اليَحْصُبِيّ (ت ٢٢٧)(٥).

١٩ ــ عبدالله بن أبي غَسَّان: حدّث بالقيروان، وكان يغرب عن مالك، اختلفوا في توثيقه والرّاجح أنه ضعيف الحديث(٦).

٢٠ ــ عبدالله بن عثمان المَعَافِرِيّ الأَبْزَارِيّ، أبو طالب، وكانت رحلته إلى مالك مبكّرة، وقد سمع فيها الحديث، وكان يحدّث في حانوته بالقيروان، وثّقه

---

(١) انظر: الشجرة ١/٦٢، الرياض ١/٢٣٠، ط أبي العرب مح ١٣٩، الحلل ١/١/٢٤٠، المدارك ١/٢٦٢ (في الرواة عن مالك)، المعالم ١/٢٥٩، طبقات العربي ٦٧، ورقات ١/٩٩.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٢٥٣، المدارك ١/٢٥٩، الرياض ١/٢٥٢، طبقات الفقهاء ١٥٢، الديباج ١٥٢، وقد اختلفوا في اسمه. انظر: المدارك ١/٣٢٩.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٥٤، الرياض ١/٢٤٨، اللسان ٣/٢٤٠، المحن ٢٧٤، ٤٣٥، البيان المغرب ١/١٠٥.

(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٧، المدارك ١/٢٦٩، في الرواة عن مالك.

(٥) راجع ترجمته رقم ١٨ في المحدثين. وانظر: المدارك ١/٢٥٩.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٧٧، الرياض ١/٢٤٠، اللسان ٣/٣٢٥، تنزيه الشريعة ١/٧٤.

أبو العرب، وقال الخطيب: مجهول، قلت: بل هو معروف لدى القرويّين، وكان الطّلبة يقصدونه في حانوته، وكانت له رواية، وأورد له الذَّهَبِيّ حديثاً موضوعاً، وأجاب ابن يونُس عن ذلك بأنّ الآفة من الرّاوي عنه، وهو داود بن يحيى، وأيّد ذلك ابن حَجَر بأنّ داود هذا وضاع، قلت: بل الآفة من الرّاوي عن داود، وهو يحيى بن محمد بن خُشَيْش فإنّه هالك بالإجماع، وسيأتي ذكره في مبحث معالجة الوضع، أمّا داود فهو وإن اتّهمه بعض المشارقة بالوضع فإنّ أبا العرب قد وثّقه، وأهل بلده أعرف به، والآفة في حديثه من يحيى بن محمد بن خُشَيْش، وذلك هو السّبب في اتّهامه بالوضع[1].

٢١ ــ عبدالله بن فَرُّوخ الفارسي القروي (ت ١٧٦)، وهو من أوائل المرتحلين إلى مالك والمُكثرين، عنه، وكان مالك معجباً به، وكان يكاتبه[2].

٢٢ ــ عبدالملك بن أبي كريمة التّونُسي (ت ٢١٠ وقيل ٢٠٤): سمع في رحلته حديثاً كثيراً عن مالك وغيره، وكان مشهوراً بالعناية بالحديث، سمع منه أهل إفريقيَّة، وقد أخرج له أبو داود في سننه، وقد اتّفقوا على توثيقه[3].

٢٣ ــ عبدالمؤمن بن المُسْتَنِير الجَزِيرِي: سمع الحديث في رحلته من بقيّة بن الوليد ومالك وغيرهما، وكان مقبلاً على الرّباط، كثير الرّواية لغرائبه، سمع منه الأفارقة وهو ثقة في نفسه، وفي حديثه ضعف[4].

٢٤ ــ علي بن يونس اللَّيْثِيّ المَدينيّ ثمّ القروي: حدّث بالقيروان عن

---

(١) انظر: ط أبي العرب ١٠٠، الرياض ١/٢٥٣، المدارك ١/٤٨٥، اللسان ٣/٣١٤، الميزان ٢/٤٦٠.

(٢) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٣ في المهاجرين.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٤٧، الرياض ١/٣٢٣، التهذيب ٦/٤١٨.

(٤) انظر: ط أبي العرب ١١١، الرياض ١/٢٩١.

مالك وغيره، وثّقه أبو العَرَب، وتكلّم فيه الذّهبِيّ، ولم يرد في اللّسان ما يوجب جرحه، والرّاجح في حاله أنّه ثقة، لأن القرويّين أعلم بحاله[1].

٢٥ ـ عمربن الحَكَم اللَّخْمِيّ: حدّث عن مالك وأبي عمرو عبدالرحمٰن بن عمرو الأَوْزَاعِيّ (ت ١٥٧)، وثّقه المالكي[2].

٢٦ ـ عمر بن سُمُك بن حُمَيد، روى عن أبيه وعن مالك، وسمع منه غير واحد من أهل القيروان[3].

٢٧ ـ عَنْبَسة بن خارِجة الغَافِقِيّ (ت ٢١٠)[4].

٢٨ ـ أبـو القاسم الـزَّوِاوِي، حدّث عن مـالك بـالقيروان، وأغـرب عنه بحديث[5].

٢٩ ـ محمد بن الحَكَم اللَّخْمِيّ (ت ٢٠٦): محدّث ثقة مأمون، سمع من مالك والثّوري وحَيْوَة بن شُرَيح التُّجِيبِيّ (ت ١٥٨ أو ١٥٩)[6]، وغيرهم، وكان يحدّث بالقَيْرَوان[7].

---

(١) انـظر: ط أبي العرب ٧٩، الـريـاض ١/٢٩٢، اللسـان ٤/٢٦٩، الميـزان ٣/١٦٣، المدارك ١/٢٧٢.

(٢) الرياض ١/٢٤٧.

(٣) انظر: ط أبي العرب مح ١٧٩ وقد ضبط فيه اسم الأب سَمَك خطأ، الرياض ١/٢٥٣، المدارك ١/٢٧١ (في الرواة عن مالك)، الإكمال ٤/٢٦٣.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٥ في المحدثين.

(٥) انظر: الرياض ١/٢٤٨، اللسان ٧/٩٤، وفيـه الردادى بـدل الزواوي، وهـو تصحيف ظاهر.

(٦) محدث مصري ثقة أخرج له الجماعة. التهذيب ٣/٦٩.

(٧) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٣، المدارك ١/٢٦٥ في الرواة عن مالك، ٤٩١، ضمن ترجمة زكرياء بن محمد.

٣٠ ـ محمد بن عبدالأعلى الكِنْدِي، أبو الخَطَّاب (ت ١٤٤): سمع الحديث بإفريقيَّة والمشرق، وحدّث بالقيروان، وكان خارجياً إباضيّاً، وثّقه أبو العرب في علمه، بالرّغم من أنّه كان داعية إلى مذهبه الإباضي وقُتل في سبيل ذلك، ولم يكن صُفْرِيّاً كما ذكر أبو العرب[1].

٣١ ـ محمد بن عبدالله بن قَيْس الكِنَانِيّ، أبو مُحْرِز، القاضي (ت ٢١٤): كان له علم ورواية، غير أنّ أثره كان قليلاً؛ لميله إلى الاعتزال[2].

٣٢ ـ محمد بن يَسُوتَا (ت ١٩٩): سمع الحديث في رحلته، وحدّث بالقيروان، وثّقه أبو العرب[3].

٣٣ ـ مُطرِّف بن الأَقْرع[4].

٣٤ ـ معاوية بن الفضل الصُّمَادِحِي (ت ١٩٩)[5].

٣٥ ـ موسى بن عبدالله القروي[6].

٣٦ ـ يحيى بن زكريّاء التُّجِيبِيّ (وقيل اللَّخْمِي)، كان من ثقات القرويّين وصلحائهم[7].

---

(١) سمته معظم المصادر عبدالأعلى ولم يصرح أبو العرب باسمه وذكره بكنيته ونسبته. وانظر: ط أبي العرب ٨٧، الرياض ١/٢٥١، الإكمال ٤/٣٥٩، البيان المغرب ٧٠ ـ ٧٢.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٨٤، الرياض ١/٢٧٤، المعالم ٢/٢٩، الديباج ٢٨٥، تاريخ قضاة القيروان خط ١٢، المدارك ١/٢٥٩.

(٣) ط أبي العرب مح ١٥٤، المدارك ١/٢٦٤ في الرواة عن مالك.

(٤) المدارك ١/٢٦٧ في الرواة عن مالك.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٣٧ في المحدثين.

(٦) المدارك ١/٢٦٥ في الرواة عن مالك.

(٧) انظر: الرياض ١/٢٤٠، المدارك ١/٤٩١، ضمن ترجمة زكرياء بن محمد، المعالم ١/٣٢١.

٣٧ ـ يحيى بن سلّام البَصْرِي نزيل القيروان (ت ٢٠٠ هـ)[١].

٣٨ ـ يزيد بن محمد الجُمَحِي (ت ٢١٢)[٢].

فهؤلاء ثمانية وثلاثون من رجال إفريقيَّة والقيروان رووا عن الإمام مالك، ولم يُنقل أنّهم أخذوا عنه الموطّأ، وأمّا السّتّة الباقون فقد ثبت تحمّلهم للموطّأ كما سيأتي.

ب ـ دخول الموطّأ واهتمام الأفارقة به:

لقد كان الموطّأ أوّل مصنّف حديثيّ دخل إفريقيَّة والقيروان، وكانت روايتهم له ـ كما تقدم ـ أوّل رواية للموطّأ خارج المدينة المنوّرة[٣]. وقد أقبل عليه القرويّون بالرّواية والمدارسة والحفظ والشّرح كما سيتّضح بعد ذكر رواته فيما يلي:

١ ـ رواة الموطّأ من الأفارقة:

لقد أدخل الموطّأ إلى إفريقيَّة ستّة من أهلها بروايتهم عن الإمام مالك، كما وُجد فيها الموطّأ بروايات أخرى، وفيما يلي أسماء الأفراقة والقيروانيّين وقد رتّبهم حسب أسبقيّة تحمّلهم للموطّأ فيما ترجّح لديّ:

ـ علي بن زياد التّونُسي (ت ١٨٣)[٤]: وهو محدّث واسع الرّواية، مع علم بنقد الرّجال وضبط للرّواية، ونباهة في الفقه سمع بإفريقيَّة والمشرق، وله أثر كبير

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٤٠ في المحدثين.

(٣) انظر: مقدمة موطأ مالك برواية ابن زياد ٩.

(٤) انظر عنه: ط أبي العرب ٢٥١، الرياض ٢٣٤/١، المدارك ٣٢٦/١، وانظر: ٢٠٣/١، ٢٥٩، ٢٧١، الانتقاء ٦٠، إتحاف أهل الزمان ٩٩/١، المحن ٣٧٢، طبقات الفقهاء ١٥٢، الشجرة ٦٠/١، الحلل ٧٠٨/١، الإكمال ٥٢٤/١، الديباج ١٩٢، تنوير الحوالك ١١/١، شرح الزرقاني للموطأ ٦/١.

في الحياة العلميّة بإفريقيَّة، وعليه تعلّم شيوخ القرويّين، وهو مؤسّس المدرسة المالكيّة في تلك الرّبوع؛ لأنّه أوّل من أدخل الموطّأ إلى إفريقيَّة بروايته عن مالك، وفسّر لأهلها قول مالك وأصوله، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك[1].

وإذا كانت المصادر قد ذكرت أنّ علي بن زياد هو أوّل من أدخل الموطّأ إلى بلاد المغرب فإنّها سكتت عن تحديد تاريخ رحلته أو تاريخ إدخاله للموطّأ، ويفترض أن تكون رحلته مبكّرة، لأنّه لحق خالد بن أبي عمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩) وتتلمذ عليه[2]، وقد كان من عادتهم الارتحال في مقتبل العمر إلّا إذا حالت بعض الظّروف دون ذلك، ولعلّ هذا ما حصل لعلي بن زياد؛ إذ لم أعثر في شيوخه على من كانت له وفاة مبكّرة كما هو الحال في شيوخ عبدالله بن فَرُّوخ (١١٥ - ١٧٦) الذي يقاربه في الطّبقة[3]، هذا إذا لم تكن المصادر قد أغفلت ذكر هؤلاء الشّيوخ[4].

وأمّا إدخاله للموطّأ فأغلب الظّنّ أنّه كان بين سنتي ١٥٧ هـ و ١٦١ هـ، فإنّ السّنة الأولى تمثّل تاريخ انتهاء مالك من تصنيف الموطّأ[5]، وأمّا السّنة الثّانية فهي تاريخ وفاة شيخه سفيان الثّوري[6]، هذا بالإضافة إلى أنّ أسد بن الفُرات قد أخذ عنه الموطّأ في حدود هذه الفترة أو بعدها بقليل[7].

---

(١) انظر مثلاً: الرياض ١/٢٣٤، المدارك ١/٣٢٦.

(٢) انظر: المدارك ١/٣٢٦.

(٣) انظر: ترجمته رقم ٣ في المهاجرين.

(٤) لقد لاحظ الشيخ الشاذلي النيفر أن ابن زياد لم ينل حظه من العناية اللائقة بعلمه قديماً وحديثاً. انظر: موطأ ابن زياد ٤٠.

(٥) لأنّها سنة وفاة أبي جعفر المنصور حيث قال عياض: «فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر». انظر: المدارك ١/١٩٢، وانظر: البيان المغرب ٧٩، شرح الزرقاني للموطأ ١/٧.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٢٥١، التقريب ١/٣١١.

(٧) لأن أسداً ولد سنة ١٤٢ هـ وكان يعلّم القرآن ببعض القرى وسنّه ١٨ عاماً ثم انتقل إلى =

ونظراً لأنّ علي بن زياد قد سمع الموطّأ من الإمام مالك حال الفراغ من وضعه، وأسرع بالعودة به إلى إفريقيَّة، فقد اعتُبرت روايته له أوّل رواية للموطّأ خارج المدينة المنورة، بل «أوّل رواية ظهرت للموطّأ على وجه الأرض»[1]، ويؤيّد هذا ما تقدّم قريباً من أنّ عليّاً قد دخل بالموطّأ إلى إفريقيَّة بُعيد انتهاء مالك من وضعه، والمشهور عن بقيّة أصحاب مالك الذين رووا عنه الموطّأ طول ملازمتهم له قبل الانصراف إلى بلدانهم من ذلك أنّ عبدالرحمٰن بن القاسم (ت ١٩١) قد صحبه عشرين سنة[2].

ـ عبدالله بن عمر بن غانم الرُّعَيْنِيّ (ت ١٩٠)[3]: وهو محدّث فقيه تولّى قضاء القيروان، وقد كان في طليعة المرتحلين إلى الإمام مالك وذلك قبل سنة ١٤٥ هـ كما تقدّم قريباً[4] ولمِ تسعفنا المصادر بما يبيّن ما إذا كان ابن غانم قد بقي في المشرق إلى أن انتهى مالك من تصنيف الموطّأ، أم كانت له رحلة أخرى سمع فيها الموطّأ.

أمّا تحمّله للموطّأ عن الإمام مالك فهو ثابت بالرّغم من عدم الإشارة إلى ذلك في معجم الرّواة عن مالك لعِياض ـ مع أنّه ذكره في ترجمته ـ ولا في تنوير الحوالك.

وقد ذكر عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦) رواية ابن غانم للموطّأ في كتابه

= تونس ليسمع من ابن زياد. انظر مثلاً: الرياض ٢٥٥/١، ولا يصح ما ذهب إليه الشيخ مخلوف من أن أسداً أخذ الموطأ قبل سن الثامنة عشر التي اعتبرها سنّه عندما رحل إلى المشرق، الشجرة ١١٩/٢ وراجع ترجمة أسد رقم ٤ في المحدثين.

(١) موطأ مالك برواية ابن زياد ٩.

(٢) المدارك ٤٣٦/١، ط الفقهاء ١٥٠.

(٣) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

(٤) انظر: مقدمة مبحث دخول الموطأ.

الجامع[1] وأشار إليها المالكي[2]، وصرّح بها القاضي عياض[3]، وذكرها ابن طولون في الفِهْرِسْت الأوسط عند سرده لأسانيد الموطّأ[4].

ـ أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)[5]: سمع أسد الموطّأ من عليّ بن زياد كما سبق، ثمّ رحل إلى المشرق سنة ١٧٢ هـ[6]، وقد أخذ عن الإمام مالك الموطّأ وغيره[7]، وحدّث به في العراق[8]، ثمّ عاد به إلى إفريقيَّة سنة ١٨١ هـ[9].

ـ محمد بن معاوية الحضرمي الطّرابُلْسِيّ ثمّ القروي[10]: محدّث، فقيه، ثقة، مشهور، وقد سمع منه القرويّون، ولم تذكر المصادر شيئاً من تواريخ وفاته ورحلته، وإنّما ذكروا أنّه «كان له سنّ وإدراك»، وصرّحوا بسماعه للموطّأ، وذكر عياض عن المالكي أنّ موطّأ محمد بن معاوية يمتاز على غيره من الموطّآت باشتماله على جامع الجامع، وليس ذلك عند أحد غيره من رواة الموطّأ.

ـ عيسى بن شَجَرة التّونُسي: هذا العلَم من الأفارقة الكثيرين الذين انمحت آثارهم حيث لم توجد له ترجمة مستقلّة مع أنّه من رواة الموطّأ كما ورد في تنوير الحوالك وغيره[11]، وله سماع من اللّيث بن سعد (ت ١٧٥)، وعبدالله بن لَهيعة

---

(١) انظر: الجامع ١٦٣.
(٢) انظر: الرياض ٢١٧/١.
(٣) االمدارك ٣١٧/١.
(٤) نبّه على ذلك الشيخ الشاذلي النيفر في مقدمته لموطأ ابن زياد ٨٠.
(٥) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٤ في المحدثين.
(٦) المعالم ٥/٢.
(٧) المدارك ٢٠٢/١، ٤٦٥، تنوير الحوالك ١٠/١، موطأ ابن زياد ٧٣، ٨١.
(٨)
(٩) الديباج ٩٨.
(١٠) انظر عنه: ط أبي العرب مح ٢٥٤، الرياض ١١٠/١، (تحقيق مؤنس)، المدارك ٤٩٠/١، موطأ ابن زياد ٨٢، معجم البلدان ٢١٧/١.
(١١) تنوير الحوالك ١١/١،موطأ ابن زياد ٧٣، ٧٥، المدارك ٢٠٣/١، شرح الزرقاني للموطأ ٦/١.

(ت ١٧٤)، وقد ذكر ذلك القاضي عياض عرضاً في ترجمة ابنه شَجَرَة بن عيسى (ت ٢٣٢)[١].

ـ خَلَف بن جَرِير بن فَضَالة القروي: فقيه محدّث ثقة، سمع من معظم شيوخ عبدالله بن وهب (ت ١٩٧)[٢]، وفي مقدّمتهم الإمام مالك الذي أخذ عنه الموطّأ[٣]، وهو أيضاً ممّن قلّ الاهتمام بتدوين أخبارهم، حيث لم يترجم له غير أبي العرب.

٢ ـ الرّوايات الأخرى للموطّأ:

أمّا روايات الموطّأ التي لم يسمعها الأفارقة عن الإمام مالك، ورويت في بلادهم، فقد عرفنا منها ستّ روايات هي:

ـ رواية عبدالعزيز بن يحيى المدني (ت بعد ٢٣٥)[٤]: وقد أدخلها بنفسه إلى القيروان حين قدم إليها سنة ٢٢٥ هـ، ومكث فيها سنة كاملة حتّى استوعب القرويّون السّماع منه، وقد وثّقه أبو العرب وأثنى على حفظه، وضعّفه المشارقة، والرّاجح في حاله أنّه ضعيف وقد تقدّم بيان ذلك عند ذكره في مباحث الرّحلة[٥].

ـ رواية عبدالرحمٰن بن القاسم العُتَقِي (ت ١٩١): وقد أدخلها الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)، وكانت تُروى بالقيروان[٦]، وتوجد منها نسخة كاملة جيّدة بمكتبة القيروان[٧].

---

(١) انظر: المدارك ٢٧٢/١، ١٠١/٤.
(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٦، وانظر عن ابن وهب: التهذيب ٧١/٦.
(٣) انظر: المدارك ٢٠٢/١، ٢٦٠، تنوير الحوالك ١٠/١، موطأ ابن زياد ٧٥، شرح الزرقاني للموطأ ٦/١.
(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٨، ١٨٢، التهذيب ٣٦٣/٦، موطأ ابن زياد ٨١، ٨٣.
(٥) انظر: ص ٢١٦.
(٦) انظر: الملخص للقابسي خط لوحة ٣، وانظر عن ابن القاسم: التهذيب ٢٥٢/٦.
(٧) المكتبة الأثرية ٤١، سجل قديم ٣٦٠.

ـ رواية يحيى بن عبدالله بن بُكَيْر (ت ٢٣١): وقد أدخلها يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) وعنه انتشرت في إفريقيَّة[١].

ـ روايـة عبـدالله بن وهب (ت ١٩٧): وممّن أدخلهـا الإمـام سَحنـون، وشاعت روايتها بالقيروان[٢]. ولا تزال منها قطع في مكتبة جامع القيروان[٣].

ـ روايـة يحيى بن يحيى اللّيثي (ت ٢٣٤)، وهي أشهر روايـات الموطّأ ويبدو أنّها دخلت عن طريق الأندلسيّين الكثيرين الوافدين إلى القيروان، وتوجد منها قطعة بمكتبة جامع القيروان[٤]، وهي التي في معظم طبعات الموطّأ، وعليها أغلب شروحه[٥]، ولعـلّ ذلك يـرجع إلى أنّهـا من آخر الـرّوايات سمـاعاً عن مالك[٦]؛ فإنّ يحيى أخذه عنه في السّنة التي توفّي فيها مالك، ويضاف إلى ذلك ما عرف به من العلم والفضل، وقد وثّقه بعض العلماء[٧].

ـ روايـة أبي مصعب أحمد بن أبي بكـر بن الحـارث الـزُّهْـرِي المـدني (ت ٢٤٢)، توجد منها قطعة بمكتبه جامع القيـروان[٨]، وفيها زيادة نحو مـائة حديث.

---

(١) انظر: المدارك ٣/٢٣٨، ٢٣٩، وراجع ترجمة يحيى بن عمر رقم ٩ في المهاجرين، وانظر عن ابن بكير: التهذيب ١١/٢٣٧.

(٢) انظر: الرياض ١/١٢٤، ١٥١، ٢/١٦٢.

(٣) انظر: المكتبة الأثرية ٣٩، سجل قديم ٣٦٠.

(٤) انظر: المكتبة الأثرية ٣٩، وانظر عن يحيى بن يحيى: المدارك ١/٥٣٤.

(٥) انظر: مقدمة تنوير الحوالك ١/١٢، شرح الزرقاني ١/٧، التمهيد ١/١٠، وقد اعتمد السيوطي فيه رواية يحيى، كما اعتمدها ابن عبدالبر في التمهيد والتقصي، وأبو الوليد الباجي في المنتقى وابن العربي في القبس، والزرقاني وغيرهم.

(٦) المدارك ١/٥٣٥.

(٧) انظر: التهذيب ١١/٣٠٠، المدارك ١/٥٣٤.

(٨) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨، سجل قديم ٣٦٠ وراجع عن أبي مصعب التهذيب ١/٢٠.

وممّا هو جدير بالملاحظة أنّ روايات الأفارقة للموطّأ قد أصبحت أثراً بعد عين، ولم يبق منها إلّا قطعة من موطّأ ابن زياد[1] ، بينما بقيت قطع من معظم ما دخل إليهم من روايات غيرهم، والسّبب في ذلك زهادة الأفارقة فيما لديهم واعتمادهم روايات غيرهم[2]، فهذا الإمام سَحنون نجده يستدلّ في المدوّنة بما رواه من طريق ابن القاسم، وابن وهب أضعاف ما يستدلّ به من رواية ابن زياد، أما ابن غانم فما رواه من طريقه لا يكاد يذكر[3]، مع أنّه سمع منه الموطّأ[4]، كما أنّ القابِسي اعتمد في كتابه المسمّى «الملخّص» على رواية سَحنون عن ابن القاسم دون غيرها[5].

هذا بالإضافة إلى ضياع مصنّفات القرويّين المتعلّقة بالموطّأ، مثل: شرح الموطّأ لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[6]، ولعلّ أصحابها اعتمدوا روايات إفريقيَّة.

٣ ــ اهتمام القرويّين بالموطّأ:

لم يهتمّ القرويّون برواية مصنّف حديثيّ اهتمامهم برواية الموطّأ[7]، وهو أمر تسهل ملاحظته على من تصفّح مصادر تراجمهم، ولا غرابة في ذلك، فإنّه عمدة المذهب الذي كان غالباً على أهل إفريقيّة ولم يزل في نموّ وانتشار حتّى لم يترك فيها مكاناً يذكر لغيره[8].

وإنّ شيوع رواية الموطّأ بالقيروان من اثني عشرة طريقاً، كما تقدّم قريباً،

---

(١) قام بتحقيقها الشيخ الشاذلي النيفر وطبعتها دار الغرب الإسلامي سنة ١٤٠٢ - ١٩٨٢ وقد سبق طبعها قبل ذلك ثلاث مرات.

(٢) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٧٧.

(٣) انظر: مصادر المدونة عند التعريف بها في المصنفات.

(٤) انظر: الرياض ٢١٧/١. (٥) انظر: الملخص خط لوحة ٣.

(٦) انظر: المدارك ١٠٦/٣.

(٧) انظر: مقال البخاري واهتمام أهل المغرب به ١٣.

(٨) انظر: مبحث الوضع الديني في التمهيد.

يعتبر من أكبر أدلّة هذا الاهتمام، إذ لم يعرف لمصنّف آخر أنّه روى بالقيروان بهذه الكثرة من الطّرق.

ولقد كان القرويّون حريصين على سماع الموطّأ وروايته، إلى درجة أنّنا لا نكاد نعثر على من يُشكّ في سماعه للموطّأ ممّن نُسب إلى علم منهم[1]، كما أنّه أوّل ما يتلقّاه الطّالب عندهم بعد تخرّجه من الكُتَّاب كما تقدّم، حتّى إنّ منهم من حفظه وهو دون سنّ الخامسة عشر[2]، وفي أيام بني عُبَيد كان الموطّأ يُقرأ سرّاً في البيوت[3].

وقد اشتهر بحفظه جماعة من الرّواة منهم محمد بن زَرْزَر (ت ٢٩١)[4]، وأبو الغصن نَفِيس السّوسي (٣٠٩)[5]، وأبو الفضل عبّاس بن عيسى المَمْسِي (ت ٣٣٣)[6].

ولم تقتصر رواية الموطّأ على الرّجال بل قد شارك في ذلك النّساء، القرويّات أيضاً حتّى إنّ منهنّ من حفظته[7].

ويمكن أن نعتبر الإقبال على سماع الموطّأ ونشره وتدارسه أكبر مظاهر اهتمام الأفارقة والقرويّين بالموطّأ؛ إذ إنّ التّصنيف حوله ـ وإن وجد ـ فإنّه لم يكن بالكثرة الذي يتوقّعها من يقف على اهتمامهم الفائق بروايته، حيث لم تزد شروحه على أربعة وهي:

أ ـ شرح الموطّأ لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وهو أربعة أجزاء[8].

---

(١) انظر مثلاً: الرياض ١/٢١٧، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٩٠.
(٢) انظر: المعالم ٣/٢٧، المدارك ٣/٣١٧.
(٣) انظر: ط الخشني ١٩٥.
(٤) انظر: المعالم ٢/٢٤٨.
(٥) انظر: الرياض ٢/١٦٢.
(٦) انظر: المدارك ٣/٣١٧.
(٧) انظر: الرياض ٢/١٨٦.
(٨) انظر: المدارك ٣/١٠٦، الديباج ٢٣٧.

ب ـ النّامي في شرح الموطّأ لأحمد بن نصر الدّاوُدي (ت ٤٠٢)[١]، منه جزء بمكتبة القرويّين بفاس[٢].

جـ ـ شرح الموطّأ للإمام أبي الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)، ويظهر أنّه جملة من التّعليقات، وقد نقل عنه صاحب الاستقصاء[٣].

د ـ تفسير الموطّأ لأبي عبدالملك مروان بن محمد الأسدي (ت قبل ٤٤٠)[٤].

ولعلي بن زياد (ت ١٨٣) بعض التّعليقات والاجتهادات أوردها في ثنايا روايته للموطّأ[٥].

وللقرويّين كتابان حول اختصار الموطّأ، هما:

أ ـ مسند حديث مالك للحافظ أبي العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِي (ت ٣٣٣)[٦].

ب ـ المُلخِّص لما أسنده مالك في الموطّأ لأبي الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)[٧].

ولهم كتابان حول بعض رجال الموطّأ ورواته هما:

أ ـ كتاب في شيوخ مالك لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[٨].

ب ـ كتاب الرّواة عن مالك لمحمد بن حارث الخُشَنِي (ت ٣٦١)[٩].

---

(١) الشجرة ١/١١١، مدرسة البخاري في المغرب ٢/٥٨٠.
(٢) فهارس مكتبة القرويين ١/١٨١ رقم ١٧٥.
(٣) انظر: الاستقصاء ١/٩٠، المكتبة الأثرية ٣٨، ٣٩.
(٤) الجذوة ٣٢١، الصلة ٢/٥٨١، معجم أعلام الجزائر ٥٢، المدارك ٣/٧٠٩.
(٥) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٩، ١٠.
(٦) المدارك ٣/٣٣٥.
(٧) انظر: التعريف به في المصنفات ص ٦٠٤.
(٨) المدارك ١/٢٠٠.
(٩) الديباج ٢٥٩.

رابعاً: دخول صحيح البُخاري والاهتمام به:

أ ـ دخولـه:

لقد فرغ الإمام محمد بن إسماعيل البُخاري (ت ٢٥٦)[1] من تصنيف جامعه الصّحيح سنة ٢٣٣ هـ على أقصى تقدير؛ لأنّه لمّا أتمّه عرضه على جماعة من أئمة عصره[2]، كان أقدمهم وفاة يحيى بن معين المتوفّى في السّنة المذكورة[3]، واجتهد الإمام البُخاري في إسماع مصنّفه الجليل، وكثر الرّاغبون في تحمّله حتّى سمعه منه تسعون ألفاً من الرّواة[4]، وكان سماع الفَرَبْرِيّ منه ـ وهو الذي اشتهرت روايته في الآفاق ـ مَرّة بفَرَبْر سنة ٢٤٨ هـ، ومرّة ببُخارى سنة ٢٥٢ هـ[5].

أمّا صلة أهل المغرب بصحيح البُخاري فكانت بُعَيد منتصف القرن الرّابع، أي بعد قرابة مائة سنة من وفاة مصنّفه، وهو أمر يستغرب له الباحث، ولذلك فقد افترض بعض المعاصرين وجود صحيح البُخاري في إفريقيَّة قبل هذا التّاريخ في صورة غير سليمة[6]، أي غير مضبوطة، ومسألة احتمال تقدّم دخوله على التّاريخ المثبت في المصادر افتراض معقول، ولكن يعوزه الدّليل، فقد أجمعت المصادر المتاحة ـ مع كثرتها ـ على أنّ الإمام أبا الحسن علي بن محمد القابِسي القيرواني (ت ٤٠٣) هو أوّل من أدخل صحيح البُخاري إلى بلاد المغرب، وذلك سنة

---

(١) انظر عنه مثلاً: التهذيب ٩/٤٧، أبو الوليد الباجي وكتابه التعديل والتجريح ١/٣٠٧، هدي الساري ٤٧٧، مكانة الصحيحين ٢١.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٩٥، التهذيب ٩/٥٤، مكانة الصحيحين ٣٨، تاريخ التراث العربي ١/١/٢٢٦، هدي الساري ٧، ٤٨٩.

(٣) التقريب ٢/٤٠.

(٤) انظر: هدي الساري ٤٩١، إفادة النصيح ١٨، مكانة الصحيحين ٣٩، الحطة ١٧٦.

(٥) انظر: فتح الباري ١/٥، إفادة النصيح ١٦.

(٦) انظر: «أبو عبدالله الأبي وكتابه الإكمال» ١٠٥.

٣٥٧ هـ[١]، ولم توجد أي إشارة في كتب الفهارس المغربيّة أو غيرها من المصادر المتاحة إلى ظهور الصّحيح في بلادهم قبل ذلك، وليس من المعقول إغفال هذا الأمر المهمّ إن وجد؛ لأنّه من مفاخر القوم ووسيلة الاستدلال إذا تحقّق، خاصّة وقد اهتمّوا بإثبات أسانيدهم إلى هذا الكتاب العظيم[٢].

ويمكن أن يُعلَّل هذا التّأخّر في ظهور صحيح البُخاري في بلاد المغرب إلى تركّز اهتمامهم على الموطّأ أوّلاً، ولعدم وجود تلاميذ للبخاري في طريق رحلتهم في بداية ظهور الصّحيح، ولمّا اشتهر أمره وانتشر بالحرمين والعراق، وغيرها، كان المغاربة قد انشغلوا بأمر الإسماعيليّين الرّافضة إلى أن ابتُلوا بسيطرتهم على البلاد، وتضييقهم على العلماء وملاحقتهم لكتب السُّنّة، وتسبّبهم على الحجيج وغيرهم ممّن يريد الانتقال إلى المشرق، فتقلّصت الرّحلة إليه وتكثفت الرّحلة إلى بلاد الأندلس[٣]، ولم يكن صحيح البُخاري قد عُرف بها حينذاك، وإنّما دخلها أوّل ما دخلها عن طريق أهل القيروان[٤].

وقد تزامل الإمام القابِسي في رحلته إلى المشرق سنة ٣٥٢ هـ مع الحافظ

---

(١) بعض المصادر صرح بذلك وبعضها أفدته منه بتتبع الأسانيد. انظر: الشجرة ١/٩٧، ١٠٠، إفادة النصيح ١١١، المعالم ٣/١٣٥، ١٣٩، الديباج ٢٠٠، مدرسة البخاري في المغرب ١/٣٠، ٣٤، أبو عبدالله الأبي ١٠٢، الغنية ٣٣، مشارق الأنوار ١/٣٦، الصلة ١/٢٦٦، فهرس ابن عطية ٦٦، فهرسة ابن خير ٩٧، الإمام المازري ٣٢، أضواء على السنة ٨٥، وقد أغرب المَقَّري حين ذكر أن أبا حفص الهوزني هو الذي أدخل الصحيح إلى المغرب وعنه أخذه الناس، لأن رحلة أبي حفص لم تكن إلا سنة ٤٤٤ هـ. انظر: نفح الطيب ٢/٩٣، مدرسة البخاري ١/٣٤.

(٢) انظر: إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح (وجميعه في هذا الغرض)، أبو الوليد الباجي وكتابه التعديل والتجريح ١/٢٧٣، مشارق الأنوار ١/٣٦، فهرسة ابن خير ٩٤، فهرس ابن عطية ٦٥، الغنية ٣٣، الشجرة ٢/٤٦٢.

(٣) راجع مباحث الرحلة في هذه الرسالة.

(٤) انظر مثلاً: مشارق الأنوار ١/٣٦، ٣٨، فهرسة ابن خير ٩٧.

أبي محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ الأندلسي (ت ٣٩٢)، وكان سماعهما للصّحيح واحداً بمكّة سنة ٣٥٣ هـ على أبي زيد المَرْوَزِي كما سيأتي[١]، والأَصِيلِيّ هو الذي تولّى ضبط سماع القابِسي للصّحيح بين يديه[٢]، غير أنّ الإمام القابِسي القيرواني هو الذي نال شرف السّبق بإدخال هذا المصنّف الجليل إلى إفريقيَّة والمغرب؛ لأنّه عاد من رحلته سنة ٣٥٧ هـ[٣]، بينما دامت رحلة الأَصِيلِيّ قرابة الثّلاثة عشر عاماً[٤]، أي إنّه لم يعد إلى الأندلس إلّا حوالي سنة ٣٦٥ هـ بعد عودة القابِسي بثماني سنوات.

وعن طريق القابِسي شاعت رواية الصّحيح في بلاد إفريقيَّة والمغرب والأندلس[٥]، بل روي من طريقه بالمشرق أيضاً، وكانت روايته إحدى سماعات الحافظ أحمد بن علي بن حَجَر العَسْقَلَانِيّ (ت ٨٥٢) لصحيح البُخاري[٦].

ب ـ أسانيد القرويّين إلى صحيح البُخاري:

لقد فتح أبو الحسن القابِسي أعين القرويّين، ضمن ما فتح، على صحيح البُخاري، فأقبلوا على سماعه منه، ثمّ رحل جماعة منهم لسماعه بالمشرق بأقرب درجة إلى مصنّفه، وقد عثرت منهم بعد البحث والتّتبّع، على ستّة من الرّواة غير الإمام القابِسي، وكلّهم رووه مثل القابِسي من طريق الفَرَبْري بالأسانيد المختلفة إليه على النّحو الذي سيأتي ذكره، وقد رتّبتهم بحسب ما ظهر لي من أسبقيّة إدخالهم للصّحيح إلى القيروان.

١ ـ الإمام أبو الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)، وقد سمعه

---

(١) انظر مثلاً: الشجرة ١/١٠٠، إفادة النصيح ١١١، فتح الباري ١/٦.
(٢) انظر مثلاً: المدارك ٣/٦١٧، المعالم ٣/١٣٩.
(٣) المعالم ٣/١٣٥، سير أعلام ١٧/١٦٠.
(٤) الديباج ١٣٨، المدارك ٣/٦٤٣.
(٥) انظر: فهرسة ابن خير ٩٧، الصلة ١/٢٦٦، مشارق الأنوار ١/٣٦، ٣٨.
(٦) فتح الباري ١/٦.

بمكّة سنة ٣٥٣ هـ على أبي زيد محمد بن أحمد المَرْوَزِيّ (ت ٣٧١)[١]، وعلى أبي أحمد محمد بن يوسف الجُرْجَانِيّ (ت ٣٧٣)[٢]، كلاهما عن الإمام محمد بن يوسف الفَرَبْرِي (ت ٣٢٠)[٣] عن الإمام البُخاري[٤].

٢ ـ عبدالرحمٰن بن محمد بن رَشِيق، أبو القاسم (ت بعد ٤٤٤)، أخذه عن أبي ذرّ عبد بن أحمد الهَرَوي (ت ٤٣٥)[٥] بسنده إلى الفَرَبْرِي عن البُخاري، وذلك في رحلته إلى المشرق سنة ٣٧٦ هـ[٦].

٣ ـ أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي القروي (ت ٤٣٠)، سمعه عن أبي ذرّ الهَرَوي أيضاً، وذلك في رحلته إلى المشرق سنة ٣٩٩ هـ، ودخل به القيروان سنة ٣٠٢ هـ[٧]، وكان قد سمعه قبل ذلك من القابِسي، وحدّث به في الأندلس[٨]، كما سمعه من أبي محمد الأصيلي أيضاً[٩].

٤ ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله المالكي (ت ٤٣٨ وقيل ٤٤٤)، أخذه عن أبي ذرّ الهَرَوي، ودخل به القيروان أوّل سنة ٤٠٨ هـ، وكان قد سمعه قبل ذلك من شيخه القابِسي[١٠].

---

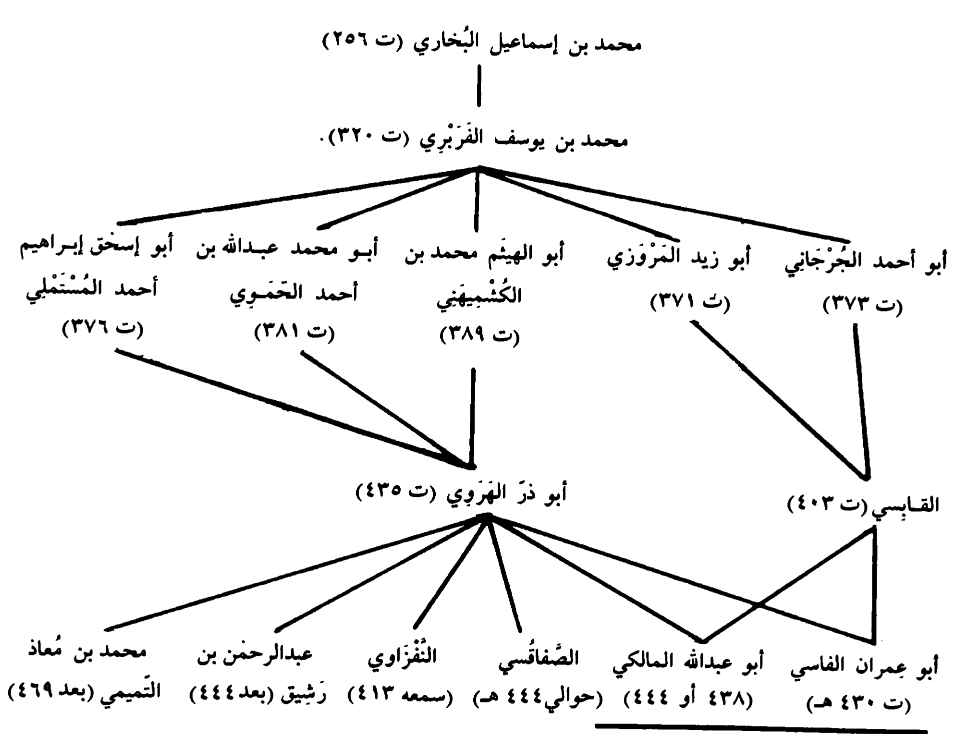
(١)، (٢) انظر عنهما: إفادة النصيح ٢٢.
(٣) انظر عنه: إفادة النصيح ١٠ - ٢٣، الإكمال ٨٤/٧.
(٤) انظر عن سنَدَي القابسي: فتح الباري ٥/١، ٦، إفادة النصيح ١١١.
(٥) انظر: إفادة النصيح ٣٩.
(٦) راجع ترجمة ابن رشيق رقم ١٧ في المحدثين.
(٧) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين، ولا يصح ما ذهب إليه بعضهم من أن الفاسي أخذ الصحيح عن أبي إسحٰق المستملي أيضاً (أبو عبدالله الأبي انظر: ١٠٤)؛ لأن المستملي قد توفي سنة ٣٧٦ هـ، وقد ولد الفاسي سنة ٣٦٥ هـ، ورحل سنة ٣٩٩ هـ، وانظر: ترجمة الفاسي رقم ٧ في المهاجرين.
(٨) مشارق الأنوار ٣٨/١.
(٩) مدرسة الإمام البخاري في المغرب ٣٣/١.
(١٠) انظر: المعالم ١٧٣/٣، الشجرة ١٠٨/١.

٥ ـ أبو القاسم مُضَر بن الحَبْحَاب النَّفْزَاوِي، سمعه من أبي ذرّ الهَرَوي، وحدّث به في القيروان[1].

٦ ـ عثمان بن أبي بكر الصَّفـاقُسي (ت حوالي ٤٤٤)، الـذي رحل إلى المشرق حوالي سنة ٤٢٠ هـ، وقد أخذ الصّحيح عن أبي ذرّ، وتوسّع في الرّحلة فلم يعد إلى القيروان إلّا بعد سنة ٤٣٠ هـ[2].

٧ ـ محمد بن مُعاذ التّميمي القيرواني، أبو عبدالله، سمع الصّحيح على أبي ذرّ الهَرَوي، وكان يحدّث به في المَهْدِيَّة بعد خراب القيروان[3].

وسيزداد الأمر وضوحاً بشجرة الإسناد التّالية:



(١) مدرسة البخاري في المغرب ١/٤٧.
(٢) راجع ترجمته رقم ٤ في المهاجرين.
(٣) انظر: فهرس ابن عطية ٦٥.

جـ ـ اهتمام الأفارقة والقرويّين بصحيح البخاري:

يعتبر دخول صحيح البُخاري إلى القيروان سنة ٣٥٧ هـ حدثاً هامّاً في تاريخ السّنّة بإفريقيَّة، حيث إنّه قد نشطت به رواية الحديث، وشاعت بسببه السُّنّة الصّحيحة، وأصبح هو الكتاب الثّاني ـ بعد الموطّأ ـ وقد نال حظّاً وافراً وجانباً كبيراً من عناية القرويّين، والمتمثّلة أساساً في الإقبال على سماعه، وروايته، وتكبّد مشاق الرّحلة في سبيل تحمّله حتّى أدخله سبعة من القرويّين.

وما إن وصل القابِسي بروايته للبُخاري حتّى أقبل عليه النّاس ليسمعونه منه، فتمنّع في البداية هيبة من التّحديث في حياة شيوخه، ولكنّ الطّلبة رأوا أنّه لا يسعه ذلك؛ لمسيس الحاجة إلى ما عنده، وعزموا على كسر باب داره فلمّا رأى ذلك خرج إليهم[1]، وقد اجتهد في رواية الصّحيح فأخذته عنه جموع غفيرة من القرويّين، والمغاربة والأندلسيّين لا يقلّون عن ثمانين، وهو عدد الطّلبة الذي لازموه وسكنوا في عَلِيّة داره، وتحمّلوا عنه مرويّاته ومصنّفاته، وقد كانوا من مختلف بلاد المغرب[2]، كما عُرفت روايته له بعد ذلك في المشرق أيضاً، فقد سمعه الحافظ ابن حَجَر برواية القابِسي من الطريقين اللّذين سبق ذكرهما[3].

ومن اهتمام القرويّين به رحلة النّفر الذين تقدّم ذكرهم لسماعه، مع أنّ منهم من أخذه عن القابِسي قبل رحلته، مثل أبي عِمران الفاسي وأبي عبدالله المالِكي، وذلك طلباً لعلوّ الإسناد، وبعد العودة قاموا بروايته[4]، فازداد عدد حملته، وتعدّدت رواياته.

(١) انظر: المعالم ١٣٦/٣.
(٢) انظر: الصلة ١٥٦/١، وراجع أسماء بعضهم في ترجمة القابسي رقم ٢٤.
(٣) انظر: فتح الباري ٥/١، ٦.
(٤) انظر مثلاً: فهرس ابن عطية ٦٥، مشارق الأنوار ٣٨/١، مدرسة البخاري ٣٣/١، ٤٧، إفادة النصيح ٨٣.

وبالرّغم من شدّة حفاوة الأفارقة عامّة والقرويّين خاصّة بتلقّي الصّحيح فإنّ عنايتهم به كانت مقتصرة على الرّواية، والمدارسة، والبحث، واستثارة الفوائد أثناء السّماع، على ما هو معهود لدى حُذّاق المحدّثين[1]؛ إذ لم تنقل لنا المصادر المتوافرة أنّهم قاموا بدراسات حوله، غير الشّرح المسمّى بالنّصيحة في شرح البُخاري، والذي صنّفه أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاوُدِي (ت ٤٠٢)[2]، وقد اعتمده ابن حَجَر في فتح الباري[3]، وسيأتي ذكره في المصنّفات.

وممّا هو جدير بالملاحظة هنا أنّ علماء القيروان كانوا يُقدّمون صحيح البُخاري على صحيح مُسْلِم[4]، كما هو مذهب جمهور علماء الأمّة[5]، مخالفين في ذلك ما شاع عن المغاربة من تفضيل صحيح مسلم[6].

وقد اقتصرتُ على ذكر الموطّأ وصحيح البُخاري لمكانتهما الخاصّة لدى محدّثي القيروان وفقهائها، مع أنّه قد شاعت لديهم رواية كثير من المصنّفات الحديثيّة غيرهما، مثل سنن أبي داود والتّرمذي والنّسائي، والمسانيد المختلفة مثل مسند بقيّ بن مَخْلَد، والمصنّفات المختلفة مثل مصنّف وكيع بن الجرّاح وغيرها، وقد تقدّم ذكرها في ثمرات الرّحلة.

خامساً: سند الرّواية بالقيروان:

لقد ذكرت في غير موضع من هذه الرّسالة[7] أنّ الصحابة هم أوّل من أظهر

(١) انظر: معجم شيوخ الحافظ ابن حجر الذي سماه: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس خط ص ٢ (ميكروفيلم) ولوحة ٢ أ (مصور).

(٢) انظر: مدرسة البخاري ٥٦٩/٢، ٥٧٩، المدارك ٦٢٣/٣، معجم أعلام الجزائر ١٤١.

(٣) انظر: فتح الباري ١٥/١، ١٠٢، ١٩١، ٤٣٧.

(٤) انظر: المؤنس ٣١٣.

(٥) انظر: علوم الحديث ١٤، مكانة الصحيحين ٥٢.

(٦) علوم الحديث لابن الصلاح ١٥.

(٧) وذلك في مناسبات مختلفة للتأكيد على أن أهل القيروان وإفريقية قد تلقوا العلم من =

بإفريقيَّة والقيروان علوم الرّواية القائمة على الكتاب والسُّنّة، ثمّ خلفهم في ذلك التّابعون الذين سكنوا القيروان فعظم أثرهم في نشر علوم السُّنّة بها، وأدخلوا إليها حديث عدد كبير ممّن لم يدخلها من الصّحابة[1]، يساعدهم في ذلك التّابعون القيروانيّون[2]، وعلى أيدي هؤلاء وأولئك تخرّج كثير من الرّواة الذين أسهموا في إثراء الحياة العلميّة بالقيروان، ثمّ تتابع ظهور حملة العلم وناشريه بالقيروان، ومن هؤلاء تألّف سند الرّواية فيها.

وبالرّغم من ثبوت هذا التّسلسل الذي ينبغي إبرازه ـ وخاصّة فيما يتعلّق بالصّحابة، إذ لم يقع حسب علمي إبراز ذلك وتحديده حتّى الآن[3] ـ فإنّ المصادر المتوافرة لم تسعفنا بأي حديث له سند إفريقيّ يغطّي كلّ هذه الفترة (٥٠ ـ ٤٤٩ هـ) من الصّحابة إلى الجيل الأخير الذي نشر العلم في القيروان قبل خرابها، وحتّى الحديث الذي أورده صاحب المناهل السّلسة على أنّه مسلسل بالإفريقيّين نجد أنّ سنده قد تحوّل إلى مشرقيّ في وسطه[4]، أمّا أورده على أنّه مسلسل بالمغاربة فقد تألّف سنده من الأفارقة والمصريّين[5].

= طريقه العلمي الصحيح ومظنته الشرعية، راجع خاصة مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(١) راجع تراجم التابعين في الباب الثالث، فقد ذكرت عند كل تابعين أسماء الصحابة الذين أدخل حديثهم إلى القيروان.

(٢) هم أهل البلاد الذين أخذوا عن الصحابة وقد وفقني الله في العثور على بعضهم مثل يزيد بن قاسط وميسرة الزرودي، انظر: رقم ١٩ ورقم ٢٠ في القسم الثالث من التابعين.

(٣) لقد أشار الأستاذ ح.ح عبدالوهاب إلى ذلك كفكرة عامة دون ذكر أسماء هؤلاء الصحابة أو أحاديثهم. انظر: الإمام المازري ١٠، وقد ذكرتُ أسماء هؤلاء الصحابة وأحاديثهم في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان في الباب الثالث.

(٤) انظر: المناهل السلسلة ١٦٧.

(٥) م. ن ١٦٣، وسيأتي ذكر الحديثين بسنديهما في علوم الرواية.

والسّبب في عدم العثور على سند إفريقيّ كامل لهذه الفترة يعود إلى طغيان الأسانيد التي مزجت بين الأفارقة وغيرهم[1]، وخاصّة بعد منتصف القرن الثّاني حين تكثّفت الرّحلة، ويضاف إلى ذلم ضياع معظم مصنّفات القرويّين في الحديث[2]، وهي مظنّة وجود الأسانيد الإفريقيَّة، وممّا يؤسف له بهذا الخصوص أنّ كتاب رياض النّفوس في صورته الواصلة إلينا قد بُترت فيه الأسانيد، ولو وُجدت فيه كاملة لوضح لنا هذا الجانب؛ لأنّ صاحبه قد صنّفه بعد خراب القيروان سنة ٤٤٩ هـ[3] أي أنّه كان من العلماء الذين يمثّلون خاتمة السّند القروي للفترة التي أنا بصدد دراستها.

وقد لاحظتُ أنّ الأسانيد الإفريقيّة المتعلّقة بصدر هذه الفترة تقف غالباً عند أتباع التّابعين لتصبح بعد ذلك مشرقية[4]، أمّا أسانيد أهل وسط هذه الفترة وآخرها فهي وإن تسلسلت ببعض الأفارقة إلا أنّها لا تلبث أن تتحوّل إلى مشرقيّة أو ممزوجة، وخاصّة عند طبقة الإمام مالك والثّوري وغيرهما، وكان ذلك هو الغالب المشهور، حتّى إنّ جبلة بن حَمُّود الصَّدَفِي (ت ٢٩٧)[5] قد دافع عن بعض تلاميذ سَحنون حين ضربهم القاضي المعتزلي محمد بن عَبْدُون (ت ٢٩٧)[6]، قائلاً: «. . . وهم رجال سَحنون، وسَحنون أخذ العلم عن رجال

(١) انظر: الإلماع ٨١، المعالم ١/١١٨، ٢٦٤، الحلية ١/٢٨٥.
(٢) راجع مبحث أهم المواضيع التي صنف فيها محدثو القيروان.
(٣) انظر: الرياض ١/٤، ٢٧٣، وراجع مقدّمة الرياض للبكّوش ١٩، ٢٠.
(٤) انظر: المعالم ١/١٤٩، ١٨٨، معجم الطبراني ٥/٣٠٢.
(٥) فقيه محدث من أصحاب سحنون، له رحلة، كان يحدث في قصور الرباط ثم يقدم القيروان فيسمع الناس منه، انظر: الشجرة ١/٧٣، الرياض ٢/٢٧، ط الخشني ١٤٣، المدارك ٤/٣٧١، المعالم ٢/٢٧٠، تراجم المؤلفين ٥/٢١٠.
(٦) انظر عنه: ط الخشني ١٨٧.

مالك، ورجال مالك أخذوه عنه، وأخذه مالك عن التّابعين، والتّابعون عن الصّحابة رضي الله عنهم أجمعين والصّحابة عن الرّسول ﷺ»[1].

وممّا تتمّ به الفائدة هنا، ويُسهم في سدّ هذا النّقص المتعلّق بالسّند القرويّ للرّواية، ذكرُ أشهر الأعلام الذين كان عليهم مدار رواية الحديث في كلّ طبقة[2]، بالتّسلسل من الصّحابة إلى الجيل الذي خُتم به العلم في القَيْرَوان قبل خرابها على يد الأعراب سنة ٤٤٩ هـ، وبذلك يتألّف السّند العلمي فيها.

وقد رأيت أن أقتصر في كل طبقة على عدد محدود من الرّواة الثّقات يكفي لتحقيق الغرض من إيرادهم في هذا المبحث، وهو الوقوف على أهمّ رجال كلّ حلقة من حلقات السّند القيرواني، الذين كان عليهم مدار الرّواية فيها:

الطّبقة الأولى: الصّحابة:

سيأتي[3] التّعريف بالصّحابة الذين نزلوا القيروان، والكلام على عددهم وأثرهم في نشر السُّنّة بها، وقد ذكرت في هذا المبحث الأخير ثبوت الرّواية بإفريقيّة والقيروان عن عشرة من الصّحابة وأوردت أحاديثهم[4]، وهم:

جَبَلَة بن عمرو الأنصاري[5]، رُوَيفع بن ثابت الأنصاري (ت ٥٦)[6]،

---

(١) الرياض ٢/٤٤، المعالم ٢/٢٧٤، وراجع نماذج لهذه الأسانيد في الرياض ١/١٨٩، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) المراد بالطبقة هنا الجماعة المشتركون في السن أو الشيوخ أو كليهما وقد استعملها بعض المصنفين بمعنى الجيل، وبعضهم جعلها عشر سنين، وحدها بعض اللغوين بعشرين سنة. انظر: بحوث في تاريخ السنة للدكتور أكرم العمري ١٨٠ ـ ١٩٠، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٤٧، ٤٨.

(٣) راجع مبحث الصحابة الذين نزلوا القيروان في الباب الثالث.

(٤) انظر: مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٥) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٤ في الصحابة.

(٦) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ١٤ في الصحابة.

زياد بن الحارث الصُّدائي[1]، سفيان بن وهب الخَوْلاَنِي (ت ٨٢)[٦]، عبدالله بن سعد بن أبي سرح (ت ٣٦ أو ٣٧)[٧]، عبدالله بن عمر بن الخطّاب (ت ٧٣ أو ٧٤)[٤]، فضَالة بن عُبيد الأنصاري (ت ٥٣)[٥]، المُنَيذِر الأسلمي الإفريقي[٦]، أبو زَمْعة البَلَوِي (ت ٤٥ وقيل ٣٤ هـ)[٧]، أبو اليَقْظان[٨].

الطّبقة الثّانية: التّابعون:

للتّابعين أثر عميق في نشر السّنّة بالقيروان، كما سيأتي تفصيله في الباب الثّالث[٩] وقد ذكرت هناك عدد من دخلها منهم[١٠]، وأثرهم في إشاعة رواية الحديث بها، ثمّ عرّفت بهم مُركّزاً على الجانب الحديثي لكل منهم، مع ذكر الرّواة عنهم من الأفارقة والقرويّين.

وإذا كان جلّ هؤلاء التّابعين قد عُرفوا برواية الحديث في إفريقيَّة والقيروان فإنّ أثرهم كان متفاوتاً، والذي كان عليهم مدار الرّواية في هذه الطّبقة جماعة منهم:

١ ــ أعضاء بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميّة، وهم عشرة من التّابعين، دخلوا القيروان سنة ٩٩ هـ بهدف نشر العلم بين أهلها، وتعليمهم القرآن والسّنن

---

(١) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ١٦ في الصحابة.
(٢) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ١٨ في الصحابة.
(٣) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٢٧ في الصحابة.
(٤) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٢٩ في الصحابة.
(٥) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٣٤ في الصحابة.
(٦) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٤٤ في الصحابة.
(٧) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ١٧ في الصحابة.
(٨) انظر: التعريف به وذكر من حدث عنه بالقيروان في ترجمته رقم ٤٥ في الصحابة.
(٩) انظر مبحث: التابعون الرواة.
(١٠) وهم ٤٩ تابعياً عدا صغار الصحابة وهم واحد وعشرون، وعدادهم من حيث الرواية في التابعين عند أهل الحديث.

والحكم بينهم بمقتضى ذلك[1]، وهم[2]: إسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المُهاجِر (٦١ - ١٣١)، بَكْر بن سَوادة الجُذامي (ت ١٢٨)، جُعثل بن عاهان الرُّعيني (ت حوالي ١١٥)، حِبَّان بن أبي جَبَلة القُرشي (ت ١٢٥)، سعد بن مسعود التُّجيبي، طَلْق بن جَعْبَان الفَارِسِي، عبدالرحمٰن بن رافع التَّنوخي (ت ١١٣)، عبدالله بن يزيد المَعَافِري الحُبُلِيّ (ت ١٠٠)، موهب بن حيّ المَعَافِرِي، عبدالله بن المُغيرة بن أبي بُردة الكِنَاني (ت بعد ١٢٣).

٢ ـ جماعة آخرون من التّابعين سكنوا القيروان، منهم:

إسماعيل بن عُبيد مولى الأنصار (ت ١٠٧)[3]، حَنَش بن عبدالله السَّبائي الصّنعاني ثمَّ الإفريقي (ت ١٠٠)[4]، زياد بن أَنْعُم الشَّعْبَاني[5]، عُلَيّ بن رباح اللَّخمي (١٥ - ١١٤)[6]، أبو عَلْقَمَة الفارسي[7]، المغيرة بن أبي بُرْدة الكِناني[8].

٣ ـ جماعة أوطنوا القيروان وبثّوا فيها العلم ثمّ خرجوا عنها، منهم:

دُخَيْن بن عامر الحَجّرِي (ت ١٠٠ وقيل ١٠٢)[9]، يزيد بن أبي منصور الأَزْدِي[10].

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٠، الرياض ٩٩/١، المعالم ٢٠٣/١، تاريخ ابن الفرضي ١٤٦/١.

(٢) راجع تراجمهم ومصادرهم في القسم الثاني من التابعين.

(٣) انظر: ترجمته رقم ١ في القسم الثالث من التابعين.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٢ في القسم الثالث من التابعين.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٤ في القسم الثالث من التابعين.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٩ في القيم الثالث من التابعين.

(٧) انظر: ترجمته رقم ١٣ في القسم الثالث من التابعين.

(٨) انظر: ترجمته رقم ١٧ في القسم الثالث من التابعين.

(٩) انظر: ترجمته رقم ١ في القسم الرابع من التابعين.

(١٠) انظر: ترجمته رقم ٢ في القسم الرابع من التابعين.

الطّبقة الثّالثة: أتباع التّابعين:

كان مدار الرّواية في هذه الطّبقة على جماعة منهم:

١ ـ خالد بن أبي عِمران التُّجيبي (ت ١٢٥أو ١٢٩)(١): وهو عالم إفريقيَّة وراويتها، وأكثر إقامته في مدينة تونُس، وهو متقدّم في السّنّ، غير أنّه لم يلق أحداً من الصّحابة، وروى عن جماعة كثيرة من التّابعين الذين نزلوا القيروان، كما سمع بالمشرق من سالم بن عبدالله بن عمر، ونافع مولى ابن عمر، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغيرهم، وهو الذي حَمَّله الأفارقة مسائلهم إلى أبناء الصّحابة في المدينة، وقد حدّث عنه كثير من الأفارقة والقرويّين منهم: عبدالرحمٰن بن زياد وعُبيد الله بن زَحْر، وعبدالملك بن أبي كريمة وغيرهم، وحملوا عنه القرويّون كتاباً كبيراً دَوَّن فيه مرويّاته عن تابعي المدينة، أجمع النُّقّاد على توثيقه، وقد أخرج له مسلم وأبو داود والتّرمذي والنّسائي، وأحمد(٢)، والطّبراني في الكبير(٣) ويحيى بن سلّام في تفسيره(٤)، وابن عبدالبرّ في التّمهيد(٥).

٢ ـ أبو كُرَيب جميل بن كُرَيب المَعَافِري (ت ١٣٩)(٦): عداده في أجلّاء

---

(١) انظر ترجمته في: الرياض ١/١٦٢، ط أبي العرب ٢٤٥، ط خليفة ٢٩٥، مشاهير علماء الأمصار ١٨٨، تاريخ إفريقية للرقيق ١٠٠، سير أعلام ٥/٣٧٨، تاريخ الإسلام ٥/٦٦، ٦/٦٠، التاريخ الكبير ٣/١٦٣، ط ابن سعد ٧/٥٢١، حسن المحاضرة ١/٢٩٩، الجرح والتعديل ٣/٣٤٥، ثقات ابن حبان ٤/٢٦٢، التهذيب ٣/١١٠، التقريب ١/٢١٧، مرآة الجنان ١/٢٧٣.

(٢) مسند أحمد ٢/٦٨.

(٣) معجم الطبراني ٨/٢٨٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلّام خط ٦٢ ب.

(٥) التمهيد ١/٣٢٧، ٣/١٧١، ١٧٣.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٢٤٩، الرياض ١/١٦٨، المعالم ١/٢٢٤، ط الخشني ٢٣٤ (ضمن القضاة وسماه عبدالرحمٰن)، تاريخ قضاة القيروان للجودي خط ٥، تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق ١٤٠.

شيوخ إفريقيَّة، يروي عن أبي عبدالرحمٰن الحُبُلِيّ التّابعي، وغيره، روى عنه جماعة من القرويّين، تولّى قضاء القيروان سنة ١٣٢ هـ، وقُتل أثناء معركة قادها ضدّ الخوارج، ومعه ألف من العلماء والصّلحاء، وذلك سنة ١٣٩ هـ.

٣ ــ عبدالله بن عبدالرحمٰن بن الطُّفَيْل المشهور بيزيد بن الطُّفَيْل، قاضي القيروان(١):

روى عن علقمة بن وقّاص اللَّيْثِيّ وغيره، وحدّث عنه جماعة كثيرة منهم عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي، وكان يرأس حلقة عظيمة في جامع عُقبة بالقيروان.

٤ ــ عُبيد الله بن زَحْر الكِنَانِيّ(٢).

٥ ــ عبدالرّحمٰن بن زياد بن أَنْعُم الإفريقي (ت ١٦١)(٣).

٦ ــ يحيى بن سلّام البصري ثمّ القيرواني (ت ٢٠٠)(٤).

الطّبقة الرّابعة:

تألّفت حلقة السّند القيرواني في هذه الطّبقة من جماعة من الرّواة منهم:

١ ــ عبدالله بن فَرُّوخ الفارسي، القيرواني (ت ١٧٦).

٢ ــ علي بن زياد التّونُسي (ت ١٨٣): وهو محدّث واسع الرّواية، سمع منه كثير من أهل القيروان، وكانت أكثر إقامته في مدينة تونُس، فكان القرويّون

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ١٠٥، الرياض ١/١٧٢، ط الخشني ٢٣٤ (ضمن القضاة)، تاريخ قضاة القيروان خط ٣، تاريخ إفريقية والمغرب ١٦٧.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٢٣ في المحدثين.

(٣) انظر: ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين.

يرحلون إليه، كما كان يتردّد على القيروان، فيسمع منه أهلها، وقد تقدّم ذكر مصادره ومزيد من التّعريف به في رواة الموطّأ من الأفارقة[1].

٤ ـ البُهلول بن راشد الرُّعَيْني (ت ١٨٣)[2].

٥ ـ عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)[3].

٦ ـ معاوية بن الفضل الصُّمَادِحِي (ت ١٩٩)[4].

الطّبقة الخامسة:

كان مدار رواية الحديث في هذه الطّبقة على جماعة أشهرهم:

١ ـ عَنْبَسة بن خَارِجَة الغَافِقِيّ (ت ٢١٠)[5].

٢ ـ يزيد بن محمد الجُمَحِيّ (ت ٢١٢)[6].

٣ ـ أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)[7].

٤ ـ موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي (ت ٢٢٥)[8].

٥ ـ عبدالله بن أبي حسَّان اليَحْصُبِيّ (ت ٢٢٧)[9].

الطّبقة السّادسة:

دارت الرّواية في هذه الطّبقة على جملة من المحدّثين منهم:

١ ـ البُهلول بن عمر بن صالح التُّجيبي (ت ٢٣٣ أو ٢٣٤)[10].

---

(١) انظر: ص ٢٦٧.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٥ في المحدثين.

(٣) انظر: ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٣٣ في المحدثين.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٢٥ في المحدثين.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٤٠ في المحدثين.

(٧) انظر: ترجمته رقم ٤ في المحدثين.

(٨) انظر: ترجمته رقم ٣٨ في المحدثين.

(٩) انظر: ترجمته رقم ١٨ في المحدثين.

(١٠) انظر: مصادره وترجمته برقم ٦ في المحدثين.

٢ ــ رباح بن ثابت الأَزْدِي (ت ٢٣٧)[١].

٣ ــ يحيى بن سليمان الخَرَّاز (ت ٢٣٧)[٢].

٤ ــ عون بن يوسف الخُزَاعِي (ت ٢٣٩)[٣].

٥ ــ الإمام سَحنون بن سعيد التَّنُوخي (ت ٢٤٠)[٤].

٦ ــ الإمام محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[٥].

الطّبقــة السّابعــة:

قامت الرّواية في هذه الطّبقة على جماعة منهم:

١ ــ أحمد بن مُعتّب الأَزْدِي (ت ٢٧٧)[٦] .

٢ ــ أحمد بن يزيد القُرَشِي (ت ٢٨٤)[٧] .

٣ ــ يحيى بن عمر الكِناني (ت ٢٨٩)[٨] .

٤ ــ سعيد بن إسحٰق الكَلْبِي (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥)[٩] .

٥ ــ عيسى بن مِسكين الإفريقي (ت ٢٩٥)[١٠] .

٦ ــ بَكْر بن حمّاد التَّاهَرْتِي (ت ٢٩٦)[١١] .

---

(١) انظر: مصادره وترجمته برقم ٩في المحدثين.

(٢) انظر: مصادره وترجمته برقم ٣٩ في المحدثين.

(٣) انظر: مصادره وترجمته برقم ٢٦ في المحدثين.

(٤) انظر: مصادره وترجمته برقم ١٣ في المحدثين.

(٥) انظر: مصادره وترجمته برقم ٣٢ في المحدثين.

(٦) انظر: مصادره وترجمته برقم ٢ في المحدثين.

(٧) انظر: مصادره وترجمته برقم ٣ في المحدثين.

(٨) انظر: مصادره وترجمته برقم ٩ في المحدثين.

(٩) انظر: مصادره وترجمته برقم ١٤ في المحدثين.

(١٠) انظر: مصادره وترجمته برقم ٢٧ في المحدثين.

(١١) انظر: مصادره وترجمته برقم ٢ في المهاجرين.

الطّبقــة الثّامنــة:

وفي هذه الطّبقة كان مـدار رواية الحـديث على جماعـة من المحدّثين، منهم:

١ ـ سعيد بن محمد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)[١].

٢ ـ مالك بن عيسى القَفْصِي (ت ٢٠٥)[٢].

٣ ـ لقمان بن يوسف الغَسّاني (ت ٣١٩)[٣].

٤ ـ أحمد بن محمد القصري (ت ٣٢٢)[٤].

٥ ـ ربيع بن سليمان القطّان (ت ٣٣٣)[٥].

٦ ـ الحافظ أبو العَرَب محمد بن أحمد التَّميمي (ت ٣٣٣)[٦].

الطّبقــة التّاسعــة:

كان مدار الرّواية في هذه الطّبقة على جماعة أشهرهم:

١ ـ محمد بن سعدون التَّميمي (ت ٣٤٤)[٧].

٢ ـ عبدالله بن أبي هاشم التُّجيبي (ت ٣٤٦)[٨].

٣ ـ محمد بن مسرور العسّال (ت ٣٤٦)[٩].

---

(١) انظر: مصادره وترجمته برقم ١٥ في المحدثين.

(٢) انظر: مصادره وترجمته برقم ٥ في المهاجرين.

(٣) انظر: مصادره وترجمته برقم ٢٩ في المحدثين.

(٤) انظر: مصادره وترجمته برقم ١ في المحدثين.

(٥) انظر: مصادره وترجمته برقم ١١ في المحدثين.

(٦) انظر: مصادره وترجمته برقم ٣٠ في المحدثين.

(٧) محدث مقرىء زاهد، له رحلة واسعة كتب فيها الحديث، الريـاض ٤١٤/٢، المعالم ٥٢/٣.

(٨) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٢٢ في المحدثين.

(٩) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٣٤ في المحدثين.

٤ ــ أبو الحسن حسن بن محمد الكانشي (ت ٣٤٧)[١] .
٥ ــ علي بن محمد بن مَسْرُور الدّبّاغ (ت ٣٥٩)[٢] .

الطّبقــة العــاشرة:

تألّفت حلقة السّند القروي في هذه الطّبقة من جماعة من الرّواة، منهم:

١ ــ تميم بن أبي العرب التّميمي (ت ٣٧١)[٣].
٢ ــ عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)[٤].
٣ ــ مسرّة بن مُسلِم الحضرمي (ت ٣٩٣)[٥].
٤ ــ أبو عبدالله محمد الزّيّات (٣٩٧)[٦].
٥ ــ أحمد بن محمد بن النّجّار (ت ٣٩٧)[٧].
٦ ــ الإمام أبو الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)[٨].

الطّبقة الحادية عشرة:

دارت رواية الحديث بالقيروان في هذه الطّبقة على جماعة من المحدّثين، منهم:

١ ــ محمد بن تميم بن أبي العرب (ت ٤١٧)[٩].

---

(١) فقيه محدث متفنن في مختلف العلوم، رحل إلي الناس من مختلف بـلاد المغرب. انظر: الشجرة ١/٨٥، المدارك ٣/٣٦٨.
(٢) عالم ورع جمع بين الحديث والفقه، وحدّث بالقيروان لمدة ٣٣ سنة، المعالم ٣/٧٥، الشجرة ١/٩٤.
(٣) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٧ في المحدثين.
(٤) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ١٩ في المحدثين.
(٥) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٣٦ في المحدثين.
(٦) كان متقناً للحديث وعلومه مشهوراً بذلك المعالم ٣/١٣١.
(٧) محدث واعظ، يسمى أحْمَدَيْن لجمعه بين حفظ الحديث والرقائق، المعالم ١/١٣١.
(٨) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.
(٩) انظر: مصادره والتعريف به في ترجمته رقم ٣١ في المحدثين.

٢ ــ أبو عبدالله محمد بن عيسى بن مَنَاس (ت حوالي ٤٢٠)[١].

٣ ــ أبو عبدالله محمد بن عبّاس الخوّاص (ت ٤٢٨)[٢].

٤ ــ أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)[٣].

٥ ــ أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الأَجْدَابي (ت ٤٣٢)[٤].

الطّبقة الثّانية عشرة:

وبها ختم العلم بالقيروان قبل خرابها سنة ٤٤٩ هـ، ولم يعد إليها إلاّ بعد حوالي قرن من الزّمان[٥]، وكان مدار رواية الحديث فيها على جماعة منهم:

١ ــ عثمان بن أبي بكر الصَّفاقُسي (ت حوالي ٤٤٤)[٦].

٢ ــ عبدالرحمٰن بن محمد بن رَشِيق (ت بعد ٤٤٤)[٧].

٣ ــ عبدالرحمٰن بن مُحْرِز القيرواني (ت نحو سنة ٤٥٠)[٨].

٤ ــ أبو حفص عمر حفيد ابن أبي زيد القيرواني (ت ٤٦٠)[٩].

---

(١) فقيه محدث من جلة أصحاب الإمام القابسي أخذ عنه جماعة من كبار الرواة منهم حاتم الطرابلسي، المعالم ٣/١٥٨، الصلة ١/١٥٥، ضمن ترجمة حاتم الطرابلسي.

(٣) من مقدمي الرواة بالقيروان، وأحد كبار أصحاب ابن أبي زيد والقابسي، حدث عنه كثير من القرويينن وغيرهم. المدارك ٣/٧١٠، المعالم ٣/١٦٩.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.

(٤) فقيه مؤرخ محدث ثقة ثبت، له رحلة ومصنفات في مناقب بعض علماء القيروان، المعالم ٣/١٧٠، مقدمة الرياض للبكوش ١٦.

(٥) انظر: المعالم ٣/٢٠٤.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٤ في المهاجرين.

(٧) انظر: ترجمته رقم ١٧ في المحدثين.

(٨) فقيه نبيل، ومحدث جليل، له رجلة سمع فيها كبار مشايخ المشرق، وكتب عنهم الحديث وتفقه به جماعة من القرويين وسمعوا منه الحديث. انظر: الشجرة ١/١١٠، المعالم ٣/١٨٥، المدارك ٣/٧٧٢.

(٩) كان الغالب عليه حفظ الحديث وروايته وله بالقيروان مجلس حفيل يقرأ عليه فيه الحديث والفقه. المعالم ٣/١٩٠، الشجرة ١/١١٦.

٥ ـ عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِي (ت ٤٦٢)[١].

الطّبقة الثّالثة عشرة:

وهي الطّبقة التي تمّ عن طريقها وصل سند الرّواية بإفريقيَّة عندما خربت القيروان وانقطع منها العلم، وتحوّلت الحياة العلمية إلى المَهْدِيَّة[٢] عن طريق تلاميذ الطّبقة السّابقة، ولولا وجود هؤلاء العلماء لانتقطع السّند العلمي بإفريقيَّة، وهذه النّقطة من أهمّ ثمرات هذا المبحث، وقد عرف منهم بالرّواية جماعة أشهرهم:

١ ـ أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي صاحب رياض النّفوس (ت بعد سنة ٤٦٤ هـ)[٣].

٢ ـ أبو الحسن عبدالله بن محمد الرَّبَعِي المعروف باللَّخْمِي (ت ٤٧٨)[٤].

٣ ـ أبو محمد عبدالحميد بن محمد المغربي المعروف بابن الصّائغ (ت ٤٨٦)[٥].

---

(١) خاتمة علماء إفريقية وآخر شيوخ القيروان، كان متفنّناً في مختلف العلوم مع عناية خاصة بالحديث والقراءات، وكان كثير الأصحاب، انظر: الشجرة ١/١١٦، المعالم ٣/١٨١، المدارك ٣/٧٧٠.

(٢) مدينة على الساحل التونسي من جهة الشمال، أسسها سنة ٣٠٨ هـ عبيد الله الإسماعيلي أول ملوك الرافضة بإفريقية واتخذها عاصمة له. انظر عنها: البيان المغرب ١/١٦٩، ١٨٤، المؤنس ٥٦، الشجرة ٢/١٢٢، معجم البلدان ٥/٢٢٩.

(٣) فقيه محدث مؤرخ ثقة. انظر: المعالم ٣/١٩٠، الشجرة ١/١٠٨، الإمام المازري ٧٩، مقدمة الرياض لمؤنس ٣٠، مقدمة الرياض للبكوش ١٨.

(٤) فقيه أصولي مشارك في الحديث. انظر: المدارك ٣/٧٩٧، المعالم ٣/١٩٩، معجم المؤلفين ٧/١٩٧، الشجرة ١/١١٧، الديباج ٢٠٣، الحلل السندسية ١/٢/٣٣٦، تراجم المؤلفين ٤/٢١٤.

(٥) فقيه له مشاركة في الحديث، المدارك ٣/٧٩٤، الديباج ١٥٩، الشجرة ١/١١٧، المعالم ٣/٢٠٠.

وعن هؤلاء الثّلاثة أخذ كثير من العلماء أشهرهم: الإمام المجتهد الحافظ أبو عبدالله محمد بن علي المَازِرِيّ (ت ٥٣٦)، المتفنّن في سائر العلوم، مع اهتمام خاصّ بالحديث وعلومه، وهو حامل لواء العلم بإفريقيَّة في عصره، وتتلمذ عليه مئات من الطّلبة، له عدّة مصنّفات منها: المُعْلِم بفوائد مسلم[1].

وهكذا نستنتج من هذا العرض السّريع تبيُّنَ أهمّ الرّواة في كلّ حلقة من حلقات سلسلة الإسناد بالقيروان، كما أنّه يساعدنا في معرفة الحلقة التي انتقل بها سند الرّواية من القيروان إلى المَهْدِيَّة، وبذلك سلم سند الرّواية والعلم بإفريقيّة من الانقطاع، رغم الجوائح التي تعرّضت لها المنطقة، والتي تسبّبت في جلاء أهلها عنها بعد خراب القَيْرَوان سنة ٤٤٩ هـ.

سادساً: الإضافات الحديثيّة لمدرسة القيروان:

إنّ شيوع رواية الحديث في الأمصار الإسلاميّة قد ارتبط غالباً بتفرّق الصّحابة فيها وبما حدّثوا به فيها، وخاصّة بعد وفاة النّبيّ ﷺ، ومعلوم أنّ الصّحابة لم يكونوا على درجة واحدة من حيث سعة الرّواية وحفظ الحديث، فمنهم المكثر، ومنهم المقلّ، ومنهم بين ذلك[2]، ومنهم من لم يعرف عنه أنه حدّث بشيء عن النّبيّ ﷺ حيث زاد عدد الصّحابة على مائة ألف شخص فيما ذكره أبو زُرعة الرّازي[3]، ورجّحه الحافظ زين الدّين العراقي، لاتّصال سنده عن

---

(١) انظر عن الإمام المازري ومصنفاته: الشجرة ١/١٢٧، أبو عبدالله الأُبيّ وكتابه الإكمال ١٨٣، الإمام المازري لحسن عبدالوهاب ٣٩ فما بعدها، المازري الفقيه المتكلم لمحمد الشاذلي النيفر ٢١ وما بعدها، تاريخ التراث العربي ١/١/٢٦٤.

(٢) انظر: الحديث والمحدثون لأبي زهو ١٠٨، دراسات في الجرح والتعديل للأعظمي ١٨٣ ـ ١٨٥، وذلك واضح لمن نظر في مقدمة مسند بقي بن مخلد الموسومة بـ «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» ٧٩، وفصل «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» لابن حزم في كتابه جوامع السير ٢٧٥، وانظر: معرفة علوم الحديث ٢٤، ٢٥، ١٥٧.

(٣) الإصابة ١/٤، التجريد ١/ ب، التقييد والإيضاح ٣٠٥.

أبي زُرعة ولعدم جزمه بتحديد خاص[1]، كما في الرّواية الأخرى الواردة عنه بأنّه مائة ألف وأربعة عشر ألفاً[2]، أمّا الذين رووا عنه فقد ذكر الحاكم أنّهم أربعة آلاف[3]، وتعقّبه الذّهبيّ بأنّهم بين ألف وخمسمائة وألفي صحابي[4]، ورجّح الدّكتور أكرم العُمَري قول الذّهبي بناء على ما قام به من الإحصاءات من خلال بعض المسانيد وقوائم أسماء الصّحابة الرّواة[5].

وقد نتج عن تفرّق الصّحابة الرّواة في الأمصار وجود أحاديث اختصّت بها بعض المدن دون بعض، فكانت الرّحلة هي الوسيلة التي مكّنت أهل كلّ مصر من سماع ما عند غيرهم من الحديث وروايته.

وكان للتابعين أيضاً أثر في اختصاص بعض المدن بأحاديث لم توجد لها رواية في مدن أخرى بحكم اختصاص بعضهم ببعض الصّحابة.

وبالرّغم من عدم طول مكث الصّحابة بإفريقيَّة والقيروان[6] فإنّ للباحث أن يتساءل عن مدى وجود إضافات حديثيّة فيها عمّا هو موجود لدى محدّثي المشرق.

ولا شك أنّ الإجابة عن هذا التّساؤل لن تكون دقيقة، كتحديد عدد تقريبيّ لهذه الإضافات مثلاً، وذلك بسبب ضياع معظم المصنّفات التي جمع فيها القرويّون أحاديثهم، والتي تعتبر مظنّة لوجود إضافات حديثيّة مثل مسند محمد بن

---

(١) التقييد والإيضاح ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) اختصار علوم الحديث ١٨٥.

(٣) تجريد أسماء الصحابة «ب»، «جـ».

(٤) تجريد أسماء الصحابة ب، جـ.

(٥) مقدمة كتاب بقي بن مخلد ومقدمة مسنده ١٩.

(٦) سيأتي تفصيل الحديث عن ذلك في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

سَحنون (ت ٢٥٦) وقد وُصف بأنّه كبير[1]، وعوالي الحافظ أبي العَرَب التّميمي (ت ٣٣٣)[2]، وعوالي أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠)[3]؛ وغيرها[4].

١ ـ اختصاص أهل القيروان بحديث صحابيّين:

أفادتنا المادّة العلميّة المتوافرة أنّ أهل القيروان قد اختصّوا بحديثين عن صحابيّين دخلا إفريقيَّة، ويعتبر حفظ هذين الحديثين من إضافات أهل القيروان، وهما:

أ ـ حديث زياد بن الحارث الصُّدائي[5]: قال فُرات بن محمد العَبْدي (ت ٢٩٢)[6]: «قدم زياد بن الحارث الصُّدائي إفريقيّة، وانفرد أهل إفريقيَّة بحديثه»[7]، قلت: وهو حديث قصّة إسلام هذا الصّحابي، وفيه أحكام فقهيّة مختلفة المواضيع، ولذلك نجد من المصنّفين من ساقه كاملاً بطوله، وقد يروى مُجزّءاً في ثلاثة أحاديث كما سيأتي عند سياقه والحكم عليه[8].

وقد رواه أهل القيروان عن عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ عن زياد بن نُعيم الحضرمي عن الصُّدائي[9]، ورووه أيضاً من طريق بَكْر بن سَوادة، نزيل القيروان، عن زياد عن الصُّدائي[10].

---

(١) انظر: المدارك ٣/١٠٦.

(٢) انظر: الشجرة ١/٨٤.

(٣) انظر: الأعلام ٧/٢٨٧.

(٤) سيأتي ذكر مصنفات القرويين الحديثية في صدر الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٥) ستأتي ترجمته رقم ١٦ في الصحابة.

(٦) محدث قروي واسع العلم بالرجال والتاريخ والأنساب، راجع ترجمته رقم ٢٨ في المحدثين.

(٧) الرياض ١/٨٧.

(٨) وذلك في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٩) وانظر: الرياض ١/٨٧، المعالم ١/١٤٩.

(١٠) انظر: الإصابة ١/٥٣٩، التهذيب ٣/٣٦٠، وقد ذكر له ابن حجر طريقاً آخر سيأتي الكلام عليه في ترجمة زياد بن الحارث الصدائي.

وحديث الصُّدائي هو الوارد في قصة إسلامه، وما جرى له مع النّبيّ ﷺ، وما سمعه منه، وهو حديث طويل سيأتي تخريجه وسرده كاملاً عند الكلام على الصّحابة الذي ثبتت الرّواية عنهم بإفريقيَّة[1].

وقد حكم الشّيخ أحدم شاكر بصحّتـه، وأورده بطوله برواية ابن عبدالحكم في فتوح مصر، وذلك في تعليقه على سنن التّرمذِي[2]، وأوّل الحديث: «أتيت النّبيّ ﷺ فبايعته على الإسلام، فأُخبرت أنّه بعث جيشاً إلى قومي، فقلت: يا نبيّ الله: أُردد الجيس وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. . .» الحديث.

ولم أعثر على رواية لهذا الحديث من غير طريق أهل القيروان وعنهم انتشر إلى غيرهم بواسطة تلاميذ ابن أَنْعُم الكثيرين كما في أسانيد هذا الحديث.

ب ــ حديث **المُنيذِر الأسلمي الإفريقي**[3]: اختصّ الأفارقة بحديث هـذا الصّحابي حيث لم أعثر عليه من غير طريقهم، وذكره صاحب المناهل السّلسـة في المسلسل بالإفريقيّين[4]، وهم يرْوُونه من طريق أبي عبدالرحمٰن عبدالله بن يزيد الحُبُلِيّ (ت ١٠٠ بالقيروان)[5]، عن المُنَيْذِر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزّعيم فلآخُذنّ بيده فلأُدخلنّه

(١) وذلك في بمحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٢) سنن الترمذي ٣٨٦/١، وذلك بناء على توثيقه للإفريقي، وقال ابن السكن في إسناده نظر. انظر: الإصابة ٥٣٨/١، التهذيب ٣٦٠/٣، بناء على وجود الإفريقي في سنده، غير أنه روي من طريق بكر بن سدادة وهو ثقة احتج به مسلم وغيره كما في ترجمتـه فيصبح الحديث برواية الإفريقي صحيحاً لغيره حتى على رأي من ضعف الإفريقي.

(٣) ستأتي ترجمته رقم ٤٤ في الصحابة، وفيها ذكر الاختلاف الشديد في اسمه.

(٤) المناهل السّلسة ٣٠٠.

(٥) راجع ترجمته رقم ٩ في القسم الثاني من التابعين.

الجنّة»[1]، وبعضهم يزيد بعد اسم الصّحابي «وكان بإفريقيَّة»، وبعضهم يقول: «من قال إذا أصبح . . .».

٢ ـ نماذج لبعض غرائب الأفارقة:

لقد أشارت المصادر أيضاً إلى إغراب الأفارقة ببعض الأحاديث[2]، وسأذكر نماذج لها: الأحاديث السّتّة التي اشتهرت بأنّ عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي قد أغرب بها، بالإضافة إلى حديث حسن المتن، معروف بالمشرق، غير أنّ القرويّين انفردوا بإضافة سند جديد له لم يعرفه أهل المشرق، مع الإشارة إلى تفرّدهم برواية أحاديث فضائل إفريقيَّة التي سيأتي الكلام عليها في مباحث الدّراية.

أ ـ الأحاديث التي أغرب بها الإفريقيّ:

ذكر أبو العَرَب[3] عن البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) قال: سمعت سفيان الثّوري يقول: «جاءنا عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي بستّة أحاديث يرفعها إلى

---

(١) أخرجه صاحب المناهل السلسة ٣٠٠، وابن عبدالبر في الاستيعاب ٣/٥٠٠، وأبو نعيم في معرفة الصحابة خط ٢/١٨٨، وقد وهَّم من ذكر في بعض طرقه السّلمي بدل الحبلي، وذكره صاحب أسد الغابة وعزاه إلى ابن منده وأبي نعيم ٤/٤٢٢، وهو مذكور في أغلب مصادر هذا الصحابي غير أني لم أجد من ذكره مسنداً غير من تقدم، ولم أعثر عليه في كتب السّنّة، وقد رُويت عدة أحاديث في هذا المعنى من غير طريق المنيذر، وأقربها إلى حديثه ما رواه الإمام أحمد في مواضع من طريق خادم رسول الله ﷺ. انظر: المسند ٤/٣٣٧، ٥/٣٦٧.
قلت: وسند حديث المنيذر عند أبي نعيم وفي المناهل السلسة واحد، وهو ضعيف، لضعف رشدين بن سعد (التقريب ١/٢٥١)، وللحديث شاهد صحيح عند أحمد يرتقي به إلى درجة الصحيح لغيره. مسند أحمد ٤/٣٣٧، ٥/٣٦٧، وسيأتي ذكر سند أحمد وأحوال رجاله عند ذكر هذا الحديث في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.

(٢) انظر: ط أبي العرب مح ٢٥٤، الرياض ١/٨٧، ٩٠، ٩٩، ١١٢، ١٣٢، ٢٣٣، التهذيب ٦/١٧٥، كلاهما نقلاً عن أبي العرب.

(٣) ط أبي العرب ٢٧، الرياض ١/١٥٣، التهذيب ٦/١٧٥، كلاهما نقلاً عن أبي العرب.

النّبيّ ﷺ لم أسمع أحداً يرفعها. . .» ثمّ ذكرها، قال أبو العَرَب: «فلهذه الغرائب التي لم يروها غيره (يعني مرفوعة) ضعّف ابن معين حديثه» وهذه الأحاديث هي:

١ ـ «حديث أمّهات الأولاد» وقد ذكرته المصادر هكذا بطرفه ولم تحدّده، وبعد تتبّع أحاديث أمّهات الأولاد في المصادر وجدت حديث الإفريقي بروايته عن مسلم بن يسار عن سعيد بن المسيَّب أنّ عمر أعتق أمّهات الأولاد، وقال عمر: «أعتقهنّ رسول الله ﷺ»[1]، وقد ذكره الزَّيْلَعِي[2] وعزاه إلى الدَّارَقُطْنِي في سننه، وأعلّه بكون الإفريقي لا يحتجّ به، وقال: «قال ابن القطّان: سعيد عن عمر منقطع»، ثمّ نقل عن أحمد قوله: «سعيد بن المسيَّب عن عمر عندنا حجّة فإنّه رآه وسمع منه»، ونقل صاحب التّعليق المغني كلام الزَّيْلَعِيّ ولم يشر إلى نقله عنه[3].

قلت: الصّحيح ما قاله الإمام أحمد من سماع سعيد من عمر، فإنّه مذكور في شيوخه[4]، أمّا عدم الاحتجاج بالإفريقي فلا يصحّ، وقد ترجّح لديّ أنّ حديثه حسن[5].

وشيخه في هذا الحديث هو مسلم بن يسار الإفريقي لا البَصْرِي، وهو ثقة[6]. وسعيد بن المسيَّب ثقة، أحد الأئمّة[7]، وعلى هذا فالحديث حسن بهذا الإسناد، وله متابعات وشواهد بمعناه أكثرها لا يخلو من مقال[8]، فيرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الصّحيح لغيره.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب المكاتب ٤/١٣٦.

(٢) نصب الراية كتاب العتق باب الاستيلاد ٣/٢٩٠.

(٣) التعليق المغني على الدارقطني، بحاشية سنن الدارقطني ٤/١٣٦.

(٤) انظر: التهذيب ٤/٨٤.

(٥) سيأتي تفصيل القول في ذلك في ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.

(٦) ستأتي ترجمته رقم ١٦ في القسم الثالث من التابعين.

(٧) انظر: التهذيب ٤/٨٤.

(٨) انظر هذه المتابعات والشواهد والكلام عليها في: نصب الراية ٣/٢٨٧ ـ ٢٩٠، تلخيص الحبير ٤/٢١٧، التعليق المغني وسنن الدارقطني ٤/١٣٠ ـ ١٣٦.

وقد روي هذا الحديث بمعناه موقوفاً على عمر رضي الله عنه من طرق أخرى[1]، غير أنّ الإفريقي لم ينفرد برفعه، فقد رفعه عبدالله بن دينار عن ابن عمر بمعناه[2].

وذكره الزّيلعيّ من حديث سعيد بن المسيَّب عن النّبي ﷺ مرسلاً، ولم يعزه، وقال: «غريب، وفي الباب أحاديث...» ثمّ ساق حديث ابن عمر[3].

وقد تكلّم العلماء في وقف هذا الحديث ورفعه، وممّن ذهب إلى ترجيح رفعه ابن القطّان حيث ذكر أنّ الذي رفعه ثقة، وقال: «وعندي أنّ الذي أسنده (أي رفعه) خير ممّن وقفه»، وهذا القول نقله الزّيلعيّ واقتصر عليه فكأنّه ارتضاه[4]، وقال ابن حَجَر[5]: «قال صاحب الإلمام: المعروف فيه الوقف، والذي رفعه ثقة»، وممّن ذهب إلى ترجيح الوقف فيما ذكره ابن حَجَر: الدّارَقُطْنِيّ... (ولم أقف على ذلك في سننه) والبَيْهَقِيّ وعبدالحقّ[6]، ولم يرجّح ابن حجَر أحد القولين، وإنّما زاد في آخر كلامه بصيغة التّضعيف: «قيل: ولا يصحّ مسنداً»، وللعلماء خلاف في مثل هذه المسألة وأكثر أهل الحديث على

---

(١) انظر: الموطأ كتاب العتاقة باب عتق أمهات الأولاد ٢/٦٦٥، سنن الدارقطني ٤/١٣٤، نصب الراية ٣/٢٨٨، ٢٩٠، تلخيص الحبير ٤/٢١٧.

(٢) سنن الدارقطني كتاب المكاتب ٤/١٣٤، ١٣٥.

(٣) نصب الراية ٣/٢٨٨.

(٤) نصب الراية ٣/٢٨٩، وابن القطان هو الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالملك، الفاسي (ت ٦٢٩)، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٠٧، طبقات الحفاظ ٤٩٨.

(٥) تلخيص الحبير ٤/٢١٧.

(٦) وعبدالحق هو الحافظ عبدالحق بن عبدالرحمٰن الإشبيلي العلامة الحجة يعرف أيضاً بابن الخراط (ت ٥٨١)، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٠، ط الحفاظ ٤٨٢، وصاحب الإلمام هو محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، الحافظ (ت ٧٠٢)، انظر: ط الحفاظ ٥١٦، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١ ولم أجد ما نقله عنه ابن حجر في الكتاب المذكور. انظر: الإلمام ٣٧٨ - ٣٨٨.

تقديم الوقف على الرّفع[1]، ورجّح الخطيب وغيره تقديم الرّفع إذا كان المسند عدلاً ضابطاً[2]، وهو الحال عندنا هنا كما تقدّم، والله أعلم.

قلت: وللحديث شواهد كثيرة بمعناه مرفوعة من طريق ابن عبّاس[3] وسلامة بنت مَعْقِل[4].

والنّتيجة أنّ الإفريقي لم ينفرد برفع هذا الحديث ولا بروايته.

٢ ـ «حديث الصُّدائي حين أذّن قبل بلال فأراد بلال أن يقيم فقال النّبيّ عليه السلام: «إنّ أخا صُداء قد أذّن ومن أذّن فهو يقيم»[5]، وهو في حديث طويل تقدّمت الإشارة إليه قريباً، وسيأتي سياقه كاملاً وتخريجه في مبحث أثر الصّحابة في نشر السّنّة بالقيروان، وليس الحديث من غرائب ابن أَنْعُم لأنّ بَكْر بن سَوادة (ت ١٢٨ بالقيروان) قد تابعه عليه[6].

٣ ـ حديث «إذا رفع الرّجل رأسه من آخر سجدة واستوى جالساً فقد تمّت

---

(١)، (٢) الكفاية ٥٨٠، ٥٨١، علوم الحديث ٦٤، ٦٥.

(٣) انظر: مستدرك الحاكم كتاب البيوع ١٩/٢، سنن الدارقطني كتاب المكاتب ١٣٠/٤، ١٣١، ١٣٤.

(٤) انظر: سنن أبي داود، كتاب العتق باب عتق أمهات الأولاد ٢٦٢/٤، نصب الراية باب الاستيلاء ٢٨٨/٣، مجمع الزوائد ٢٤٩/٤.

(٥) ط أبي العرب ٢٧، الرياض ١٥٣/١، المعالم ٢٣٦/١، وهذا الجزء من الحديث أخرجه أبو داود بنحوه في كتاب الصلاة باب في الرجل يؤذن ويقيم آخر ٥١٤/٣٥٢/١، والترمذي بنحوه في كتاب الصلاة باب من أذن فهو يقيم ١٩٩/٣٨٣/١، وابن ماجه في كتاب الصلاة باب السنة في الأذان ٧٢٣/٢٤٤/١، والإمام أحمد بنحوه من طريقين عن الإفريقي ١٦٩/٤، والخطيب بنحوه في السابق واللاحق ١٢٠، والطبراني في الكبير بنحوه ٣٠٤/٥ من طريقين عن الإفريقي، والبيهقي في سننه ٣٨١/١، ٣٩٩، وسيأتي الحكم عليه في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بإفريقية.

(٦) انظر: الإصابة ٥٣٩/١، التهذيب ٣٦٠/٣.

صلاته وإن أحدث»[1]، وهذا الحديث يعدّ فعلاً من غرائب عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي، كما ذكر تلميذه الثّوري، إذ لم يروه غيره، وقد حدّث به عن عبدالرحمٰن بن رافع وبَكر بن سَوادة[2] عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، والحديث أخرجه التّرمذيّ بنحوه[3] وقال: «هذا حديث إسناده ليس بذاك القوي، وقد اضطربوا في إسناده، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا... وعبدالرحمٰن بن زياد بن أَنْعُم هو الإفريقيّ وقد ضعفه بعض أهل الحديث...»، وعلّق الشّيخ أحدم شاكر على الحديث بقوله[4]: «... ومدار أسانيد هذا الحديث عليه (أي الإفريقي)، ولعلّه ممّا أخطأ فيه حفظه وهو معارض للحديث الصّحيح: «وتحليلها التّسليم»[5]... فلا يقوى حديث الباب (يعني حديث الإفريقي) على معارضته بل يؤخذ بالأصحّ».

وأخرجه أبو داود بمعناه[6]، وعلّق عليه الخَطّابي بقوله[7]: «هذا الحديث

(١) ط أبي العرب ٢٧، الرياض ١/١٥٣، المعالم ١/٢٣٦.

(٢) ستأتي الترجمة لهما في القسم الثاني من التابعين رقم ٧ ورقم ٢.

(٣) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في الرجل يحدث في التشهد ٢/٢٦١/٤٠٨.

(٤) حاشية سنن الترمذي ٢/٢٦١.

(٥) هذا جزء من حديث ورد من طريق علي وجابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب فرض الوضوء ١/٤٩/٦١، وفي كتاب الصلاة باب الإمام يُحدِث بعدما يرفع رأسه ١/٤١١/٦١٨، وأخرجه الترمذي في أبواب الطهارة باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور ١/٨/٣، وفي كتاب الصلاة باب ما جاء في تحريم الصلاة وتحليلها ٢/٣/٢٣٨، وقال الترمذي في حديث علي: «هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن».

وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة، باب مفتاح الصلاة الطهور ١/١١٨/٢٧٨، ٢٧٩، وأخرجه الدارمي في كتاب الصلاة والطهارة، باب مفتاح الصلاة طهور ١/١٧٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١٢٣، ١٢٩.

(٦) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب الإمام يُحدِث بعدما يرفع رأسه ١/٤١٠/٦١٧.

(٧) معالم السنن بهامش سنن أبي داود ١/٤١٠.

ضعيف، وقد تكلّم النّاس في بعض نقلته، وقد عارضته الأحاديث التي فيها إيجاب التّشهّد والتّسليم».

وأخرجه الدّارقطني بنحوه بألفاظ متقاربة[1]، وقال: «عبدالرحمٰن بن زياد ضعيف لا يحتجّ به».

وذكره الزّيلعيّ[2]، وعزاه إلى من تقدّم، وإلى مسند أبي داود الطّيالسي[3]، وسنن البَيْهَقِيّ[4]، ونقل عن البَيْهَقِيّ قوله: «وهذا الحديث إنّما يعرف بعبدالرحمٰن بن زياد وقد ضعّفه يحيى بن معين... قال: «وإن صحّ فإنّما كان قبل أن يفرض التّسليم...».

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية[5] وقال: «لا يصحّ عن رسول الله ﷺ».

وأعلّه بالضّعف الشّديد لوجود زُهَيْر الرّاوي عن الإفريقي، وبالانقطاع في سند الحديث بينه وبين الإفريقي. قلت: الحديث رواه عن الإفريقي جماعة غير زُهَيْر، وهم من أئمّة الحديث مثل: سفيان الثّوري وعبدالله بن المبارك[6].

وأخرجه ابن عبدالبرّ وقال[7]: «احتجّ به أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيّين... وهذا حديث لا يصحّ لضعف سنده واختلافهم في لفظه».

---

(١) سنن الدارقطني كتاب الصلاة، باب من أحدث قبل التسليم ١/٣٧٩/١، ٢، ٣.

(٢) نصب الراية ٢/٦٢، ٦٣.

(٣) انظر: منحة المعبود في ترتيب مسند أبي داود، أبواب صفة الصلاة، باب ما جاء في كيفية الإنصراف عن الصلاة ١/١٠٤، مسند أبي داود ٢٩٨.

(٤) انظر: سنن البيهقي كتاب الصلاة باب تحليل الصلاة بالتسليم ٢/١٧٦، وما ذكره الزيلعي عنه بالمعنى وليس باللفظ.

(٥) العلل المتناهية ١/٤٤٢.

(٦) راجع المصادر التي تقدمت في تخريج الحديث.

(٧) التمهيد ١٠/٢١٣، ٢١٣.

٤ ـ حديث: قال النّبيّ ﷺ: «أغد عالماً أو مُتعلّماً ولا تكن الثّالث فتهلك»[(١)]، ورد هذا الحديث بصيغ متعدّدة وروايات مختلفة، متقاربة المعنى، وبعضها يزيد على بعض[(٢)]، ولم يرد الإفريقيّ في سند أيّ منها فيما وقفت عليه ممّا يدلّ على عدم تفرّده بهذا الحديث. كما أنّه لم ينفرد برفعه إلى النّبيّ ﷺ كما سيأتي.

وأكثر ما يُروى هذا الحديث موقوفاً على عبدالله بن مسعود[(٣)] وأبي الدّرداء بنحوه[(٤)]. ورُوي عن صَفْوان بن عَسّال المُرَادِي[(٥)]، كما رُوي موقوفاً على بعض التّابعين، منهم الحسن البَصْرِي[(٦)] وخالد بن مَعْدان[(٧)].

ورُوي مرفوعاً من طريق أبي بَكْرَة[(٨)]، وضعّف العجلونيّ سنده متابعاً في ذلك لأبي زُرعة العِراقي[(٩)]، ولم يعتدّ بتوثيق الهَيْثَمِيّ لرجاله[(١٠)]، كما ضعّفه

---

(١) ط أبي العرب ٢٧، الرياض ١/١٥٣، المعالم ١/٢٣٦.

(٢) راجع إحالات التخريج الآتية.

(٣) سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم ١/٩٧، جامع بيان العلم ١/٢٨، ٢٩، مجمع الزوائد ١/١٢٢، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن عبدالملك بن عمير لم يدرك ابن مسعود.

(٦) جامع بيان العلم ١/٢٨، مجمع الزوائد ١/١٢٢، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال: فيه معاوية بن يحيى الصدفي قال ابن معين: هالك ليس بشيء.

(٥) مجمع الزوائد ١/١٢٢، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: فيه حفص بن سليمان وثقه أحمد وضعفه جماعة كثيرون.

(٦) جامع بيان العلم ١/٢٩.

(٧) سنن الدارمي باب فضل العلم والعالم ١/٩٧.

(٨) بلفظ «أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك».

أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢/٩، جامع بيان العلم ١/٣٠، وذكره الهيثمي وعزاه إلى البزار والطبراني في الثلاثة، المجمع ١/١٢٢، وذكره السخاوي وعزاه إلى البيهقي في الشعب وابن عبدالبر وأبي نعيم، وغيرهم المقاصد الحسنة ٦٨، وذكره العجلوني وعزاه إلى البيهقي وابن عبدالبر، كشف الخفاء ١/١٦٧.

(٩) كشف الخفاء ١/١٦٧، وانظر: فيض القدير ٢/١٧.

(١٠) مجمع الزوائد ١/١٢٢، وقد تابعه على ذلك السمهودي، انظر: فيض القدير ٢/١٧.

الزّرقاني[1]. واعتبره الشّيخ مرعي المقدسي موضوعاً[2]، وكذا حكم الألباني بوضعه[3]، وانفرد السّيوطيّ بتحسينه[4].

قلت: ولا حجّة لمن حكم بوضع هذا الحديث، وهو إنّما ضُعف لوجود عطاء بن مسلم الخَفّاف[5] في سنده ولم يتّهمه أحد بالكذب أو الوضع، بل قد وثّقه جماعة من الأئمّة منهم وكيع والفضل بن موسى، وابن معين في رواية، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وضعّفه آخرون بسبب كثرة خطئه واضطراب حديثه؛ لأنّه دفن كتبه، فأمر هذا الحديث دائر تبعاً لذلك بين الضّعف والحسن، أمّا من حيث الرّفع فالرّاجح عدم ثبوت رفع هذا الحديث، قال البَيْهقيّ: «إنّ عطاء (بن مسلم الخَفَّاف) تفرّد بهذا الحديث وإنّما يُروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء من قولهما»[6].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا عن النّبيّ ﷺ ليس بثابت، لكنّه مأثور عن بعض السّلف»[7].

٥ ـ حديث: قال عليه الصّلاة والسّلام: «لا خير فيمن لم يكن عالماً أو متعلّماً»[8]، لم أقف عليه بهذا اللّفظ، وقد وردت بمعناه بعض الأحاديث مرفوعة وموقوفة، ولم يرد في أسانيدها الإفريقي فيما وقفت عليه من المصادر، منها ما رُوي من طريق أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بهذا العلم قبل أن

---

(١) مختصر المقاصد الحسنة ٥٩.
(٢) الفوائد الموضوعة ٩٤ بلفظ: يا علي كن عالماً...
(٣) ضعيف الجامع الصغير ١/٣١٩. (٤) الجامع الصغير ١/٤٨.
(٥) انظر: التهذيب ٧/٢١١، التقريب ٢/٢٢، الميزان ٣/٧٦، الكامل ٥/٢٠٠٤، الضعفاء الكبير ٣/٤٠٥.
(٦) المقاصد الحسنة ٦٨، كشف الخفاء ١/١٦٧.
(٧) أحاديث القصاص ١٠٣، الفوائد الموضوعة ٩٥.
(٨) ط أبي العرب ٢٧، الرياض ١/١٥٣.

يُقبض وقبضه أن يرفع»، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، هكذا، ثم قال: «العالم والمتعلّم شريكان في الأجر ولا خير في سائر النّاس»[1].

ومنها حديث أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنّ الدّنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلّم»[2].

وورد نحو هذين الحديثين موقوفاً على أبي الدّرداء[3] وخالد بن مَعْدَان[4].

٦ ـ قول النّبيّ ﷺ: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فضل: آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة».

وهذا الحديث رواه أبو داود[5]، وابن ماجه[6]، كلاهما من طريق عبدالرحمٰن بن زياد فالحديث إذاً من غرائب الإفريقي، حيث لم أجد من تابعه عليه. وقد وهم من اعتبر رواية ابن ماجة من غير طريقه[7].

---

(١) سنن ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء ٢٢٩/١٠١/١، جامع بيان العلم ٢٨/١. والحديث ضعيف فإن في سنده عثمان بن أبي عاتكة، وقد ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني (التقريب ١٠/٢) وهو الحال في حديثنا هذا وفيه علي بن يزيد، وهو ضعيف (التقريب ٤٦/٢).

(٢) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ١٤، ٢٣٢٢/٥٦١/٤، سنن ابن ماجة أبواب الزهد، باب مثل الدنيا ٤١٧٩/٥٢٦/٢، وأخرجه ابن عبدالبر من طريق أبي سعيد الخدري بنحوه، جامع بيان العلم ٢٧/١، ومن طريق أبي هريرة ٢٨/١، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سنن الدارمي باب ذهاب العلم ٧٩/١، جامع بيان العلم ٢٧/١، ٢٨.

(٤) سنن الدارمي باب في فضل العلم والعالم ٩٤/١.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض ٢٨٨٥/٣٠٦/٣.

(٦) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اجتناب الرأي وفيه «فما وراء ذلك» بدل «وما سوى ذلك» ٥٥/٢٧/١.

(٧) حاشية الرياض ١٥٤/١، فضائل إفريقية للمطوي ٩٠.

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الأحاديث السّتّة التي عرفت بإغراب ابن أَنْعُم بها لم يثبت ذلك إلّا في اثنين منها فقط، هما الحديث الثّالث والحديث السّادس، ويمكن اعتبارهما من الإضافات الحديثيّة للقرويّين.

ب ـ مثال آخر:

مثلما أغرب الإفريقي ببعض الأحاديث أغرب غيره من الأفارقة ببعض الأسانيد لأحاديث معروفة في المشرق، وممّا وقفت عليه في ذلك حديث: «من أحبّ أن يتمثّل[1] له الرّجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النّار»، فقد رواه أهل المشرق من طريق معاوية بن أبي سفيان[2]، ومن طريق أبي أُمامة البَاهِلِيّ[3]، أمّا سند القرويّين في هذا الحديث فهو: يحيى بن محمد بن خُشَيْش[4] عن داود بن يحيى الإفريقي[5] عن عبدالله بن عمر بن غانم[6] عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر[7].

قال ابن حَجَر: «قال أبو عامر العَبْدَرِي ومن خطّه نقلت: لا يحفظ عن مالك إلّا من رواية ابن غانم، ولا عن ابن غانم إلّا من حديث داود ولا عن داود إلّا

---

(١) «يتمثل» وفي رواية «يمثُل» من المثول وهو الانتصاب، انظر: الفائق في غريب الحديث ٣/٣٤٥، القاموس المحيط ٤/٤٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ٥/٣٩٧/٥٢٢٩، وفيه يمثُل بدل يتمثل، سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ٥/٩٠/٢٧٥٥، وفيه «سرّه» بدل «أحب»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، مسند أحمد بنحوه ٤/٩١، ٩٣.

(٣) أشار إليه الترمذي في سننه كتاب الأدب. باب كراهية قيام الرجل للرجل ٥/٩١.

(٤) إفريقي انتقل إلى المشرق متهم بالكذب له مناكير، اللسان ٦/٢٧٦.

(٥) قروي فاضل، وثّقه أبو العرب، وقال ابن يونس أحاديثه موضوعة، ط أبي العرب ١٠٩، اللسان ٢/٤٢٦.

(٦) فقيه محدّث ثقة. ستأتي ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

(٧) الرياض ١/٢١٦، اللسان ٢/٤٢٦، المدارك ١/٣٢١.

من روايـة يحيى بن محمـد بن خُشَيْش القيـرواني وحـدّث بـه عن ابن خُشيش جماعة»[1].

قلت: بل قد رواه عن مالك من القرويّين اثنان غير ابن غانم، هما:

حاتم بن عثمان المَعَافِري[2]، وعبدالله بن أبي حسّان اليَحْصُبِيّ[3].

وهذا الحديث إن لم يكن سنده من وضع يحيى بن محمد بن خُشَيْش فهو ممّا تفردّ القرويّون بروايته عن مالك، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّ لهم نوع اختصاص بالإمام مالك، وكان هو نفسه مُقبِلاً عليهم مُحتفياً بهم، كما تقدّم في التّمهيد وفي مبحث دخول الموطّأ.

وممّـا شاعت روايتـه بالقيـروان ولم يعرف في المشـرق أحاديث فضـائل إفريقيَّة، وسيأتي سياقها والكلام عليها في فصل الدّراية[4].

سابعاً: مباحث في علوم الرّواية لدى القرويّين:

لم أقف على وجود مصنّفات للقرويّين تتعلّق بهذه المباحث في الفترة التي أدرسها، وقد تتبّعت في المصادر الإشارات القليلة الواردة في هذا الشّأن، وهي بالإضافة إلى قلّتها وتشتّتها، فإن معظمها غير مباشر، وقد ألّفت بينها وفق العناصر التّالية[5]:

---

(١) لسان الميزان ٢/٤٢٦.

(٢) محدث فقيه لغوي، ثقة، ستأتي ترجمته رقم ٨ في المحدثين.

(٣) محدث، فقيه، قليل الرواية، كان يغرب عن مالك، وضعفه ابن حجر، راجع ترجمته رقم ١٨ في المحدثين.

(٤) انظر: ص ٢٥٩.

(٥) لعله من نافلة القول أن أذكـر هنا بأن ما سأورده ليس هو كل ما عرفه القرويون في هذه المباحث، وإنما هو ما تمكنت من إفادته من المصادر المتوافرة، وهي قليلة كما نبّهت على ذلك مراراً.

أ ـ آداب طالب الحديث[1]:

وهي جملة من الصّفات الكريمة، والشّمائل العالية التي ينبغي أن يتّصف بها طالب الحديث، لتناسبها مع شرف ما يطلب، ولأنّها تساعده على حسن الطّلب، وتمكّنه من تحصيل ثمرات ذلك، وأوّلها الثّواب من عند الله تعالى، ثمّ العمل بما يتحمّله من الحديث الشّريف، والسّعي لنشره. وممّا وجدته لدى القرويّين من هذه الآداب ما يلي:

١ ـ وجوب إخلاص النّيّة لله عزّ وجلّ في طلب الحديث، ليسعد بالثّواب، وينال التّوفيق والتّسديد من الله تعالى فيما هو بصدده، وقد شدّد الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) في ذلك حتّى اعتبره من شروط حمل الحديث[2]، كما نبّه عليه محمد بن سَعدون القروي بالرّواية عن شيوخه[3].

٢ ـ التّزيّي بلباس أهل العلم، وعدم ارتداء ما يميّزه عنهم، ولذلك نجد أنّ أبا العرب (ت ٣٣٣) لمّا كان في أوّل طلبه يلبس زيّ الأمراء، كان الطّلبة ينقبضون منه من أجل ذلك الزّيّ حتى تجرّأ أحدهم فقال له: «لا تتزيّ بهذا الزّيّ فليس هو زيّ طلبة العلم وأهله»[4].

٣ ـ الجدّ في الأخذ عن علماء بلده، وذلك واضح في سيرة القوم كما سيأتي في تراجم المحدّثين في الباب الثّالث.

---

(١) انظر في هذه الآداب عامة: الإلماع ٤٣ ـ ٦١، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/١٤٢ ـ ٢٣٤، تدريب الراوي ١/١٤٠ ـ ١٥١، منهج النقد في علوم الحديث ١٨٩ ـ ١٩٣، تيسير مصطلح الحديث ١٧٧، ١٧٨، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٢١ ـ ٢٣٠، فتح المغيث ٢/٣٥٢ ـ ٣٩١، الباعث الحثيث ١٥٧ ـ ١٥٨، قواعد التحديث ٢٣٣، المحدث الفاصل ٢٥١.

(٢) الملخص خط ٤ أ.

(٣) الإلماع ٥٧.

(٤) انظر القصة كاملة في: الرياض ٢/٣٠٧، المدارك ٣/٣٣٥، المعالم ٣/٣٧.

٤ ـ تخيّر الشّيوخ والأخذ عن أهل العدالة والضّبط، فقد اشترط الإمام القابِسي على طالب الحديث: «النّظر فيمن يحمل عنه الحديث، فإنّ الحديث هو السّنّة، والسّنّة هي المبيّنة عمّا في كتاب الله، فلا يؤخذ إلّا عن المأمونين على الدّين المشهورين بحسن العناية به والحفظ له»[1].

وكان طلبة الحديث بالقيروان يطبّقون ذلك، فيختبرون حفظ بعض الشّيوخ كما فعلوا مع عبَّاس بن الوليد الفارسي (ت ٢١٨)[2]، كما كانوا يسألون الشّيخ عن الطّريقة التي تحمّل بها عن شيخه، أو يسألونه عن سماعه من شيخ معيّن، كما فعلوا مع عون بن يوسف الخُزَاعي (ت ٢٣٩)[3]، وعَنْبَسة بن خَارِجَة الغَافِقِيّ (ت ٢١٠)[4].

٥ ـ الرّحلة إلى محدّثي البلاد الأخرى، بعد السّماع من شيوخ بلده[5]، لتحصيل حديثهم، والفوز بعلوّ الإسناد، قال أبو إسحٰق الجِبِنْيَانِيّ: «إذا بلغنا أنّ رجلاً ببلد هو أقرب إلى النّبيّ ﷺ بدرجة قطعنا إليه المفاوز»[6].

٦ ـ تدوين سماعه بيده ليرجع إليه ولا يكتفي بحضور مجلس التّحديث، ومن ذلك: أنّ أبا العرب كان في أوّل طلبه يكتفي بالاستماع دون الكتابة، فقال له أحد الطّلبة: «أراك تلازم هذا المجلس، وتسمع فيه العلم، ولا تكتب شيئاً ممّا تسمع بيدك يكون عندك؟ ما هذا حقيقة العلم!..»[7].

٧ ـ تثبيت حديثه بالمذاكرة مع زملائه[8].

---

(١) الملخص خط ٤ أ. (٢) انظر: الرياض ١/٢٤٩.
(٣) انظر: المدارك ١/٦٢٧، الرياض ١/٣٨٧.
(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٥١.
(٥) راجع فصل الرحلة من هذه الرسالة.
(٦) مناقب أبي إسحٰق الجبنياني ٥٨، أبو عبدالله الأبي وكتابه الإكمال لعبدالرحمٰن عون ٩١.
(٧) الرياض ٢/٣٠٧، المدارك ٣/٣٣٥، المعالم ٣/٣٧.
(٨) انظر: الرياض ١/٣٨٤.

٨ ـ انتخاب جيّد الحديث، وخاصّة إذا اضطرّ لسماع عدد محدود من الأحاديث عن شيخ معيّن(١).

ب ـ آداب المحدّث(٢):

وهو يشترك مع الطّالب في بعض الآداب منها: إخلاص النّيّة لله عزّ وجل في نشره للسّنّة وابتغاء مرضاة المولى عزّ وجل من وراء ذلك، والحذر من أن تكون الدّنيا غاية مطلبه.

وينفرد المحدّث عن الطّالب بأمور منها:

١ ـ المحافظة على سماعه ليأمن عليه المداخل، وقد عبّر الإمام القابِسي عن ذلك بقوله: «الاحتفاظ بالسّمع عند أخذه ليُوَعَى على وجهه»(٣).

٢ ـ المداومة على استذكار حديثه وترديده، ليحافظ على ضبطه كما سمعه، وممّن كان يفعل ذلك من محدّثي القيروان: عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥)، قال أحد تلاميذه: «جئت إلى عيسى بن مسكين، فوجدته جالساً على دكّان في المعصرة، وخادم له يَرُدّ الزّيتون، والدّابّة تطحن، وهو يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ من صدره، فقيل له في ذلك فقال: «أعرض حديثي لئلاّ أنساه»(٤)، كما نقل نحو هذا عن التّابعي عُليّ بن رباح (ت ١١٤ وقيل غير ذلك)، وقد بقي بالقيروان قرابة ثلاثين عاماً ناشراً للسّنّة(٥).

٣ ـ عدم الرّواية في حياة شيوخه ومن هو أولى منه، وممّن فعل ذلك حَمْدِيس

---

(١) انظر: الرياض ١/٣٨١، ط الخشني ١٦٥، الشجرة ١/٨١.

(٢) انظر في آداب المحدث عامة: الموقظة للذهبي ٦٥ ـ ٦٧، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣١٥ ـ ٤١٦، منهج النقد في علوم الحديث ١٩٤ ـ ١٩٧، علوم الحديث لابن الصلاح ٢١٣ ـ ٢٢٠، فتح المغيث ٣٠٩ ـ ٣٥١، الباعث الحثيث ١٥١ ـ ١٥٦، قواعد التحديث ٢٣٣.

(٣) الملخص خط ٤ أ.

(٤) المدارك ٣/٢٢٧، ورقات ٢/١٠٤.

(٥) تهذيب الكمال ٢/٩٦٧، وراجع ترجمته رقم ٩ في القسم الثالث من التابعين.

القَطَّان (ت ٢٨٩)، الذي سئل في السّماع فقال: «هاهنا جماعة يحملون عنّي هذه المؤونة، فإذا انقرضوا لزمني ذلك، وإذا فعلت ذلك قبل أن يُحتاج إليّ فعلت ذلك منافسة وطلباً للرّئاسة»[1].

وقد فعل ذلك الإمام أبو الحسن القابِسي (ت ٤٠٣) أيضاً، فكاد الطّلبة يكسرون عليه باب داره لمسيس الحاجة إلى مرويّاته[2].

٤ ـ تجنّب الإكثار من الرّواية خشية الوقوع في الخطأ. قال سعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢): «دليل الضّبط الإقلال ودليل التّقصير الإكثار»[3].

وقال: «إذا رأيت إنساناً يكثر الخوض في الحديث فليدخل قلبك أنّه غير ناج من القول بالباطل فيما يخوض فيه»[4].

وللإمام أبي الحسن القابِسي في هذه المسألة كلام جيّد رأيت أن أنقله بكامله لفائدته، ولأنّه لا يزال في كتاب مخطوط لم ير النّور بعد، قال القابِسي[5]: «. . . وإنّ الزّبير رضي الله عنه قال له ابنه عبدالله: «إنّي لا أسمعك تحدّث عن رسول الله ﷺ كما يحدّث فلان وفلان، قال: أما إنّي لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: «من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النّار»[6]، قال أبو الحسن: ولم يذكر في هذين الحديثين[7] متعمّداً، فمن

---

(١) المعالم ٢/٢٠١.

(٢) انظر: الديباج ١٩٩، المدارك ٣/٦١٧.

(٣) المدارك ٥/٨٦، سير أعلام ١٤/٢٠٧، المعالم ٢/٣.

(٤) الرياض ٢/١٠٧.

(٥) الملخص خط ٤ أ، ٤ ب.

(٦) أخرجه الإمام البخاري بلفظه في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٥، وأخرجه ابن ماجه بنحوه وفيه زيادة، في المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/١٨/٣٦، وأخرجه الإمام أحمد بمثل حديث ابن ماجه ١/١٦٥، وأخرجه أبو داود بمعناه في كتاب العلم باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ ٤/٦٣/٣٦٥١، وأخرجه الدارمي بنحوه وليس في أوله القصة، المقدمة باب اتقاء الحديث عن النبي ﷺ ١/٧٦.

(٧) تقدم قبل هذا حديث علي يرفعه «لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النهار»، وسيأتي تخريجه قريباً.

أجل هذا هاب بعض من سمع الحديث أن يحدث النّاس بما سمع، وهو بيّن في اعتذار الزُّبَير رضي الله عنه، ثمّ ساق بسنده أنّ «عبدالملك بن إيَاس[1] ممّن سمع وسكت»، وأفاد منه القابِسي وجود غيره أيضاً ممّن سمع وسكت، ثم قال: «وهذا ابن هُرْمُز[2] على إمامته بالمدينة وحسن ثناء مالك عليه بسعة العلم، ليس تكاد ترى عنه حديثاً واحداً. . . . وكرهوا الإكثار لقول أنس: إنّه ليمنعني أن أحدّثكم حديثاً كثيراً أنّ النّبي ﷺ قال: «من تعمّد عليّ كذباً فليتبوّأ مقعده من النّار»[3].

وقد كره الإكثار في الرّواية عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقال: «أقلّوا الحديث عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم»[4]، قال مالك: «يقول: وأنا أيضاً أقلّ الحديث عن رسول الله ﷺ».

---

(١) هو عبدالملك بن إياس الشيباني الكوفي الأعور، ثقة من السادسة، لم يخرج له غير أبي داود ولعل ذلك لقلة قيامه بالتحديث كما ذكره القابسي هنا، ولم أجد في ما بين يدي من المصادر من ذكر ذلك. انظر: التقريب ٥١٧/١، التهذيب ٣٨٦/٦، الكاشف ١٨٣/٢.

(٢) هو عبدالله بن يزيد بن هرمز، شيخ مالك وأحد فقهاء أهل المدينة، انظر: الجرح والتعديل ١٩٩/٥، مقدمة الكامل في ترجمة مالك ١٠١/١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري بلفظه في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٣٥/١، والإمام مسلم بلفظه في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ٢/١٠/١، وأخرجه الدارمي بنحوه في المقدمة، باب اتقاء الحديث عن النبي ﷺ ٧٦/١، ٧٧، وعزاه المزي إلى النسائي في الكبرى تحفة الأشراف ١٠٤٥/٢٧٩/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ وفي أوله قصة، وفي «الرواية» بدل «الحديث»، وقد قال السندي في الحاشية: «والظاهر أن الحديث من أفراد المصنف» سنن ابن ماجه ٢٨/١٥/١.
قلت: وهو حديث حسن، ورجاله ثقات مشهورون إلا مجالد بن سعيد فقد اختلفوا فيه والراجح في حاله أنه صدوق، احتج به الأربعة وقرنه الإمام مسلم بغيره، وقد تغيّر بآخره، وقد ذكر أن حديث حماد بن زيد عنه كان قبل أن يتغيّر، وحماد هو تلميذه في هذا الحديث (التهذيب ٣٩/١٠، والتقريب ٢٢٩/٢).

قال أبو الحسن: «يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ الأمر قد استقرّ وبانت معالمه؛ فإنّ الإكثار من الحديث إنّما يأتي في غير الواجبات، فلا يُؤمن على من كثّر الرّواية من دخول الوهَم عليه، فيُخاف عليه أن يكون متكلّفاً في الإكثار، فلا يُعذر في الوهَم فيدخله تكلّفه في العامدين، فالسّلامة في ترك الإكثار، وقد قال سَلَمة بن الأكْوع: سمعت النّبي ﷺ يقول: «من تقوّل عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النّار»[1]، وفي هذا أيضاً تحذير من التّكثير. ولقد جاء عن مالك أنّه دخل على أخته فوجد ابنيها، وهما: أبو بكر[2]، وإسماعيل[3]، ابنا أبي أُوَيْس، وهما يكتبان الحديث، فقال لهما: «إن أردتما أن ينفعكما الله بهذا الأمر فأقلّا منه»[4].

ولقد جاء عن شُعبة أنّه قال لكتبة الحديث: «إنّ هذا الحديث يصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون؟»[5]، وإنّما يريد شُعبة بقوله هذا: عيب تكثير

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٥، وقد ورد الحديث من طريق أبي هريرة وأبي قتادة أيضاً. انظر: سنن ابن ماجه المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، ١/١٧، ١٨/٣٤، ٣٥، مسند أحمد ٢/٣٢١.

(٢) هو عبدالحميد بن عبدالله بن أُويس الأصبحي، ابن أخت مالك، ثقة أخرج له الجماعة إلا ابن ماجه (ت ٢٠٢) ببغداد. انظر: التهذيب ٦/١١٨، والتقريب ١/٤٦٨.

(٣) إسماعيل بن عبدالله بن أُويس الأصبحي، صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، أخرج له البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه (ت ٢٢٦). التهذيب ١/٣١٠، التقريب ١/٧١.

(٤) ورد هذا القول في المدارك ١/٣٧١.

(٥) جاء الخبر مسنداً في مقدمة الكامل لابن عدي ١/٨٨، قال ابن عدي: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي الذهبي نا إبراهيم بن يعقوب (هو الدورقي، ثقة من الحفاظ. التهذيب ١١/٣٨١) قال: سمعت عبدالرحمٰن بن مهدي، (ثقة ثبت. التقريب ١/٤٩٩) سمعت شعبة (هو ابن الحجاج، ثقة حافظ متقن. التقريب ١/٣٥١)... فهؤلاء كلهم ثقات كما تقدم إلا شيخ ابن عدي فهو مشتهر بشرب الخمر، وقال الحاكم: «وقع إلي من كتبه بخطه وفيها عجائب» (الميزان ١/١٣٤، اللسان ١/٢٦٠، المغني ١/٥٤)، وهو آفة هذا المسند.

الرّوايات لِمَا قد يدخل على المُتكثّرين من اختلاط الأحاديث وغير ذلك فيصيرون بالتّكلّف إلى أن يتقوّلوا على رسول الله ﷺ ما لم يقل».

٥ ـ الاحتياط في الأداء، والاجتهاد في أن يكون أداؤه كسماعه. قال القابِسي: «. . . التّحرّي للصّدق في نقله؛ فإنّ عليّا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا عليّ فإنّ من كذب عليّ فليلج النّار»[١].

٦ ـ التّوقّف عن الرّواية إذا كبر سنّه خشية الاختلاط، وممّن روي عنه ذلك من محدّثي القيروان: علي بن محمد بن مسرور الدَّبَّاغ (ت ٣٥٩)، فإنّه حدّث النّاس من سنة ٣٣٣ هـ إلى سنة ٣٥٦ هـ، «ثمّ منع السّماع تورّعاً لما دخله من السّنين»[٢].

٧ ـ اتّخاذ المُستملي أو القارىء، لإسماع من بعد، وخاصّة إذا كثر الطّلبة ومن أشهر من فعل ذلك بالقيروان: يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[٣]، وربيع القطّان (ت ٣٣٣)[٤]، وأبو بكر أحمد بن عبدالرحمن (ت ٤٣٢)[٥].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري بلفظه في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٣٥/١، وأخرجه الإمام مسلم باختلاف يسير جداً في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١/٩/١، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ٢٦٦٠/٣٥/٥، وفي كتاب المناقب بمعناه في آخر حديث طويل، باب مناقب علي ٣٧١٥/٦٣٤/٥، وابن ماجه بنحوه، المقدمة، بابَ التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ٣١/١٧/١، وعزاه المزي إلى النسائي في الكبرى. تحفة الأشراف ١٠٠٨٧/٣٧٠/٧، وقال النووي عن هذا الحديث بمختلف طرقه. . . «وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية من الصحة وقيل إنه متواتر. . . رواه عن النبي ﷺ نحو من أربعين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم. . . وقيل أكثر من ستين وقيل سبعة وثمانين وقيل مائتان من الصحابة»، شرح النووي على مسلم ٦٨/١.

(٢) المعالم ٧٥/٣، المدارك ٥٢٥/٣.

(٣) انظر: ط الخشني ١٧٥، المدارك ٢٣٥/٣.

(٤) انظر: المدارك ٣٣٢/٣. (٥) انظر: المعالم ١٩٠/٣.

جـ ـ كيفيّة سماع الحديث وتحمّله[1]:

سأتناول في هذا المبحث السّنّ التي اعتبرها القرويّون في تحمّل الحديث، وطرق الرّواية المعهودة عندهم، والتّدبيج باعتباره من طرائف هذا المبحث.

١ ـ سنّ تحمّل الحديث:

عامّة القرويّين في هذا كأهل المشرق، يعتبرون أنّ أقلّه سنّ محمود بن الرَّبيع[2] الذي عقل عن النّبيّ ﷺ وعمره خمس سنين، فقد روى[3] الإمام القابِسي بسنده إلى محمود بن الرَّبيع قال: «عقلت عن النّبيّ ﷺ مجّة مجّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين، من دلو»[4].

وقد ثبت أنّ الحافظ محمد بن حارث الخُشَني (ت ٣٦١)، كان يَسمع الموطّأ بالقيروان وعمره حوالي خمس سنوات، حيث قال في ترجمة أحد شيوخه: «. . . عهدي به سنة ٣٠٣ هـ وأنا أقرأ عليه موطّأ مالك. . . »[5]، وقد ولد الخُشَنِيّ حوالي سنة ٢٩٨ هـ[6].

(١) انظر عن هذا المبحث عامة: علوم الحديث لابن الصلاح ١١٤ ـ ١٥٩، فتح المغيث ٢/٣ ـ ١٥٧، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٢٨١ ـ ٢٨٥، تدريب الراوي ٢/١ ـ ٦٣، الباعث الحثيث ١٠٩ ـ ١٣١، الإلماع ٦٢ ـ ١٢١، الكفاية في علم الرواية ٣٨٠، ٣٩٨، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٦ ـ ٤٥٦، ٢٧٢ ـ ٥٠٧، قواعد الحديث للقاسمي ١٧٥، منهج النقد في علوم الحديث ٢١٠ ـ ٢٢٢.

(٢) صحابي صغير، أكثر روايته عن الصحابة، توفي النبي ﷺ وله خمس سنين (ت ٩٩ هـ)، التهذيب ٦٣/١٠، التجريد ٦٢/٢، الإصابة ٣٦٦/٣، فتح الباري ١٧٢/١.

(٣) الإلماع ٦٢.

(٤) أخرجه البخاري بلفظه في كتاب العلم باب متى يصح سماع الصغير ٢٧/١، وله عنده ألفاظ أخرى في الأذان باب من لم يرد السلام على الإمام ٢٠٤/١، وفي التهجد باب صلاة النوافل ٥٥/٢، وفي الرقاق باب العمل الذي ينبغي به وجه الله ١٧٢/٧، وأخرجه مسلم بنحوه وليس فيه تحديد السن كتاب المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة ٢٦٥/٤٥٦/١.

(٥) ط الخشني ١٦٥.

(٦) جاء في الشجرة أنه رحل إلى قرطبة سنة ٣١٠ وعمره ١٢ عاماً، الشجرة ٩٥/١، وجاء في المدارك أن رحلته كانت سنة ٣١١، المدارك ٥٣١/٣.

كما كان الحافظ أبو العَرَب يسمع الحديث من محمد بن يحيى بن سلاّم (ت ٢٦٢)، ويكتبه عنه وهو دون العاشرة من عمره[١].

أمّا الإمام سحنون (ت ٢٤٠)، فإنّه لا يرى صحّة السّماع في هذه السّنّ المبكّرة حيث ردّ أحد الطّلبة وعمره ١١ سنة، قال أحمد بن أبي سليمان: «أتى بي أبي إلى سَحنون سنة ٢١٧ هـ لأسمع منه فاستصغرني، وأجاز لي جميع كتبه، ثمّ صحبت سَحنوناً بعد ذلك عشرين سنة»[٢]، وقد ولد أحمد بن سليمان سنة ٢٠٦ هـ[٣].

٢ ـ طرق التّحمّل المعهودة بالقيروان:

اتّفق أهل الصّناعة على أنّ مجامع طرق تحمّل الحديث ثمانية أنواع هي[٤]: السّماع من لفظ الشّيخ، القراءة عليه أو العرض، المناولة، المكاتبة أو الكتابة، الإجازة، الوصيّة بالكتب، الوجادة أو الوقوف على خطّ الرّاوي، الإعلام للطّالب بأنّ هذه الكتب روايته أو أنّ هذا الحديث سماعه.

وقد وقع تداول هذه الطّرق في تحمّل الحديث وأدائه بالقيروان، إلاّ النّوع الأخير فلم أعثر على من استعمله في المصادر المتوافرة.

وفيما يلي عرض هذه الأنواع، مع نماذجها وما وجدته من كلام للقرويّين حول بعضها.

النّـوع الأوّل:

السّماع من لفظ الشّيخ ويسمّى أيضاً التّحديث أو المشافهة: وهو تحمّل الطّلبة للحديث عن طريق مشافهة الشّيخ لهم، سواء كان يحدّثهم من حفظه أو من كتابه.

---

(١) سيأتي ذلك في ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين.

(٢) المدارك ٢٤٣/٣، المعالم ٢٠٧/٢.

(٣) انظر: المدارك ٢٤٥/٣.

(٤) انظر مثلاً: الإلماع ٦٨، علوم الحديث ١١٤، التدريب ٨/٢، فتح المغيث ١٩/٢، المحدث الفاصل ٤٢٠.

وهذا النّوع أقدمها وجوداً بالقيروان، كما هو الحال في سائر بلاد الإسلام، فقد عرف بها منذ عهد الصّحابة[1] والتّابعين[2]، الذين كانوا يحدّثون من حفظهم في خُطبهم ومجالسهم، ثمّ استمرّ عمل القرويّين على ذلك، إلى أن شاع التّدوين فأصبح تحديثهم غالباً من الكتب، من ذلك أنّ علي بن زياد (ت ١٨٣) كان يأخذ الموطّأ ليسمع سَحنوناً في موضعه[3]، وكان عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠) يقرأ على طلبته الموطّأ[4]، وكان أسد يحدّث في المسجد[5]، وكان سَحنون (ت ٢٤٠) يسمع طلبته من كتبه[6]، وغيرهم.

وحدّث فيها بعض العلماء من حفظهم، قال أبو العرب عن عبدالعزيز بن يحيى المدني أنّه أملى كتبه بالقيروان من حفظه، وسمعها منه بشر كثير، منهم محمد بن سَحنون (ت ٢٣٥٦)، وذلك سنة ٢٢٥ هـ[7]، كما أنّ الحافظ عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِي (ت ٤٦٢) قد أملى المدوَّنة من حفظه، ثمّ قابلوها بالأصل فوجدتا سواء[8].

كما أنّ بعض الطّلبة أرادوا أن يمتحنوا عبّاس بن الوليد الفارسي (ت ٢١٨)، فأملى عليهم الكتاب من حفظه[9].

والجمهور على أنّ السّماع من لفظ الشّيخ هو أرفع درجات أنواع التّحمّل[10]، والذي يفهم من صنيع القرويّين التّسوية بين السّماع وبين العرض[11]، وصرّح بذلك

---

(١) انظر: الرياض ١/٨١، ١٣٧، ط أبي العرب ١٥، ٢٣، المعالم ١/١٢٣.
(٢) انظر: الرياض ١/١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١١٦، المعالم ١/١١٨.
(٣) انظر: الرياض ١/٣٥٠، المدارك ١/٥٨٧.
(٤) الرياض ١/٢١٧.
(٥) الرياض ١/٢٦٤، المدارك ١/٤٧٤.
(٦) الرياض ١/٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٦.
(٧) انظر: ط أبي العرب ٨٧.
(٨) انظر: المعالم ٣/١٨٢.
(٩) انظر: الرياض ١/٢٤٩.
(١٠) انظر: فتح المغيث ٢/١، علوم الحديث ١١٨، الإلماع ٦٩، التدريب ٢/٨.
(١١) انظر: الملخص للقابسي خط ٢ أ، الجامع لابن أبي زيد ١٥١.

السّخاوي [1]، ولعلهم تابعوا في ذلك الإمام مالكاً، فإنّه يذهب إلى التّسوية بينهما في المشهور عنه [2].

أمّا الصيغ التي يعبَّر بها عن أداء هذا النّوع وغيره فسيأتي ذكرها قريباً في مبحث آخر، بعد انتهاء الكلام على صيغ التحمل.

النّــوع الثّانــي:

القراءة على الشّيخ، وتسمّى أيضاً العرض، وهو تحمّل الطّالب للحديث عن طريق قراءته على العالم، أو بقراءة غيره وهو يسمع.

وقد ارتضى القرويّون هذه الطّريقة، وهي عند محدّثيهم رواية معتبرة[3]، وكانت كثيرة الشّيوع بينهم[4]، وقد تقدّم ذكر تسويتهم بينها وبين السّماع من لفظ الشّيخ.

وممّن كان يُقرأ عليه بالقيروان: أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)[5]، وعبّاس بن الوليد (ت ٢١٨)[6]، وسَحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)[7]، ويحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[8]، وأبو العَرَب أحمد بن محمّد بن تميم (ت ٣٣٣)[9]، وأبو القاسم عبدالرحمن حفيد ابن أبي زيد القيرواني[10]، وغيرهم.

---

(١) فتح المغيث ٢/٣٤.

(٢) وقد ذهب إلى ذلك بعض العلماء غيره، انظر: الكفاية ٣٨٣ - ٣٩٤، فتح المغيث ٢/٢٩، علوم الحديث ١٢٢، الإلماع ٧١.

(٣) انظر: الملخص للقابسي خط ٢ أ، الجامع لابن أبي زيد ١٥١.

(٤) انظر مثلاً: ط الخشني ١٧٥، ١٩٥، ط أبي العرب ٩١، الشجرة ١/١٠٥، المحن ١٦٠، ٤١٣، الحلل السندسية ١/٣/٧٩٨.

(٥) انظر: الرياض ١/٢٤٩.

(٦) انظر: الرياض ١/٢٤٩.

(٧) انظر: المدارك ٤/٧٧، الرياض ١/٣٦٦، ٣٧١.

(٨) انظر: المدارك ٣/٢٣٥، ط الخشني ١٧٥.

(٩) انظر: الرياض ٢/٣١٠.

(١٠) انظر: المعالم ٣/١٩٠.

النّــوع الثّالــث:

الإجازة: وهي أن يأذن الشّيخ للطّالب في رواية حديث أو كتاب صحّ عنده أنّه من سماعه[1].

وتكون «مشافهة أو إذناً باللّفظ مع المغيب، أو يكتب له بخطّه بحضرته أو مغيبه»[2].

وقد نقل عياض عن أبي الوليد سليمان بن خَلَف الباجي (ت ٤٧٤)[3] أنّه ادّعى الإجماع من سلف الأمّة وخلفها على جواز الرّواية بالإجازة[4]، وقد تعقّبه الحافظ أبو عمرو ابن الصّلاح، وأبطل ادّعاء الإجماع، وأورد نماذج لمن خالف في ذلك[5]، ثمّ قال: «والذي استقرّ عليه العمل، وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم: القول بتجويز الإجازة وإباحة الرّواية بها»[6].

أمّا القرويّون فكانت حفاوتهم بالإجازة كبيرة، وقد اعتبرها جمهورهم[7] طريقاً قويّاً من طرق الرّواية، وذلك من خلال أقوالهم فيها واستعمالاتهم لها.

فمن أقوال محدّثيهم المشهورة في ذلك والتي تناقلها المصنّفون قول عيسى بن مِسكين (ت ٢٩٥): «الإجازة قويّة، وهي رأس مال كبير، وجائز أن يقول حدّثني فلان وأخبرني فلان»[8].

---

(١) انظر: الكفاية ٤٦٦، منهج النقد في علوم الحديث ٢١٥.

(٢) الإلماع ٨٨.

(٣) أحد كبار محدثي الأندلس مع تفنّن في علوم شتى. راجع الترجمة الموسعة والمفيدة التي كتبها عنه الدكتور أبو لبابة حسين في مقدمة تحقيقه لكتاب التعديل والتجريح ١/٣١ - ٢٠٦.

(٤) انظر: الإلماع ٨٩.

(٥) علوم الحديث ١٣٤، ١٣٥.

(٦) علوم الحديث ١٣٤، ١٣٥.

(٧) سيأتي ذكر من خالف في ذلك منهم.

(٨) الصلة ١/٢٠٠، الإلماع ٩١، إفادة النصيح ١١٤، مدرسة البخاري في المغرب ١/١٣١.

وكانوا يروون قول مالك في ذلك، وقد وجد في كثير من المصنّفات من طريقهم، من ذلك ما حدّث به عون بن يوسف الخُزَاعي (ت ٢٣٩) بالقيروان قال: أخبرنا ابن وهب قال: «كنت عند مالك بن أنس فجاءه رجل يحمل الموطّأ في كسائه»، فقال له: «يا أبا عبدالله هذا موطّؤك قد كتبته وقابلته، فأجزه لي»، قال: «قد فعلت»، قال: «فكيف أقول: حدّثنا مالك أو أخبرنا مالك؟» قال: «قل أيّهما شئت»[1].

كما كانوا يتناقلون قول الحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبدالله الأَصْبَهاني (ت ٤٣٠) من طريق الحافظ عثمان بن أبي بكر الصَّفاقُسي القروي (ت حوالي ٤٤٤)، قال: سمعت أبا نُعيم يقول: «الإجازة على الإجازة قويّة جائزة»[2].

أمّا من النّاحية العمليّة فقد استعمل الإجازة في التّحمّل والأداء من لا يُعدّ كثرة من محدّثي القيروان.

فقد حدّث سَحنون عن الأعنائي الأندلسي (ت ٢٦٢) بالإجازة[3]، وأجاز كثيراً من الطّلّاب منهم أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان الصّوّاف[4]، ومحمد بن سليمان بن بَسيل[5]، وغيرهما.

واشتهرت إجازات عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) لكثرتها، فقد أجاز أبا إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَانِي[6]، وزياد بن يونس اليَحْصُبِيّ[7]، وغيرهما.

واستجاز أبو محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦) جماعة منهم: محمد بن القاسم بن شعبان المصري (ت ٣٥٥)[8]، وأبو بكر بن محمد بن عبدالله الأَبْهَرِي (ت ٣٧٥)[9].

---

(١) الشجرة ١/٩٥، مناقب أبي إسحٰق ٨، المدارك ٣/٤٩٩.

(٢) المعالم ٣/٧٩، الشجرة ١/٩٥.

(٣) المدارك ٣/٢٩٣.

(٤) المدارك ٣/٤٦٧.

(٥) الإلماع ٩٠، مدرسة البخاري في المغرب ١٣٣، ط أبي العرب ١٠٥، ١٠٦، المدارك ١/٦٢٧، الرياض ١/٣٨٧.

(٦) الصلة ٢/٣٩٠.

(٧) المدارك ٣/١٢٩.

(٨) الشجرة ١/٧٢.

(٩) المعالم ٢/٣٤٩.

كما أجاز جماعة منهم: محمد بن يحيى التّميمي القُرطُبِي المعروف بابن الحذّاء (ت ٤١٠)[١]، وعبدالرحمن بن هارون القَنَازِعي القُرْطُبِيّ (ت ٤١٣)[٢]، واستدعاه للإجازة ـ أي طلب منه ـ جماعة من أهل المشرق فأسعفهم بها، منهم: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مجاهد الطّائي البغدادي وتلاميذه[٣]، وأبو الفضل محمد بن عبدالله بن عَمْرُوس البَزَّار (ت ٤٥٢)[٤].

وأمّا أبو عِمران الفاسي (ت ٤٣٠)، فقد استدعاه للإجازة جماعة فأجازهم[٥].

والإجازة لدى القرويّين كانت غالباً تكتب بخطّ الشّيخ حتّى في حالة وجود المستجيز وحضوره؛ قال محمد بن حارث الخُشَنِي (ت ٣٦١) في ترجمة شيخه سعيد بن حَكْمُون: «. . . دخلت عليه سنة ٣٠٧ هـ فسألته أن يجيزني كُتُبه فأسعفني بذلك، وكتب لي الإجازة بخطّ يده. . .»[٦]، أمّا في حالة غياب المستجيز فقد كانت الكتابة هي الوسيلة المتّبعة[٧].

وقضيّة صنيع القرويّين فيما وقفت عليه ممّا يتعلّق بالإجازة تفيد أنّهم لا يذهبون إلى التّوسّع فيها كالإجازة للمعدوم ونحو ذلك، وغاية ما ورد عنهم في ذلك الإجازة لمن رغبها، كأن يقول: «أجزت كتبي لمن رغب ذلك»، وممّن فعل هذا عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[٨]، وفي هذا جهالة لتعلّقه بمشيئة من لا يحصر عددهم[٩].

---

(١) الصلة ٢/٤٧٩.
(٢) الشجرة ١/١١٢.
(٣) المدارك ٣/٤٧٧، الشجرة ١/٩٢.
(٤) المدارك ٣/٧٦٣.
(٥) الشجرة ١/١٠٦.
(٦) ط الخشني ١٦٥، الشجرة ١/٨١.
(٧) انظر الصلة ٢/٤٥٧، الشجرة ١/١٠٩، المدارك ٣/٤٧٧.
(٨) المدارك ٣/٤٧٧، ٤٧٨، حاشية الإلماع ١٠٤.
(٩) علوم الحديث لابن الصلاح ١٣٩.

وأمّا من حيث السّنُّ التي تصحّ فيها الإجازة عندهم فقد ذهب الإمام سَحنون[1]، وغيره[2] إلى صحّة الإجازة حتّى قبل السّنّ التي يصحّ فيها السّماع، وهو مذهب جمهور القائلين بالإجازة[3].

وإذا كان معظم علماء القيروان يرون صحّة التّحمّل بالإجازة فإنّ منهم من كان متحرّيّاً في ذلك، شديد الحيطة، مثل سَحنون بن أحمد (ت **٣٤٣**)، الذي وصف بأنّه كان صعباً في الإجازة[4]، بل إنّ منهم من خالف في جواز الرّواية بها، مثل أبي عبدالله محمد بن عمر الخرّاط فإنّه «كان لا يحدّث إلاّ بما سمع، وعيّن الإجازة من سماعه»[5].

النّوع الرّابع: المناولة:

وهي[6] قسمان: مقرونة بالإجازة، ومجرّدة عنها، أمّا القسم الأوّل فله صور، أقواها: أن يدفع الشّيخ للطّالب كتاباً أو صحيفة ونحوها، ويعلمه أنّها من روايته، ثمّ يأذن له في روايتها عنه، ويسلمه الكتاب تمليكاً، أو لينسخه ثمّ يعيده إليه، فهذا طريق قويّ من طرق التّحمّل، بل هو أعلى أنواع الإجازة مطلقاً.

وأمّا القسم الثّاني فهو: أن يناول الشّيخ الطّالب سماعه، ويقتصر على إعلامه بأنّه من روايته، وقد جوّز بعض أهل الحديث التّحمّل بهذا القسم، والصّحيح عدم جواز الرّواية به.

وقد عرَف القرويّون المناولة كنوع من أنواع التّحمّل، فإنّهم كانوا يروونه

---

(١) انظر: المدارك ٣/٢٤٣. (٢) انظر: الخشني ١٦٥.

(٣) انظر: الكفاية ٤٦٦، التدريب ٢/٣٨.

(٤) المدارك ٣/٣٧٥. (٥) المدارك ٣/٣٥٧.

(٦) صغت هذا التعريف بعد الاطلاع على: الإلماع ٧٩، علوم الحديث ١٤٦، التدريب ٢/٤٤، منهج النقد في علوم الحديث ٢١٧، فتح المغيث ٢/١١٢، الكفاية ٤٤٦، فتح الباري ١/١٥٤.

الحديث الذي اعتبره أهل الصّناعة من أصول المناولة[1]، وذلك من طريق محمد بن سَعدون القروي بسنده إلى عبدالله بن عبّاس رضي الله عنهما: «أنّ رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كِسْرَى مع عبدالله بن حُذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البَحْرَيْن ويدفعه عظيم البَحْرَيْن إلى كِسْرى»[2].

وقد ناول مروان بن محمد الأَسَدي (ت قبل ٤٤٠) كتابه في شرح الموطّأ لأبي عمرو محمد بن يحيى بن الحذّاء (ت ١٤١٠)، وذلك حين لقيه سنة ٤٠٥ هـ ببُونَة القيروان[3].

واعتبر أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) أنّ «المناولة أقوى من الإجازة إذا صحّ الكتاب»[4].

وكان القرويّون يروون عن مالك في المناولة قولين: القبول والرّفض، فقد جاء في الجامع[5]: قيل له (أي مالك): فالرّجل يقول له العالم: هذا كتابي

---

(١) انظر: الإلماع ٨١، التدريب ٢/٤٤، وقد استدل بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي ﷺ حيث كتب لأمير السرية كتاباً وقال: «لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا» فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ. صحيح البخاري. كتاب العلم. باب ما يذكر في المناولة ١/٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ما يذكر في المناولة وفي آخره زيادة وفيه «رجلاً» بدل «مع عبدالله بن حذافة» ١/٢٣، ٢٤، وفي كتاب الجهاد باب دعوة اليهود والنصارى وليس فيه ذكر الرجل ولا تسميته ٣/٢٣٥، وفي كتاب المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، بلفظه، ٥/١٣٦، وفي أخبار الآحاد باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد، وليس فيه ذكر الرجل ولا تسميته. ٨/١٣٦، وتوجد زيادة في آخره في جميع المواضع.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٢٣٤، ٣٠٥، غير أن فيه «مع رجل» في الموضع الثاني، وفي كليهما زايدة.

(٣) الصلة ٢/٥٨١، وبونة مدينة تقع في غرب إفريقية معروفة بحصانتها ورخص أسعارها وكثرة بساتينها. انظر: معجم البلدان ٢/٣٠٩، ٣١٠.

(٤) الجامع لابن أبي زيد ١٥٢. (٥) م. ن ١٥٢.

فاحمله عنّي وحدّث بما فيه؟ قال: «لا أراه يجوز، وما يعجبني، إنّما يُرِيدون الحمل»، قال أشهب: «يريد الحمل الكثير في الإقامة اليسيرة»، قال ابن أبي زيد: «وروي عن مالك غير هذا». قلت: والمشهور عن مالك قبولها[1]، وهو المعتمد لدى القرويّين كما تقدّم من أفعالهم وأقوالهم.

النّـوع الخامـس:

الكِتابة أو المُكاتبة: وهي[2] أن يكتب الشّيخ أو من يُكلّفه شيئاً ممّا يرويه أو من تأليفه لطالب غائب أو حاضر، بطلب، أو ابتداء من الشّيـخ للإفـادة، فإذا اقترنت بالإجازة فهي في الصّحّة كالمناولة المقرونة بالإجازة، وإذا جُرّدت عنها فهي طريقة جائزة مشهورة بين أهل الحديث.

وقد عرف أهل القيروان هذا النّوع، وشاع استعماله بينهم، فإنّهم كـانوا يروون عن مالك أنه قال: «كتبتُ ليحيى بن سعيد مائة حديث من حديث ابن شِهاب (الزُّهْرِي) فحملها عنّي ولم يقرأها عليّ»[3].

ومن استعمالاتهم لها مقرونة بالإجازة: أنّ عليّ بن مسرور (ت **٣٥٩**) كتب بإجازة ما رواه إلى محمد بن عيسى الغسّاني الأندلسي[4].

وكاتب محمد بن أحمد بن مجاهد الطّائي البغدادي أبا محمّد بن أبي زيد (ت ٣٨٦) وطلب منه أن يرسل له نسخة مُصحّحة من كتاب النّوادر ويجيزها له ولأصحـابه، فكتب لـه ما أراد، وأرسـل له نسخـة مقابلة مصحّحـة من كتـاب المختصر، مع شابّين من تلاميذه، وكتب له بإجازة ذلك له ولغيره[5].

---

(١) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ١٤٧، التدريب ٢/٤٦.

(٢) انظر: التدريب ٢/٥٥، الإلماع ٨٣، ٨٤، علوم الحديث ١٥٣، منهج النقد في علوم الحديث ٢١٨، فتح المغيث للسخاوي ٢/١٣٥.

(٣) الجامع لابن أبي زيد ١٥٢.

(٤) الصلة لابن بشكوال ٢/٤٥٧.

(٥) انظر نصّي الرسالتين في المدارك ٣/٤٧٧، ٤٧٨.

وقال أبو عبدالله محمد بن عَتَّاب القُرْطُبي (ت ٤٦٢): «سألت أبا عمرو الصّفاقُسي أن يكتب لابني عبدالرحمن حديثه، ويجيز لنا فكتب»[١].

ومن استعمالاتهم لها مجرّدة: أنّ الصّفاقُسي كتب عوالي حديثه لأبي محمد عبدالله بن عتّاب (ت ٥٢٠ أو ٥٢٢)[٢] وهو أحد أبناء المتقدّم، ولم يشترط النّص هنا إلى اقترانها بالإجازة.

النّــوع السّــادس:

الوجادة[٣] أو الخطّ: ويعبّر بذلك[٤] عمّا أخذه الطّالب من العلم من كتاب أو صحيفة بخطّ شيخ وإسناده بعد التّأكّد من نسبته إليه، ولكن ليس له منه سماع أو إجازة أو مناولة، وهو من باب المنقطع، ولا يجوز فيه إطلاق التّحديث أو الإخبار.

وقد شاع استعمال هذا النّوع أيضاً لدى القرويّين، وإن لم أجد لهم كلاماً حوله، غير أنّهم لم يتورّطوا في التّعبير عنه بما لم يجزه أهل الصّناعة، بل استعملوا الصيغ المناسبة له كما سيأتي، ممّا يفيد عدم اعتبارهم له متّصلاً.

وممّن كان يستعمله الحافظ أبو العرب التّميمي (ت ٣٣٣)[٥]، وأبو بكر محمد بن اللَّبَّاد (ت ٣٣٣)[٦]، وأبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَاني (ت ٣٦٩)[٧]، وأبو بكر عبدالله بن محمد المالكي (ت بعد ٤٦٤)[٨].

---

(١) فهرسة ابن خير ١٧٠.
(٢) الشجرة ١٠٩، ١٢٩.
(٣) مصدر لوجد يجد مُولّد غير مسموع، انظر: علوم الحديث ١٥٧، ومن عادة المصنفين تأخير هذا النوع، وقد قدمته لشيوعه بالقيروان أكثر من الذي يليه.
(٤) انظر: علوم الحديث ١٥٧، فتح المغيب ١٥١/٢، التدريب ٦٠/١، الإلماع ١١٦، منهج النقد ٢٢٠.
(٥) انظر: المحن ٨٢، ٢٢٢، ٢٥٦، ٣٠٤، ٣٣٦، ٤٠٢، ط أبي العرب ٧٥.
(٦) انظر: المدارك ١٣٨/٥.
(٧) مناقب أبي إسحٰق ١٠.
(٨) انظر: الرياض ٨٢/١، ٣٨٦، ٤٢٤، ٤٧٢، ١٣٤/٢، ٢٠٤، ٢٥٨، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٧٣، ٣٧٦.

النّـــوع السّابـــع:

الوصيّة بالكتب: وهي أن يوصي الشّيخ لمن شاء، عند موته أو سفره وغير ذلك بكتاب ونحوه كان يرويه أو من تأليفه، ولا يجوز للموصَى له أن يروي ذلك الكتاب بمجرّد تلك الوصيّة عند الجماهير، وذكر القاضي عياض أنّ بعض السّلف أجازه[1]، وردّه الخطيب البغدادي[2] وابن الصّلاح[3] والنّوويّ[4] وغيرهم[5].

وممّن فعل ذلك من علماء القيروان عبدالله بن أبي هاشم التُّجيبي (ت ٣٤٦)[6]، فإنّه لما مرض مرضه الذي مات فيه أوصى بكتبه البالغة سبعة قناطير إلى ثلاثة من علماء القيروان ووجّهها لهم، ثم ردّ الثّلثين لأرَقٍ أصابه من فقدها، فأخذها سلطان الرّافضة بعد موته ومنع النّاس منها، وبقي الثّلث عند ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)، ولا يزال بعضه في مكتبة القيروان، وعليه خطّ ابن أبي زيد وغيره[7].

ولما نُودي البُهلول بن راشد للسّلطان، وذلك في محنته، أوصى بكتبه إلى دَحيُون بن راشد، وهو من شيوخ القيروان[8].

أمّا النّوع الأخير، وهو الإعلام للطّالب بأنّ هذا الحديث من روايته أو أنّ هذا الكتاب سماعه أو تأليفه، فلم أعثر على من استعمله من القرويّين، غير أنّي وقفت على رواية أحدهم لاستعمال المشارقة لهذا النّوع، فقد جاء من طريق يحيى بن عمر الأندلسي ثمّ القروي (ت ٢٨٩)[9] بسنده إلى عُبيدالله بن عمر

(١) الإلماع ١١٥.
(٢) الكفاية ٥٠٣ ـ ٥٠٥.
(٣) علوم الحديث ١٥٧.
(٤) التقريب (مع التدريب) ٢/ ٦٠.
(٥) فتح المغيث ٢/ ١٥٠.
(٦) ستأتي ترجمته رقم ٢٢ في المحدثين، وراجع عن موضوع كتبه المدارك ٣/ ٣٤١، الرياض ٢/ ٤٢٣.
(٧) ورقات لحسن عبدالوهاب ١/ ٣٤١.
(٨) انظر: ط أبي العرب ٥٩.
(٩) ستأتي ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.

العُمَري[1] قال: كنّا نأتي الزُّهْري[2] بالكتاب من حديثه فنقول له: «يا أبا بكر هذا من حديثك؟ فيأخذه فينظر فيه، ثمّ يرده إلينا»، ويقول: «نعم هو من حديثي». قال عبيدالله: «فنأخذه وما قرأه علينا ولا استخبرناه أكثر من من إقراره بأنه من حديثه»[3].

٣ ـ التّدبيج[4].

وهو لغة يأتي على معان منها: التّزيين[5]، وقد ارتضاه ابن حَجَر وغيره[6]، مشتقّ من ديباجتي الوجه[7].

أمّا في الاصطلاح[8] فقد أطلقه الدّارقطنيّ (ت ٣٨٥) على رواية القرينين أحدهما عن الآخر، وهو أوّل من فعل ذلك فيما ذكره العِراقيّ، وعنه نقل تلميذه الحاكم (ت ٤٠٥) وتبعهما ابن الصّلاح (ت ٦٤٣) وسار عليه ابن حَجَر (ت ٨٥٢) في شرح النّخبة، غير أنّ العراقي (ت ٨٠٥) ذكر أنّ المدبّج هو أن يروي كلّ من الرّاويين عن الآخر سواء كانا قرينين أم كان أحدهما أكبر من

---

(١) ثقة ثبت، من الخامسة أخرج له الجماعة، التقريب ٥٣٧/١.

(٢) محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، حافظ متفق على جلالته وإتقانه (ت ١٢٥) أو قبلها. التقريب ٢٠٧/٢.

(٣) الإلماع ١١٣، ١١٤.
أورد القاضي عياض هذا الخبر في نوع الإعلام، الإلماع ١١٣، ١١٤، وله صلة بالمناولة المجردة من الإجازة. انظر: التدريب ٥٠/٢.

(٤) يعتبر هذا النوع من لطائف الإسناد، وقد رأيت أن أورده هنا لأنه ألصق بكيفية سماع الحديث وتحمله، ويمكن اعتباره من طرائف هذا المبحث.

(٥) انظر: القاموس المحيط ١٨٧/١.

(٦) انظر: نزهة النظر ٦٠، التدريب ٢٤٩/٢، التقييد والإيضاح ٣٣٤.

(٧) نزهة النظر ٦٠، التدريب ٢٤٨/٢.

(٨) انظر: علوم الحديث ٢٧٨، اختصار علوم الحديث ١٩٧، التدريب ٢٤٦/٢، نزهة النظر ٦٠، فتح المغيث ١٧٤/٢، تيسير مصطلح الحديث ١٩٢، معرفة علوم الحديث ٢١٥، مدرسة البخاري في المغرب ١٧١/١، التقييد والإيضاح للعراقي ٣٣٣.

الآخر، وذكر أنّ هذا هو قضيّة صنيع الدّارقطني في كتابه المُدبَّج، قلت: وعلى هذا سار السُّيوطيُّ (ت ٩١١) في التّدريب.

وقد تحمّل الحديث بهذه الطّريقة كثير من أهل إفريقيَّة، والقيروان ومن هاجر إليها، منهم: خالد بن أبي عِمران التّونُسي (ت ١٢٥ أو ١٢٩) فإنه تدبّج بيحيى بن سعيد الأنصاري التّابعي في فترة إقامة يحيى بإفريقيَّة[1].

وتدبّج يحيى بن سلاّم البصري ثمّ القيرواني (ت ٢٠٠) بمعظم شيوخه فكان يقول: «كلّ من رويت عنه العلم فقد روى عنّي، إلاّ القليل»[2].

وتدبّج أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) بأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢)[3]، وبمحمّد بن الحسن (ت ١٨٩)[4] صاحبَي أبي حنيفة، عندما كان يطلب العلم بالعراق.

وتدبّج الحافظ أبو العَرَب التّميمي بالمحدّث الأندلسي قاسم بن مَسعدة البَكْرِي (ت ٣١٧)، قال أبو العرب: «جاءني قاسم بن مَسْعدة ليسمع منّي فرأيت عنده علماً بالحديث وتمييزاً للرّجال فأخذت عنه..»[5].

وتدبّج أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) بمحمد بن قاسم بن محمود (ت ٤٠٣)[6]، وبأبي محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ الحافظ (ت ٣٩٢)[7].

---

(١) انظر: الإمام المازري لحسن عبدالوهاب ١٥، ط أبي العرب ٢٥، الرياض ١/١٤٨.
(٢) المعالم ١/٣٢٢. (٣) سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٤) ط أبي العرب مح ١٦٤.
(٥) تاريخ ابن الفرضي ١/٤٠٤، وانظر عنه أيضاً: البغية ٤٣٦.
(٦) الصلة لابن بشكوال ٢/٤٦٥. (٧) المدارك ٣/٦٤٣.

وهكذا تبيّن لنا كيفيّة سماع الحديث وتحمّله لدى القرويّين، وموقفهم من المصطلح عليه في ذلك لدى غيرهم من علماء الحديث.

وسأنتقل الآن إلى بيان ما يتعلّق بأداء الرّواية عندهم.

د ـ صفة رواية الحديث وأدائه لدى القرويّين(١):

تدور مسائل هذا المبحث حول تبليغ الحديث لطالبه بصيغة تبيّن كيفيّة تحمّله، والاهتمام بالمتن وتبليغه كما سُمع، أو بالمعنى، ومطالبة الرّاوي بسياق إسناده عند الرّواية، ونحو ذلك.

١ ـ صيغ الأداء المعبّر بها عن طرق التّحمل:

ـ السّماع: يعبّر القرويّون عن التّحمّل بالسّماع: بـ: حدّثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وعن، وقال(٢)، وهو مذهب جمهورهم كما هو واضح فيما وصلنا من مصنّفاتهم(٣)، وقد خالف في ذلك عون بن يوسف الخُزاعي **(ت ٢٣٩)** فإنّه كان يعبّر في السّماع بحدّثنا وفي الإجازة بأخبرنا(٤).

ـ القراءة على الشّيخ: عبّر عنها القرويّون بـ: سمعنا منه قراءة عليه، أو قراءة علينا(٥) أو قرأت على فلان قال(٦)، ومنهم من أجاز فيها إطلاق حدّثنا كما نَقل ابن أبي زيد، متابعاً في ذلك للإمام مالك(٧).

---

(١) انظر عن هذا المبحث عامة: الإلماع ١٢٢ ـ ١٣٤، التدريب ٩٢/٢، فتح المغيث ٢٢٧/٢، منهج النقد في علوم الحديث ٢٢٢، قواعد التحديث ٢٢١، الباعث الحثيث ١٣٩، علوم الحديث ١٨٥.

(٢) انظر: الملخص للقابسي خط ٢ ب.

(٣) انظر بصفة خاصة الأسانيد الواردة في كتاب: المحن لأبي العرب.

(٤) انظر: المدارك ٦٢٧/١.

(٥) الملخص ٢ ب.

(٦) المحن لأبي العرب ١٦٠، ٤١٣.

(٧) الجامع لابن أبي زيد ١٥١.

ـ الإجازة: يجيز جمهورهم في التّعبير عنها إطلاق حدّثنا وأخبرنا، وقد صرّح بذلك عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) في قوله عن الإجازة: «. . . وجائز أن يقول حدّثني فلان وأخبرني فلان»[١]، ونقلوا مثل ذلك عن الإمام مالك[٢]، وقد منع عون بن يوسف (ت ٢٣٩) إطلاق «حدّثنا» في الإجازة، ولم يجز فيها إلاّ «أخبرنا» [٣].

أمّا حفّاظهم، كأبي العَرَب، فإنّهم يعبّرون عنها بالإخبار، ويقيّدونه بالإجازة، وتلك غاية الدّقّة، قال أبو العَرَب: «أخبرنا عمرو بن ثور الشّامي إجازة. . .» [٤]. والتّقييد في ذلك هو الصّحيح المختار الذي عليه عمل الجمهور[٥].

ـ المكاتبة: كانوا يرْوُون[٦] جواز إطلاق «حدّثني» فيما تُحُمّل بالمكاتبة.

ـ الوجادة: وقد تنوعّت إطلاقاتهم في التّعبير عنها، ومن ذلك:

رأيت في كتاب فلان بخطّ يده، وأنا أعرف خطّه قال. . .[٧]، قرأت في كتاب قال. . .[٨]، رأيت في كتاب فلان قال. . .[٩]، وجد بخطّ فلان قال. . .[١٠]، روي بخطّ فلان بيده. . .[١١]، قال فلان بخطّه. . .[١٢]، ذكر فلان

---

(١) إفادة النصيح ١١٤.
(٢) الإلماع ٩٠، ط أبي العرب ١٠٥، ١٠٦، مدرسة البخاري في المغرب للكتاني ١٣٣.
(٣) المدارك ٦٢٧/١.
(٤) المحن ٤٥.
(٥) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ١٥١.
(٦) الإلماع ٨٤ من طريق محمد بن سعدون القروي.
(٧) ط أبي العرب ٧٥، المحن ٢٢٢.
(٨) المحن ١٠٤.
(٩) المحن ٢٥٦.
(١٠) الرياض ٣٧٢/١.
(١١) الرياض ٤٦٠/١.
(١٢) الرياض ٣٨٦/١، ٤٢٤.

بخطّه أنّ. . .[1]، روى بخطّه قال. . .[2]، رأيت بخطّ فلان قال. . .[3]، رأيت لفلان قال. . .[4].

أمّا المناولة والوصيّة فلم أعثر للقرويّين على ألفاظ عبّروا بها عن التّحمل بهما.

٢ ـ الرّوايـة بالمعنـى[5]:

الأصل في حديث رسول الله ﷺ أن تقع المحافظة على لفظه ليُؤدّى على وجهه الذي سُمع به، وعلى هذا اتّفق جماهير علماء الأمّة من المحدّثين والفقهاء والأصوليّين، ومن أدلّة هذا الأصل قوله ﷺ: «نضّر الله امرأ سمع منّا حديثاً فأدّاه كما سمعه»[6].

---

(١) الرياض ١/٨٢.

(٢) الرياض ٢/٣٣٨.

(٣) الرياض ٢/٣٧٣.

(٤) مناقب أبي إسحاق ١٠.

(٥) انظر عن هذا المبحث عامة: الإلماع ١٧٤، ١٨١، فتح المغيث للسخاوي ٢/٢٤١ ـ ٢٥٠، قواعد التحديث ٢٢١ ـ ٢٢٥، علوم الحديث ١٩٠، منهج النقد ٢٢٧، الكفاية ٣٠٠، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/١٣، التدريب ٢/٩٨.

(٦) جاء هذا الحديث في المصادر من عدّة طرق، وبألفاظ متقاربة، بعضها يزيد على بعض أقربها إلى الحديث الذي معنا ما رواه الترمذي في سننه من طريق عبدالله بن مسعود في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/٣٤/٢٦٥٧، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه الدارمي من طريق أبي الدرداء في المقدمة باب الاقتداء بالعلماء ١/٧٤، أما بقية الروايات فهي وإن كانت في هذا المعنى غير أنه ليس فيها لفظ «كما سمعه»، انظر: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٤/٦٨/٣٦٦٠، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/٣٤/٢٦٥٦، ٢٦٥٨، سنن ابن ماجة في المقدمة باب من بلغ علماً ١/١٠٢ ـ ١٠٤/٢٣١ ـ ٢٣٥، وفي كتاب المناسك باب رمي الجمار ٢/٢٤٨/٣١٠٧، سنن الدارمي في المقدمة باب الاقتداء بالعلماء ١/٧٥، مسند أحمد ١/٤٣٧، ٣/٢٢٥، ٤/٨٠، ٨٢، ٥/١٨٣.

كما أنّه لا خلاف بينهم في أنّ الأداء باللّفظ متعيّن في حقّ الجاهل والمبتدىء ومن لم يمهر في العلم؛ لعدم علم هؤلاء بما يغيّر المعنى، فتكون روايتهم للمعنى تحكّم بالجهالة، وتصرّف على غير حقيقة أصول الشّريعة، فيؤدّي ذلك إلى تحريف المعنى المراد من اللّفظ النّبويّ، وذلك تقوّل على الله ورسوله بغير علم.

ثمّ إنّهم اختلفوا بعد هذا في جواز الرّواية بالمعنى لأهل العلم الذين لهم معرفة بما يحيل المعنى، وقد منع ذلك مطلقاً قوم من المحدّثين والفقهاء أخذا بظاهر الحديث السّابق ونحوه من الأدلة.

أمّا جمهور أهل العلم فقد أجازوا الرّواية بالمعنى للمشتغل بالعلم، العارف بمعاني الألفاظ ودلالالتها ومقاصدها، ما لم يكن اللّفظ متعبّداً به كالأذكار ونحوها، مع أنّ الأولى عندهم التّقيّد باللّفظ كما تقدّم.

وهذا هو الأصح فإنّ العالم إذا كان بالوصف الذي تقدّم ذكره يكون قاطعاً بأنّه أدى معنى اللّفظ الذي بلغه به.

واستدلوا له بأدّلة منها: أحوال الصّحابة والسّلف الأوّلين فإنّهم كثيراً ما كانوا ينقلون معنى واحداً في أمر واحد بألفاظ مختلفة، كما قال ابن الصّلاح[1]، وغيره، وأورد السّيوطيّ في التّدريب[2] أدلّة كثيرة للجواز من أقوال الصّحابة وغيرهم، ثم قال: قال شيخ الإسلام (النّووي): «ومن أقوى حججهم في ذلك: الإجماع على جواز شرح الشّريعة للعجم بلسانها للعارف به، فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى فجوازه باللّغة العربيّة أولى»، ولهم أدلّة أخرى في مختلف المصادر المثبتة أوّل هذا المبحث.

---

(١) علوم الحديث ١٩١، وانظر: بقية المصادر المثبتة أول المبحث.

(٢) التدريب ٢/٩٩.

أمّا أهل القيروان فمنهم من ذهب إلى جواز الرّواية بالمعنى واستعملها، مثل سعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)[١].

ومنهم من تشدّد في ذلك ومنعه، مثل ما فعل أبو محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦) متابعاً في ذلك للإمام مالك[٢].

وكذا فعل القابِسي (ت ٤٠٣)، فقد جاء في كتاب الملخّص[٣]: «... ولقد سئل مالك هل يُتَحَدّث بالحديث على المعنى؟، فأبى من القصد إلى ذلك، كأنّه يقول: من شكّ في شيء فليمسك ولا يحدّث بظنّه...». قال أبو الحسن (القابِسي): «إذا ذهب من نسي ألفاظ الحديث إلى أن يُحدّث عمّا فهم منه بألفاظ لا يستيقن أنّها هي الألفاظ التي سمعها، صار إلى أن يقول الحديث على ما حصل عنده من التّأويل، ولعلّ ألفاظ ذلك الحديث لو ظهرت لكانت على خلاف ذلك التّأويل، فهذا ممّا يُحذر منه...».

والرّاجح جوازها بشروطها كما تقدّم، وقد حُمل قول مالك على الاستحباب[٤].

٣ ـ وجوب سياق السّند عند الأداء، والحرص على سلامته:

يطالب القرويّون بسياق الإسناد عند أداء الرّاوي للحديث حتّى يُعرف أنّه تحمّله وأدّاه بطريق صحيح، وله فيه سماع، أو غيره من طرق التّحمّل المعتبرة كما سبق بيانها.

فهذا موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي (ت ٢٢٥)، وهو من أئمّة الحديث بالقيروان، يسوق حديثاً بدون سند في غير مقام التّحديث، وكان ذلك بحضرة

---

(١) انظر القِطع التي نشرها صاحب الحياة الاجتماعية في القيروان من كتاب الاستواء لابن الحداد، وخاص ص ٢٦٨.

(٢) انظر: كتاب الجامع ١٤٦.

(٣) الملخص للقابسي خط ٤ ب، ٥ أ.

(٤) انظر: الإلماع ١٧٩.

الإمام سَحنون (ت **٢٤٠**) الذي قام مباشرة بتكليف أحد تلاميذه بالتّثبّت فيما إذا كان لموسى في هذا الحديث طريق صحيح وقال له: «ويحك! أطلب لي هذا الحديث لموسى»، قال: «فطلبته، فأصبته لموسى عن عيسى بن يونس السَّبِيعي بإسناده إلى النّبيّ ﷺ»[١].

وكان الطّلاّب القرويّون إذا شكّوا في سلامة سند الشّيخ استثبتوا منه، وسألوه عن سماعه، كما فعلوا مع أبي خارجة عَنْبَسة بن خارِجة (ت **٢١٠**)[٢]، وعون بن يوسف (ت **٢٣٩**)[٣].

وكان الإمام سَحنون إذا شكّ في صحّة أداء محدّث استدعاه، وسأله عن روايته، وردّه إلى الجادّة[٤]، وفعل يحيى بن سلاّم (ت **٢٠٠**) نحو هذا[٥].

وقد يعكّر على هذا قبولهم الاحتجاج بالمرسل تبعاً لإمامهم مالك، والجواب عن ذلك: أن الإمام مالك قد اشترط في قبوله أن يكون المرسِل ثقة عدلاً[٦]، ومن كانت تلك صفته فإنّه لا يستحلّ أن يحدّث بذلك عن النّبيّ ﷺ إلاّ إذا غلب على ظنّه أنّه من حديثه. هذا بالإضافة إلى ما ذكره ابن عبدالبرّ من أنّ قبول المرسل في المذهب إنّما هو من حيث الأصل، أما عند المناظرة والخلاف فقد جرت العادة بالمطالبة بالاتّصال في الأخبار[٧].

هـ ـ تقييد الحديث وصفة ضبطه[٨]:

تدوين الحديث سبب أساسي في حفظه، ووسيلة عظمى لأدائه على

---

(١) الرياض ٣٨٢/١.
(٢) انظر: ط أبي العرب ٧٢.
(٣) م. ن ١٠٥.
(٤) ط أبي العرب مح ٢٠٥.
(٥) انظر: الرياض ١٣٨/١.
(٦) الكفاية ٥٤٧.
(٧) التمهيد ٧/١.
(٨) انظر عن هذا الموضوع: الإلماع ١٤٦ ـ ١٩٣، التدريب ٦٤/٢، الباعث الحثيث ١٣٢ ـ ١٣٩، علوم الحديث ١٦٠ ـ ١٨٤، منهج النقد في علوم الحديث ٢٣٢ ـ ٢٣٨، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٤٩/١ ـ ٢٧٨.

وجهه، فإنّ الذّاكرة مهما بلغت قوّتها لا تكفي وحدها لصيانة الحديث، وقد وقع في صدر الإسلام الاختلاف في كتابة الحديث للأدلّة الورادة بالإباحة والمنع، ثمّ أجمع أهل العلم على إباحته: «ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة»[1]، وقد أجابوا عن أدلّة المنع بأنّها اقترنت بأسباب موضوعيّة[2] كخشية اختلاط القرآن بغيره ونحو ذلك[2].

وقد اهتمّ القرويّون بالكتابة واعتبروها أمراً ضروريّاً لصيانة العلم، فكانت كتب كثير من علمائهم تعدّ بالآلاف، وتقاس بالقناطير، كلّها بخطّ أيديهم[3].

وكان الإمام سَحنون يُنبّه على أهمّيّة الكتابة، ويقول لطلّابه: «العلم صيد والكتابة قيد»[4].

وتقدّم قريباً أنّ أبا العرب لم يكن يكتب في أوّل طلبه فقال له أحد زملائه: «أراك تلازم هذا المجلس، وتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئاً ممّا تسمع بيدك يكون عندك، ما هذا حقيقة العلم!»[5]، وقد اقتنع أبو العرب بذلك وأخذ يكتب، حتّى أصبح بعد ذلك من المشهورين بكثرة الكتب[6].

وقد وقفت لهم في ذلك على بعض الآداب منها:

١ ـ ضبط ما يكتبونه: اهتمّ القرويّون بضبط كتابتهم بالشّكل ونحوه، وممّا يدلّ على ذلك أنّ بعض المشايخ عاتب تلميذاً له على طول غيبته عنه فقال له: «أصلحك الله، أُعذِرْ فقد كان لي شغل»، فقال: «وما هو؟» قال: «اليوم أكثر من

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ١٦٢.

(٢) راجع المصادر أعلاه (هامش رقم ١).

(٣) تقدم لذلك نماذج موسعة في مبحث المكتبات الخاصة.

(٤) ورقات ١/٨٣.

(٥) الرياض ٢/٣٠٧، المعالم ٣/٣٧.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين.

شهر اختلف إلى رَقَّادَة، إلى قصر الأمير، أشكل له كتباً وأصحّحها وأضبطها. . . »[1].

وكان ضبط الكتاب وصحّته وحسن التّقييد ممّا يُمدح به الرّاوي عندهم[2]، بل اعتبره الإمام سَحنون مدار صحّة الرّواية فقال: «من صحّت كتبه صحّت روايته ومن سقم كتابه سقمت روايته»[3].

وكذا اعتبروا كثرة الخطأ والتّصحيف في كتاب الرّاوي دليلاً على ضعفه[4].

٢ ـ مقابلة الكتب المنتسخة بأصول السّماع: وهو أمر ضروريّ لسلامة ما ينسخه الطّالب من الخطأ والتّحريف والتّصحيف. وقد عرَف القرويّون مقابلة الكتب ومارسوها، من ذلك أن عبدالله بن أحمد بن طالب القاضي (ت ٢٧٥) كان يستدعي من يقابل معه كتبه من أصول سَحنون المعروفة بدقّة ضبطها[5]، وورد أنّ أحمد بن محمد القَصْري (ت ٣٢٢) زار شيخه يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) فوجده ألّف كتاباً، ولم يكن معه ما يشتري به ثمن الرّقوق فباع قميصه واشترى بها الرّقوق، وكتب الكتاب وقابله وأتى به معه إلى القيروان[6]، وكان بعض العلماء يتواعدون لمقابلة الكتب[7].

٣ ـ ضبط اختلاف الرّوايات: وهو أمر يلزم إتقانه حتّى لا تختلط الرّوايات، وممّن كان يفعله من القرويّين أبو الحسن القابِسي (ت ٤٠٣) فإنه كان

---

(١) ورقات ٣٢٨/١.
(٢) انظر: الرياض ٤٦١/١، ٣٠٩/٢، المدارك ٤٠٨/٤، ١٢٦/٥.
(٣) الرياض ٣٧٣/١.
(٤) ط أبي العرب ١١٨، المدارك ٢٦٩/٣، ١٣٤/٤.
(٥) انظر: ط أبي العرب مح ٢٣٨.
(٦) الرياض ١٩٧/٢.
(٧) انظر: المدارك ٣٢٨/٣، الرياض ٣٣٢/٢.

يُثْبت الرّواية الأصليّة باللّون العاديّ، وهو السّواد، وأمّا الرّواية المُلحقة فيُثبتها باللّون الأحمر، قال القاضي عياض: «. . . وإن اقتصر على أن تكون الرّوايات الملحقة بالحمرة فقد عمل ذلك كثير من الأشياخ وأهل الضبط كأبي ذرّ الهَرَوِي وأبي الحسن القابِسي. . . »[1].

٤ ـ محو الغلط والضّرب عليه واطِّراح الدّخيل على الأصل: وهو أمر معروف لدى أهل الحديث[2]، وممّن كان يفعله ويأمر به في القيروان: الإمام سَحنون بن سعيد، قال بعض تلاميذه: «كنت قاعداً قدّام سَحنون، وهو يقرأ كتاب التّرغيب من جامع ابن وهب فرددت عليه حديثاً هو في كتابي ولم يكن في كتابه»، فقال لي: «اِقرأ الحديث»، فلمّا قرأته أنكره وصاح عليّ وقال: «من أين دخل هذا الحديث في كتابك؟» فأمسكت ولم أردّ عليه، فكلّمه محمد ولده وقال: «أصلحك الله، الكتب تختلف»، فقال لي: «اِطرَح الحديث من كتابك» فخططت عليه بالقلم، وهو ينظر، فقال: «زد خطّاً عليه» فطلّسته كلّه»[3].

وقد ورد عنه أنه قد يَلعق الكتابة بدل المحو أو الضّرب عليها[4]، ووصف أهل الصّناعة ذلك بأنه ـ رغم غرابته ـ من أسلم طرق المحو[5].

٥ ـ موقفهم من إصلاح اللّحن في الحديث: لقد شدّد القرويّون في أمر اللّحن في الحديث[6]، وقد ذهب الإمام القابِسي إلى عدم جواز إصلاح ما كان في لغة العرب، وإن لم يكن موجوداً في لغة قريش، أمّا ما لا يُعرف في لغة العرب فلا بأس من إصلاحه؛ لأنّ الرسول ﷺ لا يلحن.

والقابِسي في هذا متابع لأبي عبدالرحمن النَّسائي، فقد ساق بسنده إليه،

---

(١) الإلماع ١٨٩، ١٩٠.
(٢) انظر: الكفاية ٦٠٢، الإلماع ١٧٠، المحدث الفاصل ٥٢٤.
(٣) الرياض ١/٣٧٣. (٤) الإلماع ١٧٣.
(٥) علوم الحديث ١٧٩، فتح المغيث ٢/٢٠٤.
(٦) انظر: مناقب أبي إسحٰق ٢٣، الملخص ٥ أ، خط.

قال[1]: سئل أبو عبدالرحمن ـ يعني النَّسائي ـ عن اللّحن يوجد في الحديث، فقال: «إن كان شيئاً تقوله العرب، وإن كان في غير لغة قريش، فلا يُغَيَّر؛ لأنّ النّبيّ ﷺ كان يكلّم النّاس بلسانهم، وإن كان ما لا يوجد في كلام العرب فرسول الله ﷺ لا يلحن».

ويقابل هذه المباحث في علوم الرّواية مباحث أخرى تتعلّق بعلوم دراية الحديث، وهو ما سيأتي الحديث عنه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) الملخص ٥ أ، خط.

الفَصْلُ الثَّاني

مظاهر النّشاط العلميّ وخصائصه في مجال دراية الحديث

تمهيـد:

وفيه تعريف علم دراية الحديث، ومتعلّقاته، ووجه الحاجة إليه:

من المعلوم أنّ مجرّد تحمّل السُّنّة وأدائها، وضبطها، وتحرير ألفاظها، يمثّل أحد جانبي علوم السّنّة التي لها أهمّيتها ـ كما مرّ ـ في حفظ نصوص الشّرع ونقلها من جيل إلى جيل، أمّا الجانب الثّاني فهو دراية هذه النّصوص، والخبرة بسندها ومتنها؛ لمعرفة أحكام الشّريعة في مختلف المجالات، وتبليغها لمن لا يعلمها، وترجمتها إلى سلوك عمليّ يعيشه المجتمع المسلم على أنّها ممّا تعبد الله به المسلمين، ونظّم به حياتهم، وربط به سعادتهم في الدّنيا والآخرة.

ومن هنا جاءت ضرورة تمحيص السُّنّة، حتّى لا يُنسبْ إلى الرّسول ﷺ ما لم يثبت من الشّرع، وذلك عن طريق نقد متون الأحاديث، والبحث في أسانيدها من حيث الاتّصال والانقطاع، والنّظر في أحوال رواتها توثيقاً وتجريحاً، وغير ذلك من المباحث التي تساعد على التّمييز بين الصّحيح والسّقيم من الحديث.

وهذا ما يمكن اعتباره القواعد التي تحكم رواية الحديث، وتضمن سلامته من الشّوائب، مع تبيين مشتملاته ودلالته على الأحكام وهو ما اصطلح المتأخّرون

ممّن بعد عصر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) على تسميته بعلم دراية الحديث[١]، وسيأتي تعريفهم الدّقيق له.

وهو من أشرف العلوم الإسلاميّة وأعلاها[٢]؛ إذ به يعرف الحديث المقبول فيعمل به، والحديث المردود فيقع تجنّبه، وذلك مقصد جليل، وهدف عظيم، وغاية نبيلة يتصدّى لها أهل الهمم العالية والعزائم القويّة.

وقد عرّف أهل الصّناعة علم الحديث دراية بأنّه:

«علم بقوانين يُعرف بها أحوال السّند[٣] والمتن[٤]»[٥]، أو هو «القواعد المعرّفة بحال الرّاوي والمروي»[٦]، وأشمل من هذين التّعريفين أن يقال إنّه: «علم بأصول وقواعد يعرف بها الرّاوي والمروي من حيث القبول والرّدّ، وما يتبع ذلك[٧]».

فهو «علم يعرف منه حقيقة الرّواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرّواة، وشروطهم وأصناف المرويّات وما يتعلّق بذلك»[٨].

---

(١) تدريب الراوي ١/٥.

(٢) دراسات في الجرح والتعديل ٢٢، ٢٧.

(٣) السند هو سلسلة الرواة الموصلة إلى المتن، انظر: قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٢٦، التدريب ١/٤١، دراسات في الجرح والتعديل ٥، منهج النقد ٣٣.

(٤) المتن هو ألفاظ الحديث أو ما ينتهي إليه السند من الكلام، انظر: قواعد في علوم الحديث ٢٦، التدريب ١/٤٢، دراسات في الجرح والتعديل ٦، منهج النقد ٣٣.

(٥) هذا تعريف عز الدين بن جماعة كما في التدريب ١/٤١، علوم الحديث ١٢ (لابن الصلاح)، منهج النقد في علوم الحديث ٣٢، وانظر: دراسات في الجرح والتعديل ٢٤.

(٦) هذا التعريف قد اختاره الحافظ ابن حجر كما في التدريب ١/٤١، فتح المغيث ١/١٠.

(٧) انظر: الحطة ٧٩، الشجرة ١/٤٩٤، تيسير مصطلح الحديث ١٤، فتح الباقي شرح ألفية العراقي ١/٧.

(٨) التدريب ١/٤٠، قواعد التحديث ٧٥، قواعد في علوم الحديث ٢٣، وانظر: توجيه النظر ٢٣.

قال السّيوطيّ (ت ٩١١): «فحقيقة الرّواية: نقل السُّنّة ونحوها، وإسناد ذلك إلى من عُزي إليه بتحديث أو إخبار وغير ذلك، وشروطها: تحمّل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التّحمّل من سماع، أو عرض، أو إجازة ونحوها، وأنواعها: الاتّصال والانقطاع ونحوهما، وأحكامها: القبول والرّدّ، وحال الرّواة: العدالة والجرح... وما يتعلّق بها: هو معرفة اصطلاح أهلها»[(١)].

ومن مشمولات علم الدّراية أيضاً: فقه النّصّ وشرحه واستنباط معانيه، وأحكامه[(٢)]، وقد جعله الحاكم (ت ٤٠٥) في كتابه معرفة علوم الحديث نوعاً من أنواع هذا العلم[(٣)]، وقال النّوويّ (ت ٦٧٦) ضمن تعريفه لهذا العلم: «إنّ المراد من علم الحديث تحقيق معاني المتون وتحقيق علم الإسناد والمعلّل... والبحث عن خفيّ معاني المتون...»[(٤)]، وجاء في كشف الظّنون[(٥)]: «العلم بدراية الحديث، وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها مبنيّاً على قواعد العربيّة وضوابط الشّريعة، ومطابقاً لأحوال النّبيّ ﷺ...».

وعلم الدّراية هو المراد من علم الحديث عند الإطلاق[(٦)]، ويسمّى أيضاً: مصطلح الحديث، وعلم أصول الحديث[(٧)].

ـ أمّا موضوع علم دراية الحديث فهو الرّاوي والمروي أو المتن والسّند، من الحيثيّة المذكورة آنفاً[(٨)].

---

(١) التدريب ١/٤٠، قواعد التحديث ٧٥.

(٢) انظر: دراسات في الجرح والتعديل ٢٥، لمحات في أصول الحديث ٧٢، توجيه النظر ٢٣، ١٧٨.

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ٦٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١/٤٧.

(٥) كشف الظنون ١/٦٣٥.

(٦) انظر: الشجرة ١/٤٩٤، الحطة ٧٩، فتح الباقي ١/٧.

(٧) انظر: الشجرة ١/٥، لمحات في أصول الحديث ٧٣، فتح المغيث ١/١٠، منهج النقد ٣٢.

(٨) انظر: الشجرة ١/٤٩٤، الحطة ٧٩، التدريب ١/٤١.

ـ وغايته: معرفة ما يقبل من الحديث وما يردّ[1]؛ للعمل بالمقبول والاحتجاج به، وترك ما لم تثبت نسبته إلى الرّسول ﷺ أو الصّحابة أو التّابعين، وفي ذلك سعادة الدّنيا والآخرة.

ـ ومسائله: ما يذكر في كتبه من المباحث والمقاصد[2].

ـ وهو علم عظيم الأهمّيّة: إذ به يُتوصّل إلى تمييز صحيح الحديث من سقيمه، وبالتّالي معرفة الأحكام الشّرعيّة التي تعبّدنا الله بها.

وقد كان للقرويّين اهتمام بعلوم دراية الحديث الآنفة الذّكر، وكلام حول بعض مسائلها، إلّا أنّه لم يصلنا من ذلك إلّا القليل، وأكثره غير مباشر، وقد تتبّعته في ثنايا المصادر، وألّفت بين المسائل المتجانسة منه وفق العناصر الآتي ذكرها في مقدّمة وثلاثة مباحث، وجدير بالملاحظة هنا أنّي أبحث هذه العلوم عند القرويّين في فترة لمّا تستقرّ فيها الاصطلاحات بعد، ولهذا فإنّ كثيراً من المسائل لن تكون بالوضوح الذي نجده مبسوطاً في كتب المتأخرين، من عهد ابن الصلاح (ت ٦٤٣) فمن بعده.

المقدمة: وفيها تعريف السُّنّة عند القرويّين:

يعتبر تعريف القرويّين للسّنّة من أوّل التّعاريف الموضوعة لها ـ فيما أعلم ـ فقد وضعه سعيد بن الحدّاد المتوفَّى سنة ٣٠٢ هـ، حيث قال[3]: «أصل السّنّة في كلام العرب: المثال الذي يُتمثّل عليه، قال الشّاعر:

تُـريك سنّـةَ وجه غيـر مُقـرِفـة   ملساءَ ليس بها خال ولا نَدَبُ[4]

---

(١)، (٢) انظر: الشجرة ٤٩٤، الحطة ٧٩.

(٣) انظر هذا التعريف في: الرياض ٢/٧٦، ٧٧، ط الخشني ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٢/٧٧، سير أعلام ١٤/٢٠٨، ط الخشني ٢٠٢.

(٤) البيت لذي الرّمة، انظر: الصحاح للجوهري ٥/٢١٣٩، لسان العرب ١٣/٢٢٤.

قال: أي صورة وجه ومثاله، قلت: وهذا المعنى ذكره أصحاب المعاجم اللّغوية[1]، والأشهر منه أنّ السّنّة هي الطّريقة أو السّيرة حسنة كانت أم قبيحة[2].

أمّا في الاصطلاح فيرى ابن الحدّاد أنّ السّنّة هي: «الائتمار بما أمر به رسول الله ﷺ. والانتهاء عمّا نهى عنه، والائتساء به فيما فعل»[3].

وهذا التّعريف أقرب لمفهوم السّنّة من حيث هي مخالفة للبدعة من مفهوم السّنّة المرويّة التي هي موضوع بحث أهل الحديث.

أمّا الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) فيذهب إلى أنّ السُّنّة هي الحديث[4]، وهذا موافق لما عليه جمهور المحدّثين[5]، حيث عرّفوها بأنّها: «ما أضيف إلى النّبيّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلقيّة»[6].

المبحث الأوّل

علوم أحوال الرّواة وأسمائهم

وهو من أهمّ المباحث في هذا الفنّ؛ لأنّ الرّواة هم نقلة الحديث، ولمعرفة أحوالهم صلة مباشرة بدرجة الحديث، وموقعه من حيث القبول أو الرّدّ.

---

(١)، (٢) انظر: لسان العرب ١٣/٢٢٤ ـ ٢٢٧، تاج العروس ٩/٢٤٤، الصحاح ٥/٢١٣٩، القاموس المحيط ٤/٣٢٧.

(٣) الرياض ٢/٧٧، سير أعلام ١٤/٢٠٨، ط الخشني ٢٠٢.

(٤) الملخص خط ل ٤ أ.

(٥) فتح المغيث ١/١٠، أسباب اختلاف المحدثين ١/٢٥.

(٦) انظر: فتح المغيث ١/١٠، منهج النقد في علوم الحديث ٢٧ ـ ٢٩، الحديث والمحدثون ١٠، أسباب اختلاف المحدثين ١/٢٣، وهي تشمل أيضاً ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي على التفصيل الذي تقدم في مطلع فصل الرواية.

أوّلاً: صفة من تُقبل روايته[1]:

يتّفق علماء القيروان مع غيرهم من أهل العلم في أنّ الذي يُقبل حديثه هو العدل الضّابط لما يروي، كما يفهم ذلك من عدّة نصوص نقلت عنهم[2]، منها قول الإمام القابِسي (ت ٤٠٣): «... فلا يؤخذ (الحديث) إلاّ عن المأمونين على الدّين المشهورين بحسن العناية به، والحفظ له، ثمّ الاحتفاظ بالسّمع عند أخذه، ليُوعَى على وجهه، ثمّ التّحري للصّدق في نقله...»[3]، وفيما يلي أذكر بعض ما جاء عنهم حول العدالة والضّبط.

١ ـ العدالة:

اشترط القرويّون العدالة في قبول رواية المحدّث والأخذ عنه، ولكن لم يرد عنهم في ذلك مسائل موسّعة حسب المادّة المتوافرة.

قال الإمام سَحنون: «يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم، الحسن مخبرهم»[4]. وتقدّم اشتراط القابِسي في المحدّث أن يكون من المأمونين على الدّين المشهورين بحسن العناية به.

أمّا ماهيّة العدل أو صفة العدل فقد سئل عنها محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) فقال[5]: «إذا كان الرجل يصلّي فرضه في وقته كيف يجب، وكيف ينبغي[6]،

---

(١) انظر عن هذا المبحث عامة: مقاصد الحديث للتازي ٢/٦٢ ـ ٧١، الكفاية ١٠١، توجيه النظر ٢٥، التقييد والإيضاح ١٣٦، منهج النقد في علوم الحديث ٧٨ ـ ٨٨، التدريب ١/٢٢٩، دراسات في الجرح والتعديل ١٨٥، علوم الحديث ٩٤، جامع الأصول ١/٣٣، اختصار علوم الحديث ٩٩.

(٢) انظر مثلاً: الملخص للقابسي خط ٤ أ، الخشني ١٤٧، كتاب الأجوبة لمحمد بن سحنون خط فصل الشهادات.

(٣) الملخص خط ٤ أ.

(٤) المدارك ٣/٢٦٧، ط الخشني ١٤٧.

(٥) كتاب الأجوبة خط لوحة ٢.

(٦) اقرأ «كما» أو «مثلما» بدل «كيف».

ويصوم فرضه كذلك، ويزكّي فرضه، ويصل رحمه، ويرفق بجاره، ويكفّ أذاه عن المسلمين بلسانه ويده، ولا يكثر الأيمان فهو. أشبه وأقرب في العدالة والرّضا».

فهو يشترط فيها حسن التّمسّك بواجبات الدّين وآدابه، وبذلك يلتقي إجمالاً مع ما اشترطه فيها محدّثو المشرق[1].

أمّا إسحٰق بن عَبْدُوس (ت ٢٦٦) فقد ذُكِرت عنده التّزكية، فقال: «من كفّ لسانه وأذاه في زمننا فهو عدل»[2]، وهذا يدلّ على أنّ المجتمع القروي في تلك الفترة كان الغالب على أهله التّمسّك بالإسلام، والتّحلّي بالفضائل التي ندب إليها الشّرع، وكاد النّاس يستوون في ذلك، فصار ميزان التّعديل والتّجريح هو مدى صون الإنسان للسانه وإمساكه عن أذى غيره، ويمكن أن يُفهم منه عكس هذا أيضاً أي أنّ النّاس قد غلب عليهم عدم الالتزام بالدّين حتى أصبح كفّ اللّسان والأذى هو علامة العدل التّقيّ المتمسّك بالدّين، والأوّل أرجح لما تقدّم في التّمهيد من غلبة الفضل والخير على أهل القيروان في هذه الفترة[3]، فيكون كلام ابن عَبْدوس: إنّ العدل من كفّ لسانه وأذاه مع تمسّكه بواجبات الدّين وسننه وآدابه، وإنّما سكت عنه لأنّه معلوم لدى تلاميذه الذين خاطبهم بهذا الكلام.

وسئل محمد بن سَحنون عن ألفاظ التّزكية فقال: عدل، رضا[4].

وفرّق بين الشّاهد والرّاوي من غير تفصيل في ذلك فقال: «ليس كلّ من تجوز شهادته تجوز تزكيته»[5] أي في العلم.

---

(١) راجع المصادر التي أحلتُ عليها في أول المبحث.

(٢) المدارك ١٢٥/٣، وراجع ترجمته في هذا الموضع.

(٣) راجع مبحث الوضع الاجتماعي.

(٤) الأجوبة لمحمد بن سحنون خط لوحة ٧ أ.

(٥) م. ن ل ٤ ب.

وسئل: «أيّ الحال أولى بالعالم؟ هل العدالة حتّى تظهر الجرحة أو الجرحة حتّى تظهر العدالة؟»، فقال: «معاذ الله أن تكون الجرحة أولى بالعالم من العدالة، بل العدالة أولى، ألا ترى إلى قول النّبيّ عليه السّلام: «أفضلُكم من تعلّم القرآن وعلّمه...»[1] فكذلك العالم على العدالة حتّى تثبت الجرحة»[2].

وهذا قريب ممّا ذهب إليه ابن عبدالبرّ (ت ٤٦٣) في هذا الصّدد حيث اعتبر أنّ كلّ حامل علم معروف العناية به محمول أبداً على العدالة حتّى يتبيّن جرحه، وقد ردّ أهل الصّناعة قوله[3].

شـروط الجـارح:

وسئل ابن سَحنون عن العالم هل يجرحه من ليس بقارىء مثله؟ قال: «نعم، إذا كان المُجرّح عدلاً، عارفاً بما يوجب التّجريح، وبماذا وقع به التجريح، ويذكر ما يجرحه به»[4].

كلام الأقران بعضهم في بعض:

ولم يرض ابن سَحنون أن يُجرِّح العالم عالماً مثله، واعتبر أنّه لا عبرة بكلام بعضهم في بعض: «لأنّ العلماء بعضهم لبعض أشدّ تحاسداً من تيوس في زرائبها»[5].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ١٠٨/٦، وابن ماجه في المقدمة باب فضل من تعلم ا لقرآن وعلمه ٢١٣/٩٣/١ كلاهما من طريق عثمان رضي الله عنه.

(٢) الأجوبة ل ١.

(٣) انظر: قول ابن عبدالبر ودليله ورد العلماء عليه في تدرب الراوي ٣٠٢/١ ـ ٣٠٤، علوم الحديث لابن الصلاح ٩٥، التمهيد ٢٨/١، تيسير مصطلح الحديث ١٤٥، التقييد والإيضاح ١٣٨، ١٣٩.

(٤) الأجوبة خط ل ٢ أ.

(٥) م. ن ل ٢ ب، ل ٦ ب، وهذا القول أخرجه ابن عبدالبر من كلام ابن عباس وغيره، انظر: جامع بيان العلم ١٥١/٢.

وهذه المسألة فيها تفصيل عند المحقّقين الـذين قرروا وجـوب النّظر في السّبب الحامل على طعن القرين في قرينه: فإن كان ذلك لغضب أو حسد أو تعصّب مذهبيّ أو اختلاف في الاجتهاد والتّأويل.. فهذا لا يلتفت إليه ولا يؤخذ على ظاهره، أمّا إذا جاء الجارح ببيّنة عادلة لا يبتغي من ورائها إلاّ مرضاة الله عزّ وجل فإنّها تكون معتبرة[1].

٢ ـ من فروع اختلال العدالة: رواية المبتدع[2] وحكمها عند القرويّين:

المقصود بالبدعة هنا المخالَفة للسّنّة على رأي الأكثر[3]، والمبتدع هو من فسق لمخالفته عقيدة السّنّة[4] أو عدم سلوك طريقها، وخاصّة من كان من أهل الفرق الكلاميّة المنحرفة كالمعتزلة والمرجئة والرّافضة والشّيعة، والخوارج، وقد وُجد معظم هذه الفرق في القيروان كما تقدّم في التمهيد[5]، وكان لأهل السّنّة بالقيروان حساسيّة خاصّة تجاههم.

وقد اختلف أهل القيروان في أمر المبتدعة، وجمهـورهم من المتشدّدين معهم، الرّادّين لروايتهم، الدّاعين إلى فضح ما هم عليه من الضّلال، فقد قال أسد بن الفُرات: «ثلاثة لا غيبة فيهم: صاحب بدعة، وأمير غشوم، ومن ألقى جلباب الحياء وجاهر بالسّوء»[6].

---

(١) انظر: جامع بيان العلم ٢/١٥٠ ـ ١٦٣، قاعدة في الجرح والتعديل ١٤.

(٢) انظر عن رواية المبتدع: أسباب اختلاف المحديث لخلدون الأحدب ١/٤٨٣ ـ ٥١٤، علوم الحديث ١٠٣، دراسات في الجرح والتعديل ١١٢ ـ ١٢٨، الكفاية ١٩٤ ـ ٢١٠، قواعد الحديث ١٩٤، نزهة النظر ٥٠، منهج النقد في علوم الحديث ٨٣، الموقظة ٨٧، التدريب ١/٣٤، اختصار علوم الحديث ٩٩.

(٣) راجع المواضع أعلاه وخاصة أسباب اختلاف المحدثين ١/٤٨٤ ـ ٤٨٧.

(٤) منهج النقد ٨٣.

(٥) راجع مبحث الفرق الكلامية في القيروان.

(٦) الرياض ١/٢٦٨.

وجاء في تفسير يحيى بن سلَّام (ت ٢٠٠) ـ وكان شائعاً بالقيروان ـ بسند يحيى إلى أبي قِلَابَة قال: «لا تقاعد أهل الأهواء، ولا تسمع منهم...»[١].

وارتضى ابن أبي زيد (ت ٣٨٦) قول الإمام مالك: «لا تسلّم على أهل الأهواء... ولا تحدّث عنهم بالأحاديث»[٢]، ولعلّ المقصود من كان داعية إلى بدعته؛ إذ أنّه نقل عنه أيضاً: «لا يؤخذ من مبتدع يدعو إلى بدعته»[٣].

أمّا الإمام سَحنون فقد ذهب في شأنهم إلى أكثر من مسألة الرّواية عنهم، حيث قال فيهم: «... إن بانوا بدارهم، ودعوا إلى بدعتهم قوتلوا، وإن لم يَبِينوا بدارهم ويدعوا إلى بدعتهم فإنّه لا يسلّم عليهم، ولا يُناكَحوا، ولا يُعاد مريضهم، ولا تُشهد جنائزهم، أدباً لهم، ويُؤدَّبون، ويُسجنون، حتّى يرجعوا عن بدعتهم»[٤].

أمّا مسألة السّماع منهم فمنعُها مفروغ منه عنده، فإنّه ما إن تولّى القضاء حتّى منع الصُّفْرِيَّة والإباضيَّة والمعتزلة من التّدريس في جامع عُقبة، وفضّ حلقهم، وعزلهم عن إسماع النّاس أو تعليم أولادهم[٥].

وكان عامّة النّاس بالقيروان على هذا المذهب، فإنّهم زهدوا في البُهلول بن صالح التُّجيبي المحدث (ت ٢٣٣)[٦] بالرّغم من سعة علمه وتركوا الأخذ عنه؛ لأنّه رمي بالقول بخلق القرآن و«لمّا مات وحُملت جنازته قلّ من كان معه من النّاس، ورُمي نعشه بالحجارة، وقال النّاس: «الوادي، الوادي»، أي ألقوه في الوادي»[٧].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام خط ل ١٠٩ ب، وفي السند النضر بن معبد وهو ضعيف عند الأكثرين، وذكره ابن حبان في الثقات، انظر: اللسان ٦/١٦٥.

(٢) الجامع لابن أبي زيد ١٢٥. (٣) م. ن ١٤٧.

(٤) الجامع في السنن والآداب ١٢٦.

(٥) انظر: المدارك ١/٦٠٠، المعالم ٢/٨٧.

(٦) ستأتي ترجمته رقم ٦ في المحدثين. (٧) ط أبي العرب ٩١.

كما مزّقوا أسمعتهم من عبدالله اليَحْصُبِي (ت ٢٢٧) وطرحوها على بابه لكلمة برزت منه[١].

وتركوا الحمل عن محمد بن رُشيد رغم سعة علمه، لتساهل رئي منه في المعاملة[٢].

كما أضاعوا فرصة الاستفادة من يحيى بن سلَّام (ت ٢٠٠) بسبب اتّهامه خطأً بالإرجاء[٣].

أمّا الرّأي المقابل، وهو قبول رواية المبتدع مطلقاً ما لم يستحلّ الكذب فيمثّله أبو العرب محمد بن أحمد التّميمي حافظ القيروان (ت ٣٣٣)، فإنّا نجده يثبت البدعة على الرّاوي أو يصفه بها ثمّ يوثّقه، مفرّقاً بين البدعة والعلم، بل إنّه وثّق بعض من كان داعية إلى بدعته، مثل أبي الخطّاب محمد بن عبدالأعلى الكِنْديّ الخارجي، أحد كبار دعاتهم في إفريقيّة، وقد خرج على بعض عمّال القيروان، وقاد عدّة معارك ضدّهم، قُتل في إحداها سنة ١٤٤ هـ[٤]، ومع كلّ هذا فقد قال فيه أبو العرب: «... وكان يرمى بهوى الصُّفْرِيَّة، وهو ثقة في علمه وما حمل»[٥].

وقال في عبّاس السّدري: «... وكان له هوى... وأُنكر عليه رأيه السّوء... وإنّما أُنكر عليه رأيه، ولم يرم بكذب في حديث»[٦].

وقال في عبدالله بن المغيرة، وكان ممّن يستحل شرب النّبيذ المسكر حتّى قيل إنّه «خرج سكراناً بيده سيف مسلول في السّوق»، «... أمّا حديثه فمستوى، حديث الحُذّاق بالحديث...»[٧].

---

(١) انظر: المدارك ١/٥١.
(٢) انظر: ط أبي العرب ١١٠، وفيه ترجمته أيضاً.
(٣) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين.
(٤) انظر: البيان المغرب ١/٧٠ - ٧٢.
(٥) ط أبي العرب ٨٧، الرياض ١/٢٥١.
(٦) ط أبي العرب ١٢٠.
(٧) ط أبي العرب ٨١

٣ ـ الضّبـط:

وهو الصّفة التي تكتمل بها ثقة الرّاوي، وتُؤهّله «لأن يروي الحديث كما سمعه»[١]، وهو عند أهل القيروان ـ كما هو الحال عند غيرهم[٢] ـ نوعان: ضبط الصّدر وضبط الكتاب[٣]، إلاّ أنّ اعتبارهم لضبط الكتاب أكثر من اعتبارهم لضبط الصّدر[٤]:

أ ـ **ضبط الكتاب**: وهو تقييد الحديث في الكتاب كما سمعه الرّاوي، ثمّ مقابلته بأصل شيخه أو فرع موثّق، وضبط مشكله والمحافظة عليه كي لا تناله يد بتغيير، حتّى يتمكّن من أدائه كما سمعه متى شاء[٥].

وكان لأهل القيروان اهتمام كبير بهذا الجانب، وقد تقدّم شيء من هذا في فصل الرّواية [٦].

وقد شدّد الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) في أمر الحفاظ على السّماع كي لا يناله تغيير ليُؤَدَّى على وجهه [١١].

وربط نُقَّادهم بين التّوثيق وبين صحّة الكتاب، قال أبو العرب: «كان شيخاً صالحاً ثبتاً صحيح الكتاب حسن التّقييد» [٨]، وقال المالكي: «كان ضابطاً كثير التّقييد» [٩]، وقال أبو العرب: «كان صالحاً ثقة ثبتاً ضابطاً لكتابه».

---

(١) منهج النقد ٨٠.

(٢) راجع المصادر المثبتة في أول هذا المبحث.

(٣) انظر مثلاً: الجامع في السنن والآداب ١٤٧.

(٤) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٧٣.

(٥) انظر: مقاصد الحديث للتازي ٦٤، توجيه النظر ٣٤٩، التدريب ٢/٦٤، ٦٨، ٧٧.

(٦) راجع مبحث تدوين الحدث.

(٧) الملخص خط ٤ أ.

(٨) الرياض ١/٤٦١.

(٩) الرياض ٢/٣٠٩.

وربط الإمام سَحنون بين صحّة الكتاب وصحّة الرّواية، وبالعكس، فقال: «من صحّت كتبه صحّت روايته، ومن سقم كتابه سقمت روايته»[٢].

ب ـ **ضبط الصّدر**: وهو أن يحفظ الرّاوي لفظ حديثه كما سمعه، ويداوم على ذلك بحيث يتمكّن من أدائه على النّحو الذي سمعه به متى شاء[٣].

وكانت الدّعوة إلى إتقان حفظ الحديث بالقيروان مبكّرة، حيث كان أمير القيروان التّابعي الثّقة إسماعيل بن عُبيدالله بن أبي المُهاجِر (ت **١٣١**) يقول: «ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ كما نحفظ القرآن»[٤].

وممّن اشترط ذلك في الرّواية: أبو محمد ابن أبي زيد متابعاً للإمام مالك، فقد جاء في الجامع: قيل لمالك: «أيؤخذ ممّن لا يحفظ الأحاديث وهو ثقة؟». قال: «لا». قيل: «يأتي بكتبه قد سمعها؟». قال: «لا تؤخذ منه، أخاف أن يُزاد في كتبه باللّيل»[٥].

وأشار القابِسي أيضاً إلى ضرورة حفظ الحديث إلى جانب حفظ الكتاب[٦]، وتقدّم في فصل الرّواية أنّه لا يقول بجواز الرّواية بالمعنى[٧]، كما أنّي لاحظت في الأحاديث المرويّة عن القابِسي من الصّحيح مطابقتها للفظ صحيح البخاري.

٤ ـ من فروع اختلال الضّبط:

أ ـ **كثرة الخطأ في الكتاب**: وقد كان أبو العرب يضعّف الرّاوي بسبب سوء تقييده وعدم قيامه بكتبه، ومن ألفاظه في التّضعيف بهذا السّبب قوله: «في كتبه

---

(١) المدارك ١٢٦/٥.
(٢) الرياض ٣٧٣/١.
(٣) انظر: مقاصد الحديث للتازي ٦٤.
(٤) ارجع إلى ترجمته في القسم الثاني من التابعين رقم ١.
(٥) الجامع ١٤٧.
(٦) الملخص خط ٤ أ.
(٧) راجع مبحث الرواية بالمعنى.

تصحيف كثير، لم يكن يقوم بها»[1]، وقوله: «لم تكن عنده دراية لما في كتبه ولا ضبط لذلك»[2]، وقوله: «في كتبه خطأ وتصحيف»[3].

ب ـ **النّوم وقت السّماع**: هذا ممّا تختلّ به الرّواية وتُترك على الأرجح[4]، وقيل: إنّ النّعاس الخفيف الذي لا يمنع المتابعة لا يضرّ[5].

أمّا أهل القيروان فلهم فيه قول واحد هو صحّة هذا السّماع وإجزاؤه، بناء على قصده للسّماع، وحضوره من أجله، وقد جزم بذلك الإمام سَحنون (ت ٢٤٠) وتابعه عليه يحيى بن عمر (ت ٢٨٩) وروى ذلك عنهما طلبتهما الكثيرون[6].

قال سليمان بن سالم (ت ٢٨٩)[7]: «كنّا عنده (أي سحنون) يوماً، ومعنا رجل يقال له خَلَف بن جُبَير[8]، والقارىء يقرأ فنعس خَلَف هذا حتّى قرأ القارىء ما شاء الله من ذلك، ثمّ انتبه»، فاختلفنا في سماعه فسألنا سَحنوناً فقال: «إذا جاء السّماع وله قصده فهو يجزئه»[9].

وقال يحيى بن عمر: سألنا سَحنوناً عمّن نام حال القراءة فقال: «إذا جاء إلى السّماع وله قصده أجزأه»[10].

---

(١) ط أبي العرب ١١٨.

(٢) المدارك ١٣٤/٤.

(٣) المدارك ٢٦٩/٣.

(٤) انظر: الكفاية ٢٣٧، الإلماع ١٤٤، تيسير مصطلح الحديث ١٤٨.

(٥) انظر: اختصار علوم الحديث ١١٦.

(٦) انظر: المدارك ٢٣٨/٣، اللسان ٢٧١/٦، ٢٧٢.

(٧) أحد كبار تلاميذ سحنون، وكان كثير الرواية والشيوخ، وسُمع منه في حياة سحنون تم تولى قضاء جزيرة صقلية وبث فيها علمه. انظر: المدارك ٢٣٣/٣، ط الخشني ١٤٧، المعالم ٢٠٦/٢.

(٨) أبو محمد يعرف بـ: زدو، تولى الحكومة للقاضي ابن طالب. المدارك ٤١٧/٤.

(٩) الرياض ٣٧١/١.

(١٠) اللسان ٢٧٢/٦.

جـ ـ سماع من بَعُد فلم يسمع صوت الشّيخ أو القارىء: وهو أيضاً ممّا يختل به الضّبط عند أهل المشرق، وجوّز بعضهم سماع من يستفهم منهم جليسه، عن بعض ما لم يتّضح لسمعه[1].

أمّا القرويّون فقد ذهب بعضهم إلى صحّة هذا السّماع قياساً على تصحيح سَحنون لسماع النّائم في مجلس السّماع، كما مرّ، قال أبو الحسن اللَّوَاتِي[2]: «كنّا عند يحيى بن عمر بسُوسَة، يُسمِع النّاس في المسجد، فيمتلىء المسجد وما حوله، فسأله من بَعُد عن أسماعهم فقال: يجزئهم...»[3]، ثمّ احتجّ بقول سَحنون السّابق.

د ـ سماع من كان ينسخ وقت السّماع: اختلف العلماء في صحّة سماع من كان ينسخ وقت القراءة، فأجازه قوم ومنعه آخرون، وفصّل ابن الصّلاح وغيره القول في المسألة فاعتبروا أنّ ذلك لا يصحّ إذا كان النّسخ يمنع فهم النّاسخ لما يقرأ، ويصحّ إذا لم يمنع[4].

أمّا أهل القيروان فلم يجزموا بأحد القولين فيما بين يديّ من المصادر، ولعلّهم ذهبوا إلى إجازتهما جميعاً، قال كاتب الإمام أبي الحسن القابِسي: «قعدت أنسخ ونحن نسمع من الشّيخ أبي الحسن، فحكى أنّ حمزة الكناني[5] نهى بعضهم عن النّسخ وهو يسمع، ثمّ سكت ـ يعني أبا الحسن ـ ولم ينهني ولم يأمرني بالتّمادي»[6]، فنهْيُ البعض يستفاد منه التّفصيل، وكذا موقف القابِسي من

---

(١) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ١٣١، ١٣٢.

(٢) انظر عنه: المدارك ٦٢٢/٣.

(٣) المدارك ٢٣٨/٣، اللسان ٢٧١/٦.

(٤) انظر: علوم الحديث ١٢٩، اختصار علوم الحديث ١١٥، الكفاية ١٢٠.

(٥) هو الحافظ حمزة بن محمد الكناني، راوية سنن النسائي، وأحد كبار المحدثين بمصر (ت ٣٥٧)، انظر: حسن المحاضرة ٣٥١/١.

(٦) الإلماع ١٤٣.

هذا الذي ينسخ وقت السّماع، فلعلّهم تركوا من وثقوا في مقدرته على الجمع بين النّسخ واستيعاب السّماع، ومنعوا من لم يكن كذلك.

ثانياً: علوم الرّجال عند القرويّين، وهي أنواع متعدّدة منها:

النّوع الأوّل: الجرح والتّعديل:

وهو علم يُبحث فيه عن عيوب الرّواة الموجبة لإسقاط حديثهم، والصّفات المقابلة الموجبة لقبوله، مع التّعبير عن كل ذلك بألفاظ وعبارات مخصوصة رتّبها النّقاد(١).

١ ـ عناية علماء القيروان بهذا الفنّ:

لقد كان للقرويّين اهتمام كبير بعلوم الجرح والتّعديل، كما هو واضح في المصادر، وخاصّة من خلال أهمّ كتابين وصلانا في رجال في هذه الفترة، وهما: كتاب طبقات أبي العرب، وكتاب رياض النّفوس للمالكي، حيث كثر في تراجمهما ذكر تعديل الرّواة أو تجريحهم(٢).

وقد عُرف بإتقان هذا الفنّ والكلام حول الرّواة جماعة من محدّثي القيروان منهم:

ـ الإمام سَحنون بن سعيد (ت **٢٤٠**)(٣).

ـ ابنه الإمام محمد بن سَحنون (ت **٢٥٦**)(٤).

---

(١) انظر دراسات في: الجرح والتعديل ٤٥، ١٦٩، الحطة ٨٣، منهج النقد ٩٢، علوم الحديث ١١٠، جامع الأصول ١/٧٠، الكفاية ٨٢.

(٢) سيأتي التعريف بالكتابين في فصل المصنفات مع الإحالة على بعض المواضع التي فيها جرح أو تعديل.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٩، ١١٩، المدارك ١/٩٣، ١٤ظ.

(٤) راجع ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.

ـ محمد بن يحيى بن سلّام (ت ٢٦٢)[١].

ـ أحمد بن مُعتِّب (ت ٢٧٧)، وقد أخذ هذا العلم عن أبي الحسن أحمد بن عبدالله العِجْلِي (ت ٢٦١) صاحب تاريخ الثّقات، والجرح والتّعديل[٢].

ـ فُرات بن محمد العَبْدي (ت ٢٩٢)، على الرّغم من ضعفه[٣].

ـ بَكر بن حمّاد التّاهَرْتي (ت ٢٩٦)، وقد نقل عنه أبو العرب كثيراً ممّا يتعلّق بأحوال الرّجال[٤].

ـ سعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)، وقد ذكرت نماذج من ذلك في ترجمته[٥].

ـ مالك بن عيسى القفصي (ت ٣٠٥)[٦].

ـ لقمان بن يوسف (ت ٣١٩)[٧].

ـ الحافظ أبو العرب محمد بن أحمد التّميمي (ت ٣٣٣)، وهو أشهرهم في هذا الفنّ على الإطلاق، وكلّ من أتى بعده عيال عليه في أحوال رجال إفريقيّة[٨].

ـ ربيع القطّان (ت ٣٣٣)، وقد وصفه المالكي بذلك[٩].

---

(١) انظر: وصفه بذلك في ترجمته رقم ٣٥ في المحدثين.

(٢) راجع ترجمته رقطم ٢ في المحدثين. انظر عن أبي الحسن العجلي: طبقات الحفاظ ٢٤٦، مقدمة تاريخ الثقات ٤٣.

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في ترجمته رقم ٢٨ في المحدثين.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٢ في المهاجرين، وارجع التعريف بطبقات أبي العرب ص ٦٣٨.

(٥) رقم ١٥ في المحدثين.

(٦) راجع ترجمته رقم ٥ في المهاجرين.

(٧) راجع ترجمته رقم ٢٩ في المحدثين.

(٨) سيأتي ذكر ذلك في ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين، وراجع التعريف بطبقاته وبكتابه ثقات المحدثين وضعافهم في المصنفات ص ٦٢٠، ٦٦٦.

(٩) الرياض ٢/٣٢٤.

ـ عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)[1].

ـ الإمام أبو الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)[2].

ـ موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)[3].

ـ عبدالرحمن بن محمد بن رَشِيق (ت بعد ٤٤٤)[4].

ـ أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي (ت بعد ٤٦٤) صاحب رياض النّفوس[5].

وبالرّغم من هذه الكثرة النّسبيّة للعلماء الذين كان لهم كلام في الرّواة فإنّ المصنّفات المباشرة في ذلك لم تكن كثيرة، حيث لم نعرف منها إلّا كتاب ثقات المحدّثين وضعافهم لأبي العرب، وهو مفقود[6] وتعليقات الفاسي (ت ٤٣٠)[7]، وقد صنّف القابِسي (ت ٤٠٣) كتاباً في تزكية الشّهود وتجريحهم[8]، ومن المفترض أن يكون تكلّم فيه على ما يتعلّق من ذلك بالرّواة، باعتباره من كبار المحدّثين ومن العارفين بالرّجال وأحوالهم.

أمّا المصنّفات المتعلّقة بتراجم الرّجال وأخبارهم ووفياتهم، والتي احتوت في ثناياها على كلام حول الرّواة فإنّها كثيرة، وقد ذكرت منها ما يزيد على خمسة وعشرين كتاباً في فصل المصنّفات[9]، أشهرها طبقات محمد بن سَحنون[10]،

(١) انظر: المدارك ٢٠٦/١، المعالم ١١٠/١، ١١٣.
(٢) انظر: ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.
(٣) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.
(٤) انظر: ترجمته رقم ١٧ في المحدثين.
(٥) راجع التعريف بالرياض في المصنفات ص ٦٤٧.
(٦) سيأتي التعريف به في المصنفات ص ٦٦٦.
(٧) انظر: المعالم ١٢٨/٣، المدارك ٣٥٨/٣.
(٨) انظر: الشجرة ٩٧/١.
(٩) انظر: مبحث أهم المواضيع التي صنف فيها محدثو القيروان ص ٥٧٤.
(١٠) المدارك ١٠٦/٣.

وتاريخه[1]، وطبقات رجال إفريقيّة لأبي العرب[2]، وكتاب التّاريخ له[3]، وكتاب الافتخار بمناقب شيوخ القيروان وما تعلّق بهم من تاريخ فقهاء الأمصار لعَتِيق التُّجيبي (ت ٤٢٢)[4]، وكتاب أخبار العلماء شرقاً وغرباً لعبدالرحمن بن محمد بن رَشيق (ت بعد ٤٤٤)[5] وغيرها.

٢ ـ من شروط النّاقد عند القرويّين[6]:

ينبغي على المتصدّي للجرح والتّعديل أن يكون:

- عدلاً أي مسلماً عاقلاً بالغاً، تقيّاً، حتّى لا يتحامل على غيره بغير وجه حقّ أو يُعدّل من ليس أهلاً لذلك.
- عالماً بما يوجب التّجريح، حتّى لا يجرح بما ليس بجارح.
- عارفاً بماذا وقع تجريح ذلك الشّخص بعينه.
- أن يذكر ما يجرحه به؛ لأنه قد لا يكون جارحاً عند غيره.
- ألّا يكون قريناً لما يجرحه، وقد مرّ قريباً التّنبيه على ما في هذا الشّرط من التّفصيل عند أهل التّحقيق.

٣ ـ ألفاظ التّعديل والتّجريح عند علماء القيروان:

وردت عن القرويّين ألفاظ كثيرة تتعلّق بتعديل الرّواة وتجريحهم، غير أنّ المادّة المتوافرة ليس فيها ما يشير إلى أنّهم قاموا بترتيب هذه الألفاظ وتحديد درجاتها، وسأسوق نماذج من هذه الألفاظ بعد أن أُرتّبها مستأنساً في ذلك بالمراتب التي وضعها أهل الصّناعة، معتبراً ما انتهى إليه الأمر بعد عهد الحافظ

---

(١) الرياض ١/٩١.
(٢) ط أبي العرب ٢٩، ١٧٣.
(٣) المعالم ٣/٤٣.
(٤) المعالم ٣/١٥٨.
(٥) المعالم ٣/١٨٦.
(٦) مستمدة من كتاب الأجوبة لمحمد بن سحنون خط ل ٢ أ، ٦ ب، وقد تقدمت الإشارة إلى شيء منها قريباً.

أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (ت ٨٥٢) من جعل ستّة مراتب لكلّ من الجرح والتّعديل[1]:

أ ـ ألفاظ التّعديل لدى محدّثي القيروان، وتنزيلها على مراتبها:

أعلى المراتب: وهي ما دلّ على المبالغة في التّوثيق، أو كان على وزن أفعل، ولم أعثر على استعمال لها عند أهل القيروان.

الثّانية: وهي ما تأكّد بصفة أو صفتين من صفات التّوثيق، ومن ألفاظها عند القرويّين: أحد الثّقات الأثبات[2]، إمام من أئمّة المسلمين[3]، من خيار هذه الأمّة[4]، من خيار خلق الله[5]، من خيار النّاس[6]، من الحفّاظ[7]، ثقة ثبت[8]،

---

(١) أول من عرف بترتيب هذه اللاألفاظ عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧) في كتابه الجرح والتعديل ٢/٣٧، وكان للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) كلام في ذلك فيما ذكر ابن الصلاح (علوم الحديث ١١٣)، وانظر: الكفاية للخطيب ٨١ ـ ٩٢، ١٤٥ ـ ١٤٧، وحافظ ابن الصلاح (ت ٦٤٣) على ترتيب ابن ابي حاتم مع زيادة بعض الألفاظ (علوم الحديث ١١٠)، ثم زاد الذهبي (ت ٧٤٨) مرتبة أعلى من الأولى عند ابن أبي حاتم (الميزان ١/٤)، وحافظ العراقي (ت ٦٠٨) على هذه المرتبة (انظر: فتح المغيث ١/٣٦١)، ثم زاد ابن حجر مرتبة أعلى. (انظر: مقدمة التقريب ١/٤، نزهة النظر ٦٩) فأصبحت مراتب التعديل ستة، ويقابلها ست مراتب في التجريح. ويحتمل أن تكون زيادة هذه المرتبة العليا من الهروي (ت ٨٣٧) في كتابه جواهر الأصول ص ٦٠، لا من ابن حجر (ت ٨٥٢) لأن الهروي متقدم في الزمن قليلاً على ابن حجر كما هو واضح من تاريخ وفاتيهما، غير أنه ليس هناك ما يمكن الاستناد إليه للجزم بأحد الاحتمالين، وإن كان المشهور عند الباحثين المعاصرين أن تلك المرتبة من زيادة ابن حجر.

(٢) الرياض ١/٢١٥.
(٣) الرياض ١/٢٣٠.
(٤) ط أبي العرب مح ١٠٤.
(٥) ط أبي العرب ٣٧.
(٦) الرياض ٢/٢٠.
(٧) ط أبي العرب ٣٧.
(٨) ط أبي العرب ٣٧، المدارك ٣/٢٣٠، ٢٣٥.

ثقة خيار[1]، ثقة حسن الكتاب والتّقييد[2] ، ثقة مجتهد ورع [3] ، ثقة مأمون [4] ، ثقة مأمون رجل صالح[5] ، ثقة مأمون عالم بالحديث[6] .

الثّالثة: وهي التّوثيق بلفظ واحد دون تأكيد، ومن ألفاظها عندهم:

ثقة[7]، شيخ صالح ثبت[8]، شيخ صالح ثقة[9]، صالح ثقة[10]، لم يُختلف في توثيقه[11]، ثقة فاضل[12]، ثقة نبيل[13]، ثقة في حديثه[14]، رجل صالح مبرّز لا يُشكّ في أنّه ثقة[15]، ثقة رجل صالح[16].

الرّابعة: وهي ما دلّ على التّعديل دون إشعار بالضّبط، ومن ألفاظها عندهم:

صدوق[17]، صدوق في حديثه[18]، صالح ثقة في نفسه[19]، ما سمعت من يذكره إلّا بخير[20].

الخامسة: وهي الألفاظ التي ليس فيها دلالة على التّوثيق، أو التّجريح: ما

---

(1) ط أبي العرب ٩٧.
(2) المدارك ٢٤٦/٣.
(3) ط أبي العرب ٥٢.
(4) ط أبي العرب ٦١، ٦٢، ٧٢، ١٣٩، الرياض ١٤٨/١.
(5) ط أبي العرب ٧٤، ١٠٩.
(6) ط أبي العرب ١٠٦.
(7) ط أبي العرب ٧٦، ٧٧، ٧٩، الرياض ٢٤٧/١، ١٢/٢.
(8) الرياض ٤٦١/١.
(9) المدارك ٢٦٠/٣.
(10) المدارك ٢٤٧/٣.
(11) المدارك ١٣٠/٣.
(12) ط أبي العرب ١١٢.
(13) ط أبي العرب ٤٣.
(14) ط أبي العرب ٣٤، ٧٥.
(15) ط أبي العرب ٤٥.
(16) المدارك ١٢٨/٣.
(17) المدارك ١٢٨/٣.
(18) اللسان ٦٨/٢، نقلاً عن الرياض للمالكي.
(19) المدارك ٢٦٩/٣.
(20) ط أبي العرب ٣٤.

طعن عليه بشيء[1]، ما علمت أحداً ذكره بسوء[2]، ما سمعت أحداً يذكره بسوء[3]، ما علمت إلاّ خيراً[4]، لم أسمع فيه بسوء[5].

السّادسة: ما أشعر بالقرب من التّجريح، مثل: رجل صالح[6].

ب ـ ألفاظ التّجريح:

أخفّها وأسهلها: ما دلّ على التّليين، ومن ألفاظها عندهم: حديثه يدلّ على لينه[7]، ما يحتاج إلى معرفة حاله بأكثر من حديثه[8]، ما يحتاج إلى معرفة حاله بأكثر من روايته[9].

الثّانية: وهي ما صرّح فيه بعدم الاحتجاج وشبهه، ومن ألفاظها عندهم: يروي غرائب لا يرويها غيره[10]، يروى مناكير لا يرويها غيره[11]، في حديثه مناكير الله أعلم بما تدلّ عليه[12]، وهو عند المحدّثين ضعيف في روايته[13]، ضعّف ابن معين حديثه[14]، سمعت من عُنيَ بالحديث يستضعفه[15]، كثير من حديثه منقطع[16]، في حديثه لين ومقطوع كثير، وهو ثقة[17]، (أي في نفسه بمعنى عدل).

الثّالثة: ما دلّ على كتابة حديثه ونحو ذلك: في كتبه تصحيف كثير لم يكن يقوم بها[18]، نفره ابن وهب حتّى أوهنه[19]، في كتبه خطأ وتصحيف[20].

---

(١) ط أبي العرب مح ١٥٥.
(٢) ط أبي العرب مح ١٥٧.
(٣) ط أبي العرب مح ١٩٨.
(٤) ط أبي العرب مح ١٧٩.
(٥) ط أبي العرب ١٢٠.
(٦) ط أبي العرب مح ١٩٨.
(٧) ط أبي العرب مح ١٧٧.
(٨)، (٩) ط أبي العرب ٩٨، ٩٩.
(١٠) الرياض ٢/٣٣.
(١١) ط أبي العرب مح ٩٤.
(١٢) ط أبي العرب مح ١٩٧.
(١٣) ط أبي العرب مح ١٠٥.
(١٤) ط أبي العرب مح ٩٦.
(١٥) ط أبي العرب مح ١٦٠.
(١٦) ط أبي العرب ١٠٠.
(١٧) ط أبي العرب ١١١.
(١٨) المدارك ٣/٢٦٩.
(١٩) ط أبي العرب ١١٨.
(١٠) ط أبي العرب مح ١٩٧.

الرّابعة: ما فيه اتّهام بالكذب ونحوه: متّهم بالكذب أو معروف به[1].

الخامسة: ما دلّ على وصفه بالكذب ونحوه، مثل:... فقبّح الله من يكذب[2]، ضالّ مضلّ[3].

السّادسة: ما دلّ على المبالغة في الكذب، مثل: وهو عند أهل التّمييز كذّاب[4].

٤ ــ بعض القواعد المتعلّقة بهذا المبحث:

أ ــ حكم التّعديل على الإبهام دون تسمية المعدّل: التّحديث عن الثّقة دون تسميته أمر شائع في كتب القرويّين، مثل قولهم: أخبرني من أثق به[5]، ذكر لي من أثق به[6]، حدّثني من أثق به[7]، فمن ذلك ما حدّث به الثّقة[8]، سمعت من أثق به يقول[9]، حدّثني شيخ من حملة العلم[10]،،،.

وقضيّة صنيع القرويّين أنّ ذلك ملزم لقبول الخبر، لأنّهم قد يسوقون ذلك في معرض الاحتجاج[11]، أمّا جمهور المشارقة من المحدّثين وغيرهم فلم يروا ذلك ملزماً للسّامع، لأنّ شيخ الرّاوي مجهول عنده، ويجوز لو سمّاه أن يُعرف

---

(١) ط أبي العرب ١٠٠.

(٢) ط أبي العرب ٤٣، كذا ورد اللفظ «نفره» ولعله نقره.

(٣) تنزيه الشريعة ١/٩٥ نقلاً عن ط الخشني، كذا ورد الجمع بينهما ومعروف أن الوصف بالكذب أعظم وأحط درجة في المراتب من مجرد الاتهام به.

(٤) ط أبي العرب مح ١٦٠.

(٥) اللسان ٧/٩٤ نقلاً عن أبي العرب.

(٦) المدارك ٣/٢٦١.

(٧) الرياض ١/٥٠.

(٨) الرياض ١/٥٣.

(٩) ط أبي العرب ٣٥، ٤٥، ٤٦.

(١٠) الرياض ١/٤١١.

(١١) راجع المواضع المحال عليها في التعليقات السابقة.

بخلاف الثّقة والأمانة، وهذا هو الصّحيح، ومنهم من ذهب إلى أنّه تعديل معتبر إذا كان القائل عالماً مجتهداً، فيكفي تعديله في حقّ موافقه في المذهب[1].

ب ـ معرفتهم لبعض من قيل فيه ذلك: ولعلّ قبول خبر من وُصف بأنّه ثقة ولم يسمّ مبنيّ على معرفة اسمه عندهم غالباً، فإنّ علماءهم كانوا ينبّهون على مثل ذلك، كقول يحيى بن عمر (ت ٢٨٩): «إذا رأيت محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) يقول: حدّثني الثّقة عن سَحنون فهو ثابت بن سليمان»[2].

وقد كان الإمام مالك كثيراً ما يستعمل التّوثيق على الإبهام[3]، فلعلّ أهل القيروان تأثّروا به في ذلك.

جـ ـ حكم الرّجوع في الرّواية لدى القرويّين: وصورة المسألة كالتّالي:

إذا حدّث الشّيخ بعض طلبته أو أجازهم، ثمّ اطّلع من حالهم على ما يجرح ويخلّ بشرف حمل العلم، فهل يجوز له أن يرجع فيما رواه أو أجازه لهم؟ وما أثَر ذلك على روايتهم لما حملوه عنه؟.

لقد رجع في الرّواية المحدّث القروي عبدالله بن أبي هاشم بن مسرور التُّجيبي (ت ٣٤٦)[4]، معتبراً صحّة الرّجوع في ذلك، وأنّ هذا الرّجوع قادح في روايتهم، ولم أقف على أنّ أحداً من معاصريه أو من بعدهم من القرويّين ناقش هذا الرّأي، فلعلّهم يذهبون إليه أيضاً، خاصّة وقد ورد نحوه عن بعض الأندلسيّين والمغاربة[5].

---

(١) انظر: الكفاية ٥٣١، تقريب النووي ١/٣١٠، التدريب ١/٣١٠، ٣١١، علوم الحديث ٩٩، ١٠٠، قواعد التحديث ١٩٦.

(٢) مناقب أبي إسحٰق ١٠، المدارك ٣/٢٥٩.

(٣) انظر: تدريب الراوي ١/٣١١.

(٤) ستأتي ترجمته رقم ٢٢ في المحدثين.

(٥) انظر: الإلماع ١١١، المعالم ٣/٥٩، المدارك ٣/٣٤٣.

ولم يكتف عبدالله بن أبي هاشم في الرّجوع بمجرّد القول، بل إنّه كتب بذلك محضراً قال القاضي عياض[1]: «وكان رحمه الله تعالى قد نبذ جماعة من أصحابه لأشياء اطّلع عليهم فيها، فكتب عليهم محضراً يقول فيه: «يشهد من تسمّى في هذا الكتاب أنّ عبدالله بن مسرور أشهدهم أنّ فلاناً وفلاناً كانوا يأخذون عنه العلم، فسألوا أن أجيزهم كتبي ففعلت، فاشهدوا عليّ أنّي رجعت فيما رووا عنّي، وعن إجازتي لهم كتبي، لما ظهر فيهم من سوء حالهم، وكذا، وكذا. . .»».

ثمّ عقّب القاضي عياض على ذلك بقوله: «مثل هذا لا يضرّ الرّواية، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من أصحابه، ولعلّه لم يخْفَ عليهم أنّ الرّجوع فيها لا يصحّ لكنّه كالرّدع والتّجريح لهم بمثل هذا».

وقد ذهب إلى مثل هذا في الإلماع أيضاً[2]، وقال: «ولعلّ هذا لمن فعله تأديب منهم، وتضعيف لهم عند العامّة، لا لأنّهم اعتقدوا صحّة تأثيره»[3].

النّوع الثّاني: المتّفق والمفترق[4]:

وهو اتّفاق أسماء الرّواة وأسماء آبائهم، أو كناهم، أو نسبهم خطّاً ولفظاً، مع اختلاف أشخاصهم.

وقد اعتنى به علماء الرّجال وبيّنوه كلّ على قدر علمه، حتّى لا يلتبس الرّواة فيُظن المشتركون في الاسم واحداً مع أنهم جماعة، وليتميّز كلّ منهم عن صاحبه، فربّما كان بعضهم ثقات وبعضهم ضعفاء، والأمثلة على ذلك كثيرة

(١) المدارك ٣٤٢/٣، وانظر: المعالم ٥٨/٣.

(٢) الإلماع ١١٠. (٣) الإلماع ١١١.

(٤) انظر: علوم الحديث ٣٢٤ ـ ٣٣١، الباعث الحثيث ٢٢٧، فتح المغيث ٢٦٩/٣ ـ ٢٨٣، منهج النقد ١٨٠، تيسير مصطلح الحديث ٢٠٥، المحدث الفاصل ٢٧٩، ٢٨٧، التنكيل ٦٢/١.

جدّاً، وقد ذكر منها المعلمي أكثر من عشرة مع بيان أقوال النّقّاد في رجال كلّ مثال[1].

وقد عرف أهل القيروان قسماً من هذا النّوع ـ حسب المادّة المتوافرة ـ وهو ما اتّفق فيه الاسم واسم الأب، فقد جاء في طبقات أبي العرب: «قال لي فُرات[2]: كلّ من روى عنه عبدالرحمن بن زياد فهو من أهل إفريقيّة، أو ممّن دخلها إلّا مسلم بن يسار»[3]، قال أبو العرب: «يحسب فُرات أنّه مسلم بن يسار البصري[4]، ومسلم بن يسار هذا الذي روى عنه عبدالرحمن هو من أهل إفريقيّة»، ثمّ ساق أبو العرب بسنده إلى أحمد بن حَنْبَل قال: «الإفريقيّ عن مسلم بن يسار، ليس هذا مسلم بن يسار البصري، هذا رجل أُراه من ناحية إفريقيَّة يحدّث عن ابن المسيَّب»، وقال يحيى بن معين: «مسلم بن يسار الذي يروى عنه عبدالرحمن هذا رجل من أهل إفريقيَّة»[5].

ووُجد بإفريقيَّة عليّ بن زياد، رجلان: أوّلهما: أبو الحسن علي بن زياد التونُسي (ت ١٨٣)[6]، والثّاني: أبو الحسن علي بن زياد الحِمْصِيّ، دخل القيروان وبثّ فيها العلم[7] وهو من طبقة علي بن زياد التونُسي.

---

(١) انظر: التنكيل ١/٦٢ ـ ٦٤.

(٢) هو فرات بن محمد العبدي (ت ٢٩٢) أحد شيوخ أبي العرب، ستأتي ترجمته رقم ٢٨ في المحدثين.

(٣) هو مسلم بن يسار الطنبذي الإفريقي، تابعي سكن القيروان، وبث فيها العلم، وبها كانت وفاته بعد سنة ١٢٠ هـ. ستأتي ترجمته رقم ١٦ في القسم الثالث من التابعين.

(٤) هو مسلم بن يسار البصري الأموي المكي، أبو عبدالله، تابعي ثقة عابد ت سنة ١٠٠ أو ١٠١ هـ، التهذيب ١٠/١٤٠.

(٥) ط أبي العرب ٢٤.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٢٥١، ط الفقهاء ٦٠، الشجرة ١/٦٠، إتحاف أهل الزمان ١/٩٩، الانتقاء ٦٠، المحن ٣٧٢.

(٧) انظر: ط أبي العرب ٤٣.

ومحمّد بن سعيد، رجلان: أحدهما: محمد بن سعيد بن غالب الأَزْدِيّ (ت ٢٧٧)، وهو ثقة وكان يحدّث[١]، والآخر: محمد بن سعيد الخشّاب المؤدّب، وهو أديب شاعر، كان حيّاً سنة **٣٣٣** هـ[٢].

وأحمد بن نصر، ثلاثة: أحمد بن نصر بن زياد الهَوَّارِي (ت ٣١٧)، وهو فقيه، مناظر، ثقة ثبت[٣]، ومن طبقته: أحمد بن نصر البَاجِي (ت ٣٠٧)، كان من المتكلّمين على مذهب أهل السّنّة[٧]، والثّالث: متأخّر، وهو أحمد بن نصر الدَّاوُدِي (ت ٤٠٢)، وهو محدّث، فقيه، متفنّن، صاحب تواليف جيّدة[٥].

النّوع الثّالث: تقييد المُهْمَل:

وهو ما يرد في الأسانيد من الأسماء التي يشترك فيها راويان أو أكثر ولم تتميّز[٦].

وهذا النّوع يمكن اعتباره من فروع النّوع السّابق، وقد كان للقرويّين اهتمام بهذا الجانب، ومعرفة بالأسماء المُهْمَلة الواردة في بعض الأسانيد، والتّمييز بين أصحابها، من ذلك القاعدة التي علّمها لهم أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) حين قال لطلّابه: «أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرّواية عن عبدالله فهو ابن مسعود، وأهل المدينة إذا أرسلوا عن عبدالله فهو ابن عمر»[٧].

---

(١) ط أبي العرب مح ٢٠٩، ٢٤٢.

(٢) انظر: الرياض ٢/٢٩٥، ٢٩٦، ٣٧١.

(٣) المدارك ٥/٩٣. (٤) المدارك ٥/٥٧.

(٥) المدارك ٣/٦٢٣.

(٦) تيسير مصطلح الحديث ٢١١، وراجع مصادر النوع الثاني.

(٧) الرياض ١/٢٦٧.

النّوع الرّابع: معرفة الصّحابة[1] لدى القرويّين:

وهو نوع مهمّ من أنواع علوم الرّجال، وهو من أخصّ ما ينبغي على أهل الحديث معرفته؛ لأنّ الصّحابة رضوان الله عليهم هم حملة السُّنّة، وناشروها، والمبلّغون عن الرّسول ﷺ، وقد أكّد العلماء في التّنبيه على ضرورة معرفة هذا النّوع، قال ابن عبدالبرّ[2]: «لا خلاف علمتُه بين العلماء أنّ الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكد علم الخاصّة، وأرفع علم الخبر وبه ساد أهل السّيـر».

واعتبـر ابن حَجَـر أنّ من أجـلّ معـارف علـم الحـديث تمييـز أصحـاب رسول الله ﷺ ممّن خلف بعدهم[3].

ولهذا الفنّ فائدة جليلة؛ إذ به يعرف المتّصل من المُرسَل والموقوف من المقطوع[4].

أمّا حدُّه فإنّ الأصحّ المختار عند المحقّقين، والذي عليه جمهور العلماء من المحدّثين وغيرهم سلَفاً وخلَفاً في تعريف الصّحابي أنّه: من لقي النبي ﷺ مُسلماً، ومات على الإسلام، ولو تخلّلت ذلك ردّة[5].

أي أنّهم اكتفوا في ذلك «بمجرّد (اللّقيّ) ولو لحـظة وإن لم يقع معهـا مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة لشرف منزلة النّبيّ ﷺ»[6].

وإلى هذا ذهب كثير من علماء القيروان منهم الإمام أبو محمد عبدالله بن

---

(١) انظر عن هذا المبحث عامة: توجيه النظر ١٦٦، جواهر الأصول ١٠٢، الإصابة ١/٣، الاستيعاب ١/٢، منهج النقد ١١٦، علوم الحديث ٢٦٢، الكفاية ٩٨، التقييد والإيضاح ٢٩١، التقريب ٢/٢٠٦، التدريب ٢/٢٠٦.

(٢) الاستيعاب ١/٨.

(٣) انظر: الإصابة ١/٣.

(٤) انظر: المصادر المثبتة في أول المبحث.

(٥) انظر: الكفاية ٩٩، ١٠٠، علوم الحديث ٢٦٣، الإصابة ١/١٠، فتح المغيث ٣/٩٣، أسد الغابة ١/١٢، الفتاوي ٤/٤٦٤، اختصار علوم الحديث ١٧٩.

(٦) فتح المغيث ٣/٩٣، وانظر: الإصابة ١/١٠، اختصار علوم الحديث ١٧٩.

أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) حيث قال: «وكلّ من صحبه ﷺ، ولو ساعة، أو رآه ولو مرّة، فهو بذلك أفضل من أفضل التّابعين»[١].

وكذا الإمام القابِسي بناء على روايته لحديث محمود بن الرَّبِيع[٢]، وهو قضيّة صنيع المالكي في رياض النّفوس، فإنّه عدّ في الصّحابة زُهَيْر بن قَيْس البَلَوِي وعُقبة بن نافع الفِهْرِي[٣]، وهما لا تكاد تثبت لهما حتّى مجرّد الرّؤية[٤].

وخالف في ذلك جماعة من القرويّين، منهم حافظ القيروان أبو العرب التَّمِيمي (ت ٣٣٣)، فإنّه يذهب إلى أنّ مجرّد الرّؤية لا تكفي لإثبات الصّحبة، وذلك واضح من خلال هذا العنوان الذي وضعه في طبقاته[٥]: «تسمية من دخل إفريقيَّة من أصحاب النّبيّ عليه السّلام، وممّن رآه ﷺ وإن لم يكن له صحبة»، كما أنّه ذكر في التّابعين جماعة من صغار الصّحابة منهم[٦]: معبد بن العبّاس بن عبدالمطّلب[٧]، وعاصم بن عمر بن الخطاب[٨]، وأخوه عُبيدالله[٩]، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث[١٠]، وغيرهم.

(١) الجامع لابن أبي زيد ١١٥.

(٢) انظر: الإلماع ٦٢، وقد تقدم تخريج الحديث والتعريف بمحمود بن الربيع.

(٣) انظر: الرياض ١/٩٣، ٩٧.

(٤) انظر: عن زهير بن قيس أسد الغابة ٢/٢١١، البداية والنهاية ٩/١٦، الإصابة ١/٥٣٧، حسن المحاضرة ١/٢٠٠، ٢٥٨، التجريد ١/١٩٣، وانظر عن عقبة: الاستيعاب ٣/١٠٨، الإصابة ٣/٨٠، أسد الغابة ٣/٤١٦، ٤٢٠، ثقات ابن حبان ٥/٢٢٧.

(٥) ط أبي العرب ١٦.

(٦) ط أبي العرب ١٨.

(٧) انظر عنه: الاستيعاب ٤/٤٣٦، الإصابة ٣/٤٥٧، أسد الغابة ٤/٣٩٢، ط ابن سعد ٤/٦، التجريد ٢/٨٥، حسن المحاضرة ١/٢٣٧، المحن ٧٧.

(٨) انظر عنه: الاستيعاب ٢/١٣٢، الإصابة ٢/٥٦، أسد الغابة ٣/٧٦، ط ابن سعد ٥/١٥، ط خليفة ٢٣٤، مشاهير علماء الأمصار ٦٦، تهذيب الكمال ٢/٦٣٧.

(٩) انظر عنه: الاستيعاب ٢/٤٢٣، الإصابة ٣/٧٥، أسد الغابة ٣/٣٤٢، التجريد ١/٣٦٣، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣١٤، ثقات ابن حبان ٥/٦٣.

(١٠) انظر عنه: الاستيعاب ٢/٤١٩، الإصابة ٢/٣٨٢، أسد الغابة ٣/٢٨١، ط ابن سعد ٣/١٨٩، تهذيب الكمال ٢/٧٧٤.

وذهب إلى هذا الرّأي أيضاً الإمام محمد بن علي المازِري ـ تلميذ المدرسة القيروانيّة ـ (ت ٥٣٦)، كما يُفهم ممّا نقله عنه صاحب فتح المغيث[١].

أمّا من حيث العدالةُ فيتّفق أهل القيروان مع غيرهم من أهل السّنّة والجماعة على أنّ جميع الصّحابة عدول، قال ابن أبي زيد: «... خير القرون قرن الصّحابة ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم كما قال النّبيّ عليه السّلام، ... والكفّ عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، إلاّ بخير ما يُذكرون به، وأنّهم أحقّ النّاس أن تُنشر محاسنهم، ويُلتمس لهم أحسن المخارج، ويظنّ بهم أحسن المذاهب»[٢].

وشذّ الإمام المازِريّ حين أخرج من العدالة المطلقة من كان لقاؤه بالرّسول ﷺ يسيراً، حيث قال: «لسنا نعني بقولنا للصّحابة عدول كلّ من رآه ﷺ يوماً ما، أوزراه، أو اجتمع به لغرض، وانصرف عن قريب، وإنّما نعني به الذين لازموه، وعزّروه، ونصروه...»[٣]، وردّ العلماء على المَازِريّ هذا القول؛ لأنّه «قول غريب يُخرج كثيراً من المشهورين بالصّحبة والرّؤية عن الحكم بالعدالة»[٤].

وبالنّسبة للأفضليّة أيضاً يلتقي القرويّون فيها مع جمهور أهل السّنّة[٥]، قال ابن أبي زيد[٦]: «أفضل الأمّة بعد نبيّها: أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ، وقيل: ثم عثمان وعليّ، ويُكَفّ عن التّفضيل بينهما، وروي ذلك عن مالك، وروي عنه القول الأوّل وعن سفيان وغيره، وهو قول أهل الحديث، ثمّ بقيّة العشرة، ثمّ أهل بدر من المهاجرين، ثمّ من الأنصار، ومن جميع أصحابه، على قدر الهجرة والسّابقة والفضيلة».

---

(١) فتح المغيث ١١٣/٣.
(٢) الجامع ١١٥، ١١٦.
(٣)، (٤) فتح المغيث ١١٣/٣، ١١٤.
(٥) انظر: فتح المغيث ١٢٤ ـ ١٣٣.
(٦) الجامع ١١٥.

وكان الرّافضة بالقيروان يُشيعون تفضيل عليّ، وكان العلماء يردّون عليهم[1]، ومن ذلك قول أبي إسحٰق الجِبِنْيَانِي[2]: «إنّ من فضّل عليّاً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بإثني عشر ألف صحابيّ، صحبوا رسول الله ﷺ؛ لأنّ رسول الله ﷺ مات وبالمدينة وما حولها ممّن آمن به وصحبه نحواً من إثني عشر ألفاً، كلّهم اتّفقوا على ولاية أبي بكر وعمر وتفضيلهما، رضي الله عنهم أجمعين، فمن أزرى بواحد منهم هلك، فكيف بمن خالفهم وأزرى على جميعهم، وأصحاب رسول الله ﷺ لا يجتمعون على ضلال، فمن نَسب إليهم أو إلى أحد منهم ظلماً أو ضلالاً فهو الظّالم المضلّ، وهم الهداة والأئمّة الرّاشدون».

المبحث الثّاني

بعض أنوع الحديث التي تناولها أهل القيروان

من الثّابت أنّ علماء القيروان كانوا متابعين للحركة الحديثيّة في المشرق، بحكم الرّحلة المتواصلة إليه للتّحمّل والتّفقّه كما تقدّم[3]، وذلك يستلزم أن يكونوا على علم بأنواع الحديث ومراتبه قبولاً وردّاً، على النّحور الذي عرف عند المشارقة وقعّدوا له ونبّهوا عليه، غير أنّ المادّة العلميّة المتوافرة لم تظهر صورة متكاملة لذلك، وإنّما أظهرت معرفتهم لعدد قليل من هذه الأنواع، سأقوم بذكرها ثمّ أخلص إلى الحديث عن بعض متعلّقات هذا المبحث.

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا في التمهيد.
(٢) مناقب أبي إسحٰق ٤٧.
(٣) راجع مبحث الرحلة من القيروان إلى المشرق في فصل الرحلة.

أوّلاً: أنواع الحديث المعروفة بالقيروان:

١ ـ الحديث الصّحيح: قد نبّه عليه بعض علمائهم، مثل يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[١]، وسعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)[٢]، هذا بالإضافة إلى شيوع صحيحي البخاري ومسلم بالقيروان في النّصف الثّاني من القرن الرّابع كما تقدّم في ثمرات الرّحلة، وهما أصل في معرفة الحديث الصّحيح، وأصحّ الكتب بعد القرآن الكريم[٣].

وفي الصّحيحين عدّة أبواب مشتملة على قواعد وشروط تتعلّق بقبول الحديث، وردّه وتحمّله ونحوها، من ذلك الأبواب النّافعة الجليلة التي ذكرها الإمام البخاري في كتاب العلم[٤]، مثل باب إثم من كذب على النّبيّ ﷺ، وباب كتابة العلم، وباب حفظ العلم، وباب الحرص على الحديث، وباب القراءة والعرض على المحدّث، وباب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان وغيرها. وكذلك المقدّمة المفيدة البديعة التي كتبها الإمام مسلم في مدخل صحيحه[٥]، والتي من أبوابها: وجوب الرّواية عن الثّقات وترك الكذّابين...، تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، النّهي عن التّحديث بكلّ ما سمع، النّهي عن الرّواية عن الضّعفاء والاحتياط في تحمّلها، بيان أنّ الإسناد من الدّين...

ولا شك أنّ أهل القيروان قد انتفعوا بهذه المباحث وأفادوا منها.

٢ ـ الحديث الحسن: ولم أعثر على ذكر له من قبل علمائهم إلّا مرّة واحدة[٦]، رغم أنّه لا يُشك في معرفتهم به؛ لأنّهم كانوا يروون سنن التّرمذي[٧]،

---

(١) انظر: الرياض ١/٤٩٩.
(٢) انظر: الرياض ٢/٥٩.
(٣) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ١٤.
(٤) انظر: صحيح البخاري كتاب العلم ١/٢١ ـ ٤٢.
(٥) صحيح مسلم ١/٣ ـ ٣٥.
(٦) المدارك ٥/١٣٨.
(٧) راجع ثمرات الرحلة.

وهي أصل في معرفة الحديث الحسن، فإنّ التّرمذي هو الذي نوّه بهذا النّوع وأكثر من ذكره في كتابه[1]، وقد ذيّل التّرمذي سننه بمباحث هامّة في علل الحديث، وعلوم الرّواية، والجرح والتّعديل، وعرّف المراد بالحديث الحسن في كتابه[2]، كما كانوا يروُون سنن أبي داود[3]، وهي من مظان الحديث الحسن[4].

٣ ـ **الحديث الضّعيف وبعض أنواعه**: وقد نبّه على اسمه جماعة من علمائهم منهم الحافظ أبو العرب التّميمي (ت **٣٣٣**)[5]، والإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت **٣٨٦**)[6]، وأبو بكر المالكي (ت بعد **٤٦٤**)[7].

كما عرفوا بعض أنواع الحديث الضّعيف منها: المُنْكَر[8]، المُدَلّس[9]، المُنقطِع[10]، وأطلقوا عليه المقطوع أيضاً[11]، وقد فعل ذلك بعض أهل المشرق وهو اصطلاح غير مشهور[12]، والمُرسَل[13]، والمُعَنْعَن[14]، وغيرها.

ولم أعثر على ما يبيّن مراداً خاصّاً للقرويّين بهذه الاصطلاحات غير ما أشرت إليه، ولعلّ في ذلك ما يشير إلى أنّ المراد بها عندهم مفاهيمها المعروفة عند محدّثي المشرق.

أمّا الغريب فيستعملونه في ما تفرّد به الرّاوي على أيّ وجه كان[15].

---

(١) علوم الحديث ٣٢، ٣٣.

(٢) انظر: سنن الترمذي ٥/٧٣٦ ـ ٧٦٣.

(٣) راجع ثمرات الرحلة.

(٤) علوم الحديث ٣٢، ٣٣.

(٥) انظر: ط أبي العرب مح ٩٦، ١٠٥، ١٦٠، ١٨٠.

(٦) المدارك ١/٢٠٦.

(٧) الرياض ١/٦٥، ١٣٨، ١٥٤.

(٨) ط أبي العرب مح ٩٤، ١٩٧.

(٩) ط أبي العرب ٩١، ١١٩.

(١٠) ط أبي العرب ١٠٠.

(١١) ط أبي العرب مح ١٩٧.

(١٢) تيسير مصطلح الحديث ١٣٣.

(١٣) الرياض ١/٢٦٧، ط أبي العرب ١، ٢.

(١٤) الملخص خط ل ٢ ب، السنن الأبين ٣٥.

(١٥) انظر: ط أبي العرب مح ٢٥٤، الرياض ١/٩٠، ٢٤٠، ٢٤٨.

٤ ـ **الحديث الموضوع**: وممّن نبّه عليه أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَانِي (ت ٣٦٩)[1]، وسيأتي مزيد من الحديث على هذا النّوع في المتعلّقات.

ثانياً: بعض متعلّقات هذا المبحث:

١ ـ نقد الأحاديث والرّواة عند القرويّين:

وردت بعض الإشارات الدّالّة على اهتمام علماء القيروان ومحدّثيهم بهذا الجانب، ومن مظانّه كتاب «**ثقات المحدّثين وضعافهم**» لأبي العرب التَّميمي، ولكنّه لم يصلنا[2].

وفيما يلي بعض النّماذج المتعلّقة بذلك:

ـ سئل يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[3]: «جاء في موطّأ ابن وهب قال: حدّثنا سَمُرة بن نُمَير الأموي[4] عن حسين بن عبدالله[5] عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ مرّ هو وأصحابه ببني زُرَيْق فسمعوا غناء ولعباً، فقال: ما هذا؟ قالوا: نكاح فلان يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «كمُل دينه، هذا النّكاح لا السّفاح، ولا نكاح حتّى يُسمع دفّ أو يُرى دخان»[6]. قال السّائل: «هل يصحّ عندكم حديث سَمُرَة بن نُمَيْر، وقد علمت أنّ الحارث بن مسكين[7] كان لا يقرأ حديثه؟»، قال يحيى: «بهذا الحديث آخذ، وقد رواه أهل

---

(١) مناقب أبي إسحٰق ١٦.

(٢) سيأتي التعريف به في المصنفات بناء على بعض الإشارات المتعلقة به، وبعض النقول عنه.

(٣) الخبر في كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر ٨١ ـ ٨٣.

(٤) لم أعثر على من ترجم له، وقد وثقه يحيى بن عمر كما سيأتي.

(٥) الحميري المدني، منكر الحديث، متهم بالكذب. انظر: اللسان ٢/٢٨٩، الميزان ١/٥٣٨.

(٦) أخرجه البيهقي في سننه من هذا الطريق بلفظه ٧/٢٩٠.

(٧) أبو عمرو الحارث بن مسكين المصري، فقيه محدث ثقة أخرج له أبو داود والنسائي (ت ٢٥٠ هـ)، انظر: الشجرة ١/٦٧، التقريب ١/١٤٤، حسن المحاضرة ١/٣٠٨.

العلم عن سَمُرَة بن نُمَير عن حسين بن عبدالله بن ضميرة، وسمرة بن نمير ثقة، وإنّما كان الحارث يوقف حديثه (إذا روى عن حسين بن عبدالله)، وأمّا إذا حدّثه سمُرة بن نُمير عن غير حسين بن عبدالله بن ضميرة كان يقرؤه ولا يوقفه».

قلت: تصحيح هذا الحديث تساهل من يحيى بن عمر، فإنّ في سنده حسين بن عبدالله بن ضميرة، وهو شديد الضّعف[1]، وفي كلام يحيى السّابق ما يدلّ على ذلك أيضاً إلاّ أن يكون يحيى فعل ذلك بناء على وجود أحاديث صحيحة من طرق أخرى في هذا المعنى مثل حديث: «فصل ما بين الحلال والحرام الدّفّ والصّوت»[2].

ـ وجاء في رسالة بعث بها يحيى بن عمر هذا، إلى حمديس القطّان (ت ٢٨٩) يعظه فيها: وقد صحّ الحديث عن حُذَيفة رضي الله تعالى عنه[3]، أنّ المنافقين اليوم هم أشرّ[4] من المنافقين الذين كانوا في زمن النّبي ﷺ. قيل: «وكيف ذلك يا أبا عبدالله؟»، قال: «لأنّ أولئك إذ ذاك يكتمونه، وهؤلاء اليوم يَجهرون به. . .»[5].

---

(١) انظر: اللسان ٢/٢٨٩، الميزان ١/٥٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب إعلان النكاح وقال: حديث حسن ٣/٣٩٨/١٠٨٨، والنسائي في كتاب النكاح باب إعلان النكاح ٦/١٢٧، وابن ماجه في أبواب النكاح باب إعلان النكاح وزاد في آخره «في النكاح» ١/٥٨٦/١٩٢٠، وأحمد في مسنده ٤/٢٥٩، والحاكم في المستدرك وصححه ٢/١٨٤، وتابعه على تصحيحه الذهبي في تلخيص المتسدرك ٢/١٨٤، والبيهقي في سننه ٧/٢٨٩، كلهم من طريق محمد بن حاطب.

(٣) هو حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، وكان كثيراً ما يسأل رسول الله ﷺ عن الفتن، وكان يعرف المنافقين، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر الرسول ﷺ (ت ٣٦ هـ)، انظر: الإصابة ١/٣١٦، الاستيعاب ١/٢٧٦.

(٤) أفعل من الشّرّ، وهي قليلة أو رديئة والأفصح شرّ. انظر: القاموس المحيط ٢/٥٧.

(٥) لم أعثر على لفظ هذا الحديث، وقد ورد حديث صحيح بمعناه، في صحيح البخاري =

ـ وحكم سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢)، أثناء مناظراته مع العُبيديّين، بالصّحّة على حديث غدير خُمّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، حيث قال: «عرفت الحديث... وهو حديث صحيح، وقد رويناه...»[1]، قلت: والحديث صحيح[2] كما قال ابن الحدّاد.

ـ وللحافظ أبي العرب التّميمي (ت ٣٣٣)، كثير من الأحكام العامّة على حديث بعض الرّواة بالضّعف أو الانقطاع أو النّكارة ونحو ذلك[3]، وله أيضاً أحكام تتعلّق بأحاديث معيّنة من ذلك ما نقله عنه ابن حَجَر في ترجمة أبي القاسم المغربي الزَّوَاوِي[4] من الحكم على حديث الحنّاء الذي يرويه أبو القاسم هذا عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «لمّا خلق الله الجنّة حفّها بالرّيحان، وحفّ الرّيحان بالحنّاء، وما خلق الله شجرة أحبّ إليه من الحنّاء، وإنّ الخاضب بالحنّاء لتصلّي عليه الملائكة إذا راح»[5]، قال ابن حجَر: «ذكر أبو العرب حافظ القيروان أنّ أبا القاسم هذا تفرّد به عن مالك فقبّح الله من

= عن حذيفة قال: «إنما كان النفاق على عهد رسول الله ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان» كتاب الفتن باب إذا قال عند قوم شيئاً ٨/١٠٠.

(١) الرياض ٢/٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب علي وقال: حسن صحيح ٥/٦٣٣/٣٧١٣، وابن ماجه بمعناه وفي أوله قصة، في فضائل الصحابة باب فضل علي ١/٥٥/١١٩، وأخرجه أحمد بمثله وفي أوله قصة ٤/٣٦٨، كما أخرجه بنحو حديث ابن ماجه في ٤/٤٧٠، كلهم من طريق زيد بن أرقم.
وذكر العجلوني أن هذا الحديث يروى عن ثلاثين من الصحابة بلفظ «اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه» ثم قال: «فهو متواتر أو مشهور» كشف الخفاء ٢/٣٦١.

(٣) انظر: ط أبي العرب ١٠٠، ١١١، مح ٩٤، ٩٦، ١٨٢، ١٩٧.

(٤) انظر: الرياض ١/٢٤٨، اللسان ٧/٩٤، وتصحف فيه نسبه إلى الردادي.

(٥) هذا حديث باطل لا يصح عن النبي ﷺ كما في العلل المتناهية ٢/٢٠٢، ولسان الميزان ٣/٤٣، ٤٤، ٧/٩٤، وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٣/٥٦: «وقد رويت أحاديث في فضل الحناء ليس فيها شيء صحيح».

يكذب. انتهى»[1]، وقال المالكي: «قال أبو العرب: سمع من مالك، وروى عنه حديثاً لم أعلمه رواه عنه غيره»[2]، ثمّ ساق الحديث السابق.

ـ وكان لأبي إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَاني (ت ٣٦٩) كلام حول بعض الأحاديث[3]، ومن ذلك حكمه بالوضع على حديث: «إذا بلغ المرء ستّين سنة كان له كذا، وابن سبعين، وابن ثمانين فتكتب حسناته ولا تكتب سيئاته»، قال أبو إسحٰق: «هذا حديث موضوع، لو زنى ابن ثمانين لحددناه، ولو قتل لقتلناه، ولو سرق لقطعناه»[4].

قلت: وهو كما قال، فقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من عدّة طرق كلّها باطلة. عن أنَس مرفوعاً، وموقوفاً[5]، ولم أعثر على من تعقّبه في ذلك.

ـ وقال الإمام عبدالله بن أبي زيد القيروان (ت ٣٨٦) في الرّسالة المنسوبة إلى مالك في السّنن والآداب وأنّه بعثها إلى هارون الرّشيد: «طريقها لمالك ضعيف، وفيه أحاديث لا نعرفها»[6].

ـ وحكم أبو بكر المالكي (ت بعد ٤٦٤) على عدّة أحاديث بأنّها غريبة[7]، من ذلك قوله في ترجمة أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ التّابعي[8]: وأغرب بحديث السّجلّات: عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ أنّه قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن

---

(١) اللسان ٧/٩٤.
(٢) الرياض ١/٢٤٨.
(٣) انظر مثلاً: مناقب أبي إسحٰق ١٥.
(٤) مناقب أبي إسحٰق ١٦.
(٥) الموضوعات باب صرف أنواع البلاء عن المعمرين ١/١٧٩ - ١٨١.
(٦) المدارك ١/٢٠٦.
(٧) انظر مثلاً: الرياض ١/٨٧، ٩٠، ٩٩، ١١٢، ١٣٢، ٢٣٣.
(٨) الرياض ١/٩٩، ١٠٠.

العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصاح برجل من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجلّ منها مدّ البصر. . . الحديث»[1].

قلت: وهو كما قال، حيث لم أجد من روى هذا الحديث عن عبدالله بن عمرو غير أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ، ولم يأت من غير طريق عبدالله بن عمرو، وقد قال التّرمذي: «هذا حديث حسن غريب»[2].

٢ ـ الوضع في الحديث ومدى معالجته في القيروان:

لقد وُجدت في القيروان أحاديث موضوعة[3]، كما هو الحال في غيرها من المدن العلميّة بالمشرق، خاصّة وقد حكمها الرّافضة لمدة ٦٦سنة[4]، وهم أكثر الطّوائف كذباً على رسول الله ﷺ، وأجرؤهم على ذلك، بل إنّهم أصل الكذب في الحديث وخاصّة أحاديث الفضائل[5].

كما عرف بعض القرويّين بأنّ أحاديثهم موضوعة، غير أنّ عددهم محدود، مع خلاف في بعضهم، وأكثرهم لم يترجم له الأفارقة، وإنّما عثرت عليه وعلى وصفه بالوضع في كتب أهل المشرق.

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله وقال: حسن غريب ٥/٢٤/٢٦٣٩، وابن ماجه بنحوه في أبواب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٢/٥٧٨/٤٣٦٨، وأحمد في مسنده بنحوه ٢/٢١٣، كلهم من هذا الطريق.

(٢) سنن الترمذي ٥/٢٥، نفس الكتاب والباب أعلاه.

(٣) انظر مثلاً: الرياض ١/١١٢، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٨٣، ٢/٣٥٤، ٤٦٦، ط أبي العرب ٥٨، كتاب الأجوبة لمحمد بن سحنون خط ١ ب.

(٤) راجع الوضع السياسي في التمهيد.

(٥) انظر: الكفاية ٢٠٢، ٢٠٣، الأسرار المرفوعة ٤٧٦، ٤٧٧، الفوائد الموضوعة ٥٦، كتاب فضائل إفريقية للمطوي ١٢.

وهؤلاء المتّهمون بالوضع خمسة، هم:

أ ـ **جَبْرُون بن وَاقِد الإفْريقيّ**[1]: ويظهر أنّه هاجر إلى المشرق، ولم يعد؛ لأنّه كان يحدّث ببيت المقدس، ولم أجد له ذكراً في كتب الأفارقة.

وهو متّهم بالوضع، ليس بثقة، أحاديثه موضوعة، وله حديث في سنن الدّارقطني حكم عليه الذّهبي وغيره بالوضع.

ب ـ **داود بن يحيى الصّوفي الإفريقيّ (ت ٢٤٩)**: وفي اتّهامه خلاف بين القرويّين وبين أهل المشرق، فقد بالغ أبو العرب في توثيقه حيث قال: «كان ثقة مأموناً، رجلاً صالحاً، فقيراً متعفّفاً...»[2]، وتابعه الدَّبّاغ على ذلك[3].

أمّا المشارقة فقد اتّهموه بسبب قول ابن يونس[4]: «حدّث... أحاديث موضوعة»[5]، ونقلها الذّهبي عنه بلفظ مُوهِم وغير دقيق فقال[6]: قال ابن يونس: «أحاديثه موضوعة».

والفرق واضح بين اللّفظين، ولذلك تعقّبه ابن حجَر بإيراد اللّفظ الصّحيح[7].

قلت: وهو ثقة كما قال أبو العرب، والآفة فيما ورد عنه من الأحاديث الموضوعة ممّن دونه، وهو يحيى بن محمد بن خُشَيْش[8] الآتي ذكره قريباً.

---

(١) انظر عنه: الميزان ١/٣٨٧، اللسان ٢/٩٤، الكامل لابن عدي ٢/٦٠١، الديوان للذهبي ٤٢، سنن الدارقطني ٤/١٤٥.

(٢) ط أبي العرب ١٠٩.

(٣) المعالم ٢/١٢٠ وفيه «الصواف».

(٤) هو الحافظ أبو سعيد عبدالرحمٰن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري (٢٨١ - ٣٤٧) صاحب تاريخ مصر، والناس عيال على كتابه فيما يخص قدماء رجال مصر وإفريقية. انظر عنه: حسن المحاضرة ١/٣٥١.

(٥) اللسان ٢/٤٢٦.

(٦) الميزان ٢/٢١.

(٧) اللسان ٢/٤٢٦.

(٨) انظر تحديثه عنه في: اللسان ٢/٤٢٦.

جـ ـ **عثمان بن محمد بن خُشَيْش**[1]: ذكره ابن حَجَر في اللّسان ولم يزد على قوله:

«له ذكر في ترجمة عبدالله بن عمر بن غانم»[2]، وجاء في الميزان، في ترجمة ابن غانم بعد ذكر حديثين باطلين: «لعلّ الآفة في الخبرين من عثمان صاحبه»[3]، وقال المعلمي في تحقيقه لكتاب الأنساب بعد أن ذكر الخبرين وتبرئة ابن غانم من التّحديث بهما[4]: «... ويظهر أنّ عثمان بن محمد بن خُشَيْش أخ خامل ليحيى بن محمد بن خُشَيْش، وقد وضع له أخوه تلك النّسخة[5]، وضمّنها أكاذيبه بأسانيد أخرى، والله المستعان».

وقد جاء في الأنساب أنّ عثمان هذا يحدّث بنسخة موضوعة عن ابن غانم عن مالك[6].

قلت: لم يرد له ذكر فيما وقفت عليه من كتب أهل إفريقيّة والمغرب.

د ـ **يحيى بن محمد بن خُشَيْش الإفْريقي** (ت ٢٨٠ ببغداد): ليس له ذكر في كتب الأفارقة وجاء ذكره عرضاً في ترتيب المدارك[7]. وقد روى عن بعض أهل القيروان، ثمّ رحل إلى المشرق واستقرّ في بغداد، وحدّث بها، وهناك جاء بالطّامّات، وحدّث بالأباطيل. قال الذّهبي في الميزان: «صاحب مناكير»، وقال ابن حَجَر في اللّسان: «ضعّفه الدّارقطني»، وقال الخطيب: «قدم بغداد وحدّث بها... وفي حديثه غرائب ومناكير»[8].

---

(١) ورد هذا الاسم بالحاء في بعض المصادر وبالخاء في بعضها الآخر وبه أخذت بناء علي ما جاء في الإكمال ٣/١٥١.

(٢) اللسان ٤/١٥٢.

(٣) الميزان ٢/٤٦٤، وانظر: الكشف الحثيث ٢٨٨، وألاحظ أن اسم هذا الرجل ورد ناقصاً من أوله في ثنايا الترجمة في الميزان: محمد بن خشيس بدل عثمان بن محمد.

(٤)، (٥)، (٦) انظر: الأنساب ١/٣٢٥ فما بعدها.

(٧) المدارك ٤/٢٣٦.

(٨) تاريخ بغداد ٤/٢٢٣.

قلت: والأحاديث التي وردت من طريقه كلّها باطلة، وقد تفرّد بها كما في المصادر[1].

هـ ـ **أبو القاسم الزَّوَاوِيّ**: من تلاميذ مالك، تفرّد بحديث باطل هو حديث الحِنّاء، وقد تقدّم سياقه وبيان درجته قريباً، قال أبو العرب: «لم أعلمه رواه... غيره»[2]، وقال ابن حجر: «وهذا حديث باطل... ذكر أبو العرب حافظ القيروان أنّ أبا القاسم هذا تفرّد به عن مالك فقبّح الله من يكذب»[3].

أمّا فيما يتعلّق بمعالجة علماء القيروان ومحدّثيهم للوضع، فلم يرد ما يدلّ على أنه كان لهم نشاط كبير في هذا الجانب، حيث لم يقع مثلاً جمع هذه الأحاديث في مصنّف مع التّنبيه على بطلانها، وإنّما هناك إشارات تدلّ على أنّ بعض العلماء قاموا بجهود لصيانة الحديث الشّريف من أن يتطرّق إليه الوضع، من ذلك ما كان يفعله الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)، فإنّه وجد في نسخة أحد الطلاب حديثاً ليس في نسخته، فلمّا قرأه الطّالب أنكره عليه وصاح: «من أين دخل هذا الحديث في كتابك؟»، ثمّ أمره بمحوه[4].

كما كان أبو إسحٰق الجِبِنْيَانِي (ت ٣٦٩)، يتشدّد مع من يروي أحاديث لم تثبت صحّتها عن النبي ﷺ[5]، وينبّه على الموضوع أحياناً[8].

ويمكن أن نعتبر من معالجة الوضع ما قام به أبو العرب (ت ٣٣٣)[7] والمالكي (ت ٤٦٤)[8] من التّنبيه على الأفراد والغرائب لاحتمال أن تكون موضوعة فيجتنبها النّاس.

---

(١) انظر: الميزان ٤/٤٠٨، اللسان ٦/٢٧٦، حاشية الأنساب ١/٣٢٥، وجاء ذكره في الإكمال ٣/١٥١، الكشف الحثيث ٤٦١.

(٢) الرياض ١/٢٤٨.

(٣) اللسان ٧/٩٤.

(٤) انظر: الرياض ١/٣٧٣.

(٥) انظر: مناقب أبي إسحٰق ١٥.

(٦) م. ن ١٦.

(٧) انظر: ط أبي العر مح ٢٥٤، الرياض ١/٢٤٨.

(٨) انظر: الرياض ١/٩٠، ٩٩، ٢٤٠، ٢٤٨.

وسأقوم فيما يلي بدراسة بعض أحاديث فضائل إفريقيَّة كنموذج للأحاديث الموضوعة لدى الأفارقة.

٣ ـ أحاديث فضائل إفريقيَّة:

أ ـ كلمة في أحاديث فضائل البلدان عامّة: لقد نالت أحاديث فضائل البلدان نصيباً وافراً من الوضع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «إنّ الأحاديث المنكرة والموضوعة أكثر ما تروى في فضائل الأوقات والعبادات والبقاع».

وسبب ذلك ما في الطّبع من حبّ الوطن، بالإضافة إلى تسامح بعض العلماء في انتقاد أسانيدها لعدم تعلّقها بالحلال والحرام، قال ابن عبدالبرّ[٢]: «أحاديث الفضائل تسامح العلماء قديماً في روايتها عن كلّ، ولم ينتقدوا فيها كانتقادهم في أحاديث الأحكام»، وذكر الخطيب البغدادي عن بعض العلماء نحو هذا[٣].

وقد وقع في هذا بعض أهل الحديث أيضاً، حيث قاموا بتصدير بعض مصنّفاتهم بما رووه في فضائل بلادهم، قال محمد بن علي الشَّوْكاني[٤]: «وقد توسّع المؤرّخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فإنّهم يتساهلون في ذلك غاية التّساهل، ويذكرون الموضوع، ولا ينبّهون عليه كما فعل (ابن) الدَّيْبَع[٥] في تاريخه الذي سمّاه: «قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون»، وتاريخه الآخر الذي سمّاه: «بغية المستفيد بأخبار مدينة زَبِيد»، مع كونه مع أهل الحديث، وممّن لا يخفى عليه بطلان ذلك، فليحذر المتديّن

---

(١) الفتاوى ١/٢٥٠.

(٢) جامع بيان العلم ١/٤٥.

(٣) الكفاية ٢١٢.

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٤٣٦، ٤٣٧.

(٥) هو المحدث عبدالرحمٰن بن علي المعروف بابن الدَّيْبَع الشَّيْبَانِيّ الزَّبِيدي الشّافعي (ت ٩٤٤ هـ)، انظر ترجمته في: مقدمة كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول ١/ط.

من اعتقاد شيء منها أو روايته، فإنّ الكذب في هذا قد كثر وجاوز الحدّ، وسببه ما جُبلت عليه القلوب من حبّ الأوطان والشّغف بالمنشأ».

ب ـ مصادر أحاديث فضائل إفريقيّة: لقد وقع أبو العرب التّميمي (ت **٣٣٣**) الحافظ المجمع على توثيقه[١]، فيما وقع فيه ابن الدَّبّاغ وغيره، فصدّر طبقاته بأحاديث في فضائل إفريقيَّة[٢]، وهو أوّل من دوّنها من الأفارقة فيما وصل إلينا، فإنّ الكتب التي صنّفها أهل القيروان في تاريخ بلادهم ورجالها قبل أبي العرب لم يصلنا منها شيء، مثل كتاب أبي بكر السُّوسي[٣]، وكتاب فتوح إفريقيّة لعيسى بن أبي المُهاجر (ق **٣**)[٤]، وكُتُب محمد بن سَحنون في الطّبقات والتاريخ[٥]، إلا أنّ الباحث يشكّ في اشتمال هذه الكتب على أحاديث فضائل إفريقيَّة، لأنّ أغلب الكتب التي جاءت بعد أبي العرب، وفيها هذه الأحاديث قد صرّحت بالنّقل عنه، ومن حذف السّند منهم ولم يصرّح بالنّقل عرف نقله عنه بالمقارنة.

ومن الكتب التي ذكرت بعض هذه الأحاديث ما يلي:

ـ رياض النّفوس لأبي بكر المالكي (ت بعد **٤٦٤**)[٦].

ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبدالرحمن بن محمد الدّبّاغ (**٦٠٥ ـ ٦٩٦ هـ**)[٧].

ـ صلة السّمط لمحمد بن علي بن الشَّبَّاط (**٦١٦ ـ ٦٨١**)، وهو مخطوط، وقد صرّح صاحب المؤنس بنقل ابن الشَّبَّاط عن أبي العرب[٨].

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين.
(٢) طبقات علماء إفريقية ١ ـ ١١.
(٣) ط أبي العرب ١٥، ١٨.
(٤) ط أبي العرب ١٢٠، ورقات ١/٦٩.
(٥) انظر قائمة مؤلفاته في: ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.
(٦) الرياض ١/٥ ـ ٩.
(٧) المعالم ١/٤، ٦.
(٨) المؤنس ٢٠.

ـ البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المـرّاكشي (كان حيّاً سنة ٧١٢)[١].

ـ رحلة أبي محمد عبدالله بن محمد التّجاني (كان حياً سنة ٧١٧)[٢].

ـ المؤنس في أخبار إفريقيَّة، وتونُس، لأبي عبدالله محمد بن أبي القاسم الرُّعَيْني، المعروف بابن أبي دينار (كان حيّاً سنة ١١١٠ هـ)[٣].

ـ الحُلل السّنـدسيّة في الأخبـار التّونُسيّـة لمحمـد بن محمـد الأنـدلسي المعروف بالوزير السّرّاج (ت ١١٤٩)[٤].

أمّا كتب المشارقـة فلم أعثر فيمـا وقفت عليه منهـا على أيّ ذكر لهـذه الأحاديث مع أنّ اطّلاع بعض كبار حفّاظهم عليها ثابت، فإنّ الحافظ ابن حَجَر قد اطّلع على طبقات أبي العرب[٥]، ورياض النّفوس للمالكي[٦] ونقل عنهما، كما نقل عنهما أيضاً الحافظ الذّهبي[٧].

وبالرّغم من شيوع هذه الأحاديث في كثير من كتب أهل المغرب فإنّها لم تحظ حتّى الآن بالنّقد والتّمحيص اللاّزمين لحماية السُّنّة المطهّرة من كلّ ما هو منتحل، وتمييز صحيحها من السّقيم المكذوب على رسول الله ﷺ، ونجد أنّ من تعرّض لها من المصنّفين لا يزيد على كلمة عامّة حولها أو يتعرّض لنقد بعض رجالها، قال الشّيخ الشّاذلي النّيفر: «ولم أر من تكلّم على هذه الأحاديث من

---

(١) البيان المغرب ١/٦، ٧.

(٢) رحلة التجاني ٣٠.

(٣) المؤنس ٢٠.

(٤) الحلل ١/١/٢٣١ فما بعدها.

(٥) انظر: اللسان ٢/٦٨، ٣/٨، ٢٣٣، التهـذيب ١/٤٨٤، ٢/٧٩، الإصابـة ١/٣٧٢، ٧٦٦.

(٦) انظر: اللسان ٢/٦٨، ٣/٣٥٤، التهذيب ٥/٣٣٢، ٦/٨٢.

(٧) نقل عن أبي العرب في سير أعلام ٢/٦٨، ١٠٨، ونقل عن المالكي في سير أعلام ١٢/٦٩، ١٣/٦١.

النّاحية السّنديّة، وبحث في رجالها ونظر في متونها نظراً ثاقباً فأثبت صحّتها أو زيفها، غير أنّ هناك كلمة مقتضبة في رحلة التّجاني[1] لا تسمن ولا تغني من جوع، مع أنّ المؤرّخين من الأفارقة كادوا أن يكونوا مجمعين على ذكرها، ومن أوردها منهم وتبرّأ من تبعتها لم يكن يأت من ذلك إلّا بمجرّد الرّأي دون تدقيق وتمحيص»[2].

وقد بدأ الشّيخ الشّاذلي فعلا في دراسة هذه الأحاديث منذ أكثر من أربعين سنة، ولكن يبدو أنّ هناك ظروفاً حالت دون أن يتمّها؛ لأنّه لم يزد على التّكلّم على بعض رجال ستّة أحاديث فقط[3] من أحاديث الفضائل التي تصل إلى اثنين وثلاثين، بين مرفوع ومُرْسَل وموقوف ومنقطع.

ثمّ قام الأستاذ محمد العروسي المطوي بجمع هذه الأحاديث في دراسة سمّاها: «فضائل إفريقيّة في الآثار والأحاديث الموضوعة»[4] وقد بذل فيها جهداً طيّباً، غير أنّه لم يتكلّم إلا على ثلاثة فقط من رجال هذه الأحاديث، وبما أنّه لم يكن من أهل الاختصاص الدّقيق فقد وقع في بعض الأخطاء منها: حكمه بالوضع على خبر نداء عُقبة بن نافع[5]، في الحيّات عند تأسيس القيروان، واعتبره مجرّد أسطورة[6]، مع أنّ الحافظ ابن حجر ـ وناهيك به ـ قد حكم على إسنادها بأنّه حسن[7].

---

(١) ص ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) المجلة الزيتونية المجلد ٦، ١٣٦٤ هـ. ص ٤٦٧.

(٣) المجلة الزيتونية المجلد ٦، ١٣٦٤ هـ. ص ٤٦٧ ـ ٤٦٩، ٥٦٩ ـ ٥٧١.

(٤) نشرتها دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ سنة ١٤٠٣ هـ.

(٥) الصحيح أن عقبة بن نافع هو الذي وقع معه هذا كما تقدم في التمهيد وكما هو موجود في معظم المصادر وذكر الواقدي أنه عقبة بن عامر وأورد أبو العرب الروايتين ط أبي العرب ٨، ٩ فتوح إفريقية للواقدي ٣، ٤.

(٦) فضائل إفريقية ٦٣ فما بعدها.

(٧) الإصابة ٣/٨٠، وذلك بناء على سند هذا الحديث في تاريخ خليفة ص ٢١٠، وهو كما =

كما أخطأ الأستاذ المطوي خطأ فادحاً في حقّ الحافظ أبي العرب التّميمي حيث اتّهمه بالوضع، مع اتّفاق الجميع على توثيقه كما تقدّم وكما سيأتي في ترجمته، قال الأستاذ: «. . . فإنّنا نجده ينتهز فرصة ثورة صاحب الحمار ليقول في جموع المتجمهرين حديثاً منسوباً إلى الرّسول عليه السّلام لا شكّ في وضعه»[1].

والحديث المشار إليه هو حديث الرّافضة، وسيأتي سياقه وتخريجه في ترجمة أبي العرب[2]، ولا تثريب على أبي العرب في رواية هذا الحديث، لأنّه رواه بسنده إلى مسند ابن سنجر، وسماعه له معروف[3]، ولا يمكن أن يكون انتحله؛ لأنّ المسند كان منتشراً بالقيروان، فلو لم يكن فيه هذا الحديث لردّ عليه المحدّثون والفقهاء الذين غصّ بهم المسجد آنذاك للنّظر في أمر الخروج على بني عُبيد[4]. ثم إنّ الحديث ليس بموضوع كما سيأتي عند تخريجه.

وقبل أن أمرّ إلى دراسة هذه الأحاديث أرى أنّه ينبغي التّنبيه على وجود بعض الأئمّة الثّقات من الأفارقة والمشارقة في بعض أسانيدها مثل الإمام سَحنون بن سعيد، والبُهلول بن راشد، وموسى الصُّمادِحِي، وعبدالله بن غانم، وسفيان بن عُيّينة واللّيث بن سعد، وغيرهم.

ويُفسَّر وجود هؤلاء الأئمّة في هذه الأسانيد بأنّه من وضع وتلفيق من هو دونهم من الرّواة الوضّاعين والمتروكين كما سيأتي، وهذا هو الاحتمال الأقوى

= قال، فإن سائر رجاله ثقات إلا محمد بن عمرو بن علقمة فهو صدوق له أوهام كما في (التقريب ٢/١٩٦)، وقد احتج به الأربعة، وروى له البخاري مقروناً بغيره، ومسلم في المتابعات (التهذيب ٩/٣٧٥، الكاشف ٣/٧٥).

(١) فضائل إفريقية ٨٥.

(٢)، (٣) انظر: ترجمته رقم ٣٠ في المحدثين.

(٤) الرياض ٢/٣٠٩، ٣١٠.

والأصوب، أمّا تحديثهم بها فهو احتمال ضعيف جدّاً، وإن ثبت ذلك فتكون عهدتهم فيها على من سبقهم من رواتها؛ لأنّهم ذكروها بأسانيدها.

جـ ـ دراسة أحاديث فضائل إفريقيَّة: سأقوم بدراسة هذه الأحاديث حسب الأسانيد الواردة في طبقات أبي العرب؛ لأنّه أوّل من ذكرها، كما تقدّم، وهو الوحيد الذي أوردها مسندة، وقد اقتصرت على ذكر المرفوع منها ونحوه فإنّه عنوان على ما عداه:

١ ـ قال أبو العرب: حدّثني فُرات بن محمد قال: حدثنا عبدالله بن أبي حسّان عن عبدالرحمن بن زياد عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ عن عبدالله بن عمرو أنّ النّبيّ ﷺ قال: «ليأتينّ أناس من أمّتي من إفريقيَّة يوم القيامة، وجوههم أفضل نوراً من نور القمر ليلة البدر»(١).

٢ ـ وقال: حدثني فُرات قال: حدثني موسى بن سليمان وأبو مسلم عبدالرحمن بن الجهم عن عبدالرحمن بن زياد عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ: «ليحشرنّ قوم من أمّتي من إفريقيّة يوم القيامة وجوههم أنْور من نور القمر ليلة البدر»(٢).

٣ ـ وقال: حدثني فُرات بن محمد قال: حدثنا موسى بن معاوية عن أبيه معاوية عن عبدالرحمن بن زياد بن أَنْعُم عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر من إفريقيّة قوم وجوههم مثل القمر ليلة البدر»(٣).

هذا حديث واحد كما هو واضح، غير أنّه روي بأسانيد بينها اختلاف يسير، وبألفاظ متقاربة.

---

(١) ط أبي العرب ١، الحلل السندسية ١/١/٢٣٦، ٢٣٧، المعالم ١/٤، المؤنس ٢١.
(٢) ط أبي العرب ١، ٢، الحلل ١/١/٢٣٦.
(٣) ط أبي العرب ٢، الحلل ١/١/٢٣٦.

أحوال رجال هذا الحديث:

ـ فُرات بن محمد العَبْدي، شيخ أبي العرب، متّهم بالكذب أو معروف به[1]، فهو متروك الحديث.

ـ عبدالله بن أبي حسّان اليحصبي: ثقة، له بعض الغرائب[2].

ـ أبو مسلم عبدالرحمن بن الجَهْم الخولاني، قال أبو العرب: «ما علمت أحداً ذكره بسوء»[3].

ـ موسى بن سليمان: لم أعثر عليه.

ـ موسى بن معاوية الصُّمادحي: ثقة[4].

ـ معاوية بن الفضل الصُّمادحي، والد موسى: ثقة[5].

ـ عبدالرحمن بن زياد الإفريقي: اختلفوا فيه كثيراً وهو صدوق في حديثه بعض المناكير[6].

ـ أبو عبدالرحمن الحُبُلي هو عبدالله بن يزيد: من أئمّة التّابعين، أجمعوا على توثيقه[7].

---

(١) انظر: اللسان ٤٣٢/٤، تنزيه الشريعة ٩٥/١، طبقات الخشني ١٤١.
(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٥، المعالم ٥٨/٢، الرياض ٢٨٤/١.
(٣) ط أبي العرب مح ١٥٧.
(٤) ط أبي العرب ١٠٦، الرياض ٣٧٦/١، المدارك ٥/٣، سير أعلام ١٠٨/١٢.
(٥) ط أبي العرب مح ٢٣٢، الرياض ٢٣١/١، المعالم ٣١٧/١.
(٦) انظر تفصل ذلك في: ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.
(٧) التقريب ٤٦٢/١، ثقات ابن حبان ٥١/٥، ثقات العجلي ٢٨٣، الكاشف ١٢٨/٢، التهذيب ٨١/٦، تاريخ الإسلام ٨١/٤، تهذيب الكمال ٧٥٧/٢.

الحكم على الحديث:

هذا حديث ضعيف جدّاً ظاهر البطلان، وطريقه الثّالثة مرسلة؛ لأنّ الحُبُلي تابعي، وفيه فُرات بن محمد وهو متّهم بالكذب، وإذا ثبت تحديث عبدالرحمن بن زياد به فهو من مناكيره، هذا بالإضافة إلى ما فيه من الاضطراب حيث رُوي مرفوعاً ورُوي مرسلاً.

٤ ـ قال أبو العرب: وحدّثني فُرات قال: حدثني خَلَف بن محمد أبو محمد القابِسي قال: حدثنا البُهلول بن راشد قال: حدثنا عبّاد بن كَثير عن لَيث بن أبي سُليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بساحل قَمُونِيَة[١] باب من أبواب الجنّة يقال له: المُنَسْتِير[٢] من دخله فبرحمة الله، ومن خرج عنه فبعفو الله»[٣].

ورواه أبو العرب عن فُرات من طريق آخر فقال: حدثني فُرات قال: حدثنا خلَف بن محمد قال: حدثنا عبدالله بن عمر بن غانم قال: حدثني ابن لَهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطّفيل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

أحوال رجال هذا الحديث:

ـ فُرات متّهم بالكذب وقد تقدّم.

---

(١) قَمُونِيَة أو قُونِيَة هو موضع مدينة القيروان قبل تأسيسها. انظر: الرياض ١/٢٠، معجم البلدان ٤/٣٩٩، ٤١٥.

(٢) المُنَسْتِير: مدينة على ساحل الجمهوريّة التونُسيّة من جهة الشّمال، وهي من ثغور إفريقيّة القديمة. معجم البلدان ٥/٢٠٩.

(٣) ط أبي العرب مح ٤٥، ٤٦، وانظر: الحلل السندسية ١/١/٢٤٠، الرياض ١/٧، ذكرى المازري ٣٦، رحلة التجاني ٣١، المعالم ١/٥.

ـ خلَف بن محمد القابِسي، وثّقه أبو العرب[1].

ـ البُهلول بن راشد: ثقة[2].

ـ عبّاد بن كَثير الثَّقَفي البصري: متروك، يحدّث بالأكاذيب[3].

ـ لَيث بن أبي سُليم القُرشي، أبو بكر: صدوق، لكنه اختلط فجاء بالمناكير، ولم يتميّز حديثه فضعّف حديثه عند عدم وجود من يتابعه عليه، وأمّا رواية الإمام مسلم عنه فهي مبنيّة على الانتفاء بالإضافة إلى أنّه روى له مقروناً بغيره[4].

ـ عبدالله بن لَهِيعة الحضرمي المصري: أمره دائر بين الضّعف والتّرك، والعمل على تضعيفه لتهاونه بالضّبط، وروايته المناكير وتحديثه بما ليس من حديثه، ومن العلماء من استثنى رواية الأئمّة عنه لمقدرتهم على التّمييز، وقد روى له الإمام مسلم شيئاً يسيراً مقروناً بغيره كما هو صنيعه في أمثاله، وهذا مبنيّ على الانتقاء[5].

ـ عبدالله بن عمر بن غانم: ثقة[6].

---

(١) ط أبي العرب مح ٢٠٢.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٥ في المحدثين.

(٣) سير أعلام ١٠٦/٧، المجروحين ١٦٦/٢، التقريب ٣٩٣/١، الكشف الحثيث ٢٢٢، التهذيب ١٠٠/٥، الميزان ٣٧١/٢، الديوان ١٦٠، أحوال الرجال ١٠٦.

(٤) انظر: التهذيب ٤٦٦/٨، الميزان ٤٢٠/٣، أحوال الرجال ٩١، التقريب ١٣٨/٢، الكاشف ١٣/٣، الديوان ٢٥٩، الكامل ٢١٠٥/٦.

(٥) انظر: التهذيب ٣٧٣/٥، التقريب ٤٤٤/١، المجروحين ١٠/٢، طبقات المدلسين ٥٤، الكاشف ١٠٩/٢، الخلاصة ٢١١، الديوان ١٧٥، المغني في الضعفاء ٣٥٢/١، أحوال الرجال ١٥٥، الضعفاء الصغير ١٣٥، الضعفاء الكبير ٢٩٣/٢، الكامل ١٤٦٢/٤، سير أعلام ١١/٨، الكشف الحثيث ٢٨١.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

ـ يزيد بن أبي حبيب المصري: ثقة يرسل[1].

ـ أبو الطّفيل عامر بن واثلة الكناني اللّيثي، صحابيّ صغير[2].

الحكم على الحديث:

هذا حديث باطل، لا يصحّ عن النّبيّ ﷺ، في سنده الأول فُرات وهو متّهم بالكذب، وعبّاد بن كَثير وهو وضّاع كما تقدّم.

وفي سنده الثّاني فُرات أيضاً، وابن لَهِيعة وأمره دائر بين الضّعف والتّرك كما تقدّم.

٥ ـ قال أبو العرب: «وحدّثني فُرات قال: حدثنا عبدالله بن أبي حسّان اليَحْصُبِيّ عن أبيه وعن سفيان بن عُيَيْنة عن عبدالله بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من رابط بالمُنَسْتِير ثلاثة أيّام وجبت له الجَنّة»، قال أنس: بخ بخ يا رسول الله، قال: «نعم يا أنس، وله في هذه الثّلاثة الأيّام كأجر النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين»[3].

أحوال رجال السّند:

ـ فُرات وعبدالله بن أبي حسّان تقدم الكلام عنهما، ففُرات متّهم بالكذب، وعبدالله ثقة يغرب.

ـ أبو حسّان اليحصبي: مجهول العين، لم يرو عنه غير ابنه عبدالله ولم يوثّقه أحد فيما وقفت عليه، فروايته مردودة.

---

(١) التقريب ٣٦٣/٢، الكاشف ٢٤١/٣.

(٢) انظر: التجريد ٢٨٩/١.

(٣) ط أبي العرب ٣، وانظر: الحلل ٢٤٠/١/١، المعالم ٥/١، رحلة التجاني ٣١.

ـ سفيان بن عُيَينة: ثقة حافظ إمام حجّة[1].

ـ عبدالله بن دينار العَدَوِي، أبو عبدالرّحمن المدني: ثقة[2].

الحكم على الحديث:

هذا حديث شديد الضّعف جدّاً، ظاهر البُطلان، فإنّ في سنده فُرات وهو متّهم بالكذب، والوضع عليه بيّن، لما فيه من المجازفة والوعد بالثّواب العظيم على العمل القليل، وذلك من علامات الوضع[3]، ثمّ ما الذي يجعل رباط المُنَسْتِير يختصّ بهذا الفضل على سائر الرّبط، وكذلك لفظ «بخ بخ» لا يتصوّر صدوره من أنس، وإنّما يتصوّر صدوره ممّن هو قريب من سنّ الرّسول ﷺ من كبار الصّحابة.

٦ ـ قال أبو العرب: «وحدثني فُرات قال: حدثني عبدالله بن أبي حسّان عن عبدالرحمن بن زياد، و(حدثني) موسى بن معاوية عن أبيه عن عبدالرحمن بن زياد عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ قال: قال النّبيّ ﷺ: «ينقطع الجهاد من البُلدان كلّها، فلا يبقى إلاّ بموضع هو في المغرب يقال له: إفريقيَّة، فبينما القوم بإزاء عدوّهم، نظروا إلى الجبال قد سيّرت فيخرّون لله تبارك وتعالى سجّداً، فلا ينزع عنهم أخلاقَهم ـ يعني ثيابَهم ـ إلا خُدّامهم في الجنّة»[4].

أحوال رجال السّند:

سبق ذكر أحوالهم في الأحاديث السّابقة، ففُرات متّهم بالكذب، وموسى

---

(١) التقريب ٣١٢/١.

(٢) التقريب ٤١٣/١، التهذيب ٢٠١/٥.

(٣) انظر: المنار المنيف ٥٠.

(٤) ط أبي العرب ٤، وانظر: الحلل ٢٣٩/١/١، مسالك البكري ٢٢، المعالم ٥/١، الرياض ٦/١.

وأبوه والحُبُلي ثقات، والإفريقي صدوق في حديثه بعض المناكير، وابن أبي حسّان ثقة يغرب.

الحكم على الحديث:

هذا حديث باطل، ظاهر الوضع، لا يصحّ عن النّبيّ ﷺ، وقد اجتمعت فيه جملة من العلل، فهو معلّ بالإرسال وفيه فُرات وهو متّهم بالكذب، أمّا المتن ففيه مجازفة ظاهرة هي الجزم بانقطاع الجهاد من على الأرض إلا من إفريقيَّة، والسّماجة بيّنة في ألفاظه، كما أنّه مناف لما هو مقطوع به من أنّ الساعة لا تقوم إلّا على شرار الخلق وقد نبّه إلى ذلك الشّيخ الشّاذلي النّيفر[1]، ومن هذه الأحاديث حديث أنس يرفعه: «لا تقوم السّاعة على أحد يقول: الله، الله»[2]، وحديث عبدالله بن عمرو: «لا تقوم السّاعة إلّا على شرار الخلق... ثمّ يبقى شرار النّاس عليهم تقوم السّاعة»[3].

قلت: ولا يعكّر على هذا حديث الطّائفة المنصورة، وأنّها ستبقى ظاهرة إلى قيام السّاعة[4] فقد ورد في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو السّابق ذكره ما يفسّر الإجمال الوارد في تلك الأحاديث، فقد جاء فيه بعد ذكر بقاء الطّائفة إلى مجيء السّاعة: فقال عبدالله: «أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسّها مسّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبّة من الإيمان إلّا قبضته، ثمّ يبقى شرار النّاس عليهم تقوم السّاعة».

---

(١) حيث قال: لم أر من تنبه إلى مصادمة هذا الحديث إلى الأحاديث الصحيحة في قيام الساعة على شرار الخلق. المجلة الزيتونية المجلد ٦، ١٣٦٤ هـ. ص ٥٧١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان ١/١٣١/٢٣٤.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» ٣/١٥٢٤/١٧٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ٣/١٥٢٣ - ١٥٢٥.

٧ ـ قال أبو العرب: وحدّثني فُرات قال: حدثنا عبدالله بن أبي حسّان قال: حدثني أبو حسان اليَحْصُبِي عن زياد بن عبدالرحمن[١]، عن بَكر بن سَوادة الجُذامي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى إفريقيّة لقي خَيْراً وخَبَراً[٢]»[٣]. هذا حديث متروك، فيه فُرات، وهو متّهم بالكذب، بالإضافة إلى أنّه معل بالإرسال، وأبو حسّان اليَحْصُبِي مجهول العين كما تقدّم.

٨ ـ قال أبو العرب: وحدّثني فُرات قال: حدثني أبو شيخ المفسّر عن عبدالرحمن بن زياد عن مُطَرِّف بن عبدالله يرفعه إلى النّبي ﷺ قال: «المُنَسْتِير باب من أبواب الجَنّة يقال له الأَنْف ودونه قنطرة من قناطير الأولين»[٤].

أحوال رجال السند:

ـ فُرات: متّهم بالكذب، وعبدالرحمن: صدوق في حديثه بعض المناكير، وقد سبق ذكرهما.

ـ أبو شيخ المفسّر واسمه طَلْق ويقال: سَيْف، قال أبو العرب: «كان رجلاً صالحاً معروفاً بالدّين»، وكان يفسّر الرؤيا، وهذا سبب تسميته بالمفسّر[٥].

ـ مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير: ثقة، من كبار التّابعين[٦].

---

(١) هكذا في طبعتي طبقات أبي العرب، والصواب عبدالرحمٰن بن زياد، وقد ظنه محققا الكتاب: زياد بن عبدالرحمٰن بن أنعم، ولم أجد من ذكر لعبدالرحمٰن ابناً بهذا الاسم.

(٢) في الطبعة الأولى خيراً وخيراً.

(٣) ط أبي العرب ٥، مح ٥٣.

(٤) ط أبي العرب ٤، المعالم ١/٥.

(٥) انظر: ط أبي العرب ٩٣، الرياض ١/٢٩٧.

(٦) التقريب ٢/٢٥٣.

الحكم على الحديث:

لا يصحّ هذا الحديث عن النّبيّ ﷺ، فهو معلّ بالإرسال، وفي سنده فُرات وحديثه متروك، كما أنّ متنه مشتمل على مجازفة عظمى وهي اعتبار المُنَسْتِير باباً من أبواب الجنّة[1]، وليس هناك ما يرفعها عن بقيّة ثغور المسلمين، بل إنّها لم تعد من الثّغور منذ قرون طويلة.

٩ ــ قال أبو العرب: قال فُرات: وحدّثني أبو زكريّاء الخَرَّاز يحيى بن سليمان قال: سمعت البُهلول بن راشد يقول... ما ذكرت شيئاً إلاّ والمُنَسْتِير أفضل منه وذلك أنّه بلغني عن النّبي ﷺ: «أنّه من أبواب الجنّة»[2].

سبق ذكر رجال هذا الحديث غير يحيى بن سليمان الخَرَّاز، وقد وثّقه أبو العرب والدّبّاغ[3]، وهو حديث باطل يشترك مع سابقه في علله ويزيد عليه بعلّة الإعضال، حيث سقط من إسناده ما لا يقلّ عن ثلاثة من الرّواة، لأنّه من بلاغات البهْلول بن راشد (ت ١٨٣)، وبينه وبين النّبيّ ﷺ ما لا يقلّ عن ثلاثة وسائط.

١٠ ــ قال أبو العرب: قال فُرات وحدّثني أبو الحجَّاج رباح بن ثابت عن ابن فرّوخ عن عبدالرحمن بن زياد عن مُطَرِّف بن عبدالله قال: المُنَسْتِير من أبواب الجنّة، فبينما هم في الصّلاة إذ سمعوا هدّة، فبعثوا رسولهم ليأتيهم بالخبر، فما لبثوا أن انصرف فقالوا له: ما صرفك؟ قال: سُيِّرت الجبال، فيخرّون سجّداً لله عزّ وجلّ فيقول الله تبارك وتعالى: «يا أهل المُنَسْتِير لولا أنّي كتبت الموت على خلقي لأدخلتكم الجنّة بأوساخ ثيابكم، فيخرج عليهم ريح صفراء ما بين المشرق

---

(١) انظر: المجلة الزيتونية المجلد ٦، ١٣٦٤ هـ. ص ٥٧١.

(٢) ط أبي العرب ٥، المعالم ١/٥، ٦.

(٣) ستأتي ترجمته رقم ٣٩ في المحدثين.

والقبلة، فتخرج أرواحهم فما ينزع عنهم أخلاقهم إلّا أزواجهم وخدمهم من الحور العين»[1].

أحوال رجاله غير من تقدّم:

ـ رباح بن ثابت الأزدي: وثّقه أبو العرب، غير أنّ أحاديثه منكرة[2].

ـ عبدالله بن فرّوخ الفارسي: صدوق يغلط[3].

الحكم على الحديث:

هذا حديث متروك، وهو موقوف على مطرِّف، غير أنّ حكمه حكم المرفوع لتعلّقه بما ليس للاجتهاد والرّأي فيه مجال، والوضع عليه بيّن؛ لما فيه من المجازفة، وركاكة اللّفظ، بالإضافة إلى معارضته لما ثبت في السّنّة من قيام السّاعة على شرار الخلق، كما تقدّم في الحديث السادس.

١١ ـ قال أبو العرب: وحدّثني فُرات قال: حدّثنا يحيى بن سليمان الحُفْري عن يزيد بن يونس عن ابن سمعان قال: ذُكر لي أنّ بإفريقيّة جزيرة هي باب من أبواب الجنّة يقول الله تبارك وتعالى: «وعزّتي وجلالي لولا أنّي كتبت الموت على خلقي لأدخلت أقواماً يكونون بها الجنّة بدوابّهم وأمتعتهم، حتّى لا ينزع ثيابهم إلّا الحور العين»[4].

أحوال رجاله غير من تقدّم ذكره:

ـ يزيد بن يونس الأَيْلِي: ليس بشيء[5].

---

(١) ط أبي العرب ٥، رحلة التجاني ٣١، ٣٢.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.

(٣) التقريب ١/٤٤٠، وانظر: ترجمته رقم ٣ في المحدثين.

(٤) ط أبي العرب ٢.

(٥) اللسان ٦/٢٩٦.

ـ عبدالله بن زياد بن سليمان بن سمعان المَخْزُومي أبو عبدالرحمن المدني: كذّبه مالك وغيره، تركوه واتّهموه بالوضع في الحديث[1].

الحكم على الحديث:

هذا حديث موضوع، كما هو واضح في رجال سنده، والوضع ظاهر على متنه أيضاً، كما تقدّم في الأحاديث التي في معناه

١٢ ـ قال أبو العرب: وقرأت عن إسحٰق بن أبي عبدالملك عن أبيه عن مُقاتِل عن وهْب بن منبّه وشَهْر بن حَوْشَب أنّ هذه البقعة الملعونة التي يقال لهل: «تَهُودَة»[2]، كان النّبيّ ﷺ نهى عن سكناها وقال: «سوف يُقتل بها رجال من أمّتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر، وأهل أحد، والله ما بدّلوا حتّى ماتوا، واشوقاه إليهم!». قال: وقال شَهْر بن حَوْشَب: سألت التّابعين عن هذه العصابة فقالوا: «ذلك عُقبة وأصحابه، قتلهم البربر والنّصارى بتَهُودة فمنها يُحشرون يوم القيامة وأسيافهم على أعناقهم، حتّى يقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى»[3].

قلت: هذه في الواقع مثلبة لا منقبة، ومع ذلك يقع إيرادها في فضائل إفريقيَّة، ولعلّ المراد بيان مناقب الأشخاص لا المكان.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال ٢/٢٨٣، التهذيب ٥/٢١٩، الديوان ١٦٧، أحوال الرجال ١٤٢، المغني ١/٣٣٩، المجروحين ٢/٧، التقريب ١/٤١٦، الضعفاء الصغير ١٣١، الضعفاء والمتروكين ١٥١، ط المدلسين ٥٤.

(٢) هي ما يعرف الآن بـ: «سيدي عقبة» في إقليم الجزائر. وتَهُوذَة بالذّال اسم لقبيلة بربرية، فلعلّ المدينة سمّيت بهم. معجم البلدان ٢/٦٤.

(٣) ط أبي العرب ٩، ١٠.

أحوال رجال هذا الحديث:

ـ أبو عبدالملك المَلْشُوني: من القُصّاص، يحدّث بالعجائب، قال أبو العرب: «وحديثه يدلّ على ضعفه، ما يُحتاج إلى معرفة حاله بأكثر من روايته»(١).

ـ ابنه إسحٰق: كان مثل أبيه، فكان أمراء بني الأغلب يستدعونه ليحدّثهم بتلك العجائب في نهار رمضان(٢).

ـ مُقاتِل بن حيّان النَّبَطي الخَرّاز: صدوق(٣).

ـ وهب بن منبّه الصّنعاني: ثقة(٤).

ـ شَهْر بن حَوْشَب: اختلفوا فيه كثيراً، وهو صدوق كثير الأوهام والإرسال(٥).

الحكم على الحديث:

هذا حديث باطل، لا يصحّ عن النّبيّ ﷺ، وهو أشبه بكلام القُصّاص، ولعلّه من وضع أبي عبدالملك الملشوني أو ابنه إسحٰق، وعلامة الوضع بيّنة في ركاكة ألفاظه، وما فيه من المجازفة، كما أنّ أبا العرب تحمّله وجادة، وهي طريقة ضعيفة من طرق التّحمل؛ لانقطاعها، بالإضافة إلى كونه معلاًّ بالإرسال.

١٣ ـ قال أبو العرب: وحدّثني فُرات أيضاً عن موسى بن معاوية وسَحنون عن ابن وهب عن ابن لَهِيعة عن بَكر بن سَوادة الجُذامي أنّ سفيان بن الحارث

---

(١)، (٢) ط أبي العرب ٩٨، الرياض ١/٤٠١.

(٣) انظر: التقريب ٢/٢٧٢، التهذيب ١٠/٢٧٧، الميزان ٤/١٧١، الكاشف ٣/١٥١، الخلاصة ٣٨٦.

(٤) انظر: التهذيب ١١/١٦٦، التقريب ٢/٣٣٩، الكاشف ٣/٢١٦، الميزان ٤/٣٥٢، الخلاصة ٤١٩.

(٥) التقريب ١/٣٥٥، الخلاصة ١٦٩، التهذيب ٤/٣٦٩، المغني ١/٣٠١، الكامل ٤/١٣٥٤، ثقات العجلي ٢٢٣، الميزان ٢/٢٨٣، الكاشف ٢/١٤، الديوان ١٤٥.

حدّثهم عن أشياخه أنّهم قالوا للمقداد بن الأسود صاحب النّبيّ ﷺ: إنّك ثقلت وإنّك تخرج في هذه المغازي، فقال: خفيفاً كنتا أو ثقيلاً لا أتخلّف عنها؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾[(1)]، ثم قال: قدمت سَرِيّة على النّبيّ ﷺ، فذكروا البرد والحرّ الذي أصابهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ البرد الشّديد والأجر العظيم لأهل إفريقيّة»[(2)]، وله روايات أخرى عند أبي العرب[(3)].

أحوال رجال هذا الحديث:

- فُرات متّهم بالكذب، وموسى ثقة، وقد تقدّما.
- سَحنون بن سعيد: إمام ثقة[(4)]، وقد سبق التّنبيه على أنّ ورود سَحنون وأمثاله من الثّقات في هذه الأحاديث إنّما هو تلفيق ممّن دونهم، ويحتمل احتمالاً ضعيفاً جدّاً تحديثهم بها مع العهدة على رواتها.
- عبدالله بن وَهْب القُرشي المصري: ثقة[(5)].
- بَكر بن سَوادة الجُذامي: تابعي ثقة[(6)].
- سفيان بن الحارث: لم أستطع تحديده، وهما اثنان في هذه الطّبقة أحدهما مجهول العين والآخر مجهول الحال[(7)].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٢) ط أبي العرب ٣، وانظر: الحلل ١/١/٢٣٨، مسالك البكري ٢١، ٢٢، البيان المغرب ١/٧، المعالم ١/٤.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٣، ٤.

(٤) ستأتي ترجمته رقم ١٣ في المحدثين.

(٥) التقريب ١/٤٦٠.

(٦) التقريب ١/١٠٦، وستأتي ترجمته رقم ٢ في القسم الثاني من التابعين.

(٧) انظر: الجرح والتعديل ٤/٢٢١، ٢٢٨.

الحكم على الحديث:

هذا حديث متروك، فيه فُرات وهو متّهم بالكذب كما تقدّم، كما أنّه مُعلّ بجهالة أحد رواته، وهو سفيان بن الحارث.

وهكذا تبيّن أنّ أحاديث فضائل إفريقيَّة المرفوعة، وما في حكمها، كلّها باطلة، على ضوء دراسة أسانيدها والنّظر في متونها، متّبعاً في ذلك المنهج العلمي الدّقيق الذي وضعه جهابذة نقّاد المحدّثين.

المبحث الثّالث

من علوم السّند والمتن لدى القرويّين

أوّلاً: من علوم السّند:

١ ــ أهمّية الإسناد عند القرويّين:

كان أهل القيروان يدركون أهمّيّة الإسناد، ويروون ما ورد عن الأئمّة في ذلك، فقد روى محمد بن سَعدون القروي بسنده إلى عبدالله بن المبارك قال: «الإسناد من الدّين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[١].

وكانوا يتشدّدون في طلب الأسانيد، حتّى إنّ الإمام سَحنون كان لا يقبل الحديث إلّا بسند راويه[٢]، وكان ما بينه وبين المحدّث عَوْن بن يوسف (ت ٢٣٩) غير جميل، لشكّه في سماع عون من عبدالله بن وهب[٣].

---

(١) الإلماع ١٩٤، وانظر: معرفة علوم الحديث للحاكم ٦.

(٢) انظر: الرياض ١/٣٨٢.

(٣) انظر: المدارك ١/٦٢٩.

كما كانوا يُنقّبون في الأسانيد ويتثبّتون في اتّصالها[1]، ويسألون الشّيوخ عن سماعهم ممّن رووا عنهم إذا شكّوا في ذلك[2]، وقد تقدّم ذكر طلب بعضهم الإجازة من الشّيخ، رغم حضورهم الحلقة؛ لعدم تأكّدهم من سماعهم بسبب البعد عن الشّيخ.

٢ ـ الألفاظ الدّالة على اتّصال السّند أو انقطاعه عند القرويّين:

أ ـ ألفاظ الاتّصال: قال القابِسي[3]: «والبيّن الاتّصال ما قال فيه ناقلوه: حدّثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعنا منه قراءة عليه، أو قراءة علينا، **فهذا اتّصال لا إشكال فيه**».

ب ـ العَنْعَنَة[4]: وهي قول الرّاوي: فلان عن فلان.

وقد اعتبرها أهل القيروان من ألفاظ الاتّصال بشرط ثبوت اللّقاء والسّلامة من التّدليس، وهو المذهب الصّحيح الذي عليه أئمّة أهل النّقل، وكثير من المحدّثين وأهل التّحقيق، قال القابِسي[5]: «وكذلك ما قالوا فيه: «عن» فهو أيضاً من المتّصل إذا عُرف أنّ ناقله أدرك المنقول عنه إدراكاً بيّناً، ولم يكن ممّن عُرف بالتّدليس».

---

(١) انظر: الرياض ١٣٨/١.
(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٥١، ط أبي العرب ٧٢، ١٠٥.
(٣) الملخص خط ل ٢ ب.
(٤) انظر عنه: التدريب ٢١٤/١، معرفة علوم الحديث ٣٤، شرح النووي على مسلم ١٢٧/١، علوم الحديث لابن الصلاح ٥٦، السنن الأبين ٢١، التقييد والإيضاح ٨٣، جواهر الأصول في علم حديث الرسول ٢٩، توجيه النظر ١٦٨.
(٥) الملخص خط ل ٢ ب، السنن الأبين ٣٥.

وذهب ابن رُشَيد[1] أيضاً إلى اعتبار مذهب القابِسي في هذه المسألة يدخل ضمن المذهب الصحيح، ثمّ قال[2]: «وأمّا لفظ القابِسي فيمكن أن يريد به ثبوت المعاصرة البيّنة، وهو أظهر احتمالية، ويمكن أن يريد به طول الصّحبة...».

غير أنّ في كلام النّووي ما يشير إلى أنّ القابِسي يذهب في المُعنعن مذهباً وسطاً بين الإمام مسلم الذي يكتفي بإمكانيّة اللّقاء، وبين الإمام البخاري ومن وافقه في اشتراط ثبوت اللّقاء، حيث قال بعد تحرير المسألة: «... وقد زاد جماعة من المتأخرين على هذا، فاشتراط الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) أن يكون أدركه إدراكاً بيّناً...»[3].

ومن محدّثي القيروان من ذهب في المُعنعن إلى الاكتفاء بالمعاصرة، وهو المذهب الذي قال به الإمام مسلم، وادّعى الإجماع عليه، وشدّد في النّكير على من خالفه، غير أنّ أهل التّحقيق ردّوا قوله[4]، ومن هؤلاء القرويّين الذين ذهبوا إلى هذا محمد بن سَعدون القروي (ت ٤٨٦) الذي كان يكتفي في ظهور السّماع بكون السّنّ تحتمل اللّقاء[5].

جـ ـ قول الرّاوي: إنّ فلاناً قال كذا، أو فعل كذا:

يذهب القرويّون إلى أنّ هذه الألفاظ على الاتّصال حتّى يتبيّن فيها غير ذلك، قال الإمام القابِسي[6]: «... قول النّاقل: إنّ المنقول عنه قال كذا، أو فعل كذا، فهو من المتّصل بالمنقول عنه، إلاّ أن يجيء عن النّاقل ما يبيّن أنّه لم يسمعه من المنقول عنه...».

---

(١)، (٢) السَّنَن الأبين ٣٥، ٤٢.

(٣) شرح النووي على مسلم ١/١٢٨.

(٤) مقدمة مسلم (مع شرح النووي) ١/١٢٩ فما بعدها.

(٥) السنن الأبين ٣٥، ٣٦. (٦) الملخص خط ل ٢ ب.

وفي حكم «قال» تفصيل عند المحدّثين[1]، فهي عندهم من قَبيل المتّصل إذا عُرف اللّقاء والسّماع على الجملة، وعُلم من حال الرّاوي أنه لا يروي إلاّ ما سمعه، واستعمل العلماء ذلك في مصنّفاتهم، وتحمّلوا به المرويّات، غير أنّ استعمالها أليق بما سُمع في المُذاكرات والمُناظرات، وإذا لم تتوفّر الشّروط المذكورة اعتبر القول من قَبِيل المنقطع، وللمسألة صور وتفريعات في المصادر[2].

د ــ قول الرّاوي بلغني عن فلان، أو سمعت أنّ فلاناً قال، ونحوها:

هذا معتبر عند القرويّين وغيرهم من المحدّثين غير متّصل[3]، فإنّ الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) يذهب إلى أنّ قول النّاقل: «بلغني أو سمعت أنّ فلاناً قال كذا، أو انتهى ذلك إلينا. . . فهذا غير متّصل»[4].

قلت: ولا يعكّر على هذا قبولهم لبلاغات مالك في الموطّأ؛ لثبوت وصلها خارج الموطّأ من طريق مالك وغيره[5].

٣ ــ طلب الإسناد العالي: يحرص محدّثو القيروان كغيرهم من محدّثي المشرق على علوّ الإسناد، وذلك واضح في أقوالهم وسلوكهم وتأليفاتهم:

فمن أقوالهم ما ذكره أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْياني (ت ٣٦٩)، حيث قال واصفاً حرص علماء إفريقيَّة والقيروان على علوّ الإسناد: «إذا بلغنا أنّ

---

(١)، (٢) علوم الحديث لابن الصلاح ٦١، ١٢١، التقييد والإيضاح ٨٩، التدريب ٢١٩/١، فتح المغيث ١٠٧/٣، مقدمة الإصابة ١٥/١، جواهر الأصول ٢٩.

(٣) التقريب ٢١١/١ (مع التدريب)، التدريب ٢١٢/١، التقييد والإيضاح ٨٢، علوم الحديث لابن الصلاح ٥٤، ٥٥.

(٤) الملخص خط ل ٢ ب.

(٥) انظر: التدريب ٢١٢/١. رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ لابن الصلاح ٦.

رجلاً ببلد هو أقرب إلى النّبيّ ﷺ بدرجة ضربنا إليه آباط الإبل، وقطعنا إليه المفاوز»[1].

ومن سلوكهم ما كان يفعله كثير من محدّثيهم من سماع المصنّفات ممّن قدم بها من المشرق، ثمّ الارتحال لسماعها بسند أعلى من مصنّفها أو غيره، وقد تقدّمت نماذج لهذا في مبحث ثمرات الرحلة[2].

وكذلك نجد أنّ القرويّين قد جمعوا عوالي أحاديثهم في مصنّفات مستقلّة، منها:

- عوالي حديث أبي عَالَرَب محمد بن أحمد التَّمِيمي (ت **٣٣٣**)[3].
- عوالي حديث أبي عِمران موسى بن عيسى الفاسي (ت **٤٣٠**)، وقد خرَّج منها نحو مائة ورقة[4].
- عوالي عثمان بن أبي بكر الصَّفَاقُسي (ت حوالي سنة **٤٤٤**)[5].

على أنّ هذا الحرص على علوّ الإسناد والجدّ في طلبه لم يجعل القرويّين ينساقون فيأخذونه من غير طريقه العلمي كالمنامات، أو ممّن ادّعى كذباً قربه من الرّسول ﷺ، ومن أدلّة ذلك ما يلي:

أ ـ «اجتمع أحمد المؤدّب[6] بسلاّم الأسود المتعبّد[7]، وكان يعرف بسلاّم الأسود، وكان كثير السّياحة، فقال له سلاّم: «رأيت النّبيّ ﷺ في المنام، وقد حدّثني بأحاديث كثيرة، قد رأيت منها ما صحّ نقله، ومنها الضّعيف، إلاّ أنّ الكلّ

---

(١) مناقب أبي إسحٰق ٥٨، أبو عبدالله الأبي وكتابه الإكمال ٩١.

(٢) في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) المدارك ٣/٣٣٥، الشجرة ١/٨٤.

(٤) الشجرة ١/١٠٦، الأعلام ٧/٢٨٧.

(٥) الشجرة ١/١٠٩، تراجم المؤلفين ٣/٢٦١.

(٦)، (٧) ليس هناك معلومات عنهما في المصادر.

رُوي»، فجاء أحمد بالصّحيفة إلى الشّيخ أبي إسحٰق (الجِبِنْياني) فقال له: «جئتك بتحفة»، قال: «ما هي؟»، فأراه الصّحيفة، فأنكر عليه أبو إسحٰق إنكاراً شديداً وقال له: «روايات السُّنن لا تؤخذ عن المنامات»، ثم ذكر له تحمّل العلماء مشاقّ الرّحلة، من أجل علوّ الإسناد، وقال: «وأنت تقول حدّثني سلّام الغلام، عن النبيّ ﷺ»، ثم قال: «إنّ رسول الله ﷺ لم يمت حتّى أخبر أمّته بما يحتاجون إليه، من أمر دنياهم وأخراهم، وأكمل الله به الدّين، وأمّا الرؤيا الحسنة فيبشّر الله بها المؤمن[1]، وأنتم تحبّون أن تجعلوها شريعة تقطعون بها»، ثم أمر أبو إسحٰق بقطع تلك الصّحيفة»[2].

ب ــ إن محدّثي القيروان لم يغتروا بأحاديث علي بن عثمان بن خطّاب المغربي المعمّر، المعروف بأبي الدّنيا، فإنّه دخل القيروان سنة ٣١١ هـ[3]، وزعم أنّ له في تلك السّنة ٢٥٠ عاماً[4].

وحدّث بها عن علي بن أبي طالب، وزعم أنّه رأى الخلفاء الأربعة[5]، ولم يحدث عنه من القرويّين إلا أبو جعفر أحمد أو تميم بن محمد التّميمي، بعد انتقاله إلى الأندلس[6] وأبو جعفر هذا معروف بالضّعف[7]، أما سائرهم فلم يعتدّوا بحديثه، كما هو رأي النّقاد من أهل المشرق[8]،

---

(١) يشير بذلك إلى الحديث الصّحيح: «لم يبق من النّبوّة إلّا المُبشْرات قالوا: وما المبشّرات؟ قال: الرّؤيا الصّالحة» أخرجه الإمام البخاري من طريق أبي هريرة في كتابه التعبير باب المبشرات ٨/٦٩، وأخرجه الإمام مسلم بنحوه من طريق ابن عباس وفي أوله زيادة، كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ١/٣٤٨/٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) مناقب أبي إسحٰق ٥٨.

(٣)، (٤)، (٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٤٢٣، اللسان ٤/١٣٤.

(٦) فهرسة ابن خير ١٦٩.

(٧) المدارك ٣/٥٣٣.

(٨) انظر: تاريخ بغداد ١١/٢٩٧، تنزيه الشريعة ٢/٤٥، الميزان ٣/٣٣، اللسان ٤/١٣٤، معرفة علوم الحديث ١٠.

٤ ـ حكم حديث الأفراد عند القرويّين:

وهو ما تفرّد به راوٍ واحد مطلقاً، أو مقيّداً، على التّفصيل المذكور في المصادر[١].

يرى القرويّون صحّة الاحتجاج بخبر الواحد[٢]، إذا استوفى شروط القبول طبعاً، وكان سعيد بن الحدّاد يرُدّ على المُنكرين لذلك، مستعملاً حجّتهم على سبيل الإنكار والتّهكّم، من ذلك ما دار بينه وبين بعض المعتزلة من المناظرة في مجلس بعض أمراء الأغالبة، فاحتجّ المعتزلي بقول بعض من لم يسمّ على تفضيل العراقيّين على المدنيّين، فقال ابن الحدّاد[٣]: «أيّها الأمير، هذا وأصحابه يزعمون أنّ أبا بكر الصّدّيق رضوان الله عليه إذا انفرد بخبر عن رسول الله ﷺ لم تقم به حجّة، وأنّ عمر رضي الله عنه إذا انفرد بخبر لم تقم به حجّة. وأنّ عثمان وعليّاً رضوان الله عليهما كذلك، إذا انفردا، وها هو ذا يريد أن يقيم الحجّة في تفضيل أهل العراق على أهل مدينة رسول الله ﷺ بخبر رجل لا يعرف من هو من جميع البرايا!».

كذا ورد، وهو واضح في التّفرّد، ولكن المعروف عن المعتزلة أنّ خبر الواحد عندهم ليس الفرد، ولكن ما لم يبلغ مبلغ التّواتر[٤].

---

(١) ويسمى أيضاً الحديث الفرد. انظر: منهج النقد ٣٩٩، تيسير مصطلح الحديث ٢٨، اختصار علوم الحديث ٦١، علوم الحديث لابن الصلاح ٧٠، ٨٠، معرفة علوم الحديث ٩٦.

(٢) انظر عن: الاحتجاج بخبر الواحد، الكفاية ٦٦ ـ ٧٢.

(٣) الرياض ٢/٧٣.

(٤) انظر: التبصرة في أصول الفقه ٢٩٨، ٣٠٣، ٣١٢.

ثانياً: من علوم المتن:

١ ـ من حيث مخرجُه (أي قائله):

وفيه نقطتان:

أ ـ قول الصّحابي: كنّا نفعل، وكنّا نؤمر... يذهب الإمام القابِسي[1] إلى أنّ هذا محملُه على الرّفع إذا صحّ اتّصاله بالصّحابي، إلاّ إذا ظهر بالنّقل غير ذلك، وأمّا إذا قال فيه: «على عهد رسول الله ﷺ»، فقد بان اتّصاله وهو من قبيل المرفوع قطعاً.

وفي هذا بعض خلاف مع ما ذهب إليه أهل المشرق، فإنّهم فرّقوا بين حكم اللّفظين، حيث اعتبروا قول الصّحابي: «كنّا نفعل» من قَبِيل الموقوف، ولا يحكم برفعه إلاّ إذا أضافه إلى زمان النبي ﷺ[2].

واعتبروا قول الصّحابي: «أُمِرنا بكذا» من قَبِيل المرفوع، ولو لم يضفه إلى زمن الرّسول ﷺ، على الرّاجح الذي عليه أصحاب الحديث وأكثر أهل العلم[3].

ب ـ إذا ذكر التّابعي ما كان على عهد الرّسول ﷺ، ووصف قولَ الرّسول ﷺ في ذلك، وسمّى الصّحابي بما كان منه، فليس هذا من قَبِيل المرفوع عند القرويّين إلاّ إذا حدّث به من كلام الصّحابي نفسه، مثل أن تقول عَمْرة: قالت عائشة رضي الله عنها: أتى النّبيّ ﷺ في كذا فقال كذا، فهذا موصول وإن لم تقل عَمْرة حدّثتني عائشة[4].

قال القابِسي[5]: «فأمّا إن قالت عَمْرة: كان من النّبي ﷺ كذا وكذا فقالت عائشة كذا، فليس في هذا ما يرفعه عن البلاغ...».

---

(١) انظر: الملخص خط ل ٣ أ.

(٢) انظر: علوم الحديث ٤٣، اختصار علوم الحديث ٤٦، التدريب ١/١٨٥.

(٣) علوم الحديث ٤٥، اختصار علوم الحديث ٤٦، ٤٧، التدريب ١/١٨٨.

(٤)، (٥) الملخص خط ل ٢ ب.

٢ ـ من حيث درايتُه:

وفيه أربع نقاط:

أ ـ **غريب الحديث**[1]: وهو ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم؛ لقلّة استعمالها، وهو فنّ عظيم الأهمّيّة، شديد الصّعوبة، وكان السّلف يتثبّتون فيه أشدّ التّثبّت، وقد كان للقرويّين اهتمام بتفسير الألفاظ الغريبة التي ترد في متون الأحاديث، حتّى وضعوا في ذلك بعض المصنّفات منها:

ـ غريب الحديث لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وهو في سبعة أجزاء[2].

ـ غريب الحديث ليوسف بن عبدالله التَّميمي (ت ٣٣٦)، وقد نصر فيه أبا عُبيد القاسم بن سلاّم الهَرَوِي (ت ٢٢٤) على عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينُورِي (ت ٢٧٦)[3].

ـ شرح غريب ألفاظ المدوّنة للجُبّي (ق ٤)، وقد شرح فيه بعض ألفاظ حديث المدوّنة بالإضافة إلى الألفاظ الفقهيّة[4].

ب ـ **شرح الحديث وفقهه**: اهتمّ القرويّون ببيان معاني الأحاديث واستنباط الأحكام منها، وكانت لهم في ذلك مؤلفات منها:

ـ شرح الموطّأ لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وهو في أربعة أجزاء[5].

ـ معاني الأخبار لسعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)، شرح فيه مجموعة أحاديث من روايته، ويوجد بعضها في مكتبة جامع القَيْرَوان[6].

---

(١) انظر: التدريب ٢/١٨٤، التقريب ٢/١٨٤، جواهر الأصول ٤٢، اختصار علوم الحديث ١٦٧، الباعث الحثيث ١٦٧، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٤٥، معرفة علوم الحديث للحاكم ٩٤، توجيه النظر ١٧٩.

(٢) المدارك ٣/١٠٦. (٣) المدارك ٣/٣٥٦.

(٤) نشرته دار الغرب الإسلامي بتحقيق محمد محفوظ ١٤٠٢ هـ.

(٥) المدارك ٣/١٠٦. (٦) المكتبة الأثرية ٣٩.

ـ النّامي في شرح الموطّأ لأحمد بن نصر الدّاوُدي (ت ٤٠٢)[١].

ـ النّصيحة في شرح صحيح البُخاري للدّاودي أيضاً[٢]، وهو كتاب مهمّ، نقل عنه ابن حجر في الفتح كما سيأتي عند ذكره في المصنّفات.

ـ شرح الموطّأ للإمام أبي الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)، نقل عنه صاحب الاستقصاء[٣]، ويظهر أنّه جملة من التّعليقات.

ـ شرح الموطّأ لمروان بن محمد الأسدي (ت قبل سنة ٤٤٠)[٤].

جـ ـ تأويل مختلف الحديث: ومختلف الحديث هو أن يوجد حديثان متضادّان في المعنى ظاهراً[٥].

ويبدو أنّه كان للقرويّين بعض عناية بهذا الفنّ، ذلك ما يفهم من طرف من مناظرة وقعت بين دعاة الرّافضة وبين سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢)، حيث قالوا له: «فإن اختلف عليك النّقل وجاءت السُّنّة من طرق؟»، قال سعيد: «أنظر إلى أصحّ الخبرين نقلاً، فآخذ بأصحّهما، وأطلب الدّليل على موضع الحقّ في أحد الحديثين، ويكون الأمر في ذلك كشهود عدول اختلفوا في شهادة فلا بدّ من طلب الدّليل على موضع الحقّ من الشّهادتين»، قال: «فلو استووا في الثّبات؟»، قال سعيد: «يكون أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً»[٦].

فابن الحدّاد يذهب في الحديثين اللّذين ظاهرهما التّعارض إلى ترجيح أحد

---

(١) الشجرة ١/١١١، مدرسة البخاري في المغرب ٢/٥٧٩، المدارك ٣/٦٢٣.

(٢) مدرسة البخاري في المغرب ٢/٥٦٩، ٥٧٩، المدارك ٣/٦٢٣.

(٣) الاستقصاء للسلاوي ١/٩٠، وانظر: المكتبة الأثرية ٣٨، ٣٩.

(٤) الجذوة ٣٢١، الصلة ٢/٥٨١.

(٥) انظر: جواهر الأصول في علم حديث الرسول ٤٠، التقييد والإيضاح ٢٨٦، التدريب ٢/١٩٦، علوم الحديث ٢٥٧.

(٦) الرياض ٢/٧٧، سير أعلام ١٤/٢٠٨، ط الخشني ٢٠٢، ٢٠٣.

الخبرين على الآخر بدليل من السّند أو المتن، فإن لم يجد الدّليل افترض أن يكون أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، ولكن الأولى أن يبدأ بالنّظر في إمكانيّة الجمع بين الخبرين إذا استويا في القوّة[1].

د ـ **من تطبيقات هذا المبحث**: المناظرات المستدلّ فيها بالسُّنّة:

من مظاهر اهتمام القرويّين بعلوم دراية الحديث كثرة احتجاجهم بالحديث في مناظراتهم، ومناقشاتهم، التي يمكن تقسيمها إلى نوعين: المناظرات العامّة، وهي التي تكون بحضور ملأ من النّاس، وتعقد غالباً في مجالس الأمراء، والمناظرات الخاصّة، وهي التي تنعقد بين عالمين، وسأذكر نماذج لكلّ نوع:

١ ـ **المناظرات العامّة**: وقد وقع شيء منها بالقَيْرَوان في وقت مبكّر سنة ١٤٤ هـ، غير أنّ أبا العرب ـ ناقل القصّة ـ لم يفصّلها، ولم يذكر الأحاديث التي دارت المناقشة حولها، قال أبو العرب: لمّا قدم محمد بن الأشعث[2] إفريقيَّة، ونزل القَيْرَوان قال: «هل في بلدكم أحد من أهل الحديث؟»، قالوا: «نعم، رجل يقال له يزيد بن أبي منصور[3]، هو من التّابعين من بقايا النّاس»، فبعث إليه فجاءه، وهو شيخ كبير قد خرف وضعف، فحادثه ساعة، إلى أن ذكر محمد بن الأشعث شيئاً عن النّبيّ ﷺ أنكره عليه يزيد، فقال له يزيد بن أبي منصور: «أدركت النّاس قبل أن يلتقي أبواك لا يقول هذا منهم إلا عاجز جاهل»، فغضب محمد بن الأشعث حتّى زال عن النّمرقة التي كان عليها قاعداً، فأمهله

(١) انظر: اختصار علوم الحديث ١٧٤، ١٧٥، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٥٧، التقريب ١٩٦/٢، التدريب ١٩٦/٢، تيسير مصطلح الحديث ٥٦.

(٢) هو محمد بن الأشعث الخزاعي، تولى إمارة إفريقية من سنة ١٤٤ هـ إلى سنة ١٤٨ هـ، وكان له دور هام في جهاد الخوارج، انظر: البيان المعرب ٧٢/١.

(٣) تابعي طال مكثه بالقيروان، وكان له أثر في شيوع رواية الحديث فيها، ستأتي ترجمته رقم ٢ في القسم الرابع من التابعين.

يزيد بن أبي منصور ثمّ فسّره له وبيّنه، فقبل منه محمد بن الأشعث وقال له: «ما نعجل على الشّيخ»[1].

أمّا أشهر هذه المناظرات فهي تلك التي عقدها بنو عُبيد بالقيروان (**٢٩٦ - ٣٦٢**)، واستدعوا لها علماء السُّنّة، طمعاً في استمالتهم إلى مذهبهم الخبيث، فقام هؤلاء العلماء بالذّبّ عن الإسلام والسّنّة كما تقدّم[2]، وممّا يؤسف له أنّ هذه المناظرات لم يصلنا منها إلّا القليل بالنّظر إلى كثرتها، فإنّ مناظرات سعيد بن الحدّاد وحدها بلغت أربعين مجلساً، لم يصلنا منها إلّا أربعة[3]، وسأقتطف منها بعض ما يخدم هذا المبحث.

ـ أرسل عُبيدالله الشّيعي إلى ابن الحدّاد، وعرض عليه كتاباً لطيفاً، قال ابن الحدّاد: «. . . ورمقته ببصري فعرفت الكتاب، قال: تصفّح، فجعل يده على بعض الصّفحة، وأنا أنظر إلى الإسناد، . . . فقلت له: عرفت الحديث وهو حديث غدير خُمّ[4]: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[5]، وهو حديث صحيح وقد رويناه، فعطف عليَّ عُبيدالله ـ لعنة الله عليه ـ فقال: «فما للنّاس لا يكونون عَبيدنا؟»، فقلت له: «أعزّ الله السّيّد، لم يُرد ولاية الرّقّ وإنّما أراد ولاية

---

(١) ط أبي العرب ٢١، ٢٢.

(٢) راجع التمهيد مبحث الشيعة الإسماعيلية بالقيروان، ومبحث الفرق الكلامية بالقيروان.

(٣) انظر: ورقات لحسن عبدالوهاب ١/ ٢٥٩.

(٤) خمّ: اسم واد بين مكّة والمدينة خطب فيه النبي ﷺ حين حجّ، انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٦٦.

(٥) هذا حديث صحيح كما حكم عليه ابن الحداد، فقد رواه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب علي ٥/ ٦٣٣/ ٣٧١٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
وأخرجه ابن ماجه بمعناه وفي أوله قصة في فضائل الصحابة باب فضل علي ١/ ٥٥/ ١١٩، وأخرجه الإمام أحمد بمثله وفي أوله قصة ٤/ ٣٦٨، وأخرجه كذلك بمعناه وفي أوله قصة ٤/ ٣٧٠، كلهم من طريق زيد بن أرقم.
وذكر العجلوني أن هذا الحديث يروى عن ثلاثين من الصحابة بلفظ: «اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه» ثم قال: «فهو متواتر أو مشهور»، كشف الخفاء ٢/ ٣٦١.

في الدّين...»، قال: «فهل من شاهد من كتاب الله عزّ وجل؟»، فقلت: نعم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ما كانَ لبشرٍ أن يؤتيَه اللّهُ الكِتَابَ والحُكْم والنُّبُوَّةَ ثمّ يَقُولَ لِلنَّاس كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُون اللَّهِ، ولَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُم تُعلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُون، وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً، أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُون﴾[1]، فما لم يجعله الله لنبيّ، لم يجعله لغير نبيّ...[2].

ويلاحظ أنّ ابن الحدّاد قد انتبه إلى الإسناد لعلّه يجد عليه مطعناً، ثمّ حكم على الحديث بالصّحّة، وأقرّ بشيوع روايته لدى أهل السُّنّة، وأوضح معناه الصّحيح[3]، الملائم لنصوص الكتاب والسُّنّة، وأبطل المعنى الذي أراد الرّافضة تفسيره به.

ـ واستدعى الرّافضة العلماء لمناظرتهم في قيام رمضان، قال أبو عثمان بن الحدّاد: فقلت له (لداعيتهم): «ما تحتاج إلى المناظرة»، فقال لي: «لا بدّ منها»، فقلت له: «شأنك وما تريد»، فقال: «ألستم تعلمون وتروُون أنّ النّبيّ ﷺ لم يقم إلّا ليلة ثمّ قطع، وأنّ عمر بن الخطّاب هو الذي استنّ القيام؟»، وقد جاء في الحديث الذي تروُونه ونرويه أنّ: «كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار»[4]، فقلت له: «هذه البدعة من البدع التي يرضاها[1] الله عزّ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٧٩، ٨٠.

(٢) الرياض ٢/٥٩، ٦٠، وانظر: المدارك ٥/٨٢، المعالم ٢/٢٩٩، ط الخشني ٢٠١.

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة ١/٥٥.

(٤) أخرجه النسائي بلفظه في حديث طويل من جابر بن عبدالله كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة ٣/١٨٨.

وأخرجه الإمام مسلم من طريق جابر في حديث طويل بلفظ «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢/٨٦٧، وبهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اجتناب البدع ١/٢١/٤٦، وأخرجه الدارمي من هذا الطريق في حديث مختصر بنفس لفظ مسلم باب كراهية أخذ الرأي ١/٦٩، وبه أيضاً عند أحمد ٣/٣١٠، ٣٧١.

وجل ويذمّ من تركها»، فقال: «وأين تجد ذلـك في كتاب الله (عـز وجل)؟»، فقلت له: «. . . قال الله عزّ وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم، إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رضوان الله، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِها﴾(٢)، فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رَهْبَانِيَّة؛ لئلّا يذمّنا الله عز وجل كما ذمّهم». فقال: «من صلّى القيام ضربتُ عنقَـه»، فقلت له: «قـد قلت لك هـذا أوّلاً: ما تحتـاج إلى المنـاظـرة، فلم تقبل. . .»(٣).

قلت: هناك ملاحظات على هذه المناظرة، منها: الصّحيح أنّ الرّسول ﷺ قـد قام عـدّة ليالي، وليس ليلة واحـدة، كمـا ثبت في حـديث عـائشـة: «أنّ رسول الله ﷺ خرج من جوف اللّيل، فصلّى في المسجد فصلّى رجال بصلاته، فأصبح النّاس يتحدّثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في اللّيلة الثّانية فصلّوا بصلاته، فأصبح النّاس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد من اللّيلة

= وجاء الحديث بهذا المعنى ضمن أحاديث مختلفة اللفظ من طريق العرباض بن سارية في سنن أبي داود كتاب السنة باب لزوم السنة ٥/١٣/٤٦٠٧، وسنن الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/٤٤/٢٦٧٦، وسنن ابن ماجه المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء ١/١٩/٤٣ ـ ٤٥، وسنن الدارمي باب اتباع السنة ١/٤٤، ومسند أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧.

وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن مسعود بنحوه ضمن حديث طويل وليس فيه «كل ضلالة في النار» المقدمة باب اجتناب البدع ١/٢٢/٤٧.

(١) البـدعة: الحـدث في الدين بعـد الإكمال أو مـا استُحدث بعـد النبي ﷺ من الأهـواء والأعمال. القاموس المحيط ٣/٤، قال ابن حجر عن البدعة: «. . . والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنـة وإن كانت ممـا تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح، وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة». (فتح الباري ٤/٢٥٣)، وسبقه النووي إلى نحو هذا وذكر أن هذا الحديث من العام المخصوص (انظر: شرح النووي على مسلم ٦/١٥٤، ١٥٥).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) الرياض ٢/٦١، ٦٢، المعالم ٢/٣٠٠ ـ ٣٠٢.

الثّالثة، فخرج فصلّوا بصلاته، فلمّا كانت اللّيلة الرّابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق رجال منهم يقولون: الصّلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتّى خرج لصلاة الفجر، فلمّا قضى الفجر أقبل على النّاس، ثمّ تشهّد فقال: «أمّا بعد، فإنّه لم يخف عليّ شأنكم اللّيلة، ولكنّي خشيت أن تُفرض عليكم صلاة اللّيل[1]، فتعجزوا عنها»[2].

أمّا كون عمر (رضي الله عنه) استنّ القيام فلا يصحّ أيضاً؛ لثبوت ذلك عن النّبيّ ﷺ كما تقدّم، وقد نقل ابن حجَر عن ابن بَطّال قوله[3]: «قيام رمضان سنّة؛ لأنّ عمر إنّما أخذه من فعل النّبي ﷺ»، ونقل عن ابن التِّين قوله[4]: «استنبط عمر ذلك من تقرير النّبيّ ﷺ من صلّى معه في تلك اللّيالي».

على أنّه يمكن أن يقال: إنّ عمر قد سنّ الجماعة في القيام؛ لأنّه هو أوّل[5] من جمع النّاس على قارىء واحد، وكانوا قبل ذلك يصلّون متفرّقين، فقد جاء في صحيح البُخاري من طريق عبدالرحمن بن عبدالقاري: «خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا النّاس أوزاع[6] متفرّقون، يصلّي الرّجل لنفسه، ويصلّي الرّجل فيصلّي بصلاته الرّهط»، فقال

---

(١) أي في رمضان كما في بعض الروايات، انظر: تخريج الحديث أدناه.

(٢) هذا لفظ الإمام مسلم كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان ٧٦١/٥٢٤/١، وأخرجه الإمام البخاري بنحوه في كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ٢٥٢/٢، وأخرجه الإمام مالك بنحوه مختصراً في كتاب الصلاة باب الترغيب في الصلاة في رمضان ١٠٠/١٠٥، وأخرجه أبو داود بنحوه مختصراً في كتاب الصلاة باب في قيام شهر رمضان ١٣٧٣/١٠٤/٢، والنسائي بنحوه مختصراً في كتاب قيام الليل باب قيام شهر رمضان ٢٠٢/٣.

(٣)، (٤) فتح الباري ٢٥٢/٤.

(٥) انظر: فتح الباري ٢٥٢/٤، شرح النووي على صحيح مسلم ٣٩/٦، ٤٠.

(٦) الأوزاع: الجماعات، القاموس المحيط ٩٣/٣.

عمر: «إنّي أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثمّ عزم فجمعهم على أُبَيّ بن كَعْب. . .»[1].

ثمّ إنّ المعنى الذي قصده المحدّث القروي ابن الحدّاد بالبدعة هنا هو نفس المعنى الوارد عن عمر رضي الله عنه، فقد جاء في آخر الحديث السّابق: «. . . ثمّ خرجتُ معه ليلة أخرى، والنّاس يصلّون بصلاة قارئهم»، قال عمر: «نِعْم[2] البدعة هذه. . .».

وقد أمرنا الرّسول ﷺ باتّباع سنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعده، بل أمر بالاقتداء بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وذلك أمر زائد على مجرّد الاتّباع[3].

ـ وفي بعض هذه المجالس وقعت المناظرة في مسألة حكم تقديم المفضول مع وجود الفاضل، قال ابن الحدّاد. . . قال لي: «أليس قولك إجازة تقديم المفضول على الفاضل؟»، فقلت: «أعزّك الله بتوفيقه، أنا مُتّبع في ذلك لكتاب الله وسنّة نبيّه عليه السّلام، وذلك لا يخفى عن ذي لبّ نظر في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ولا يعدوهما إلى غيرهما»، قال لي: «وأين تجد ذلك في كتاب الله؟»، قال: «قلت له: قال الله: ﴿وقَالَ لَهُم نَبِيُّهم إنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً، قَالُوا أنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ منه. . .﴾[4]. . . وهذه سنّة رسول الله ﷺ، فانظر منها إلى تقديم المفضول على

---

(1) صحيح البخاري كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ٢٥٢/٢، وأخرجه الإمام مالك بنحوه في كتاب الصلاة باب ما جاء في قيام رمضان ١٠٢/١٠٥.

(2) لفظ الموطأ: نعمت، وراجع عن تخريجه التعليق السابق.

(3)، (4) انظر عن بعض الأحاديث المصرحة بذلك: صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة ٣١١/٤٧٣/١، سنن الترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٢٦٧٦/٤٤/٥، وكتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ٣٦٦٣/٦٠٥/٥، سنن أبي داود كتاب السنة، باب في لزوم السنة ١٣/٥، ١٤، ٤٦٠٧/، مسند أحمد ١٢٦/٤، ١٢٧، ٣٨٥، سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

الفاضل، وهو ما لا ينكره أحد، من ذلك أنّ رسول الله ﷺ أمّر على جيشٍ عمرو بن العاص[1]، فكان يقسم الفيء، ويأمر وينهى فيُطاع، ويصلّي لهم الصّلوات، ويشاورونه، ويستأذنونه في جميع شأنهم، وتحت يديه في الجيش أبو بكر وعمر وهما جميعاً أفضل منه[2]، لا يشكّ في ذلك أحد.

وأيضاً، إنّ النّبيّ ﷺ أمّر على جيش زيد بن حارثة[3]، فكان يفعل في ذلك وفيمن تحت يديه من المسلمين كفعل عمرو بن العاص فيمن تحت يديه من المسلمين، وتحت يديه في الجيش ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب، وهو أفضل من زيد بن حارثة[4]، فلمّا ثبت ذلك عندنا، وقام مقام العيان جاز للأمّة تقديم

---

(١) وذلك في غزوة ذات السلاسل. انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل ١١٣/٥.
وقد جاء التصريح بكون أبي بكر وعمر كانا ضمن هذا الجيش في حديث ذكره الهيثمي وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٣٥٢/٩ كما ورد ذلك في ط ابن سعد ١٣١/٢.

(٢) إجماع أهل السنة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيّها ﷺ أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما. انظر: شرح الطحاوي ٤٣٢، الجامع لابن أبي زيد ١١٥، وراجع حديث التفضيل في صحيح البخاري فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ١٩١/٤، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٦٨.

(٣) وذلك في غزوة مؤتة من بلاد الشام. انظر: صحيح البخاري. كتاب المغازي باب غزوة زيد بن حارثة ٨٤/٥، وباب غزوة مؤتة ٨٦/٤ وقد ورد في الموضع الثاني التصريح بوجود جعفر في هذه الغزوة وأنه استشهّد فيها، وهو الذي حمل الراية بعد زيد بن حارثة، كما ورد ذلك ط ابن سعد ١٢٩/٢.

(٤) لم أعثر على من ذكر خصوص المفاضلة بين هذين الصحابيين، ولعل ابن الحداد جزم بذلك من خلال فضائل كل منهما، انظر: مناقب جعفر في صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب جعفر ٢٠٩/٤، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر ١٩٤٦/٤/٢٥٠٢، ٢٥٠٣، وانظر: مناقب زيد في صحيح البخاري فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب زيد ٢١٣/٤، وفي صحيح مسلم كتاب =

المفضول على الفاضل. فقال لي: «نحن لا نقول كقولك: إنّ للأمّة أن تجتمع فتقدّم على نفسها إماماً، وإنّما يكون الإمام من اصطفاه الله ورسوله، وأمّا من لم يُقدّمه الله على خلقه، ولم يقدّمه رسول الله ﷺ فكيف له التّقديم؟».

فقلت: «أعزّ الله السّيّد، إنّ الذي اصطفاه الله ورسوله لا يعدو إحدى منزلتين: إمّا أن ينطق به كتاب ناطق، أو سُنّة ثابتة عن رسول الله، ولمّا لم نجد في كتاب الله أنّ الله نصّب إماماً وفرض طاعته، ولا رسوله، لم يُقم إنساناً بعينه فيقول: أيها النّاس هذا وصيّي وخليفتي من بعدي، وكان يقول صباحاً ومساءً: «خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لم تضلّوا: كتاب ربّي وحواريّي أصحابي»[1]... كان من اجتمع عليه المسلمون ثابت الأمر صحيح الأحكام...»[2].

وقد اقتصرت على هذه النّماذج وهناك غيرها كثير في مناظرات ابن الحدّاد وغيره[3].

= فضائل الصحابة باب فضائل زيد ٤/١٨٨٤/٢٤٢٥، ٢٤٢٦، وبالمقارنة نجد أن لجعفر من الفضائل ما لا يشاركه فيه زيد.

(١) هذا حديث مشهور له عدة روايات بألفاظ مختلفة وليس في واحدة منها ذكر الأصحاب إنما في بعضها ذكر السنة وفي بعضها ذكر آل البيت بدل الأصحاب هنا.
انظر: الموطأ كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر ٢٤/٧٨٥، وهو من بلاغات مالك وقد ذكر ابن عبدالبر أنّ وصله، انظر: التقصي ٨١٦/٢٥١، سنن الترمذي كتاب المناقب مناقب آل بيت النبي ﷺ ٥/٦٦٢/٣٧٨٦، سنن أبي داود كتاب المناسك باب صفة حج النبي ﷺ ٢/٤٦٢/١٩٠٥، سنن ابن ماجه أبواب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ ٢/٢٥٧/٣١٢٥، وليس عند أبي داود وابن ماجه إلا ذكر الكتاب فقط، سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القررن ٢/٤٣٢، مسند أحمد ٣/٢٦، ٥٩، وراجع كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب العلم ١/٩٣، وذكر له شاهداً، وتابعه على ذلك الذهبي في تلخيص المستدرك ١/٩٣، وقال: «وله أصل في الصحيح».

(٢) ط الخشني ٢٠٨ - ٢١٠.

(٣) انظر مثلاً: المدارك ١/١٩٨، ٣٢١، ٥٩٩، المعالم ٣/٩١، ٩٢.

٢ ـ **المناظرات الخاصّة**: وهي التي تنعقد بين عالمين في عدد قليل من الطّلّاب، أو تكون في صورة أسئلة توجّه إلى الشّيخ، وهي أقرب إلى المناقشة والمحاورة في العلم منها إلى المناظرة، ونماذجها كثيرة[١] منها:

١ ـ قال أبو الحسن القابِسي[٢]: «... هربت من يد صبيّ دابّة كان يُمسكها لنا، فقلت: «أعطوها لصبيّ لا يقوم بها فضاعت». فقال لي أبو إسحٰق[٣]: «قد اغتبته»، فقلت له: «وصفتُه بحاله وقلّة مقدرته، وفي السُّنّة ما يُبيح ذلك»، فقال: «وأين هو؟»، قلت: «قوله عليه الصّلاة والسّلام للتي شاورته في النّكاح: أمّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأمّا معاوية فصعلوك لا مال له»[٤]. قال: فقال لي: «ليس في هذا حجّة؛ لأنّ المستشار مؤتمن، وأيضاً فإنّما مشاورته لتنكح برأيه، يدخلها في النّكاح أو يصرفها عنه، وليست مسألتنا كذلك، بل في السُّنّة ما يمنعك من ذلك»، وذلك أنّ النّبيّ ﷺ أتاه طبيبان، وكانا

---

(١) انظر: ط الخشني ١٧٢، المعالم ١/١٧٨، الرياض ٢/٢١٦، ط أبي العرب ٤٥، ٤٦، المدارك ٣/٥١١.

(٢) إمام عصره في الحديث والفقه بالقيروان (ت ٤٠٣) ستأتي ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.

(٣) أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجبنياني أحد الأئمة، عالم عامل، متفنن في علوم شتى. انظر: الشجرة ١/٩٥، المدارك ٣/٤٩٧.

(٤) أخرجه الإمام مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ٢/١١١٤/١٤٨٠ وأخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في نفقة المبتوتة ٢/٧١٢/٢٢٨٤، وأخرجه النسائي في كتاب النكاح باب إذا استشارت المرأة رجلًا فيمن يخطبها ٦/٧٥، والإمام مالك في كتاب الطرق باب ما جاء في نفقة المطلقة ٤٨١/٥٧، كلهم من طريق فاطمة بنت قيس بلفظه في حديث طويل. وأخرجه الدارمي بنحوه في حديث طويل وفيه تقديم وتأخير في كتاب النكاح باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه ٢/١٣٥، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه في حديث طويل ٦/٤١٢، ٢١٣.

نصرانيين، فلمّا خرجا قال: «لولا أن تكون غيبة لأخبرتكم أيّهما أطبّ»[١]... فهذا رسول الله كره في نصرانيّين أن يخبر أيّهما أطبّ، فكيف بمسلم؟...»[٢].

٢ ــ قال القابِسي: واجتمعت به مرّة أخرى، فجرى لبعض أصحابي معه أن قال له: «يا أبا إسحٰق لم لا تنبسط إلى النّاس وتدعو لهم؟ وأنت تعلم ما جاء في الحديث أنّ النّبيّ ﷺ لمّا توجّه أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه إلى الغزو، قال له النّبيّ ﷺ: «لا تنسنا من الدّعاء»[٣]، قال: فلمّا فرغ من قوله قال له الشّيخ أبو إسحٰق: «كذبت على رسول الله ﷺ»[٤]، قال: فقال لي صاحبي: «أغثني يا أبا الحسن، وانصرني»، فقلت للشّيخ: «أصلحك الله، إنّه لم يقصد الكذب، إنّما رأى شيئاً ذكره بعض أهل المغازي فظنّه صحيحاً...، ولو ثبت لكان له معنى صحيح. قال: «فما معناه؟»، قلت: «يريد ﷺ ترغيبنا في الدّعاء والجهاد، وأيضاً لئلّا يرغب أحد عن الدّعاء من غيره، وكان يرى النّاس أنّه فوقه، يفعل ذلك ليُستنّ به...»[٥].

---

(١) لم أقف على هذا الحديث، وقد جاء في الموطأ عن زيد بن أسلم أن رجلاً في زمان رسول الله ﷺ أصابه جرح فاحتقن الجرح الدم وإن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظر إليه، فزعما أن رسول الله ﷺ قال لهما: «أيكما أطب؟» فقالا: «أو في الطب خير يا رسول الله...» الموطأ، كتاب الجامع باب تعالج المريض ١٠١/٨١٢.

(٢) المدارك ٥١٣/٣.

(٣) لم أعثر على من ذكر هذا لأبي بكر، والذي ورد في السنن أن النبي ﷺ إنما طلب ذلك من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرجه أبو داود بنحوه في كتاب الصلاة باب الدعاء ١٤٩٨/١٦٩/٢، وأخرجه الترمذي بمعناه وقال: هذا حديث حسن صحيح، كتاب الدعوات باب ١١٠، ٣٥٦٢/٥٥٩/٥، وأخرجه ابن ماجة بمعناه في أبواب المناسك باب فضل دعاء الحاج ٢٩٤٣/٢١١/٢، كلهم من طريق عمر وفي أوله قصة.

(٤) لعله يقصد خصوص تعلق ذلك بأبي بكر، وإلا فقط ثبت الحديث، وتقدم حكم الترمذي عليه بأنه حسن صحيح، ويمكن أن يقصد بالكذب هنا الغلط وذلك وارد، انظر: قواعد في علوم الحديث ١٧٠.

(٥) مناقب أبي إسحٰق الجبنياني ١٥.

ـ قيل لحَمْدِيس[1]: «لو أنّ إماماً عمل بالمعصية[2] أكنت تأمره وتنهاه؟»، قال: «لا» واحتجّ بالحديث[3]: «ينبغي للمؤمن ألاّ يُذل نفسه». قالوا: وكيف يُذل نفسه؟ قال: «يعرّضها من البلاء إلى ما لا طاقة لها به». وذكر حديث مالك قال: «أدركت سبعة عشر تابعيّاً فما سمعت أنّهم قاموا إلى إمام جائر فوعظوه»[4]. فقيل له: «فلو أنّ إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها وبات بالدّار؟»، قال: «نجاهده»[5].

وبهذا أختم الكلام على مباحث الدّراية لدى القرويّين، وهي بالرّغم من عدم عمقها نظراً لمحدودية المادّة العلميّة المتوافرة حولها إلاّ أنّها تشير بوضوح إلى اهتمام محدّثي القَيْرَوان بهذه الجوانب، خاصّة إذا استحضرنا أنّ الاصطلاحات العلميّة لا زالت لم تستقرّ بعدُ في هذه الفترة التي أدرسها (٥٠ ـ ٤٤٩)، وأنّ علوم الدراية لم تتعمّق بعدُ حتّى في المشرق، وإن كان تقدّمهم على القرويّين واضحاً في هذا المجال.

ثمّ أخلص الآن إلى الحديث عن صلة هذه المدرسة القيروانيّة بمدرستي المشرق، والأندلس، ومختلف بلاد المغرب، ومدن إفريقيَّة، وخاصّة في مجال الحديث وعلومه.

---

(١) من أعلام أهل السنة بالقيروان وكبار تلاميذ سحنون، وكان شديداً على أهل البدع، كثير العبادة والكُتب، له رحلة ورواية (ت ٢٨٩)، انظر عنه: ط الخشني ١٤٤، الرياض ٤٨٨/١، المدارك ٢٥٤/٣، المعالم ٢٠١/٢.

(٢) أي في نفسه، ولم يجاهر بها أو يدعو إليها، كما يفيده السياق.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ٦٧، وقال: حسن غريب ٢٢٥٤/٥٢٢/٤، وابن ماجه في أبواب الفتن باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ ٤٠٨١/٤٨٨/٢، والإمام أحمد في مسنده ٤٠٥/٥، كلهم من طريق حذيفة بنحوه.

(٤) ورد عن الإمام مالك اختلاف العلماء في مسألة نصح السلطان مع التمثيل لكلّ، انظر: الجامع لابن أبي زيد ١٥٨، أما هو فقد اختار لنفسه نصحهم، انظر: المدارك ٢١٧/١ - ٢١٩.

(٥) الرياض ٤٨٩/١، المعالم ٢٠٣/٢.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

صلة هذه المدرسة بمدرستي المشـرق والأندلس، وبعض مدن إِفريقيَّة

مـدخــل:

إنّ الموقع الجغرافي لمدينة القَيْرَوان، وما اشتهر به أهلها في هذه الفترة من الفضل، والإقبال على العلم، قد رشّحها لتكوين صلات ثقافيّة وثيقة مع أهل المشرق من جهة، ومع أهل المغرب والأندلس من جهة أخرى.

فكان يقصدها من المشارقة كلّ صاحب مصلحة في المغرب والأندلس، كالتّجار، والشّعراء، وبعض العلماء، وطلبة العلم، والوافدين لخدمة السّلطان، والفارّين من أعدائهم السّياسيّين أو العقديّين وغير ذلك.

كمـا كان يقصـدها من الأنـدلسيّين والمغاربـة: طلبة العلم، والحجيـج، والتّجار في طريقهم إلى المشرق ويستقرّون بها مدة للطلب وغيره، ثم يمرّون بها في طريق عودتهم، ومنهم من ينشر فيها ما تلقّاه في رحلته من العلم.

وهؤلاء وأولئك يتأثّرون بالحياة العلميّة في القَيْرَوان، ويؤثّرون فيها، بل إنّ منهم من استهوته القَيْرَوان فاتّخذها موطناً، وأخذ مكانه بين علمائها.

وكلّ ذلك هيّأ لمدرسة القَيْرَوان تكوين صلات علميّة مع أهل تلك البلاد، واقتباس ما فيها من العلوم ونشرها في إفريقيَّة والقيروان، كمـا أنّ علماء تلك البلاد قد أفادوا من علوم القرويّين ونشروها في بلادها.

ويضاف إلى ما سبق الرّحلات المكثّفة التي قام بها القرويّون إلى مختلف بلاد الأندلس والمشرق لطلب العلم، وخاصّة الحرمين الشّريفين لأداء فريضة الحجّ، والصّلاة في الحرم النّبوي، ثمّ الالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم.

ومن القرويّين من استمالته بعض مدن المشرق فأقام فيها، وأسهم في إثراء الحياة العلميّة بها.

وقد تكوّن لهؤلاء وأولئك صلات علميّة، نتجت عنها بعد ذلك مكاتبات واستدعاءات للإجازة، وتبادل للكتب، ونحو ذلك من مظاهر الصّلة.

وممّا ساعد على إذكاء هذه الصّلات العلميّة، وذلك التّلاقح الفكري، عدم قيام حواجز وعراقيل أمام العلماء عند تنقلهم في أرجاء الوطن الإسلامي الفسيح، بالرّغم من العداوات السّياسيّة أحياناً، وكان الواحد منهم يختار الإقامة حيث شاء، ويَحتلّ مكانه بين علماء مقرّ إقامته، كأيّ واحد منهم، لا يتفاضل بعضهم على بعض إلاّ بالتّقوى والعمل الصّالح، ثمّ الكفاءة العلميّة.

وقد مرّ كثير من معاني هذا الفصل في التّمهيد، وعند الحديث عن الرّحلة، وعند ذكر أنواع التّحمل في فصل علوم الرّواية، والمقصود هنا زيادة توضيح هذا الجانب وتأكيده، وذكر الملامح العامّة لهذه الصّلة مع مزيد من النّماذج التي تمثّلها.

أوّلاً: الصّلة بمراكز العلم في المشرق:

يعتبر المشرق بالنّسبة للقَيْرَوان من أهمّ مصادر إثراء الحياة العلميّة فيها، وقد أدرك القرويّون ذلك، وشعروا بحاجتهم إلى علم المشارقة، وخاصّة بعد انقراض من عندهم من التّابعين، قُبيل منتصف القرن الثّاني، فأقبلوا عليه بصفة مكثّفة للإفادة من علمائه، كما اهتبلوا فرصة وجود بعض أهله بينهم لتحمّل ما عندهم من العلم، وأخذوا علوم المشارقة أيضاً ممّن كان يأتي إليهم من الأندلسيّين بعد عودتهم من المشرق وسماعهم من أهله.

ولئن كان القرويّون قد كوّنوا صلات علميّة بمعظم حواضر العلم في المشرق فإنّ أربعة منها كانت لها الأولويّة عندهم، وتكثّفت صلتهم بها، وهي على التّرتيب بحسب درجة الصّلة: المدينة المنوّرة، ومصر، والعراق، ومكّة المكرّمة، ويلي ذلك حواضر أخرى هي بلاد الشّام، واليَمَن، وخُراسان، والرّيّ، وبُخارى، وأَصْبَهان.

١ ـ الصّلة بالمدينة المنوّرة:

إنّ مدرسة المدينة المنوّرة، ممثّلة في الإمام مالك ومنهجه وموطّئه وتلاميذه المدنيّين، تُعدّ أكثر المدارس المشرقيّة تأثيراً في مدرسة القَيْرَوان، ولا أكون مبالغاً إذا أكّدت أنّ القَيْرَوان كانت أقوى فروع المدرسة المالكيّة على الإطلاق، وخاصّة في عهد الإمام سَحنون (١٦٠ ـ ٢٤٠) ومدوّنته، فقد امتازت الصّلة بين المدرستين بالكثافة والعمق وبعد الأثر، وكان من نتائجها أن اختار أهل القَيْرَوان منهج مالك الذي يعتمد على الحديث والأثر وينفر من الرّأي.

وكان لهذه الصّلة بُعدها التّاريخي، فقد دخل إفريقيَّة من تابعي المدينة ـ إذا استثنينا من دخلها غازياً ـ جماعة[1] منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٤ وقيل بعدها)، الحافظ الفقيه الحجّة، شيخ الإمام مالك[2]، وسمع بتونُس من المحدّث خالد بن أبي عِمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩)، وأقام بها مدّة طويلة لدرجة أنّ أحد أبواب جامع الزّيتونة كان معروفاً باسمه إلى بداية القرن الرّابع، كما تدلّ عليه رواية الخُشَنِي (ت ٣٦١ وقيل بعدها)، وذلك يقتضي أنّه حدّث بها[3].

ولعلّ هذه المعرفة للأفارقة والقيروانيين بتابعي المدينة هي التي جعلتهم يرسلون خالد بن أبي عِمران حوالي سنة ٩٤ هـ ليسأل لهم أهلها، كما تقدّم،

(١) انظر: مباحث التابعين الذين دخلوا القيروان في الفصل الأول من الباب الثالث.

(٢) انظر: الكاشف ٣/٢٢٥، التقريب ٢/٣٤٨.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٥، ٢٦، ٢٤٥، ٢٤٦، الرياض ١/١٤٧، ١٤٨، الإمام المازري ١٤.

حيث قالوا له: «إنك تقدم على المدينة، وبها أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، فسلهم لنا»، فكتب عنهم كتاباً كبيراً كان يُروى بالقَيْرَوان[1]، وقد اعتمده الإمام سَحنون في مدوّنته[2]، وابن عبدالبرّ في التّمهيد[3] وغيرهما.

وفي أوائل القرن الثّاني سمع عبدالله بن علي الإفريقي من جماعة من المدنيّين منهم: محمد بن مسلم بن شِهَاب الزُّهْرِي (ت ١٢٤)، وصَفوان بن سُليم، ومحمّد بن المُنْكَدِر[4]:

وفي بداية العقد الخامس من القرن الثّاني بدأت صلة القرويّين والأفارقة عموماً بالإمام مالك بن أنس، كما تقدّم، وذلك عن طريق عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦) والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣) وعبدالله بن غانم (ت ١٩٠)[5]، ثمّ تتالت عليه أفواج علمائهم حتّى إنّ عدد الرّواة عنه قد وصل إلى ٤٤ رجلاً فيما وصلت إليه بعد البحث والتّتبّع[6]، خلافاً لما هو سائد من أنّهم أكثر من ثلاثين رجلاً[7]، منهم ستّة حملوا عنه الموطّأ وأدخلوه إلى القَيْرَوان[8]، التي شاع فيها الموطّأ بروايات غير إفريقيّة أيضاً[9].

ولم تقتصر صلة القرويّين بالإمام مالك على السّماع منه، وحمل موطئه، والاهتمام به، فقد كان يتابع أخبارهم، ويهتمّ بهم، ويتعهّدهم بالتّوجيه[10]، وكانت

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٤٥، ٢٤٦، الرياض ١/١٦٣.
(٢) انظر: المدونة ١/٢٨، ٣٩٨، ٢/٤٠، ٣/٣، ٤/٤٨، ٥٨.
(٣) انظر: التمهيد ١/٣٢٧، ٣/١٧١، ١٧٣.
(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٠ في المحدثين.
(٥) انظر: الرياض ١/٢١٦، المدارك ١/٣١٧، المعالم ١/٣٠٤.
(٦) تقدم ذكر أسمائهم في مبحث دخول الموطأ في فصل الرواية ص ١٦٦.
(٧) انظر: الحلل ١/٣/٧٧٥، المعالم ٢/٨٣.
(٨)، (٩) راجع مبحث دخول الموطأ.
(١٠) انظر: الرياض ١/١٧٧.

بينه وبين بعض علمائهم مكاتبات مثل: عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)[١]، وعبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)[٢]، كما كانت كتبه الأخرى غير الموطّأ تُروى بالقَيْرَوان، وهي رسائل صغيرة[٣].

وبعد وفاة الإمام مالك سنة ١٧٩ هـ[٤] استمرّت صلة أهل القيروان بالمدينة على كثافتها في حياته، حيث قصد أهلُها تلاميذَ الإمام، وكان الإمام سَحنون (ت ٢٤٠) يسمّيها «عش مالك» حاثّاً تلاميذه على الرّحلة إليها والاستفادة من علمائها[٥]، وقد رحل إليها عون بن يوسف الخُزَاعي (ت ٢٣٩) سنة ١٨٠ هـ ولقي بها أربعين عالماً[٦].

وممّن مثّل الصّلة من جهة المدنيين في هذه المرحلة: المحدث الثقة أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي (ت ٢٠٠)، وهو صاحب رواية واسعة، احتجّ به أصحاب الكتب السّتّة[٧]، وقد سمع منه الإمام سَحنون[٨]، وزيد بن سنان الأسدي (ت ٢٤٤)[٩]، وموسى بن معاوية الصُّمَادِحي (ت ٢٢٥)[١٠]، ومحمد بن تميم العَنْبَرِي (ت ٢٦٠)[١١]، وكانت كتبه تُروى بالقَيْرَوان[١٢].

وعبدالله بن نافع الصّائغ (ت ٢٠٦)[١٣]، سمع منه معاوية بن الفضل (ت ١٩٩)[١٤]، والإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[١٥]، وغيرهما.

---

(١) انظر: تاريخ الرقيق ١٧٥، ٢٢٩.
(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٠٧.
(٣) انظر: المدارك ١/٢٠٤ - ٢٠٦.
(٤) التقريب ٢/٢٢٣.
(٥) انظر: المدارك ١/٥٢١، المعالم ٢/٨٣، الرياض ١/٤٤٤.
(٦) انظر: ط أبي العرب ١٠٥، وترجمته رقم ٢٦ في المحدثين.
(٧) التقريب ١/٨٤.
(٨) انظر: المدونة ٣/٢٨٤، ط أبي العرب ١٠٢.
(٩) المدارك ٣/١٤.
(١٠) المحن ٨٢.
(١١) المدارك ٤/١٩٢.
(١٢) انظر: ط أبي العرب ١٦٨، المعالم ٣/٩٧.
(١٣) التقريب ١/٤٥٦.
(١٤) الشجرة ١/٦٩.
(١٥) المدارك ١/٢٠٥.

وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهْرِي، (ت ٢٤٢)[١]، وقد سمع منه محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[٢] وفُرات العَبْدي (ت ٢٩٢)[٣]، وغيرهما.

أما بعد انقراض طبقة تلاميذ مالك فقد فترت الصّلة بين القَيْرَوان والمدينة، فكان الذين يقصدونها للطّلب من القرويّين آحاداً مثل أحمد بن مُعتِّب (ت ٢٧٧)، ويحيى بن عمر (ت ٢٨٩)، وعيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، ومحمد بن مسرور (ت ٣٤٦)، وعبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦)، وعبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[٤].

ولم يقتصر القرويّون في صلتهم بالمدينة على الطّلب فإنّ منهم من حدّث بها أيضاً، مثل البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[٥]، وعبدالله بن غانم (ت ١٩٠)[٦]، وقد سمع منهما بها المحدث الثّقة عبدالله بن مَسْلَمَة القَعْنَبِيّ (ت ٢٢١)[٧].

وأمّا دخول المدنيّين إلى القيروان فلم يكن ملحوظاً في هذه الفترة، حيث لم أجد ذكراً لمن دخلها منهم إلا اثنين من الرّواة، حسب المادّة العلميّة المتوافرة، هما: عليّ بن يونس اللَّيْثِي[٨]، وعبدالعزيز بن يحيى المدني[٩]، وكلاهما من الرّواة عن مالك، وقد حدَّثا بالقَيْرَوان.

٢ ــ الصّلة بمصر:

تأتي مصر في الدّرجة الثّانية بعد المدينة المنوّرة من حيث كثافة الصّلة،

---

(١) التهذيب ١/٢٠.

(٢) الرياض ١/٤٤٤.

(٣) ط أبي العرب مح ٥٩.

(٤) انظر تراجمهم في المحدثين على التوالي: ٢، ٢٧، ٣٤، ٢٢، ١٩، وترجمة يحيى بن عمر رقم ٩ في المهاجرين.

(٥) الحلل السندسية ١/٣/٧١٣.

(٦) الجرح والتعديل ٥/١١٠.

(٧) التقريب ١/٤٥١.

(٨) انظر: ط أبي العرب مح ١٥٩، الرياض ١/٢٩٢.

(٩) انظر: الشجرة ١/٥٧، ط أبي العرب مح ١٥٨.

وعمق أثرها بينها وبين القيروان، وذلك في عهد مالك وتلاميذه، أمّا بعد انقراضهم فقد زادت تلك الصّلة متانة.

وتمثّل مصر من النّاحية الجغرافية المدخل الطّبيعي للأفارقة إلى المشرق في هذه الفتره، فلا يمكن أن يدخله طالب علم أو حاجّ أو تاجر إلّا إذا مرّ بمصر، هذا بالإضافة إلى توافق القرويّين مع معظم المصريّين في اتّباع منهج المدرسة المالكيّة، وخاصّة قبل ذيوع أمر الإمام الشّافعي (ت ٢٠٤) بمصر، فلا عجب أن كانت الصّلات العلميّة وثيقة بين المدرستين.

وقد جمعت هذه الصّلة بين الأخذ والعطاء، ومن أوائل من دخل مصر من الأفارقة:

- خالد بن أبي عِمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩)، وقد حدّث بها، سمع منه حَيْوَة بن شُريح (ت ١٥٨ أو ١٥٩) وعبدالله بن لَهِيعة (ت ١٧٤)[(١)].

- وعبدالرحمن بن زِياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، سمع منه: عبدالله بن وهب (ت ١٩٧)[(٢)] وابن لَهِيعة[(٣)].

- وعُبَيد الله بن زَحْر الكِنَانِيّ[(٤)]، سمع بها من أبي الهَيْثَم مولى عُقبة بن عامر، وحدث عنه من أهلها المُفَضَّل بن فَضَالة (ت ١٨١) ويحيى بن أيّوب (ت ١٦٨) وبَكر بن مُضر (ت ١٧٣ أو ١٧٤)، وممّن دخلها بعد أولئك: عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، وقد قدمها في السّنة التي توفّي فيها - بعد أن كان دخلها في رحلته الأولى -، ونوى الإقامة بها فراراً من مشاورة ابن غانم له في أمور القضاء، وحدّث عنه جماعة كثيرة من أهلها وقالوا: «طمعنا أن يكون خَلَفاً لنا من اللّيث (ت ١٧٥)»، وقد اشتدّ تأثّر علمائها لوفاته[(٥)].

---

(١) ط أبي العرب ٢٤٥.
(٢) الرياض ١/١٥٢.
(٣) التهذيب ٦/١٧٣.
(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٣ في المحدثين.
(٥) انظر: الرياض ١/١٧٨، وترجمته رقم ٣ في المحدثين.

وكان حديث يحيى بن سلَّام البَصْرِيّ نزيل القَيْرَوان يُروى بمصر[1]، وقد حدث عنه جماعة من أهلها منهم: أَصْبَغ بن الفَرَج (ت ٢٢٥)، واللّيث بن سعد وابن لَهِيعة وابن وَهْب، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٦٨)[2].

وسمع بها البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) من اللّيث بن سعد، وموسى بن عُلَيّ بن رباح (ت ١٦٣)[3].

وسمع بها عبدالله بن غانم (ت ١٩٠) من عبدالله بن لَهِيعة، وروى عنه عبدالرحمن بن القاسم (ت ١٩١)[4].

ومكث فيها أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) أكثر من سنتين بعد مغادرته للعراق، ولازم من بها من كبار أصحاب مالك، وخاصّة عبدالرحمن بن القاسم الذي تنازل له عن ختمة[5]، ليجيبه عن مسائل الأسديّة[6].

وسمع الإمام سَحنون (ت ٢٤٠) من كثير من أهلها، وخاصّة ابن القاسم الذي أعاد عليه سماع الأسديّة، التي سمّيت المدوّنة بعد أن بوّبها سَحنون وذيّل مسائلها بأدلّتها من الآثار، وابن وَهْب وقد حمل عنه جميع كتبه ورواها بالقيروان، وأشهب بن عبدالعزيز (ت ٢٠٤)، وقد أخذ عنه حديثاً كثيراً وفقهاً، وغيرهم[7].

ولمّا دخل محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) مصر أقبل عليه العلماء، وحاوروه في العلم، وسمع من بعضهم، مثل الحافظ أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السَّرْح

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٣٨.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين.

(٣) ط أبي العرب مح ١٢٦.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.

(٥) كان ابن القاسم يختم القرآن كل يوم وليلة ثلاث ختمات، فترك واحدة ليجيب في الوقت المخصص لها على أسئلة أسد. انظر: الرياض ٢٦١/١.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٤ في المحدثين.

(٧) انظر: الرياض ٣٤٧/١ - ٣٥٠.

(ت ٢٥٠)، وقد كُتب كتابا الإمامة لابن سَحنون بمصر بماء الذهب وأُهديا إلى الخليفة[١].

وسمع فُرات العَبْدي (ت ٢٩٢) من جماعة من أهلها، منهم: أَصْبَغ بن الفَرَج (ت ٢٢٥)، ويحيى بن عبدالله بن بُكير (ت ٢٣١)، ونُعيم بن حمّاد المَرْوَزِيّ نزيل مصر (ت ٢٢٨)[٢].

ودخلها عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) مرّتين، سمع في الأولى من الحافظ أبي الطّاهر ابن السَّرح، والحافظ الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠)، والمحدّث يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفِي (ت ٢٦٤) وغيرهم، وخصّص رحلته الثّانية لسماع مسند محمد بن سنجر (ت ٢٥٨)[٣].

وفي سنة ٣٠٠ هـ رحل إليها مَسَرَّة بن مُسلم، وسمع من جماعة من أهلها منهم الإمام أحمد بن شُعيب النَّسائي الحافظ (ت ٣٠٣)[٤].

وسمع بها لقمان بن يوسف (ت ٣١٨ أو ٣١٩) من علي بن عبدالعزيز، ويحيى بن أيوب ومحمد بن سعيد الأَنْمَاطِيّ وغيرهم[٥].

وعبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦)، أخذ بها عن القاضي أبي الحسن علي بن أبي مَطَر (ت ٣٣٩) وغيره[٦]، وحدّث بها أيضاً[٧].

وأقام بها الإمام القابِسي (ت ٤٠٣) قريباً من أربع سنوات، سمع خلالها من كثير من علمائها، منهم: الحافظ حَمْزَة بن محمد الكِنَانِيّ (ت ٣٥٧)، وهو

---

(١) آداب المعلمين ٧٦، الرياض ١/٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٢) المعالم ٢/٢٤٩.

(٣) انظر: ترجمة عيسى رقم ٢٧ في المحدثين.

(٤) المدارك ٣/٣٥٤.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٢٩ في المحدثين.

(٦) انظر: المدارك ٣/٣٤١. (٧) المعالم ٣/٥٧.

راوية سنن النَّسائي عنه، ومنه سمعها القابِسي، وأخذ عن المحدّث أبي بكر محمد بن سليمان النّعّالي (ت ٣٨٠)، ومحمد بن سليمان بن أبي شَرِيف أحد فقهاء الفُسْطَاط، وغيرهم[١].

وسمع بها أبو عِمران الفاسي (ت ٤٣٠) من جماعة، منهم: المحدّث محمد بن أحمد بن الوَشَّاء (ت ٣٩٧)، وعلي بن الحسن البَزَّار الجامع بين الفقه والحديث، والمقرىء عبدالكريم بن أحمد بن أبي جِدَار وغيرهم[٢].

وكتب بها محمد بن سَعدون (ت ٤٨٥) حديثاً كثيراً عن جماعة، منهم: علي بن مُنَيِّر الخَلَّال (ت ٤٣٩)، وعلي بن ربيعة التَّمِيمي، ومحمد بن الحسين النَّيْسَابُورِي[٣].

وقد تمثّلت صلة القرويّين بمصر في الإجازات أيضاً، من ذلك أنّ يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفِيّ (ت ٢٦٤) قد أجاز محمد بن مَسْرُور (٢٥٠ ـ ٣٤٦)[٤]، وحصل عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦) على إجازة من محمد بن القاسم بن شَعْبان (ت ٣٥٥)، وإبراهيم المَرْوَزِيّ البغدادي نزيل مصر[٥]. ولأبي بكر عبدالرحمن بن أحمد الخَوْلَانِي (ت ٤٣٢) إجازة من شيوخه المصريّين[٦].

وقد استوطن بعض الأفارقة مصر، منهم: حَمْدِيس بن إبراهيم بن صَخْر اللَّخْمِيّ (ت ٢٩٩)[٧].

وأمّا دخول المصريّين إلى القَيْرَوان فإنّه كان خفيفاً، وممّن فعل ذلك

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.
(٢) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.
(٣) انظر: الصلة ٦٠٢/٢، ٢٠٣، وترجمته رقم ٣٣ في المحدثين.
(٤) المدارك ٣٩٠/٣.
(٥) انظر: ترجمة ابن أبي زيد رقم ١٩ في المحدثين.
(٦) انظر: الشجرة ١٠٧/١.
(٧) المدارك ٢٥٩/٣.

عبدالعزيز بن يحيى الرُّعَيْنِيّ، وهو من أتباع التّابعين، وقد سكن القَيْرَوان[1]، وزكريّاء بن يحيى الوَقَّار (ت ٢٥٤) وقد حدّث بها، وتقدّم ذكره في الرّحلة، وزيد بن بشر الأزدي (ت ٢٤٢ وقيل ٢٤٠)، وقد دخل أوّلاً القَيْرَوان، ثمّ سكن تونُس، وكان يحدّث بها ويبثّ فيها العلم، فيرحل إليه القرويّون للأخذ عنه[2]

٣ ـ الصّلة بالعراق:

بالرّغم من أنّ العراق لم تكن في طريق رحلة القرويّين إلى الحرمين فقد تكوّنت صلات علميّة بين الطّرفين، حيث قصد أهل القَيْرَوان مختلف مدن العراق، وخاصّة بغداد والبصرة والكوفة، وأخذوا عن علمائها ومنهم من أقام بها. كما أنّ بعض أهل العراق قد قدموا إلى القيروان واستوطنوها وبثّوا فيها العلم، ويضاف إلى هذا الإجازات المتبادلة بين أهالي الجهتين، والمصنّفات التي أدخلها القرويّون من العراق.

ومن أوائل من مثّل الصّلة بالعراق حسب المادّة العلميّة المتوافرة:

عُرْفُطَة بن حَكيم الإفريقي وقد سمع بها من الحسن البَصْري[3].

وعبدالله بن علي الإفريقي نزيل الكوفة، وهو من أتباع التّابعين، طلب فيها الحديث وسمع منه جماعة من أهلها[4].

وعبدالرحمن بن زياد (ت ١٦١)، طلب العلم بالكوفة، وزامل فيها أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة، وحدّث بها، وقد كتب عنه يحيى القَطّان بها كتاباً، وسمع بالبصرة أيضاً[5].

---

(١) انظر: الرياض ١/١٦٧، الإكمال ١/٢٠١.

(٢) انظر: المدارك ٣/٩ ـ ١٢، ط أبي العرب ٢٥٥، الرياض ١/٣٩٠.

(٣) المراسيل للرازي ١٣٤.

(٤) انظر: ترجمته رقم ٢٠ في المحدثين.

(٥) انظر: ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.

وعُبيدالله بن زَحْر الكِنَانِيّ، سمع الحديث بالبصرة والكوفة، ومن شيوخه هناك الحافظ الثّقة سليمان بن مِهْرَان الأَعْمَش (ت ١٤٧، ١٤٨)[١]، وحدّث عنه جماعة من الكوفيّين منهم مُطرّح بن يزيد[٢].

وعبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، سمع الحديث من جماعة كثيرة من العراقيّين منهم[٣]: الأَعْمش، وزكريّاء بن أبي زائدة (ت ١٤٧ أو بعدها)، وهشام بن حسّان (ت ١٤٧ أو ١٤٨)، وكتب عن الإمام أبي حنيفة نحو عشرة آلاف مسألة قبل أن يدوّن الإمام كتبه[٤]، وسمع منه ثلاثمائة حديث[٥].

وسمع فيها عبدالله بن غانم (ت ١٩٠) من أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢)[٦]، وكان يكاتبه بعد ذلك[٧]، وقد خصّص ابن غانم يوماً في الأسبوع لقراءة كتب أبي حنيفة على الطّلبة[٨].

وطال مقام أسد بن الفُرات (ت ٢١٣) في العراق لعدّة سنوات، وقد سمع بها حديثاً كثيراً، فقد تحمّل عن هُشَيْم بن بَشِير (ت ١٨٣) اثني عشر ألف حديث، وعن حديث بن زكريّاء ابن أبي زائدة (ت ١٨٣) عشرين ألف حديث، ولازم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وكتب عنه مسائل الأسديّة، وناظره فيها، وحدّث فيها بالموطّأ[٩].

وسمع فيها موسى بن معاوية الصُّمَادِحِيّ (ت ٢٢٥) حديثاً كثيراً، فقد أخذ

---

(١) المعالم ٢٤٨/١. (٢) معجم الطبراني ٢٣٢/٨.
(٣) انظر: المعالم ٢٣٩/١.
(٤)، (٥) الرياض ١٨٠/١، ١٨١.
(٦) الرياض ٢١٥/١، المعالم ٢٨٨/١، ٢٩٣.
(٧) تاريخ الرقيق ٢٢٩.
(٨) انظر: الحلل السندسية ٧٣١/٣/١.
(٩) انظر: ترجمته رقم ٤ في المحدثين.

عن وَكيع بن الجرّاح (ت ١٩٦) خمسة وثلاثين ألف حديث[١]، وسمع من عبدالرّحمٰن بن مَهدي (ت ١٩٨)، ويزيد بن هارون (ت ١٠٦)، وكلّهم من أئمّة الحديث، ورفض الأخذ عن محمد بن الحسن لِمَا بلغه من مخالفته لبعض الحديث[٢].

وسمع فيها أحمد بن مُعَتِّب (ت ٢٧٧) من إسماعيل بن إسحٰق القاضي (ت ٣٠٩)، المحدّث المتقن، جامع المسانيد، وصاحب المصنّفات الجليلة في الحديث وغيره[٣]، ومن الحسين بن حسن المَرْوَزِيّ صاحب عبدالله بن المبارك[٤].

وأخذ سعيد بن إسحٰق الكَلْبِيّ المحدّث (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥) عن الإمام أحمد بن حَنْبَل (ت ٢٤١)[٥].

وقدِمها محمد بن علي بن عبدالله القَرَوِيّ (ق ٣)، وسمع بها من جماعة من الرّواة، منهم: محمد بن حُمَيْد الرَّازِي (ت ٢٣٠)، وحفص بن عمر المِهْرِقَانِيّ، وحدّث عنه جماعة من أهل بغداد، منهم: محمد بن مَخْلَد، وعبدالباقي بن قَانِع[٦].

وسمع بها بَكر بن حمّاد من مُسَدَّد بن مُسَرْهَد (ت ٢٢٨)، وأخذ عنه مسنده[٧]، وروى عن عمرو بن مرزوق البَاهِليّ (ت ٢٢٤)[٨]، وهما من المحدّثين الثّقات[٩].

---

(١) المعالم ٢/٥٢، الرياض ١/٣٧٧.
(٢) انظر: المدارك ٣/٧.
(٣) المدارك ٣/١٦٨، ٣/٢٣٠.
(٤) انظر: فهرسة ابن خير ٢٨٦.
(٥) المحن ٣١٧.
(٦) انظر: تاريخ بغداد ٣/٦٧.
(٧) البغية ٤٣٣، المعالم ٢/٢٨١.
(٨) المعالم ٢/٢٨١.
(٩) انظر: التقريب ٢/٢٤٢، ٧٨.

وأوطن يحيى بن محمد بن خُشَيْش (ت ٢٨٠) بغداد، وسمع بها، وحدّث عنه جماعة من أهلها، وفي حديثه غرائب ومناكير، كما قال الخطيب[١٠]، وهو مُتّهم بالوضع، وقد تقدّم ذكره في مبحث الوضع ومدى معالجته في القيروان.

وسمع محمد بن أبي المَنْظُور (ت ٣٣٧) ببغداد من المحدّث المتقن إسماعيل بن إسحٰق القاضي (ت ٣٠٩)[١]، ومن المحدّث الحارث بن محمد بن أبي أُسامة التَّميمي صاحب المسند (ت ٢٨٢)[٢].

وأخذ بها مَسَرَّة بن مُسلم (ت ٣٩٣)، عن المحدّث أبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البَغَوِي مسند عصره (ت ٣١٧)[٣].

وأخذ أبو عِمران الفاسي (ت ٤٣٠)، عن أبي بكر محمد بن الطَّيِّب البَاقِلَّاني (ت ٤٠٣)، ويبدو أنّ مقامه بها قد طال، وحدّث فيها، لأنّ أبا بكر قد أعجبه حفظ أبي عِمران حتّى قال له[٤]: «لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبدالوهاب بن نصر ـ وكان إذ ذاك بالموصل ـ لاجتمع فيها علم مالك، أنت تحفظه، وهو ينصره، لو رآكما مالك لسُرّ بكما».

وعبدالوهاب بن نصر (ت ٤٢٢) المذكور هنا، هو أحد كبار المالكيّة في العراق، وكان متقدّماً في علم المناظرة على طريقة أهل السُّنّة، وكانت له صلة بالقيروان، ورغب في القدوم إليها، ولكنّه توفّي بمصر، وقد شرح بعض كتب القرويّين، مثل: رسالة ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وشرح كتاب مختصر المدوّنة

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/٢٢٣.

(٢) المدارك ٤/٢٧٦، الشجرة ١/٧٤.

(٣) اللسان ٢/١٥٧، الرياض ٢/٣٥٧.

(٤) الشجرة ١/٩٧، اللسان ٣/٣٣٨.

(٥) المدارك ٣/٧٠٤، المعالم ٣/١٦٠.

لابن أبي زيد أيضاً في كتاب سمّاه «المهدي»، وشرحَ المدوّنة غير أنّه توفّي قبل أن يُتمّها[1].

ومن المحدّثين القرويّين الذين استوطنوا بغداد: أبو محمد عبدالله بن سَبْعُون (ت ٤٧١)، وقد حدّث بها، وسمع منه الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)[2].

وفي المقابل دخل بعض أهل العراق القيروان وبثّوا فيها العلم، منهم: الحارث بن نَبْهان البَصْرِي (ت بعد ١٦٠)، وقد أخذ عنه البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وهو ضعيف في روايته عند أهل الحديث[3].

ويزيد بن صُهَيب الكوفي المحدّث الثّقة، دخل القيروان في طلب العلم وسمع بها من البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[4].

واستوطن القيروان يحيى بن سلّام البصري (ت ٢٠٠) المحدّث المقرىء المفسّر، وقد أقام بها نحو ستّة عشر عاماً، وحدّث فيها بتفسيره وجامعه[5].

ودخلها كَامل بن طَلْحَة البصري نزيل بغداد (ت ٢٣١ أو ٢٣٢) طلباً للعلم، وقد سمع فيها من عبّاد بن عبدالصّمد صاحب أنس بن مالك، والبُهلول بن راشد، وسمع منه جماعة من أهلها، منهم: داود بن يحيى (ت ٢٤٩)[6].

وأوطنها أبو اليَسَر إبراهيم بن أحمد الشَّيْبَانِيّ البغدادي (ت ٢٩٨)،

---

(١) انظر: المدارك ٣/٦٩١ ـ ٦٩٥.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٧/٤٣٤.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٣٣، ٥٢، الرياض ١/٢٠٠، التقريب ١/١٤٤.

(٤) التقريب ٢/٣٦٦، الرياض ١/٢٠١.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٨في المهاجرين.

(٦) انظر: ط أبي العرب ٨٣، ١٠٩، الرياض ١/١٣٨، التقريب ٢/١٢٩، الجرح والتعديل ٢/٤٢٩.

المحدّث، المفسّر، الأديب صاحب المسند، وأدخل إليها رسائل المحدّثين، وطرائف أخبارهم، وقد طال مقامه بها، وبها كانت وفاته[1].

وسكنها المُسَدَّد بن أحمد البصري (ق ٥)، وكان له حظّ وافر من العلم، ورواية واسعة[2].

وكانت الإجازة أيضاً من مظاهر الصّلة بين القيروان والعراق، فقد استدعى جماعةٌ من العراقيّين عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦) للإجازة فأسعفهم بها، منهم: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مجاهد البغدادي وأصحابه، ويوجد طَرَف من نصّ الاستدعاء وجواب ابن أبي زيد عليه في ترتيب المدارك[3]، وأبو الفضل محمد بن عبدالله بن عَمْرُوس (ت ٤٥٢)[4].

واستجاز ابنُ أبي زيد جماعةً من العراقيّين، منهم: أبو بكر محمد بن عبدالله الأَبْهَرِيّ (ت حوالي سنة ٣٧٥) الذي كان يروي صحيح البُخاري، وله مؤلّفات في الحديث وغيره[5]، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المَرْوزِي البغدادي (ت ٣٤٠)[6].

٤ ـ الصّلة بمكّة المكرّمة:

لعلّه من نافلة القول أن أُذكّر بأنّ كلّ مرتحل إلى المشرق من الأفارقة والقرويّين للطّلب أو للتّجارة، لا بدّ أن يدخل مكّة للحجّ والعمرة، كما هو المألوف، هذا عدا من يقصدها منهم لأجل ذلك، فتكون تلك المناسبة المباركة فرصة لملاقاة الشّيوخ، والسّماع منهم، ومباحثتهم، ومساءلتهم في العلم.

---

(١) انظر: ترجمته رقم ١ في المهاجرين.

(٢) انظر: المدارك ٣/٦٩٥.

(٣) المدارك ٣/٤٧٧، ٤٧٨، وانظر: الشجرة ١/٩٢.

(٤) م. ن ٣/٧٦٣.

(٥) انظر: المدارك ٣/٤٦٦، ٤٩٣.

(٦) حسن المحاضرة ١/٣١٢، المدارك ٣/٤٩٣.

وقد استفاد القرويّون من ذلك، فكانوا يأخذون عمّن وُجد بمكّة من العلماء، من أهلها أو ممّن دخلها، فأخذوا عنهم علوم الرّواية والدّراية، وحملوا عنهم مصنّفاتهم، ووُجد من القرويّين من حدّث بمكّة أيضاً، كما سيأتي.

ومن أوائل المرتحلين إليها من القرويّين ممّن له أثر علمي بها: عبدالرحمن بن زياد الإفريقي (ت ١٦١)، وقد حدّث بها، ومن تلاميذه فيها سفيان الثّوري (ت ١٦١)، وعبدالله بن وهب المصري (ت ١٩٧)، وغيرهما كثير من الطّلبة كانوا يجتمعون عليه للسّماع منه، قال ابن وهب[(١)]: «خرجت إلى مكّة... وكان بها ابن أَنْعُم، وكنت آتيه فأسمع منه...»، ثم ذكر استئذان رجل عليه، وحفاوة ابن أَنْعُم به وقال: «... وأسند إليه حديثه وجرت بينهما مواعظ ومذاكرة، فلمّا خرج قلت لمن بالحضرة من الطلبة: من هذا.... فقالوا: هذا سفيان الثّوري».

ومن أشهر من مثّل الصّلة بمكّة من العلماء الذين وجدوا بها: الإمام سفيان بن سعيد الثّوري (ت ١٦١)، أمير المؤمنين في الحديث، فقد سمع منه كثير من القيروانيّين والأفارقة بمكّة، وحملوا عنه مرويّاته ومصنّفاته، منهم: عليّ بن زياد (ت ١٨٣)[(٢)]، وعبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)، وهؤلاء الثّلاثة سمعوا منه شهوراً عديدة بقراءة ابن غانم[(٣)]. ومعاوية بن الفضل الصُّمَادِحِيّ (ت ١٩٩)[(٤)]، وعَنْبَسة بن خارجة (ت ٢١٠)[(٥)]، ورباح بن يزيد اللَّخْمِي (ت ١٧٢)[(٦)]، وغيرهم.

وسفيان بن عُيَيْنة الكُوفي ثمّ المكّيّ (ت ١٩٨)، الحافظ الفقيه الإمام

---

(١) الرياض ١/١٥٢، ١٥٣.

(٢) ط أبي العزب ٢٥١.

(٣) الرياض ١/٢١٦.

(٤) الشجرة ١/٦٩.

(٥) الرياض ١/٢٤١.

(٦) انظر: ترجمته رقم ١٠ في المحدثين.

الحجّة، وقد أخذ عنه جماعة من القرويّين، منهم: الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[1]، وزيد بن سِنان (ت ٢٤٤)[2]، وعبدالله بن أبي حسّان (ت ٢٢٧)[3]، وعَنْبَسة بن خَارِجَة (ت ٢١٠)[4]، وموسى بن معاوية (ت ٢٢٥)[5]، ويحيى الخَرّاز (ت ٢٣٧)[6]، وغيرهم.

ولم يأت بعدهما من اجتمع على السّماع منه مثل هذه الأعداد من أهل القيروان، وإنّما كان العالم يروي عنه منهم الواحد والإثنان...

فقد روى سَحنون، ويحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[7] عن يحيى بن سُليم الطّائفي (ت ١٩٣)، وسمع عبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦) من محمد بن إبراهيم الدَّيْبُلي المحدّث[8].

وسمع بها الإمام القابِسي (ت ٤٠٣)، صحيح البُخاري وغيره من محمد بن أحمد المَرْوَزِيّ (ت ٣٧١)، ومحمد بن يوسف الجُرْجَانِيّ (ت ٣٧٣)[9].

وأخذ عن أبي ذرّ عبد بن أحمد الهَرَوِيّ بمكّة (ت ٤٣٥) جماعةٌ من القرويّين، منهم[10]: أبو عِمران الفاسي (ت ٤٣٠)، وعثمان الصَّفَاقُسِيّ (ت حوالي سنة ٤٤٤)، وعبدالرحمن بن محمد بن رَشِيق (ت بعد ٤٤٤)، ومحمد بن سَعدون القروي (ت ٤٨٥) وغيرهم، وحدّث بمكّة من أهل هذه الطّبقة عبدالله بن سَبْعُون القروي (ت ٤٧١)[11].

---

(١) ط أبي العرب ١٠٢.
(٢) المعالم ١/١٠٨.
(٣) الشجرة ١/٦٣.
(٤) المدارك ١/٤٨٦.
(٥) الرياض ١/٣٨٢.
(٦) المعالم ٢/٦٤.
(٧) انظر: ترجمتيهما رقم ١٣ في المحدثين ورقم ٩ في المهاجرين.
(٨) الإكمال ٣/٣٥٤، الديباج ١٣٥.
(٩) انظر: ترجمته رقم ٢٤ في المحدثين.
(١٠) راجع مبحث دخول صحيح البخاري إلى القيروان.
(١١) تهذيب ابن عساكر لابن بدران ٧/٤٣٤.

وقد دخل القيروان أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المقرىء البصري، نزيل مكّة، شيخ الإمام البُخَارِي، وذلك سنة ١٥٦ هـ، وسمع بها من عبدالرحمن بن زياد الإفريقي [١]، وسكنها عبدالرحمن بن عبدالمؤمن المكّي، وهو من المتكلّمين على مذهب أهل السُّنّة، وقد ناظر علماءَها، وصحب فيها ابن أبي زيد (ت ٣٨٦) [٢].

٥ ــ الصّلة بمراكز مشرقيّة أخرى:

لقد وُجدت صلات علميّة للقرويّين بمراكز مشرقية غير التي تقدّم ذكرها، غير أنّ هذه الصّلات لم تكن عميقة ولا متواصلة، بحيث لم تغطّ كامل الفترة التي أدرسها، بل إنّ بعضها لم يسمع فيه من أهلها إلّا واحد من القرويّين حسب المادّة المتوافرة، وهذه المراكز هي:

أ ــ **بلاد الشّام**: سمع بها ابن زيد من عبدالله بن نُسَي (ت ١١٨) وغيره[٣]، وأخذ رباح بن يزيد (ت ١٧٢) عن عبدالرحمن بن عمرو الأَوْزَاعي (ت ١٥٧).

وسمع الإمام سَحنون من الوليد بن مُسلم (ت ١٩٤ أو ١٩٥)[٤]، وحدّث ابنه محمد (ت ٢٥٦) عن أبي زُرعة عبدالرحمن بن عمرو الدّمشقي شيخ الشّام (ت ٢٨١)[٥].

وحدّث الحافظ أبو العرب التَّميمي (ت ٣٣٣) بالإجازة عن عمرو بن ثور الشّامي[٦].

---

(١) ط أبي العرب ٨١، التهذيب ١٨٣/٦.
(٢) المدارك ٤٦٥/٣.
(٣) انظر: ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.
(٤) ط أبي العرب ١٠٢، التقريب ٢٣٧/٢.
(٥) المحن ١٨٩، التقريب ٤٩٣/١.
(٦) المحن ٤٥.

وسكن دمشق الحسن بن علي القيرواني وحدّث بها[1]، كما قدمها أبو سعيد القيرواني لطلب العلم، وروى بها[2]، وحدّث بها أيضاً عبدالله بن سَبْعُون (ت ٤٧١)[3].

ب ـ **اليَمَن**: مثّل الصّلة باليَمَن اثنان من الأندلسيّين استوطنا القيروان هما:

ـ يوسف بن يحيى المَغَامّي (ت بالقيروان نحو سنة ٢٨٩)، دخل صنعاء في طلب الحديث، وهو يومئذ شيخ، وحدّث بها أيضاً، وكانت حلقته بصنعاء أعظم من حلقة أبي يعقوب إسحٰق بن إبراهيم الدَّبَرِيّ (ت ٢٨٥) صاحب عبدالرّزّاق بن همام الصّنعاني (ت ٢١١)[4].

ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأنصاري المعروف بابن أبي المنظور (ت ٣٣٧)، قاضي القيروان، وقد سمع بصنعاء من الدَّبَرِيّ، وأخذ عنه مصنّف عبدالرّزّاق[5].

جـ ـ **خُراسان والرّيّ**: سمع فيهما موسى بن معاوية الصُّمعادِحِيّ المحدّث (ت ٢٢٥) من جرير بن عبدالحميد الضّبّيّ نزيل الرّيّ (ت ١٨٨)، ومحدّث آخر لم يسمّه انتخب من مروياته ثلاثة أحاديث[6].

د ـ **أَصْبَهان**: صحب فيها عثمان الصّفاقُسي (ت حوالي سنة ٤٤٤)، أبا نُعيم الأَصْبَهانِيّ الحافظ (ت ٤٣٠)، وكتب عنه مائة ألف حديث[7].

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٤/٢٣٥.
(٢) م. ن ٥/١٧٣. (٣) م. ن ٧/٤٣٤.
(٤) انظر: الشجرة ١/٧٦، الديباج ٣٥٦، الأنساب ١١/٤١٨، تاريخ ابن الفرضي ٢/٢٠١، تراجم المؤلفين ٤/٣٤٥، المحن ٤٣٣.
(٥) ط الخشني ١٧٣، الرياض ٢/٣٥٧، المدارك ٣/٣٣٩، المعالم ٣/٤٤، تكملة الصلة ١/٣٦٣، تاريخ قضاة القيروان خط ص ٤٤، الشجرة ١/٨٤.
(٦) انظر: ترجمة موسى رقم ٣٨ في المحدثين.
(٧) انظر: الصلة ٢/٣٨٧، الديباج ١٨٨.

هـ ـ **بُخارى**: دخل القيروان وسمع بها أحدُ كبار محدّثي بُخارى وهو أبو زكرياء عبدالرّحيم بن أحمد بن نصر البُخاري (ق ٤)، وقد وثّقه المَقَّرِيّ، وذكر عنه أنّه قال: «لي ببُخارى أربعة عشر ألف جزء حديث»[١].

ثانياً: الصّلة بمراكز العلم في الأندلس والمغرب:

تعتبر القَيْرَوان في الفترة التي أدرسها «دار العلم بالمغرب» يقصدها طلّابه من جميع أنحاء بلاد المغرب والأندلس للأخذ عمّن بها من أهل العلم، ومنهم من يحدّث بها، ومنهم من يستوطنها، وتوضيح ذلك على النّحو التالي·

١ ـ الصّلة ببلاد الأندلس:

لقد كانت الصّلات العلميّة بين القرويّين والأندلسيّين شديدة المتانة، عميقة الأثر، شاملة لمعظم الفترة التي أنا بصدد دراستها، ولم تُعرف صلة للقرويّين ببلاد مغربية أخرى كان لها مثل صلتهم بأهل الأندلس من عظيم الفائدة التي كانت متبادلة بينهما، فكان معظم المرتحلين من الأندلس إلى المشرق يمرّ بالقيروان؛ ليأخذ عن علمائها، وكثير منهم يمرّ بها عند عودته؛ ليحدث بما سمعه من أهل المشرق، وقد استهوت بعضهم فاستوطنوها، وبثّوا فيها علماً كثيراً مثل يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)[٢].

كما كان أهل القيروان يرحلون إلى الأندلس لنشر العلم غالباً، ولطلبه أحياناً، وكثيراً ما كانت الدّوافع لهذه الرّحلة سياسيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة.

وقد بيّنت هذه الصّلة في مباحث الرّحلة[٣] بياناً كافياً، يغني عن التّكرار هنا، حيث توسّعت هناك في ذكر نماذج لها، وحدّدت أبرز ملامحها كثرةً وقلةً،

---

(١) نفح الطيب ٣/٦٢ ـ ٦٤.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.

(٣) انظر: مبحثي الرّحلة من القيروان إلى الأندلس والرّحلة من الأندلس إلى القيروان.

وأخذاً وعطاءاً، مع ربطها بالأسباب المؤثّرة في ذلك، وذكرت نماذج للمصنّفات الممثِّلة للصّلة، وفي كلّ ذلك غناء عن التّكرار هنا.

ومِن تصفُّحِ كتب تراجم الأندلسيّين يدرك الباحث بكلّ سهولة كثافة هذه الصّلة، وعظم فائدتها، ومن أكثر هذه الكتب إبرازاً للصّلة ما يلي:

تاريخ العلماء والرّواة للعلم بالأندلس لابن الفَرَضي (ت ٤٠٣)[١]، جذوة المُقتبس للحُمَيْدي (ت ٤٨٨)[٢]، ترتيب المدارك للقاضي عياض (ت ٥٤٤)، الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ت ٥٧٨)[٣]، بغية الملتمس للضّبّيّ (ت ٥٩٩)[٤]، التّكملة لكتاب الصّلة لابن الأبّار (ت ٦٥٩)[٥]، المعجم في أصحاب الصدفي لابن الأبار أيضاً، الذّيل والتّكملة للمرّاكشي (ت ٧٠٣)[٦]، الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت ٧٧٦)، نفح الطّيّب من غصن الأندلس الرّطيب للمَقّرّي (ت ١٠٤١)[٧].

٢ ـ الصّلة بمدينة فاس بالمغرب الأقصى:

لم تبدأ الصّلات العلميّة بين القيروان ومدن المغرب الأقصى، وخاصّة مدينة فاس، إلاّ في النّصف الأوّل من القرن الرّابع حسب المادّة العلميّة المتوافرة.

ويُلاحَظ أنّ القاضي عياض في ترتيب المدارك بدأ التّرجمة لأهل المغرب الأقصى بالطّبقة التي كانت تعيش في أواخر القرن الثّالث[٨]، أمّا الشّيخ مخلوف فلم يترجم في الشجّرة لفرع فاس إلاّ ابتداء من الطّبقة الثّامنة، وهم عنده أهل القرن الرّابع[٩].

---

(١) انظر مثلاً: ١/١٩، ٣٨، ٥٥، ٢/٦١، ١٨٢.
(٢) انظر مثلاً: ١٦٤، ٢٣٧، ٢٦٦.
(٣) انظر مثلاً: ١/٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢/٤١٨، ٤٨٩.
(٤) انظر مثلاً: ١١٢، ١١٤، ١٢٣، ١٣٦.
(٥) انظر مثلاً: ٢/٧٤٣.
(٦) انظر مثلاً: ٥/١، ٢، ٦.
(٧) انظر مثلاً: ٢/٥٢، ٦٢، ٦٤٧، ٣/٦٢، ٢٣٧.
(٨) المدارك ٣/٥٣٨.
(٩) الشجرة ١/١٠٣.

وهذا يفيد أنّ الحياة العلميّة كانت قبل ذلك ضعيفة في تلك البلاد، وليس ذلك بغريب؛ لأنّ مدينة فاس نفسها لم تؤسس إلاّ بعد سنة **١٩٣** هـ[١]، بالإضافة إلى أنّ التّعريب لم ينل حظّه من العناية في تلك النّواحي إلاّ مع دولة الأدارسة (**١٧٢ - ٣٠٥**)[٢]، خاصّة وقد انتقل إليها من القَيْرَوان نحو خمسمائة عائلة عربيّة وسكنوا في حيّ خاصّ بهم بمدينة فاس سمّي: عدوة القرويّين، وكان من بينها إحدى حفيدات الأمير عُقبة بن نافع الفِهْرِيّ، المدعوّة بفاطمة أمّ البنين، فقامت ببناء جامع في عدوة القرويّين، وهو الذي تحوّل إلى الجامعة الإسلاميّة المعروفة بجامعة القرويّين، التي لا تزال قائمة بدورها العلميّ حتّى الآن[٣].

ومن أوائل من مثّل الصّلة العلميّة بين البلدين المحدّث الفقيه الحافظ أبو ميمونة دَرَّاس بن إسماعيل الفاسي (**ت ٣٥٧**)، فإنّه دخل القيروان، وسمع بها من أبي بكر محمد بن اللَّبَّاد (**ت ٣٣٣**) شيخ السُّنّة بالقيروان، وناظر فقهاءها، وحدّث بها، وقد أُعجبوا من حفظه، ومن تلاميذه بها الإمامان عبدالله بن أبي زيد (**ت ٣٨٦**)، وهو الذي استضافه عنده مدّة إقامته بالقيروان، والإمام القابِسي (**ت ٤٠٣**)، وقد ذكروا أنّ أبا ميمونة هو أوّل من أظهر مذهب مالك بمدينة فاس، وأوّل من أدخل إليها مدوّنة سَحنون[٤].

وقدم القيروان عيسى بن سَعادة السِّجِلْمَاسِيّ (**ت ٣٥٥**) في طلب العلم، وأخذ عن بعض علمائها، وسمع منه بها عبدالله بن أبي زيد (**ت ٣٨٦**)، وكان من

---

(١) انظر: البيان المغرب ١/٢١١.

(٢) معالم تاريخ المغرب ١١٦، ١١٧، البيان المغرب ١/٢١٠.

(٣) انظر: البيان المغرب ١/٢١١، معالم تاريخ المغرب ١١٤ - ١١٦، سيرة القيروان ٧٢ - ٧٤، القيروان للجنجاني ١١١.

(٤) انظر: الفكر السامي ٢/١١١، تاريخ ابن الفرضي ١/١٧٣، جذوة الاقتباس ١/١٩٤، الشجرة ١/١٠٣، سيرة القيروان ٦٩، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ١١٦.

كبـار أهل العلم وفضـلائهم، وله روايـة واسعة، وقـد صحب الإمام القـابِسي (ت ٤٠٣) في رحلته إلى المشرق[١].

ووفد عليها عبـدُالله بن محمد الهَـوَّارِيّ قاضي فـاس وسمع من ابن أبي زيد[٢]، وأبو مروان عبدُ الملك الكـوري (ت ٤٠٧) وقد تتلمذ على ابن أبي زيـد أيضاً[٣].

وكان لعائلة ابن العَجُوز، وهي عائلة عاش فيها العلم كثيراً، أثر في هذه الصّلة، فقد لازم ابنَ أبي زيد كبيرُها العلاّمةُ الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن العجـوز (ت ٤١٣)، وسمع فيهـا ابنـه عبـدالـرحمن (ت ٤١٧) من أبي إسحٰق التّونُسي[٤].

أمّا أبرز من مثّل هذه الصّلة على الإطلاق فهو الحافظ المحدّث الواسع الرواية أبو عِمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)، نزيل القَيْروان، فإنّه سمع من علماء فاس، ثمّ رحل إلى القيروان فطلب بها العلم، واتّخذها موطناً واشتهر أمره بها، وحصل على رئاسة العلم فيها مع صاحبه أبي بكر أحمد بن عبدالرحمن (ت ٤٣٢)، وكـان مثل الإمـام القابِسي (ت ٤٠٣) في زمـانه، من حيث كثـرةُ الأصحاب، وبعدُ الأثر في نشر الفقه والحديث رواية ودراية[٥].

ورحل إليها أيّوب بن محمد، وسمع من جماعة من شيوخها، منهم: أبو عِمران الفاسي[٦]، وكان صحيح البُخاري برواية القابِسي يُروى في مدن المغرب الأقصى[٧].

---

(١) انظر: الصلة ٢/٤١٨، المدارك ٣/٥٣٩.
(٢) سيرة القيروان ٧٠. (٣) المدارك ٣/٦٣٠.
(٤) انظر: الشجرة ١/١١٥، ١٢٤.
(٥) انظر: ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.
(٦) المدارك ٣/٧٨٠.
(٧) انظر: مدرسة البخاري في المغرب ١/٥٠.

وبعد خراب القَيْرَوان انتقل كثير من علمائها إلى مدينة فاس، وأسهموا في إثراء الحياة العلميّة بها، غير أنّ المصادر لم تعدّدهم، فقد جاء في المُعجِب: «مدينة القيروان المشهورة... كانت دار ملك المسلمين بإفريقيَّة منذ الفتح... فلمّا استولى عليها الخراب، تفرّق أهلها في كلّ وجه،... وقصدت طائفة عظيمة منهم أقصى المغرب»[1]، وقال عن فاس: «اجتمع فيها علم القيروان وعلم قُرْطُبَة؛ إذ كانت قُرطُبة حاضرة الأندلس كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان بعَيْث العرب فيها، واضطرب أمر قُرطُبة باختلاف بني أُميّة، رحل من هذه وهذه من كان فيها من العلماء والفضلاء، فراراً من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس»[2].

٣ ـ الصّلة بالمغرب الأوسط (الجزائر):

لم تزدهر الحياة العلميّة في مدن المغرب الأوسط في هذه الفترة ازدهاراً يذكر، بسبب كثرة الاضطرابات السّياسيّة التي شملت المنطقة، ومنعتها من الاستقرار الحضاري والالتفات إلى العلم بالقدر المناسب[3]، بالإضافة إلى عدم وجود عواصم علميّة كبرى تستقطب العلماء، كما أنّ الخلاف العقدي كان له أثره في ضعف هذه الصّلة؛ لأنّ معظم أهل هذه البلاد كانوا من الخوارج وخاصّة في القرون الأولى، فبالرّغم من اهتمام الإباضيّة في تِيهَرْت (١٤٤ ـ ٢٩٧) بالعلوم الشّرعيّة[4]، فإنّ الحواجز التي كانت قائمة بينهم وبين أهل السُّنّة بالقيروان قد حالت دون تبادل الفائدة، وإحداث صلات علميّة متينة.

ومن العلماء القلائل الذين مثّلوا الصّلة ببلاد الجزائر أبو القاسم الزَّوَاوِيّ تلميذ الإمام مالك، ويبدو أنّه استوطن القيروان؛ لأنّ المالكي ترجم له في أهلها[5].

---

(١) المعجب ٣٥٥.

(٢) المعجب ٣٥٨، وانظر: الشجرة ١/٤٥٠، ٤٥١، مقدمة ابن خلدون ٤٣١.

(٣) انظر: سيرةَ القيروان ٦٤، المغرب العربي لبونار ٣٢ ـ ٣٥.

(٤) المغرب العربي لبونار ٨٥. (٥) الرياض ١/٢٤٨.

وحمّاد بن يحيى السِّجِلْمَاسِي، دخل القيروان في طلب العلم وسمع من الإمام سَحنون، وكان له بها آثار علميّة، فقد سمع منه عامّة أصحاب سَحنون، وهو أوّل من أدخل إلى القيروان فقه عبدالملك بن الماجشون (ت ٢١٢ على الأشهر)[١].

ودخلها إسحٰق بن أبي عبدالملك المَلْشُوني، وقد سمع فيها من سَحنون، وأكثر من الرّواية فيها، غير أنّ حديثه ضعيف جدّاً، لأنّه كان من القُصّاص، ولا اهتمام له إلّا بجمع الغرائب، وكان أمراء بني الأغلب يستدعونه في رمضان ليقصّ عليهم[٢].

وأوطنها مروان بن أبي شَحْمَة المُسْلِي (ت ٢٤٢)، وكان ثقة فاضلاً، عالماً بالفقه والحديث، له سماع من وَكيع بن الجرّاح (ت ١٩٦ أو ١٩٧)، وعبدالرّحمن بن مَهْدي (ت ١٩٨)، وقد ظهر أثره العلمي بالقيروان، وكان سَحنون يُثني عليه، ويعرف فضله[٣].

وأشهر من مثّل هذه الصّلة بَكر بن حمّاد التَّاهَرْتِي نزيل القيروان (ت ٢٩٦)، وهو محدّث واسع الرّواية، عالم بالتّاريخ والرّجال، فقيه، شاعر، دخل القيروان وعمره سبعة عشر عاماً بعد أن أخذ عن أهل بلده، فسمع من شيوخها مثل سَحنون، وعون بن يوسف (ت ٢٣٩) وغيرهما، ثمّ رحل إلى المشرق فأكثر من سماع الحديث وغيره، وبعد عودته استقرّ بالقيروان وبثّ فيها علماً كثيراً، ومن أكثر تلاميذه رواية عنه حافظ القيروان أبو العَرَب التَّمِيمي (ت ٣٣٣)[٤].

---

(١) ط أبي العرب ١١٨، المغرب العربي ٨٢، وانظر عن ابن الماجشون: الشجرة ٥٦/١.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٩٨، الرياض ٤٠١/١، مسالك البكري ٥٢، معجم أعلام الجزائر ٣١٤، ٣٩٦.

(٣) انظر: ط أبي العرب ١١٥، الرياض ٣٩٢/١، المعالم ١٠٥/٢.

(٤) انظر: ترجمة بكر رقم ٢ في المهاجرين.

وسمع بها عبدالرحمن بن عبدالله الوَهْرَانِيّ، أبو القاسم، وهو عالم بالحديث ورجاله، مع تقدّم في المعرفة بالفقه، ومشاركة في مختلف العلوم(1).

وكان لعبدالله بن يوسف الوَهْرَانِيّ (ت ٤٢٩) رواية واسعة عن شيوخ إفريقيَّة: أبي محمد ابن أبي زيد ونظرائه(2).

وممّن دخل الجزائر من الأفارقة أحمد بن نصر الدَّاوُدي (ت ٤٠٢) الطَّرَابُلْسِي، نزيل تِلِمْسَان، وقد حدّث بها، وكان عالماً بالحديث مع تفنّن في علوم شتّى، وله النّامي في شرح الموطّأ، والنّصيحة في شرح البُخاري وغيرهما(3).

وأقام بها مروان بن محمد الأسدي الأندلسي نزيل إفريقيَّة (ت حوالي سنة ٤٤٠)، بعد أن طلب العلم بالقيروان لعدّة سنوات، وقد حدّث فيها بكتابه في شرح الموطّأ(4).

ثالثاً: الصّلة بِصِقِلِّيَّة ومدن إفريقيَّة:

إذا كانت القيروان قد استقطبت كثيراً من علماء البلاد البعيدة عنها كالأندلس والمغربين الأقصى والأوسط، وأسهمت في إثراء الحياة العلميّة فيها، فلا شكّ أنّ علاقتها بالمدن القريبة منها كانت أخصّ، وصلتها بهم كانت أمتن، وأثرها فيهم كان أعمق، وهذا أمر ظاهر، ولهذا سأكتفي بذكر بعض النّماذج الموضّحة لذلك.

---

(1) معجم أعلام الجزائر ٣٤٨.

(2) معجم أعلام الجزائر ٣٤٩.

(3) المدارك ٦٢٣/٣، مدرسة البخاري في المغرب ٥٧٩/٢.

(4) انظر: الجذوة ٣٢١، الصلة ٥٨١/٢، المدارك ٧٠٩/٣.

١ ـ الصلـة بِصِقِلّيَّة:

صِقِلّيـة[١] هي تلك الجزيـرة الواقعـة في البحر الأبيض المتـوسّط مقابـل إفريقيَّة، وهي حسنة من حسنات القيروان، منها تمّ فتحها[٢]، وفيها سكن أهلها، وتكرّرت هجرتهم إليها[٣]، وكان قضاتها يُعيَّنون من قبل حكومة القيروان[٤]، وكذا وُلاتها[٥]، فلا عجب أن كانت الصّلة بين المدينتين في غاية المتانة طول المدّة التي كانت تحت أيدي المسلمين إلى أن افتكها النّرمان من الإفرنج النّصارى، وذلك سنة ٤٨٤ هـ[٦].

وكانت القيروان محطّ أنظار الصِّقِلّيين، يقصدونها لطلب العلم، كما كان كثير من القرويّين يدخلون صِقِلّيَة لنشر العلم.

وقد بدأت الصّلات العلميّة مع أسد بن الفُرات، الفقيه المحدّث القاضي (ت ٢١٣)، فاتح صِقِلّيَة سنة ٢١٢ هـ، فإنّه أخذ معه الأسديّة[٧]، وغيـرها من مرويّاته، وكان تلاميذ سَحنون من أكثر أهل القيروان تـأثيراً في الحيـاة العلميّة بصِقِلّيَّة[٨]، ومن أبرزهم سليمان بن سالم (ت ٢٨٢ أو ٢٨٩)، وهو محدّث فقيه مفسّر، تولّى قضاء صِقِلّيَة وبثّ فيها علماً كثيراً، وبه انتشر مذهب مالك فيها[٩].

---

(١) انظر عنها: معجم البلدان ٤١٦/٣.

(٢) انظر: البيان المغرب ١٠٢/١.

(٣) انظر: العرب في صقلية ٨٥.

(٤) انظر مثلاً: المدارك ٢٣٣/٣، الشجرة ٧١/١، ٧٤.

(٥) المؤنس ٤٩.

(٦) سيرة القيروان ٣٩، المؤنس ٨٩، الشجرة ١٣٢/٢، ١٣٣.

(٧) المسلمون في صقلية ٤٢.

(٨) انظر: العرب في صقلية ٦٥، المسلمون في صقلية ٤٢.

(٩) انـظر: ط الخشني ١٤٧، المعـالم ٢٠٦/٢، المــدارك ٢٣٣/٣، الحلل السنـدسيـة ٧٧٥/٣/١، الشجرة ٧١/١.

ورحل إليها لُقمان بن يوسف الغَسَّـاني (ت ٣١٩ أو ٣١٨)، وهو محـدّث واسع الرّواية عالم بالرّجال مع بصر بالفقه واللغة، وغيرها، فقد ذكروا أنه كان عالماً بإثني عشر صنفاً من العلوم، وبلغت إقامته في صِقِلِّيَّة أربعة عشر عاماً، يبثّ العلم، حتّى انتفع به خلق كثير من أهلها[١].

وانتقل إليها خَلَف بن أبي القاسم الأَزْدِيّ، المعروف بالبَرَاذِعِيّ، بعد أن ضاقت به السّبل بالقيروان، نتيجة خلاف وقع بينه وبين علمائها، بسبب صحبته للسّلطان، فحصلت له فيها رئاسة العلم، وألّف فيها بعض مصنّفاته، وبثّ فيها علماً كثيراً حتّى «إنّ المناظرة في جميع حِلَق بلدانها إنّما كانت بكتاب البَرَاذِعِيّ: التّهذيب (في اختصار المدوّنة)»[٢].

ودخلها أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي (ت بعد ٤٦٤)، صاحب رياض النّفـوس، وحـدّث بهـا، ومن تـلاميـذه فيهـا الإمـام محمـد بن علي المَـازِرِيّ (ت ٥٣٦)[٣].

أمّا أهل صِقِلِّيَّة فقد كثر تردّدهم على القيروان لطلب العلم، غير أنّ اهتمام المؤرّخين بتدوين أخبارهم لم يكن بالقدر الذي يتناسب مع هذه الكثرة، وممّن اهتم بهم الشّيخ محمد مخلوف في الشّجرة[٤]، غير أنّه لم يترجم إلّا لأربعـة منهم، كلّهم دخلوا القيروان وتلقّوا العلم عن مشايخها، ومن أشهر هؤلاء الذين مثّلوا الصّلة: أبو القاسم عبدالرحمن البَكْرِيّ الصِّقِلِّيّ (ق ٤)، العالم، الجـامع

(١) انظر: الخشني ١٧١، الرياض ١٩٣/٢، المدارك ٢٩٦/٥، الشجرة ٨١/١، القراءات بإفريقية ٢٩٥.

(٢) الديباج ١١٢، ١١٣، وانظر: الفكر السامي ٢٠٩/٤، سيرة القيروان ٤٤، المدارك ٧٠٨/٣، المعالم ١٤٦/٣.

(٣) انظر: الإمام المازري ٧٩، الشجرة ١٠٨/١، مقدمة الرياض للبكوش ١٨، المعالم ١٩٠/٣، مقدمة الرياض لمؤنس ٣٠.

(٤) الشجرة ٩٨، ١١١.

بين الحديث والفقه وأصوله، وقد سمع بالقيروان من كبار شيوخها في عصره، مثل: علي بن مسرور الدَّبَّاغ المحدّث (ت ٣٥٩)، والحافظ أبي العَرَب التَّمِيمي (ت ٣٣٣)، وأبي إسحٰق إبراهيم بن أحمد السَّبَائِيّ (ت ٣٥٦) المتفنّن في مختلف العلوم[1].

وأبو الحسن أحمد بن عبدالرحمن المعروف بابن الحَصَائِري، قاضي صِقِلِّيَّة، وكان واسع الرّواية، مع تحلّيه بالورع ومتانة الدّين، سمع بالقيروان من أبي محمد ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، ومحمد بن أحمد القروي، ولما عاد إلى صِقِلِّيَة بثّ فيها علماً كثيراً[2].

وأبو بكر بن عبّاس، عالم صِقِلِّيَّة وفقيهها، لم يشتهر أمره إلّا بعد أن قدم القيروان وسمع فيها من ابن أبي زيد وغيره[4].

ومن أشهرهم: أبو بكر محمد بن عبدالله بن يونس الصِّقِلِّي الإمام. الحافظ النظّار، الفقيه الفَرَضي، المجاهد، أحد أئمّة التّرجيح (ت ٤٥١)، دخل القيروان وسمع من كبارها، وأكثر من النقل عن الإمام القابسي، المحدث، الفقيه (ت ٤٠٣) وعن أبي عِمران الفاسي الحافظ (ت ٤٣٠)[4].

ودخلها عبدالحق بن محمد بن هارون السّهميّ الصّقلّيّ (ت ٤٦٦)، وتفقّه بشيوخها، وسمع منهم الحديث، مثل: أبي عمران الفاسي، وأبي بكر أحمد بن عبدالرحمن (ت ٤٣٢)، وكانت له رحلة واسعة في المشرق، سمع فيها الحديث

(١) انظر: الشجرة ١/٩٨، سيرة القيروان ٤٥، المعالم ٣/١٤٤.
(٢) انظر: الشجرة ١/٩٨، سيرة القيروان ٤٤.
(٣) انظر: الشجرة ١/٩٨، سيرة القيروان ٤٥.
(٤) انظر: الشجرة ١/١١١، سيرة القيروان ٤٥، الفكر السامي ٢/٢١٠، تراجم المؤلفين ٥/١٤٨، الديباج ٢٧٤.

من أبي ذرّ الهَرَوِيّ وغيره، وقد بثّ في صقلّيّة علماً كثيراً، وتتلمذ عليه فيها بعض من دخلها من القرويّين[1].

ورحل إليها محمد بن أبي الفرج المعروف بالذّكي (ت ٥١٧)، وأخذ عن شيوخها، منهم: أبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُوري (ت ٤٦٢)، «ولم يخرج من القيروان إلاّ وهو إمام»[2].

ويمثّل الإمام محمد بن علي المازري الصِّقلّي ثم الإفريقي (ت ٥٣٦)، الحلقة التي انتقل بها علم القيروان بعد خرابها إلى المَهْدِيَّة ثم تونُس الحفصيّة، وبسببه سلمت سلسلة السّند الإفريقي من الانقطاع، كما تقدّم في مبحث سند الرّواية بالقيروان، فقد أخذ عن ثلاثة من أبرز علماء القيروان في آخر مراحل حضارتها العلميّة، هم: أبو بكر المالكي (ت بعد ٤٦٤)، علي بن محمد اللّخمي (ت ٤٧٨)، وعبدالحميد بن محمد الصّائغ (ت ٤٨٦)[3].

وكانت مصنّفات القيروانيّين تُروى وتدرّس بصِقِلِّيَّة، مثل: المدوّنة للإمام سَحنون[4]، والملخّص للإمام القابِسي[5]، وتجديد الإيمان وشرائع الإسلام لأبي جعفر أحمد بن محمد القَصْري (ت ٣٢٢)[6]، وتهذيب البَرَاذِعِيّ[7] وغيرها.

٢ ــ الصّلة بمدن إفريقيَّة:

لقد تقدّم في التّمهيد ذكرُ أهمّيّة القيروان في نشأة الحياة العلميّة بإفريقيّة، وأنّها وعلماءها كالرّأس وسائر البلدان إفريقيَّة كالجسد، كما قال أبو إسحق الجِبَنْيَانِي (ت ٣٦٩)[8].

---

(١) الديباج ١٧٤، سيرة القيروان ٤٦.
(٢) انظر: الشجرة ١/١٢٥، سيرة القيروان ٤٦.
(٣) انظر: الشجرة ١/١٢٧، الإمام المازري ٧٩، سيرة القيروان ٤٨.
(٤)، (٥) العرب في صقلية ٩٢.
(٦) الرياض ٢/١٩٨.
(٧) الديباج ١١٣.
(٨) مناقب أبي إسحٰق ٦٠.

وهي «لأهل المغرب أصل كلّ خير، والبلاد كلّها عيال عليها، فما من غصن في الآفاق المغربيّة مطلقاً إلّا منها علا، ولا فرع في جميع نواحيها إلّا عليها ابتنى، ومنها خرجت علوم المذهب، وإلى أئمّتها كل عالم ينتسب»[1]، قال الجِبِنْيَانِيّ: «لقد أدركت هذا السّاحل وما منه إلّا رجل من أهل العلم ومن أهل القرآن، أو رجل صالح يُزار»[2]، قلت: وأحسب أنّ معظم هؤلاء قد تلقّوا تكوينهم العلمي في القيروان، فإنّ معظم أهل مدن إفريقيَّة كانوا يقصدونها للأخذ عمّن بها من الفقهاء والمحدّثين والقرّاء، ثمّ يعودون إلى مدنهم لنشر علمهم فيها، ومنهم من يطيب له المقام بها فيتخذها موطناً، ويحتلّ مكانه بين علمائها، وخاصّة أولئك الذين يرتحلون إلى المشرق للاستزادة من العلم.

وسأذكر فيما يلي بعض النماذج التي مثّلت هذه الصلة:

أ ـ الصّلة بتَوْزَر:

فمن أهل تَوْزر بالجنوب الغربي لإفريقيّة[3] نجد المحدّث الشّاعر يحيى بن علي الشَّقْرَاطِسِي، الذي رحل إلى القيروان وأخذ عن الإمام القابِسي (ت ٤٠٣)، وابن أبي زيد (ت ٣٨٦) وغيرهما، ورحل إلى المشرق فسمع به الحديث، ثم عاد إلى بلده، وجلس للتّحديث والفتوى، ومن مؤلّفاته برنامج شيوخه الذي ذكر فيه مروياته عن ٧٢ شيخاً[4].

وابنه عبدالله (ت ٤٦٦)، تلقّى علومه بالقيروان عن شيوخها، مثل: المحدّث أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠)، والفقيه أبي بكر أحمد بن عبدالرحمن

---

(١) سيرة القيروان ٢٢ نقلاً عن تاريخ مقديش خط.
(٢) مناقب أبي إسحٰق ٩.
(٣) انظر عنها: معجم البلدان ٢/٥٧.
(٤) انظر: الأعلام ٩/١٩٦، معجم المؤلفين ١٣/٢١٣، تراجم المؤلفين ٣/٢٠٦، الشجرة ١/٩٦ (ضمن ترجمة ابن زيد)، المعالم ٣/١١٨ (ضمن ترجمة ابن أبي زيد).

(ت ٤٣٢) وغيرهما، كما سمع الحديث ببعض بلاد الجَرِيد، وسمع بالمشرق، ولمّا عاد إلى بلده اشتغل بنشر العلم، واشتهر بقصيدته الفريدة المعروفة بالشَّقْرَاطِسِيّة، مدح فيها الرّسول ﷺ وذكر فيها شيئاً من سيرة الصّحابة، وقد أنشدها بالمسجد النّبويّ، وله كتاب في معجزات النّبيّ ﷺ، وتعليق على مسائل المدوّنة[1].

ب ـ الصّلة بقَفْصَة:

ومثّل الصّلة من أهل قَفْصَة بالجنوب الغربي لإفريقيَّة[2] أيضاً، جماعة من العلماء منهم: الحارث بن أسد القَفْصِيّ، وهو من تلاميذ مالك، وقد سمع منه بالقيروان جماعة من المحدّثين والفقهاء، منهم: عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[3].

ومحمد بن تَمِيم القفصي، المحدّث الثّقة (ت ٢٥٩ أو ٢٦٠)، سمع الحديث من أنس بن عِياض، وعبدالله بن وهب وغيرهما، وقد حدّث في القيروان بكتب أنس بن عِياض وغيرها[4].

أمّا أشهرهم فهو المحدّث مالك بن عيسى القفصي (ت ٣٠٥) صاحب الرّحلة المشرقيّة التي دامت عشرين عاماً، وقد سمع بالقَيْرَوان، واستوطنها، ونشر فيها حديثاً كثيراً، ورحل إليه الطّلبة من الأنحاء، حتّى قيل: «لو عاش قليلاً وامتدّ به العمر لغلب على أهل القيروان علم الحديث»[5].

---

(١) انظر: الشجرة ١/١١٧، معجم المؤلفين ١٠/١٠٦، الأعلام ٤/١٤٤، كشف الظنون ٢/١٣٣٩، هدية العارفين ٦/٧٣ وفي كليهما سمي محمد بن عبدالله... تراجم المؤلفين ٣/٢٠٤.

(٢) انظر عنها: معجم البلدان ٤/٣٨٢.

(٣) الرياض ١/٢٩٠، علماء قفصة بين مدرستين ١٠٩، المدارك ١/٤٩٠، الديباج ١٠٦.

(٤) ط أبي العرب ١٦٨ (ترجمة أبي جعفر بن زياد)، الرياض ١/٢٩٠ (في ترجمة الحارث بن أسد، علماء قفصة ١١٠، تعجيل المنفعة ٣٦٠، المدارك ٤/١٩٢.

(٥) ط الخشني ١٧٤، المدارك ٥/١٢٤، علماء قفصة ١١٣، ورقات ٢/٣١٩، الأعلام =

ويوسف بن عبدالله القَفْصي (ت ٣٣٢ وقيل ٣٣٦)، وهو فقيه محدّث لغويّ شاعر، له كتاب في غريب الحديث، نصر فيه أبا عُبيدالقاسم ابن سلّام (ت ٢١٤) على عبدالله بن مُسلِم بن قُتَيبة (ت ٢٧٦)[1].

ودخلها أبو إسحٰق بن منصور القفصي (ق ٥)، وصحب فيها أبا بكر أحمد بن عبدالرحمن (ت ٤٣٢)، وسمع من أهل هذه الطّبقة، وهو يُعدّ من فقهاء إفريقيّة[2].

جـ ـ الصّلة بسُوسَة:

ومثل الصّلة بسُوسَة[3] عدد كبير من العلماء، منهم: يحيى بن عمر الأندلسيّ ثمّ الإفريقي القيرواني (ت ٢٨٩)، فإنّه في آخر حياته نزل سوسة، وبثّ فيها علماً كثيراً، وكان يوضع له في جامعها كرسيّ لكثرة من يحضر حلقته من الطّلبة[4].

ومحمد بن رَزِين السُّوسي (ت ٢٥٥)، كان مُحدّثاً واسع الرّواية، مع معرفة بالفقه، طلب العلم بالقيروان، ثم رحل إلى المشرق، فسمع من أسد السُّنّة (ت ٢١٢) وغيره، وقد حدّث بالقيروان[5].

= ١٤١/٦، معجم المؤلفين ١٦٩/٨، معجم البلدان ٣٨٢/٤، الأنساب ٢١٢/١٠، تراجم المؤلفين ٩٦/٤.

(١) الرياض ٧٢٨/٢، المدارك ٣٥٦/٣، ورقات ١٧٢/١، تراجم المؤلفين ٢٥٠/١، علماء قفصة ١١٥.

(٢) المدارك ٧٧٢/٣، علماء قفصة ١١٨.

(٣) سوسة هي ميناء مدينة القيروان في الفترة التي أدرسها وأقرب المدن إليها تبعد عنها ٣٦ ميلاً. انظر عنها: ورقات ١٥/٢ فما بعدها، معجم البلدان ٢٨٢/٣.

(٤) انظر: ورقات ١٢٧/٢، وتأتي ترجمته رقم ٩ في المهاجرين.

(٥) انظر: ط أبي العرب ١١٩، المدارك ١٩٠/٤، ورقات ١٣٤/٢.

وسهل بن عبدالله القُبْرِيَاني (ت ٢٨٢)، القيرواني مولداً ونشأة، طلب بها الحديث، وبثّ فيها العلم، ثمّ بنى قصر سهل بسوسة، ولزمه للمرابطة، والعبادة، ونشر العلم[١].

وسعيد بن إسحٰق الكَلْبي (ت ٢٩٤)، سمع الحديث والفقه من سَحنون (ت ٢٤٠)، وعون بن يوسف (ت ٢٣٩) وغيرهما، وله رحلة إلى المشرق سمع فيها الحديث، ولمّا عاد سكن قصر الطّوب بسوسة، مرابطاً وناشراً للعلم، وكان يتردّد على القيروان ليحدّث الطّلبة[٢].

ومحمد بن بِسْطَام الضَّبِّيّ (ت ٢١٣)، أصله من البصرة، ودخل القيروان لطلب العلم، وأدخل إليها كثيراً من علوم المشارقة، ثمّ سكن بسوسة، وكان يدرّس بجامعها، وقد انتفع به كثير من أهلها والوافدين عليها[٣].

د ـ الصّلة بصَفَاقُس:

ومثّل الصّلة بصَفَاقُس[٤] جماعة من العلماء، منهم: أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَانِي (ت ٣٦٩)، وقد تفنّن في علوم شتّى، منها: الحديث والفقه، مع الورع والدّين المتين، سمع بالقيروان علماً كثيراً، وحدّث بها، ثمّ عاد إلى مدينته جِبِنْيَانة بنواحي صَفَاقُس، وقد ألّف في مناقبه جماعة من العلماء، وسلّم له معاصروه بالإمامة[٥].

وعثمان بن أبي بكر الصَّفَاقُسِيّ، المعروف بابن الضّابط (ت حوالي سنة ٤٤٤)، وهو محدّث واسع الرّواية، كثير الحديث، مع معرفة باللّغة والأدب،

---

(١) انظر: ط الخشني ١٣٤، المدارك ٢٧٤/٣، المعالم ١٩٦/٢، ورقات ١٣٥/٢.

(٢) ستأتي ترجمته رقم ١٤ في المحدثين.

(٣) الرياض ١٨١/٢، ط الخشني ١٦٨.

(٤) مدينة ساحلية كبيرة في وسط إفريقيّة. انظر عنها: معجم البلدان ٢٢٣/٣. وهي تكتب بالسين أيضاً.

(٥) انظر: الشّجرة ٩٥/١، مناقب أبي إسحٰق، المدارك ٤٩٧/٣.

طلب العلم بالقيروان، ثمّ رحل إلى المشرق فسمع حديثاً كثيراً، ولمّا عاد حدّث بالقيروان، وتردّد على بلاد الأندلس ونشر بها العلم[1].

هـ ـ الصّلة بطرابُلُس الغرب:

ومثّل الصّلة بطرابُلُس الغرب جماعة من العلماء، منهم: محمد بن معاوية الحَضْرمي، الطّرابُلْسي، نزيل القيروان، أدخل إليها موطّأ مالك، وفي روايته جامع الجامع، وليس ذلك عند غيره من أصحاب مالك، وقد سمع منه فُرات العَبْدي (ت ٢٩٢)، وبَكر بن حمّاد (ت ٢٩٦)، وغيرهما[2].

وأبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن ذَكْوَان (ت ٣٧٠)، وهو فقيه محدّث، فرَضي، له تآليف في الحديث والرّجال والفرائض، وغيرها، سمع منه الإمام القابِسي (ت ٤٠٣).

ورحل إلى القيروان علي بن محمد الطَّرَابُلْسي (ت ٤٣٢)، وسمع من أبي محمد ابن أبي زيد (ت ٣٨٦).

وأمّا أشهر من مثّل هذه الصّلة، فهو: المحدث أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العِجْلِي الكُوفي، نزيل طرابُلُس الغرب (ت ٢٦١)، وهو أحد الحفّاظ المتقنين، ومن أئمّة عصره في الحديث والبصر بالرّجال، له كتاب تاريخ الثّقات، وكتاب الجرح والتّعديل[3]. وقد سمع منه جماعة من أهل القيروان ومن الوافدين عليها، وأخذوا عنه علم الرّجال، منهم: سعيد بن إسحٰق (ت ٢٩٤)[4]، وبَكر بن حمّاد (ت ٢٩٦)[5]، وسعيد بن الحدّاد (ت ٣٠٢)[6]، ومالك بن عيسى (ت ٣٠٥)[7]، ومحمد بن بِسْطام (ت ٣١٣)[8].

---

(١) ستأتي ترجمته رقم ٤ في المهاجرين.

(٢) انظر: المدارك ١/٤٩٠، الرياض ١/٢٩٠، ط أبي العرب مح ٢٥٤ (في النقول).

(٣) انظر عنه: مقدمة كتابه تاريخ الثقات ٣١ ـ ٣٥، ٤٣، طبقات الحفاظ ٢٤٦.

(٤) المحن ١٠٣.

(٥) المحن ١١١.

(٦) ط الخشني ١٤٨.

(٧) ط أبي العرب ١٠٧، ٢٥٤.

(٨) ط أبي العرب ٦.

و ـ الصّلة بتونُس:

وأمّا الصّلة العلميّة بمدينة تونُس فقد كانت من القوّة، والمتانة، وبعد الأثر، بحيث لا تكاد تدانيها صلة بين القيروان وبين مدينة إفريقيّة أخرى، وخاصّة في القرنين الأوّلين، ومن أشهر من مثّل هذه الصّلة: **علي بن زياد التّونُسي** (ت ١٨٣)، الذي كان أوّل من أدخل الموطّأ وجامع سفيان الثّوري إلى إفريقيَّة، وهو الذي فسّر لأهلها أصول مالك، فكان أهل القيروان يرحلون إليه لسماع الموطّأ وغيره من حديثه، ويتفقّهون عليه، ومن أبرز من تتلمذ عليه بها: الإمام سَحنون، وأسد بن الفُرات، كما كان عليّ يتردّد على القيروان، فيسمع منه أهلها[1].

وعبدالملك بن أبي كريمة التّونُسي، المحدّث الصّدوق (ت ٢٠٤)، سمع منه من القرويّين عَنْبَسَة بن خَارِجَة (ت ٢١٠ وقيل ٢٢٠)، ويحيى بن سليمان الخَرَّاز (ت ٢٣٧)، والإمام سَحنون (ت ٢٤٠)، وعون بن يوسف (ت ٢٣٩)، وداود بن يحيى (ت ٢٤٩)، وغيرهم[2].

وهشام بن الخليل التّونُسي المحدّث، له سماع من سفيان الثّوري (ت ١٦١)، وعبدالله بن المبارك (ت ١٨١)، وغيرهما، سمع منه داود بن يحيى القروي (ت ٢٤٩)، وغيره[3].

وعبّاس بن الوليد الفارسي التونسي (ت ٢١٨) وكان محدثاً جليل القدر، واسع الرواية حافظاً متقناً سمع من سفيان بن عُيَيْنة (ت ٢١٨)، وحمّاد بن زيد (ت ١٧٩)، والفُضَيل بن عِياض (ت ١٨٧)، وبشر كثير من محدّثي الأمصار، كما

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٣٤، ط أبي العرب ٢٥١، الانتقاء ٦٠، الشجرة ١/٦٠، المدارك ١/٣٢٦، طبقات الفقهاء ١٥٢، الحلل ١/٧٠٨، مقدمة موطأ ابن زياد ٢٩.

(٢) الرياض ١/٣٢٣، ط أبي العرب ٢٤٧، التهذيب ٦/٤١٨، التقريب ١/٥٢٢.

(٣) ط أبي العرب ٢٥٥.

قال أبو العرب، وكان كثير التّردّد على القيروان، وله بها دار، فكان الطّلبة يقصدونه للسّماع منه[1].

وسكن تونُس زيد بن بِشر المصري (ت ٢٤٢ أو ٢٤٠)، فكان أهل القيروان يرحلون إليه لسماع حديثه، وكان ثقة في روايته، ومن تلاميذه القرويّين: سعيد بن إسحٰق (ت ٢٩٥)، وسليمان بن سالم (ت ٢٨٩)، وغيرهما[2].

ودخل تونُس المحدّث القروي لقمان بن يوسف الغَسَّاني (ت ٣١٨ أو ٣١٩)، ولعلّه حدّث بها[3].

وسكن القيروان أبو إسحٰق إبراهيم بن حسن التّونُسي (ت ٤٤٣)، وهو محدّث، فقيه، أصوليّ، حافظ، سمع من الفاسي (ت ٤٣٠) وغيره، وبثّ فيها العلم، وكان من أبرز مدرّسيها، وله تعاليق حسنة على الموّازية[4]، والمدوّنة[5].

وهكذا تبيّن لنا أنّ المدرسة القيروانيّة قد كان لها في هذه الفترة (ت ٥٠ ـ ٤٤٩) صلات علميّة مع معظم مراكز العلم في المشرق والمغرب، وأنّ أهلها تتلمذوا على المشارقة غالباً، وكان لبعضهم أثر علميّ في المشرق، كما أنّ بعض المشارقة رحلوا إلى القيروان، ومنهم من استوطنها، وجمعوا أثناء وجودهم بها بين الأخذ والعطاء.

وتتلمذ كثير من المغاربة والأندلسيّين على أهل القيروان، وكان لبعضهم دور في إثراء الحياة العلميّة فيها.

وكان للقيروان دورها البارز في ازدهار مختلف العلوم، وخاصّة الحديث والفقه، في مختلف مدن إفريقيَّة، وفيها تتلمذ معظم أهل هذه المدن.

---

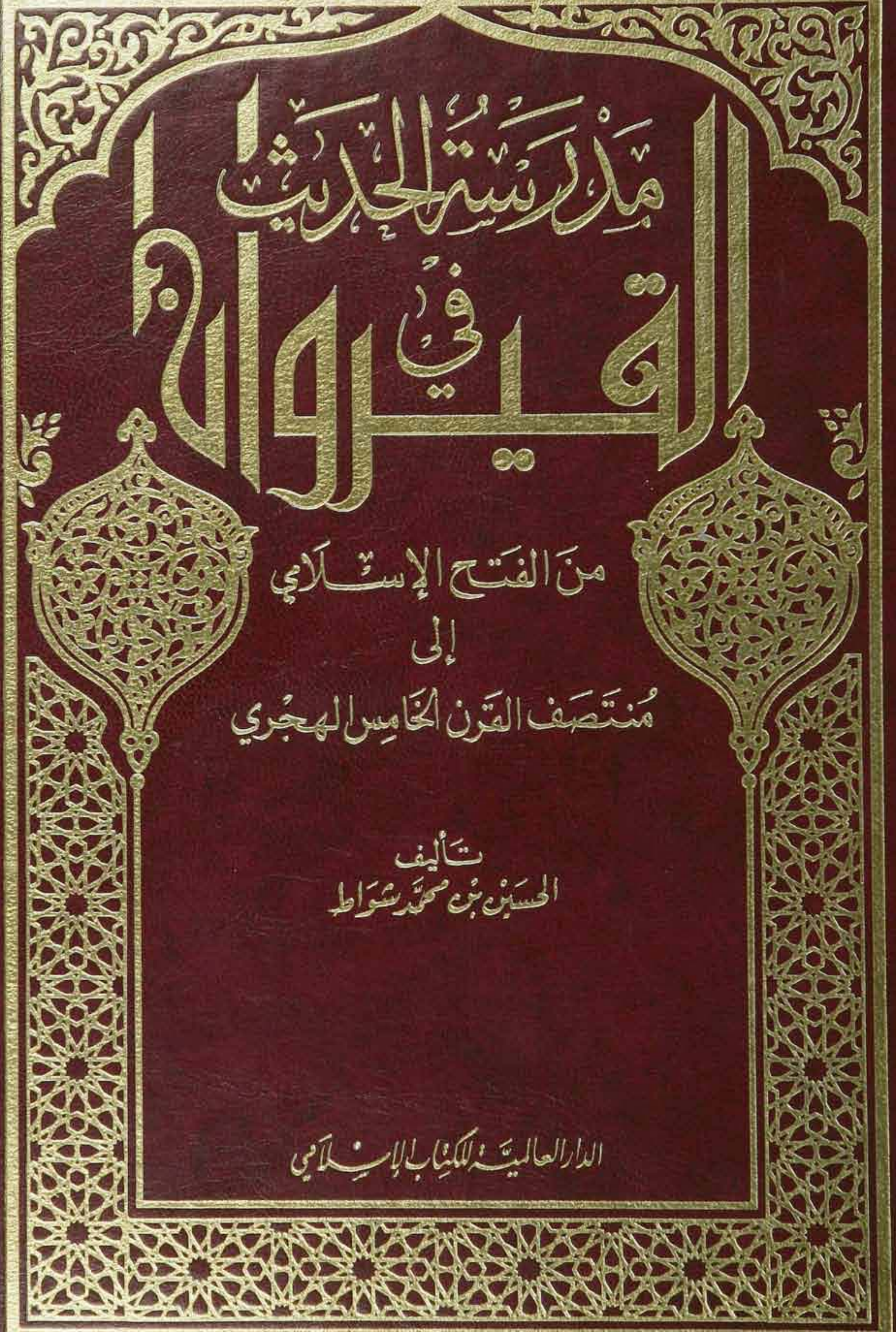
(١) ط أبي العرب ٢٥٤، الرياض ٢٤٨/١، المحن ٤٣٥، اللسان ٢٤٥/٣.

(٢) ط أبي العرب ٢٥٥، الرياض ٣٩٠/١، طبقات الفقهاء ١٥٧، المدارك ٩٨/٤.

(٣) انظر: الرياض ١٩٣/٢، المدارك ٣١١/٣.

(٤) نسبة إلى محمد بن سعيد المعروف بابن المواز الفقيه الأندلسي المالكي الشجرة ٧٦/١.

(٥) انظر: الشجرة ١٠٨/١، المدارك ٧٦٦/٣.


مدرسة الحديث
في القيروان
من الفتح الإسلامي
إلى
منتصف القرن الخامس الهجري
تأليف
الحسين بن محمد شواط
الدار العالمية للكتاب الإسلامي

مدرسة الحديث في القيروان

من الفتح الإسلامي
إلى منتصف القرن الخامس الهجري

تأليف
الحسين بن محمد شواط

الجزء الثاني

الدار العالمية للكتاب الإسلامي

الباب الثالث

التعريف بأشهر رواة الحديث وعلمائه، وأشهر المصنفات الحديثية بالقيروان في هذه الفترة (٥٠ - ٤٤٩ هـ)

وفيه فصلان يتفرع كل منهما إلى مباحث ومطالب ونقاط:

- **الفصل الأول**: التعريف بأشهر رواة الحديث وعلمائه.
- **الفصل الثاني**: التعريف بأشهر المصنفات الحديثية.

الفَصْل الأوَّل

التّعريف بأشهر رواة الحديث وعلمائه

مـدخـــل:

لقد وُجد بالقَيْرَوان، على مدى هذه القرون الأربعة، أجيال من المحدّثين نشروا فيها وفي خارجها سنّة النّبيّ ﷺ، سواء بالرّواية أو بالسّلوك أو بالتّصنيف، ومن هؤلاء المحدّثين من كان من أهل القَيْرَوان، ومنهم من ورد عليها خصّيصاً لنشر السّنّة الشّريفة وخدمتها أو طلبها، فاستقرّوا بها، وبثّوا فيها علماً كثيراً، ومنهم من نشر فيها العلم، ثم نزح عنها إلى غيرها.

وكان لهؤلاء جميعاً أبعد الأثر في نشر علوم السّنّة النّبويّة، وتمسّك أهل القيروان بها، حتى صارت إِفْرِيقِيَّة عموماً داراً للسّنّة، ولفظت النّحل الخارجيّة والرّافضيّة، ودحرتها رغم عتاوة كلّ منها.

المبحــث الأوّل

الصّحابة الذين نزلوا القَيْرَوَان

بدأت أجيال المحدّثين في القَيْرَوان بالصّحابة رضوان الله عليهم، فقد دخلوا إفريقيَّة فاتحين ومُعلّمين، وأسّسوا مدينة القَيْـرَوان ـ كما أسلفت في التّمهيـد ـ فكسبت بذلك شرفاً على مدى الأزمان، وهم أوّل من نشر فيها علوم الكتـاب

والسّنّة قولاً وعملاً، ومن هنا سأبدأ الحديث عمّن نزل القيروان من الصّحابة، وأثرهم في نشر السّنّة بها وبإفريقيّة عموماً.

أ ـ عددهم وتحقيق القول في ذلك:

إنّ ممّا يلاحظه النّاظر في كتب تاريخ المغرب وتراجم رجاله كثرة من دخل إفريقيَّة والقَيْرَوان من الصّحابة، قال ابن عذارى: «دخل إفريقيَّة من أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين الأوّلين ناس كثير»[١]، وقد استمر قدومهم إليها من سنة ٢٧ هـ إلى سنة ٧٨ هـ وكان يدخلها في كلّ غزوة جمع غفير منهم، ويتضاءل عددهم مع مرور الزّمن، فقد كانت عدّة جيش عبدالله بن سعد سنة ٢٧ هـ عشرين ألفاً أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ[٢]، كما كان مع معاوية بن حُدَيج في غزواته الثّلاث بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار[٣]، أما عُقبة بن نافع فقد صحبه في غزوته الأولى (سنة ٥٠ على الرّاجح كما أسلفت) ثمانية عشر صحابيّاً، وفي غزوته الثّانية سنة ٦٢ هـ خمسة وعشرون صحابيّاً[٤]، كما دخلها خالد بن ثابت الفَهْمِيّ سنة ٥٤ هـ أميراً، ودخلها سفيان بن وهب والخَوْلَانِيّ سنة ٦٠ وسنة ٧٨ هـ[٥]، وهو آخر من دخلها من الصّحابة. وعلى هذا يكون عدد من وقع التّصريح بأسمائهم ضئيلاً جداً بالنّسبة للعدد الحقيقيّ؛ فقد صرّح أبو العرب باسم سبعة عشر منهم[٦].

وذكر المالكي تسعة وعشرين صحابيّاً[٧]، وقد عدّ منهم عُقبة بن نافع، وهو لا صحبة له[٨].

---

(١) البيان المغرب ١/٨.
(٢) انظر: طبقات أبي العرب مح ٧٠، المعالم ١/٣٣.
(٣) انظر: فتوح مصر ٣١٨، الاستقصاء ١/٩٠.
(٤) انظر: طبقات أبي العرب مح ٥٦، الرّياض ١/١٠، البيان المغرب ١/٢٠، ٢٣.
(٥) انظر: معرفة الصّحابة لأبي نُعَيم خط ١/٣٠٠، المعالم ١/١٥١، الرياض ١/٩١.
(٦) ط أبي العرب ١٦، ١٧.
(٧) الرياض ١/٦٠ فما بعدها.
(٨) انظر مثلاً: التّجريد ١/٣٨٥، ط أبي العرب ٩.

وذكر الدّبّاغ ثلاثين صحابيّاً[1]، وقد ذكر فيهم عُقبة بن عامر، وهو لم يدخلها.

وذكر صاحب الشّجرة واحداً وأربعين[2]، وقد تعقّبتُه في عشرة منهم، تبيّن لي أنّ ثمانية منهم من كبار التّابعين، ولم تثبت لهم صحبة، وواحداً لم يدخلها وواحداً كرّره، فتمحّص له منهم واحد وثلاثون صحابيّاً.

وبعد النّظر في مختلف المصادر والمراجع ولمّ شتات هذه المسألة تحصّل لديّ عدد خمسة وأربعين صحابيّاً ممّن له رواية، أي بزيادة أربعة عشر رجلاً على أكبر عدد سُبقتُ إليه في تعداد الصّحابة الذين نزلوا القَيْرَوان وإفْرِيقيَّة، وهو ما تمحّص لصاحب الشّجرة وقد تقدّم أنّه واحد وثلاثون.

وهذا عدا المُخَضْرَمِين[3] ـ وهم ثلاثة ـ ومن ولدوا على عهد الرسول ﷺ وتوفّي وهم دون سن التّمييز، وقد بلغ عددهم ثمانية عشر رجلاً فيما وقفت عليه بعد البحث، وهؤلاء عدادهم عند المحدّثين في كبار التّابعين من حيث الرّواية.

ب ـ أثر الصّحابة الرّواة في نشر السّنّة بالقَيْرَوان وإفْرِيقِيَّة:

لقد ضنّت علينا المصادر بالمعلومات المنشودة المتعلّقة بالنّشاط العلميّ للصّحابة في القَيْرَوان، وأغفلتها إغفالاً تاماً، وقد قمتُ بتتبّع مواضع تراجم هؤلاء الصّحابة في كتب أهل المشرق والمغرب، وكتب التّاريخ العامة والخاصّة، لعلّي

---

(١) المعالم ١/٧١، فما بعدها. (٢) شجرة النّور ٢/٩٧ ـ ١٠٠.

(٣) المُخَضْرَم عند أهل الحديث هو التّابعي الكبير الذي أدرك الجاهلية، وحياة رسول الله ﷺ، وليست له صحبة لعدم لُقِيّه الرّسولَ ﷺ، وقد سُمّي بذلك لأنّه قُطِع عن نظرائه، فهو متردّد بين طبقة الصّحابة للمعاصرة، وبين طبقة التّابعين لعدم اللّقي، ولم يشترطوا فيه أن يكون أسلم في حياة الرسول ﷺ، ولأهل اللّغة فيه اصطلاح آخر، انظر: تذكرة الطّالب المعلّم بمن يقال إنّه مُخْضرَم ٢١٣ ـ ٣١٧، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٧٣، التقريب والتدريب ٢/٢٣٨، ٢٣٩، التقييد والإيضاح ٣٢٢ ـ ٣٢٥، اختصار علوم الحديث ١٩٣، الإصابة ١/٨.

أظفر بما يُنير الطّريق في هذه المسألـة، ولذلـك فقد تضخّمت مصـادر تراجم الصّحـابة، ولاحـظت أنّ اهتمام المشـارقة بـإظهار الجـانب العلميّ لـلأفـارقـة والقيروانيّين ـ وخاصة في مجال الحديث ـ قليل جداً، حتّى إنّهم نادراً ما يشيرون في ترجمة الصحابي إلى دخوله إفريقيَّة، فضلاً عن أن يتحدّثوا عن نشاطه العلميّ فيها، أمّا أهل القيروان فإنّ أغلب ما صنّفوه في الحديث وفي تـاريخ بـلادهم وتلاجم رجالها قد فُقد[1]، وأهمّه مسند المحدّث محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وقد وُصف بأنّه كبير، ولعلّه إن وجد يسدّ هذه الثّغرة، والذي يمكن قوله في هذه المسألة بناء على ما توافر من المادّة العلميّة هو:

١ ــ إنّ الصّحابة عموماً منهل طبيعيّ لنشر سنّة النّبيّ ﷺ بالقول والفعل، فهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، وقد أمرهم ﷺ بالتّبليغ عنه ما استطاعوا، وقد هجروا أوطانهم وتفرّقوا في الأمصار بعد وفاة الرّسول ﷺ للقيام بهذه المهمّة السّامية، ولذلك فإنّ قلّة المادّة الواردة في هذا الشّأن بخصوص القَيْرَوان لا تعني عدم قيامهم بنشر السّنّة فيها، إنّما تُفسَّر بقلّة التّدوين وضياع أكثر ما دُوّن.

٢ ــ إنّ الظروف العامّة لإفريقيَّة والقَيْرَوان في فترة الفتح[2] لم تساعد على طول استقرار الصّحابة فيها، وهذا يعني عدم وجود واسطة مستقرّة من الصّحابة لرواية السّنّة، فكانوا يقدمون للغزو، وخلال ذلك ينشرون علوم الكتاب والسّنّة، ثمّ يعودون إلى المشرق، فلما تمّ الفتح النّهائي واستقرت الأوضاع كان أغلب الصحابة قد توفّوا، والباقون ضعفت قواهم ـ لكبر السّنّ ـ عن القدوم إليها، ولهذا كان أثرهم فيها أقلّ ممّا هو في بلاد المشرق.

---

(١) من ذلك ما كتبه أبو بكر السّوسي عن مغازي إفريقيّة، وكتاب فُتوح إفريقيّة لعيسى بن أبي المهاجر (ق ٣)، وتاريخ محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، وطبقاته، ومسنده في الحديث، وطبقات رجال إفريقية لأبي العرب (٣٣٣)، والكتاب المُعرب عن أخبار إفريقية والمغرب للوكيل (بعد ٣٤٦)، ومسند إبراهيم الشّيباني، وغيرها كما سيأتي في المصنفات.

(٢) سبق تفصيل ذلك في التمهيد.

٣ ـ إنّ أطول فترة مكثها الصّحابة في شكل جماعيّ بالقَيْرَوان هي الفترة التي أسّسوا فيها هذه المدينة، ودامت مدّة خمس سنوات (٥٠ ـ ٥٥ على الرّاجح)، وكان عددهم ثمانية عشر صحابيّاً في غزوة عُقبة الأولى[١]، ومن الطّبيعي أنّهم في هذه المدّة الطّويلة قد قاموا برواية علوم الكتاب والسّنّة، ونشرها بين من أسلم من البربر، ومن استقرّ في القَيْرَوان من عرب الفتح، ولا سيما ما يُحتاج إليه في العبادات والمعاملات، خاصّة وقد تمّ بناء المسجد الجامع، وبنى النّاس مساجدهم ودورهم من حوله، ولم تكن هناك حروب في هذه الفترة، إنّما كان عُقبة يبعث سرايا صغيرة إلى الجهات القريبة؛ لاهتمامه بعمارة المدينة، كما أنّ غزوة عُقبة الثّانية سنة ٦٢ هـ والتي استمرّت حوالي سنتين، كان فيها خمسة وعشرون صحابيّاً[٢]، وفي هذه المدّة ازداد عدد المسلمين من البربر، وعرفت القَيْرَوان حياة طبيعيّة بعد سبع سنوات من تأسيسها، بالرّغم من مزاحمة تِيكَرْوان[٣] لها، ولا شكّ أنّ الصّحابة قد استفادوا من هذا الوضع لنشر سنّة نبيّهم ﷺ وتعليمها للنّاس، ولنلاحظ هنا ما جاء في دعاء هؤلاء الصّحابة لمدينة القيروان: «اللّهم املأها علماً وفقهاً، واعمرها بالمطيعين والعابدين...»[٤]، فتوجُّههم للنّاحية التعليميّة كان أكيداً. ولا يصحّ أبداً ما ذهب إليه بعض المعاصرين من انشغال الفاتحين كلّيّاً بالحروب عن نشر العلم والدّين، فإنّهم لم يأتوا إلّا من أجل ذلك باعتبار أنّ الجهاد لم يكن إلّا وسيلة لنشر الدّعوة الإسلاميّة، ألا ترى أنّ عُقبة رضي الله عنه قُبيل استشهادة بقليل كان يدعوهم إلى الله ورسوله، وهم يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنّبل[٥].

---

(١) انظر: البيان المغرب ١/١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) انظر: ط أبي العرب مح ٥٦، الرياض ١/١٠، البيان المغرب ١/٢٠، ٢٣.

(٣) هي المدينة التي أسّسها أبو المهاجِر عندما قدم خلَفَاً لعُقبة، انظر: المعالم ١/٤٧، ولا يصحّ ما ذهب إليه بعض المؤرّخين من أنّ أبا المهاجِر قد خرّب مدينة القَيْرَوان.

(٤) الرياض ١/١٠.

(٥) البيان المغرب ١/٢٨، الرياض ١/٣٩.

وقد شاعت رواية الحديث ودرايته في هذه الفترة، وشرع النّاس في كتابة السّنّة، ممّا حدا بالأمير عُقبة إلى أن يوجّههم إلى النّظر في حال من يأخذون عنه الحديث، وعدم كتابة ما يصرف اهتمامهم عن تلاوة القرآن وتدبّر معانيه، ذلك ما رواه ابن عبدالبرّ بسنده إلى عُقبة: إنّه أوصى ولده (وبقيّة المسلمين من ورائهم لأنّه كان أميراً) فقال: «لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلاّ من ثقة»[1].

٤ ـ لقد تكرّر دخول كثير من الصّحابة الرّواة إلى إفريقيّة ثمّ القَيْرَوان بعد تأسيسها؛ فقد دخلها[2] عبدالله بن سعد مرّتين (٢٧، ٣٣ هـ)، ودخلها معاوية بن حُديج ثلاث مرّات (٣٤، ٤١، ٤٥ هـ)، وعبدالله بن عمر مرّتين (٢٧، ٤٥ هـ)، وعبدالله بن الزُّبَير مرّتين (٢٧، ٤٥ هـ)، وخالد بن ثابت الفَهْمِيّ مرّتين (٤٥، ٥٤ هـ)، وسفيان بن وهب والخَوْلاَنِيّ مرّتين (٦٠، ٧٨ هـ)، وغيرهم.

ولهذا التّردّد على أفريقيّة أثر كبير في نشر الصّحابة للسّنّة، وذلك لأنّ هؤلاء قد عرفوا البلاد وطبائع أهلها، فهم أقدر على معرفة مداخلها وأصلح الطّرق لنشر العلم بها، ولا شكّ أنّه قد أصبح لهم بها أصحاب وتلاميذ.

٥ ـ إنّ كثيراً من الصّحابة الفاتحين قد اتّخذوا بإفريقيّة السّراري وأمّهات الأولاد ـ كما ذكرت المصادر ـ فقد وُلد لعبد الله بن عمر طفلة بموضع القيروان[3]، ولجَبَلَة بن عمرو عَقِبٌ بإفريقية[4]، كما كان لقَيْس بن يسار أولاد بإفريقيّة، منهم: أبو مُحْرِز القاضي[5]، وغيرهم، ووجود عَقِبهم بها دليل على

---

(١) ساقه ابن عبدالبرّ مسنداً في التّمهيد ٤٥/١، وانظر: الإصابة ٨١/٣، الشجرة ١٠٠/٢، قلت: وفي سنده عند ابن عبدالبر عبدالله بن لهيعة والعمل على تضعيفه كما تقدّم في مواضع (وانظر التهذيب ٣٧٣/٥ ـ ٣٧٩)، غير أنّ للحديث سنداً آخر عند ابن منده يتقوّى به، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة نقلاً عن ابن يونس عن ابن منده، غير أني لم أقف على كلام للنّقاد في أحوال رجاله، وانظر: الكفاية للخطيب ٧٢، ٧٣.

(٢) سيأتي توثيق هذه المعلومات في ترجمة كلّ من هؤلاء الصّحابة.

(٣) طبقات أبي العرب ١٨، وبها سمّيت المقبرة مقبرة قريش.

(٤) الرياض ٩٢/١. (٥) ن. م ٩٦/١.

استمرار أمّهات الأولاد فيها بعد عودة الصّحابة، ولا شكّ أنّهنّ سينشرن بإفريقيَّة ما تعلّمنه من الصّحابة من السّنّة القوليّة والعمليّة.

٦ ــ إنّ معظم من دخل إفريقيَّة من الصّحابة له رواية عن النّبيّ ﷺ، بل إنّ منهم جماعة من المُكثِرين، مثل[١]: عبد الله بن عمر، له ٢٦٣٠ حديث، وابن عبّاس له ١٦٦٠ حديث، وابن مسعود له ٨٤٨ حديث، وعبدالله بن عمرو له ٧٠٠ حديث، وغيرهم، ولا يمكن لهؤلاء أن يتوقّفوا عن نشر هذا العلم الغزير؛ فإنّ ذلك أصبح سجيَة من سجاياهم وطبعاً من طباعهم لا تكتمل حياتهم بدونه.

٧ ــ لقد ثبتت الرّواية في إفريقيَّة عن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم[٢]:

١ ــ **جَبَلَة بن عمرو الأنصاري**: وحديثه عندهم من طريق سُلَيمان بن يسار الـذي غزا معه إفريقيّة سنة ٤٥ هـ، واستقرّ فيها بعد ذلك مدّة، وأخذ عنه من أهلها خالد بن أبي عِمران وغيره. فقد روى خالد بن أبي عمران التُّونُسي (ت ١٢٥ أو ١٢٩) قال: «سألت سليمان بن يسار عن النّفل في الغزو فقال: لم أر أحداً: غير (معاوية) بن حُديج، نفلنا بإفـريقيَّة النّصف بعـد الخُمس، ومعنا من أصحـاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأُوَل ناس كثير، فأبى جَبَلَة بن عمرو الأنصاري أن يأخذ منه شيئاً»[٣]، فهذه مسألة فقهيّة تعلّمها أهل إفريقيَّة من هذا الصّحابي مع إقرار من معه من كبار الصّحابة في هذا الوقت المبكّر.

(١) سيأتي التعريف بهؤلاء الصّحابة وإثبات مصادرهم، وكذلك التّعريف بمن ذكر هنـا من التّابعين.
(٢) سيأتي التّعريف بهؤلاء الصّحابة وإثبات مصادرهم، وكذلك التّعريف بمن ذكر هنـا من التّابعين.
(٣) أخرجه ابن عبدالحكم من طريقين بألفاظ متقـاربة ٣١٧، وأخـرجه أبـو العرب ص ١٥ بمعناه، وذكره المالكي بنحوه بسند ابن وهب. الرياض ٩١/١، والحديث صحيح، فإن رجاله في سند ابن وهب ثقات. وهم: عمـرو بن الحارث المصـري، ثقة. (التقـريب =

٢ ـ **رُوَيْفَع بن ثابت الأنصاري**: حدّث رُويفع بإفريقيَّة، وسمع منه حَنَش بن عبدالله الصّنعانيّ، الذي كان معه في فتح جزيرة جَرْبَة؛ وقد استقر حَنَش بعد ذلك في القَيْرَوان وبقي فيها إلى أن توفّي سنة ١٠٠ هـ.

ومن أحاديث حَنَش عنه ما يلي:

١ ـ قال حَنَش: «غزونا المغرب، وعلينا رُوَيفع بن ثابت الأنصاري، فافتتحنا قرية يقال لها «جَرْبَة»، فقام فينا رُوَيفع الأنصاري خطيباً فقال: إنيّ لا أقول فيكم إلّا ما سمعت من رسول الله ﷺ، قام فينا يوم خَيْبر حين افتتحناها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركبنّ دابّة من فيء المسلمين حتّى إذا أعجفها[1] ردّها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتّى إذا أخلقه[2] ردّه فيه»[3].

= ٦٧/٢)، بُكير بن الأشجّ، ثقة (التقريب ١٠٨/١)، سليمان بن يسار، ثقة. أحد الفقهاء السّبعة (التقريب ٣٣١/١)، خالد بن أبي عِمران التونُسي، ثقة. احتج به مسلم وغيره (التهذيب ١١٠/٣).

(١) العَجَف ذهاب السّمن، وأعجف الدّابّة هزلها، القاموس المحيط ١٧٢/٣.

(٢) خَلِق الثّوب بَلِي وأخلقه أبلاه، انظر: القاموس ٢٢٨/٣.

(٣) سنن الدّارمي، كتاب السّير، باب النهي عن ركوب الدابة من المغنم ٢٣٠/٢، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل ينتفع من الغنيمة بشيء ٢٧٠٨/١٥٣/٣، ولم يذكر القصة في أوله، وأخرجه كذلك في النّكاح، باب في وطء السّبايا ٢١٥٩/٦١٦/٢، وهو عنده في هذا الموضع زيادة من بعض الرواة في حديث طويل لحنش عن رويفع، ولم يذكر القصة في أوله. وأخرجه الإمام أحمد، وفيه زيادة وتقديم وتأخير، مسند أحمد ١٠٨/٤، وابن عبدالحكم بنحوه ٢٧٩، وذكره المالكي بنحوه مع تقديم وتأخير، وعزاه إلى مسند محمد بن سنجر، الرياض ٨١/١، وأخرجه الطبراني بنحوه في الكبير ١٤٤/٥.

قلت: وهو حديث حسن؛ فإن سائر رجاله ثقات إلا محمد بن إسحاق صاحب المغازي، فإن حديثه دائر بين التحسين والتصحيح، والصحيح أن حديثه حسن، وقد احتج به الأربعة، وقرنه مسلم بغيره كما هو صنيعه في أمثاله (انظر: التهذيب ٣٨/٩، الكاشف =

٢ ـ عن حَنَش عن رُويفع بن ثابت قال: قام فينا خطيباً قال: لا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السّبي حتّى يستبرئها، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنماً حتّى يُقسم»[١].

٣ ـ عن حنَش عن رُوَيفع قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تُوطَأ الأمة حتّى تحيض، وعن الحُبالى حتّى يضعن ما في بطونهنّ»[٢].

٤ ـ عن حنَش قال: سمعت رُوَيفع بن ثابت الأنصاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبتاعنّ ذهباً بذهب إلاّ وزناً بوزن، ولا ينكح ثيّباً من السّبي حتّى تحيض»[٣].

= ١٨/٣)، وسنده عند الدارمي هو: أحمد بن خالد الوهبي، ثقة. (التهذيب ٢٦/١، ٢٧) ثنا محمد بن إسحٰق، عن يزيد بن أبي حبيب، ثقة. (التقريب ٣٦٣/٢)، عن أبي مرزوق مولى تُجيب، ثقة. (التقريب ٤٧٠/٢)، عن حنش، ثقة. (التقريب ٢٠٥/١)، علماً بأنّ معظم أسانيد هذا الحديث تلتقي في يزيد بن أبي حبيب.

(١) أبو داود، كتاب النكاح، باب في وطء السبايا وفي أوله قصة ٢١٥٨/٦١٥/٢، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه، وفيه تقديم وتأخير، وليس فيه ما يتعلق بالسبي، مسند أحمد ١٠٨/٤، وأخرجه بنحوه في نفس الموضع بسند آخر عن حنش، وليس فيه ذكر المغنم، كما أخرجه في نفس الموضع بنحوه، وفيه زيادة، وأخرجه أبو نعيم بنحوه في معرفة الصحابة خط ٢٣٥/١ وفي أوله القصة الواردة في الحديث السابق.
قلت: وهو حديث حسن، يلتقي مع الحديث السابق في محمد بن إسحٰق فمن بعده، وبقية رجاله عند أبي داود: عبدالله بن محمد النّفيلي ثقة (التهذيب ١٦/٦، التقريب ٤٤٨/١)، محمد بن سلمة الباهلي، ثقة. (التهذيب ١٩٣/٩، ١٩٤، التقريب ١٦٦/٢).

(٢) مسند أحمد ١٠٨/٤، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف في حفظه (انظر: التهذيب ٣٧٣/٥)، غير أن الحديث صحيح؛ لأن له متابعات صحيحة في الأحاديث ١، ٢، ٤.

(٣) مسند أحمد ١٠٩/٤، وأخرجه ابن عبدالحكم بمعناه ٢٧٩، وأبو نعيم في معرفة الصحابة بمعناه خط ٢٣٥/١، والطبراني في الكبير ١٣/٥ بمعناه، ولم يذكر فيه ما يتعلق بالسبي. =

٣ ـ زياد بن الحارث الصُّدائي: انفرد[١] أهل إفريقيَّة برواية حديث الصُّدائي الطّويل في خبر إسلامه وما سمعه من النّبي ﷺ، وقد رواه عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ عن زياد بن نُعيم[٢] عن الصُّدائي، ومن المصنّفين من أخرجه بطوله، إلا أنّه أكثر ما يروى مُجزّأً؛ لأنّه تضمّن عدّة مواضيع، ولذلك عُدّت أحاديث الصّدائي أربعة، وهي في الحقيقة حديثان؛ إذ إنّ ثلاثة منها ترجع إلى حديث واحد، هو حديث إسلامه الذي معنا، وفيما يلي نصّه كما جاء في رياض النّفوس[٣]:

عن ابن ا نْعُم عن زياد بن نُعَيْم الحَضْرَمِيّ عن زياد بن الحارث الصُّدائيّ صاحب رسول الله ﷺ قال: «أتيت النّبي ﷺ فبايعته على الإسلام، فأُخبرتُ أنّه بعث جيشاً إلى قومي، فقلت: «يا نبيّ الله، أُردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم»، قال: «فاذهب فرُدّهم»، فقلت: «يا رسول الله إنّ راحلتي قد كلّت»، فبعث رسول الله ﷺ فردّهم، قال الصُّدائي: «فكتب إليهم فقدم وَفْدُهم بإسلامهم»، فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا صُداء إنّك لمُطاع قولمك»، فقلت: «بل الله سبحانه هداهم للإسلام برسول الله»، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أُؤَمِّرُك عليهم؟» فقلت: «بلى يا رسول الله»، فكتب لي يُؤَمِّرُني عليهم، فقلت:

= وسند الحديث عند أحمد ضعيف فيه راوٍ لم يسم، غير أن له متابعاً صحيحاً عند الطبراني وابن عبدالحكم فيرتقي الحديث إلى درجة الصحيح لغيره، فقد رواه ابن عبدالحكم عن نافع بن يزيد، ثقة. (التقريب ٢/٢٩٦) عن ربيعة بن سليم قيل هو أبو مرزوق التجيبي، ثقة. (التهذيب ٣/٢٥٥، ١٢/٢٢٨، الكاشف ١/٢٣٧) عن حنش (ثقة، التقريب ١/٢٠٥)، وللطبراني نفس السند غير أن النسخة المطبوعة فيها رافع بن يزيد بدل نافع، وهو خطأ.

(١) سيأتي تفصيل ذلك في ترجمته رقم ١٦ في الصحابة.

(٢) زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمي، وينسب إلى جده فيقال: زياد بن نعيم، غزا إفريقية وسكن مصر، ثقة (ت ٩٥)، التقريب ١/٢٦٧، التهذيب ١/٣٦٥.

(٣) الرياض ١/٨٧.

«يا رسول الله، مُر لي بشيء من صدقاتهم»، قال: «نعم»، فكتب لي كتاباً آخر بذلك، وكان ذلك في بعض أسفاره، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ويتظلّمون منه، فقال: «أوَ قد فعل؟» قالوا: «نعم»، فالتفت إلى أصحابه، فقال لهم ـ وأنا فيهم أسمع ـ: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن» قال الصُّدائي: «فدخل ذلك في نفسي»، ثم أتاه آخر، فقال: «يا رسول الله أعطني»، فقال ﷺ: «من سأل النّاس عن ظهر غِنىً فصُداع في الرّأس وداء في البطن»، فقال السّائل: «فأعطني من الصّدقة»، فقال ﷺ: «إنّ الله عز وجل لم يرض بحكم نبيّ ولا غيره في الصّدقات حتّى حكم هو فيها فجزّأها ثمانية أجزاء، فإن كنت أنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقّك»، قال الصُّدائيّ: «فدخل ذلك في نفسي أنّي سألته من الصّدقات وأنا غنيّ»، ثم إنّ رسول الله آعْتَشَى من أوّل اللّيل فلزِمته، وكنت قويّاً، وكان أصحابه ينقطعون عنه، ويستأخرون، حتّى لم يبق معه أحد غيري. فلما كان أوان أذان الصّبح أمرني فأذّنت فجعلت أقول: «أقيم يا رسول الله؟ فنظر إلى ناحية المشرق إلى الفجر فقال: «لا»، حتّى إذا طلع الفجر نزل رسول الله ﷺ فتبرّز، ثم انصرف إليّ وقد تلاحق به أصحابه، قال: «هل من ماء يا أخا صُداء؟»، فقلت: «لا، إلاّ شيء قليل لا يكفيك»، قال: اجعله في إناء ثمّ آئتني به» فقلت: «نعم»، فوضع كفّه في الإناء، فرأيت بين كلّ أُصْبُعَين من أصابعه عيناً تفور، فقال: لولا أنّي أستحي من ربّي ـ يا أخا صُداء ـ لسَقَينا وأَسْقينا نادِ في أصحابي: من له حاجة بالماء؟، فناديت فيهم فأخذ من أراد منهم، ثم قام نبيّ الله ﷺ إلى الصلاة فأراد بلال أن يقيم، فقال له نبيّ الله: «إنّ أخا صُداء هو أذّن ومن أذن فهو يُقِيم» قال الصُّدائي: «فأقمت، فلمّا قضى رسول الله ﷺ الصّلاة أتيته بالكتابين، فقلت: «يا نبيّ الله أعفِني من هذين، فقال نبيّ الله: «وما بدا لك؟» فقلت: «يا رسول الله، سمعتك تقول: لا خير في الإمارة لرجل مؤمن، وأنا مؤمن بالله ورسوله، وسمعتك تقول للسائل: «من سأل النّاس عن ظهر غنى فهو صُداع في الرّأس وداء في البطن»، وقد سألتك وأنا غنيّ، فقال رسول الله ﷺ: «هو ذاك، فإن شئت فاقبَل،

وإن شئتَ فدع»، فقلت له: «بل أدع» فقال دُلَّني على رجل أُؤمّره»، فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمّره. قال فقلنا: «يا نبيّ الله، إنّ لنا بئراً إذا كان الشّتاء وسعَنا ماؤها، واجتمعنا عليها، وإذا كان الصّيف قلّ ماؤها، وتفرّقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكلّ من حولنا عدوّ لنا، فادع الله لنا في بئرنا أن يسعنا ماؤُها فنجتمعَ عليها ولا نفترق»، فدعا بسبع حَصَيات ففركهنّ في يده، ودعا فيهنّ، ثمّ قال: «اذهبوا بهذه الحَصَيات، فإذا أتيتم بالبئر فألقوها في البئر واحدة واحدة، واذكروا اسم الله عزّ وجلّ»، قال الصُّدائي: «ففعلنا، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعر البئر»، يعني من كثرة الماء[1].

---

(١) أخرجه هكذا مطولاً بنحوه الطبراني في الكبير ٣٠٢/٥، وأبو نُعيم في معرفة الصحابة خط ٢٦٣/١، وابن عبدالحكم في فتوح مصر ٣١٢، والمزّيّ في تهذيب الكمال ٤٣٨/١، والبَسَوي في المعرفة والتاريخ ٤٩٥/٢، وذكره المالكي وعزاه إلى مسند محمد بن سنجر، الرياض ٨٧/١، وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٣٨/١، والتهذيب ٣٥٩/٣، أن الإمام أحمد أخرجه بطوله، ولكنه لا يوجد في النسخة المطبوعة من المسند مطوّلاً، وسيأتي العزو إليه عند تخريج الحديث مختصراً.

وتلتقي أسانيد الحديث مطوّلاً في المصادر عند عبدالله بن يزيد المقرىء، عن عبدالرحمن الإفريقي عن زياد بن نعيم، عن زياد الصُّدائي، وهو السند الذي أخرجه به ابن عبدالحكم في فتوحه.

والحديث بهذا الإسناد حسن؛ فإن رجاله ثقات. (انظر: توثيق المقرىء في التقريب ٤٦٢/١، وتوثيق زياد بن نعيم في التقريب ٢٦٧/١)، إلا عبدالرحمن بن زياد الإفريقي فقد اختلفوا فيه، وحديثه حسن على التفصيل الذي ذكرته في ترجمته رقم ١٦ في المحدثين.

وقد حكم الشيخ أحمد شاكر بصحّة هذا الحديث ورجّح أن الإفريقي ثقة صحيح الحديث، بناء على توثيق أهل مصر وإفريقية له، وأما سائر رجاله فثقات (انظر: حاشية سنن الترمذي ٧٦/١، ٣٨٤ - ٣٨٦)، قلت: حديث الإفريقي لا يرتقي إلى درجة الصحيح، ولا يُسلّم للشيخ شاكر توثيقه المطلق له، (انظر: تفصيل مناقشة حالة الإفريقي من حيث الجرح والتعديل في ترجمته رقم ١٦ في المحدثين).

وقد تابع الإفريقي على هذا الحديث بَكر بن سوادة (انظر: الإصابة ٥٣٩/١، التهذيب =

٤ ـ **سُفْيَان بن وَهْب الخَوْلَانِيّ**: سيأتي الحديث في ترجمته عن طول مكوثـه في القَيْرَوان، وأثر ذلك في نشره للسّنّة، وتلاميذه القرويّين، أمّا الحديث الذي اشتهر بروايته في القَيْرَوان، فهو حديث غِياث بن أبي شَبِيب الحُبْرَانِيّ: «كان سفيان بن وهب، صاحب رسول الله ﷺ، يمرّ بنا ونحن غِلمـة بالقيـروان، فيسلّم علينا، ونحن في الكُتَّاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلقه»(١).

وهذه سنّة عمليّة أظهرها هذا الصّحابي لأهل القيروان، فقد لاحظ صِبية الكتاب ـ على صغرهم ـ طريقة سفيان في لُبس العمامة، فكان لهم بذلك أسوة حسنة.

٥ ـ **عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح**: ذكر ابن عبدالحكم بسنده إلى عبدالله بن رَبيعة قال: «صلّى عبدالله بن سعد للنّاس بإفريقيَّة المغرب، فلمّا صلّى ركعتين سمعوا جَلَبة في المسجد، فأرعبهم ذلك وظنّوا أنهم العدوّ، فقطع الصّلاة، فلمّا

= ٣٦٠/٣)، وهو ثقة. (التقريب ١٠٦/١) فيرتقي الحديث بذلك إلى درجة الصحيح لغيره. أما روايته مختصراً فقد أخرج ما يتعلق بالإقامة: ابن ماجة في كتاب الصلاة، باب السّنّة في الأذان ٧٢٣/٢٤٤/١، والترمذي بنحوه في كتاب الصلاة، باب من أذن فهو يقيم ١٩٩/٣٨٣/١، وأبو داود بنحوه في كتاب الصلاة، باب في الرجل يؤذن ويقيم آخر ٥١٤/٣٥٢/١، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه من طريقين عن الإفريقي ١٦٩/٤، والخطيب بنحوه في السابق واللاحق ١٢٠، والطبراني في الكبير بنحوه ٣٠٤/٥، من طريقين عن الإفريقي، والبيهقي في موضعين، مع زيادة في الموضع الأول ٣٨١/١، ٣٩٩.

أما ما يتعلق بالزكاة فقد أخرجه أبو داود بلفظه في كتاب الزكاة، باب من يعطي من الصدقة ١٦٣٠/٣٨١/٢.

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٨٧/٤، وذكر المالكي (الرياض ٩١/١) أن الدارقطني أخرجه مسنداً، ولم أعثر عليه في سننه، وأما بقية المصادر فلم تذكره مسنداً، وأكثرها يحيل على التاريخ الكبير، وقد تقدم ذكرها والحكم على الحديث بأنه حسن بسند البخاري في التاريخ الكبير. وذلك في مبحث الكتاتيب.

لم ير شيئاً خطب النّاس وقال: «إنّ هذه الصّلاة اختُصرت»، وأمر مؤذّنه فأقام الصّلاة، ثم أعادها»[1]، ولم يذكر في أي غزوتيه كانت هذه الحادثة؟ أكانت سنة ٢٧ أم سنة ٣٣ هـ؟.

٦ ـ **عبدالله بن عمر بن الخطّاب**: حدّث ابن عمر بإفريقيَّة، وذلك في غزوته الثانية سنة ٤٥ هـ.

فقد روى عنه ميسرة الزَّرُّودِيّ، وهو من أهل إفريقيَّة[2]، كما سأله يزيد بن قَاسِط وهو من أهلها أيضاً[3]، وتجمّع عنده بعض أهلها، فلما أرادوا أن يفارقوه قالوا: زوّدنا منك حديثاً ننتفع به، فقال: «اعملوا لمعاشكم كأنّكم تعيشون أبداً، واعملوا لآخرتكم كأنّكم تموتون غداً»[4].

---

(١) فتوح مصر ٢٦٢، ٢٦٣، وانظر: الرياض ١/٦٧، والحديث ضعيف في سنده ابن لهيعة، وهو ضعيف في حفظه، والعمل على ترك الاحتجاج به إذا انفرد (نقد ابن حزم للرواة ٩٤٧/٣)، وهذا مما انفرد به فيما وقفت عليه.
وهذه الحالة مما تقطع له الصلاة ثم تعاد، ولها صور أخرى وأحكام مختلفة بيّنها الفقهاء، انظر: المجموع شرح المهذب ٤/٤٣٠ ـ ٤٣٣.

(٢) ط أبي العرب مح ٩٣. (٣) ط أبي العرب ٢٣.

(٤) انظر: الرياض ١/١٣٧، وقد ذكر أنه مروي عن بشر بن ميسرة الزرودي عن أبيه ميسرة عن عبدالله بن عمر، قلت: بشر وميسرة مجهولان.
وحديث ابن عمر هذا ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢٠ وقال: «لا أصل له مرفوعاً وإن اشتهر على الألسنة في الأزمنة المتأخرة... وقد وجدتُ له أصلًا موقوفاً، رواه ابن قتيبة في غريب الحديث... عن عبدالله بن عمر... إلا أنه قال: أحرث لدنياك. و(فيه) عبيدالله بن العَيْزار لم أجد من ترجمه».
قلت: لم أجده في الجزء المطبوع من غريب الحديث لابن قتيبة.
قلت: ويروى هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص فقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير بمعناه، وعزاه إلى البيهقي في السنن عن عبدالله بن عمرو، وضعفه، وأخرجه البيهقي في كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة بمعناه، وفي أوله زيادة (السنن الكبرى ١٩/٣) من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً. وأخرجه عبدالله بن =

وذكر المالكيّ أنّ أبا سعيد المَقْبُرِيّ استسلف بإفريقيّة ديناراً جَرْجِيرِيّاً[1] من رجل على أن يعطيه منقوشاً بمصر، فسأل ابن عمر عن ذلك فقال: «لولا الشّرط الذي فيه لم يكن به بأس»، وعزاه المالكيّ إلى موطّأ ابن وهب، ومدوّنة سَحنون[2]، وهكذا يكون أهل إفريقيَّة قد تعلّموا من هذا الصّحابي مواعظ وأحكاماً تفيدهم في دينهم.

كما أنّ في سؤال أهل إفريقيّة له، واجتماعهم إليه، وطلبهم أن يزوّدهم بحديث، دليل على أنّهم كانوا حريصين على الاستفادة من وجود الصّحابة بينهم، وأنّهم على وعي بدَوْرِ الصّحابة في الرّواية والتّعليم لأمور الدّين.

= المبارك في كتاب الزهد موقوفاً على عبدالله بن عمرو بنحو حديث البيهقي (الزهد ٤٦٩، ٤٧٠)، وأعلّه الألباني بالانقطاع (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢١)، وقد ألّف الشيخ أحمد الغماري رسالة في الكلام على هذا الحديث سمّاها: «سبل الهدى في إبطال حديث أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً»، ومما قاله فيها: «لم يرد هذا الكلام عن النبي ﷺ أصلاً، لا بسند صحيح ولا بسند باطل، وإنما ورد عن عبدالله بن عمرو موقوفاً عليه بسند ضعيف» ص ٣، وعزاه إلى ابن قتيبة في عيون الأخبار موقوفاً (ولم أعثر عليه فيه)، وحكم على سند ابن قُتيبة بأنه منقطع وفيه مجهول (ص ٤)، كما عزاه إلى الدّيلمي في مسند الفردوس مرفوعاً من طريق عبدالله بن عمرو بمعناه. وقد انتقد الغماري على السيوطي أمرين:

- عزوهُ الحديث إلى البيهقي مختصراً وهو عنده مطوّل.
- تركه الرواية المطولة التي هي أصل الحديث، وإيراده الرواية المختصرة التي لا يتضح معناها بدون بقيّة الحديث ص ٧، كما أعلّه الغماري أيضاً بالتّناقض، لما فيه من الأمر بالانقطاع الكليّ لأمرين متضادّين، وبمناقضته لحال الرسول ﷺ وسنّته وأصول شريعته ص ١٠، ١١.

(١) نسبة إلى جَرْجِير ملك إفريقيَّة قبل دخول الإسلام إليها، وقد سبق ذكره في التمهيد، وقد كان يضرب الدنانير والدراهم باسمه.

(٢) انظر: المدونة ٣/١٩٥، وقد أورد الخبر من طريق ابن وهب، إلا أن فيه عن أبي شعيب مولى الأنصار بدل «أبي سعيد»، ولعل الاسم تحرّف عند الطبع، والتشابه بين الاثنين واضح، وقد وردت له تتمة في المدونة: قال ابن عمر: «إنما القرض متّحد».

٧ ـ **فَضالة بن عُبيد الأنصاريّ**: حدّث في إفريقيَّة بحديثين رواهما عنه حَنَش الصّنعانيّ، الذي كان معه في فتح جَرْبَة سنة ٤٧ هـ، وسمعهما منه أهل القَيْرَوان؛ أوّلهما: عن حَنَش أنّه قال: «كنّا مع فَضَالة بن عُبَيد في غزوة، فطارت لي ولأصحابي قِلادة، فيها ذهب وَوَرِق، فأردت أن أشتريها فسألت فَضالة بن عُبيد فقال: «انزع ذهبها فاجعله في كفّه، واجعل ذهبك في كفّة، ثم لا تأخذنّ إلا مثلاً بمثل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذنّ إلا مِثْلاً بمثل»[1].

والثاني: عن حَنَش عن فَضالة قال: «اشتريت يوم خَيْبَر قلادة باثني عشر ديناراً، فيها ذهب وخرز، ففصلتها، فوجدت فيها أكثر من اثني عشر ديناراً، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا تباع حتّى تفصل»[2].

٨ ـ **المُنَيْذر الأسلمي الإفريقيّ**[3]: سكن إفريقيّة، واختص أهلها بحديثه: عن أبي عبدالرحمٰن الحُبُلي عن المُنَيذر صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمّد نبيّاً فأنا الزّعيم فلآخذنّ بيده فلأُدخلنّه الجنّة»[4]، وبعضهم يزيد بعد اسم الصّحابي: وكان بإفريقيَّة، وبعضهم يقول: «من قال إذا أصبح . . .».

---

(١) صحيح مسلم (مع شرح النووي)، كتاب المساقاة، باب الربا ١١/١٩.

(٢) صحيح مسلم (مع شرح النووي)، كتاب المساقاة، باب الربا ١١/١٨، سنن أبي داود (مع معالم السنن) كتاب البيوع باب في حلية السيف ٣/٦٤٩/٣٣٥٢، سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب في شراء القلادة ٣/٥٥٦/١٢٥٥.

(٣) سيأتي ذكر الخلاف في اسمه في ترجمته رقم ٤٤ في الصحابة.

(٤) أخرجه في المناهل السلسة ٣٠٠، وابن عبدالبر في الاستيعاب ٣/٥٠٠، وأبو نُعيم في معرفة الصحابة خط ٢/١٨٨، وذكره صاحب أسد الغابة وعزاه إلى ابن منده، وأبي نُعيم ٤/٤٢٢، وهو مذكور في أغلب مصادر هذا الصحابي، إلا أني لم أجد من أسنده غير من تقدم، ولم أعثر عليه في كتب السّنّة، وقد رُويت عدة أحاديث في هذا المعنى =

٩ ـ **أبو زَمْعة البَلَوي**: وبه سُمْيت البلويّة، إحدى مقابر القَيْرَوان فيما بعد، وروى عنه أهل إفريقيّة أنّه حين حضرته الوفاة بها «أمرهم أن يسوّوا قبره بالأرض»(١)، وهذه سنّة تعلّمها أهل إفريقيَّة من هذا الصّحابي، وقد رُوي في تسوية القبر عدّة أحاديث(٢).

١٠ ـ **أبو اليَقْظَان**: دخل إفريقيَّة مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ، ومنها غزا صِقِلِّيَّة، وحدّث فيها بهذا الحديث: عن أبي عُشّانة المَعَافِريّ قال: سمعت أبا اليَقْظَان صاحب رسول الله ﷺ بِصِقِلِّيَّة يقول: «أبشروا، والله لأنتم أشدّ حبّاً لرسول الله ﷺ ـ ولم تروه ـ من عامّة من رآه»(٣).

= كلّها من غير طريق المنيذر، وأقربها إلى حديثه ما رواه الإمام أحمد في مواضع من طريق خادم رسول الله ﷺ، انظر: المسند ٤/٣٣٧، ٥/٣٦٧.

والحديث الذي معنا فيه رِشدين بن سعد، وهو ضعيف في حفظه، صالح في دينه (التقريب ١/٢٥١، التهذيب ٤/٢٢٧)، غير أنّ شاهده المذكور صحيح؛ فقد رواه أحمد عن وكيع (هو ابن الجراح، ثقة. التقريب ٢/٣٣١) عن مسعر (هو ابن كدام، ثقة. التهذيب ١٠/١٣) عن أبي عقيل (هو هاشم بن بلال، ثقة. التهذيب ١١/١٧) عن سابق (هو ابن ناجية، ثقة. الكاشف ١/٢٧١، التهذيب ٣/٤٣١) عن أبي سلّام (هو ممطور الأسود الحبشي، ثقة. التقريب ٢/٢٧٣، ٤٣٣)، ويلاحظ أن السند في النسخة المطبوعة من المسند فيه تقديم وتأخير، أصلحته بالرجوع إلى مصادر تراجم الرواة.

(١) ذكرتْ معظم المصادر هذا الأثر غير أني لم أعثر عليه مسنداً إلا عند أبي العرب ١٧، وابن سعد ٤/٤٩٩، وهو منقطع عند كليهما، حيث سقط من السند من حضر الواقعة.

(٢) منها حديث علي رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مُشرِفاً إلا سويته». أخرجه الإمام مسلم ٢/٦٦٦/٩٣، وأبو داود ٣/٤٥٨/٣٢١٨، والترمذي ٣/٣٦٦/١٠٤٩، والنسائي ٤/٨٨ جميعهم في كتاب الجنائز بابُ تسوية القبر. وهو حديث صحيح؛ فقد أخرجه مسلم كما تقدم، وقال الترمذي: «حديث علي حديث حسن (لذاته) والعمل على هذا عند بعض أهل العلم». سنن الترمذي ٣/٣٦٧.

(٣) عزاه صاحب المعالم ١/١٥٧ إلى أبي سعيد بن يونس، وعزاه صاحب الجرح ٩/٤٦٠ إلى أبي زرعة في مسند المصريين، وذكره في الاستيعاب بسند ابن وهب ٤/٢١٦، وكذا =

وهكذا نلمس إسهام هؤلاء العشرة وغيرهم من الصّحابة في نشر السّنّة بإفريقيَّة، ورغم محدوديّة هذه الإسهام ـ حسب المادّة المتوافرة ـ فإنّها موجودة، وتدلّ على أنّ أهل إفريقيَّة أخذوا العلم من طريقة العلميّ، ومصدره الأساسي، ونبعه الصّافي، حسبما أتيح لهم.

جـ ـ تراجمهم، وتحقيقات تتعلّق ببعضهم:

لقد اقتصرتُ في تراجم هؤلاء الصّحابة على ذكر الجانب الحديثيّ، وماله صلة منه بالقَيْرَوان وإفريقيَّـة؛ إذ إنّ هذا هـو المقصود من إيرادهـم، أمّا بقيّـة أخبارهم فهي مبسوطة في المصادر التي اعتمدتها، وقد أثبتّ أسماءها، فمن أراد بقيّة التّفاصيل فليرجع إليها، وقد رتّبتهم على حروف المعجم، وجعلت كنى كلّ حرف في آخره إن وُجدت، كما أني اقتصرت على الإحالات الإجماليّة لِقِصَر هذه التّراجم، وقد قسمتهم إلى قسمين: كبار الصّحابة، ثمّ صغار الصّحابة ومن في حكمهم:

أ ـ كبار الصّحابة أو الصّحابة الرّواة:

١ ـ أَبْيَض[١]: ذكره ابن يونس[٢] فيمن دخل إفريقيّة من الصّحابة، وعدّه

= في الاستغناء ٣٥٥/١، وأخرجه الدولابي في الكنى ٦٢/١، وابن عبدالحكم في فتوح مصر ٢٦٧، إلا أنه سمّاه عمار بن ياسر وستأتي مناقشة ذلك عند التعريف به.

والحديث صحيح بسند الدولابي في الكنى، وهو يلتقي مع غيره في ابن وهب، وقد رواه عن يونس بن عبدالأعلى، (ثقة. التقريب ٣٨٥/٢)، عن عبدالله بن وهب المصري، (ثقة. التقريب ٤٦٠/١)، عن عمرو بن الحارث المصري، (ثقة. التقريب ٦٧/٢)، عن أبي عُشّانة (هو حي بن يؤمن المصري، تابعي، (ثقة. التقريب ٢٠٨/١).

(١) انظر: الرياض ٩٥/١، الإصابة ٣٠/١، المعالم ١٥٣/١، أسد الغابة ٤٦/١، الاستيعاب ١١٦/١، معرفة الصحابة خط ٨١/١، التاريخ الكبير ٦٠/٢.

(٢) هو الحافظ أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري (٢٨١ ـ ٣٤٧) صاحب تاريخ مصر، انظر: حسن المحاضرة ٣٥١/١، والناس عيال على كتابه فيما يخص قدماء رجال مصر وإفريقيّة.

فيها من أهل مصر، وتابعه المصنّفون في ذلك، إلّا أنّ بعضهم كالدّبّاغ خلط بينه وبين أبيض بن حمّال السّبائيّ، وهو وَهْم، وقد فرّق بينهما حُذّاق علماء الرّجال، مثال: الإمام البُخاري وغيره؛ فإنّ أبيض بن حمّال لم ينزل إلى مصر، وإنما رجع إلى اليمن بعد أن بايع النّبيّ ﷺ.

وحديث أَبْيَض يرويه أهل القيروان من طريق بَكْر بن سَوادة (ت بالقيروان سنة ١٢٨) عن سهل بن سعد وغيره عن أبيض.

٢ ـ بُسْر (ويقال يُسْر) بن أبي أَرْطَاة (ويقال ابن أرطأة) القُرَشي العامري، أبو عبدالرحمٰن[1] (ت ٨٦ هـ):

اختلفوا في صحبته، فأنكرها الواقديّ وابن مَعين وأحمد والذّهبي، وأثبتها الإمام مسلم والدّارقطني والخطيب البغدادي وعبدالغني بن سعيد وابن ماكولا وابن يونس وغيرهم، والصّواب أن له صحبة ورواية عن النّبي ﷺ، إلّا أنّها يسيرة، بلغت أربعة أحاديث، حسب ما ذكره بقيّ بن مَخْلَد وابن حَزْم، وقد وقع التّصريح في بعضها بالسّماع من النّبيّ ﷺ، وحكم ابن حَجَر في الإصابة بقوّة سند أحدها، ولم أجد في المصادر تحديداً لزمن دخوله إلى إفريقيّة، كما أنّي لم أجد لأهل القيروان حديثاً عنه، غير أنّه ورد أنّ محمد بن سنجر قد أدخله في مسنده، وقد كان هذا المسند شائعاً في القيروان، أدخله إليها المحدّث عيسى بن مِسْكين

---

(١) انظر: «أبو العرب» مح ٧٦، الرياض ١/٨٥، المعالم ١/١٥٧، المعالم ١/١٥٧، معرفة الصحابة خط ١/١٠٠، مشاهير علماء الأمصار ٥٣، الإصابة ١/١٥٢، الاستيعاب ١/١٦١، أسد الغابة ١/١٧٩، ط ابن سعد ٧/٤٠٩، ط خليفة ٣٠٠، تاريخ الإسلام ١/١٤٠، حسن المحاضرة ١/١٧٤، تهذيب الكمال ١/١٤١، التهذيب ١/٤٣٥، التقريب ١/٩٦، التجريد ١/٤٨، الكاشف ١/٩٩، الخلاصة ٤٧، الجرح والتعديل ٢/٤٢٢، أسماء الصحابة الرواة ٢٩٠، تاريخ دمشق ٢/١٠، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٣، معجم الطبراني الكبير ٢/١٨، فتوح مصر ٢٦٠، الإكمال ١/٢٦٨، المغني في ضبط أسماء الرجال ١٩، ٣٧، عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث ١٠٩.

الإفريقيّ (ت ٢٩٥)، كما تقدّم في ثمرات الرّحلة، وافتقاد هذا المسند يحول دون ذكر أمثلة تفصيليّة لحديث القرويّين عنه.

وقد أخرج له أبو داود، والتّرمذي، والنّسائي، وأحمد، والطّبراني في الكبير، وابن خُزَيْمَة، وابن سنجر في مسنده، والحاكم في مستدركه.

٣ - بِلال بن الحارث المُزَني، أبو عبدالرحمٰن[1] (ت ٦٠ هـ): دخل إفريقيَّة سنة ٢٧ هـ في غزوة العبادلة[2]، وكان يحمل لواء قومه مُزَينة، وعدّتهم أربعمائة، وقيل ثمانمائة، له صحبة، ووفادة سنة ٥ هـ، ورواية، أحاديثه ثمانية، روى له الأربعة، وأحمد، ومالك، وابن سنجر في مسنده، وابن وهب في جامعه.

٤ - جَبَلة بن عمرو الأنصاريّ[3]: أضافت إليه المصادر القيروانيّة وبعض المصادر الأخرى نسبة السّاعدي، وهو وَهْم؛ لاختلاف النّسبتين، وقد فرّق بينهما صاحب الإصابة وغيره، وقيل هو أخو أبي مسعود البَدْرِيّ.

---

(١) انظر: الرياض ٧٥/١، المعالم ١٣١/١، أبو العرب مح ٧٤، مشاهير ٣٤، ط خليفة ١٧٧، الإصابة ١٦٨/١، الاستيعاب ١٥٠/١، تهذيب الأسماء ١٣٥/١، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، أُسْد الغابة ٢٠٥/١، حسن المحاضرة ١٧٦/١، معرفة الصحابة خط ٩٢/١، التهذيب ٥٠١/١، الخلاصة ٥٣، الجرح والتعديل ٣٩٥/٢، الكاشف ١١١/١، تاريخ الإسلام ٢٧٣/٢، التجريد ٥٦/١، تهذيب الكمال ١٦٤/١، الاستقصاء ٨٥/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠١/٣، الحلّة السيراء ٣٢٤/٢، معجم الطبراني الكبير ٣٠٣/١، الشجرة ٩٩/٢، فتوح مصر ٣١٩، الخلاصة النقية ٩.

(٢) تقدم ذكرها في مبحث فتح إفريقية في التمهيد.

(٣) انظر: الرياض ٩١/١، المعالم ١٣٦/١، الشجرة ٩٩/٢، الاستقصاء ٨٥/١، حسن المحاضرة ١٨٥/١، فتوح مصر وأخبارها ٣١٧، معرفة الصحابة خط ١٣٢/١، أسد الغابة ٢٦٩/١، الإصابة ٢٥٥/١، الاستيعاب ٢٤١/١، التجريد ٧٧/١، تاريخ الطبري ١١٤/٥.

دخل جَبَلَة إفريقيّة مع معاوية بن حُديج، في آخر غزواته سنة ٤٥ هـ (وقيل سنة ٥٠ وهو خطأ)، وبقي بها مدّة؛ لأنّ هذه الغزوة قد دامت قرابة أربع سنوات حتّى إنّه خلّف بإفريقيّة وبقي ولده بها. وحديثه عند أهل القَيْرَوان من طريق سليمان بن يسار، وقد تقدّم ذكره في مبحث أثر الصّحابة في نشر السُّنّة بالقيروان.

٥ ـ **جَرْهد بن خُويلد الأَسْلَمِيّ**[١] (ت ٦١): وقيل جَرْهَد بن رِزاح نسبة إلى جد قديم له، وقد أغرب ابن أبي حاتم بالتّفريق بينهما ووهّمه ابن عبدالبر.

دخل إفريقيّة مع ابن أبي سَرْح، له ثمانية أحاديث، أخرج له البُخاري تعليقاً، وأبو داود، والترمذي، والإمام أحمد، وأدخله محمد بن سنجر وبقيّ بن مَخْلَد في مسنديهما.

٦ ـ **الحارث بن حَبِيب بن خُزَيْمَة القُرشي العامريّ**[٢]: نقل ابن حَجَر وغيره عن خليفة بن خيّاط أنّه ذكره فيمن نزل مصر من الصّحابة، ومنها غزا إفريقيَّة، واستشهد بها في بعض غزوات معاوية بن حُدَيج، ولم أعثر عليه في طبقات خليفة ولا في تاريخه. فلعلّ ابن حَجَر، وهو أوّل ناقل للخبر، قد وقع على نسخة من طبقات خليفة أتمّ من النسخة المتداولة الآن.

---

(١) انظر: الرياض ١/٣٨، المعالم ١/١٠٤، ط خليفة ١١١، مشاهير ٤٢، الإصابة ١/٢٣٣، الاستيعاب ١/٢٥٧، أسد الغابة ١/٢٧٧، الاستقصاء ١/٨٥، معرفة الصحابة خط ١/٨٥، حسن المحاضرة ١/١٨٦، الحلية ١/٣٥٣، التهذيب ٢/٦٩، ط ابن سعد ٤/٢٩٨، التجريد ١/٨٢، الكاشف ١/١٢٦، الشجرة ٢/٩٩، تهذيب الكمال ١/١٨٧، الجرح والتعديل ٢/٥٣٩، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، معجم الطبراني ٢/٣٠٣، التعديل والتجريح للباجي ١/٤٦٩.

(٢) انظر: الاستقصاء ١/٨٥، الإصابة ١/٢٧٦، حسن المحاضرة ١/١٨٩، الخلاصة النقيّة ٨.

٧ ــ **الحارث بن الحكم السِّلَمِيّ**[1]: اشتهر اسمه هكذا مقلوباً، وصوابه الحكم بن الحارث، كما نبّه على ذلك ابن الأثير وابن حجر وغيرهما.

دخل إفريقيَّة في غزوة العبادة، وقد أمّره عثمان رضي الله عنه على الجيش حتّى يصلوا إلى عبدالله بن سعد في مصر، له حديث واحد في مسند بقيّ بن مَخْلَد، وأخرج له الإمام أحمد في مسنده.

٨ ــ **الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد**[2]: دخل إفريقيَّة في سنة ٢٧ هـ مع عبدالله بن سعد، وقد صحب النّبيّ ﷺ، وحفظ عنه ثلاثة عشر حديثاً، روى له البُخاري تعليقاً وأصحاب السّنن الأربعة وأحمد في مسنده. . .

اختلفوا في تاريخ مولده ووفاته اختلافاً كثيراً، والأكثر على أنه ولد سنة ٣ هـ وتوفّي في حدود سنة ٥٠ هـ.

٩ ــ **الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبدالله**[3] (٤ - ٦١ هـ): دخلها في غزوة العبادلة، له صحبة ورواية، عِدّة أحاديثه ثمانية، أخرج له أصحاب الكتب السّتّة، والإمام أحمد وغيرهم. استشهد في كَرْبَلَاء بالعراق سنة ٦١ هـ.

---

(١) انظر: طبقات أبي العرب مح ٨٠ (ذكره في التابعين)، البيان المغرب ١/٩، التجريد ١/١٣٤، الإصابة ١/٣٨٥، ١/٣٤٢، أسد الغابة ١/٣٢٥، ٢/٣١.

(٢) الشجرة ٢/٨٩، ٩٧، الاستقصاء ١/٨٥، أعلام ابن عاشور ٢، الإصابة ١/٣٢٧، الاستيعاب ١/٣٦٨، أسد الغابة ٢/٩، التجريد ١/١٣٠، الكاشف ١/١٦٤، تهذب الكمال ١/٢٦٨، التهذيب ٢/٢٩٥، عدد ما لكل واحد من الصحابة ٩٤، التقريب ١/١٦٨.

(٣) الشجرة ٨٩، ٩٧، الاستقصاء ١/٨٩، أعلام ابن عاشور ٢، الاستيعاب ١/٣٧٧، الإصابة ١/٣٣١، أسد الغابة ٢/١٨، التجريد ١/١٣١، الكاشف ١/١٧١، التقريب ١/١٧٧، التهذيب ١/٣٤٥، تهذيب الكمال ١/٢٨٦، عدد ما لكل واحد ٩٨.

١٠ ــ **حمزة بن عمرو الأَسْلَمِيّ، أبو صالح، وقيل أبو محمد**[١] (ت ٦١): شهد فتح إفريقيّة، وله بها آثار محمودة، له عن النّبيّ ﷺ تسعة أحاديث، أخرج له البُخاري تعليقاً، ومسلم، وأبو داود، والنَّسائي وغيرهم، من تلاميذه: سليمان بن يسار، وقد دخل القيروان بعد ذلك واستقرّ بها فترة فلعلّه حديث بها عنه.

١١ ــ **خالد بن ثابت الفَهْمِيّ**[٢]: دخل إفريقية مرّتين: الأولى مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ والثّانية أميراً عليها من قِبل مَسلَمَة بن مُخَلَّد سنة ٥٤ هـ، وقد ذكره أبو العرب في التّابعين، وذكرته بقيّة المصادر في الصّحابة، وقال ابن حجر: «ذكرته في هذا القسم اعتماداً على ما مضى أنّهم ما كانوا يؤمّرون في الفتوح إلّا الصّحابة». وهو يشير بهذا إلى ما ذكره في مقدمة الإصابة من أنّ هذا ممّا تُعرف به الصّحبة[٣]، وكان خالد قد ولي الإمارة على عهد عمر وغيره، ولم أعثر على من نسب له رواية عن النّبيّ ﷺ.

١٢ ــ **أبو ذَرّ الغِفَارِيّ**[٤] (ت ٣٢): اختُلف في اسمه اختلافاً كثيراً،

---

(١) انظر: طبقات أبي العرب ١٤، الرياض ١/٧٥، المعالم ١/١٢٥، ط خليفة ١١١، ط ابن سعد ٤/٣١٥، مشاهير ١٦، الإصابة ١/٣٧٥ وانظر ١/٣٩٦ رقم ٢١٠٧، الاستيعاب ١/٢٧٦، أسد الغابة ٢/٥٠، تهذيب الكماب ١/٣٣٣، تاريخ الذهبي ٣/١٤، حسن المحاضرة ١/١٩١، تهذيب الأسماء ١/١٦٩، التهذيب ٣/٣١، الخلاصة ٩٣، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، معرفة الصحابة خط ١/١٤٩، الاستقصاء ١/٨٥، تهذيب تاريخ دمشق ٤/٥٠، فتوح مصر ٣١٩، الشجرة ٢/٩٩.

(٢) طبقات أبي العرب ١٩، حسن المحاضرة ١/١٩٤، الخلاصة النقية ٨، الرياض ١/٢٨، ٣١، الإصابة ١/٤٠١، تاريخ خليفة ٢٢٣، التجريد ١/١٤٩.

(٣) انظر: الإصابة ١/١٦.

(٤) الرياض ١/١٧، المعالم ١/٨٥، الإصابة ٤/٦٣، الاستيعاب ١/٢١٤، ٤/٦٢، ط خليفة ٣١، ط ابن سعد ٤/٢١٩، أسد الغابة ١/٣٠١، ٥/١٨٦، تهذيب الأسماء ٢/٢٢٩، حسن المحاضرة ١/٢٤٥، مشاهير ١١، الحلية ١/١٥٦، التهذيب ١٢/٩٠، أسماء الصحابة

والمشهور أنه جُندُب بن جِنَادة، وهو من أقدم الصّحابة إسلاماً، دخل إفريقيّة سنة ٢٧ هـ مع ابن أبي سَرْح، روى عن النّبي ﷺ ٢٨١ حديثاً، أخرج له الجماعة وغيرهم.

١٣ ـ ربيعة بن عِبَاد الدُّؤَلِيْ[1] (ت ٩٥)[2]: وهـو المشهور، ويقال في اسم أبيه عُبَاد بالضم وعَبَّاد بالفتح والتّشديد، ويقال في نسبته الدُّوَلي والدِّئَلي والدِّيَلي. صحب النّبي ﷺ وروى عنه، شهد غزو إفريقيّة مع عبدالله بن سعد وله بها آثار، له خمسة أحاديث، أخرج له الطبراني في الكبير، وأحمد في المسند، وغيرهما.

١٤ ـ رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري[3]: أجمعت المصادر على دخوله إفريقيَّة، وقد تولّى إمّرة طرابُلُس وبَرْقَة، وهو فاتح جزيرة جَرْبَة، وذكر النّووي أنّه آخر

= الرواة ٢٧٧، أعلام المغرب العربي ٢/٥، التجريد ٢/١٦٤، معجم الطبراني ٢/١٥٥، الشجرة ٢/٨٣، فتوح مصر ٢٨٤، معرفة الصحابة ١/١٢٧، تهذيب الكمال ٣/١٦٠٣، سيرة ابن هشام ٤/١٣٧٦.

(١) انظر: طبقات أبي العربة ١٤، ١٧، الرياض ١/٧٩، الاستقصاء ١/٨٦، فتوح مصر ٣١٩، الشجرة ٢/١٠٠، أسد الغابة ٢/١٦٩، الإصابة ١/٤٩٦، الاستيعاب ١/٤٩٦، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٩، معرفة الصحابة ١/٢٤٢، التاريخ الكبير ٣/٣٨٠، المغني في ضبط أسماء الرجال ١٠٤، تعجيل المنفعة ١٢٨، الإكمال ٦/٦١، حسن المحاضرة ١/١٩٨، المعالم ١/١٤٦، مشاهير ٧٧، الجرح والتعديل ٣/٤٧٢، ط خليفة ٣٤، التجريد ١/١٨٠، معجم الطبراني ٥/٥٥.

(٢) نسبة إلى الدؤل حي من كنانة. اللباب ١/٥١٤.

(٣) انظر: الرياض ١/٨١، المعالم ١/١٢٢، ط خليفة ٢٩٢، مشاهير ٥٦، الإصابة ١/٥٠٧، أسد الغابة ٢/١٩١، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، تهذيب الأسماء ١/١٩٢، الكاشف ١/٢٤٤، الخلاصة ١٢٠، التجريد ١/١٨٧، البداية والنهاية ٨/٦١، رحلة التجاني ١٢٤، قادة فتح المغرب ٢/١٥٣، حسن المحاضرة ١/١٩٩، الاستقصاء ١/٨٦، معجم الطبراني ٥/١٣، فتوح مصر ٢٧٩، الشجرة ٢/٩٩، معرفة الصحابة خط ١/٢٣٥، التقريب ١/٢٥٤، التهذيب ٣/٢٩٩، تهذيب الكمال ١/٤٢٠.

الصّحابة موتاً بإفريقيّة؛ إذ توفّي سنة ٥٦ هـ، على الرّاجح[1]، وهو أمير ببَرْقَة، وكان فتحه لجزيرة جَرْبَة سنة ٤٧ هـ وقد دخل إفريقيّة مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ فأرسله إليها، وقيل بل قدم إليها من طرابُلُس عندما كان والياً عليها، له عن النّبيّ ﷺ ثمانية أحاديث، رواها أهل مصر وأهل إفريقيَّة، وحديثه عند أبي داود، والتّرمذي، والنّسائي، ومسند أحمد، ومسند بَقِيّ بن مَخْلَد، وسنن الدّارمي، ومسند محمد بن سنجر، وقد حدّث بإفريقيّة وحديثه عند أهل القيروان من طريقين:

ـ طريق أبي عبدالرحمٰن الحُبُليّ (ت بالقيروان سنة ١٠٠)، والظّاهر أنه سمع منه خارج إفريقيّة؛ إذ ليس لدينا ما يفيد دخول الحُبُليّ إليها في هذه الفترة المبكّرة.

ـ والطريق الثّاني طريق حَنَش بن عبدالله الصنعاني (ت ١٠٠ بالقيروان)، وقد سمع منه بإفريقيّة، وصاحبه في غزواته، ثم سكن بعد ذلك القَيْروان، وحدّث فيها بما سمعه من رُوَيفِع، وقد تقدّم سياق أحاديثه في مبحث أثر الصّحابة في نشر السّنّة بالقيروان.

ويعتبر رُوَيْفِع بن ثابت من أكثر الصّحابة رواية للحديث بإفريقيّة، حسب المادّة العلميّة الموجودة حاليّاً، وقد تقدّم قريباً ذكرُ أربعة أحاديث يرويها القرويّون عنه.

١٥ ـ **أبو رِمْثَة البَلَوِيّ**[2] وتعقُّبُ ابن عبدالبرّ في اعتباره أنّ أبا رِمْثَة وأبا

---

(١) لقد وهم المالكي حين نقل عن أبي العرب أن رُوَيفع بن ثابت دخل إفريقيّة في زمن موسى بن نصير، والذي في الطبقات أنه رفاعة بن رافع، انظر: الرياض ١/٨٢، أبو العرب ٢٣.

(٢) انظر: الاستغناء ١/١٧٥، ١٩٢، الاستقصاء ١/٨٩، حسن المحاضرة ١/٢٤٦، الاستيعاب ٤/٧٢، أسد الغابة ٥/١٩٣، المغني في ضبط أسماء الرجال ٢٧٤، التجريد ١/١٦٦، الإصابة ٤/٧١، التهذيب ١/٩٧، الكاشف ٣/٢٩٦، التقريب ٢/٤٢٣، =

زَمعة واحد: يقال فيه التَّيْمِيّ أو التَّمِيمِيّ وقيل هما اثنان، وقد فرّقت بينهما كثير من المصادر مثل الاستيعاب والتّجريد، وجعلهما المزّي واحداً وتابعه الخزرجيّ، أما ابن حَجَر فقد ذكر الخلاف في التّقريب والتّهذيب ولم يرجّح أحد القولين، كما أنّهم اختلفوا في اسمه اختلافاً كثيراً فقيل هو رِفاعة بن يَثْرِبي وقيل بالعكس وقيل غير ذلك.

وقد أغرب ابن عبدالبرّ حين قال في ترجمة أبي زمعة البَلَوِيّ في الاستغناء: «وقد قيل فيه أبو رِمْثَة البَلَوِي، وقد تقدم ذكرنا له». إذ لم أجد ذلك لغيره، ولم يذكر مستنده في هذا فلعلّه اشتبه عليه لتشابه قصّة وفاتيهما.

ولم يذكروا تاريخ دخول أبي رِمْثَة إلى إفريقيَّة وأجمعوا على صحبته ووفاته بها، له عن النّبيّ ﷺ ثمانية أحاديث، وأخرج له أبو داود، والتّرمذي، والنّسائي، وأحمد، وقد جاء في الخلاصة الرّمز لابن ماجه بدل النَّسائي، ولعلّه خطأ من النُّساخ، حيث ذكر المزّي صراحة أن حديثه عند النَّسائي.

١٦ ــ **زياد بن الحارث الصُّدائي**[١][٢]: له صحبة ورواية «ويُعَد في المصريّين وأهل المغرب»، كما قال ابن عبدالبر والدّبّاغ، دخل إفريقيَّة، وشهد فتوحاتها، ولم يذكروا زمن دخوله. له عن النّبي ﷺ أربعة أحاديث، ترجع ثلاثة منها إلى حديث واحد طويل في خبر إسلامه وقومه، وقد انفرد به أهل إفريقيَّة كما

= معرفة الصحابة خط ٢٦٣/٢، الكنى للدولابي ٢٩/١، الخلاصة ٤٥٠، عدد ما لكل واحد ٩٩، الجرح والتعديل ٤٩٢/٣، تهذيب الكمال ١٦٠٥/٣، ط خليفة ٤٥، ٢٩٢.

(١) انظر: طبقات أبي العرب مح ٧٥، الرياض ٨٦/١، المعالم ١٤٨/١، حسن المحاضرة ٢٠٠/١، تهذيب الأسماء ١٩٨/١، أسد الغابة ٢١٣/٢، الإصابة ٥٣٨/١، الاستيعاب ٥٤٧/١، التجريد ١٩٤/١، ط ابن سعد ٥٠٣/٧، التهذيب ٣٥٩/٣، ط خليفة ٧٥، ٣٠٦، مشاهير ٥٧، الخلاصة ١٢٤، الكاشف ٢٥٧/١، أسماء الصحابة الرواة ٢٩١، معجم الطبراني الكبير ٣٠٢/٥، معرفة الصحابة خط ٢٦٣/١، التقريب ٢٦٦/١.

(٢) نسبة إلى صُداء حي باليمن. تهذيب الأسماء ٢٩٨/١.

تقدّم في مبحث الإضافات الحديثيّة لأهل القيروان، وقد مرّ قريباً ذكر هذا الحديث وتخرجيه والحكم عليه.

أخرج له أبو داود، والتّرمذي، وابن ماجه في سننهم، والطبراني في الكبير، وأحمد، وبقيّ بن مَخْلَد، ومحمد بن سنجر في مسانيدهم، وأبو نُعَيم في معرفة الصّحابة، وابن عبدالحكم في فتوح مصر.

وقد نقل المالكي عن محمد بن فُرات العَبْدي القيرواني (ت ٢٩٢) أنه قال: «قدم زياد بن الحارث الصُّدائي إفريقيّة، وانفرد أهل إفريقيّة بحديثه (أي المتعلّق بإسلامه) وحديثه من إحدى الغرائب التي أغرب بها عبدالرحمٰن بن أنْعُم».

قلت: أمّا كون أهل إفريقيَّة انفردوا بحديث زياد بن الحارث في خبر إسلامه فهو مُسلَّم كما مرّ[1]، لأنّه لم يروه عنه غير زياد بن نُعَيم (ت ٩٥) عندما كان غازياً بإفريقيَّة. وقد ذكر ابن حَجَر في الإصابة والتّهذيب طريقاً آخر سقط منه رجل حيث قال: «المبارك بن فَضالة عن عبدالغفّار بن ميسرة عن الصُّدائي ولم يسمّه» فقد سقط من نُسختَي الإصابة والتّهذيب بين عبدالغفّار بن ميسرة وبين الصُّدائي لفظة «عن رجل». وإليه يعود الضمير في قوله: «ولم يسمّه»، وقد ذكره ابن أبي حاتم تامّاً وصرّح بهذه اللّفظة[2].

وعبدالغفّار هذا مجهول[3]، وشيخه مبهم، فلعلّ هذا المبهم هو زياد بن نُعَيم فيكون عبدالغفّار بن ميسرة أحد مجاهيل الأفارقة أو المصرّيين؛ لأنّي لم أعثر على من ذكر لهذا الصّحابي تلميذاً آخر في هذا الحديث غير زياد بن نُعيم.

---

(١) راجع مبحث الإضافات الحديثية في فصل الرواية.

(٢) انظر: الجرح والتعديل ٥٤/٦.

(٣) انظر: اللسان ٤٣/٤ وقد سماه عبدالغفور، الجرح والتعديل ٥٤/٦.

أمّا الثّانية وهي إغراب ابن أَنْعُم بحديث الصُّدائي فلا نسلّمها لفُرات؛ لأنّ هذا الحديث قد تابع عليه ابنَ أَنْعُم بكرُ بن سَوادة (ت بالقيروان سنة ١٢٨)[1]، وعلى هذا لم يعد الحديث من غرائب ابن أَنْعُم، ويمكن اعتباره من الإضافات الحديثيّة لأهل إفريقيّة.

وهناك من يعتبر حديث الصُّدائي عند المصريّين باعتبار أن زياد بن نُعيم لم يطل استقراره في إفريقيّة، وكذلك لتغليبهم نسبة كثير من الأفارقة إلى مصر، وقد لاحظت ذلك في عدد من التراجم.

وحديث الصُّدائيّ هو الوارد في قصّة إسلامه وما سمعه من النّبيّ ﷺ عند قدومه عليه، وقد تقدّم في مبحث أثر الصّحابة في نشر السّنّة بالقيروان.

١٧ ـ **أبو زَمْعَة البَلَوِيّ[2] (ت ٤٥ وقيل ٣٤)**: اشتهر بكنيته، وقد اختلفوا في اسمه اختلافاً كثيراً والأكثر على أنه عُبَيْد بن أَرْقَم. دخل إفريقيَّة مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ[3]، وبها توفّي، وقد تقدّم حديث وفاته[4]، وبه سمّيت مقبرة البَلَوِيَّة في القَيْرَوان. وقد ذكروا أن قَلَنْسُوَتَه دُفِنت معه وفيها من شعر رسول الله ﷺ. له حديثـان، أخرج له البَغَوِيّ في معجمه، وأبو نُعَيم في معرفـة الصّحابـة، وابن عبدالحكم في فتوحه.

---

(١) انظر: الإصابة ٥٣٩/١، التهذيب ٣٦٠/٣.

(٢) انظر: أبو العـرب ١٧، الريـاض ٨٤/١، المعالم ٩٧/١، الاستقصـاء ٨٩/١، أعلام المغـرب العربي ٨/٢، حسن المحـاضرة ٢٤٦/١، فتـوح مصر ٣٠٥، ط ابن سعـد ٤٩٩/٧، أسد الغابة ٢٩٦/١، ٣٣٦/٣، ٣٤٦، ٢٠٠/٥، الإصابة ٤٢٥/٢، ٤٣٤، ٧٧/٤، الاستيعاب ٨١/٤، التجريد ٣٦١/١، ١٦٨/٢، معرفة الصحابة خط ٢٦٥/٢، أسماء الصحابة الرواة ٢٩٤، الاستغناء ١٩٢/١.

(٣) ذكرت بعض المصادر أنّ دخوله كان سنة ٣٤ هـ ولا يصح ذلك كما تقدم.

(٤) في مبحث أثر الصحابة في نشر السنّة بالقيروان.

١٨ ـ **سُفيان بن وَهَبْ الخَوْلَانِيّ**[١]، **أبو اليُمْن** (ت ٨٢): اختلفوا في صحبته، والصّحيح أنّ له صحبة ورواية، كما ذكر ابن حَجَر في تعجيل المنفعة، وغيره، دخل إفريقيّة غازياً سنة ٦٠ هـ، وأميراً سنة ٧٨ هـ، وذكرت بعض المصادر أنّه استمر بها إلى أن توفّي سنة ٨٢ هـ، لكن ورد في الرّياض أنّ أمير مصر استدعاه ليسأله عن حديث «فجيء إليه به محمولاً وهو شيخ كبير»، فلعلّه عاد إلى مصر في آخر حياته. حدّث بالقيروان، وقد تقدّم حديثه، ومن تلاميذه الذين استقرّوا بالقيروان مسلم بن يسار الإفريقي، وبَكر بن سَوادة.

له ثلاثة أحاديث، انفرد بها أهل مصر وإفريقيّة، أخرج له الطبراني في الكبير، والحاكم، وأبو يعلى، وأحمد وابن منده، وأبو نعيم والبَسويّ في المعرفة والتّاريخ.

١٩ ـ **سلكان بن مالك**[٢]: ذكروه فيمن غزا المغرب من الصّحابة، ولم يحدّدوا تاريخ دخوله، ولم يسندوا إليه رواية.

٢٠ ـ **سَلَمة بن عمرو بن الأكوع الأَسْلَمِيّ**[٣] **المدني، أبو مسلم، ويقال**

---

(١) الرياض ٨٩/١، المعالم ١٥١/١، التجريد ٢٢٧/١، ط ابن سعد ٤٤٠/٧، الإصابة ٥٦/٢، الاستيعاب ٦٦/٢، أسد الغابة ٣٢٣/٢، مشاهير ١١٩، حسن المحاضرة ٢٠٦/١، الجرح والتعديل ٢١٧/٤، تعجيل المنفعة ١٥٥، تهذيب تاريخ دمشق ١٨٥/٦، المعرفة والتاريخ ٤٨٧/٢، الشجرة ١٠٠/٢، معرفة الصحابة ٣٠٠/١، الاستقصاء ٨٦/١، معجم الطبراني ١٣٨/٤، ٨١/٧، فتوح مصر ٣٠٧، القراءات بإفريقية ٩٧، ثقات العجلي ١٩٤، ثقات ابن حبان ١٨٣/٣، ٣١٩/٤، التاريخ الكبير ٨٧/٤، عدد ما لكل واحد ١٤٠.

(٢) الاستقصاء ٨٦/١، فتوح مصر ٣١٩، حسن المحاضرة ٢٠٦/١، التجريد ٢٢٩/١، أسد الغابة ٣٢٦/٢، الإصابة ٥٩/٢.

(٣) طبقات أبي العرب ممح ٧٤، المعالم ٩٤/١، ط ابن سعد ٣٠٥/٤، الإصابة ٦٥/٢، الاستيعاب ٨٥/٢، تهذيب الأسماء ٢٢٩/١، ط خليفة ١١١، معجم الطبراني ٥/٧، =

أبو عامر (ت ٧٤ على الصّحيح): من كبار الصّحابة، دخل إفريقيّة مع ابن أبي سَرح سنة ٢٧ أو سنة ٣٣ هـ، له ٧٧ حديثاً، أخرج له الجماعة وأحمد والطّبراني وغيرهم.

٢١ ـ **أبو ضُبَيْس البَلَوِيّ**[١]: غزا إفريقيَّة وعداده في المصريّين من الصّحابة، له حديث واحد.

٢٢ ـ **عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصّدّيق**[٢] (**ت ٥٣ على الصّحيح**): دخل إفريقيَّة مع ابن أبي سَرْح سنة ٣٧ هـ، له ثمانية أحاديث أخرج له الجماعة، وأحمد وغيرهم.

٢٣ ـ **عبدالرحمٰن بن الزَّبِير** (بفتح الزّاي) **القُرَظِي**[٣]: ونسبه بعضهم في الأَوْس، أرسله عثمان رضي الله عنه إلى إفريقيَّة في جيش مدداً لابن أبي سَرْح، حديثه في مسند مالك للنَّسائي كما ورد في تهذيب الكمال والتّهذيب.

= تهذيب ابن عساكر ٢٣٢/٦، أسماء الصحابة الرواة ٢٧٨، الاستقصاء ٨٦/١، تاريخ الإسلام ١٥٨/٣، فتوح مصر ٣١٩، التجريد ٢٣٠/١، حسن المحاضرة ٢٠٦/١، التهذيب ١٥٠/٤، الكاشف ٣٠٧/١، عدد ما لكل واحد ٨٤، تهذيب الكمال ٥٢٦/٢، التقريب ٣١٨/١، الخلاصة ١٤٨.

(١) الاستقصاء ٨٩/١، فتوح مصر ٣١٩، حسن المحاضرة ٢٤٨/١، الإصابة ١١/٤، التجريد ١٧٩/٢، معرفة الصحابة خط ٢٧٣/٢.

(٢) الرياض ٧٠/١، المعالم ١٢٧/١، ط خليفة ١٨، أسد الغابة ٣٠٤/٣، أبو العرب ١٤، ١٧، مشاهير ١٥، الإصابة ٣٩٩/٢، الاستيعاب ٣٩١/٢، حسن المحاضرة ٢١٦/١، التجريد ٣٥٠/١، الكاشف ١٤٠/٢، تهذيب الأسماء ٢٩٤/١، التهذيب ١٤٦/٦، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، فتوح مصر ٢٧١، الشجرة ٩٩/٢، معرفة الصحابة خط ٤٥/٢، تهذيب الكمال ٧٧٧/٢، التقريب ٤٧٤/١.

(٣) الشجرة ٩٩/٢ التجريد ٣٤٧/٢، الإصابة ٣٩١/٢، الاستيعاب ٤١١/٢، أسد الغابة ٢٩٢/٣، التقريب ٤٧٩/١، ط ابن سعد ٤٥٨/٨، التهذيب ١٧٠/٦، الخلاصة ٢٢٧، تهذيب الكمال ٧٨٦/٣.

٢٤ ــ عبـدالله بن أُنَيس الجُهَنِيّ[1]، **أبـو يحيى المـدني حليف الأنصار (ت ٥٤ هـ)**: شهد فتح إفريقيَّة مع ابن أبي سرح، **له ٢٤** حديثاً، أخرج لـه مسلم، والأربعة، ومالك، وأحمد، والبُخاري في الأدب المفرد.

٢٥ ــ عبـدالله بن جعفر بن أبي طـالب[2]، **أبـو جعفـر (ت ٨٠ على الصّحيح)**: دخل إفريقيَّة في غزوة العبادلة، **له ٢٥** حـديثاً أخـرج له الجمـاعة وأحمد وغيرهم.

٢٦ ــ عبدالله بن الزُّبير بن العوّام[3]، **أبو بكر، (ت ٧٣ هـ)**: دخل إفريقيَّة مرّتين سنة **٣٧ هـ** وسنة **٤٥ هـ**، وهذا ممّا يقوّي إمكانية تحديثه بها، وله بها آثار محمودة، روى عن النّبيّ ﷺ ثلاثة وثلاثين حـديثاً، أخرج له الجماعـة وأحمد وغيرهم.

---

(١) الـريـاض ٦٨/١، المعـالم ٧٧/١، الإصـابـة ٢٧٠/٢، الاستيعـاب ٢٤٩/٢، حسن المحاضرة ٢١١/١، التجريد ٢٩٨/١، أسد الغابـة ١١٩/٣، ط خليفة ١١٨، تـاريخ الإسلام ٣٢٠/٢، ٢٩٩، مشاهير ٥٦، التهذيب ١٤٩/٥، معـرفة الصحـابة ٣٤٠/١، التقريب ٤٠٢/١، تهذيب الكمال ٦٦٦/٢، عدد ما لكل واحد ٩٠، تهذيب الأسمـاء ٢٦٠/١.

(٢) الشجرة ٩٣/٢، ٩٧، مشاهير ٩، ط خليفة ١٢٦، ١٨٩، التجريد ٣٠٢/١، عدد ما لكل واحد ٨٩، أسد الغابة ١٣٣/٣، التقريب ٤٠٦/١، الإصابة ٢٨٠/٢، الاستيعاب ٢٦٦/٢، التهذيب ١٧٠/٥، تهذيب الأسماء ٢٦٣/١، الخلاصة ١٩٣، تهذيب الكمال ٦٧٠/٢.

(٣) أبو العرب ١٣، ١٧، الرياض ٦٣/١، المعالم ١١٢/١، ط خليفة ١٣، ٢٣٢، الحلية ٣٢٩/١، الإصابة ٣٠١/٢، الاستيعاب ٢٩١/٢، أسد الغابة ١٦١/٣، تهذيب الأسماء ٢٦٦/١، التجريد ٣١١/١، قادة فتح المغرب ٣٦/٢، الاستقصاء ٨٧/١، تهذيب ابن عساكر ٤٠٠/٧، الحُلّة السيراء ٢٤/١، الشجرة ٩٢/٢، ٩٧، معرفة الصحابة ٦/٢، التقريبة ٤١٥/١، تهذيب الكمال ٦٨٢/٢، القراءات بإفريقية ١٠٤، عدد ما لكل واحد ٨٨، حسن الحاضرة ٢١٢/١، الكـاشف ٧٧/٢، التهذيب ٢١٣/٥، تـاريخ الإسـلام ١٦٧/٣.

٢٧ ـ عبدالله بن سعد بن أبي سرح القُرَشِيّ العامري[1] **(ت ٣٦ أو ٣٧)**: دخل إفريقيَّة أميراً على جيش الفتح سنة ٢٧ هـ، وعاد إليها سنة ٣٣ هـ، وله بها مواقف مشهودة، وقد تقدّم ذكر ما رواه عنه أهل إفريقيَّة، له حديث واحد، قيل توفّي بإفريقيّة والصّحيح أنّه توفّي بَعَسْقَلَان.

٢٨ ـ عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطّلب[2]**، أبو العبّاس (ت ٦٨)**: غزا إفريقيَّة مع ابن أبي سَرْح سنة ٢٧ هـ، وهو الذي تولّى قسمة الغنائم، وهو من أكثر الصّحابة فتوى ورواية، له ١٦٦٠ حديث، أخرج له الجماعة وأحمد وغيرهم. من تلاميذه الذين أوطنوا القيروان: حَنَش بن عبدالله الصّنعانيّ.

٢٩ ـ عبدالله بن عمر بن الخطّاب[3] **(ت ٧٣ وقيل ٧٤)**: دخل إفريقيَّة

(١) أبو العرب ١٢، ١٥، ١٧، الرياض ٦٦/١، المعالم ١٣٧/١، الاستقصاء ٨٧/١، الحلّة السيراء ٣٢١/٢، تهذيب ابن عساكر ٤٣٥/٧، البيان المغرب ٩/١، قادة فتح المغرب ٥١/١، ط خليفة ٢٩١، حسن المحاضرة ٢١٣/١، الإصابة ٣٠٩/٢، الاستيعاب ٣٦٧/٢، أسد الغابة ١٧٣/٣، تهذيب الأسماء ٢٦٩/١، ط ابن سعد ٤٩٦/٧، أسماء الصحابة الرواة ٣١١، التجريد ٣١٤/١، النجوم الزاهرة ٧٩/١، المؤنس ٢٦، الشجرة ٩٠/٢، ٩٧، فتوح مصر ٢٤٦، ٢٦٢، معرفة الصحابة خط ١١/٢، الولاة والقضاة ١١، الخلاصة النقيّة ٣.

(٢) أبو العرب ١٧، الرياض ٦٠/١، المعالم ١٠٧/١، تاريخ الإسلام ٣٠/٣، الاستقصاء ٨٦/١، الحلة السيراء ٥/١، ط ابن سعد ٣٦٥/٢، مشاهير ٩، ط خليفة ٤، ٢٨٤، أسد الغابة ١٩٢/٣، الاستيعاب ٣٤٢/٢، الإصابة ٣٢٢/٢، تهذيب الأسماء ٢٧٤/١، التجريد ٣٢٠/١، الكاشف ٩٠/٢، حسن المحاضرة ٢١٤/١، الحلية ٣١٤/١، التهذيب ٢٧٦/٥، التقريب ٤٢٥/١، الشجرة ٩١/٢، ٩٧، معرفة الصحابة ١٧/٢، الخلاصة ٢٠٢، تهذيب الكمال ٦٩٨/٢، عدد ما لكل واحد ٨٠.

(٣) أبو العرب ١٤، ١٦، ١٨، الرياض ٦١/١، المعالم ٧٩/١، الاستقصاء ٨٧/١، الحلة السيراء ١٧/١، مشاهير ١٦، ط خليفة ٢٢، حسن المحاضرة ٢١٤/١، ط ابن سعد ٣٧٣/٢، ١٤٢/٤، الحلية ٢٩٢/١، تهذيب الأسماء ٢٧٨/١، أسماء الصحابة الرواة ٢٧٥، التجريد ٣٢٥/١، الكاشف ١٠٠/٢، التهذيب ٣٢٨/٥، الخلاصة ٢٠٧، أسد =

مرّتين سنة ٢٧ هـ، وسنة ٤٥ هـ ووُلد له بها، وحدّث عنه أهلها كما تقدّم[1]، من تلاميذه الأفارقة يزيد بن قاسط وميسرة الزَّرُّودي، كما روى عنه أبو سعيد المَقْبُرِيُّ - وقد سكن بالقيروان -، وعِكرمة مولى ابن عبّاس وقد دخل القيروان ودرّس بجامعها، وذكر المزّي أن خالد بن أبي عمران التّونُسي روى عنه ولم يسمع منه. وهو من الصّحابة المكثرين له ٢٦٣٠ حديث، أخرج له الجماعة وأحمد وغيرهم.

٣٠ ـ عبدالله بن عمرو بن العاص[2]: دخل إفريقيّة في غزوة العبادلة، كان يكتب ما يمسعه من النّبيّ ﷺ، بناء على الإذن النّبويّ الّشريف له، وكان غزير العلم، له ٧٠٠ حديث، أخرج له الجماعة وأحمد وغيرهم، من تلاميذه الذين نشروا العلم بالقيروان: عِكرمة مولى ابن عبّاس. اختلفوا في وفاته، وصحّح ابن حبّان وابن حجر أنه توفّي ليالي الحَرَّة سنة ٦٣ هـ.

٣١ ـ عبدالله بن مسعود الهُذَلِيّ[3]، حليف بني زُهرة (ت ٣٢ أو ٣٣): من

= الغابة ٣/٢٢٧، الاستيعاب ٢/٣٣٣، الإصابة ٢/٣٣٨، تاريخ الإسلام ٣/١٧٧، الشجرة ٢/٩٧، فتوح مصر ٢٦٤، معرفة الصحابة خط ٢/١٩، الخلاصة ٢٠٧، تهذيب الكمال ٢/٧١٣، عدد ما لكل واحد ٧٩.

(١) في مبحث أثر الصحابة.

(٢) أبو العرب ١٤، ١٦، الرياض ١/١٥، المعالم ١/١١٦، تاريخ الإسلام ٣/٣٩، الاستيعاب ٢/٣٣٨، الإصابة ٢/٣٤٣، التجريد ١/٣٢٦، أسد الغابة ٣/٢٣٣، الحلية ١/٢٨٣، الحلة السيراء ١/١٧، تهذيب الأسماء ١/٢٨١، ط خليفة ٢٦٠، ٢٩٩، حسن المحاضرة ١/٢١٥، الاستقصاء ١/٨٧، مشاهير ٥٥، ط ابن سعد ٤/٢٦١، ٧/٤٩٤، التهذيب ٥/٣٣٧، الكاشف ٢/١٠١، التقريب ١/٤٣٦، الجمع بين رجال الصحيحين ١/٢٣٩، أسماء الصحابة الرواة ٢٠٨، فتوح مصر ٢٥٤، الشجرة ٢/٩٢، ٩٧، معرفة الصحابة ٢/٢٣، الخلاصة ٢٧٦، تهذيب الكمال ٢/٧١٦، القراءات بإفريقية ١١٧.

(٣) الشجرة ٢/٩٧، تهذيب الأسماء ٢/١٠، عدد ما لكل واحد ٨٠، الإصابة ٢/٣٦٠، =

قدماء الصّحابة، دخل إفريقيّة سنة ٣٧ هـ، وهو من علماء الصّحابة، وكان كثير الملازمة للنّبيّ ﷺ، له ٨٤٨ حديث، أخرج له الجماعة، وأحمد، والطبراني، وغيرهم.

٣٢ ـ عبدالله بن نافع بن الحُصَيْن[1]: وجّهه عثمان مع ابن أبي سرح، وأمره أن يسير إلى جهة الأندلس، ولم أعثر عليه في كتب الصّحابة وغيرها.

٣٣ ـ عمرو بن عوف المُزَنِيّ[2]، **أبو عبدالله (ت حوالي سنة ٥٩ هـ)**: شهد فتح إفريقيّة، في غزوة العبادلة، وهو من أهل الصُّفَّة قديم الإسلام، له عن النّبيّ ﷺ أحاديث، أخرج له البُخاري تعليقاً، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

٣٤ ـ فَضَالة بن عُبَيد الأنصاري[3]، **أبو محمد (ت ٥٣ وقيل غير ذلك)**: دخل إفريقيّة مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ، شهد فتح «جَرْبَة» مع رُوَيفع بن ثابت سنة ٤٧ هـ، ويروي أهل القيروان حديثه من طريق حَنَش بن عبدالله، وقد سمع منه بإفريقيَّة، وقد تقدّم ذكر حديثه عنه في مبحث أثر الصّحابة في نشر السّنة بالقيروان.

= الاستيعاب ٣٠٨/٢، ط خليفة ١٦، ١٢٦، ط ابن سعد ١٥٠/٣ التقريب ٤٥٠/١، التهذيب ٢٧/٦، تهذيب الكمال ٧٤٠/٢، أسد الغابة ٣٥٦/٣.

(١) الحلل السندسية ٥٣١/٢/١، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية ٨، الشجرة ٩٨/٢.

(٢) المعالم ٩٢/١، أبو العرب ١٧، تهذيب الأسماء ٣٣/٢، تاريخ الإسلام ٣٠٩/٢، ط ابن سعد ٣٦٣/٤، أسد الغابة ١٢٤/٤، التقريب ٧٥/٢، الإصابة ٩/٣، الاستيعاب ٥٠٩/٢، التهذيب ٨٥/٨، الكاشف ٢٩١/٢، معرفة الصحابة ٨٨/٢، تهذيب الكمال ١٠٤٥/٢، التعديل والتجريح للباجي ٩٦٩/٣.

(٣) الرياض ٨٠/١، المعالم ١٥٠/١، مشاهير ٥٢، حسن المحاضرة ١٢٦/١، ط خليفة ٨٥، ط ابن سعد ٤٠١/٧، أسد الغابة ١٨٢/٤، تهذيب الأسماء ٥٠/٢، الكاشف ٣٢٧/٢، التجريد ٧/٢، الحلية ١٧/٢، الإصابة ٢٠١/٣، الاستيعاب ١٩٢/٣، التهذيب ٢٦٧/٨، التقريب ١٠٩/٢، الجمع بين رجال الصحيحين ٤١٧/٢، الخلاصة ٣٠٨، أسماء الصحابة الرواة ٢٧٩، فتوح مصر ٢٧٦، تهذيب الكمال ١٠٩٥/٢، معرفة الصحابة خط ١٤٢/٢.

كما رووا عنه من طريق عُلَيّ بن رباح، وقد سمع منه خارجها، ثم أوطن القيروان، وبقي بها إلى أن توفي سنة ١٢٤.

له خمسون حديثاً، أخرج له مسلم، والأربعة، وأحمد، ومحمد بن سنجر، وبقيّ بن مَخْلَد، وابن منده. وغيرهم.

٣٥ ــ قيس بن يسار بن مسلم الكِنَانِيّ(١): نقل المالكي عن ابن يونس أنّ قيساً هذا صحابي، وذكر أنّه دخل إفريقيّة مع عُقبة بن نافع (سنة ٥٠ أو سنة ٦٢ هـ)، وله عِقِب بإفريقيّة، منهم: أبو مُحْرِز القاضي، ولم أعثر على ذكر لهذا الصّحابيّ عند غير المالكي.

٣٦ ــ كعب بن عمرو الأنصاري(٢)، **أبو اليَسَر** (ت ٥٥): ذكره الدّبّاغ فيمن دخل إفريقيَّة من الصّحابة، وهو عَقَبيّ بدريّ، له أحد عشر حديثاً، أخرج له مسلم، والأربعة، والبُخاري في الأدب المفرد، وأحمد وغيرهم.

٣٧ ــ أبو لُبَابَة الأنصاريّ(٣): اختلفوا في اسمه كثيراً، فقيل: بشر، وقيل: رِفاعة بن عبدالمُنْذِر، وقيل غير ذلك، ولم أعثر على من نسب إليه دخول إفريقيّة

---

(١) رياض النفوس ٩٦/١.

(٢) المعالم ٧٦/١، ط خليفة ١٠٢، الاستيعاب ٢٧٤/٢، ٣١٥، الإصابة ٢٨٤/٢، ٢١٧/٤، مشاهير ١٨، أسد الغابة ٣٢٣/٥، التجريد ٢١٢/٢، التقريب ١٣٥/٢، تاريخ الإسلام ٣٣٩/٢، الخلاصة ٣٢١، كنى الدولابي ٦٢/١، الاستغناء ٣٥٥/١، ط ابن سعد ٤٥٤/٣، ٥٨١، عدد ما لكل واحد ٩٦، التهذيب ٤٣٧/٨، تهذيب الكمال ١١٤٧/٣.

(٣) الشجرة ٤٥/١، رحلة التجاني ٩١، التجريد ١٩٨/٢، أسد الغابة ١٩٥/١، ١٨٣/٢، ٢٨٤/٥، الإصابة ١٦٧/٤، الاستيعاب ١٦٧/٤، ط خليفة ٨٤، التقريب ٤٦٧/٢، الكاشف ٣٢٩/٣، التهذيب ٢١٤/١٢، الخلاصة ٤٥٨، الجرح ٤٩١/٣، تهذيب الكمال ١٦٤١/٣، الخلاصة النقية ٩، الحلل ٣٤٩/٢/١، سيرة ابن هشام ١٠٤٧/٣، الروض الأنف ٢٨٢/٣، مشاهير علماء الأمصار ١٧.

من المصنّفين في التّاريخ والفتوح، فلعلّه ممّا أغفل المؤرّخون ذكره؛ لأنّه قد ثبت بالتّواتر أنّ قبره في مدينة قابِس بالجمهوريّة التّونسية، كما أكّد ذلك الدّباغ والشّيخ مخلوف في الشّجرة، وأشار[1] إليه الحافظ المحدّث القاضي، الأصولي الأديب الشّاعر: أبو المطرِف، أحمد بن عبدالله المخزومي (ت ٦٥٨)[2]، وهو حجّة في هذا؛ لأنُه بالإضافة إلى كون محدّثاً حافظاً قد سكن قابِس فترة حين تولّى قضاءها بعد انتقاله من الأندلس إلى إفريقيّة.

وقد نقل التّجاني عن أهل قابِس أنّهم يذكرون أنّ عندهم قبره، ولهم مسجد باسمه، ولم يجزم بصحة ذلك عنده، وقال: «فلعلّه إن ثبت أنّ قبره هناك ممّن أغفل المؤرّخون ذكره منهم... ولعلّ قدومه إلى إفريقيّة كان هجراناً لدار قومه، بسبب ذنبه الذي أذنبه فتاب الله عليه...»[3]. ومما يقوّي ذلك أنّ المصادر لم تذكر مكان وفاته غير ابن حبّان الذي ذكر في المشاهير أنّه توفّي بالمدينة المنوّرة.

قلت: ولا يزال قبره حتّى الآن معروفاً بمدينة قابِس، وكذا المسجد المُسمّى باسمه لا يزال يؤدي وظيفته العباديّة.

له ١٥ حديثاً، أخرج له البُخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وأحمد، ومالك، وغيرهم.

اختلفوا في تاريخ وفاته، والذي فوق قبره بقابِس أنّه توفّي سنة ٤٠ هـ.

٣٨ ـ مسعود بن الأسود البَلَوِيّ[4]: وقيل العَدَوِيّ، وهناك من فرّق بينهما

---

(١) انظر: رحلة التجاني ٩٠، الحلل ١/٢/٣٤٩، المعالم ١/١٢.

(٢) انظر ترجمته في: نفح الطيب ١/٣١٣ ـ ٣٢١.

(٣) انظر: الحديث في موطأ مالك، كتاب النذور والأيمان، باب جامع الإيمان ١/٤٨١/١٦، والقصة في كثير من المصادر أعلاه.

(٤) الشجرة ٢/٩٨، حسن المحاضرة ١/ج٢٣٥، مشاهير ٥٦، التجريد ٢/٧٢، التهذيب =

وهـو الصّحيح؛ لأنّ العـدويّ مات قبـل فتح مصـر، كمـا نبّـه على ذلـك في التّهذيب، غزا إفريقيّة، وعداده في أهل مصر، وهو الذي استأذن عمر في غزوة إفريقيّة، وحديثه عند أهل القيروان من طريق عُلَيّ بن رباح الذي سكن القيروان.

٣٩ ـ المِسْـوَر بن مَخـرَمـة القُـرَشي، الـزُّهـريّ[1]، أبـو عبدالـرحمٰن (ت ٦٤ هـ): دخل إفريقيّة مع ابن أبي سَرْح، وهو الـذي حرّض عثمـان على غزوها، له صحبة ورواية، وبلغت أحاديثه إثنان وعشرون. أخرج لـه الجماعـة وأحمد وغيرهم.

٤٠ ـ المسيَّب بن حَـزْن القُرَشيّ المخـزومي[2]، أبو سعيـد: شهد فتـح إفريقيّة مع ابن أبي سرح، له سبعة أحاديث، لم يرو عنه غير ابنـه سعـيد، أخـرج له البُخاري ومسلم وأبو داود والنَّسائي وأحمد وبقيّ بن مَخْلَد وغيرهم.

= ١١٦/١٠، الإصابة ٣٨٩/٣، الاستيعاب ٤٣٠/٣، أسد الغـابة ٣٥٥/٤، الاستقصـاء ٨٨/١.

(١) أبـو العرب ١٣، الـرياض ٦٩/١، المعـالم ١٣٢/١، ط خليفـة ١٥، مشـاهيـر ٢١، الاستقصاء ٨٨/١، الإصابة ٣٩٩/٣، الاستيعاب ٣٩٦/٣، أسد الغابة ٣٦٥/٤، حسن المحاضرة ٢٣٦/١، تهـذيب الأسماء ٩٤/٢، التهـذيب ١٥١/١٠، التجريـد ٧٧/٢، التقريب ٢٤٩/٢، الجمع بين رجال الصحيحين ٥١٥/٢، الكاشف ١٢٨/٣، الشجرة ١٠٠/٢، معرفة الصحابة خط ١٩٤/٢، تهذيب الكمال ١٣٣٠/٣، عدد ما لكل واحد ٩١.

(٢) الرياض ٨٦/١، المعالم ١٠٢/١، ط خليفة ٢٠، الاستقصاء ٨٨/١، حسن المحاضرة ٢٣٦/١، تهـذيب الأسماء ٩٥/٢، الكـاشف ١٢٩/٣، التجريـد ٧٧/٢، أسد الغـابة ٣٦٦/٤، الاستيعاب ٤٢١/٣، الإصابة ٤٠٠/٣، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٧، عدد ما لكـل واحد ١٠١، التهـذيب ١٥٢/١٠، الجمع ٥٠٥/٢، الخـلاصة ٣٧٧، التقـريب ٢٥٠/٢، فتوح مصر ٣١٩، الشجرة ١٠٠/٢، معرفة الصحابـة خط ٢٠٤/٢، تهذيب الكمال ١٣٣٠/٣.

٤١ ـ **المطّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْمِيّ**[1]: غزا إفريقيّة مع عبدالله بن سعد في جمع من بني سَهْم، كما ذكر ابن يونس وغيره، له تسعة أحاديث، أخرج له مسلم، والأربعة، ومالك، وأحمد، وغيرهم.

٤٢ ـ **معاوية بن حُديج التُّجيبيّ**[2]، (ت ٥٢)، **أبو نُعَيم (وقيل خديج وليس بشيء)**: شهد غزوة إفريقيَّة ثلاث مرات سنة ٣٤، وسنة ٤١، وسنة ٤٥ هـ، وله فيها آثار ومقامات، وعداده في أهل مصر، وقد خالف بعضهم في صحبته، والأكثر على إثباتها وهو الصّحيح، بل ثبتت له الرواية أيضاً، له أربعة أحاديث، أخرج له أبو داود، والنَّسائي، وابن ماجة، والبُخاري في الأدب المفرد، والبَغوِيّ في معجمه، وأحمد، وغيرهم، وحديثه عند أهل القيروان من طريق عُلَيّ بن رباح.

٤٣ ـ **المِقْدَاد بن عمرو بن ثَعْلَبَة البَهْرَانيّ**[3]، **أبو سعيد (ت ٣٣)**: يعرف

---

(١) الرياض ١/٧٧، المعالم ١/١٤٤، حسن المحاضرة ١/٢٣٦، ط خليفة ٢٦، الاستيعاب ٣/٣٩٢، الإصابة ٣/٤٠٥، الاستقصاء ١/٨٨، أسد الغابة ٤/٣٧٤، التهذيب ١٠/١٧٩، الجمع ٢/٥٢٥، التقريب ٢/٢٥٤، التجريد ٢/٨٠، مشاهير ٣٤، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٦، ط ابن سعد ٥/٤٥٣، الشجرة ٢/١٠٠، فتوح مصر ٣١٩، معرفة الصحابة ٢/١٩٦، الخلاصة ٤٧٩، تهذيب الكمال ٣/١٣٣٦.

(٢) أبو العرب ١٥، ١٧، ٨٨، الرياض ١/٩٢، المعالم ١/١٤٠، الحلة السيراء ٢/٣٢٢، بغية الملتمس ٤٦٤، البيان المغرب ١/١٧، البداية والنهاية ٨/٦٠، الاستقصاء ١/٨٨، الخلاصة النقية ٤، قادة فتح المغرب ١/٧٥، المعالم ١/١٤٠، مشاهير ٥٦. المعرفة والتاريخ ٢/٥٢٨، فتوح مصر ٣٠٧، ط ابن سعد ٧/٥٠٣، ط خليفة ٧١، ٢٩٢، تاريخ الإسلام ٣١٧، حسن المحاضرة ١/٢٣٧، التهذيب ١٠/٢٠٣، الخلاصة ٣٨١، التهذيب الأسماء ٢/١٠١، التجريد ٢/٨٢، أسد الغابة ٤/٣٨٣، الإصابة ٣/٤١١، الاستيعاب ٣/٣٨٦، الشجرة ٢/٩٩، معرفة الصحابة خط ٢/١٨٥، تهذيب الكمال ٣/١٣٤، مراسيل الرازي ١٥٩، المغني في ضبط أسماء الرجال ٩٠.

(٣) أبو العرب ٣، ٤، الرياض ١/٧٣، المعالم ١/٧١، فتوح مصر والمغرب ٢٦٦، الاستقصاء ١/٨٩، حسن المحاضرة ١/٢٣٨، مشاهير ٢٤، ط خليفة ١٦، ١٢٠، =

بالمقداد بن الأسود الذي تبنّاه في الجاهليّة، غزا إفريقيّة مع ابن أبي سرح، وهو أحد السّابقين للإسلام، له ٤٢ حديثاً، أخرج له الجماعة، وأحمد، ومالك، وغيرهم.

٤٤ ـ **المُنَيذِر الأسلميّ الإفريقيّ**[1]: اختلفوا كثيراً في اسم هذا الصّحابي، فقيل: المُنَيذِر والمُنْيَذِر بوزن المُنْتَشِر، والمُنْذِر، وأبو المُنَيْذِر وأبو المُنْتَذِر وأبو المتَبذِّل والمُنْبذر، وقد وهم صاحب الشّجرة حين جعله اثنين، ولعلّه تابع في ذلك صاحب أسد الغابة. وقد نُسب إلى إفريقيّة لكونه سكنها وتوفّي بها، واختصّ أهلها بحديثه، من طريق أبي عبدالرحمٰن الحُبُليّ وقد تقدّم[2]، له حديث واحد أخرجه ابن منده، وأبو نُعيم، وصاحب المناهل السّلسة.

٤٥ ـ **أبو اليَقْظَان**[3]: عُرف بهذه الكنية كثير من الصّحابة، وأكثر المصادر سكتت عن تسميته، غير أنّ ابن عبدالحكم أورد في الحديث المرويّ عنه أنّه: عمّار بن ياسر، وجزم به السّيوطيّ في حسن المحاضرة، متابعاً لابن الرَّبيع وتعجّب من خفائه على ابن سعد والذّهبيّ.

= تهذيب الأسماء ٢/١١١، أسماء الصحابة الرواة ٢٨٠، أسد الغابة ٤/٤٠٩، الإصابة ٣/٤٣٣، الاستيعاب ٣/٤٥١، الحلية ١/١٧٢، ط ابن سعد ٣/١٦١، التهذيب ١٠/٢٨٥، التجريد ٢/٩٢، الكاشف ٣/١٥٢، التقريب ٢/٢٧٢، الشجرة ٢/٨٤، ٩٧، تهذيب الكمال ٣/١٣٦٨.

(١) الشجرة ٢/١٠٠، الخلاصة النقية ٩، ، الاستقصاء ١/٨٩، نفح الطيب ٣/٥، الاستيعاب ٣/٥٠٠، التجريد ٢/٩٧ أسد الغابة ٤/٤٢٢، ٤/٤١٧، ٥/٢٨٩ حسن المحاضرة ١/٢٣٩، التاريخ الكبير ٨/٧٥، المناهل السلسة ٣٠٠.

(٢) في مبحث أثر الصحابة.

(٣) الرياض ١/٩٦، المعالم ١/١٥٥، أعلام المغرب ٢/٢١٣، حسن المحاضرة ١/٢٥١، ١/٢٢٢، ط ابن سعد ٧/٥٠٣، الإصابة ٤/٢١٧، الاستيعاب ٤/٢١٦، أسد الغابة ٥/٣٢٤، الجرح ٩/٤٦٠، التجريد ٢/٢١٢، كنى الدولابي ١/٦٢، الاستغناء ١/٣٥٥.

وأورد الدّولابي حديثه في ترجمة عمّار بن ياسر من طريق يونُس بن عبدالأعلى ثم قال: «وليس في حديث يوسف عمّار بن ياسر» كأنه بذلك يُضعّف أن يكون الحديث لعمّار، ووهّم ابن يونس من اعتبر أنّ أبا اليقظان هذا هو عمّار بن ياسر.

قلت: والصّواب أنّه ليس هو؛ لأنّهم أجمعوا على استشهاد عمّار في وقعة صفين سنة ٣٧ هـ، والحديث الذي معنا رواه أبو اليقظان بصِقِلِّيَّة التي لم تُغز إلاّ في زمن معاوية بن أبي سفيان على يد معاوية بن حُديج، وذلك سنة ٤٦ هـ على أرجح الأقوال، كما مرّ في التّمهيد أي بعد وفاة عمّار بن ياسر بتسع سنوات.

وقد تقدّم ذكر حديث أبي اليَقْظان[1]، وقد اختصّ به أهل إفريقيّة ومصر، من طريق أبي عُشّانة المَعَافِرِيّ[2].

وإذن فهؤلاء خمسة وأربعون صحابيّاً، شاركوا في فتح إفريقيّة وأسهم بعضهم في بناء مدينة القيروان، وبذروا الإسلام فيها، ونشروا علوم القرآن وعلوم سنّة النّبيّ ﷺ القوليّة والفعليّة، كما تلقّوا عن الرّسول ﷺ، وعلّموا أهلها جملة من الآداب الرفيعة، التي ورثوها عن نبيّ الهدى ﷺ.

ب ـ صغار الصّحابة ومن في حكمهم من المُخَضْرَمين:

لقد خل إفريقيّة والقيروان جملة ممّن وُلدوا في زمن النّبيّ ﷺ، وتوفّي وهم دون سنّ التّمييز، وهؤلاء لهم شرف الصّحبة عند بعض العلماء، باعتبار رؤية النّبي ﷺ لهم، على ما هو العادة والمألوف لدى غالب الصّحابة من إحضار أبنائهم للرّسول ﷺ، وإن لم يعقلوا هم ذلك آنذاك، أمّا من حيث الرّوايةُ فعدادهم في كبار التّابعين؛ لعدم تحمّلهم عن النّبي ﷺ شيئاً[3]، وإنّما أشرت

(١) في مبحث أثر الصحابة في نشر السنة بالقيروان.
(٢) هو حي بن يؤمن المعافري المصري ثقة (ت ١١٨). التقريب ١/٢٠٨.
(٣) انظر: الإصابة ١/١٣.

إليهم هنا للشّرف الذي اكتسبوه بوجودهم في جزء من الزّمن الـذي عاش فيـه صاحب الرّسالة، ولغلبة الظّنّ أنّه ﷺ قد رآهم؛ لأنّ الصّحابة كانوا يُحضـرون أولادهم للنّبيّ ﷺ عند الولادة؛ ليحنكهم ويُسمّيهم، ويدعو لهم[1]، ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عـائشة رضي الله عنهـا «أنّ الرسـول ﷺ كـان يُؤتى بالصّبيان فيبرّك عليهم ويُحنّكهم. . .»[2].

كما دخل إفريقيّة والقيروان بعض المُخضرَمين، وهم كبار التّابعين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يحضوا بلقاء الرّسول ﷺ[3]، وما ذِكرُهم في كتب الصّحابة إلا لاتّصال زمنهم بزمن الصّحابة، ومن هؤلاء وأولئك من شارك في فتح إفريقيّة، ومنهم من شارك في تأسيس القيروان وفي نشأة الحياة العلميّة بها، وبعد البحث والنّظر وجدتُ أنّ عددهم يصل إلى واحد وعشرين، ولكن لم يشتهر منهم إلا اثنيـن بالإسهـام في إثراء الحياة العلميّة، ونشر السّنّة بالقيروان، وهما: أبو سعيد المَقْبُري، وأبو منصور الفارسيّ، وسأترجم لهما مع التّابعين؛ إذ إنّ هذا القسم عداده من حيث الرّواية في التّابعين عند المحدّثين، وسأكتفي هنا بذكر أسماء الباقين، مع ذكر مصدرين فقط لكل مهم، حتّى لا تتضخّم الرّسالة؛ لأنّي لم أجد في تراجمهم ما يثري الموضوع الذي نحن بصدده:

الأكـدر بن حُمَـام اللَّخْمِيّ (مُخضـرَم)[4]، تُبَيـع ابن امـرأة كعب الأخبـار

---

(١) انظر: الإصابة ٧/١، الاستيعاب ١٠/١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الطّهارة باب حكم بول الطفل الرضيع ١٠١/٢٣٧/١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١٢/٦، وجاء في المستدرك ٤٧٩/٤ من حديث عبدالرحمن بن عوف قال: «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له. .». وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقّبه الذهبي في تلخيص المستدرك ٤٧٩/٤ بقوله: «لا والله!، وميناء (أحد رجال سند الحاكم) كذّبه أبو حاتم».

(٣) سبق تعريف المُخضرَم، وذكره مصادره في مبحث عدد الصحابة الذين نـزلوا القيـروان وإفريقية.

(٤) الرياض ٢٨/١، حسن المحاضرة ١٧١/١.

(مُخضرَم)[1]، حسّان بن النُّعمان الغساني[2]، خُوَيْلد بن خالد الهُذَلِيّ[3]، أبو المُهاجِر دينار[4]، زُهير بن قيس البَلَوِيّ[5]، السّائب بن عامر بن هشام[6]، سعيد بن العاص بن سعيد[7]، عاصم بن عمر بن الخطاب[8]، عبدالرحمٰن بن الأسود بن عبد يَغُوث[9]، عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام[10]، عبدالرحمٰن بن زيد بن الخطّاب[11]، عبدالرحمٰن بن صُبَيْحَة اللَّيْثي[12]، عبدالرحمٰن بن العبّاس بن عبدالمطّلب[13]، عُبَيْد الله بن عمر بن الخطّاب[14]، عُقْبَة بن نافع الفِهْرِيّ[15]، كُرَيْب بن أَبْرَهة (مُخضرَم)[16]، مروان بن الحكم بن أبي العاص[17]، معبد بن العبّاس بن عبدالمطّلب[18].

وهؤلاء، وإن لم يرد عنهم ما يفيد أنهم رووا بإفريقيّة، إلا أنّنا لا نشكّ في كونهم نقلوا إلى القيروان السُّنّة العمليّة على الأقلّ؛ لملابستهم لكبار الصّحابة، وتطبّعهم بأخلاقهم وأعمالهم الشّرعيّة، وحرص الجميع على نشر سنّة المصطفى ﷺ.

---

(١) أبو العرب مح ٨١، الإصابة ١/١٨٩.
(٢) فتوح مصر ٢٦٩، الرياض ١/٤٨. (٣) المعالم ١/١٧٣، الشجرة /٩٨.
(٤) البيان المغرب ١/٢١، أبو العرب مح ٥٧.
(٥) الرياض ١/٩٣، أسد الغابة ٢/٢١١.
(٦) أبو العرب مح ٦٨، الإصابة ٢/١٠٤. (٧) الشجرة ٢/٩٨، التهذيب ٤/٤٨.
(٨) الرياض ١/١٤١، تاريخ الإسلام ٣/٢٥. (٩) المعالم ١/١٦١، أسد الغابة ٣/٢٨١.
(١٠) الشجرة ٢/٩٩، الإصابة ٣/٦٦.
(١١) المعالم ١/١٦٨، تهذيب الكمال ٢/٧٨٩.
(١٢) أبو العرب ١٤، ١٧، ثقات ابن حبان ٥/٧٦.
(١٣) المعالم ١/١٦٩، أسد الغابة ٣/٣٠٤.
(١٤) الرياض ١/١٦، الإصابة ٣/٧٥. (١٥) المعالم ١/١٦٤، التجريد ١/٣٨٥.
(١٦) الرياض ١/٢٨، الإصابة ٣/٢٩٥. (١٧) المعالم ١/١٧١، أسد الغابة ٤/٣٤٨.
(١٨) المعالم ١/١٧٠، الاستيعاب ١/٤٣٦.

المبحث الثّاني
التّابعون الرّواة

أ ـ عددهم، وتحقيق القول في ذلك:

لقد تتابعت على إفريقيّة جيوش الفتح التي كان فيها الصحابة من سنة ٢٧ هـ إلى سنة ٦٢ هـ، مع عُقبة بن نافع في غزوته الثّانية، وإذا استثنيا عدد الصّحابة فإنّ الباقين كلّهم كانوا من التّابعين، فمن ذلك أنّ غزوة عُقبة الأولى سنة ٥٠ هـ كان عدد جيشها عشرة آلاف، منهم ثمانية عشر صحابيّاً وسائرهم من التّابعين[١]، ولذلك لا نبالغ إذا قلنا إنّه دخل القيروان في هذه الغزوة والتي بعدها عدّة آلاف من التّابعين، ثمّ استمرّ بعد ذلك دخول أفواج التّابعين إلى القيروان، وآخر مجموعة منهم تلك البعثة العلميّة التي أرسلها عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ هـ؛ لنشر علوم الكتّاب والسّنّة وتفقيه أهل القيروان، ودخل بعدهم بعض الآحاد كعِكرمة مولى ابن عبّاس في مطلع القرن الثّاني، وهو لم يدخلها غازياً وإنّما دخلها لنشر العلم[٢].

فعدد التّابعين كان ضخماً، إلا أنّ الاهتمام بتدوين أسمائهم وآثارهم كان نادراً ومشتّتاً في المصادر، ولذلك لم أظفر منه بعد عناء البحث والتتبّع إلا بقد ضئيل جدّاً إذا قيس بالآلاف الذين دخلوها، فقد ذكر أبو العرب واحداً وخمسين تابعيّاً[٣]، إلا أنّي تعقّبتُه في أحد عشر لا يصحّ إدخالهم هنا: اثنان منهم صحابة، وتسعة ولدوا على عهد الرّسول ﷺ، وهؤلاء عدادهم في التّابعين فعلاً من حيث الرّواية إلا أنّي قد جعلتهم قسماً مستقلاً كما تقدّم، فتمحّص له ثلاثة وأربعون رجلاً.

---

(١) انظر: الرياض ١/١٠، البيان المغرب ١/١٩، ٢٠.

(٢) انظر: أبو العرب ١٩، الرياض ١/١٤٦.

(٣) انظر: طبقات أبي العرب ١٨ ـ ٢٤.

وذكر المالكيّ سبعة وعشرين ممّن استقرّ بها، وعشرة ممّن بارحها[1]، وذكر الدّبّاغ خمسة وعشرين[2]، وبعد مقارنة الأسماء في هذه الكتب الثلاث والنّظر في بقيّة المصادر وجدتُ تسعة وأرعين تابعيّاً، منهم ثلاثون استقروا بها، وتسعة عشر بثوا فيها العلم ثمّ عادوا إلى أوطانهم، وفيما يلي تفصيل الكلام عن جهودهم في نشر علوم رواية الحديث ودرايته بإفريقيّة والقيروان.

ب ـ أثر التّابعين في نشر السّنّة بالقيروان:

إذا كان الصّحابة رضوان الله عليهم قد وضعوا أسس هذا البناء الشّامخ فإنّ التّابعين هم الذين تعهّدوه بالعناية والرّعاية، حتّى اكتمل ونضجت ثماره على أيديهم، فهم الذي أشاعوا رواية السّنّة في القيروان، وأصّلوا فيها مذاهب السّلف فصمدت بعد ذلك أمام عواصف الخوارج والرّافضة، ونافحت عن السّنّة حتّى انتصرت لها. ويمكن أن نُجمل حيثيّات هذا الدّور العظيم للتّابعين في نشر السّنّة بالقيروان في النّقاط التّالية:

١ ـ إنّ التّابعين قد لازموا الصّحابة وتطبّعوا بأخلاقهم، والغالب عليهم السّير على نهجهم في نشر دين الله، فإنّهم ورثتهم في هذه المسؤوليّة العظمى، ولذلك كان بثّ العلم من أُولى مهامّهم في كلّ بلد يحلّون فيه، ومن ذلك مدينة القَيْرَوان.

٢ ـ إنّ القيروان كانت تعجّ بالتّابعين في الفترة التي عرفت فيها هذه المدينة الأمن والاستقرار، وشاعت اللّغة العربيّة بين أهالي البلاد، وبذلك كانت الفرصة أمامهم مُهيّأة لنشر العلم، وفعلاً فقد قاموا بذلك، وتمّ على أيديهم إسلام بقيّة البربر وتعريب البلاد[3].

---

(١) الرياض ١/٩٩ - ١٥١.
(٢) المعالم ١/١٨٠ - ٢٢٣.
(٣) انظر: الرياض ١/١١٦، البيان المغرب ١/٤٨.

٣ ـ لقد وُجد بعض التّابعين من أهل البلاد الأصليّين مثل يزيد بن قاسط وميسرة الزّرّودي[(١)]، ولا شكّ أنّ هؤلاء كان لهم أكبر الأثر في نشر السّنّة بين أهليهم لمعرفتهم بلغتهم وطباعهم.

٤ ـ إنّ العلوم التي كان ينشرها التّابعون في هذه الفترة كانت تقوم في عمومها على الرّواية، ولهذا كانت علوم السّنّة ومصنّفاتها تشتمل في أبوابها على بقيّة علوم الشّرع من فقه وتفسير ونحوهما، فكلّ ما كان يلقى وينشر يمكن إدخاله بهذا الاعتبار في علوم السّنّة المطهّرة؛ إذ إنّ المذاهب الفقهيّة لم تظهر بعد في إفريقيّة كما أنّها لم تتبلور بعد في المشرق.

٥ ـ لقد كانت الحاجة ماسّة إلى علم هؤلاء التّابعين؛ لازدياد عدد المسلمين المستمرّ من أبناء البلاد، وهؤلاء سيقبلون حتماً عليهم لتعلّم أحكام دينهم الجديد.

٦ ـ وإنّ ممّا يدل على التّوجّه التّعليمي لدى التّابعين في القيروان أنّ أكثرهم قد بنوا مساجد إلى جانب دُورهم؛ ليُعلّموا النّاس فيها، مثل مسجد عُليّ بن رباح، ومسجد زياد بن أَنْعُم، ومسجد حَنَش الصّنعانيّ[(٢)]، هذا عدا مساجد أعضاء بعثة عمر بن عبدالعزيز كما سيأتي.

٧ ـ إنّ أكثر الأحاديث التي وصلتنا من رواية هؤلاء التّابعين تتعلّق بأحكام العبادات والمعاملات[(٣)]، والأدعية[(٤)]، وأحاديث الرّقائق، والتّحذير من الذّنوب[(٥)]،

(١) انظر: طبقات أبي العرب ٢٣، ٢٤.
(٢) انظر: الرياض ١/١١٩، ١٢١، ١٢٩.
(٣) انظر: الرياض ١/١١١، ١١٢، ١١٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٥٠، ١٥١.
(٤) م. ن ١/١٠٠، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٧، أبو العرب ١٨، ٨٠.
(٥) انظر: الرياض ١/١٠١، ١٠٥.

وضرورة الاستمساك بالفرائض والسّنن[1]، وآداب اليوم واللّيلة، وسنن الفطرة[2]، وفضل التّوحيد[3]، والتّرغيب في العلم، والتّحذير من التحديث بما لم يُسمع. . .

ومن هذا يظهر أنّ مرويّاتهم تكاد تكون شاملة لجميع ما يحتاجه الإنسان المسلم في أمور دينه بصفة عامّة.

٨ ــ وإنّ ممّا يُقوّي أثر هؤلاء التّابعين العلميّ في القَيْرَوان: تولّيهم لمناصب مؤثّرة، كالقضاء الذي تولّاه منهم ثلاثة على التّوالي هم: عبدالرحمٰن بن رافع التَّنُوخي، وعبدالله بن المُغيرة، وأبو علقمة الفارسيّ[4].

٩ ــ إنّ أكبر مهمّة لنشر السنّة في القيروان كانت من نصيب تلك البعثة التي أرسلها عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ هـ وتكوّنت من عشرة تابعين[5]؛ لتفقيه أهل القيروان وتعليمهم القرآن والسّنن، والحكم بينهم بمقتضى ذلك[6].

فإنّ الغرض الأوّل من قدومها كان نشر العلم، ولا بدّ أن نربط بين طبيعة هذه البعثة وبين اهتمام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بأمر السّنّة وحرصه على تدوينها ثم نشر المدوّن في الآفاق خشية ذهابه بموت حفّاظه[7]، قال الإمام البُخاري: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم[8]: «انظر ما كان من

---

(١) م. ن ١/١٠٢.
(٢) م. ن ١/١٢٣، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٤.
(٣) م. ن ١/١١٠، ١٣٦.
(٤) تاريخ قضاة القيروان خط ٢، ٣.
(٥) انظر مثلاً: المعالم ١/٢٠٣، الرياض ١/٩٩.
(٦) انظر: طبقات أبي العرب ٢٠، الرياض ١/٩٩، تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٦، المعالم ١/٢٠٣.
(٧) انظر: السنّة قبل التدوين ٣٢٨ - ٣٣٣.
(٨) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي ثم النجاري المدني، القاضي، عامل المدينة لعمر بن عبدالعزيز، وكان عالماً حافظاً، عابداً، أخرج له الجماعة، وأجمع النقاد على توثيقه، ت سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك، انظر: التهذيب ١٢/٣٨، التطريب ٢/٣٩٩، فتح الباري ١/٢٠٤، السنّة قبل التدوين ٣٣١، مقدمة الجرح ١/٢١.

حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا يُقبل إلّا حديث النّبيّ ﷺ وليُفشوا العلم، وليجلسوا حتّى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً»[1]، ونظر لاهتمام عمر بإفشاء السّنّة وتدوينها وتعليمها لمن يجهلها فقد اختار بعثته هذه إلى القيروان من كبار رواة الحديث، وأوصاهم بنشر السّنّة وتعليمها لأهل القيروان، ولذلك كان سبعة منهم من رجال الكتب السّتّة كما سيأتي في تراجمهم.

وقد دخل القيروان مع هؤلاء التّابعين أو بُعيد دخولهم حديثٌ كثيرٌ ممّا دوّنه محمد بن شهاب الزُّهْرِيّ (ت ١٢٤) لعمر بن عبدالعزيز، فقد روى ابن عبدالبرّ بسنده إلى ابن شهاب قال: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السُّنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[2].

فلا شكّ أنّ القيروان قد نالت نصيبها من هذا الخير؛ لبعدها عن مواطن العلم آنذاك واهتمام عمر بن عبدالعزيز بأمرها.

وقد حرص كلّ عضو في هذه البعثة على القيام بهذه المهمّة أحسن قيام، فبنى قرب داره مسجداً لعبادته ومجالسه، واتّخذ بقربه كُتّاباً لتحفيظ القرآن[3].

(١) أورده البخاري تعليقاً في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/٣٣، وأورده ابن سعد في طبقات مسنداً ٨/٤٨٠.

(٢) جامع بيان العلم ١/٧٦، وانظر: السنّة قبل التدوين ٣٣٧، وقد تقدم أن عمر بن عبدالعزيز قد أمر بالكتابة أبا بكر بن حزم، ولكن ابن شهاب كان أسرع في إنجاز هذه المهمة وكان تدوينه أوسع وأشمل، وقد توفي عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ هـ قبل أن يصله جمع أبي بكر، وقد اعتبروا أن ابن شهاب هو أول من دوّن السنة، ويُلاحظ أن عمر بن عبدالعزيز من فرط حرصه على السنّة وخشية ذهابها بموت الحفاظ لم يكتف بأن أمر هذين العالمين، بل إنه وجّه كتبه إلى الآفاق أن «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه»، الحديث ذكره ابن حجر في فتح الباري وعزاه إلى أبي نعيم في تاريخ أصبهان، وراجع بحوث في تاريخ السنة ٢٣١، ٢٣٢، السنة قبل التدوين ٣٣٢، مقدمة الجرح والتعديل ٢١، الحلية ٣/٣٦٣.

(٣) ورقات ١/٧٨، وانظر: الرياض ١/١٠٧، ١٠٨، ط أبي العرب ٢٠، ٢١.

ولذلك انتفع بهم أهل إفريقيّة، وبثّوا فيها علماً كثيراً، كما ورد في تراجمهم، وقد طال استقرارهم بها، واعتبرهم المالكي - مع بقية من استقرّ بها من التّابعين - الطّبقة الأولى من علماء القيروان[1]، فقد مكث فيها بَكر بن سَوادة أكثر من ثلاثين سنة، ومكث حِبّان بن أبي جَبَلَة حوالي خمسة وعشرين عاماً وعبدالله بن المغيرة أكثر من ثلاثين سنة، وهكذا طالت إقامة أكثرهم بالقيروان فلم يغادروها، حتّى تُوفّوا بها، وبذلك طال جلوسهم للتّفقيه، ونشر علوم الكتاب والسّنّة المنقولة بالرّواية، فازدهرت في عهدهم رواية الحديث، وتخرّج على أيديهم أفواج من العلماء، على رأسهم عبدالرحمٰن بن زياد (حوالي ٦٥ - ١٦١) الذي روى عن جميع من دخل القيروان من التّابعين[2].

وممّا يزيد في التّأثير العلميّ لهؤلاء العشرة، أنّ عمر بن عبدالعزيز قد اختار أكثرهم ممّن سبق دخوله القيروان، ومعرفته بأوضاعها، وظروف أهلها؛ حتّى يتمكّنوا من القيام بمهمّتهم بسهولة، فعبدالرحمٰن بن رافع كان بها من سنة ٨٠ هـ، وبَكر بن سَوادة كان فيها من حوالي سنة ٩٠ هـ، وكذلك عبدالله بن المغيرة وغيرهم.

ونظراً لأنّ مهمة هذه البعثة قد تمحّضت للجانب العلميّ، ونشر السّنّة وتعليم الحلال والحرام، فقد بالغ البعض في ذلك حتّى اعتبر «أنّ الخمر كانت عند أهل إفريقيّة حلالاً حتّى بعث عمر بن عبدالعزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا أنها حُرّمت». وقد روى هذا الخبر أبو العرب في طبقاته[3]، ونقله الباحثون دون أن يمحّصوه، فإنّ مثل هذا الخبر لا يثبت أمام الحقائق العلميّة والتاريخية؛ لأنّ الخمر حُرّمت بنصّ القرآن الكريم، وقد أدخله الصّحابة معهم، وعملوا على نشره منذ بداية الفتح، ثمّ إنّ الكتاتيب التي كان يتمّ فيها تحفيظ القرآن الكريم قد ظهرت في القيروان في وقت مبكّر بعد تأسيسها، وعلى أبعد الاحتمالات

(١) الرياض ١/٩٩.

(٢) انظر: ط أبي العرب ٢٤. (٣) أبو العرب ٢١.

يكون ظهورها سنة ٧٨ هـ استناداً إلى أقدم خبر وصلنا في ذلك[1]، أي قبل دخول البعثة باثنين وعشرين عاماً، ثمّ إنّ أفراد البعثة أنفسهم منهم من كان بالقيروان قبل تكليفه رسميّاً بعشرين سنة مثل عبدالرّحمن بن رافع التّنُوخي، ومن غير المعقول أن نقول إنّه سينتظر التّكليف الرّسمي ليعلّم النّاس هذا الحكم أو ليقرأ عليهم آية تحريم الخمر، كما أنّه لن يسكت إذا رأى من يشرب الخمر حتجى يبيّن له حكمه، هذا بالإضافة إلى أن أبا العرب ـ وهو المصدر الأوّل للخبر ـ قد علّق عليه بقوله: «يعني فشا ذكرها أنّها حرام»، كما لاحظت ذلك بحقّ صاحبة القراءات بإفريقيّة[2]، فيكون الخبر ـ إن صحّ ـ متعلّقاً بالقرى النّائية عن القيروان والتي لم ينتشر فيها التّعليم الدّينيّ في هذا الوقت المبكّر.

ولذلك فعندما ننوّه بالدّور العظيم الذي قامت به هذه البعثة في نشر علوم الكتاب والسّنّة والفقه الذي قوامه الرّواية، ينبغي ألاّ نتصوّر أنّهم بدأوا من فراغ فإنّ القيروان كانت تعجّ بالتّابعين قبل ذلك وكانوا يقومون بتعليم أهل البلاد وترسيخ أحكام الدّين علماً وعملاً.

وقد كان لهؤلاء العشرة آثار هامّة كذلك في نشر السّنّة العمليّة، والاعتقاديّة المضادّة للبدعة، وساعدوا وُلاّة الأمر المسلمين على مقاومة النّحل الخارجيّة وتركيز أحكام الإسلام بين البربر؛ فقد روى المالكي أنه «لمّا ثارت الخوارج على حَنْظَلة بن صَفْوان بطَنْجَة سنة ١٢٢ هـ جمع حنظلة علماء إفريقيّة، وهم الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز إلى إفريقيّة، ليفقّهوا أهلها في الدين، ومنهم سعد بن مسعود، وحِبّان بن جَبَلة، وطَلْق بن جابان وغيرهم، فكتبوا هذه الرّسالة ليقتدي بها المسلمون، ويعتقدوا ما فيها، وهي: «. . . فإنّ أهل العلم بالله وبكتابه وسنّة نبيّه ﷺ يعلمون أنّه يرجع جميع ما أنزل الله عزّ وجلّ إلى عشر آيات: آمرة

(١) وهو حديث غياث بن أبي شبيب، انظر مثلاً: الرياض ٩١/١، وقد تقدم تخريجه في مبحث الكتاتيب.

(٢) القراءات بإفريقية لهند شلبي ١٢٤.

وزاجرة، ومُبشِّرة، ومُنذِرة، ومُخبِرة، ومُحكَمة، ومشتَبِهة، وحلال، وحرام وأمثال، فآمرة بالمعروف، وزاجرة عن المنكر، ومُبشِّرة بالجنة، ومنذِرة بالنّار ومخبِرة بخبر الأوّلين والآخرين، ومُحْكَمة يعمل بها، ومتشابِهة يُؤمَن بها، وحلال أمرَ أن يُؤتى، وحرام أمرَ أن يُجتنب، وأمثال واعظة، فمن يُطِع الآمرة وتزجره الزّاجرة فقد استبشر بالمبشّرة وأنذرته المنذِرة، ومن يحلّل الحلال، ويُحرّم الحرام، ويردّ العلم فيما اختلف فيه النّاس إلى الله، مع طاعة واضحة، ونيّة صالحة، فقد فاز وأفلح وأنجح وحيي حياة الدّنيا والآخرة، والسّلام...»[1]
فهذه الرّسالة ميثاق عظيم الأهمّيّة يدلّ على غزارة علم أفراد هذه البعثة ووضوح مقاصد الشّريعة أمامهم حتّى لخّصوها في هذه الأسطر القليلة، ولا شكّ أنّ هذه الرسالة قد قُرئت على منابر المساجد في جميع أنحاء إفريقيَّة وانصاع لمحتواها الكثيرون.

وبالإضافة لهذه الآثار الدّينيّة والسّياسيّة فقد كانت لهؤلاء العشرة آثار اجتماعية كذلك، حيث أكثروا من بناء المساجد، وبنى بعضهم الأسواق والأحباس، واعتنوا بالمحتاجين.

وهكذا يتضح لنا أنّ علوم الدّين القائمة على الرّواية والدّراية قد فشت في القيروان على أيدي التّابعين عامّة، وأفراد البعثة خاصة، وقد طال مكوثهم بها معلّمين، فانتشرت السنّة، وتعلّمها الأفارقة، وشاعت الرّواية، وتُرجمت مضامينها إلى واقع يُلمس في حياة النّاس، غير أنّ الحروب الكثيرة التي جاءت في نهاية عهد التّابعين، والتي استشهد فيها كثير منهم، قد ذهبت بالكثير من آثارهم.

جـ ـ تراجمهم وتحقيقات تتعلّق ببعضهم:

سأسير في التّعريف بالتّابعين على نفس منهجي في الصّحابة من حيث الاقتصار على ذكر الجانب الحديثيّ للرّاوي، وماله صلة بأثره العلميّ في

---

(١) الرياض ١/١٠٢، ١٠٣.

القيروان، وذلك نظراً لكثرة عددهم، وحتّى لا أخرج عن الغرض من إيرادهم وقد قسّمتهم إلى أربعة أقسام: كبار التّابعين، العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز، نظراً لأهمّيّة الدّور الذي قاموا به في نشر السّنّة بالقيروان، بقيّة التّابعين الذين استقرّوا بها، وأخيراً التّابعين الذين نزلوا القيروان وبثّوا فيها العلم ثمّ عادوا إلى أوطانهم.

القسم الأوّل: كبار التّابعين:

وهؤلاء هم الذين سبق الحديث عنهم في صغار الصّحابة، وعددهم واحد وعشرون بالمُخضرَمين الثلاثة، وقد اخترت منهم هنا اثنين كان لهم أثر في نشر السّنّة بالقيروان: أحدهما سكنها وتوفّي بها، والآخر نزلها مدّة وبث فيها العلم ثم نزح عنها:

١ ـ **أبو منصور الفارسي**[١]: مولى سعد بن أبي وقاص: تردّد بعض العلماء في أمر صحبته، والصّحيح أنّه من كبار التّابعين، فقد جزم ابن أبي حاتم والبخاري، وتابعه ابن حَجَر في التّعجيل بأنّ حديثه مرسل، وذكر أبو العرب أنّه من كبار التّابعين وعدّه المالكي تابعيّاً.

وقد جعله البُخاري وابن أبي حاتم اثنين، والصّواب أنهما واحد، كما في كتب الأفارقة.

روى أبو منصور عن عبدالله بن عمر، وسعد مولاه، وعبدالرحمٰن بن عوف، وعنه عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ، ودُوَيْد بن نافع القُرَشي، وموسى بن وَرْدَان المصري، والنّعمان بن عامر المَعفري، وعبدالله بن الوليد. سكن القيروان، وطال مقامه بها إلى أن توفّي، وظهر بها أثره العلميّ؛ فقد كان يُعلّم

(١) انظر: أبو العرب ١٩، الرياض ١/١٣٣، المعالم ١/١٧٧، التجريد ٢/٢٠٦، الاستيعاب ٤/١٨١، الإصابة ٤/١٨٦، ٣/٦٢٥ (ترجمة ابنه يزيد)، حسن المحاضرة ١/٢٥٠، تعجيل المنفعة ٥٢١، الجرح والتعديل ٩/٤٤١، كنى البخاري ٩/٧١.

أهلها، ويفقّههم، ويقرئهم القرآن، ويفتيهم، ويصلي بهم، وقد وُصف بأنه «كان فقيهاً، مفتياً، قارئاً للقرآن، متفنّناً في العلم» كما في الرّياض والمعالم، وقد ذكرت بعض المصادر المشرقيّة أنه تولّى قضاء إفريقيّة، ولم يشر أحد من أهل المغرب إلى ذلك، لم أعثر عليه بين قضاة القيروان. حديثه في مسند أبي يعلي، وقد أثنى عليه الأفارقة، ولم أجد للنّقاد كلاماً حوله.

٢ ـ **كَيْسَان المَقْبُرِيّ**[١]: أبو سعيد، مولى بني لَيْث (ت ١٠٠): كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وهو من فضلاء كبار التّابعين، كان ثقة ثبتاً، كثير الحديث كما في التّهذيب وغيره، روى عن عمر، وعلي، وعبدالله بن سَلاَم، وعُقبة بن عامر، وغيرهم، وأكثر روايته عن أبي هريرة، دخل إفريقيّة سنة ٤٥ هـ، وتقدّم ذكر سؤاله لابن عمر في هذه الغزوة[٢]، ثمّ عاد إليها بعد ذلك فسكنها، وروى عنه أهلها، كما ذكر المالكيّ وتابعه الدّبّاغ، ثم رجع إلى المدينة، وروى عنه من أهل القيروان عبدالرحمٰن بن زياد، أخرج له الجماعة، وأحمد، ومالك، وسَحنون في المدونة، وغيرهم.

القسم الثّاني: التّابعون العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز لتفقيه أهل القيروان:

وجلّهم ممّن اشتهر بالرّواية؛ فإنّ سبعة منهم من رجال الكتب السّتّة، كما سيأتي في التّعريف بهم.

---

(١) الرياض ١٢٣/١، المعالم ١٧٨/١، ط خليفة ٢٤٨، مشاهير ٧١، تاريخ الإسلام ٧٦/٤، الإصابة ٣٠٠/٣، الاستيعاب ٩٤/٤. ط ابن سعد ٨٥/٥، أسد الغابة ٢١٢/٥، تجريد التمهيد ٥٧، الجرح ١٦٦/٧، ثقات ابن حبان ٣٤٠/٥، الخلاصة ٣٢٢، التقريب ١٣٧/٢، الكاشف ١١/٣، التاريخ الكبير ٢٣٤/٧، الاستغناء ٩٠٤/٢، كنى الدولابي ١٨٨/١، تهذيب الكمال ١١٥١/٣، القراءات بإفريقية ١٢١، التهذيب ٤٥٣/٨.

(٢) راجع مبحث أثر الصحابة في نشر السنّة بالقيروان.

وقد أجمعت المصادر على المهمّة التعليميّة الصّرفة لهذه البعثة، وأجمعوا على عدد أفرادها، إلا أنّ هناك اختلافاً حول أحد أعضائها، وهو: إسماعيل بن عُبَيد الأنصاريّ، فقد ساق أبو العرب خبره استطراداً ضمن العشرة، ثمّ قال: «وليس إسماعيل بن عُبَيد الأنصاريّ ممّن أرسله عمر بن عبدالعزيز إلى إفريقيّة»[1]، إلا أنّ من جاء بعده لم ينتبه لهذه الملاحظة، فعدّه المالكيّ منهم، وتابعه الدّبّاغ، ونقل عنهما الباحثون دون نقد، والصّواب أنه ليس منهم، كما صرّح بذلك أبو العرب، وهو أوّل من أورد أسماء أفراد البعثة فيما بلغنا[2]، وكلّ من جاء بعده تابع له. وفيما يلي التّعريف بهم:

١ ـ إسماعيل بن عُبَيد الله بن أبي المُهاجِر القُرَشيّ، مولاهم[3]، أبو عبدالحميد، (٦١ ـ ١٣١): كان محدّثاً فاضلاً ورعاً، أرسله عمر بن عبدالعزيز رئيساً للبعثة العلميّة، وأميراً على القيروان سنة ٩٩ هـ، فسار فيهم بالعدل، وعلى يديه أسلم من بقي من البربر، وعلّم أهل القيروان السّنن كما ذكر المالكيّ وكان خير والٍ وخير أمير، وكان في غاية الزّهد والتّواضع حريصاً على نشر العلم.

ومكث في القيروان معلّماً للنّاس، ناشراً للسّنّة، لمدّة ثلاث وثلاثين سنة، حيث توفّي بهذا سنة ١٣١ هـ.

---

(١) أبو العرب ٢٠.

(٢) يُلاحظ أن أبا العرب لم يعدّد منهم إلا ثمانية، وقد قال في بداية سرده لهم: «منهم...» أي إنه لن يستقصيهم.

(٣) انظر: أبو العرب ٢٠، الرياض ١/١١٥، المعالم ١/٢٠٣، ثقات العجلي ٦٥، تاريخ ابن معين ٢/٣٦، ثقات ابن حبان ٦/٤٠، تهذيب ابن عساكر ٣/٢٨، تاريخ الإسلام ٥/٢٢٦، فتوح مصر ٢١٣، ط خليفة ٣١٥، تاريخ إفريقية والمغرب ٩٧، الحلّة السيراء ٢/٣٣٥، مشاهير ١٧٩، أعلام ابن عاشور ١١، التهذيب ١/٣١٧، الكاشف ١/٧٦، التقريب ١/٧٢، الجرح ٢/١٨٢، الخلاصة ٣٥، التاريخ الصغير ١٤٧، التاريخ الكبير ١/٣٦٦، تهذيب الكمال ١/١٠٥، سير أعلام ٥/٢١٣، ورقات ١/٦٤، البيان المغرب ١/٤٨، حاشية الكواكب النيّرات ٢١٤، الإمام المازري ١١، القراءات بإفريقية ١٣٢.

روى عن جماعة من الصّحابة، وأدخل حديثهم[1] إلى القيـروان، منهم: أنس، وابن عمر، وعبدالرحمٰن بن غَنْم، وفَضَالة بن عُبَيد، وأم الدّرداء، وغيرهم، وروى عنه من أهل القيروان زياد بن أَنْعُم، وهو تابعيّ، وابنـه عبدالـرحمٰن بن زياد، وغيرهما، ولا شكّ أنّ تلاميذه بالقيروان كثيرون لطول بقـائه فيهـا، وقد أجمع النّقاد على توثيقه، وكان شديد الحفظ لحديث الرسول ﷺ، فقد روى عنه ابن عسـاكر أنـه قال: «ينبغي لنـا أن نحفظ حديث رسـول الله ﷺ كمـا نحفظ القـرآن»، أخرج لـه البُخاري، ومسلم، وأبـو داود، والنَّسـائي، وابن مـاجـه، وأحمد، وغيرهم.

٢ ــ بَكـر بن سَوادة الجُـذاميّ[2]، أبـو ثُمـامـة (ت ١٢٨ بـإفـريقيّـة على الصّحيح): دخل القيروان قبل البعثة بعدّة سنوات، فيكون مقامه بهـا أكثر من ثلاثين سنة، محدثاً، ومفتياً، وفقيهاً وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل إلى القيـروان حديث عـدد من الصّحابـة، منهم: عُقبة بن عـامر، وسهـل بن سعـد السّاعدي، وسفيان بن وهب الخَوْلاَنِيّ، كما روى عن جماعة من التّابعين منهم: سعيد بن المسيَّب، وابن شهاب الزُّهْرِيّ، وقد قارت شيوخُهُ الأربعين. روى عنه كثير من أهل القيروان، عرفنا منهم عبدالرحمٰن بن زياد، وأبو زُرعة الإفريقيّ.

---

(١) المقصود بالإدخال هنا وفيما سيأتي في تراجم التابعين أنهم نشروا حديث من رووا عنه ممن لم يدخل القيروان على ما هو معهود من حرص كل تابعي على نشر ما تحمّله، أما حديث من دخل القيروان فالمقصود أنهم توسّعوا في روايته؛ إذ إن الفرصة لم تكن سانحة لأولئك الصحابة بنشر جميع ما تحمّلوه عن النبي ﷺ في إفريقية والقيروان كما تقدم.

(٢) الرياض ١/١١٢، المعالم ١/٢١٢، بغية الملتمس ٢٣٢، جذوة المقتبس ١٦٩، التكملة ١/٢١٥، نفح الطيب ٣/٥٦، سير أعلام ٥/٢٢٠، معجم الـطبراني ٤/١٦، ٢١٦، التمهيد ٢/١١٣، تاريخ الإسلام ٥/٤٨، فتـوح مصر والمغـرب ٦، أبو العـرب ٢٠، مشـاهير ١٢٠، ط خليفـة ٢٩٥، حسن المحاضـرة ١/٢٩٨، ط ابن سعـد ٧/٥١٤، التهذيب ١/٤٨٣، التقريب ١/١٠٦، الخلاصة ٥١، ثقات ابن حبان ٤/٧٦، الجرح ٢/٣٨٦، الكاشف ١/١٠٨، تهذيب الكمال ١/١٥٧. القراءات بإفريقية ١٣٦.

وكَـان ثقة في حـديثه، أخـرج له مسلم، والأربعـة، والبُخـاري تعليقـاً، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وعداده في المصريّين رغم طول مكثه بـالقيروان ووفاته بها، وهذه ظاهرة لاحظتُها كثيراً لدى علماء المشرق، فإنّهم كثيراً ما يعدّون الأفارقة في المصريّين.

٣ ــ جُعثُل بن عاهان الرُّعَيني القِتْبَـانِيّ[١]، أبو سعيـد (حوالي ١١٥ هـ): (وقيل فيه جَعْثَل وجُعَيل وليس بشيء)، عدّه أبو العرب وابن حَجَر وغيرهما في التّابعين، ولم يذكروا عمّن روى من الصّحابة، وكان مُحدّثاً فقيهاً مقرئاً، تولّى قضاء الجند بالقيروان، وبثّ فيها علماً كثيراً لمدّة زادت عن خمسة عشر عاماً، وروى عنه من أهل القيروان عُبيد الله بن زَحْر، وعبدالرحمٰن بن زياد، وبَكر بن سَوادة وهو زميله في البعثة العلميّة.

وثّقه أكثر النُّقاد، وأخرج له الأربعة وأحمد وغيرهم.

٤ ــ حِبَّان بن جَبَلة القُرَشي[٢]: مولاهم، ودفع الوهم بأنّ عمر رضي الله عنه أرسله لتفقيه أهل مصر (ت ١٢٥ وقيل ١٢٢ بالقيروان): أدخل إلى القيروان حديث جملة من الصّحابة، منهم: ابن عبّاس، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو، ووالده عمرو، وبقي يبثّ العلم في القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة، وقد

---

(١) الرياض ١/١١٤، المعالم ١/٢٠٢، أعلام ابن عاشور ١٣، حسن المحاضرة ١/٢٩٨، التهذيب ٢/٧٩، التقريب ١/١٢٨، الخلاصة ٦٥، الكاشف ١/١٢٧، الجرح ٢/٥٤٢، كنى البخاري ٩/٣٥، الإكمال ٢/١٠٧، تهـذيب الكمال ١/١٩٠، القـراءات ١٣٨، المغني في ضبط أسماء الرجال ٦٠، ٢٠٧.

(٢) الرياض ١/١١١، المعالم ١/٢٠٩، الشجرة ٢/٩٩، حسن المحاضرة ١/١٩٠، أعلام ابن عاشور ١٣، نفح الطيب ١/٢٧٨، ٣/٩، تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٦، الاستقصاء ١/٨٥، الإصـابة ١/٣٧٢، أبـو العرب مح ٨٤، الجرح ٣/٢٤٨، ٢٦٩، التهـذيب ٢/١٧١، التقريب ١/١٤٧، الخلاصة ٧٠، تهذيب الكمال ١/٢٢٤، الإكمال ٢/٣٠٨، ثقات ابن حبان ٤/١٨١، القراءات ١٤٢.

انتفع به أهلها، وروى عنه كثيراً منهم، كعبدالرحمٰن بن زياد، وعُبَيْد الله بن زَحْر، وموسى بن عُلَيٍّ بن رباح وغيرهم، وهو عند النُّقاد ثقة في حديثه، أخرج له البُخاري في الأدب المفرد، وابن سنجر في مسنده، والحاكم في المستدرك، وغيرهم، وقد وهِم من قال إنّ عمر رضي الله عنه أرسله ليُفقّه أهل مصر؛ لأنّه لم يدرك زمن عمر، كما وهَّم ابنُ حبّان من قال فيه: حيّان بالياء المثنّاة من تحت.

٥ ــ **سعد بن مسعود التُّجيبي**(١): أبو مسعود (ت بالقيروان)، ودفع الوهم بعدّه في الصّحابة: يروي عن جماعة من الصّحابة، منهم: أبو الدّرداء، ويروي عن النّبي ﷺ مرسلاً حتى وهم بعضهم فعدّه في الصّحابة، ولذلك نبّهت معظم المصادر على أنّه لا صحبة له، وقد سكن القيروان وبثّ فيها علماً كثيراً، وكانت مجالسه مليئة بالحِكم والمواعظ البليغة، وكان شديداً على الأمراء.

روى عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقيّ، وعُبيد الله بن زَحْر، وعبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدّبّاغ أنّه توفّي بالقيروان بعد أن بثّ فيها علماً كثيراً، ولم يذكر تاريخ وفاته.

٦ ــ **طَلْق بن جَعْبَان الفارسيّ**(٢) قيل: جابان، والصّواب الأوّل كما في الإكمال؛ تابعي، لقي ابن عمر وسأله، وأكثر روايته عن التّابعين، كان فقيهاً عالماً، روى عنه من أهل القيروان: موسى بن عُلَيّ، وابن أَنْعُم، ولم يذكروا مدّة إقامته بها ولا تاريخ وفاته.

---

(١) أبو العرب ٢١، الرياض ١/١٠٢، المعالم ١/١٨٤، الجرح ٤/٩٤، تهذيب ابن عساكر ٦/١١٣، أعلام ابن عاشور ١٢، الاستيعاب ٢/٤٧، أسد الغابة ٣/٢٩٥، التجريد ١/٣١٨، الإصابة ٢/٣٤، ثقات ابن حبان ٤/٢٩٧، التاريخ الكبير ٤/٦٤، القراءات ١٤٤.

(٢) أبو العرب ٢٠، الرياض ١/١١٧، الجرح ٤/٤٩١، أعلام ابن عاشور ١٣، ثقات ابن حبان ٦/٤٩١، المعالم ١/٢١٥، الإكمال ٢/١٠٨، التاريخ الكبير ٤/٣٤٩، القراءات ١٤٦.

٧ ـ عبدالرحمٰن بن رافع التَّنُوخيّ[١]، أبو الجهم (ت بالقيروان سنة ١١٣ هـ): دخل القيروان في وقت مبكّر، سنة ٨٠ هـ، وهو أجل قُضاتها، وذلك على عهد حسّان بن النّعمان، واستمر يبثّ فيها العلم ما يقارب ثلاثاً وثلاثين سنة، حتّى انتفع به خلق كثير من أهلها، كما في الرّياض وغيره.

وقد أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصّحابة عرفنا منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص.

وحدّث عنه من القرويّين: عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ، وعُبيد الله بن زَحْر الكِنَانِيّ، وبَكر بن سوادة الجُذامي، وغيرهم.

أخرج له البُخاري في الأدب المفرد وأبو داود، والتّرمذي، وابن ماجه في سننهم، والبسوي في المعرفة والتّاريخ، وغيرهم.

وقد ضعّف النُّقاد حديثه، قال البُخاري في التّاريخ الكبير: «في حديثه مناكير»، وهذا الإطلاق الذي عند البُخاري يُفسّره كلام ابن حبّان، حيث قال في الثّقات: «لا يحتجّ بخبره إذا كان من رواية ابن أَنْعُم، وإنّما وقع المناكير في حديثه من أجله»، وقال في مشاهير علماء الأمصار: «من ثقات المصريّين وإنّما وقعت المناكير في روايته من جهة الإفريقيّ لا من جهته»، ولعلّ سبب تضعيفهم له هو الحديث التّالي، حسبما يُفهم من كلام ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ومن تَكرُّر ذكر هذا الحديث في ترجمته في المصادر، وهو ما حدّث به

---

(١) أبو العرب ٢٠، الإكمال ١/١١٠، المعالم ١/١٩٨، الميزان ٢/٥٦٠، الفكر السامي ١/٣٠٤، أعلام ابن عاشور ١٣، ط خليفة ١٩٥، المعرفة والتاريخ ٢/٥٢٨، مشاهير ١٢١، تاريخ قضاة القيروان خط ٢، ط الخشني ٢٣٤، حسن المحاضرة ١/٢٦٠، التهذيب ٦/١٦٨، التقريب ١/٤٧٩، الخلاصة ٢٢٦، الكاشف ٢/١٤٥، ثقات ابن حبان ٥/٩٥، الجرح ٥/٢٣٢، المغني ٢/٣٧٩، تهذيب الكمال ٢/٧٨٥، التاريخ الكبير ٥/٢٨٠، الإمام المازري ١٢، القراءات ١٤٣.

عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ عن عبدالرحمٰن بن رافع، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحدث ـ يعني الرّجل ـ وقد جلس في آخر صلاته قبل أن يُسلّم فقد جازت صلاته»(١)، غير أنّ عبدالرحمٰن بن رافع لم ينفرد بهذا الحديث فقد تابعه عليه بَكر بن سَوادة كما جاء في سننِ الدّارقطني، وبَكر ثقة كما تقدّم في ترجمته قريباً، فعلّ هذا الحديث ممّا أخطأ فيه حفظ الإفريقي، كما أشار إلى ذلك الذّهبيّ في الميزان، والدّارقطني، والتّرمذيّ، وأحمد شاكر في حاشية سنن التّرمذي، وابن حبّان في المشاهير، وعليه فقد سلِم ابن رافع من الضّعف.

٨ ـ عبدالله بن المغيرة بن أبي بُرْدَة الكِنَانِيّ(٢) **(ت بعد سنة ١٢٣)**: وقد ذكر أبو العرب أنه قُرَشيّ من بني عبدالدّار.

كان مقيماً في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبدالعزيز بمدّة طويلة، وكان معروفاً لدى أهلهـا مشهوراً بينهم بالعدالة والتُّقى، وقد ولاّه عمر بن عبدالعزيز

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الرجل يُحدِث في التشهد ٢/٢٦١/٤٠٨، وقال: «هذا حديث إسناده ليس بذاك القوي.. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا... والإفريقي... ضعّفه بعض أهل الحديث»، وأخرجه أبو داود بمعناه في كتاب الصلاة، باب الإمام يُحدِث بعدما يرفع رأسه من آخر الركعة ١/٤١٠/٦١٧، وعلّق عليه الخطّابي بقوله: «هذا الحديث ضعيف، وقد تكلم الناس في بعض نقلته، وقد عارضَته الأحاديث التي فيها إيجاب التشهد، وأخرجه الدارقطني بمعناه في كتاب الصلاة باب من أحدث قبل التسليم ١/٣٧٩/١، ٢، ٣، وضعّفه بسبب الإفريقي»، وقال الشيخ أحمد شاكر في حاشية الترمذي ٢/٢٦١: «ومدار أسانيد هذا الحديث عليه الإفريقي)، ولعله مما أخطأ فيه حفظه».

(٢) ط أبي العرب ٢٢، الرياض ١/١٢٦، المعالم ١/٢١٠، ط الخشني ٢٣٤، تاريخ قضاة القيروان خط ٢، **تعجيل المنفعة** ٢٣٧، الجرح والتعديل ٥/١٧٥، نفح الطيب ٣/٦٠، أعـلام ابن عاشـور ١٢، فتوح مصـر ٢١٤، ثقات ابن حبـان ٥/٥٣، التاريـخ الكبير ٥/٢٠٥، ذيل الكاشف ١٦٥. وانظر عن عبيدالله: التقريب ١/٥٣٩، التهذيب ٧/٤٩، الكاشف ٢/٢٠٥، تهذيب الكمال ٢/٨٨٩.

قضاء القيروان سنة ٩٩ هـ، لِمَا علمه من فضله ودينه وعلمه، فاستمرّ في منصبه إلى أن استقال منه سنة ١٢٣ هـ، وكان زاهداً ورعاً عالماً، سار في أهل القيروان بالكتاب والسّنّة، ونشر العلم بينهم لمدّة طويلة زادت عن خمس وعشرين سنة.

روى عن النّبيّ ﷺ مرسلاً في الغُلول، وفي الوضوء من ماء البحر كما في المصادر، وروى عن سفيان بن وهب الخولاني، وعن المُدْلَجِي، وهو رجل من الصّحابة. وروى عنه من القرويّين عبدالرحمٰن بن زياد وغيره.

ذكره ابن حبّان في الثّقات، وأثنى عليه المصنّفون بالفضل والدّين والعلم، ولم أعثر على من طعن فيه بشيء.

وحديثه في الغُلول أخرجه مالك مرسلاً[1]، ولم يرمز له صاحب تعجيل المنفعة برمز مالك. وأمّا حديثه في الوضوء من ماء البحر فقد أخرجه البُخاري في التّاريخ الكبير، كما أخرج له الإمام أحمد في مسنده.

وقد عدّه بعضهم حجازيّاً، ولعلّ ذلك بسبب رواية يحيى بن سعيد الأنصاري عنه، وأحسب أنّه إنّما روى عنه عندما دخل يحيى إفريقيّة.

وقد ورد في تراجم رجال الكتب الأربعة ذكر رجل اسمه عُبَيْد الله بن المغيرة بن أبي بُردة الكنانيّ ـ وعليه رمز ابن ماجه ـ وذكر ابن حجر أنّه يقال فيه عبدالله مكبراً أيضاً، وقد اشترك في الذي معنا في الاسم والطّبقة وبعض التلاميذ إلاّ أنّ شيوخهما مختلفون، ويمكن أن يلتبس كلّ منهما بالآخر، غير أنّ المزّي دفع ذلك بقوله في ترجمة «عبيد الله»: «أخو عبدالله بن المغيرة بن أبي بُـرْدة» فيكون ابن حجر قد وهم حين اعتبرهما واحداً. ولم يذكره السيوطي في إسعاف المبطّأ وهو من شرطه.

---

(١) موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغُلول ٣٦٧/٣٠.

٩ ـ عبدالله بن يزيد المَعَافري الحُبُليّ[1]، **أبو عبدالرحمٰن (ت ١٠٠ بالقيروان على الصحيح)**: دخل القيروان في زمن مبكّر، ولعلّ ذلك كان مع موسى بن نُصير سنة ٨٦ هـ؛ لأنّه شهد معه فتح الأندلس، ثم عاد إلى القيروان، فسكنها وبنى بها داراً ومسجداً، ثم عُيّن ضمن أفراد البعثة العلميّة إلا أنّ وفاته كانت سنة ١٠٠ هـ، أي بعد سنة واحدة من التّكليف الرسميّ، ومع ذلك فقد قال عنه المالكيّ: «فانتفع به أهل إفريقيّة، وبثّ فيها علماً كثيراً». وهذا دليل على أنّه كان يعلّم قبل التّكليف الرّسمي بكثير؛ لأنّ سنة واحدة لا يصدق عليها وصف المالكيّ.

أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصّحابة ممّن لم يدخلها، وزاد في إفشاء حديث من دخلها، منهم: ابن عمر، وعُقبة بن عامر، وابن عمرو، وأبو ذرّ، وفَضالة بن عُبيد، وجابر بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري، المُنَيْذِر الإفريقيّ وغيرهم، وروى عنه من أهلها عبدالرحمٰن بن زياد، وأبو كُريب، جميل بن كُريب القاضي (ت ١٣٩)، وغيرهما.

وكان رجلاً صالحاً ورعاً شديد الإقبال على نشر السّنّة، وكان تأثيره في الحياة العلميّة ـ وخاصة الجانب الحديثيّ منها ـ بالقيروان كبيراً، وقد بني فيها مسجداً لمجالسه العلميّة.

أجمع النّقّاد على توثيقه، وحديثه عند مسلم، والأربعة، وابن وهب في جامعه، وأحمد وغيرهم.

---

(١) الرياض ١/٩٩، المعالم ١/١٨٠، أبو العرب مح ٨٦، الحلل ١/٢٣٧، ط ابن سعد ٧/٥١١، هـ خليفة ٢٩٣، مشاهير ١٢١، الكاشف ٢/١٢٨، التهذيب ٦/٨١، تاريخ ابن الفرضي ١/٢٥٠، الفكر السامي ٢/٥١٣، التاريخ الكبير ٥/٢٢٦، تاريخ ابن معين ٢/٣٣٨، تاريخ الإسلام ٤/٨١، فتوح مصر والمغرب ٥، التقريب ١/٤٦٢، ثقات العجلي ٢٨٣، ثقات ابن حبان ٥/٥١، حسن المحاضرة ١/٢٦٠، الجمع ١/٢٨١، تهذيب الكمال ٢/٧٥٧، الاستغناء ٢/٧٩٣، الإمام المازري ١١، القراءات ١٤٧.

١٠ ـ **مَوَهَب بن حَيّ المَعَافِرِيّ**[1]: وقد ذكر ابن أبي حاتم أنّ هناك من قلبه إلى: حَيّ بن مَوهَب وأنّ أبا زرعة قد صحّح ذلك، غزا إفريقيّة قديماً؛ لأنّه سأل ابن عبّاس المتوفّى سنة ٦٨ هـ عن آنية أهل المغرب كما في الـرّياض والمعالم، وهو من أفراد بعثة عمر، وقد سكن القيروان، وبثّ فيها علماً كثيراً، وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلى القيروان حديث ابن عبّاس وغيره، وروى عن النّبيّ ﷺ مرسلاً. وروى عنه من أهل القيروان عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ.

ولم تظهر المصادر حاله من حيث التّعديل والتّجريح.

القسم الثّـالث: التّابعـون الذين سكنـوا القيروان غيـر العشرة، وهم عشرون رجلاً، منهم عشرة من رجال الكتب السّتّة:

١ ـ **إسماعيل بن عُبيد مولى الأنصار** (ت ١٠٧)[2]: المعروف بتاجر الله، وردّ احتمال كونه إسماعيل بن عُبَيد الله بن رِفَاعة الأنصاري، وقد وهم من عدّه ضمن العشرة كما تقدّم: سكن القيروان قديماً، وبنى فيها مسجد الزّيتونة سنة ٩١ هـ، كما بنى فيها سوقاً، وحبّس كثيراً من المرافق، وكان تاجراً كثير البذل والمعروف، جعل ثلث كسبه لله، فسُمّي إسماعيل تاجر الله.

أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصّحابة، منهم: ابن عبّاس، وابن عمر، وابن عمرو، وجلس ينشر العلم بالقيروان أكثر من ١٧ سنة، «فانتفع به

---

(١) أبو العرب ٢٠، الرياض ١/١١٠، المعالم ١/٢١٣، أعلام ابن عاشور ١٣، الجـرح ٣/٢٧٦، ٨/٤١٥، القراءات ١٤٨، التاريخ الكبير ٤/٣٤. وقد ورد الاسم مصحّفاً عند أبي العرب «حد»، وعند الدبـاغ والبخاري «حبي»، والصواب ما أثبت كما في الجرح والتعديل.

(٢) أبو العرب ٢٠، ٢٥، الرياض ١/١٠٦، المعـالم ١/١٩١، الفكر السـامي ١/٣٠٤، أعلام ابن عاشور ١٢، ثقات ابن حبان ٤/٢٠، الإمام المازري ١٣، القراءات بإفريقية ١٣١، وانظر عن ابن رفاعـة: التهذيب ١/٣١٨، ثقـات ابن حبان ٦/٢٨، الخـلاصة ١/٣٥، تهذيب الكمال ١/١٠٥.

خلق كثير من أهلها، وغيرهم، وبثّ فيها علماً كثيراً»، كما في الرِّياض وغيره، وروى عنه من أهلها مسلم بن يسار، وعبدالرحمٰن بن زياد، وبَكر بن سَوادة، وغيرهم، وقد وثّقه أهل إفريقيّة.

وقد ذكر ابن حَجَر في التّهذيب، في ترجمة إسماعيل بن عُبيد بن رِفاعة بن رَافع أنه ربّما يكون هو إسماعيل بن عُبيد الأنصاري قلت: وقد تبيّن لي اختلافهما؛ إذ لم يذكر أهل الصّناعة لهما تلاميذ أو شيوخاً مشتركين، فإنّ ابن رفاعة لم يرو عنه إلّا عبدالله بن عثمان بن خُثَيْم، وروى عن أبيه عن جده، وقد عدّ ابنُ حبّان الذي معنا في التّابعين، والآخر في أتباع التّابعين، والذي معنا من الموالي، ولم يوصف الآخر بذلك، وقد فرّقت بينهما المصادر.

٢ ــ حَنَش بن عبدالله السّبائيّ الصّنعاني ثم الإفريقيّ[(١)]، **أبو رِشْدين (ت ١٠٠ بالقيروان)**: يُنسب إلى صَنْعَاء الشّام لا صَنْعَاء اليَمَن، وقد وهّم الذّهبيّ في السّير والتّاريخ من اعتبره هو صاحب عليّ رضي الله عنه؛ لأنّ ذاك حَنَش بن رَبيعة أو ابن المَعْتَمِر، كوفيّ فيه لين، مات قبل التسعين.

يعتبر حَنَش هذا من أكثر التّابعين استقراراً بالقيروان، وأكثرهم نشراً للسّنّة فيها، فقد قدِمها مع ابن حُديج سنة ٤٥ هـ، وشهد فتح جَرْبَة سنة ٤٧ هـ، وكان مع عُقبة في تأسيس القيروان (٥٠ ـ ٥٥)، واستمرّ فيها مع أبي المهاجِر، ثم مع عُقبة في غزوته الثّانية، وخرج منها لمّا دخلها كُسيْلة، ثمّ عاد إليها واستقرّ بها، وهو أوّل من وَلِي عشور إفريقيّة، وذلك على عهد حسّان بن النُّعمان.

---

(١) الرياض ١/١٢١، المعالم ١/١٨٧، تاريخ ابن الفرضي ١/١٤٨، جذوة المقتبس ١٨٢، سير أعلام ٤/٤٩٢، نفح الطيب ١/٢٧٨، ٣/٧، المعجم الكبير ١٢/٢٣٦، المعرفة والتاريخ ٢/٥٣٠، تاريخ الإسلام ٣/٣٦١، البداية والنهاية ٩/١٨٧، تهذيب ابن عساكر ٥/١٠، بغية الملتمس ٢٦٣، أبو العرب ١٨، ط ابن سعد ٥/٥٣٦، الجرح ٣/٢٩١، التاريخ الكبير ٣/٩٨، طبقات الفقهاء ٧٤، الكاشف ١/١٩٥، التقريب ١/٢٠٥، الخلاصة ٩٥، ثقات العجلي ١٣٦، ثقات ابن حبان ٤/١٨٣، التهذيب ٣/٥٧، تهذيب الكمال ١/٣٤٢، القراءات ١١٤، رحلة التجاني ١٢٤.

أدخل إلى القَيْرَوان حديث جملة من الصّحابة ـ وقد سمع من بعضهم في إفريقيّة ـ منهم: رُويفع بن ثابت، وابن عبّاس، وفَضالة بن عُبيد، وأبو هُريرة، وأبو سعيد الخُدْريّ، وابن مسعود، وكعب الأحبار، وغيرهم.

وروى عنه من أهل إفريقيّة: عبدالرحمٰن بن يزيد، وخالد بن أبي عِمران، وعُلَيّ بن رَباح، وبَكر بن سَوادة، وغيرهم.

وقد بنى فيها مسجداً يُنسب إليه، كان يجلس فيه لنشر العلم، وكان ورعاً فاضلاً صاحب معروف، وهو عند النُّقاد ثقة في حديثه، أخرج له مسلم، والأربعة، وابن وهب في جامعه، والطّبراني في الكبير، وغيرهم.

٣ ـ رَبيعة بن يزيد الإيَاديّ(١)، **أبو شَعَيب الدّمشقي القَصِير** (ت ١٢٣ **بإفريقيّة**): دخل القيروان مع جند الشّام، واستشهد بها في قتال الخوارج سنة ١٢٣ هـ، وهو أحد العُبّاد، الزّهّاد، الثّقات، روى عن جماعة من الصّحابة، منهم: عبدالله بن عمرو، والنُّعمان بن بَشير، وواثِلة بن الأَسْقَع، وغيرهم، وقد ذكر المالكيّ والدّبّاغ أنه استوطن القيروان وكان مشهوراً، إلاّ أنّي لم أعثر على من تتلمذ عليه من أهلها، ولعلّه لم يمكث فيها طويلاً، خاصّة إذا صحّ دخوله مع كُلثوم بن عِياض سنة ١٢٢ هـ، وقد أجمع النُّقاد على توثيقه، وأخرج له الجماعة وغيرهم.

٤ ـ زِياد بن أَنْعُم الشَّعَبانيّ، الإفريقيّ(٢)، **أبو عبدالرحمٰن**: دخل القيروان سنة ٦٩ هـ مع زُهَير بن قَيس حين استردّ القيروان من كُسَيْلَة، واستوطنها وبها

---

(١) الرياض ١/١٣١، المعالم ١/٢٠٦، ط خليفة ٣١٣، مشاهير ١١٤، ط ابن سعد ٧/٤٦٥، التاريخ الكبير ٣/٢٨٨، الجرح ٣/٤٧٥، تاريخ الإسلام ٥/٦٨، التهذيب ٣/٢٦٤، ثقات العجلي ١٥٩، ثقات ابن حبان ٤/٢٣٢، الخلاصة ١١٦، الكاشف ١/٢٣٩، التقريب ١/٢٤٨، تهذيب الكمال ١/٤١٠، القراءات ١٢٠.

(٢) ط أبي العرب ٢١، الرياض ١/١٢٩، المعالم ١/٢٢٠، الميزان ٢/٨٧، التهذيب ٣/٣٥٤، التقريب ١/٢٦٥، الخلاصة ١٢٣، ثقات ابن حبان ٤/٢٥٢، معجم الطبراني ٤/٢١٥، الإكمال ٣/٣٨٢، تهذيب الكمال ١/٤٣٧.

كانت وفاته، واتخذ بها مسجداً لعبادته ومجالسه العلمية، يروي عن والده أَنْعُم، وعن أبي أيّوب الأنصاري، وابن عمر.

وروى عنه ابنه عبدالرّحمٰن، وقد ذكر الذّهبيّ أنّه لم يرو عنه غيره، قلت: ولعلّ ذلك على المشهور؛ إذ إنّه كان معروفاً بالرّواية، ونشر العلم، وذلك يقتضي أن يكثر تلاميذه.

وقد اتّفقوا على توثيقه، وحديثه عند البُخاري في الأدب المفرد، والطّبراني في الكبير، وغيرهما.

ولم يؤرّخوا وفاته، وهو من الطّبقة الوسطى من التّابعين.

٥ ــ **زِياد بن مُسلم الغِفاريّ**[1]: انفرد بذكره أبو العرب، وعدّه في التّابعين من أهل إفريقيّة، وذكر أنّه روى عنه عبدالرحمٰن بن زياد، وقد وجدت في المصادر زياد الغِفاريّ له صحبة، وليس هو الذي معنا؛ إذ لم يقل فيه أحد أنه زياد بن مسلم، وهو صحابي، والذي معنا تابعيّ، وقد روى عنه ابن أَنْعُم الإفريقي وهو بالإتفاق من أتباع التّابعين. فلو كان زياد بن مسلم هو الصّحابي لنبّه أبو العرب على ذلك، ولعُدّ عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي من التّابعين.

٦ ــ **سلمان بن عامر السُّفيانيّ**[2]: ذكره أبوالعرب فيمن كان بالقيروان من الطّبقة الثّانية من التّابعين، روى عنه عبدالرحمٰن بن زياد.

٧ ــ **عبّاد بن عبدالصمد**[3]، **أبو مَعْمَر**: بصريّ، أوطن القيروان، واشتهر

---

(١) ط أبي العرب مح ٩١، وانظر عن زياد الغفاري: الإصابة ١/٥٤١، الاستيعاب ١/٥٤٦، التجريد ١/١٩٥، أسد الغابة ٢/٢١٧.

(٢) طبقات أبي العرب مح ٩١.

(٣) ط أبي العرب ٢٦، الرياض ١/١٣٨، المعالم ١/٢٢١، الجرح ٦/٨٢، الميزان ٢/٣٦٩، المجروحين ٢/١٧٠، المغني في الضعفاء ٢/٣٢٦، الضعفاء الكبير ٣/١٣٨، الكامل ٤/١٦٤٨، بيان خطأ البخاري ٧٥، لسان الميزان ٦/٢٣٢، الديوان ٣٦٦.

بها لكثرة الآخذين عنه من أهلها، كما قال أبو العرب، وكان يُحدّث في مسجد أبي الفتح بالقيروان.

يروي عن أنس بن مالك، وعبدالرحمٰن بن غَنم من الصّحابة، وروى عن جماعة من التّابعين، منهم: الحسن البصريّ، وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جُبير.

وكان يُطعَن عليه في سماعه من الصّحابة، فقد كان يحيى بن سلّام (ت ٢٠٠) يمرّ به وهو يحدّث عن الصّحابة فيقول له: «يا شيخ، لو قلت: بلغني عن أنس بن مالك، وعن ابن غَنم لكان أشبه بك»، ونفى ابن حبّان سماعه من أنس، غير أنّ الإمام البُخاري جزم بسماعه من أنس، وهو الصّحيح.

وقد عدّه البُخاريّ شخصين، ووهّمه أبو حاتم وأبو زُرعة، والصّواب أنه شخص واحد.

سمع منه بشر كثير من أهل القيروان، منهم: رَباح بن ثابت الأزديّ، ويحيى بن سليمان، ومحمد بن عِياض المعلّم، ومِقْسَم بن عُبَيد الله الأزديّ.

وقد وهّاه النُّقاد وتركوه؛ لكثرة ما في حديثه من الغرائب والمناكير، بل إنّه حدّث عن أنس بنسخة كلّها موضوعة، مع غلّوه في التّشيّع، ومِمّا يؤيد ذلك ما ورد في مصادر ترجمته من الأخبار الباطلة، والتي جاء كثير منها في فضائل علي والتّنقيص من معاوية رضي الله عنهما.

ومن طريق أبي معمر دخل القيروان كثير من الأحاديث المنكرة والموضوعة، وقد انتقل في آخر حياته إلى قَصْطِيلِيَة[1]، وبها كانت وفاته.

وله ولد ثقة يقال له: أبو عاصم، سكن المغرب أيضاً، غير أنّ المصادر لم تبرز أثره العلمي.

---

(١) قَصْطِيلِيَة، وتكتب أيضاً بالسّين بدل الصّاد، وهي مدينة كبيرة في بلاد الجريد بجنوب غرب إفريقية، انظر عنها: معجم البلدان ٣٤٨/٤، ٥٧/٢، ٥٨ (مع توزر).

٨ ـ عبدالرحمٰن بن أُسْمَيْفَع بن وَعْلة السّبائيّ، المصري، ثم الإفريقيّ[(١)]:
وقد يُنسب إلى جدّه، وهو حجازي نزل مصر، ثم انتقل إلى القيروان، فسكنها وله بها مسجد، وقد دخلها مبكّراً؛ إذ قد صح سؤاله لابن عبّاس[(٢)] عن آنية البربر، وقد توفّي ابن عبّاس سنة ٦٨ هـ.

روى عن ابن عباس ولازمه، وروى عن ابن عمر، وروى عنه من أهل القيروان: عبدالرحمٰن بن زياد وغيره، وكان مُتقناً عابداً، وثّقه أغلب النُّقاد: ابن حبّان، والنَّسائي، وابن مَعين، والعِجليّ، ويعقوب بن سفيان، وتابعهم الذّهبيّ والخزرجيّ، وقد انفرد الإمام أحمد بتضعيفه في حديث الدِّباغ. وقال ابن حجر: صدوق.

والخلاصة في حاله أنه ثقة، فقد احتجّ به الإمام مسلم في صحيحه، وأخرج له الأربعة، ومالك في الموطّأ وغيرهم. وحديث الدِّباغ الذي ضعّفه أحمد فيه رواه الإمام مسلم وغيره من طريقه[(٣)].

---

(١) الرياض ١/١٣٠، المعالم ١/١٩٥، مشاهير ١٢٠، حسن المحاضرة ١/٢٦٠، المعرفة والتاريخ ٢/٥٣٠، الجرح ٥/٢٩٦، التهذيب ٦/٢٩٣، الخلاصة ٢٣٦، التقريب ١/٥٠٢، ثقات العجلي ٣٠٠، تاريخ ابن معين ٢/٣٦١، ثقات ابن حبان ٥/١٠٥، تهذيب الكمال ٢/٨٢٤. الإكمال ١/٩٠، التاريخ الكبير ٥/٣٥٩، تجريد التمهيد ٤٣، ٤٤، المغني في ضبط أسماء الرجال ٢١.

(٢) انظر: صحيح مسلم ١/٢٧٨/١٠٦، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة.

(٣) عن ابن وعلة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دُبغ الإهاب فقد طهر». أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة ١/٢٧٧، ١٠٥، ومالك في الصيد، باب ما جاء في جلود الميتة ١٧/٤٠٥، وأبو داود في اللباس، باب فيث أُهُب الميتة ٤/٣٦٧/٤٢١٣، والترمذي في اللباس، باب ما جاء في جلود الميتة ٤/٢٢١/١٧٢٨، والنّسائي في كتاب الفرع، باب جلود الميتة ٧/١٧٣، وابن ماجه في اللباس، باب لبس جلود الميتة ٤/٢٢١/١٧٢٨.

٩ ـ عُلَيّ بن رباح بن قَصير اللَّخمي[1]، أبو عبدالله (١٥ ـ ١١٤ وقيل غير ذلك): دخل إفريقيّة غازياً مع موسى بن نُصير سنة ٨٦ هـ، وبقي فيها إلى أن توفّي، فيكون مُقامه بها يقارب الثلاثين عاماً، قضاها في نشر العلم والرّواية بالقيروان، وقد بنى فيها مسجداً لمجالسه، وكان فاضلاً غزير العلم «انتُفع به، وتفقّه على يديه أهل القيروان» كما في الرّياض، وقال الدَّبّاغ: «عند أهل إفريقيَّة من حديثه ما ليس عند المصريّين»، وقد أدخل إلى القيروان حديث أكثر من اثني عشر صحابياً، منهم: ابن عبّاس وأبو هريرة، وهو راويتهما كما في الرّياض، وفضالة بن عُبيد، ومعاوية بن حُديج، وعُقبة بن عامر، وعمرو بن العاص، وابنه عبدالله، وغيرهم.

وقد كثر تلاميذه من أهل القيروان، ولكن لم نعرف منهم إلا ابنه موسى. وكان كثير الحديث، يستذكر حديثه لئلاّ ينساه، كما في تهذيب الكمال، وتاريخ ابن الفرضي وغيرهما.

وقد أشاد المصنّفون بعلمه وفضله، واتّفق النُّقّاد على توثيقه، أخرج له البُخاري في الأدب، ومسلم، والأربعة، والطّبراني في الكبير، والفسويّ في المعرفة والتّاريخ، وابن وهب في الجامع، ومالك في الموطأ، وغيرهم.

---

(١) أبو العرب ١٩، الرياض ١/١١٩، المعالم ١/٩٩، المعجم الكبير ١/١٥٢، التمهيد ٤/٢٦، المعرفة والتاريخ ٢/٤٩٠، سير أعلام ٥/١٠١، فتوح مصر ٢٣٢، تاريخ الإسلام ٤/٢٨٢، تاريخ ابن الفرضي ١/٢٥٤، تهذيب الأسماء ١/٣٥٢، نفح الطيب ١/٢٧٨، ٣/٨، ط خليفة ٢٩٣، مشاهير ١٢١، حسن المحاضرة ١/٢٩٧، ط ابن سعد ٧/٥١٢، الجرح ٦/١٨٦، الخلاصة ٢٧٣، التقريب ٢/٣٧، الكاشف ٢/٢٤٧، التهذيب ٧/٣١٨، تهذيب الكمال ٢/٩٦٧، ثقات العجلي ٣٤٦، ثقات ابن حبان ٥/١٦١، التاريخ الكبير ٦/٢٧٤، المراسيل للرازي ١١٨، سير أعلام ٧/٤١٢، القراءات ١١٣.

١٠ ـ عُمارة بن غُراب التُّجيبيّ[1]، **أبو غُراب**: دخل إفريقيّة عدّة مرّات غازياً، ثمّ سكن القيروان، وحدّث بها عن عائشة، وعن جماعة من التّابعين، أكثر المصادر على أنّه تابعيّ، وانفرد ابن حبّان بذكره في ثقات أتباع التّابعين.

وقال المشارقة إنّما كان سماعه عن عائشة بواسطة عمّه أو عمّ له، بينما جاء التّصريح بسماعه من عائشة في الرّياض والمعالم.

روى عنه من أهل القيروان: عبدالرحمٰن بن زياد، أخرج له البُخاري في الأدب، وأبو داود في سننه.

أثنى القرويّون عليه وأشادوا بفضله، غير أنّ نُقّاد الحديث من غيرهم ضعّفوه؛ فقال أحمد: «ليس بشيء»، وقال الذّهبيّ: «ضُعِّف»، وتابعهما غيرهما كما في مصادر الترجمة.

وقال ابن حبّان في الثقات: يُعتبر به من غير رواية الإفريقي، وفي هذا إشارة إلى أنّه قد اطلع له على رواية من غير طريق الإفريقيّ، غير أنّ المصادر لم تسعفنا بذكرها، ولذلك فقد جهّله ابن حَجَر في التّقريب.

وقد أشار الخزرجيّ إلى أنّ غير أحمد وثّقه، ولم أعثر على شيء من ذلك في المصادر، ولعلّه اعتبر ذكر ابن حبّان له في الثقات توثيقاً، مع أنّ عبارته السّابقة تلتقي مع القول بتضعيفه، وهو الرّاجح من حاله.

---

(١) الرياض ١/١٢٨، المعالم ١/١٢٧، أسد الغابة ٤/٥، التجريد ١/٣٩٦، الإصابة ٣/١٧٠، ثقات ابن حبان ٧/٢٦٢، التقريب ٢/٥٠، الكاشف ٢/٢٦٤، الخلاصة ٢٨٠، التهذيب ٧/٤٢٢، تهذيب الكمال ٢/١٠٠٢، الجرح ٦/٣٦٨، الميزان ٣/١٧٨، التاريخ الكبير ٦/٥٠٠، الإكمال ٧/١٣، المغني في ضبط أسماء الرجال ١٨٩.

١١ ــ **عِمران بن عَبْد المَعَافريّ**[(١)]، **أبو عبدالله**: وقيل في اسم أبيه عُبيد، وعبدالله، عدّه أبو العرب من أهل إفريقيّة، واعتبره غيره مصريّاً.

روى عن عبدالله بن عمرو، ولم أجد من حدّث عنه غير الإفريقيّ.

أخرج حديثه أبو داود وابن ماجة.

اختلف فيه النُّقاد، وضعّفه أكثرهم، فقد وثّقه العجلي وابن سفيان وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال: «يعتبر بحديثه من غير حديث عبدالرحمٰن بن زياد عنه».

وضعّفه ابن معين وتابعه الذّهبيّ والسّيوطي، كما ضعّفه ابن حَجَر والعُقَيلي، وعلّق ابن حجر على ما ذهب إليه ابن حبّان بقوله: «فكأنّه لم يوثقه لأنّه ليس له راو غير الإفريقي»، والخلاصة في حاله أنّه ضعيف.

١٢ ــ **عُمارة بن راشد بن سليم الكنانيّ**[(٢)] (ت حوالي ١٠٠): ويقال فيه عمرو والمشهور الأوّل، أصله من الشّام واستوطن إفريقيّة، وكانت أكثر إقامته في مدينة تونُس، روى عن أبي هريرة وعن بعض التّابعين، ولا تصحّ له صحبة ولا رواية.

وروى عنه من أهل القيروان: عبدالرحمٰن بن زياد، وحديثه في مسند أبي يعلى، وقد ذكره ابن حبّان في الثّقات واستدرك الذّهبيّ في الميزان على من اعتبره مجهولاً، وقال: «روى عنه جماعة، ومحلّه الصدق»، وبهذا ارتفع عنه

---

(١) أبو العرب ٢٣، ٢٤٧، الرياض ٦/٣٦٥، أسد الغابة ٤/٤٨، التجريد ١/٣٩٥، الميزان ٣/١٧٦، ثقات ابن حبان ٥/٢٤٤، الإصابة ٣/١٧٠، اللسان ٤/٢٧٧، التاريخ الكبير ٦/٤٤٩.

(٢) أبو العرب ٢٣، ٢٤٧، الجرح ٦/٣٦٥، أسد الغابة ٤/٤٨، التجريد ١/٣٩٥، الميزان ٣/١٧٦، ثقات ابن حبان ٥/٢٤٤، الإصابة ٣/١٧٠، اللسان ٤/٢٧٧، التاريخ الكبير ٦/٤٤٩.

الوصف بالجهالة، ولكن يبقى الضّعف في حديثه من جهة الضّبط لدلالة عبارة الذهبي على ذلك.

١٣ ـ أبو عَلْقَمة الفارسي[١]**، مولى عبدالله بن عبّاس، (ويقال حليف الأنصار)**: سكن القيروان قديماً وأوطنها، وبها كانت وفاته، وقد طال استقراره بها؛ لأنّه تولى القضاء بعد سنة ١٢٣ هـ، وقد بثّ فيها علماً كثيراً، وانتفع به أهلها، وأدخل إليها حديث جماعة من الصّحابة، منهم: أبو هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن عفّان، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه من أهل إفريقيّة: عبدالرحمٰن بن زياد، وخالد بن أبي عِمران، وروى عنه ممّن دخلها: زُهرة بن مَعْبَد.

أخرج له مسلم، والأربعة، وقد اتّفق النّقاد على توثيقه، ووُصف بسعة العلم والفقه.

١٤ ـ أبو غُطَيْف الهُذَلِيّ[٢]: ويقال عُطَيف وغُضَيف، وقيل في اسمه: جُنْدُب بن بِشر، وحبيب بن بشر، وقيل بشر.

استوطن مدينة القيروان وبها توفّي، وأدخل إليها حديث بعض الصّحابة، منهم: ابن عمر، وعليه معتمده في الرّواية.

وروى عنه من أهل القَيْرَوان: بَكر بن سَوادة، وعبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ، وموسى بن عُلَيّ بن رباح. وحديثه عند أبي داود، والتّرمذي، وابن ماجه.

---

(١) الرياض ١/١٣٤، المعالم ١/٢١٨، الجرح ٩/٤١٩، التقريب ٢/٤٥٢، التهذيب ١٢/١٧٣، ثقات العجلي ٥٠٦، الكنى للبخاري ٩/٥٩، ثقات ابن حبان ٥/٥٧٦، حسن المحاضرة ١/٢٩٥، تاريخ قضاة القيروان خط ٣٥، الكاشف ٣/٣١٧، الخلاصة ٤٥٥، الاستغناء ٣/٣٢٣، التقريب ٢/٤٦١، التهذيب ١٢/١٩٩، الخلاصة ٣٥٧، اللسان ٧/٤٧٨، تهذيب الكمال ٣/١٦٣٦، الاستغناء ٣/١٤٩٧.

(٢) الرياض ١/١٢٢، المعالم ١/٢١٥، ط أبي العرب مح ٩١، المعرفة والتاريخ ٢/٥٢٥، الجرح ٩/٤٢٢، الميزان ٤/٥٦١، الكاشف ٣/١٤٦٥، تهذيب الكمال ٣/١٦٢٨، القراءات ١١٢.

وقد اعتبره غير واحد من المشارقة مجهولاً، ولا يصحّ ذلك؛ لأنّه قد روى عنه ثلاثة على الأقّل، فلا يُعتدّ بوصفهم له بالجهالة، كما لا يعتد بعدم معرفة أبي زُرعة له، فقد عرفه أهل القيروان، ورووا عنه، وأثنوا على فضله.

وقد نقل ابن حجر في التّهذيب تضعيف التّرمذي له ولم يذكر مستنده، ولكن لم يوجد له معارض فيؤخذ بقوله.

١٥ ــ محمد بن أَوْس الأَنْصَارِيّ[١]، أبو عبدالله (كان حيّاً سنة ١٠٣): دخل إفريقيّة قديماً، ووَلِي بحر تونُس سنة ٧٣ هـ، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نُصير، ثمّ نزل القيروان، وكان بها مشهوراً، حتّى إنهم تراضوا به أميراً بعد أن قُتل يزيد بن أبي مُسلم سنة ١٠٢ هـ، فوليها إلى أن قدم بِشر بن صَفْوَان سنة ١٠٣ هـ.

وقد أثنى عليه المترجمون له بالفضل، والفقه، والدّين، والرّواية، وقد روى بالقَيْرَوان حديث أبي هريرة وغيره، وسمع منه أهل القيروان.

١٦ ــ مسلم بن يسار الطُّنْبُذي الإفريقي[٢]، أبو عثمان: ينسب إلى طُنبُذ من قرى مصر، دخل إفريقيّة، قديماً، وسكن القيروان، وبها كانت وفاته في زمن هشام بن عبدالملك، وجلس فيها للتّعليم والتّحديث، وأدخل إليها حديث جماعة من الصّحابة، منهم: أبو هريرة، وسفيان بن وهب، وابن عمر، وتتلمذ عليه جماعة من أهلها، منهم: عبدالرحمٰن بن زياد.

---

(١) ط أبي العرب مح ٨٠، المعالم ١/١٨٩، تاريخ الإسلام ٤/١٩٢، جذوة المقتبس ٤٥، بغية الملتمس ٥١، الحُلّة السيراء ٢/٣٢٨، فتوح مصر ٢١٥، نفح الطيب ١/٢٨٨، ٣/٥٨، التكملة ١/٣٥٤.

(٢) الرياض ١/١٣٥، المعالم ١/٢١٤، أبو العرب ٢٤، ط خليفة ٢٩٦، مشاهير ١٢١، حسن المحاضرة ١/٢٦٢، الجرح ٨/١٩٩، الكاشف ٣/١٢٦، التقريب ٢/٢٤٧، التهذيب ١٠/١٤١، ثقات ابن حبان ٥/٣٩٠، الخلاصة ٣٧٦، تاريخ الإسلام ٤/٥٥، ٤/٢٠٣، الميزان ٤/١٠٧، التاريخ الكبير ٧/٢٧٥، تهذيب الكمال ٣/١٣٢٩، الاستغناء ٢/٧٩٩، اللباب ٢/٢٨٥.

وقد نبّه المصنّفون على أنّه غير مسلم بن يسار البصري، الفقيه نزيل مكّة (ت حوالي ١٠٠) فإن هذا لم يدخل إفريقيّة.

ذكره ابن حبّان في الثّقات، وتابعه المزّي في تهذيب الكمال، والخزرجّي في الخلاصة، وابن حَجَر في التّهذيب، ونقل قول الدّارَقُطْنِيّ الآتي ذكره، وقال في التقريب: مقبول، وهي لفظة يطلقها ابن حجر على من كان عدلاً ليّن الحديث، ولعلّه أطلق عليه ذلك الوصف لقول الدّارقطني: يعتبر به.

واختلف فيه قول الذّهبيّ فقال في الكاشف: «ثقة»، وقال في تاريخ الإسلام: «صدوق».

والرّاجح من حاله ما حكم به الذّهبيّ نفسه في الميزان حيث قال: «لا يبلغ حديثه درجة الصّحّة، وهو في نفسه صدوق».

أخرج له البُخاري في الأدب المفرد، ومسلم في المقدّمة، وأبو داود، والتّرمذي، وابن ماجه، وأحمد، والدّارقطني، وغيرهم.

١٧ ـ المُغيرة بن أبي بُرْدَة الكِنانيّ العَبْدَرِيّ[1]: ويقال ابن عبدالله وقلبه بعضهم. سكن القيروان قديماً، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نُصير.

وكان معروفاً، مشهوراً بالعلم، والفضل، والدّين، ولما قُتل يزيد بن أبي مسلم اتّفق أهل إفريقيّة على توليته فرفض الإمارة، زُهداً ورغبةً في السّلامة.

حدّث في القيروان عن جماعة من الصّحابة منهم: أبو هريرة وغيره.

---

(١) أبو العرب مح ٨٨، الرياض ١٢٤/١، المعالم ١٩٦/١، تاريخ الإسلام ٥٨/٤، ٢٠٥/٤، التكملة ٧٠٤/٢، تلخيص الحبير ١٠/١، نفح الطيب ١٠/٣، فتوح مصر ٢١٤، تاريخ إفريقية والمغرب ١٠٠، حسن المحاضرة ٢٦٢/١، الجرح ٢١٩/٨، الخلاصة ٣٨٤، التقريب ٢٦٨/٢، التهذيب ٢٥٦/١٠، الكاشف ١٤٧/٣، الميزان ١٥٩/٤، ثقات ابن حبان ٤١٠/٥، ط ابن سعد ٢٤٠/٥، تهذيب الكمال ١٣٥٩/٣، التاريخ الكبير ٣٢٣/٧.

وروى عنه من أهل القيروان: يزيد بن محمد القُرَشيّ، وموسى بن الأشعث، وابن أَنعُم الإفريقي، وابنه عبدالله بن المغيرة.

وحديثه عند الأربعة، ومالك، وأحمد، وغيرهم.

وقد أجمع النُّقّاد على توثيقه وتصحيح حديثه، ووهَّم ابن حجر في تلخيص الحبير من عدّه مجهولاً، ولم أعثر على من وصفه بذلك. ولم يؤرّخوا لوفاته.

١٨ ـ **موسى بن الأشعث البَلَوِيّ**[١]، **أبو عِمران**: أوطن إفريقيّة، وسكن في بعض قرى القيروان، روى عن عبدالله بن مسعود وغيره، وروى عنه من أهلها: بَكر بن سَوادة، وهو معدود في علماء أهل إفريقيّة، ولم أجد من ترجم له غير المالكيّ، وله ذكر ضمن تلاميذ المغيرة بن أبي بُرْدَة، ولم أجد للنُّقّاد كلاماً حوله.

١٩ ـ **ميسرة الزَّرُّودي**[٢]: نسبة إلى زَرُّود قرية في إفريقيّة، قريبة من القيروان، وهو من أهل إفريقيّة، يروي عن عبدالله بن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، وعنه ابنه بشر، ولم أجد فيه تجريحاً ولا تعديلاً.

٢٠ ـ **يزيد بن قاسط**[٣]: من أهل إفريقيّة، سمع عبدالله بن عمر، روى عنه عبدالرحمٰن بن زياد، وفي التّاريخ الكبير أنّ الراوي عنه زياد والد عبدالرحمٰن، ولا يبعد أن يكون للاثنين رواية عنه؛ لأنهما قد لحقاه جميعاً.

القسم الرّابع: التّابعون الذين دخلوا القيروان، وبثّوا فيها العلم، ثمّ خرجوا عنها:

نظراً لمحدوديّة أثر أصحاب هذا القسم من حيث الجملة فسأكتفي بذكر

---

(١) الرياض ١/١٣٦، وانظر: التهذيب ١٠/٢٥٦، تاريخ الإسلام ٤/٢٠٥.

(٢) أبو العرب ٢٤، الرياض ١/١٣٧، المعالم ١/٢١٩.

(٣) أبو ألعرب مح ٩١، الجرج ٩/٢٨٤، التاريخ الكبير ٨/٣٥٤.

أسمائهم، مع التّرجة لاثنين منهم، طال مقامهم بها، وذلك بعد أن أُجمل خصائصهم فيما يلي[1]:

لقد تقدّم أن عددهم تسعة عشر رجلاً، ثلاثة منهم لم تُعرف لهم رواية، وستة عشر من الرّواة. منهم اثنا عشر من رجال الكتب السّتّة.

أمّا أحوالهم من حيث الجرح والتّعديل، فمنهم أحد عشر في عداد من تقبل مرويّاتهم، على اختلاف في مراتبهم. والباقون بين مختلف فيه ومسكوت عنه، وضعيف.

أما فيما يتعلّق بروايتهم بإفريقيّة فقد عُرف لستة منهم تلاميذ قرويّون.

أما من حيث أوطانُهم، فمنهم سبعة مصريّون، وأربعة مدنيّون، واثنان شاميّان، وواحد بصري، وخمسة لم تعرف مواطنهم.

وفيما يلي قائمة أسمائهم مقتصراً على ذكر مصدرين لكلّ منهم:

أبو الأبيض العَنْسي[2]، حُيَيّ بن هاني المعَافري، أبو قَبِيل[3]، رافع بن عُقَيْب الكَلَاعِيّ[4]، رِفاعة بن رَافع بن خَدِيج[5]، زُهرة بن مَعْبَد القرشي[6]، زياد بن نُعيم[7]، سليمان بن عَوْسجة اللّخمي[8]، سليمان بن يسار، أبو أيّوب،

(١) أثبت هذه النتائج بعد الدراسة، والتتبع، والبحث في مختلف مصادر رجال هذا القسم، والتي سأثبت بعضها عند ذكر أسمائهم قريباً.

(٢) أبو العرب مح ٩٥، التهذيب ٣/١٢. (٣) الرياض ١/١٤٣، تهذيب الكمال ١/٣٤٧.

(٤) الرياض ١/١٤٩، الجرح ٣/٤٨١.

(٥) أبو العرب مح ٩٠، ثقات ابن حبان ٤/٢٤٠.

(٦) الرياض ١/١٤٢، الاستغناء ٢/٨٢١.

(٧) أبو العرب مح ٩١، إلا أنه سماه يزيد بن نيم، وقد ورد بالإسمين في الإصابة ١/٥٤١ أثناء ترجمة زياد الغفاري، التهذيب ٣/٣٦٥.

(٨) أبو العرب ٢٤، الجرح ٤/١٣٤.

أحد الفقهاء السّبعة[1]، عبدالملك بن مروان بن الحكم، الخليفة[2]، عِكرمة مولى ابن عبّاس، وقد دخلها لبثّ العلم ودرّس بجامعها[3]، عِياض بن عُقبة بن نَافع الفِهْرِيّ[4]، مالك بن قيس، مولى خالد بن أُسَيْد[5]، مُرّة بن عُقبة بن نافع[6]، موسى بن نُصير، أبو عبدالرحمٰن صاحب الفتوحات[7]، يحيى بن الحكم[8]، يحيى بن سعيد الأنصاري[9]، يزيد بن خالد القَيْسِيّ[10]. أمّا الاثنان اللّذان طال مقامهما بها، وظهر أثرهما فيها، فهما:

١ ـ دُخَيْن بن عامر الحَجْري[11]، **أبو ليلى (ت ١٠٠ وقيل ١٠٢ هـ)**: دخل القيروان وأقام بها مدّة، وكتب لعُقبة بن نافع على الرّاجح، وفي كتب المشارقة: إنه كتب لعُقبة بن عامر، وقد سبق أن أثبتّ أن هذا الأخير لم يدخل القيروان، ولعلّ ذلك التبس عليهم لرواية دُخَين عنه؛ فإنّه حدّث بالقيروان عن جماعة من الصّحابة، منهم: عقبة بن عامر.

وتتلمذ عليه من القرويين: عبدالرحمٰن بن زياد، وبَكر بن سَوادة، ويزيد بن أبي منصور، وغيرهم، حديثه عند أبي داود، والنَّسائي، وابن ماجة، وغيرهم، وقد أجمع النُّقاد على توثيقه، وعداده في المصريّين.

---

(١) الرياض ١/١٤٩، الكاشف ١/٣٢١. (٢) أبو العرب مح ٨٠، الميزان ٢/٦٦٤.

(٣) الرياض ١/١٤٥، هدي الساري ٤٢٥، الفكر السامي ١/٢٩٨.

(٤) المعالم ١/١٩٠، الولاة والقضاة ٤١. (٥) أبو العرب مح ٩٢، المعالم ١/٢٢٤.

(٦) الرياض ١/١٥٠، تهذيب الكمال ٣/١٦٢٤.

(٧) الرياض ١/٤٨، البداية والنهاية ٩/١٧١.

(٨) الرياض ١/٢٨، أبو العرب مح ٨٢.

(٩) الإمام المازري ١٤، جزء من كلام أحمد ١٩٤.

(١٠) أبو العرب مح ٨١، فتوح مصر والمغرب ٢٠٠، وقد يَرد اسمه مقلوباً.

(١١) الرياض ١/١٥٠، المعرفة والتاريخ ٢/٥٠٣، تاريخ الإسلام ٣/٣٦٤، حسن المحاضرة ١/٢٥٨، التهذيب ٣/٢٠٧، التقريب ١/٢٣٥، الخلاصة ١١٢، الكاشف ١/٢٢٦، التاريخ الكبير ٣/٢٥٦، الجرح ٣/٤٤٢، الإكمال ٣/٣١٣، ثقات ابن حبان ٤/٢٢٠، المغني في ضبط أسماء الرجال ١٠١.

٢ ـ يزيد بن أبي منصور الأزديّ البصريّ[1]، **أبو رَوْح**: دخل القيروان قديماً مع والده أبي منصور، وطال بها مقامه أكثر من نصف قرن؛ إذ إنّه كان موجوداً فيها إلى زمن محمد بن الأشعث الخُزاعيّ سنة ١٤٤ هـ، وذاكره في بعض الأحاديث كما في طبقات أبي العرب، وانتقل في آخر عمره إلى البصرة فمات بها، وكان عنده حديث كثير، وهو معروف بذلك لدى القرويّين، ولذلك لمّا قال لهم ابن الأشعث: «هل في بلدكم أحد من أهل الحديث؟ قالوا: نعم، رجل يقال له يزيد بن أبي منصور، هو من التّابعين من بقايا النّاس».

وقد انتفع به القرويّون، ورووا عنه، وقد أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصّحابة، منهم: أنس بن مالك، وعائشة أم المؤمنين، وأبو رافع مولى الرّسول ﷺ، وذو اللِّحْيَة الكِلَابيّ وغيرهم، كما روى عن جماعة من التّابعين، وقد تتلمذ عليه كثير من القرويّين، عُرف منهم: موسى بن عُلَيّ، وعبدالرحمٰن بن زياد، وعُبَيد الله بن زُحْر الكِنانيّ، حديثه عند التّرمذي وغيره. وقد رضيه النُّقّاد؛ حيث ذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال أبو حاتم ليس به بأس، وتابعه الخَزْرَجيّ في الخُلاصة، والذّهبيّ في تاريخ الإسلام، وذكر المزّي وابن حجر القولين، وقال في التّقريب: لا بأس به، وقال الذّهبيّ في الكاشف: صدوق، فهو إذاً في عداد المقبولين عندهم. ولم يؤرّخوا لوفاته، وذكروا أن عمره طال.

وقد خلط المستغفريّ بينه وبين أبيه، فنسب له حديث والده كما في الإصابة.

النّتيجـة العامّـة:

وهكذا تبيّن لنا أنّ القيروان كانت زاخرة بالتّابعين، الذين نشطوا في رواية علوم الكتاب والسّنّة ودرايتها، فكانوا أداة هامّة في نشر الحديث وعلومه في

---

(١) أبو العرب ٢١، المعالم ١/٢٢١، التهذيب ١١/٣٦٣، تاريخ الإسلام ٥/١٨، ط خليفة ٢٩٥، الجرح ٩/٢٩١، التجريد ٢/١٤٠، الإصابة ٣/٦٢٥، ثقات ابن حبان ٥/٥٤٨، ٦/٦٥٦، التاريخ الكبير ٨/٣٦٣، التقريب ١/٣٧١، تهذيب الكمال ٣/١٥٤٣، الكاشف ٣/٢٥٠، الخلاصة ٤٣٤.

القيروان وإفريقيّة، كما كانت لهم في تلك الرّبوع آثار اجتماعيّة وسياسيّة، إلى جانب آثارهم العلميّة والدّينيّة، وبذلك دعّموا الأسس السّليمة للحياة العلميّة التي ركّزها الصّحابة في إفريقيّة، كما تقدّم في موضعه من هذا البحث.

المبحـث الثّالـث

المحدّثون القرويّون من بعد التّابعين

تمـهيـد:

لقد تتبّعت مظانّ تراجم القرويّين في كتب الرّجال والتّاريخ، الإفـريقيّة، والمغربيّة، والأندلسيّة، بالإضافـة إلى بعض المصادر المشـرقيّة ذات العـلاقة، فوجدت أنّ من اشتهر بعد التّابعين من أهل القيروان برواية الحديث، والاهتمام به، والعناية بأمره، أو من وُصف بإتقان بعض علوم الحديث كالرّجال والعلل، أو من تبيّنتُ من خلال شيوخه وتلاميذه أنّ له مشاركة في الحديث... يصل عدد هؤلاء جميعـاً إلى ١٨٢ رجلاً من بعـد طبقة التّـابعين إلى آخر طبقـة وجـدت بالقيروان قبل خرابها سنة ٤٤٩ هـ كما تقدّم.

ويضمّ هذا العدد أهل القيروان الأصليّين، بالإضافة إلى من هاجر إليها، واستقرّ بها، حتّى عُدّ من أهلها، ومن هؤلاء المحدّثين تسعة وعشرون من الرّواة عن الإمام مالك[1]، وأربعة فقط من رجال الكتب السّتّة؛ لكونهم لم يكونوا في طريق المشارقة[2].

(١) لقد تقدم في مبحث دخول الموطأ أن الرواة عن مالك من أهل القيروان وإفريقية يصل عددهم إلى ٤٤ رجلاً، غير أنّ القرويّين منهم الذين يمكن عدادهم في المحدثين هم ٢٩ رجلاً.

(٢) وصلت إلى تحديد عدد محدثي القيروان، وإثبات هذه النتائج بعد التتبع والاستقصاء في جميع ما أمكن الوصول إليه من مصادر علماء القيروان وغيرها مما له صلة بهم. وليس من الممكن إثبات جميعها هنا، وهي مذكورة في أوائل التراجم.

وقد اخترت منهم تسعة وأربعين محدّثاً للتّعريف بهم، باعتبارهم نماذج بارزة للمدرسة الحديثية بالقيروان خلال الفترة المذكورة؛ فإنّهم اشتهروا برواية الحديث في القيروان، وتجمّعت فيهم خصائص مدرستها وآثارها من حيث سعةُ الرّواية وقلّتها، والثّقة والضّعف، والضّبط والتّساهل، والرّحلة وعدمها، والاقتصار على الحديث أو التفنّن إلى جانب ذلك في علوم شتّى، والتّصنيف وعدمه، وغير ذلك.

وبين يدي تراجمهم أُقدّم الملاحظات التّالية، حول محدّثي القيروان عامّة في تلك الفترة:

١ ــ إنّ المادّة العلميّة نادرة جدّاً حول الغالبيّة من هؤلاء المحدّثين، فقد يُشار إلى كثرة حديث الرجل، وحفظه، أو جلوسه للتحديث، أو علمه بالرّجال والعلل، الخ... ثم لا تجد له بعد ذلك في المصادر شيوخاً، ولا تلاميذ، ولا مؤلفات، وقد لا تعرف تاريخ وفاته كذلك، وهذا يرجع أساساً إلى قلّة التّدوين لتأريخ العلوم في تلك المنطقة، ثمّ إلى ضياع أكثر ما صُنّف من كتب التّراجم الإفريقيّة، التي لو وُجدت لسدّت الكثير من هذا النّقص، مثل: كتاب الطّبقات لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، طبقات رجال إفريقيّة لأبي العرب (ت ٣٣٣)، ثقات المحدّثين وضعافهم له أيضاً، تاريخ الإفريقيّين للخُشَنيّ (ت ٣٦١)، كتاب الطّبقات لعَتِيق بن خَلَف التُّجيبيّ (ت ٤٢٣)، وغيرها، كما سيأتي عند حصر مصنّفات أهل القيروان.

وهذه الملاحظة عامّة بالنّسبة لمحدّثي القيروان وإفريقيّة في تلك الفترة، ولكنّها تزداد وضوحاً بالنّسبة للمحدّثين الذين عاصروا بني عُبَيد، والذين تُوفّوا بُعيد خراب القيروان.

وهذه نماذج عن المحدّثين الذين ضاعت معالم حياتهم وآثارهم:

ـ أبو خالد بن سلاّم، قال أبو العرب[1]: «كان من شيوخ إفريقيّة. . . وكان عنده حديث سمعه منه غير واحد».

ـ حسين بن مفرّج (ت ٣٠٨)، قال عياض[2]: «غلب عليه الحديث، وكان عالماً به وبرجاله، وله كتاب حسن في تاريخ المولد والوفاة».

ـ حامد بن عمر، قال أبو العرب[3]: «كان ممّن رحل في الحديث».

ـ أبو سعيد المعروف بالوَكِيل (ت ق ٣)، قال الخُشَنِيّ[4]: «كان من أهل العناية بالحديث، كان يحفظ أربعة آلاف حديث ظاهراً».

ـ أبو عبدالله محمد الزَّيَّات (ت ٣٩٧): كان «عارفاً بالحديث ووجوهه، مشهوراً بذلك، نشأ في العلم ومات عليه، لم يُر مثله في المحدّثين»[5].

ـ عبدالرحمٰن حفيد ابن أبي زيد القيروان (ت بعد ٤٧٠) قال الدّبّاغ[6]: «كان الغالب عليه حفظ الحديث، وله مجلس حفيل يقرأ عليه فيه الحديث والفقه، وكان كثير الكتب كلّها بخطّه».

٢ ـ إنّ هؤلاء المحدّثين لم يكونوا على وتيرة واحدة من حيث التّعديل والجرح، فمنهم من استفاض خبر إمامته حتّى أغنت شهرته عن توثيقه، كالإمام سَحنون (ت ٢٤٠)، ومنهم الثّقات الحفّاظ، وهم كثيرون، مثل: محمد بن سَحنون، وأبي العرب وابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، والقابِسيّ (ت ٤٠٣)، ومنهم الضّعفاء، مثل: فُرات بن محمد العَبْديّ (ت ٢٩٢)، غير أنّي لم أعثر على من طَعن على ضعفائهم في عدالتهم ودينهم، إنّما دخل عليهم الضّعف من جهة الغفلة، وخفّة الضبط غالباً.

---

(١) ط أبي العرب ١١٤.
(٢) المدارك ٥/١٣٠.
(٣) الطبقات مح ٢٠٧.
(٤) طبقات الخشني ١٧٤.
(٥) معالم الإيمان ٣/١٣١.
(٦) المعالم ٣/١٩٠، وانظر: الشجرة ١/١١٦.

٣ ـ إنّ مصطلح الفقيه عند الأفارقة في هذه الفترة كان أعمّ من أنّ يُراد به ذلك العالم القادر على استنباط الأحكام الشّرعيّة من الأدلّة، بل كان الفقيه عندهم ـ حسبما استنتجته من إطلاقاتهم وتراجمهم للعلماء ـ هو العالم المُلمّ بالحديث والفقه معاً، وعلوم القرآن أحياناً، حيث نجد في كتبهم مثلاً: محمد بن سَحنون الفقيه، والقابِسيّ الفقيه وأبو عمران الفاسي الفقيه (ت ٤٣٠)، وكلّ هؤلاء كانوا أئمّة في العلمين معاً، بل قد غلب عليهم علم الحديث، كما سيأتي في تراجمهم، فينبغي التنبّه إلى مدلول وصف الفقيه وإطلاقه، بخصوص علماء هذه الفترة (إلى منتصف القرن الخامس الهجري).

٤ ـ لقد لاحظت أنّ المشارقة كثيراً ما يجعلون أهل إفريقيّة والقيروان في عدد المصريّين؛ لمجرّد مرور الواحد منهم بها في طريق رحلته إلى المشرق وعودته منه، وهذا توسّع ممّن فعله من المصنّفين، بل فيه مخالفة لمصطلح النّسبة إلى البلاد من أنّها تكون لمن طال مُقامه بتلك البلاد حتّى قيّده بعض أهل الحديث بأربع سنوات، أو هاجر إليها، أو توفّي بها، ونحو ذلك[1].

وممن عُدّ في المصريّين من القرويّين والأفارقة: عبدالرحمٰن بن زياد، قال ابن حجر: «عداده في أهل مصر»[2]، وخالد بن أبي عمران، قال الطبراني[3]: «المصري»، والبُهلول بن راشد، قال ابن حبّان[4]: «سكن مصر»، وكلّ هؤلاء لم يثبت لهم أي استقرار في مصر، وإنّما ثبت مرورهم بها فقط خلال رحلاتهم، وغيرهم كثير على هذا النّحو.

٥ ـ لقد أخطأ بعض النّقاد المشارقة في الحكم بالجرح والتّعديل على كثير

(١) انظر: تدريب الراوي ٢/٣٨٥، التقريب للنّووي ٢/٣٨٥، توجيه النظر ١٩٣، نفح الطيب ٣/١٦٤.

(٢) التهذيب ٦/١٧٣.

(٣) المعجم الكبير ٨/٢٨٣.

(٤) ثقات ابن حبان ٨/١٥٢.

من أهل القيروان، مثل: عبدالرحمٰن بن زياد بن أَنعُم، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)، وعون بن يوسف الخُزاعيّ (ت ٢٣٩)، كما سيأتي في تراجمهم.

وفيما يلي تراجم هؤلاء المحدّثين، وقد قسمتهم إلى قمسين:

١ ـ المحدثون القيروانيّون أصالة، وهم أربعون رجلاً.

٢ ـ المحدّثون الذين هاجروا إليها وعُدّوا من أهلها: وهم تسعة رجال.

القسم الأول: المحدّثون القيروانيّون أصالة:

لقد تقدم أنّي اخترت أربعين منهم، وسيكون التّركيز في تراجمهم على الجانب الحديثي أساساً، مع الإشارة إلى بقيّة الجوانب إن وجدت، وذلك حتّى لا تطول التّراجم بما لا يخدم البحث، وقد رتّبت أسماءهم على حروف المعجم إلّا سَحنون (واسمه عبدالسلام) فقد وضعته في حرف السّين لاشتهاره بلقبه هذا.

١ ـ أحمد بن محمد بن عبدالرحمٰن التَّميمي القَصْريّ[1]، أبو جعفر (ت ٣٢٢ وقيل غير ذلك): يُنسب إلى قصر الأغالبة، وهو مدينة العبّاسِيّة التي تبعد عن القيروان حوالي أربعة أميال[2]، وهو فقيه محدّث كثير الرّواية، والاعتناء بالكتابة عن الشّيوخ، واقتناء الكتب، ولذلك فقد تفنّن في علوم شتّى، مع ميل ظاهر إلى الحديث وعناية خاصّة به. كما عُرف بالزّهد والتّقوى.

ـ طلبه وشيوخهُ ورحلته:

كان أحمد كثير الطّلب، مُقبلاً على العلم، ولذلك كثُر شيوخه، فقد ذكر عياض وغيره أنّه سمع من كلّ من عنده علم بالقيروان[3]، وذكر أبو العرب أنّه

(١) انظر: الرياض ١٩٧/٢، المعالم ١١/٣، طبقات الخشني ١٧٠، الشجرة ٨٢/١، المدارك ١٣٨/٥، مقدمة أحكام السوق ١٣، تراجم المؤلفين التونسيين ٩٠/٤.

(٢) انظر: البيان المغرب ٩٢/١، الرياض ١٩٧/٢، بساط العقيق ٢٥، الشجرة ٨٢/١.

(٣) المدارك ١٣٨/٥.

شاركه في شيوخه، وقال عنه: «كان يكثر الكتاب والسّماع»[1]، وقد زاد عدد شيوخ أبي العرب على ١٢٠ شيخاً كما سيأتي في ترجمته.

وقد سمع بالقيروان[2] من يحيى بن عمر (ت ٢٨٩)، وهو فقيه محدث.

وفُرات بن محمد العَبْديّ (ت ٢٩٢)، وهو محدّث عالم بالرّجال والتّاريخ.

وأحمد بن يزيد المحدّث (ت ٢٨٤)، وعبدالله بن طالب القاضي (ت ٢٧٥)، وهو فقيه له مشاركة في الحديث.

ويوسف بن يحيى المَغَامِيّ (ت ٢٨٨)، الجامع بين الفقه والحديث واللّغة، وغيرهم.

وكانت له رحلة إلى مصر، سمع فيها الحديث من عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عبدالحكيم (ت ٢٥٧) صاحب الفتوح، وغيره[3].

ـ توثيقه:

وثّقه أبو العرب[4]، وكان ابن اللّبّاد ينقل منه سماعه؛ لثقته وضبطه[5]، وقال ابن الأَجْدَابِيّ: كان صالحاً، ثقة، حسن الحديث والتّصنيف[6].

ـ أثره الحديثي وتلاميذه:

أ ـ جلوسه للتّحديث والتّعليم: لقد جلس أحمد القصريّ للتّحديث ورواية السّنّة لطلّابها، وقد سمع منه بشر كثير من أهل القيروان، حتّى قال أبو العرب: «سمع منه النّاس»[7]، وقال الدّبّاغ: «حمل عنه النّاس كثيراً»[8]، وقال ابن أبي

---

(١) الرياض ٢/١٩٧.

(٢) انظر عن شيوخه: المصادر المثبتة في أول الترجمة.

(٣) انظر: المعالم ٣/١١.

(٤) الرياض ٢/١٩٧، المعالم ٣/١١.

(٥) الرياض ٢/١٩٨.

(٦) المدارك ٥/١٣٨.

(٧) المدارك ٥/١٣٨.

(٨) المعالم ٣/١١.

دُلَيْم: «وكان النّاس يعظّمونه»[1]، وقد عرفنا من تلاميذه[2]: أبو بكر بن اللّبّاد (ت ٣٣٣)، ومحمد بن حارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١)، ولكليهما عناية بالحديث.

وكانت مجالس أحمد العلميّة في بيته؛ لأنّه كان معاصراً للعُبيديّين، وقد منعوا العلماء من التّدريس في المساجد، وقد امتُحن بالسّجن على يد الصَّدِينِيّ القاضي المعتزلي[3].

ب ـ **عنايته بالحديث ونسخ الكتب واقتنائها**: كان أبو جعفر القصريّ شديد الاهتمام بالحديث سماعاً، وجمعاً، ورواية، وكتابة، معروفاً بذلك لدى العلماء والمصنّفين.

قال ابن أبي دُلَيْم: «غلب عليه الحديث... وكان كثير الرّواية»[4]، وقال ابن حارث: «كان يميل إلى علم الحديث. سمعنا منه غير ما شيء من صنوف العلم»[5].

كما كان شغوفاً بجمع الكتب[6]، ونسخها، وتصحيحها؛ فقد ذكر المالكيّ وغيره[7] أنه زار يحيى بن عمر في سوسة فوجده ألّف كتاباً، فأراد أن ينسخه، ولم يكن عنده ثمن الرجقّ فباع قميصه، واشترى بثمنه رقوقاً، ونسخ الكتاب وقابله، وعاد به معه إلى القيروان، وقال عياض[8]: «كتب بخطّ يده من كتب الفقه والحديث كثيراً».

جـ ـ **مؤلّفاته**: له كتاب في معجزات النّبيّ ﷺ، سمّاه: «تجديد الإيمان وشرائع الإسلام»، أكثر من ستين جزءاً[9]، يوجد منه أجزاء في مكتبة القيروان

---

(١) المدارك ١٣٨/٥.
(٢) الشجرة ٨٢/١.
(٣) انظر: المدارك ١٣٨/٥.
(٤) المعالم ١١/٣.
(٥) ط الخشني ١٧٠.
(٦) م. ن ١٧٠.
(٧) الرياض ١٩٧/٢، المدارك ١٣٩/٥.
(٨) المدارك ١٣٩/٥.
(٩) الرياض ١٩٨/٢

كما ذكر محقّق الرياض[1]، وعبارة الدَّبَّاغ[2] توحي بأن له كثيراً من المصنفات حيث قال: «حمل عنه النّاس كثيراً من موضوعاته (أي مصنّفاته)، وغيرها»، كما أنّ ما تقدّم من وصفه بحسن التّصنيف يدلّ على اشتغاله بالتّأليف وعنايته بتجويد مصنّفاته.

٢ ـ أحمد بن مُعتِّب بن أبي الأزهر الأَزْدِيّ[3]، أبو جعفر (ت ٢٧٧ وقيل غير ذلك):

كان أبو جعفر عالماً برواية الحديث، وله معرفة بالرّجال، مع عناية بالتّقييد والضّبط، كما كان زاهداً، عابداً، كثير البُكاء من خشية الله عز وجل، وكان سبب وفاته سماع آية من القرآن كما في المصادر.

ـ طلبه وشيوخه ورحلته:

كان اعتماده في الفقه والحديث على الإمام سَحنون (ت ٢٤٠)[4] الذي كانت له به عناية خاصّة، حتّى إنه لم يكن يبدأ درسه إلاّ إذا حضر أحمد، ولذلك صار أحمد «من فقهاء أصحاب سَحنون»[5].

وله رحلة إلى المشرق سمع فيها حديثاً كثيراً، حتّى صار من كبار رجاله، ونبُه في علم الرّجال، فقد سمع من أبي الحسن الكوفي العجلي (ت ٢٦١) صاحب تاريخ الثّقات وكتاب الجرح والتّعديل[6]، عندما نزل أبو الحسن طرابُلُس الغرب، ويُفتَرض أنّه سمع منه هذين الكتابين، وغيرهما، فقد قال عياض[7]:

---

(١) حاشية الرياض بتحقيق البكوش ٢/١٩٨.
(٢) المعالم ٣/١١.
(٣) طبقات الخشني ١٣٨، المدارك ٣/٢٣٠، المعالم ٢/١٧٧، الديباج ٣١، الرياض ١/٤٧٠، أبو العرب مح ٢٤١ (في الملاحق).
(٤) انظر مثلاً: الرياض ١/٤٧٠، المعالم ٢/١٧٧.
(٥) انظر: المدارك ٣/٢٣٠، الديباج ٣١.
(٦) انظر: طبقات الحفاظ ٢٤٦، تاريخ الثقات ٤٣، المحن ٣٧٠، الديباج ٣١.
(٧) المدارك ٣/٢٣٠.

«سمع من أبي الحسن الكوفي جميع ما عنده». كما لقي ببغداد إسماعيل بن إسحٰق القاضي (ت ٣٠٩)، المحدّث، المتقن، جامع المسانيد وصاحب المصنّفات الجليلة في الحديث وغيره[١]، وسمع من الحسين بن حسن المَرْوَزِيّ، المحدّث (ت ٢٤٦)، صاحب عبدالله بن المبارك، وقد سمع منه رقائق ابن المبارك وغيرها[٢]، كما أخذ عن العُثْمانِيّ بالمدينة المنوّرة[٣].

ـ توثيقه:

لقد عرف أبو العرب منزلة شيخه فقال فيه[٤]: «كان ثقة، ثبتاً، نبيلاً، حسن التقييد»، وقال الدّبّاغ[٥] كان ثقة».

ـ أثره الحديثي وتلاميذه:

لمّا عاد أبو جعفر من المشرق نشر علمه في القيروان، وكثُر الآخذون عنه، وعرف الطّلّاب منزلته في رواية الحديث وعلم الرّجال فقصدوه، وقد «سمع منه النّاس»[٦].

وأشهر تلاميذه: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم المحدّث (ت **٣٣٣**)، روى عنه في كتاب المحن أحاديث وأخباراً كثيرة[٧]، وكان كثير الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.

ـ علمه بالحديث: وقد أثنى عليه المصنّفون بالتّقدّم في علم الحديث، فقد قال تلميذه الحافظ أبو العرب: «كان عالماً بالحديث والرّجال سمع منه النّاس»[٨].

---

(١) انظر: ترتيب المدارك ١٦٨/٣، ٢٣٠، الديباج ٣١.
(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٢٨٦، المعالم ١٧٧/٢.
(٣) المعالم ١٧٧/٢.
(٤) ط أبي العرب مح ٢٤١.
(٥) المعالم ١٧٧/٢.
(٦) الديباج ٣١، ط أبي العرب مح ٢٤١.
(٧) انظر: كتاب المحن ٣٧، ٣٩، ٧١، ٨٨، ٩٢.
(٨) ط أبي العرب مح ٢٤١.

وقال المالكيّ[1]: «كانت له رحلة إلى المشرق، وسمع سماعات كثيرة:

كما أثنى عليه الدّبّاغ، فقال[2]: «كان عالماً بالحديث».

ـ من حديثه: قال أبو العرب حدّثني أحمد بن مَعتِّب قال حدثنا حسين بن حسن قال حدثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا مالك عن محمد بن عبدالله أنه سمع أبا الحُباب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصِب منه»[3].

ـ محنته: وقد دارت عليه محنة من قِبل محمد بن عَبْدُون القاضي الحنفيّ، فضربه حتى أدماه[4].

٣ ـ أحمد بن يزيد القُرَشِيّ[5]، أبو عبدالله، يعرف بالمُعلِّم (ت ٢٨٤):

محدّث، فقيه، زاهد، من كبار العُبّاد، علّم بالقيروان أوّل عمره، ثمّ ترك ذلك واشتغل بجمع الحديث وروايته.

ـ طلبه وشيوخه:

أخذ عن الإمام سَحنون[6]، وأكثر من سماع الحديث عن موسى بن معاوية الصُّمَادِحِيّ، المحدّث (ت حوالي ٢٢٥)، ولازمه، حتّى أصبح يُعرف برواية الصُّمادحي[7]، وسمع من داود بن يحيى (ت ٢٤٩)[8]، له مشاركة في الحديث، ويزيد بن محمد الجُمَحِيّ المحدّث (ت ١٢)[9]، والبُهلول بن عمر بن صالح

(١) الرياض ١/٤٧٠. (٢) المعالم ٢/١٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفّارة المرض ٧/٣، ويلتقي السندان في الإمام مالك ـ وانظر: كتاب المحن ٢٧٦.

(٤) انظر مثلًا: المدارك ٣/٢٣٣.

(٥) أبو العرب مح ٢٤٣، الخشني ١٧٢، المدارك ٤/٤٠٧، المعالم ٢/٢٠٠، الرياض ١/٤٧٣، المحن ٤٥٤.

(٦) ط أبي العرب مح ٢٤٣. (٧) الرياض ١/٤٧٣.

(٨) ط أبي العرب ١٠٩، المحن ٣٢٢.

(٩) المدارك ٤/٤٠٧.

المحدّث (ت ٢٣٤)(١)، وغيرهم، وهؤلاء كلّهم من محدّثي القيروان؛ إذ لم تكن له رحلة لقلّة ذات يده.

ـ توثيقه:

اتّفق المترجمون له على توثيقه وفضله، وقال تلميذه الحافظ أبو العرب: «كان ثقة، فاضلاً، ورعاً، نزيهاً»(٢).

ـ أثره الحديثيّ وتلاميذه:

أ ـ جلوسه للتّحديث: جلس أحمد بن يزيد للتّحديث، وتتلمذ عليه كثير من أهل القيروان، منهم: الحافظ أبو العرب التّميمي (ت ٣٣٣)، وقد روى عنه كثيراً في كتاب المحن(٣)، وكتاب الطّبقات(٤).

كما سمع منه هاشم بن مسرور (ت ٣٠٧)(٥)، وقاسم بن أَصْبَغ محدّث الأندلس (ت ٣٤٠)(٦). وكان متقدّماً في علم الحديث، ومعرفة علله، قال أبو العرب: «كان عالماً بحديثه»(٧)، وقال القاضي عِياض: «كان عالماً بالحديث وعلله»(٨)، وقال الدّبّاغ: «كان رجلاً صالحاً، عالماً بالحديث وعلله»(٩).

ب ـ مؤلّفاته: له كتاب «السُّنّة» جمع فيه الأحاديث المرغّبة في اتّباع السّنّة، وترك البدع، اشتمل على أكثر من مائتي حديث، يوجد في مكتبة القيروان(١٠).

ـ محنته: بعث إليه ابن أبي الجواد القاضي المعتزلي ليمتحنه في القول بخلق القرآن فتوارى حتّى عافاه الله(١١).

---

(١) المحن ٢٥٦.

(٢) ط أبي العرب مح ٢٤٣، ٢٤٤. (٣) انظر: كتاب المحن ٤١، ٢٧، ١٨٤.

(٤) ط أبي العرب ٨٣، ١١١، ١١٧، ١٢٦. (٥) الرياض ١/٤٧٣.

(٦) نفح الطيب ٢/٤٨، تاريخ ابن الفرضي ١/٤٠٦.

(٧) ط أبي العرب مح ٢٤٣، ٢٤٤.

(٨) المدارك ٤/٤٠٧. (٩) المعالم ٢/٢٠٠.

(١٠) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨، المدارس الكلامية ١٦٥.

(١١) المحن ٤٥٤.

٤ ـ أسد بن الفُرات بن سِنان[١]، مولى بني سُلَيم، أبو عبدالله (١٤٢ ـ ٢١٣ على الصّحيح):

فقيه، محدّث بلغ درجة الاجتهاد، واسم الفقيه به ألصق، رغم أنّ تلقّيه للحديث كان أسبق، وشيوخه فيه أكثر.

ـ مولده ونشأته:

ولد أسد بحرّان من ديار بَكْر[٢] سنة ١٤٢ هـ، وقدم به والده إلى القَيْرَوان سنة ١٤٤ هـ، وكانت نشأته موزّعة بينها وبين تونُس، وقد حفظ القرآن في سنّ مبكّرة، إذ كان يعلّم القرآن وعمره أقل من ١٨ سنة[٣].

ـ طلبه للعلم ورحلته:

أخذ أسد بإفريقيّة عن عليّ بن زياد (ت ١٨٣)، حيث سمع منه الموطّأ، وتلقّى عنه أصول مذهب مالك[٤]، ثم رحل إلى المشرق سنة ١٧٢ هـ[٥]، وعمره

---

(١) أبو العرب مح ١٦٣، الخشني ٢٣٥، الرياض ٢٥٤/١، الديباج ٩٨، الشجرة ٦٢/١، ١١٩/٢، رحلة التجاني ٢٦، المدارك ٤٦٥/١، المعالم ٣/٢، المغرب العربي ٧١، الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٢٢/١، تراجم إسلامية ١٥٢، المسلمون في صقلية ٨، خلاصة تاريخ تونس ٨٠، وفيات الأعيان ١٨٢/٣، دائرة المعارف ١٠٥/٢، الصراع المذهبي ٤٨، طبقات الفقهاء ١٥٥، ألف سنة من الوفيات ٤٠، وفيات ابن منقذ ١٦٤، الفكر السامي ٩٤/٢، تاريخ قضاة القيروان خط ١٤، الإكمال ٤٥٤/٤، تاريخ المغرب العربي ٦٩/٢، البيان المغرب ٩٧/١، ١٠٢، سير أعلام ٢٢٥/١٠، شذرات الذهب ٢٨/٢، معجم المؤلفين ٢٤١/٢، العبر ٣٦٤/١، العيون والحدائق ٣٧٢، مقدمة المدونة ٦٤/١، الانتقاء ٥٠، تراجم المؤلفين ١٧/٤، القراءات بإفريقية ٢٧٩، كشف الظنون ٢٠٣/٥، تاريخ التراث العربي ١٤٥/٣/١، الإمام المازري ١٨، الحُلل السندسية ٧٥٠/٣/١.

(٢) أغرب صاحب الإحاطة حين عدّه من إحدى قرى غَرْنَاطة بالأندلس، الإحاطة ٤٢٢/١.

(٣) انظر: الرياض ٢٥٥/١.

(٤) المدارك ٤٦٥/١، ط أبي العرب مح ١٦٣.

(٥) المعالم ٥/٢، الرياض ٢٥٦/١.

ثلاثون سنة، فأعاد سماع الموطّأ على الإمام مالك[1]، الذي لاحظ شغف أسد، وحرصه على الطّلب فأمر بإدخاله مع المصريّين ـ وهم الفوج الثّاني ـ بعد أن كان يدخل مع بقيّة النّاس في الفوج الثّالث، أمّا الفوج الأوّل فهم أهل المدينة[2]، ثم إنّ أسداً كأنّه استقلّ الموطّأ فاستزاد مالكاً من السّماع، فقال له: «حسبك ما للنّاس»، فخشي أسد أن يطول به الأمر و«يفوته ما رغب فيه من لُقيّ الرّجال والرّواية عنهم»، فأكثر من إلقاء المسائل على مالك، حتّى ضاق به، وقال له: «إذا أردت هذا فعليك بالعراق»[3]، فارتحل إلى العراق حيث لقي تلاميذ أبي حنيفة، فتفقّه بهم، وتعلّم أصول مذهبهم[4]، كما كتب الحديث هنالك عن هُشَيْم، ويحيى بن أبي زائدة[5] وغيرهما، كما سيأتي في شيوخه، ولم يكتف أسد في رحلته بالأخذ، فقد حدّث بالموطّأ، سمعه منه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة [6]، وقد لازم أسد محمّد بن الحسن، فكان يسمع منه بالنّهار مع النّاس، وجعل اللّيل لأسد وحده، حتّى أتى على ما أراد من السّماع منه، كما أنّه زامله في رحلة الحجّ، واستفاد منه أثناءها استفادة كبرى [7].

وقد كتب أسد عن محمد بن الحسن مسائل عديدة بعد أن ناظره فيها «على قياس مذهب مالك» كما ورد في الحُلل[8] وغيره. واستمرّ قيام أسد في رحلته هذه إلى العراق جامعاً بين طلب الحديث والفقه وأدائهما، إلى سنة ١٧٩ هـ حين وصل نبأ وفاة مالك إلى بغاد، ورأى أسد إقبال النّاس على كلّ من يحدّث عن مالك، فسأل عن ذلك، فقال له محمد بن الحسن: «كان والله أمير المؤمنين في

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢/١٠٥، سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٢) انظر: المدارك ١/٤٦٦. (٣) انظر مثلاً: المعالم ٢/٥.
(٤) طبقات الفقهاء ١٥٥، الرياض ١/٢٥٥.
(٥) الحلل ١/٣/٧٥٠، المعالم ٢/٤، ٥، الديباج ٩٨.
(٦) ط أبي العرب مح ١٦٤، المدارك ١/٤٦٥، الديباج ٩٨.
(٧) المدارك ١/٤٦٦، الرياض ١/٢٥٨.
(٨) الحلل ١/٣/٣٥٠.

الآثار»، قال عِياض والشّيرازي وغيرهما: «فندم أسد على ما فاته من الأخذ عن مالك، وجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه»، فقدم مصر وقال: «إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه»[1].

فرحل إلى مصر، ولقي كبار أصحاب مالك بها، مثل: عبدالله بن وهب، وأشهب، وعبدالله بن عبدالحكم[2]، إلا أنّه اختصّ بعبدالرحمن بن القاسم[3]، الذي تجاوب معه، وتنازل له عن ختمة من ثلاث ختمات كان يَختمها يوميّاً «رغبة في إحياء العلم»، فأعاد عليه المسائل التي كتبها عن محمد بن الحسن ليجيبه عنها بقول مالك، فأجابه عن معظمها من حفظه، ولم يجزم في الجواب عن بعضها، وقد بلغت ستّين كتاباً، وهي المعروفة بالأسديّة، ثم عاد أسد إلى القيروان سنة ١٨١ هـ[4].

وقد حُقّ لأسد بعد هذه الرّحلة العلميّة الشّاقّة، الحافلة بالفوائد، والتي دامت عشر سنوات، تنقّل فيها بين المدينة، ومكّة، وبغداد، والكوفة والفُسْطاط في طلب العلم... حُقَّ له أن يقول: «ضربنا في طلب العلم آباط الإبل، واغتربنا في البلدان، ولقينا العلماء، وغيرنا إنّما طلب العلم خلف كانون أبيه، ووراء منسج أمّه، ويريدون أن يلحقوا بنا»، كما قال المالكي وغيره[5].

ـ شيوخه:

لقد كان أسد شغوفاً بطلب العلم، حريصاً على لُقيّ الرّجال، والرّواية عنهم، كما وصفته المصادر وكما أوضحتُه فيما تقدّم، ولذلك كثُر شيوخه كثْرة ظاهرة، وفيما يلي أشهرهم:

---

(١) انظر: المدارك ١/٤٦٨، طبقات الفقهاء ١٥٥.

(٢)، (٣) الرياض ١/٢٦١، المدارك ١/٤٦٩، طبقات الفقهاء ١٥٦.

(٤) الديباج ٩٨، المدارك ١/٤٨٠.

(٥) الرياض ١/٢٦٧، المعالم ٢/١٨، وهو يقصد بهذا الكلام قرينه وشريكه في القضاء أبا محرز، ولا يعني هذا تنقّصه من علماء عصره.

ـ أبو بكر بن عيّاش (ت ١٩٤)، محدّث ثقة من العُبّاد[١].

ـ أسد بن عمرو البَجَلِيّ (ت ١٩٠)، وهو فقيه، محدّث، لا بأس به[٢].

ـ أشهب بن عبدالعزيز (ت ٢٠٤) وهو من الثّقات، جمع بين الحديث والفقه[٣].

ـ جرير بن عبدالحميد الضَّبِّيّ (ت ١٨٨)، محدّث من الثّقات[٤].

ـ عبدالرحمن بن القاسم العُتَقِيّ (ت ١٩١)، فقيه، محدّث، ثقة، مأمون، من كبار أصحاب مالك[٥].

ـ عبدالله بن وهب (١٩٧)، محدّث، حافظ، فقيه، من العُبّاد[٦].

ـ علي بن زياد التّونُسي (ت ١٨٣)، فقيه بارع، ومحدّث ثقة، أوّل من أدخل الموطّأ وجامع الثّوري إلى إفريقيّة والمغرب[٧].

ـ مالك بن أنس (ت ١٧٩)، الإمام، أمير المؤمنين في الحديث[٨].

ـ محمد بن الحسن الشَّيْبَانِيّ، أحد الفقهاء، كان من بحور العلم في الفقه والحديث[٩].

ـ هُشَيم بن بَشِير (ت ١٨٣)، محدّث ثقة، ثبت[١٠].

ـ يحيى بن زكريّاء بن أبي زائدة (ت ١٨٣)، محدّث ثقة، متقن[١١].

---

(١) التقريب ٢/٣٩٩، الشجرة ١/٦٢.
(٢) الميزان ١/٢٠٦، ط أبي العرب مح ١٦٤.
(٣) التقريب ١/٨٠، الرياض ١/٢٦١.
(٤) التهذيب ٢/٧٥، سير أعلام ١٠/٢٢٥، الإكمال ٤/٤٥٤.
(٥) التهذيب ٦/٢٥٢، الشجرة ١/٥٨.
(٦) التقريب ١/٤٦٠، الرياض ١/٢٦١.
(٧) الرياض ١/٢٣٤، سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٨) التقريب ٢/٢٢٣، ط أبي العرب مح ١٦٣.
(٩) الميزان ٣/٥١٣، المكتبة الأثرية ٣٧.
(١٠) التقريب ٢/٣٢٠، الشجرة ١/٦٢.
(١١) التقريب ٢/٣٤٧، الحلل ١/٣/٧٥٠.

- يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف، القاضي (ت ١٨٢) صاحب أبي حنيفة، من أتبع أهل الرّأي للحديث[1].

وهكذا نلاحظ أنّ أغلب شيوخ أسد كانوا من كبار المحدّثين الثّقات والفقهاء المتضلّعين فلا عجب أن كان تلميذهم أسد من بحور العلم.

- علمه بالحديث والرّجال:

إنّ المادّة العلميّة التي بين أيدينا تفيدنا أنّ أسداً كان من كبار المحدّثين القرويّين، وما تقدّم عن طلبه للعلم يؤيّد ذلك، إلاّ أنّ الباحثين لم يسبق لهم إبراز هذا الجانب، واكتفوا بالإشارة إلى علمه بالفقه، حتّى كادت تضيع شخصيته، كمحدّث، ولعلّ من أهمّ أسباب إغفالهم لهذا ما عرف عن أسد من الميل إلى المناظرة في الأحكام الشّرعيّة، وإعمال الذهن، وكثرة المساءلة كما مرّ، وكذلك لما جاء في بعض الكتب من وصفه بأنه حنفيّ المذهب، يميل إلى الرّأي[2]، هذا بالإضافة إلى عدم وجود من اعتنى بدراسة كافية في إبراز علم الحديث في إفريقيّة في هذه المرحلة.

ولكن الذي اتّضح لي أنّ التّكوين الحديثيّ أبرز من التّكوين الفقهيّ في حياة أسد، فقد ابتدأ حياته العلميّة بسماع الموطّأ من علي بن زياد (ت ١٨٣) في سنّ مبكرة، كما تقدّم، ثم أعاد سماعه مباشرة من الإمام مالك[3]، ولما رحل إلى العراق كان في مستوى يؤهّله لتدريس الحديث فأسمع بها الموطّأ[4]، وكتب الحديث عن أسد بن عمرو وجرير بن عبدالحميد الضّبّيّ كما تقدم، وسمع من هُشيم اثني عشر ألف حديث[5]، ومن يحيى بن زكريّاء بن أبي زائدة عشرين ألف

(١) الميزان ٤/٤٤٧، سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٢) انظر: المعالم ٢/٥، أعلام ابن عاشور ٢٦، ٢٧.
(٣) انظر مثلاً: الإكمال ٤/٤٥٤، سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٤) الديباج ٩٨، ط أبي العرب مح ١٦٤.
(٥) المدارك ١/٤٧٤، الحلل ١/٣/٧٥٠، المعالم ٢/٥.

حديث[1]، وهؤلاء من المحدّثين الأثبات كما تقدّم، وكذلك فإنّ سماعه من محمد بن الحسن لم يقتصر على الفقه والرّأي؛ فإنّ محمداً يُعدّ من كبار أهل الحديث، كما يظهر من خلال شيوخه، ومن خلال كتابيه: الآثار، والحجَّة في الرّدّ على أهل المدينة، بالإضافة إلى ما وُصف به في المصادر من كثرة طلب الحديث، واشتهار روايته للموطّأ حتّى اليوم[2].

كما أنّ سماع أسد في مصر من أصحاب مالك يُفترض أن يكون فيه حديث كثير؛ لأنهم من الرّواة. وهذه الحصيلة الحديثيّة كافية لجعل أسد في قمّة محدّثي القيروان حيث إننّا لا نكاد نعثر على من ظفر بمثل شيوخه، كثرة، وحفظاً، وإتقاناً، وسعة في الرّواية.

وممّا يدل على علم أسد بالرّجال وتتبّعه للأسانيد قوله: «أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرّواية عن عبدالله فهو ابن مسعود، وأهل المدينة إذا أرسلوا عن عبدالله فهو ابن عمر» كما في الرياض[3]، وهذا الخبر وإن كان يتيماً في بابه إلاّ أنّه يشعرنا بمدى إتقان أسد لإطلاقات القوم، وما درجوا عليه في أسانيدهم من التّسميات، ولا شكّ أنّه كان يعلّم ذلك لطلاّبه حتّى انتقل إلينا.

أمّا قلّة الآثار في الأسديّة فلا يقدح في علم أسد بالحديث؛ لأنّ الأسديّة ليست كلّ علم أسد، ثمّ إنّ تصنيفها قد خضع لظروف خاصّة؛ حيث كانت بدايتها مناظرات بينه وبين محمد بن الحسن، ثمّ سأل عنها ابن القاسم وأراد شيئاً محدّداً وهو قول مالك فيها، وهو طلب معقول؛ إذ ليس من اليسير على ابن القاسم، وهو يجيب عنها مشافهة من حفظه[4] أن يستحضر دليل أكثر من ثلاثين ألف مسألة اشتملت عليها الأسديّة.

---

(١) المدارك ١/٤٧٤، الحلل ١/٣/٧٥٠، المعالم ٢/٥.

(٢) انظر عن جانبه الحديثي مقدمة كتابه الآثار ١٢ وما بعدها.

(٣) الرياض ١/٢٦٧.

(٤) انظر: ط الفقهاء ١٥٦، المدارك ١/٤٦٩.

- توثيقـه:

أسد بن الفُرات إمام من أئمّة المسلمين، بلغ درجة الاجتهاد، واستفاضت شهرته، وشاعت إمامته، وقد وسمه الذّهبيّ في سير أعلام النّبلاء بقوله: «الإمام العلّامة القاضي الأمير»[1]، وقال أبو العرب[2]: «كان ثقة لم يكن فيه شيء من البدع»، وقال صاحب الشجرة[3]: «الفقيه الحافظ، الرّاوية، الثّقة الأمين».

- أثره العلمي والحديثيّ في القيروان وتلاميذه:

عاد أسد إلى القيروان بعلم جمّ في الحديث والفقه، وغيرهما، وجلس للتّدريس بجامع عُقبة[4]، فأقبل عليه الطّلّاب ورحلوا إليه من أطراف إفريقيّة والمغرب والأندلس، واشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وانتشرت إمامته، حتّى إنّ الأسئلة كانت ترد عليه من خارج القيروان، وكان ربما أجاب عنها كتابة[5].

وقد أقبل حال عودته على رواية الموطّأ، وغيره من حديثه[6]، ولم يكتف بمجرد الإسماع بل كان له مجلس يفسّر فيه الحديث كما يستفاد من عدّة نصوص في المعالم، والرّياض، والمدارك، وغيرها[7].

كما أخذ عنه النّاس الأسديّة وشاعت روايتها قبل ظهور المدوّنة[8].

ومن الكتب التي أدخلها أسد ورواها في القيروان: سماع ابن القاسم من مالك[9]، وكتاب المبسوط لمحمد بن الحسن[10].

---

(١) سير أعلام ١٠/٢٢٥.
(٢) ط أبي العرب مح ١٦٤.
(٣) الشجرة ١/٦٢.
(٤) انظر: الرياض ١/٢٦٤، ٢٦٥.
(٥) تاريخ معالم التوحيد ٣٧، الرياض ١/٢٦٨.
(٦) الرياض ١/٢٥٥.
(٧) انظر: المصادر المثبة في أول الترجمة.
(٨) انظر: الرياض ١/٢٦٢، المدارك ١/٤٧٠، المعالم ٢/١٧.
(٩) انظر: الرياض ١/٢٦٦، المدارك ١/٤٦٩.
(١٠) انظر: المكتبة الأثرية ٣٧.

وحمل عنه معظم أهل المغرب مرويّاته حتّى كانت كتبه تروى بالأندلس[1]، وكثر أصحابه حتّى عُدّوا بالعشرات، وأصبح عالم القيروان بلا منازع، قال محمد بن سَحنون: «وحصلت له بتلك الكتب رئاسة في القيروان»، كما في الرّياض، والمدارك، وغيرهما.

وقد عُرف أسد بنشره للسّنّة، ومنافحته عنها خارج حدود إفريقيّة، فقد أرسل له أسد السّنّة (ت ٢١٢) من مصر رسالة طويلة، يشكره فيها على اتّباع السّنّة، والذّبّ عنها، ويدعوه إلى نشرها، واتخاذ أتباع يقومون مقامه بعد وفاته، وقد كانت هذه الرّسالة تروى بالأندلس[2]، ولا شكّ أنها كانت تروى بالقيروان من باب أولى.

ولم يكن نشاط أسد قاصراً على رواية الحديث والفقه، بل كان يُلقي التّفسير أيضاً؛ إذ كان يسمع الطّلاّب تفسير المُسَيَّب بن شَرِيك (ت ١٨٦)، وله مجالس في ذلك[3]، ولا شكّ أنّ هذا الكتاب ممّا أدخله أسد معه؛ لأن المُسيَّب من شيوخه كما في طبقات أبي العرب[4]، وغيره.

ولم يكن أسد في دروسه يتقيّد بكتُب مذهب دون آخر، وإنّما قام بنشر علم المذهبين لسعة علمه فيهما[5]، فكثُر تلاميذه من المالكيّة والأحناف على السّواء، ومن أشهرهم[6]:

الإمام سَحنون بن سعيد، وأبو سِنان زيد بن سِنان الأسديّ من المالكيّة، ومَعْمَر بن منصور، ومحمد بن قَادِم، وسليمان بن عِمران من الأحناف.

---

(١) انظر مثلاً: تاريخ ابن الفرضي ١/٢٢٩.
(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٢٩٩.
(٣) الرياض ١/٢٦٥، المدارك ١/٤٧٤.
(٤) ط أبي العرب مح ١٦٤.
(٥) انظر: الرياض ١/٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، المدارك ١/٤٧٤.
(٦) انظر: قائمة مصادره.

وقد تقدّم أنه كان له أثر علميّ أثناء رحلته في المشرق حيث حدّث في العراق بالموطّأ، وناظر بعض علمائها.

ـ مذهبـه وعقيدتـه:

لقد اختلف المصنّفون في هذه المسألة، فمنهم من اعتبره مدوّن مذهب مالك وناشره في المغرب[1]، ومنهم من اعتبره إمام الأحناف في القيروان[2]، وقد تبيّن لي بعد البحث والنّظر أنه كان في البداية مـالكيّاً، ثم انتقـل إلى طريقـة الأحناف في الفترة الطّويلة التي بقيها في العراق، ثم عاد إلى المذهب المالكي بعد وفاة مالك، وأعاد صياغة مسائله لمحمد بن الحسن على فقه مالك بسؤاله لابن القاسم كما ألمحت إلى ذلك.

ثم بعد ذلك بلغ أسـد درجة الاجتهـاد، فلم يكن يلتزم رأي واحـد من المذهبين، إنّما يعمل ويفتي بما يوصله إليه اجتهاده بناء على الدّليل، وأصدق كلمة قيلت فيه فيما بين يدي من المصادر هي قول المالكي[3]: «والمشهور عن أسد أنّه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهـل العراق مـا وافق الحقّ عنده، ويحق له ذلك؛ لاستبحاره في العلوم، وبحثه عنها، وكثرة من لقي من العلماء والمحدّثين»، ولذلك نجده ينشر علوم المذهبين، فقد ورد في الرّياض وغيره: «أنّ أسداً إذا سرد أقوال العراقيّين، يقول مشايخ كانوا يجالسـونه ممّن يـذهب مـذهب أهل المـدينة: «أَوْقِـد القنديـل الثّاني يـا أبـا عبـدالله»، فيسـرد أقـوال المدنيّين». وكان أسد من أكبر أسباب شيوع علم الأحناف في القيروان؛ لكثرة ملازمته لأصحاب أبي حنيفة، فلم يسبق أن دخل القيروان من تضلّع في مذهبهم مثله، وإن كـانت بذور المـذهب قد وُجـدت قديمـاً على يد عبـدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٥)، كما مرّ في التّمهيد، ولذلك أقبل الأحناف على مجالسـه وتتلمذوا

---

(١) انظر مثلاً: مقدمة كتاب الآثار ١٤.

(٢) انظر مثلاً: الرياض ١٦٤.

(٣) الرياض ١/٢٦٣.

عليه وعدّوه إمامهم، خاصة وأنّ إعراض النّاس عن الأسديّة قد دفعه لإسماع كتب الأحناف بعد شيوع المدوّنة[1].

وقد وردت عدّة نصوص في الرّياض والمعالم والمدارك تفيد أنّ أسداً كان يشير على من يستنصحه باتّباع مذهب مالك[2].

أما من النّاحية العقائديّة فقد كان ـ كما قال المالكيّ وغيره ـ[3]: «دينه ومذهبه السّنّة، يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكان يبدّع من يقول غير ذلك، وكان يقول: إنّ الله على العرش استوى بلا كيف، ويُرى في الآخرة كيف يشاء لا كما يشاء العِباد، ويكفِّر من يمنع ذلك».

ـ أسد في القضاء وإمارة الجيش[4]:

تولّى أسد قضاء القيروان سنة ٢٠٣ هـ، مشتركاً في ذلك مع أبي مُحْرِز القاضي (ت ٢١٤)، وهما أوّل قاضيين اشتركا في هذا المنصب، فسار في النّاس بالعدل، واستمرّ فيه إلى سنة ٢١٢ هـ، حيث عُيّن أميراً على غزوة صِقِلّيَّة، ففتح أكثرها، وبنى فيها مسجداً، وله بها مقامات مشهورة، وتوفّي هناك سنة ٢١٣ هـ.

ـ مؤلّفاته:

له كتاب «الأَسَدِيَّة»، وهو مجموعة المسائل التي دوّنها عن محمد بن الحسن بعد أن ناظره فيها، ثم سأل عنها ابن القاسم فأجابه عن أغلبها بقول مالك من حفظه، وما لم يتأكّد من قول مالك فيه، قال: أظنّ، وأخال، وهي ستّون كتاباً، توجد منها أجزاء في مكتبة جامع القيروان[5].

---

(١) انظر مثلاً: المعالم ٢/١٦، المدارك ١/٤٧٣.

(٢) انظر مثلاً: المدارك ٣/٩٧، سير أعلام ١٠/٢٢٥.

(٣) الرياض ١/٢٦٤، وانظر: المعالم ٢/١٨.

(٤) انظر: الرياض ١/٢٦٩، المدارك ١/٤٧٦.

(٥) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨.

وقد أعاد سَحنون سماعها على ابن القاسم، وحذف منها أظنّ وأخال ونحوهما، ورتّبها، وذيّلها بالآثار، وسمّيت المدوّنة، فمال النّاس إليها وهجروا الأسديّة(٤).

ـ من حديثه:

أسد عن مالك عن سُهَيْل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنّة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيُغفَر لكلّ عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شَحناء»، فيُقال: «انظروا هذين حتّى يصطلحا، انظروا هذين حتّى يصطلحا»(٥).

٥ ـ البُهلول بن راشد الحَجْريّ الرُّعَيْنيّ(٦)، مولاهم، أبو عمر (١٢٨ - ١٨٣):

فقيه، محدّث، عالم، زاهد، متواضع، أحد العُبّاد.

ـ طلبه للعلم ورحلته:

سمع البُهلول بن راشد بإفريقيّة حديثاً كثيراً وفقهاً، فقد أخذ الموطّأ عن عليّ بن زياد التّونُسي (ت ١٨٣)، وعبدالله بن غانم (ت ١٩٠)(١)، وسمع جامع

---

(١) انظر: التّعريف بالمدوّنة في المصنّفات.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق مالك بلفظه، كتاب البر، باب النهي عن الشحناء ١٩٨٧/٤/ ٢٥٦٥، وأخرجه الترمذي بنحوه في كتاب البر، باب ما جاء في المتهاجرين ٣٧٣/٤/ ٢٠٢٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود بنحوه في كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه ٢١٦/٥/ ٤٩١٦، ويلتقي حديث الترمذي وأبي داود مع حديثنا في سهيل بن أبي صالح.

(٣) انظر: طبقات أبي العرب مح ١٢٦، الرياض ٢٠٠/١، المعالم ٢٦٤/١، المدارك ٣٣٠/١، الشجرة ٦٠/١، التاريخ الكبير ١٤٥/٢، تاريخ إفريقية والمغرب ٢٠٤، الجرح والتعديل ٤٢٩/٢، البيان المغرب ٨٩/١، الإكمال ٨٤/٣، ألف سنة من الوفيات ٣٦، الميزان ٣٥٥/١، اللسان ٦٦/٢، المغرب العربي ٦٧، ثقات ابن حبان ١٥٢/٨، المحن ٤٣٠، الحلل ٧١٣/٣/١، تراجم المؤلفين ٢٢٢/٥.

(٤) انظر: الحلل ٧١٣/٣/١، المدارك ٣٣٠/١.

سفيان الثّوري «الكثير الآثار» من عليّ بن زياد أيضاً[1]، وسمع جامع سفيان الصغير من عَنْبَسَة بن خَارِجَة[2]، وسمع كتاب الزّهد من علي الحمصي[3]، كما سمع الحديث ممّن لحقهم غير هؤلاء من شيوخ القيروان، مثل: عبدالرحمن الإفريقي (ت ١٦١)[4]، كما سيأتي في شيوخه، وقد تعلّم أصول مذهب مالك من عليّ بن زياد، حيث كان يختلف إليه في تونُس. وكانت له رحلة قديمة إلى المشرق ـ قبل سنة ١٤٥ هـ ـ رافق فيها عبدالله بن فَرُّوخ وعبدالله بن غانم[5]، وسمع فيها من كبار أهل الحديث والفقه، فقد أخذ بمصر من اللّيث بن سعد وغيره[6]، وسمع مالكاً بالمدينة[7]، وسفيان الثّوري وغيره بمكّة[8]، ولم يعد إلى القيروان حتّى امتلأ وطابه علماً، وقد وصفه أبو العرب بكثرة العلم فقال[9]: «وكان عنده علم كثير».

ـ شيوخه:

وممّا يبرز غزارة علم البُهلول وكثرة حديثه تعدّد شيوخه، واهتمامهم بالرّواية ومن أشهرهم:

١ ـ مالك بن أنس، الإمام، روى عِياض عن البُهلول أنّه قال: «ما رأيت أنزع بآية من مالك بن أنس مع معرفته بالصّحيح والسّقيم، والمعمول به من الحديث والمتروك ومَيْزِه الرّجال...»[10]. وهذا دليل على أنّ البُهلول قد أخذ شيئاً من ذلك عن مالك.

---

(١) ط أبي العرب مح ١٢٦.

(٢) المدارك ١/٣٣٠.

(٣) ط أبي العرب مح ١١٥.

(٤) الجرح والتعديل ٢/٤٢٩.

(٥) انظر: المدارك ١/٣١٧، المعالم ١/٣٠٤.

(٦) اللسان ٢/٦٦.

(٨) الرياض ١/٢٠٠.

(٨) المدارك ١/٣٣٠.

(٩) ط أبي العرب ١٢٦.

(١٠) المدارك ١/٩٠.

٢ ـ سفيان الثّوري (ت ١٦١)، المحدّث الحافظ الفقيه، أمير المؤمنين في الحديث[١].

٣ ـ اللّيث بن سعد (ت ١٧٥)، وهو فقيه، محدّث، ثقة، ثبت، من الأئمة[٢].

٤ ـ موسى بن عُلَيّ بن رباح (ت ١٦٣)، سمع منه بالقيروان، وهو محدّث من الأثبات[٣].

٥ ـ عبدالرحمن بن زياد بن أَنْعُم الإفريقيّ (ت ١٦١)، سمع منه في القيروان، كما تقدّم.

٦ ـ الحارث بن نَبْهان، سمع منه في القيروان لمّا دخلها الحارث، وقد تركه النُّقّاد[٤].

٧ ـ حَنْظَلَة بن أبي سُفيان (ت ١٥١)، وهو محدّث ثقة حجّة، سمع منه بمكّة[٥].

٨ ـ يونُس بن يزيد الأَيْلِيّ (ت ١٥٩)، وهو محدّث ثقة، قليل الخطأ عن الزّهريّ[٦].

٩ ـ الحارث بن أسد القَفْصِيّ، محدّث من أهل إفريقيّة[٧].

١٠ ـ عَنْبَسة بن خارجة، محدّث قيرواني[٨].

---

(١) تراجم المؤلفين ٥/٢٢٢، وانظر: التهذيب ٤/١١١.

(٢) ط أبي العرب مح ١٢٦، وانظر: التقريب ٢/١٣٨.

(٣) انظر: الكاشف ٣/١٦٥، الرياض ١/٢٠٠.

(٤) التقريب ١/١٤٤، المدارك ١/٣٣٠.

(٥) انظر: التقريب ١/٢٠٦، ط أبي العرب مح ١٢٧، اللسان ٢/٦٦.

(٦) التقريب ٢/٣٨٦، المعالم ١/٢٦٤.

(٧) انظر: المدارك ١/٤٩٠.

(٨) انظر: الرياض ١/٢٤١، المدارك ١/٣٣٠.

ـ توثيقه[1]:

بالغ المصنّفون في ذكر علم البُهلول، وفضله، وزهده، وعبادته، وقيامه بالسّنّة، ومقاومته للبدعة.

قال أبو العرب: «كان ثقة مجتهداً ورعاً، لا يُشكّ في أنّه مستجاب»، وتابعه على ذلك عياض وغيره، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال أبو حاتم: ثقة لا بأس به، وقال العُقَيْلِيّ والجُوَيْنِيّ: «شيخ من أهل المغرب، ليس به بأس»، وقال البَرْقِيّ: «كان بُهلول من أهل الفضل، والعلم، والورع، معروفاً بذلك، مع العبادة والاجتهاد»، وقال عليّ بن المديني: «لا بأس به»، وقال ابن حجَر في اللّسان: «حدّث عنه من أهل المغرب غير واحد، وهو رجل معروف عند أهل المغرب»، وقال يحيى بن معين: «ما أعرفه»، أقول: ولا يُعتدّ بقوله؛ فإنّ البُهلول قد بلغت شهرته الآفاق، وسيأتي قول تلميذه القَعْنَبِيّ المحدّث الثّقة «إنّه وتد من أوتاد المغرب».

ـ أثره العلميّ بالقيروان وتلاميذه:

أ ـ جلوسه للتّعليم والتّحديث: لقد أشارت بعض المصادر إلى أنّ البُهلول قد أقبل في أوّل أمره على العبادة، ولم يكن يحبّ الظّهور[2]، فلمّا احتيج إليه جلس للسّماع، وبثّ في القيروان علماً كثيراً، وكانت له حلقة في جامع عُقبة، وسمع منه النّاس مرويّاته[3]، وقد تعلّم منه أهل القيروان التّمسّك بالسّنّة، والشّدّة على أهل البدع، فقد روى المالكي وعياض والدّبّاغ[4] عن سَحنون أنّه قال: «إنّما اقتديت في ترك السّلام على أهل الأهواء والصّلاة خلفهم بمعلّمي

---

(١) انظر: هذه الأقوال في المصادر المثبتة في صدر الترجمة.

(٢) انظر مثلاً: ط أبي العرب مح ١٧٩، الحلل ١/٣/٧١٣.

(٣) انظر: المدارك ١/٣٣٠، ٣٣١، ط أبي العرب مح ١٢٨، ١٢٩، اللسان ٢/٦٦.

(٤) انظر: الرياض ١/٢٠٣، المدارك ١/٣٣١، المعالم ١/٢٦٦.

البُهلول». وكان يُقيم السُّنّة بنشر الحديث، وبالسّلوك المستقيم، قال ابن الحدّاد: «ما كان بهذا البلد أحد أقوم للسّنّة من رجلين: بُهلول في وقته، وسَحنون في وقته»[1]، وكان يُسمَع من بَعِيد وهو يقول: «السّنّة، السّنّة» ويُلحّ بها[2].

وقد سمع من البُهلول كبار مشايخ إفريقيَّة[3]: سَحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)، وعون بن يوسف الخُزاعي (ت ٢٢٩)، وأبو زكريّاء الحُفْرِيّ (ت ٢٣٧)، ويحيى بن سلّام (ت ٢٠٠) سمع منه حديثاً واحداً؛ لكونه دخل القيروان في السَّنَة التي مات فيها البُهلول، كما سمع منه خالد بن يزيد الفارسي، ودَحْيون بن راشد، وسَكَن الصّائغ، وغيرهم.

وسمع منه من أهل المشرق: عبدالله بن مَسْلَمَة القَعْنَبِيّ المحدّث الثّقة (ت ٢٢١). قال القعنبي: «حدّثني البُهلول وهو وتد من أوتاد المغرب»، كما في الحُلل وغيره[4].

كما روى عنه يزيد بن صُهَيْب[5]، المعروف بالفَقِير، المحدّث الثّقة، وقد لقيه بالمغرب كما في الرّياض، وروى عنه كامل بن طلحة، سمع منه بالقيروان.

وعن طريق هؤلاء التّلاميذ شاع علم البُهلول، وانتشرت مرويّاته، حتّى وصفه الحافظ أبو العرب بكثرة العلم فقال: «كان عنده علم كثير»، وقال ابن حَجَر في اللّسان: «حدّث عنه من أهل المغرب غير واحد».

وقد أغرب صاحب الرّياض ـ وتابعه الدّبّاغ في المعالم ـ حيث ذكر أنّ

---

(١) المعالم ١/٢٦٦، الرياض ١/٢٠٣.

(٢) المدارك ١/٣٣٦.

(٣) انظر: المصادر المثبتة في أول الترجمة.

(٤) التقريب ١/٤٥١، التاريخ الكبير ٢/١٤٥، الإكمال ٣/٨٤، ثقات ابن حبان ٨/١٥٢، الحلل ١/٣/٧١٣.

(٥) انظر: التقريب ٢/٣٦٦، الرياض ١/٢٠١.

مسلماً قد روى له في «سننه»[1]؛ إذ لم يشر أحد إلى ذلك، ولا وجود للبُهلول في الكتب التي ترجمت لرجال الستّة.

ب ـ **محنته**: طلب ملكُ الرّوم من محمد بن مُقاتِل العَكّيْ أمير إفريقيَّة (١٨١ - ١٨٤)، أن يرسل إليه النُّحاس والحديد والسّلاح، وكان صديقاً له، فعزم على أن يفعل، فعارضه البُهلول وألحّ عليه وشدّد في ذلك، فضربه بالسّياط حتّى أوجعه، وسجنه مدّة، فكان ذلك سبب وفاته، ولما ضُرب البُهلول ارتمى عليه قوم لحمايته، وطلب منه آخرون الخروج على السّلطان فأبى من ذلك[2]، كما ارتجّ لخبر ضربه أهل الثّغور[3].

جـ ـ **مؤلّفاته**: له كتاب الجامع، أو الدّيوان في الفقه[4]، وهو مفقود، ويُفترَض أن يكون جمع فيه بين الفقه والحديث؛ لمعرفته بالعلمين، وقيل: إن أصحابه دوّنوه عنه[5].

د ـ **من حديثه**: عن القَعْنَبِيّ قال: حدثنا البُهلول بن راشد عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أَعطه من هو أفقر إليه منّي، فقال رسول الله ﷺ: «خذه فتموّله، أو تصرّف به، وما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف، فخذه»[6].

---

(١) انظر: الرياض ٢٠١/١، المعالم ٢٦٥/١، وورد في المصدرين «سننه» ومعروف أن كتاب الإمام مسلم يعرف بصحيح مسلم، وهو الجامع الصحيح المسمى: «المسند الصحيح المختصر من السنن» ولم أر من أطلق عليه سنن مسلم في غير الرياض والمعالم.

(٢) انظر: ط أبي العرب مح ١٣٥.

(٣) انظر: المدارك ٣٣٨/١.

(٤)، (٥) انظر: الحلل ٧١٣/٣/١، تراجم المؤلفين ٢٢٢/٥، معجم المؤلفين ٨١/٣.

(٦) أخرجه الإمام البخاري بنحوه في كتاب الزكاة، باب ٥١، ١٣٠/٢، وفي كتاب الأحكام، باب رزق الحكام ١١١/٨، ويلتقي مع حديثنا في الموضع الأول في يونس، وفي الثاني في الزهري. وأخرجه الإمام مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطي من =

٦ ـ **البُهلول بن عمر بن صالح التُّجيبي[1]، أبو عمرو (ت ٢٣٣ ـ ٢٣٤):**

محدّث فقيه من أصحاب مالك، زهد النّاس في علمه؛ لأنّه رُمي بالقول بخلق القرآن ولم يثبت ذلك عليه.

ـ طلبه للعلم ورحلته وشيوخه:

سمع الفقه والحديث بالقيروان من والده عمر بن صالح، والبُهلول بن راشد، وعبدالله بن فَرّوخ المحدّث (ت ١٧٦)[2].

ثم رحل إلى المشرق فسمع بالمدينة من الإمام مالك، وبمصر من اللّيث بن سعد (ت ١٧٥)، وعبدالله بن لَهِيعة المحدّث (ت ١٧٤)، وسمع غِيَاث بن إبراهيم النَّخَعِيّ، وهو محدّث كوفي لم يرضه النّقاد[3]، وغيرهم[4].

وعاد من المشرق بعلم جمّ؛ فقد قال فيه الدّبّاغ[5]: «كان من العلماء المجتهدين العاملين، عالماً بالفقه، راوياً للحديث».

ـ منزلته من حيث التّعديل والتّجريح:

لقد اتُّهم البُهلول ببدعة القول بخلق القرآن، ونفاها عنه تلميذه بَكر بن حمّاد، كما في طبقات أبي العرب، قال بَكْر[6]: «رأيت (محمد) بن زَرْزَر يقرأ عليه كتاباً فيه شيء من هذا الرّأي، وهو له كاره»، ونقل ابن حَجَر في اللّسان عن

= غير مسألة ٢/٧٢٣/ ١٠٤٥، ١٠٤٦، ويلتقي مع حديثنا في يونس، وفي الموضع الثاني في الزهري وأخرجه النسائي بنحوه، في كتاب الزكاة، باب من آتاه الله عزّ وجلّ مالاً من غير مسألة ١٥/٥، ويلتقي مع حديثنا في الزهري.

(١) أبو العرب ٩١، الرياض ٢٨١/١، المعالم ٦٦/٢، تبصير المنتبه ٩١٧/٣، البيان المغرب ١٠٨/١، اللسان ٦٧/٢، الإكمال ٥٣/٦.

(٢) انظر: تبصير المنتبه ٩١٧/٣، ط أبي العرب مح ١٧٥، الإكمال ٥٣/٦.

(٣) انظر: الميزان ٣٣٧/٣، المعالم ٦٦/٢.

(٤) انظر: تبصير المنتبه ٩١٧/٣، ط أبي العرب مح ١٧٥، الإكمال ٥٣/٦.

(٥) المعالم ٦٦/٢.

(٦) ط أبي العرب ٩١.

المالكيّ قزله: «يقال إنّه كان ينكر ذلك»[1]، وقال المالكي[2]: «اختلف النّاس فيه فبعضهم ضعّفه، ووثّقه بعضهم، وكان صدوقاً في حديثه»، وقال صاحب المعالم: إنّه كان ثقة مأموناً[3].

والخلاصة في حاله أنّه ثقة كما قال الدّبّاغ؛ لأنّه إنما طُعن عليه ببدعة القول بخلق القرآن ولم تثبت عليه.

ـ أثره العلميّ في القيروان وتلاميذه:

جلس البُهلول لنشر العلم بالقيروان، لكنّه رُمي بالقول بخلق القرآن[4] فزهد فيه النّاس وتركوه، رغم سعة علمه، وجلالة قدره؛ إذ لم تثبت عليه هذه البدعة[5]، ولكنّ البيئة القيروانية كانت شديدة النّفور من كلّ من رُمي ببدعة، حريصة على التّمسّك بالسُّنّة، كما رأينا في التّمهيد، وقد وصل الأمر إلى أنّ البُهلول لمّا مات لم يتبع النّاس جنازته، بل رموها بالحجارة وصاحوا: «الوادي الوادي»[6]، وكان تلميذه بَكر بن حمّاد المحدّث يقول: «أُكره أن أفصح عنه؛ لزهادة النّاس فيه»[7].

غير أنّ ذلك الموقف المتطرّف من العامّة لم يمنع طلبة العلم بالقيروان من السّماع من البُهلول، فقد سمع منه المحدّث أحمد بن يزيد المعلّم (ت ٢٨٤)، وأبو داود العطّار صاحب سَحنون، وأحمد بن يحيى بن مِهْرَان، وإسماعيل بن نافع، والمحدّث بَكر بن حمّاد (ت ٢٩٦)، وعثمان بن أيوب المَعافِريّ، ومحمد بن زَرْزَر، كما سمع منه ولده صالح[8].

---

(١) ، (٢) اللسان ٢/٦٨.

(٣) المعالم ٢/٦٦.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٩١.

(٥) انظر: اللسان ٢/٦٨.

(٦)،(٧) ط أبي العرب مح ١٧٥.

(٨) راجع تلاميذه في مصادره.

٧ ـ تَميم بن أبي العَرَب محمد بن أحمد بن تَمِيم التميمي[٢]، أبو العَبّاس (ويقال فيه تَمّام) (ت ٣٧١):

فقيه محدّث، من أهل الورع، والزّهد، والعبادة.

ـ طلبه للعلم وشيوخه:

سمع تميم بالقيروان علماً كثيراً من القرويّين والأندلسيّين، فقد كتب الحديث عن والده أبي العرب حافظ القيروان (ت ٣٣٣)[٣]، وعن عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)[٤]، وسمع كتاب أنس بن عِياض المحدّث (ت ٢٠٠) من حِمَاس بن مروان[٥] (ت حوالي سنة ٣٠٣)، وتعلّم علم الرجال والتّاريخ من فُرات العَبْدي (ت ٢٩٢)[٦]، كما سمع الحديث من بعض محدّثي الأندلس، مثل: محمد بن إبراهيم بن حَيُّون (ت ٣٠٥)[٧]، وكثُر شيوخه في الفقه حيث أخذ كتاب الإمامة لابن سَحنون عن موسى بن عبدالرحمن، وأجاز له كتاب الموّازيّة[٨]، ولقي المحدّث الفقيه محمد بن عمر (ت ٢٩٧)، وأخذ عنه الدِّمياطيّة[٩]، والبرقيّة[١٠] ومنتخباته[١١].

---

(١) المعالم ٩٧/٣، المدارك ٥٢٣/٣، الشجرة ٩٥/١، اللسان ٧٣/٢.

(٢) المعالم ٩٧/٣. (٣) الشجرة ٩٥/١.

(٤) المعالم ٩٧/٣.

(٥) المدارك ٥٣٢/٣، وانظر: ترجمة فرات رقم ٢٨ في المحدثين.

(٦) انظر: تاريخ ابن الفرضي ٢٩/٢.

(٧) كتاب كبير في الفقه المالكي ألّفه محمد بن إبراهيم، المعروف بابن الموّاز، انظر: الشجرة ٦٨/١.

(٨) جمعها عبدالرحمن بن أبي جعفر الدِّمياطي، وهي سماعه من كبار أصحاب مالك، انظر: المدارك ٥٣٢/١.

(٩) مختصر في الفقه لمحمد بن عبدالله البرقي، انظر: المدارك ٨٣/٣.

(١٠) المعالم ٩٧/٣.

وسمع مستخرجة العُتْبِي[1] من محمد بن أُسامة الحَجريّ الأندلسيّ (ت ٢٨٧)[2] ، كما سمع من عيسى بن سليمان، ومحمد بن بِسطام، وابن أبي زاهر[3] ، وكلّ هؤلاء من صغار رجال سحنون، ولهم مشاركة في الحديث.

ولم تكن له رحلة خارج القيروان، فقد توفّي أثناء رحلته إلى المشرق سنة ٣٧١ هـ[4] .

ـ توثيقه:

لقد اتّفقت المصادر على ذكر فضل تميم، ودينه، وعدالته، قال المالكي[5] : «كان رجلاً صالحاً، فاضلاً متفنّناً، ناسكاً كثير الأخذ على لسانه. . . أجمع النّاس على فضله»، وقال تلميذه الوَهْرَانِيّ[6]: «كان كوالده خيّراً فاضلاً»، وقال عياض: «كان من أهل الورع والاجتهاد».

وممّا يدل على توثيقه ومتانة دينه أنّه تكلّم في شقيقه أبي جعفر وضعّفه؛ لأنّه روى كتب أبيهما بالأندلس، ولم يكن قد سمعها منه[7].

وقد أغرب أبو جعفر ابن صابر حين ضعّفه فيما نقله عنه ابن حجر في اللّسان[8]، ولا شكّ أنّه اختلط عليه بأخيه؛ وذلك للأمور التّالية:

ـ لقد وردت كنيته في اللّسان: أبو جعفر، وهي كنية أخيه، أمّا كنيته هو فأبو العَبّاس كما في المصادر.

ـ لقد أرّخ ابن حجر وفاته سنة ٣٥٠ هـ، وهي قريبة من وفاة أخيه أبي

---

(١) انظر عنها وعن مؤلفها: محمد بن أحمد العُتْبي، المدارك ١٤٤/٣.
(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢٠/٢.
(٣) المدارك ٥٣٢/٣.
(٤) المعالم ٩٧/٣.
(٥) المدارك ٥٣٢/٣.
(٦) المدارك ٥٣٣/٣.
(٧) المدارك ٥٣٣/٣.
(٨) اللسان ٧٣/٢.

جعفر فقد ذكر عياض في المدارك أنه توفي سنة ٣٥٩ هـ، أمّا الذي معنا فقد توفّي سنة ٣٧١ هـ.

ـ لقد ذكر أنّه كان بقُرْطُبَة، وإنّما دَخل قُرْطُبَة أخوه أبو جعفر، أمّا هو فلم يخرج من القيروان، وتوفّي في طريقه إلى المشرق كما تقدم.

ـ أثره الحديثيّ وتلاميذه:

لقد عاش تميم الجزء الأكبر من حياته تحت حكم بني عُبَيد (٢٩٦ ـ ٣٦٢) الذين ضيّقوا على العلماء، كما عاش تحت حكم بني زيري في الفترة التي كانوا يسيرون فيها على نهج سلَفهم، ومع ذلك فإنّه لم يتخلّ عن مسؤولية نشر العلم، فقد «قُرىء عليه بالقيروان وسُمع منه»، كما قال صاحب المدارك[1]، وتعدّد تلاميذه من القرويّين والأندلسيّين[2]، فقد سمع منه ابنه محمد بن تميم المحدّث، وأبو محمد الأجدابي والوليد بن مَخْلَد، وهؤلاء من أهل القيروان.

أمّا الأندلسيّون فقد كتب عنه منهم الحديث: محمد بن عبدالله بن مُفَوَّز القرطبيّ[3].

وتتلمذ عليه بالإجازة عبدالله بن محمد بن نصر الأندلسي (ت ٣٩٩)، وهو محدّث سمع منه النّاس، وألّف في الحديث[4]، ولازمه أبو القاسم الوَهْرَانِيّ أربع سنوات للسّماع منه[5].

كما سمع منه سعيد بن سلمة بن عبّاس، وهو محدّث قُرْطُبي (ت ٤١٣)[6].

---

(١) المدارك ٥٣٢/٣.

(٢) انظر عنهم مصادره أعلاه، والتكملة ٣٨٠/١، الصلة ٢١١/١، ٢٠٧/٢، ٤٣٦، ٤٧٧.

(٣) انظر: الصلة ٤٧٧/٢.

(٤) انظر: الصلة ٢٤٤/١.

(٥) المدارك ٥٣٢/٣.

(٦) الصلة ٢١١/١.

وأخذ عنه سعيد بن محمد الأُمَوِيّ (ت ٣٩٧)، وقد كانت له مشاركة في الحديث[١]، وغيرهم[٢].

٨ ـ حاتِم بن عثمان المَعَافِرِيّ[٣]، أبو عثمان:

سمع الحديث بالقيروان من عبدالرحمن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)[٤]، ثم رحل إلى الإمام مالك فسمع منه[٥]، وكثر تردّده عليه؛ لأنّه كان الرّسول بينه وبين عبدالله بن غانم المحدّث الفقيه، قاضي القيروان، يأخذ المسائل من ابن غانم إلى مالك ليجيب عنها[٦]، وكانت رحلته الأولى إلى مالك مع ابن غانم[٧]، فلعلّه شاركه في شيوخه الكثيرين[٨].

كان يحدّث في القيروان عن مالك، ولم نعرف من تلاميذه إلاّ داود بن يحيى الصّوفي (ت ٢٤٩)، وهو محدّث فقيه[٩].

قال المالكي[١٠]: «كان يروي عن مالك غرائب لا يكاد يرويها عنه غيره»، وضعّفه ابن حجر في لسان الميزان[١١].

---

(١) الصلة ١/٢٠٧.
(٢) انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٨٨.
(٣) أبو العرب ٧١، الرياض ١/٢٣٢، المعالم ١/٣١٣، اللسان ٢/١٤٥، الإكمال ١/٥٢٤، المغرب العربي ٦٧، المدارك ١/٤٨٥.
(٤) انظر: الرياض ١/٢٣٢، اللسان ٢/١٤٥.
(٥) المعالم ١/٣١٣، الإكمال ١/٥٢٤.
(٦) الرياض بتحقيق مؤنس ١/١٥٧.
(٧) انظر: ط أبي العرب ٧١.
(٨) انظر: شيوخ ابن غانم في ترجمته رقم ٢١ في المحدثين.
(٩) ط أبي العرب ٧١، الإكمال ١/٥٢٤.
(١٠) الرياض ١/٢٣٣.
(١١) اللسان ٢/١٤٥.

٩ ــ رَباح بن ثابت الأَزْدِيّ[١]، أبو الحَجّاج (ت ٢٣٧):

ــ طلبه للعلم ورحلته وشيوخه:

سمع الحديث بالقيروان من عبدالرحمن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)[٢]، وأبي مَعْمَر عبّاد بن عبدالصّمد، صاحب أنس بن مالك.

ثمّ رحل إلى المشرق فأكثر من الشّيوخ، وسماع الحديث[٣]، فقد سمع بمصر من عبدالله بن لَهِيعة (ت ١٧٤)[٤]، وسعيد بن أبي أيّوب الخُزَاعِيّ المحدّث الثّبت (ت ١٩١)، وسمع بالمدينة المنوّرة من الإمام مالك، ولقي في مكّة محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب المحدّث الثّقة (ت ١٥٨) سنة ١٦١ هـ[٥]، كما سمع من بَكر بن خُنَيْس الكوفيّ نزيل بغداد.

وهكذا يكون رباح بن ثابت قد جمع في شيوخه بين الأئمّة الثّقات الأثبات جهابذة علم الحديث، مثل: سعيد بن أبي أيّوب، وبين من رُمي بالوضع كمَعْمَر بن عبّاد، ولا شكّ أنّ ذلك قد أثّر في مرويّاته قوّة وضعفاً.

ــ منزلته من حيث الجرح والتّعديل:

لقد أثنى عليه الأفارقة ووثّقوه، فقد قال فيه أبو العرب[٦]: «كان ثقة»، وروى له في كتاب المحن[٧]، وهو وإن كان في نفسه ثقة إلاّ أنّ في مرويّاته ما هو منكر، ولعلّ النّكارة من شيخه أبي مَعْمَر[٨] كما في هذا الحديث الذي ورد في الرّياض والمعالم[٩]:

---

(١) الرياض ١/٢٨٣، أبو العرب ٧٦، المعالم ٢/٦٢، المدارك ١/٢٦١، في الرواة عن مالك وورد اسمه «روح» خطأ.

(٢) المعالم ٢/٦٢.

(٣) المحن ٤٢.

(٤) انظر: شيوخه في المشرق في المصادر المثبتة أعلاه.

(٥) ط أبي العرب ٧٦.

(٦) ط أبي العرب ٧٦.

(٧) المحن ٤٢.

(٨) تابعي منكر الحديث تركه النقاد: راجع ترجمته رقم ٧ في القسم الثالث من التابعين.

(٩) الرياض ١/٢٨٣، المعالم ٢/٦٢.

رباح عن أبي مَعْمَر عبّاد بن عبدالصّمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «من قال بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، عشر مرات بريء من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، وعوفي من بلايا الدّنيا، منها: الجُذام، والبَرَص، والرّيح، ويبعث الله عزّ وجلّ سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى اللّيل، وهي رُقية من تسعة وتسعين داء»، فالنّكارة واضحة على هذا الحديث؛ إذ فيه الوعد بالثّواب الكثير على العمل القليل، والمجازفة فيه بيّنة، وكلّ ذلك من علامات الوضع، وشيخ رباح في هذا الحديث هو: أبو معمر عبّاد بن عبدالصمد، وقد تقدم أنّ حديثه متروك.

ـ أثره العلميّ وتلاميذه:

لقد كان رباح كثير العلم، واسع الرّحلة، مُكثراً من لقيّ الشّيوخ والأخذ عنهم، ومع ذلك فلم يكن له كبير أثر في الحياة العلميّة بالقيروان حسبما تفيده المصادر؛ إذ لم أعثر له إلاّ على تلميذ واحد هو: فُرات بن محمد العَبْدي المحدّث العالم بالرّجال[1]، ولعلّ قلّة أثره العلميّ كانت بسبب انقطاعه للعبادة حتّى صار في عداد العُبَّاد المجتهدين.

١٠ ـ رباح بن يزيد اللَّخْمِيّ[2]، أبو يزيد (ت ١٧٢):

كان رباح من كبار العُبَّاد زاهداً، مستجاب الدّعوة، عالماً عاملاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وله مشاركة في الحديث.

ـ طلبه ورحلته وشيوخه:

سمع رباح الحديث بالقيروان من مشايخ هذه الطّبقة، مثل: عبدالرحم بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١).

---

(١) انظر: المحن ٤٢، وستأتي ترجمته رقم ٢٨ في المحدثين.

(٢) أبو العرب ٤٥، الرياض ١/٣٠٠، تاريخ الرقيق ١٧٧، المعالم ١/٢٥٣، المحن ٣٥٧، الإكمال ٤/٨، هامش الورقات ٢/٣٣٧.

ثم رحل إلى المشرق فسمع[1] من عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهو فقيه محدّث من الثّقات (ت ١٥٧).

ومن سفيان بن سعيد الثّوري الإمام (ت ١٦١)، أمير المؤمنين في الحديث.

كما سمع من عبدالله بن زياد بن سليمان بن سَمْعان المَخْزُوميّ، ودوّن عنه كتاباً[2]، وابن سمعان هذا قد تركه النُّقّاد واتّهموه بالكذب[3].

ـ توثيقـه:

لقد لهجت المصادر بذكر فضل رباح، وعلمه، وزهده، وتقواه، وقال المحدّث الثّقة عبدالله بن يزيد المقرىء شيخ البُخاري (ت ٢١٣) ـ وكان قد دخل القيروان ـ: «رأيت أربعة ما رأيت في الدّنيا مثلهم، وذكر منهم رباح بن يزيد»[4]، غير أنّ إكثاره السّماع من ابن سَمْعَان، وتدوينه عنه كتاباً لا بدّ أنّه تسبّب في إدخال الضّعف على حديثه.

ـ أثره العلمي والحديثيّ وتلاميذه:

أ ـ جلوسه للتّحديث:

لمّا عاد رباح إلى القيروان بعد رحلته العلميّة الحافلة، أخذ مكانه بين من بها من المدرّسين والموجّهين والوعّاظ، وحدّث فيها بالكتاب الذي رواه عن ابن سمعان[5]، وغيره من حديثه.

---

(١) انظر عن شيوخه بالمشرق: المعالم ٢٥٣/١، الرياض ٣٠٠/١، ط أبي العرب مح ١١٨.

(٢) ط أبي العرب مح ١٢٠.

(٣) انظر: التقريب ٤١٦/١، التهذيب ٢١٩/٥.

(٤) ط أبي العرب مح ١٢١.

(٥) الرياض ٣٠٠/١، ط أبي العرب ٤٧.

ومن تلاميذه: المحدّث عبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، الجامع بين الفقه والحديث، وعَنْبَسة بن خارجة الغافقيّ المحدّث (ت ٢١٠)، وشُعَيب بن يزيد اللَّيْثِيّ، وغيرهم[١].

وكان رباح يتعهّد أصحابه بالنّصح والتّوجيه قولاً وكتابة، فقد أورد له المالكي نصّ رسالة إلى ابن فَرُّوخ، وأخرى إلى البُهلول، فيهما استدلال بنصوص من الكتاب والسّنّة[٢].

ب ـ مؤلفاته:

ـ له كتاب جمع فيه سماعه من ابن سمعان، ورواه أهل القيروان.

ـ رسالتان أوردهما المالكيّ في الرّياض كتبهما إلى البُهلول بن راشد وعبدالله بن فَرُّوخ الفارسيّ، كما تقدّم.

جـ ـ من حديثه:

قال رباح: حدّثني ابن سمعان عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ عن عطاء بن يزيد اللَّيْثِيّ عن أبي هريرة أنه قال: سئل رسول الله ﷺ أيّ الناس أفضل؟، فقال: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزّ وجلّ»، قالوا: ثمّ من يا رسول الله؟، قال: «ثمّ مؤمن معتزل في شِعْب من الشِّعاب، يقيم الصّلاة، ويؤتي الزكاة، ويدع النّاس من شرّه»[٣].

---

(١) انظر: تلاميذه في ط أبي العرب ٤٧، المعالم ١/٢٥٣، الرياض ١/٣٠٦، ٣٠٨.

(٢) الرياض ١/٣٠٦ - ٣١٠.

(٣) الحديث في الصحيحين وغيرهما غير أنه عن أبي سعيد الخدري بدل أبي هريرة، ويلتقي مع حديثنا في الزهري.
انظر: صحيح البُخاري، كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد ٣/٢٠٠، كتاب الرقائق، باب العزلة ٧/١٨٨، صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط ٣/١٥٣/١٨٨٨.

ـ وفاتـه:

توفّي رباح وهو شاب، وذلك سنة ١٧٢ هـ عن ٣٨ سنة.

١١ ـ ربيع بن سُليمان القُرَشيّ[١] المعروف بالقطّان، أبو سليمان (٢٨٨ ـ ٣٣٣): فقيه، محدّث، مقرىء، مفسّر، لغويّ شاعر، مع عبادة ونُسُك وصلاح.

ـ طلبه ورحلته وشيوخه:

كان ربيع القطّان كثير الطّلب للعلم، شديد الحرص عليه، يسمع من الشُّيوخ بالنّهار، ويُحيي ليله في المذاكرة والدّرس، وقد سمع بالقيروان من معظم أصحاب سَحنون[٢]، وروى عن أبي بكر محمد بن اللّبّاد شيخ السّنّة بها (ت ٣٣٣)[٣]، ومن الحافظ أبي العرب (ت ٣٣٣)[٤]، وأبي جعفر القصري المحدّث (ت ٣٢٢)، وقد لازمه حتّى صار من كبار أصحابه[٥]، ومن محمد بن بَسِيل (ت ٣٠٧)، وهو من محدّثي أصحاب سَحنون[٦]، وغيرهم من شيوخ إفريقيّة، قال ابن حارث[٧]: «كان صاحبي في كلّ مجلس، ومساعدي في كلّ علم طلبت، وديوان درست»، ثم رحل إلى المشرق مرّتين، ومحّض رحلته الأولى لسماع الحديث كما في المدارك[٨]، فلقي أبا سعيد ابن الأعرابيّ، الحافظ الثّقة الإمام (ت ٣٤٠)[٩]، وأبا علي ابن الكاتب، ومحمد بن يزيد المقرىء، وأبا يعقوب الجَوْهَرِيّ، وأبا عُبَيدالله الجِيزِيّ، وغيرهم.

أمّا رحلته الثّانية، والتي كانت سنة ٣٢٤ هـ، فقد خرج فيها متنكّراً

---

(١) طبقات الخشني ١٧٦، الرياض ٢/٣٢٣، المدارك ٣/٣٢٣، المعالم ٣/٣٠، تراجم المؤلفين ٤/٩٢، القراءات بإفريقية ٢٩٧، الشجرة ٢/٨٣، الأعلام ٣/١٥.

(٢) انظر مثلاً: الرياض ٢/٣٢٣.

(٣)، (٤)، (٥) المعالم ١/٣٠.

(٦) المدارك ٥/٧٧.

(٧) ط الخشني ١٧٩.

(٨) المدارك ٣/٣٢٥.

(٩) اللسان ١/٣٠٨.

وخصّصها للعبادة[1]، فلقي جماعة من المتصوّفة، منهم: أبـو الحسن علي بن محمد الدِّينُورِيّ (ت ٣٣٠).

- تفنّنه في الحديث وغيره من العلوم:

وكانت نتيجـة هـذا الطّلب المستمـرّ، والاهتمام بـالعلم أن أصبح ربيـع متضلّعاً في علم الحديث: حفـظاً لمتونـه، وعلماً بمعـانيه ورجـاله، فقـد ذكر المالكيّ أنّه كان «حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عالماً بمعانيه، وعلله، وغريبه، وأسمـاء رجالـه، وكناهم، وقـويّهم من ضعيفهم»[2]، فلم يترك جـانباً من علم الحديث إلاّ طَرَقه وبرع فيه، وكانت مجالسه ثريّة بالأحاديث، والأخبار، والرّقائق.

وإلى جانب الحديث كان ربيع بارعاً في علوم القرآن، من تفسير، وقراءات ونحوها، مع عناية بالمسائل الفقهيّة وبروز في اللّغة والنّحو، وكان يقول الشّعر، ويجيد التّأليف[3].

- أثره العلميّ وتلاميذه:

لقد عاصر ربيع الدّولة العُبَيديّة في أعتى أيّامها، فعمل جاهـداً مع بقيّـة علماء القيروان على نشر السُّنّة والمنافحة عنها، فكان له مجلس في بيته يعلّم فيه الحديث والفقه والتّفسير[4]، كما كان يأتيه الطّلبة إلى حانوته أيضاً للأخذ عنه[5]، وفي أيّام أبي يزيد كانت لربيـع حلقة عظيمة في جامع عقبة، يحضرها العلماء والطّلبة[6]. وكان ذلك في آخر حياة ربيع سنة ٣٣٣ هـ.

وقد تتلمذ على ربيع كثير من أهل القيرون، منهم: عبدالله بن سعد اللَّجّام (ت ٣٣١)، وكان يقابل معه الكتب ويصحّحهـا له، وأبـو محمد ابن أبي زيـد

---

(١) المدارك ٣/٣٢٥.
(٢) الرياض ٢/٣٢٤.
(٣) انظر: المدارك ٣/٣٢٣، ٣٢٤.
(٤) انظر: الرياض ٢/٣٢٦، ٣٢٧.
(٥) المدارك ٣/٣٢٦.
(٦) م. ن ٣/٣٢١.

(ت ٣٨٦)، وعمرو بن محمد العَسَّال (ت ٣٤٣)، وأبو الأزهر عبدالوارث بن مُعَتِّب (ت ٣٧١)، ومحمد بن أحمد السُّيُورِيّ، وغيرهم[١].

وقد ذكر الخُشَنِيّ[٢] أنّ ربيعاً قد انقطع للعبادة والتّصوّف، ومال إلى علم الباطن في آخر حياته، وترك نشر العلم، غير أنّه ثبت في المصادر المختلفة أنه كان يدرّس بجامع القيروان، أيّام أبي يزيد، أي في السّنة التي توفّي فيها كما تقدّم، وهذا يردّ كلام الخُشنيّ الذي كان إذ ذاك بالأندلس، ثمّ إنّ إقبال ربيع على العبادة لا يمكن أن يمنعه من نشر العلم.

ـ وفاتـه:

كان ربيع القطّان أحد مشايخ القيروان الذين نظّموا عمليّة الخروج على بني عُبَيد مع أبي يزيد، ودعوا لها، وحرّضوا النّاس عليها، وهو صاحب لواء من سبعة ألوية حملها المشايخ في حروبهم ضدّ العُبيديّين[٣]، فاستشهد رحمه الله في قتال الرّافضة، وذلك سنة ٣٣٣ هـ، واستشهد معه خمسة وثمانون من العلماء والصّلحاء رحمهم الله تعالى[٤].

١٢ ـ زيد بن سِنان الأَسَدِي[٥]، أبو سِنان (١٥٥ ـ ٢٤٤ وقيل ٢٤٣):

محدّث، فقيه، زاهد، من العُبّاد.

ـ طلبه وشيوخه ورحلته:

سمع زيد بالقيروان الحديث والفقه من أَسَد بن الفُرات (ت ٢١٣)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وصِقْلاب بن زياد (ت ١٩٣)، وغيرهم[٦]، وأدرك

---

(١) انظر عن تلاميذه المصادر المثبتة في أول ترجمته.

(٢) انظر: ط الخشني ١٧٩، الرياض ٢/٣٢٥.

(٣) انظر: المعالم ٣/٣٢. (٤) انظر: الشجرة ١/٨٣.

(٥) أبو العرب ١١٦، الرياض ١/٣٨٨، المدارك ٣/١٣، المعالم ٢/١٠٨، الإكمال ٤/٤٤٨.

(٦) انظر: المعالم، ط أبي العرب، المدارك، في المواضع أعلاه.

التابعيّ عبّاد بن عبدالصّمد، صاحب أنس بن مالك، وهو في الكُتّاب، ولم يسمع منه شيئاً[1].

ثم رحل إلى المشرق، فتلقّى الحديث وعلم الرّجال عن سفيان بن عُيَيْنَة (ت ١٧٨)، وهو من كبار المحدّثين، ثقة حافظ حجّة[2]، وسمع من أنس بن عِياض المحدّث الثّقة (ت ٢٠٠)[3]، وتفقّه بعبدالرحمن بن القاسم (ت ١٩١)، وكان بعد ذلك يكاتبه[4]، وأخذ عن عبدالله بن عبدالحكم، وقد نزل عنده لما دخل مصر.

وكاتبه عبدالرّحمن بن أبي الغَمْر، الفقيه (ت ٢٣٤)[5]، كما حدّث عن أبي صَدَقَة[6] وهو رجل كان نصرانيّاً فأسلم، ثمّ طلب العلم حتّى برع فيه.

ـ توثيقه:

أشاد المصنّفون بفضل أبي سِنان، وعلمه ودينه ونزاهته، ووثّقوه، قال أبو العَرَب[7]: «كان ثقة»، وقال المالكي[8]: «كان رجلاً صالحاً ثقة مأموناً»، وقال محمد بن سَحنون[9]: «كان على السّنّة»، وقال الدّبّاغ[10]: «كان فقيهاً ثقة مأموناً تقيّاً»، وأضاف ابن ناجي[11]: «كان زكيّاً ثبتاً زاهداً، ورعاً، وليّاً من أولياء الله تعالى»، وكان تلاميذه يذكرونه بخير كثير[12].

---

(١) المدارك ٣/١٣، المعالم ١/١٠٨.
(٢) انظر: التقريب ١/٣١٢، المدارك ٣/١٤، ط أبي العرب ١١٦.
(٣) انظر: التقريب ١/٨٤، المدارك ٣/١٤.
(٤) المدارك ٣/١٤.
(٥) الرياض ١/٣٨٨.
(٦) الإكمال ٤/٤٤٨.
(٧) المدارك ٣/١٣.
(٨) الرياض ١/٣٨٨.
(٩) ط أبي العرب ١١٧.
(١٠)، (١١) المعالم ٢/١٠٨.
(١٢) المدارك ٣/١٣، ط أبي العرب ١١٧.

ـ أثره وتلاميذه:

لمّا عاد زيد إلى القيروان جلس للطّلبة، يُسمعهم مرويّاته في الفقه والحديث، وكان له مجلس حفيل[1]، فانتفع به النّاس، وتخرّج على يديه كثيرون[2]، كان لهم أثر بعد ذلك في إثراء الحياة العلميّة بالقيروان، منهم: أحمد بن يزيد المحدّث (ت ٢٨٤)، وسعيد بن الحدّاد المتفنّن في شتّى العلوم (ت ٣٠٢)، وسليمان بن سالم المحدّث الفقيه (ت ٢٨٩)، وسعيد بن إسحاق العالم بالحديث والرّجال والمغازي (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥)، وبَكر بن حمّاد المحدّث (ت ٢٩٦)، ويحيى بن محمد بن خُشَيش، وغيرهم.

١٣ ـ سَحنون بن سعيد بن حبيب التَّنُوخي[3]، أبو سعيد، الإمام (١٦٠ ـ ٢٤٠):

---

(١) انظر: الرياض ٣٨٨/١. (٢) انظر تلاميذه في مصادر أعلاه.

(٣) طبقات أبي العرب ١٠١، ط الخشني ٢٢٧، ٢٣٦، الرياض ٣٤٥/١، المدارك ٥٨٥/١، المعالم ٢٧٧/٢، الشجرة ٦٩/١، تاريخ التراث العربي ١٤٨/٣/١، ورقات ٩٩/٢، تاريخ قضاة القيروان خط ٢٢، الفكر السامي ٩٨/٢، المكتبة الأثرية ٢٨، سير أعلام ٦٣/١٢، جوامع السيرة ٣٣٥، لسان الميزان ٨/٣، مرآة الجنان ١٣١/٢، التمهيد ٩٦/١، ٩٧. ١٤٣/٢، البداية والنهاية ٣٢٣/١٠، اللّباب ٧٩/١، الإعلان بالتوبيخ ١٤٠، خلاصة تاريخ تونس ٨٥، قضاة قرطبة ٥٨، المغرب العَربي ٧٣، دائرة المعارف ٣٢٨/١١، وفيات الأعيان ١٨٠/٣، تراجم المؤلفين ١٢/٣، الحلل السندسية ٢٨٥/١/١، ٧٦٩/٣/١، تاريخ المغرب العربي ٨٦/٢، البيان المُغرب ١٠٩/١، المرقبة العليا ٢٨، وفيات ابن قنفذ ٢٦، الديباج ١٦٠، طبقات الفقهاء ١٥٦، فهرسة ابن خير ٢٤٠، ثقات ابن حبان ٢٩٩/٨، الإكمال ٢٦٥/٤، الأعلام ١٢٩/٤، معجم المؤلفين ٢٢٤/٥، شذرات الذهب ٩٤/٢، الأنساب ٣٢٧/١، أعلام الموقعين ٢٧/١، مقدمة المدوّنة ٢٦٢/١، المحن ٤٥٤، تاريخ معالم التوحيد ٣٧، مقدمة موطأ ابن زياد ١٠٣، الإمام المازري ٢٤، سحنون مشكاة علم ونور.

اسمه عبدالسّلام، ولقب بسُحنون[1] وهو اسم طائر حديد في المغرب؛ لحدّة ذهنه وذكائه، أصله من عرب الشّام، قدم به أبوه مع جند حِمْص[2].

وهو إمام أهل إفريقيّة والمغرب بلا منازع، فقيه، محدّث، قاضٍ، مفتٍ، حمل لواء أهل السّنّة والجماعة بتلك الرّبوع، وقاوم البدع، ودوّن مذهب مالك ونشره، مع زهد، وورع، وتعفّف، وكثرة صدقة ومعروف، وهو أحد الآحاد.

والإمام سَحنون غلب عليه اسم الفقيه والتصق به، وأُغفِل الجانب الحديثيّ عنده، رغم تضلّعه فيه، واهتمامه به، وكثرة شيوخه فيه، كما سيأتي.

ـ طلبه للعلم ورحلته:

أقبل سَحنون على طلب العلم في سنّ مبكّرة[3]، وسرعان ما نبغ فيه، وتوسّم فيه شيوخه النّجابة وإخلاص الطّلب لله عزّ وجلّ، وقد سمع الحديث والفقه من جلّة شيوخ عصره بالقيروان[4]، مثل: معاوية الصُّمَادِحِيّ المحدّث (ت ١٩٩)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣) الجامع بين الفقه والحديث، وأسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، وابن غانم (ت ١٩٠) وغيرهم، ورحل إلى تونُس عدّة مرّات، فسمع الموطّأ من عليّ بن زياد، وتعلّم عليه أصول مذهب مالك، وكان يَختلف إليه كلّما وجد نفقة، وكان البُهلول ابن راشد المحدّث الزّاهد التّقيّ قد تفرّس في سَحنون الإخلاص، والحرص على الطّلب، فكتب إلى عليّ بن زياد كتاباً يوصيه فيه بسَحنون، وممّا جاء فيه: «إنّي إنّما أكتب إليك في رجل يطلب العلم لله عزّ وجلّ»، قال المالكيّ: «فلما قرأه

---

(١) سَحنون بفتح السين وضمّها والفتح أصوب. انظر: الحلل ١/١/٢٨٥، سير أعلام ١٢/٦٨، الغنية ١٩٩، وفيات الأعيان ٣/١٨٢.

(٢) انظر: الرياض ١/٣٤٦، المدارك ١/٥٨٥.

(٣) انظر مثلاً: مقدمة موطأ ابن زياد ١٠٤.

(٤) لقد ذكر شيوخه في معظم مصادره، وانظر خاصة: ط أبي العرب، الرياض، المدارك، المعالم، سير أعلام، الديباج، راجع المواضع أعلاه.

قال لسحنون: أين نزلت؟ فأخبره، قال: فأخذ عليّ بن زياد الموطّأ فأتى به إلى سَحنون ليُسمعه في موضعه الذي نزل به، وقال: إنّ أخي - يعني البُهلول - كتب إليّ يُعلِمني أنك إنّما تطلب العلم لله تعالى»(1).

كما سمع بتونُس الحديث من عبدالملك بن أبي كريمة المحدّث، وأخذ الفقه عن أبي مسعود ابن أشرس التّونُسيّ صاحب الإمام مالك.

وبعد أن تلقّى سَحنون عن أكثر من اثني عشر شخصاً من كبار علماء إفريقيّة - كما سيأتي - رحل إلى المشرق للأخذ عن علمائه، ويلاحظ الباحث أنّ هناك اضطراباً في المصادر فيما يتعلّق برحلة سَحنون إلى الشرق. فأكثر المصادر على أنّه ارتحل سنة ١٨٨ هـ وعاد سنة ١٩١ هـ، وبعض من أورد هذا التاريخ أورد أيضاً عن سَحنون أنّه قال: «خرجت إلى ابن القاسم وأنا ابن خمس وعشرين سنة، وقدمت إفريقيّة ابن ثلاثين سنة»(2). وهذا لا يستقيم مع التّواريخ المذكورة، ونظراً لثبوت عودة سحنون سنة ١٩١ هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن القاسم، وقد سمع منه فيها أهل أَجْدَابِيَة، كما صرّح بعد ذلك سَحنون نفسه(3)، فإنّ تاريخ الخروج يكون غير ما ورد في المصادر، خاصة وقد ذكر عياض(4) أنه سمع ممّن توفّي قبل سنة ١٨٨ هـ، فإذا جمعنا بين هذا القول وبين ما ورد عن سَحنون من أنّ رحلته دامت خمس سنوات نقول بأنّ تاريخ خروجه كان سنة ١٨٦ هـ، أو السّنة التي تليها.

---

(1) الرياض ١/٣٥٠، وانظر: المدارك ١/٥٨٧، المعالم ٢/٨٠.

(2) انظر مثلاً: المدارك ١/٥٨٧، الديباج ١٦١.

(3) انظر مثلاً: ط أبي العرب ١٠١، المدارك ١/٥٨٧.

(4) انظر: المدارك ١/٥٨٧، وقد مثّل لذلك لعبدالله بن نافع الصائغ، قال توفي ١٨٦ هـ وكذلك في الديباج ١٣١، وهو خطأ، والصواب أنه توفي سنة ٢٠٦ هـ (انظر: التقريب ١/٤٥٦)، ويصح التمثيل بالمغيرة بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة المتوفّى سنة ١٨٨ هـ وقيل ١٨٦ هـ (انظر: التهذيب ١٠/٢٦٤).

وقد ورد عن محمد بن سَحنون، وهو العالم بأحوال والده، أنّ سَحنون ارتحل سنة ١٧٨ هـ في حياة مالك[١]، كما ورد عن سَحنون نفسه أنّه قال: «كنت عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه»، فقيل له: «فما منعك من السّماع منه؟»، قال: «قلّة الدّراهم»[٢].

وبناء على هذا يكون لسَحنون رحلتان إلى المشرق[٣]، كانت أولادهما سنة ١٧٨ هـ ولم يتجاوز فيها مصر؛ لعدم وجود ما يكفيه من النّفقة كما تقدّم. وكان عمره إذ ذاك ١٨ سنة، ولا نعلم الزّمن الذي استغرقته هذه الرّحلة، ويستبعد أن تكون قد طالت، أمّا رحلته الثّانية ـ والتي استمرت خمس سنوات ـ فكانت بين سنتي ١٨٦ و١٩١ هـ، وقصد سحنون في رحلته مصر، فسمع بها من كبار المحدّثين والفقهاء، ولقي كبار أصحاب مالك؛ فقد أعاد سماع الموطّأ على ابن القاسم[٤]، وابن وهب، وسمع من ابن وهب جميع كتبه: الجامع وغيره، إلاّ المغازي فقد أخذها عنه إجازة، فكان بعد ذلك يقول: «كادت تفوتني كتب ابن وهب، وبالله ما تُشترى بكتاب منها الدّنيا وما فيها، وما عَمِيت عن مسألة قطّ إلاّ وجدت فَرَجَها في كتب ابن وهب»[٥].

وسمع من أشهب حديثاً كثيراً أخرجه في المدوّنة عندما ذيّلها بالآثار[٦]، كما أخذ عنه كتب الحَجّ، وغيرها في الفقه[٧]، وسمع من غيرهما من شيوخ

---

(١)، (٢) انظر: المدارك ١/٥٨٧، المعالم ٢/٧٩، الديباج ١٦١، وفيات الأعيان ٣/١٨٠، الديباج ١٦٠.

(٣) ممن افترض وجود رحلتين لسحنون: عياض وابن فرحون والدّبّاغ متابعاً لعياض، انظر المواضع أعلاه.

(٤) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٧٣، انظر: المكتبة الأثرية ٤١، سجل قديم ٣٦٥.

(٥) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٧٣، المكتبة الأثرية ٣٤، ٣٩، ٤٠، مناقب أبي إسحٰق ٥٥.

(٦) انظر: المدوّنة ١/٢١٢، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢/٦٧، ٨٧.

(٧) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨.

مصر، كما سيأتي في شيوخه، غير أنّ اختصاصه كان بابن القاسم: تفقّه به، وأعاد عليه سماع الأسديّة، وكان لا يكاد يفارقه(١).

وبعد أن أدرك سَحنون غرضه من أهل مصر رحل إلى الحجاز، ورافق في رحلته أشهب وابن وهب وابن القاسم، وكانت سفرة علميّة عجيبة، استفاد فيها سَحنون من هؤلاء العلماء أيّما استفادة، فقد كانوا يلقون العلم ويتحاورون فيه، وهم على دوابّهم، فإذا نزلوا أمضى سَحنون وقت نزوله في القراءة على ابن القاسم، فإذا جاء اللّيل قرنوا أقدامهم للصّلاة، قال سَحنون عن هذه الرّحلة: «كنّا نمشي بالنّهار، ونلقى المسائل ونحن مشاة»، وقال: «فكنت إذا نزلت ذهبت إلى ابن القاسم أسائله من الكتب، وأقرأ عليه إلى قرب وقت الرّحيل».

وقال: «فإذا كان اللّيل ونزلت الرّفقة قام كل واحد إلى حزبه من الصّلاة»(٢).

وسمع سَحنون بالمدينة المنوّرة(٣) من جماعة من المحدّثين والفقهاء، منهم: أنس بن عياض اللَّيْثيّ، والمغيرة بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة، وابن الماجِشُون وغيرهم.

كما سمع في مكّة المكرّمة(٤) من كبار المحدّثين، كسفيان بن عُيَيْنَة، له عنه من الحديث سماع سنتين(٥)، وعبدالرحمن بن مهدي، ووكيع، وغيرهم.

وسمع بالشّام(٦) من محدّثيها: الوليد بن مسلم وعيره، كما سمع من جماعة من أهل الكوفة والبصرة(٧)، كأبي داود الطَّيالسيّ صاحب المسند، وحَفْص بن

---

(١) لا يكاد مصدر يخلو من الإشارة إلى ذلك، راجع المصادر المثبتة في أول ترجمته.

(٢) انظر: الرياض ١/٣٤٩، المدارك ١/٥٨٨.

(٥) انظر: المدارك ١/٥٦٠.

(٣)، (٤)، (٦)، (٧) راجع المصادر المثبتة أول الترجمة وسيأتي مزيد من العزو التفصيلي في الشيوخ.

غِيَاث القاضي، وغيرهما، ولم تذكر المصادر دخوله إلى العراق، فلعلّه التقى بهم في أحد الحرمين.

ولقد جمع سحنون في رحلته علماً عظيماً، واستقصى فيها جميع آثار مالك، وكبار الرّواة، حتّى إنه قال لابنه محمد عندما أراد أن يرحل إلى المشرق: «إنّك تقدم طرابُلُس وكان فيها رجال مدنيّون، ومصر وبها الرّواة، والمدينة وهي عشّ مالك، ثمّ تقدم مكّة، فاجتهد جهدك، فإن قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أنّ شيخك كان مفرّطاً»[1].

ـ شيوخه

لقد تعدّد شيوخ سحنون، والتقى من كلّ بلد بكبارها، وأكثر شيوخه من أهل الحديث.

وقد عُرف من شيوخه الأفارقة اثنا عشر رجلاً، تسعة منهم من أهل القيروان، وثلاثة من أهل تونُس، فأمّا القرويّون، فهم:

ـ أسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، عبدالله بن أبي حسّان (ت ٢٢٦)، وهو محدّث فقيه لغويّ من الرّواة عن مالك[2]، شُقران بن علي (ت ١٨٦)، كان عالماً بالفرائض، وهو من الثّقات[3]، عَنْبَسَة بن خَارِجَة (ت ٢١٠)، وهو محدّث فقيه من تلاميذ مالك، وله عنه سماع مدوّن[4]، معاوية بن الفضل الصُّمادِحِيّ (ت ١٩٩)، وهو من ثقات محدّثي القيروان، معدود في شيوخها[5]، عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)، محدّث فقيه روى الموطّأ

(١) الرياض ١/٣٥٣، المدارك ٢/٥٢١، المعالم ٢/٨٣، إلا أنه في الرياض عن سليمان بن سالم بدل محمد بن سحنون.
(٢) انظر: الرياض ١/١٩٩، أبو العرب ٧٥، الشجرة ١/٦٣.
(٣) انظر: الشجرة ١/٦٠، المعالم ١/٢٧٩، تراجم المؤلفين ٥/١٠٧.
(٤) انظر: طبقات أبي العرب ٧٢، اللسان ٤/٣٨١.
(٥) الشجرة ١/٦٩، الرياض ١/٢٣١.

عن مالك[1]، إبراهيم بن زُرْعة الرُّعَيْنِيّ (ت ٢١٢)، وهو أندلسيّ نزل القيروان، وعدّه أبو العرب من ثقات شيوخها[2]، وحبيب أخو سحنون وهو من الثّقات، جلّ شيوخه من المحدّثين، وقد لحق عبدالرحمن بن زياد، وسمع منه[3].

ـ وأمّا أهل تُونس فهم: عليّ بن زياد (ت ١٨٣) وهو محدّث، فقيه، وكان أوّل من أدخل الموطّأ وجامع الثّوريّ إلى إفريقيّة[4]، أبو مسعود ابن أشرس، وهو محدّث فقيه ثقة، سمع من مالك[5]، وعبدالملك بن أبي كَرِيمة (ت ٢١٠) وهو محدّث ثقة عابد[6].

ـ أمّا شيوخه من أهل المشرق فقد عثرت منهم على ثلاثة وعشرين رجلاً منتشرين في مختلف المصادر، وهم من كبار علماء زمانهم في الفقه والحديث:

١ ـ أَشْهَب بن عبدالعزيز القَيْسِيّ (ت ٢٠٤)، وهو فقيه محدّث ثقة، وقد أكثر سَحنون الرّواية عنه في المدوّنة[7].

٢ ـ أنس بن عياض اللَّيْثِيّ (ت ٢٠٠)، وهو محدّث ثقة، روى عنه في المدوّنة[8].

٣ ـ أيّوب بن سُوَيْد الحِمْيَرِيّ (ت ٢٠٢ وقيل ١٩٣)، صدوق يخطىء[9].

٤ ـ حَفْص بن غِيَاث (ت ١٩٤ أو ١٩٥)، محدّث فقيه ثقة[10].

---

(١) التهذيب ٥/٣٣١، المدارك ١/٣١٦. (٢) أبو العرب ١٣٩، البغية ٢٠٤.
(٣) أبو العرب مح ١٧٩، المعالم ٢/١٠٤.
(٤) الشجرة ١/٦٠، أبو العرب ٢٥١. (٥) الرياض ١/٢٥٢، الشجرة ١/٦٢.
(٦) التهذيب ٦/٤١٨، الرياض ١/٣٢٣.
(٧) التقريب ١/٨٠، الشجرة ١/٥٩، وانظر: المدوّنة ٢/٢٢٨، ٣/٢.
(٨) التقريب ١/٨٤، الكاشف ١/٨٨، وانظر: المدوّنة ٢/٢٨٤، المحن ٣٤١.
(٩) التقريب ١/٩٠، الكاشف ١/٩٣، الرياض ١/١٦٠.
(١٠) التقريب ١/١٨٩، الكاشف ١/١٨٠، الديباج ١/٣٤٧.

٥ ــ سعيد بن داود الزَّنْبَرِيّ (ت ٢٢٠)، صدوق له مناكير[١].

٦ ــ سفيان بن عُيَيْنة (ت ١٩٨)، أحد أئمة الحديث الثّقات[٢].

٧ ــ سليمان بن داود الطّيالسيّ (ت ٢٠٤) صاحب المسند، أحد الحفّاظ الثّقات[٣].

٨ ــ شُعيب بن اللّيث بن سعد (ت ١٩٩)، محدّث ثقة[٤].

٩ ــ طُليب بن كامل المرادي، وقيل عبدالله (ت ١٧٣)، من كبار أصحاب مالك[٥].

١٠ ــ عبدالرحمن بن القاسم (ت ١٩١)، وهو أخصّ شيوخ سحنون كما تقدّم.

١١ ــ عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨)، ثقة ثبت عارف بالرّجال والحديث[٦].

١٢ ــ عبدالله بن الحكم (ت ٢١٤)، شيخ مصر في وقته، فقيه، وثّقه أبو زُرعة[٧].

١٣ ــ عبدالله بن نافع الصّائغ (ت ٢٠٦)، ثقة صحيح الكتاب[٨].

١٤ ــ عبدالله بن وهب القُرَشِيّ (ت ١٩٧)، ثقة حافظ عابد، وقد أكثر سحنون عنه في المدوّنة[٩].

---

(١) التقريب ١/٢٩٤، الكاشف ١/٢٨٥، الرياض ١/٣٤٧.
(٢) انظر: التقريب ١/٣١٢، المدارك ٢/٧٨.
(٣) انظر: التقريب ١/٣١٣، المدارك ١/٥٨٧.
(٤) التقريب ١/٣٥٣، المعالم ٢/٧٨، اللسان ٣/٨.
(٥) المدارك ١/٣١٤، الديباج ١٣٠، ويستبعد سماعه منه لتقدم وفاته عن وقت رحلة سحنون.
(٦) التقريب ١/٤٩٩، المعالم ٢/٧٨.
(٧) الكاشف ٢/٩١، التقريب ١/٤٢٧، الديباج ١٦٠.
(٨) التقريب ١/٤٥٦، المعالم ٢/٧٨.
(٩) التقريب ١/٤٦٠، الديباج ١٦١، وانظر: المدوّنة ١/٢، ٣، ٥.

١٥ ـ مُطَرِّف بن عبدالله اليساري (ت ٢٢٠)، محدّث فقيه ثقة[١].

١٦ ـ مَعْن بن عيسى القَزّاز (ت ١٩٨)، ثقة ثبت، أثبت أصحاب مالك[٢].

١٧ ـ المغيرة بن عبدالرحمن المَخْزُومِيّ (ت ١٨٦ أو ١٨٨)، فقيه المدينة ومفتيها بعد مالك[٣].

١٨ ـ وكيع بن الجرّاح (ت ١٩٦)، أحد الحفاظ الثّقات، وكان عابداً[٤].

١٩ ـ الوليد بن مسلم (ت ١٩٤)، محدّث ثقة، كثير الحديث، يدلّس[٥].

٢٠ ـ يحيى بن سُلَيم الطّائفي (ت ١٩٣)، محدّث صدوق، سيء الحفظ[٦].

٢١ ـ يزيد بن هارون الوَاسِطيّ (ت ٢٠٦)، ثقة متقن عابد[٧].

٢٢ ـ يوسف بن عمرو الفَارِسيّ (ت ٢٠٥)، صدوق صالح، فقيه مفت[٨].

٢٣ ـ أبو إسماعيل وقيل أبو إسحٰق الأزرق[٩].

وقد وهم صاحب الأنساب حين عدّه من تلاميذ مالك، وتبعه صاحب اللّباب، وصاحب معجم البلدان، وكذا وهم في ذلك ابن حبّان في الثّقات، والخليلي في الإرشاد[١٠].

---

(١) التقريب ٢٥٣/٢، الشجرة ٥٧/١. (٢) التقريب ٢٦٧/٢، الشجرة ٥٦/١.

(٣) التهذيب ٢٦٤/١٠، الكاشف ١٤٩/٣، المعالم ٧٨/٢.

(٤) التقريب ٣٣١/٢، طبقات أبي العرب مح ١٨٥، سير أعلام ٦٤/٢.

(٥) التقريب ٣٣٦/٢، المعالم ٧٨/٢، المحن ٣٥٩.

(٦) التقريب ٣٤٩/٢، الكاشف ٢٢٦/٣، الرياض ٣٤٨/١.

(٧) التقريب ٣٧٢/٢، الديباج ١٦١.

(٨) التقريب ٣٨١/٢، الكاشف ٢٦٢/٣، الرياض ٣٤٧/١.

(٩) انظر: سير أعلام ٦٤/١٢، المعالم ٧٨/٢.

(١٠) انظر: الأنساب، اللباب، معجم البلدان، ثقات ابن حبان، الإرشاد في المواضع المثبتة أول الترجمة.

ـ سحنون المحدّث:

إنّ تدوين سحنون لمسائل المذهب المالكي، وانتشارها عنه في آفاق إفريقيّة والمغرب والأندلس، وحمله لواء المالكيّة في تلك الرّبوع، كلّ هذا جعل منه فقيهاً بالدّرجة الأولى في أعين النّاس، وأدّى ذلك إلى غمط جانب الحديث حقّه في شخصيّة سَحنون، مع أنّه جانب عظيم الأهمّيّة، وقد برع فيه سحنون، وأخذه عن كبار محدّثي عصره، ويمكن إبراز هذا الجانب من خلال النّقاط التّالية:

* لقد سمع سحنون في المشرق من ثلاثة وعشرين شيخاً ـ كما تقدّم ـ منهم واحد وعشرون من رجال الكتب السّتّة، وأكثرهم من كبار المحدّثين الحفّاظ الثّقات، الذين أتقنوا رواية الحديث وعلم الرّجال، وكان لذلك أبعد الأثر في شخصيّة سحنون وتكوينه الحديثيّ، وكذلك فإن أكثر شيوخه القرويّين من المحدّثين، والمشاركين في الحديث، ـ كما تقدم ـ، وقد كان المحدّث الحافظ أبو العرب التّميمي (ت ٣٣٣) يعرف هذا الجانب عند سحنون، ولذلك نجده عندما ذكر شيوخه فصل بين من لقيهم في الفقه، ومن لقيهم في الحديث، ومثّل للفقهاء باثنين فقط، بينما نجده يمثّل للمحدّثين بسبعة من كبار الرّواة[1].

* لقد تعدّدت مرويّات سحنون في الحديث؛ فقد سمع الموطّأ بأربع روايات: رواية ابن زياد، ورواية ابن القاسم، ورواية ابن وهب، كما تقدّم، ورواية ابن غانم[2]، كما سمع جامعي سفيان الثّوري الكبير والأوسط، من شيخيه: علي بن زياد وعَنْبَسَة بن خارجة، اللّذين أدخلاهما إلى القيروان، وسمع جامع عبدالله بن وهب في الحديث وكان له عن سفيان بن عُيَينة سماع سنتين كما تقدّم، وسمع من أشهب رقائق الفُضيل بن عِياض[3]، هذا عدا ما سمعه من بقيّة شيوخه من الأحاديث التي لم تجمع في مصنّفات.

---

(١) انظر: ط أبي العرب مح ١٨٤، ١٨٥.

(٢) انظر: الرياض ٢١٧/١.

(٣) ابن خير ٢٦٩.

* إنّ عمل سحنون في المدوّنة يُعدّ من أبرز ما يدلّ على تمكّنه من الحديث، كما يدلّ على توجّهه المبكّر لهذا العلم، فإنّ من أهم أسباب حرص سحنون على إعادة سماع الأسديّة من ابن القاسم خلوّها من الآثار[1]، وقد كان عازماً على تكميل هذا النّقص قبل رحيله، ولذلك أقبل على رواة الحديث إقبالاً كبيراً، فلمّا عاد إلى القيروان بوّب مسائل الأسدية وذيّلها بالآثار[2] إلّا مسائل متفرقّة بقيت على أصل اختلاطها، وقد ورد في بعض صفحات المدوّنة نقلاً عن القاضي عياض أنّ عدد أحاديث المدوّنة أربعة آلاف حديث[3]، خرّج منها أحد الباحثين ٥٥١ حديثاً، وجاءت النّتيجة ناطقة بإمامة سحنون في الحديث أيضاً، إلى جانب إمامته في الفقه، حيث ذكر الباحث أن عدد ٣٨١ من هذه الأحاديث وردت في الصحيحين، و ١٣١ حديثاً في درجة الحسن و ٧٠ ضعيفة ضعفاً منجبراً، و ٩ أحاديث ضعيفة جداً، ثم قال: «لم أقف في المدوّنة على حديث موضوع»[4].

* لقد كان الإمام سحنون حريصاً على سلامة السّنّة من التّحريف، عاملاً على تنقيتها من الشّوائب، مقاوماً للتّدليس، لا يقبل الحديث بدون إسناد، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

ـ قال سليمان بن سالم ـ وهو أحد كبار تلاميذ سحنون ـ: «كنت قاعداً قُدّام سحنون، وهو يقرأ كتاب التّرغيب من جامع ابن وهب، فرددت عليه حديثاً هو في كتابي ولم يكن في كتابه فقال لي: «اقرأ الحديث»، فلمّا قرأته أنكره، وصاح عليّ، وقال: «من أين دخل هذا الحديث في كتابك؟»، فأمسكت ولم أردّ

(١) أعلام ابن عاشور ٢٧، ٢٨.
(٢) انظر: المدارك، مرآة الجنان، وفيات الأعيان في المواضع المشار إليها في قائمة مصادر سحنون.
(٣) انظر: المدونة ط مصر ٢٤١/١.
(٤) تخريج أحاديث المدوّنة، للدكتور طاهر محمد الدريدي ١٠٨٦/٢.

عليه، فكلّمه محمد ولده وقال: «أصلحك الله! الكتب تختلف»، فقال لي: «اطرح الحديث من كتابك»، فخططت عليه بالقلم وهو ينظر، فقال: زد خطّاً عليه، فطلّسته كلّه»[1].

- رأى سحنون كتاباً مع أحد الطّلبة فيه حديث يرويه محمد بن رَزِين القرويّ (ت ٢٥٥) عن عبدالله بن نافع[2]، فأرسل إليه، فلمّا جيء به قال له: «أنت سمعت من ابن نافع؟»، فقال: «أصلحك الله! إنّما سمعت من ابن نافع الزُّبَيْرِيّ[2]». فقال له سحنون: «لِمَ دلّست؟»، ثم قال: «ماذا يخرج بعدي من العقارب»[3].

وهكذا لم يرض سحنون إلاّ تقييد الاسم بالنّسب المفرّق بين الرّاويين، ما داما قد اشتركا في الاسم، واسم الأب، واعتبرَ عدم التّقييد تدليساً.

- سمع سحنون موسى بن معاوية الصُّمَادِحِيّ (ت ٢٢٥) المحدّث يقول: «إنّ رسول الله ﷺ كان إذا قف من حجّ أو عمرة فأشرف على المدينة أوضع راحلته، وقال: أسرعوا بنا إلى بنات الأقوام»[4]، فلم يرض سحنون روايته هكذا

---

(١) الرياض ٣٧٣/١، وانظر: الحلل ٧٧٩/٣/١.

(٢) يشترك الصائغ والزّبيري في الاسم واسم الأب، فكلاهما عبدالله بن نافع، وهما محدّثان مدنيّان، وقد توفي الصائغ سنة ٢٠٦، ولم يدركه محمد بن رَزين بالمشرق، وتوفي الزّبيري سنة ٢١٦، وقد روى عنه ابن رزين، وانظر عنهما: التقريب ٤٥٧/١، ٤٥٨، الكاشف ١٢١/٢.

(٣) انظر: ط أبي العرب ١١٩، المدارك ٩٣/١.

(٤) أخرجه بدون الجملة الأخيرة: الإمام البخاري بمعناه من طريق أنس رضي الله عنه في كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ٢٠٥/٢، وفي فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث ٢٢٤/٢، وأخرجه أحمد من طريق أنس أيضاً بمعناه ١٥٩/٣.
أما الزيادة الأخيرة فهي غريبة في هذا الحديث، وقد ورد في حديث آخر عند البخاري: «فليعجّل إلى أهله»، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب ٢٠٥/٢، وترجم البخاري لبعض الأبواب بقوله: «باب المسافر إذا جدبه السير يعجل إلى أهله»، كتاب العمرة ٢٠٥/٢.

بدون إسناد، وخشي أن لا يكون لموسى فيه سند إلى النّبيّ ﷺ، فقال لتلميذه فُرات: «ويحك، أُطلب لي هذا الحديث لموسى»، قال فُرات: «فطلبته فأصبته لموسى عن عيسى بن يونس السَّبِيعيّ بإسناده إلى النّبيّ ﷺ»[1].

* كما كان للإمام سحنون علم بالرجال، ومصطلح الحديث، وله كلام في التّعديل، وشروط الرّاوي ونحو ذلك، ومن أمثلتها ما يلي:

ـ تنبيهه على الأخذ عن الثّقات بقوله: «يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم، الحسن مخبرهم»[2].

ـ كان سحنون يُعوّل في ضبط الرّاوي على ضبط الكتاب، أكثر من ضبط الصّدر، حيث يقول: «من صحّت كتبه صحّت روايته، ومن سَقِم كتابه سَقِمت روايته»[3].

ـ وكان له كلام في الرّواة، فقد وثّق ابن زياد الإفريقي، ومروان بن أبي شحمة وغيرهما، قال له أحد طلاّبه: «ما سمعت يحيى (بن سعيد القطّان)، ولا عبدالرحمن (بن مهدي) يحدّثان عن عبدالرحمن بن زياد بن أَنعُم، فقال سحنون: «لم يصنعا شيئاً، عبدالرحمن ثقة»[4]، وقال عن مروان: «مروان رجل صالح، إن قال له سمعت أو رأيت فاقبل منه...»[5].

ـ وكان يقول فيمن جاء للسّماع وأخذته غفوة ففاته بعض الحديث: «إذا جاء السّماع وله قصده فهو يجزئه»[6].

* وكان شديد الإقبال على الآثار نافراً من الرّأي، ومن أقواله في ذلك:

---

(١) انظر: الرياض ١/٣٨٢.
(٢) طبقات الخشني ١٤٧، المدارك ٣/٢٦٧.
(٣) الرياض ١/٣٧٣.
(٤) أبو العرب ٢٩.
(٥) أبو العرب ١١٦.
(٦) الرياض ١/٣٧١.

«إنّما عزاؤنا في هذه الآثار، فأمّا المسائل فالله أعلم بحقيقتها»[1]، ويقول: «إني لأخرج من الدّنيا ولا يسألني الله عزّ وجلّ عن مسألة قلت فيها برأي»[2].

وهكذا ندرك أنّ اهتمام الإمام سحنون بالحديث وعلومه لم يكن بأقلّ من اهتمامه بالفقه، ولا نسُلّم قول الذّهبي فيه: «لم يتوسّع في الحديث كما توسّع في الفروع»[3]، وإن كنّا نعذره لعدم وقوفه على كثير ممّا يتعلّق بشخصيّة سحنون، كما هو واضح من خلال المعلومات التي ساقها في ترجمته.

ـ أثره العلميّ والحديثيّ والاجتماعيّ في القيروان وتلاميذه:

أ ـ جلوسه للتّفقيه والتّحديث وملاحقته للمبتدعة:

لم يعرف تاريخ القيروان في الفترة التي ندرسها شخصيّة لها ما لسحنون من الأثر في الحياة العلميّة بالقيروان خاصّة، وبإفريقيّة والمغرب والأندلس بصفة عامّة، فقد وجّه اهتمام النّاس في تلك الرّبوع إلى السُّنّة وإلى علم مالك[4]، وقطع دابر المبتدعة من الإباضيّة والصُّفريّة، ومنعهم من نشر ضلالاتهم، فهو «أوّل من فرّق حلق أهل البدع وشرّد أهل الأهواء منه (المسجد)، وكانوا فيه حِلَقاً، من الصُّفْريّة والإباضيّة والمعتزلة، يتناظرون فيه، ويظهرون زيفهم، وعزَلَهم عن أن يكونوا أئمّة للنّاس، أو مُعلّمين لصبيانهم، أو مؤذّنين، وأمرهم أن لا يجتمعوا...»[5].

فما إن عاد الإمام سحنون من رحلته بتلك العلوم الجمّة حتّى جلس للتّعليم، وبدأ ينشر مرويّاته في القيروان، وأخذها عنه جموع من مختلف بلاد المغرب والأندلس، فقد كان يُسمع الموطّأ برواياته المختلفة التي سمعها[6]،

---

(١) جذوة المقتبس ١٤١.
(٢) الرياض ١/٣٥٤.
(٣) سير أعلام ١٢/٦٤.
(٤) انظر مثلاً: المعالم ٢/٧٩.
(٥) المدارك ١/٦٠٠، المعالم ٢/٨٧، أبو العرب ١٠٢.
(٦) انظر مثلاً: الشجرة ١/٧٣، مناقب أبي إسحٰق الجنياني ٥٥، وتوجد بمكتبة القيروان =

وأخذ عنه النّاس جامع ابن وهب[1]، وحدّث برقائق الفُضَيْل بن عِياض بروايته عن أشهب[2]، وقرئت عليه مغازي ابن وهب، وكتابه في الجهاد، وكتاب الزّهد[3]، كما أسمع مدوّنته واهتمّ بنشرها، وأقبل النّاس عليها؛ لاشتمالها على الحديث وتركوا الأسديّة[4]، وأخذ عنه النّاس كتابه في الزّهد[5]، ومختصره في المناسك[6]، وأسمع كتاب مالك في النّجوم وحساب مدار الزّمان[7]، وغير ذلك من مرويّاته.

وكان للإمام سحنون حلقة في بيته، وحلقة في مسجده، فإذا خرج إلى البادية لخدمة أرضه لحق به الطّلاب، ومن قصده من الغرباء، فأسمعهم هنالك أيضاً[4].

كما أسمع بقصر زياد عندما اختفى فيه لمّا طُلب في المحنة بخلق القرآن[8]، وبالجملة فقد كان دأب سحنون نشر العلم، لا يفتر عن ذلك، يقضي معظم وقته في إسماع الطّلبة والقراءة عليهم، أو سماع عرضهم، وكانت حلقته تصل أحياناً إلى أربعمائة طالب[9].

= نسخة كاملة من الموطأ برواية سحنون عن ابن القاسم. انظر: المكتبة الأثرية ٤١، سجل قديم ٣٦٥، مناقب أبي إسحٰق ٥٥.

(١) يوجد منه أجزاء في مكتبة القيروان عليها سماع سحنون من ابن وهب، انظر: المكتبة الأثرية ٣٩، ٤٠، وانظر: البغية ٣٦٠.

(٢) ابن خير ٢٦٩.

(٣) انظر: الرياض ١/٣٦٦، ٣٧٣.

(٤) المعالم ٢/١٧، وانظر: البداية والنهاية ١٠/٣٢٣.

(٥) المعالم ٢/٢١٣، الرياض ٢/٢٥١.

(٦) المدارك ١/٦٢٥، الرياض ١/٢٧٤.

(٣) المدارك ١/٢٥.

(٧) انظر: الرياض ١/٢٥٩، ٣٦٨، ٣٧٥. المدارك ١/٥٩٤.

(٨) انظر: الرياض ١/٤٢٥، ٤٢٦.

(٩) الإمام المازري، ح.ح عبدالوهاب ٢٤.

وسرعان ما اشتهر أمره، وبان علمه، وتقواه، وورعه، فقصده النّاس من الآفاق، وصارت الرّحلة إليه، وسلّم له بالإمامة علماء عصره، واتّفقوا على فضله وما اجتمع فيه من الخلال الحميدة، ونظراً للأثر العظيم لسحنون في الحياة العلميّة بالقيروان فقد «صار زمانه كأنّه مبتدأ، وقد مَحا ما قبله، فكان سراج القيروان»[1].

ب ـ تلاميذه:

لقد تخرّج على يد سحنون أفواج عظيمة من العلماء، زادوا على سبعمائة رجل من الرّواة[2]، بل ذكر الذّهبيّ: «أنّ عدد الرّواة عن سحنون بلغ تسعمائة»[3].

أمّا من صحبه من العُبّاد وغيرهم، فيعدّون بالآلاف، حتّى قيل: «ما بورك لأحد بعد النّبي ﷺ في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه؛ فإنّهم كانوا في كلّ بلد أئمة»[4]، وقد دخل القيروان رجل من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ـ أغفل المالكيّ تسميته ـ والتقى في مناسبة بمجموعة كبيرة من أصحاب سحنون، فرَآهم في بداية اللّيل أقبلوا على قراءة القرآن، ثم تناظروا في العلم، ثم قاموا إلى التّهجّد، فقال: «مِن أصحاب مَن هؤلاء؟، ومَن معلّمهم العلم؟، والله ما رأيت أحداً قطّ أنبل من هؤلاء... والله، ولا يصحب هؤلاء رجلاً إلاّ نبّلوه وشرّفوه»، فقيل له: «هؤلاء أصحاب سحنون»[5].

وبالجملة فقد كثر تلاميذه، وسرت بسببه وسببهم روح جديدة في أنحاء إفريقيّة والمغرب والأندلس، وبهم شاع وتعمّق علم أهل المدينة، وزادت رواية الحديث انتشاراً.

---

(١) المعالم ٢/٨٣.
(٢) انظر: الديباج ١٦٤، الشجرة ١/٦٩.
(٣) سير أعلام ١٢/٦٨.
(٤) م. ن ـ م. ن ١٢/٦٩.
(٥) الرياض ١/٤٤٢، وانظر: الثناء على أصحاب سحنون في أزهار الرياض ٣/٢٥.

وليس من الممكن ذكر أسماء جميع تلاميذ الإمام سحنون، فقد تقدّم بيان كثرة عددهم، وإنّ جيل القرن الثّالث أغلبه تتلمذ عليه، كما أنّي أحصيت تلاميذه الأندلسيّين من خلال المصادر الأندلسيّة والمغربيّة فوجدت أكثر من تسعين راوياً، ولهذا سأكتفي بذكر نماذج لبعض من عُرف منهم بحمل الحديث وروايته، خاصة وإنّي قد أشرت إلى أثرهم العام، وكونهم أئمّة في كلّ بلد:

- عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، وهو محدّث من الثّقات قال فيه ابن الحارث حين وصف أصحاب سحنون: «وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشدّهم وقاراً وتصاوناً»[(١)].

- بَكر بن حمّاد التّاهرتي، نزيل القيروان (ت ٢٩٦)، وهو من علماء الحديث والرّجال[(٢)].

- محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وهو من كبار العلماء بالفقه والحديث، ووارث الإمامة عن أبيه[(٣)].

- محمد بن وضّاح القُرْطُبِيّ (ت ٢٨٦ أو ٢٨٧)، المحدّث، الثّقة، الثّبت[(٤)].

- بقيّ بن مَخْلَد الأندلسيّ (ت ٢٧٦)، صاحب المسند، وبه وبابن وضّاح صارت الأندلس دار حديث[(٥)].

جـ ـ محنتـه:

تعرّض الإمام سحنون للمحنة مرّتين، ارتبطت كلتاهما بإشعاعه العلمي:

الأولى: حين رفض الصّلاة خلف القاضي المعتزلي ابن أبي الجواد؛ لأنّه

---

(١) المعالم ٨٣/٢، وانظر عن عيسى: الشجرة ٧٣/١، سير أعلام ٥٧٣/١٣.
(٢) انظر: الرياض ٢١/٢، نفح الطيب ٤٨/٢.
(٣) انظر: المدارك ١٠٤/٣، تراجم المؤلفين ١٩/٣.
(٤) تاريخ ابن الفرضي ١٧/٢.
(٥) تاريخ ابن الفرضي ١٠٧/١.

كان يقول بخلق القرآن، فأوغر صدر الأمير عليه، فأمر بحلق رأسه وضرْبه خمسمائة سوط، إلّا أنّ الله عافاه من ذلك، حيث تدخّل عليّ بن حُميد الوزير، وقال للأمير: «لا تفعل، فإن العَكِّيَّ[1]، إنّما هلك في ضربه للبُهلول بن راشد»[2]، فسلّمه الله تعالى.

والمحنة الثانية: كانت عندما أعلن أحمد بن الأغلب (٢٣١ - ٢٣٢) القول بخلق القرآن، وطلب العلماء ليجبرهم على ذلك، ففرّ سحنون إلى قصر زياد، ثم جيء به إلى الأمير، فلما نوقش في المسألة قال: «أمّا شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكنّي سمعت من تعلّمت منه وأخذت عنه كلّهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق»، فقال ابن أبي الجواد: «كفر، اُقتله، ودمه في عنقي»[3].

وبعد مداولات قرّر الأمير حبسه في داره ومنعه من الفتوى والإسماع، ونادى بذلك في القيروان، وأمر الحرس بأخذ ثياب من يدخل عليه، وقد ذكر أبو العرب أنه بقي سنة كاملة لا يُفتي ولا يُسمع، ولزم بيته[4]، ثمّ تمكّن محمد بن الأغلب من استرداد ملكه من أخيه أحمد، فعاود سحنون سيرته الأولى في نشر العلم.

د ـ سحنون في منصب القضاء[5]:

لقد درج العلماء المدنيّون في القيروان على رفض الوظائف الحكوميّة، والبعد عن السّلطان، وإن قبلوا شيئاً من ذلك اشترطوا لأنفسهم ما يضمن لهم القيام بالحقّ والعدل في وظائفهم، فلمّا عُرض القضاء على سحنون رفضه، واستمر الأمير يفاوضه في ذلك ويُلحّ عليه سنة كاملة حتّى وافق الأميرُ على جميع

---

(١) هو محمد بن مقاتل العكي أمير إفريقية لهارون الرشيد (٢٨١ - ١٨٤) انظر: البيان المغرب ١/٨٩.

(٢) انظر: المدارك ١/٦٠٩، المعالم ٢/٩٣.

(٣) المعالم ٢/٩٤، المدارك ١/٦١١، وانظر: المحن ٤٤٦.

(٤) انظر: المحن ٤٥٤.

(٥) انظر مثلاً: المعالم ٢/٨٤، المدارك ١/٥٩٥، الرياض ١/٤٢٤.

شروطه، وأطلق يديه من كلّ ما رغب، كالبدء بأهل الأمير في ردّ المظالم ونحو ذلك، فلم يجد سحنون بدّاً مِن الموافقة؛ وذلك سنة ٢٢٤ هـ، واستمرّ فيه إلى أن مات سنة ٢٤٠ هـ، ولم يأخذ عليه أجراً.

وقد قام في فترة قضائه بما لم يُسبق إليه، وأضاف إلى مهمّة القاضي كثيراً من الأمور التي كانت من اختصاص الأمراء والولاّة، كالنّظر في الأسواق والحسبة، ونحو ذلك، ومنع الفرق المبتدعة من نشر أفكارها، كما أنّه كان شديداً مع أقارب السّلطان وحاشيته، يقيم عليهم الحقّ ولا يخشى في الله لومة لائم، فكانوا يشكونه للأمير، فيرسل إليه في الأمر، ولكن سحنون لا يطاوعه فيما لا حقّ فيه، حتّى إنّ الأمير ذات مرّة غضب غضباً شديداً وقال: «ما أدري هو علينا أم نحن عليه؟». ولكنّه كان كثيراً ما يقول لمن يأتيه شاكياً: «إنّ سحنون لم يركب لنا دابّة، ولا عقل كمّه بصرّة، فهو لا يخافنا». فلمّا أكثروا عليه، ولم يتمكّن من عزله، عيّن معه قاضياً آخر، ولم يلبث سحنون بعد ذلك أن توفّي.

هـ ـ شدّة نفوره من الفتوى وتحذيره منها:

كان سحنون شديد الورع، يحذر الفتوى، فربما جلس السّائل في انتظار الجواب أيّاماً طويلة، وكان يقول: «أجرأ النّاس على الفتيا أقلّهم علماً»، ويقول: «سرعة الجواب بالصّواب أشدّ فتنة من فتنة المال»، ولمّا عوتب في تأخير الأجوبة قال: «أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقوال من ثمانية أئمّة فكيف ينبغي لي أن أعجل بالجواب حتّى أتخيّر، فلِمَ أُلام على حبس الجواب»، وانتظر رجل جواب مسألته ثلاثة أيام، فلمّا طال عليه الأمر قال لسحنون في كلام دار بينهما: «... وأنت ـ أصلحك الله ـ لكلّ معضلة»، فقال له: «هيهات يا ابن أخي، ليس بقولك أبذل لحمي ودمي للنّار، ما أكثر ما لا أعرف»، وكان يقول: «إني لأخرج من الدّنيا ولا يسألني الله عزّ وجلّ عن مسألة قلت فيها برأي»[1].

---

(١) انظر هذه الأقوال في: الرياض ١/٣٥٤، ٣٥٥، المدارك ١/٦١٤، ٦١٥، المعالم ٢/٩٦.

و ـ بذله وكثرة صدقته:

كان سحنون كثير المعروف، يتعهّد أصحابه، وينظر في احتياجاتهم، وقد يتصدّق على الواحد منهم بالمبلغ الذي تجب فيه الزّكاة، وقد كان له اثنتا عشرة ألف زيتونة، فلا ينتفع لنفسه إلا بمحصول نصف شجرة، والنّصف الآخر مع بقيّة الزّيتون يخرجه للفقراء والمساكين[1]. أما معيشته فكانت في غاية البساطة والزّهد، وهذا مشهور عنه مبسوط في المصادر.

ز ـ مؤلّفاته:

١ ـ **المدوّنة**: وقد تقدّم بعض خبرها عند الحديث عن الأسدية، وسيأتي ذلك مفصّلاً عند التّعريف بها في المصنّفات، وهذا ما اعتاد المصنّفون نسبته إليه من المؤلّفات، وقد وجدت له كتابين آخرين هما:

٢ ـ كتاب الزّهد[2].

٣ ـ كتاب مختصر المناسك[3].

ح ـ من حديثه:

أكثرُ حديث سحنون في المدوّنة، وأخرج له ابن عبدالبر في التّمهيد[4]، وفي جامع بيان العلم وفضله[5]، كما أخرج له أبو العرب في كتاب المحن[6].

ومن حديثه ما أخرجه في المدوّنة عن علي بن زياد عن سفيان الثّوري عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عبّاس أنّه قال: ألا أخبركم بوضوء

---

(١) المعالم ٣/١٨٣، وانظر عن كثرة صدقته ومعروفه: الرياض ١/٣٦١، ٣٦٢، المدارك ١/٦١٩، ٦٢١.

(٢) انظر: الرياض ٢/٢٥١، المعالم ٢/٢١٣.

(٣) المدارك ١/٦٢٥، الرياض ١/٣٧٤.

(٤) انظر: الشهيد ١/٩٦، ٩٧. ٢/١٤٣.

(٥) انظر: جامع بيان العلم ١/٥، ٥٠، ٥١، ٢/٣، ٧٩.

(٦) انظر: المحن ٢٧٦، ٣١٠.

رسول الله ﷺ، قال: «فدعا بماء فأراهم مرّة مرّة، فجعل في يده اليمنى ثم صبّ بها على يده اليسرى، فتوضأ مرّة مرّة»[1]

ط ـ توثيقه والثّناء عليه بالحفظ والورع وسعة العلم:

إنّ الإمام سحنون من أولئك المشاهير الذين استفاض خبر إمامتهم، وعرفه العام والخاص بسعة العلم، وصدق الورع، وهذه الشّهرة كافية في توثيقه، ومع ذلك فقد لهج المصنّفون بالثناء عليه، وتوثيقه، وذكر فضائله، وتبحّره في العلم، حتّى ألّف النّاس في فضائله، كما فعل الحافظان أبو العرب (ت **٣٣٣**) والخُشَني (ت **٣٦١**)[2].

قال أبو العرب: «كان ثقة، حافظاً للعلم، فقيه البدن، اجتمعت فيه خِلال قلّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصّادق، والصّرامة في الحقّ، والزّهادة في الدّنيا، والتّخشّن في الملبس والمطعم»[3]، ووسعه الذّهبيّ في سير الأعلام بقوله: «الإمام العلّامة فقيه المغرب»[4]، وقال المالكيّ: «انتشرت إمامته في المشرق والمغرب، وسلّم له الإمامة أهل عصره، وأجمعوا كلّهم على فضله وتقدمته»[5]، وقال أشهب: «ما قدم إلينا من المغرب مثله»[6]، وقال الشّيرازي: «انتهت الرّئاسة إليه في العلم بالمغرب... وعلى قوله المُعوَّل به»[7]، وقال الحَجَوِيّ: «كان ثقة حافظاً»[8]، وذكره ابن حبّان في الثّقات وأثنى عليه[9].

---

(١) المدونة ٣/١، أخرجه الإمام البخاري بنحوه مختصراً، كتاب الوضوء ٤٧/١، وأبو داود مختصراً، كتاب الطهارة ٩٥/١/ ١٣٨، والتّرمذي مختصراً، كتاب الطهارة ٦٠/١/٤٢، والنّسائي مختصراً، كتاب الوضوء ٦٢/١، والدارمي مختصراً كتاب الصلاة والطهارة ١٧٧/١ كلّهم في باب الوضوء مرة مرة من طريق سفيان بسنده الذي في المدونة.

(٢) انظر: الديباج ١٦٠، ٢٦٠.

(٣) المدارك ٥٨٨/١، وانظر: ط أبي العرب ١٠١.

(٤) سير أعلام ٦٣/١٢.

(٥) الرياض ٣٤٦/١.

(٦) المدارك ٥٨٩/١، المعالم ٨٢/٢.

(٧) ط الفقهاء ١٥٦.

(٨) الفكر السامي ٩٨/٢.

(٩) ثقات ابن حبان ٢٩٩/٨.

وأراد السّلطان أن يستفيد من سوء تفاهم وقع بين عون بن يوسف (ت ٢٣٩)، وسحنون (ت ٢٤٠)، فنادى عوناً، وسأله عن سحنون، **فقال**: «سبحان الله! مثلي يُسأل عن سحنون؟، والله إنّ سحنوناً لأفضل وأَخْير من أن يُسأل مثلي عنه»[1].

وكان سليمان بن عمران ـ وهو حنفيّ المذهب ـ قد أشار بتولية سحنون القضاء وقال: «ما ظننت أنه يُشاوَر في سحنون، حججت فرأيت أهل مصر يتمنّون كونَه بين أظهُرهم، وما يستحقّ أحد القضاء وسحنون حيّ»[2].

وكان شديد الحفظ، قال عن نفسه: «حفظت هذه الكتب حتّى صارت في صدري كأم القرآن»[3].

وقد أغرب صاحب الإرشاد حين قال: «لم يرض أهل الحديث حفظه»[4]؛ فإن المصنّفين قد أثنوا على حفظه، ولم أعثر على من ذكر هذا القول رغم استقصائي لمصادر ترجمة سحنون، وقد عبّر محقّق كتاب الإرشاد أيضاً عن استغرابه ممّا ذكره الخَلِيلِيّ، ثم قال: «وقد اتّفق جميع الأئمة على توثيقه».

ي ـ وفاته:

وتوفي سحنون سنة ٢٤٠ هـ، فارتجّت القيروان لوفاته، وشوهد مشايخ الأندلس ممّن لم يره يضربون خدودهم كالنّساء، يقولون: «ليتنا تزوّدنا منك بنظرة»[5]، ورُثي بقصائد عديدة، وقد «أقام سؤدد العلم في دار سحنون نحو ١٣٠ عاماً...»[6] رحمه الله تعالى.

---

(١) المدارك ١/٦٢٨.
(٢) المعالم ٢/٨٦، المدارك ١/٥٩٦.
(٣) سير أعلام ١٢/٦٩، المدارك ١/٥٩٦.
(٤) الإرشاد ١/٢١٣.
(٥) المعالم ٢/١٠٣.
(٦) المدارك ١/٦٢٦.

١٤ ــ سعيد بن إسحاق الكَلْبِيّ[1]، أبو عثمان (٢١٢ ـ ٢٩٤ أو ٢٩٥):

محدّث، عالم بالأخبار، والرّجال، والمغازي، كثير الرّواية، من أهل التّعبّد والرّباط.

ــ طلبه للعلم ورحلته وشيوخه:

سمع سعيد الحديث من كبار شيوخ القيروان، وأكثر من جمع الكتب والرّواية، ومن أشهر شيوخه: الإمام سحنون، وابنه محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، المحدّث العالم بالرّجال، ومحمد بن رَزِين القرويّ (ت ٢٥٥)، وهو محدّث فقيه كثير الرّواية[2]، وعون بن يوسف (ت ٢٣٩) المحدّث[3]، وزيد بن سِنان وقد مرّ قريباً، وأبو زكريّاء يحيى بن سليمان (ت ٢٣٧)، الجامع بين الحديث والفقه[4]، وداود بن يحيى الصّوفي (ت ٢٤٩)، وهو محدّث وثّقه أبو العرب[5]. ورحل إلى تونُس فسمع بها من زيد بن بشر المصريّ نزيل تونُس، قال فيه ابن وضّاح: كان ثقة الثّقات[6].

ولمّا حصل أبو عثمان على بغيته من شيوخ إفريقيّة أراد الاستزادة من العلم، فارتحل إلى المشرق للسّماع من علمائه، فقد لقي الحافظ أبا الحسن أحمد بن عبدالله الكوفي (ت ٢٦١) بطرابُلُس، وأخذ عنه الحديث وعلم الرّجال، ولعلّه أخذ عنه كتابيه: تاريخ الثّقات والجرح والتّعديل[7]، وسمع بمصر من أبي الطّاهر أحمد بن السّرح (ت ٢٥٠)، وهو فقيه، محدّث مكثر، من الثّقات[8]،

(١) ط الخشني ١٥٢، الرياض ١٢/٢، الشجرة ٧٢/١، المعالم ٢٥٥/٢، ورقات ١٣٦/٢، المدارك ٤٠٩/٥، البيان المغرب ١٤٥/١.

(٢) طبقات أبي العرب ١١٩، المحن ١٨٣.

(٣) الرياض ٣٨٥/١.

(٤) المعالم ٦٣/٢.

(٥) أبو العرب ١٠٩.

(٦) انظر: المدارك ٩٨/٤، الرياض ٣٩٠/١، المحن ٤٠٥، أبو العرب مح ٢٢٦.

(٧) انظر: طبقات الحفاظ ٢٤٦، تاريخ الثقات ٣١، ٤٣، المحن ١٠٣.

(٨) انظر: التهذيب ٦٤/١.

وسمع من محمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٦٨) وهو فقيه ثقة[١]، كما روى بالمشرق عن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) الإمام الحجّة الحافظ[٢]، وعن سعيد بن علي كما ورد في كتاب المحن[٣].

وهكذا حصل أبو عثمان على رواية كثيرة، ثمّ عاد إلى القيروان ليبثّ فيها علمه.

ـ أثره العلميّ والحديثيّ وتلاميذه، وجمعه بين التّعليم والمرابطة:

بعد أن رجع سعيد بن إسحاق قسم وقته بين الإسماع بالقيروان، وبين التعبّد بقصر الطّوب[٤]، والتّعليم فيه أيضاً. وكان يقيم شهوراً مرابطاً، ومعلّماً، ثم يأتي القيروان من أجل الإسماع، فيجلس للطّلبة يحدّثهم بها عدّة شهور، ثم يعود للرّباط، وهكذا كانت سيرته طيلة حياته[٥]، وقد كثُر تلاميذه، فقد قال عياض: «سمع منه عالم كثير»، وقال الخُشَنِيّ[٦]: «حدّثنا عنه كلّ شيخ لقيته».

ومن أشهر تلاميذه: أبو العرب التَّمِيمي المحدّث (ت ٣٣٣)، روى عنه كثيراً من الحديث، والمغازي، والأخبار، ووفيات الرّواة، وأسمائهم، ونحو ذلك، في كتابيه: «الطّبقات والمِحَن[٧]».

وقد انتشر عن سعيد بن إسحاق حديث كثير في القيروان، حتّى عُرف بين العلماء بكثرة الرّواية، قال ابن حارث في طبقاته: «تغلب عليه الرّواية والجمع

---

(١) انظر: التقريب ٢/١٧٨، المحن ٢٥٤.

(٢) التهذيب ١/٧٢، المحن ٣١٧.   (٨) المحن ٣٧٩.

(٤) هو أحد قصور الرباط، يقع قريباً من سوسة، ويبعد عن القيروان حوالي ٢٥ كلم، ولا زالت آثاره إلى اليوم، وقد بني في عهد الأغالبة، حوالي سنة ٢٤٠ هـ، انظر: ورقات ٢/٨٨.

(٥)، (٦) انظر: المدارك ٥/٤١٠.

(٧) ط الخشني ١٥٢.

للحديث»[1]، وتابعهُ ابن عذاري[2] والقاضي عياض على ذلك، ونقل الأخير عن ابن الجزّار أنه قال فيه: «كان كثير الرّباط، والرّواية، والحديث»[3]، وذكر نحو هذا صاحب الشّجرة[4].

وقد أثنى عليه المصنّفون، وذكروا فضله، وعبادته، ومداومته على الرّباط، ونشر الحديث النّبويّ.

ـ من حديثه:

قال سعيد بن إسحاق حدثنا محمد بن رَزِين عن علي بن مَعْبَد عن وكيع عن سفيان عن عاصم بن أبي النَّجُود عن مصعب بن سعد (بن أبي وقّاص) عن أبيه قال: سئل النّبيّ ﷺ: «أيّ النّاس أشدّ بلاء»؟، قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرّجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رِقّة خُفّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتّى يمشي على الأرض وما له من خطيئة..»[5].

١٥ ـ سعيد بن محمد بن صُبَيْح الغسّاني،[6] مولاهم، أبو عثمان يعرف بابن الحدّاد (٢١٩ ـ ٣٠٢):

وهو مناظر، لغويّ، فقيه، محدّث، أصوليّ، شاعر، عالم بالقرآن ومعانيه،

---

(١) انظر: ط أبي العربي مح ١٠٩، ١٢٤، ١٣٨، ٢٠٤، المحن ٤٠، ١٠٣، ١٣٦، ١٨٣، ٢٥٤.

(٢)، (٣)، (٤) انظر: ط الخشني، البيان المغرب، المدارك، الشجرة في المواضع المثبتة في صدر الترجمة.

(٥) المحن ٣٩، ٤٠، والحديث أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/٦٠١/٢٣٩٨، وابن ماجه بنحوه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء ٢/٤٨٩/ ٤٠٨٨ كلاهما من طريق عاصم بالسند الذي في كتاب المحن. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٦) طبقات الخشني ١٤٨، ١٩٨، الرياض ٢/٥٨، المعالم ٢/٢٩٥، مرآة الجنان ٢/٢٤٠، سير أعلام ١٤/٢٠٥، المكتبة الأثرية ٣٨، المدارك ٥/٧٨، تراجم المؤلفين ٢/١٠٥، =

له معرفة بأخبار إفريقيّة ورجالها، جيّد التّصانيف، وقد بلغ درجة الاجتهاد، مع الزّهد والورع وكثرة التّعبّد.

- طلبه للعلم وشيوخه:

على الرّغم من المكانة العظيمة التي بلغها ابن الحدّاد في العلم فإنّ المراجع قد أغفلت ذكر شيوخه، وطلبه للعلم، قبل أن يتَرَأَّسَ فيه، ولا نجد إلا نزراً يسيراً، لا يتناسب مع علم سعيد بن الحدّاد، فقد ذكرت المصادر أنّه تتلمذ على سحنون، وكان له مُعَظّماً[1]، وسمع من زيد بن سنان المحدّث (ت ٢٤٤)[2]، ورحل إلى طرابُلُس فتلقّى الحديث[3]، وعلم الرّجال من أبي الحسن الكوفيّ (ت ٢٦١)، ولعلّه سمع منه كتاب الثّقات، وكتاب الجرح والتّعديل، ثمّ سكتوا عن بقيّة شيوخه، فلا نعلم عمّن أخذ علوم القرآن، وأصول الفقه، واللّغة، والمناظرة.

وقد أسهم ابن الحدّاد في ضياع أسماء شيوخه، فإننا نجده يكثر من قوله: «حَدّثني من أثق به»، أو «حدّثني بعض أصحابنا»، أو «حدّثنا بعض مشايخنا»، ونحو ذلك[4]. وبعد تتبّع جميع ما نُقل عن ابن الحدّاد في طبقات أبي العرب، وطبقات الخُشَنِيّ، وجدت له مجموعة من الشّيوخ، منهم: داود بن يحيى الصّوفي (ت ٢٤٩)، وهو محدّث ثقة عند أبي العرب[5]، ويحيى بن سليمان الحُفْرِيّ (ت ٢٣٧)، وهو محدّث فقيه فَرَضيّ[6]، ووالده محمد بن صُبَيْح، وهو من تلاميذ

= أعلام ابن عاشور ٣٧، أعلام الموقعين ١/٢٧، طبقات النحويين ٢٣٩، إنباه الرواة ٢/٥٣، المحن ٤٧، معجم المؤلفين ٤/٢٣٠، الأعلام ٣/١٥٤، بغية الوعاة ١/٥٧٩، جوامع السيرة ٣٣٠.

(١)، (٢) انظر مثلاً: المعالم ٢/٢٩٥. (٣) انظر: ط الخشني ١٤٨.

(٤) انظر مثلاً: طبقات أبي العرب ٣٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٦.

(٥) أبو العرب ٢٨، ١٠٩.

(٦) المعالم ٢/٦٣، أبو العرب ٥٧.

البُهلول بن راشد[1]، وأحمد بن بُهلول الزّيّات وكان رجلاً صالحاً[2]، وأبو سليمان ربيعة الجَزَرِيّ[3]، وغيرهم.

وكان ابن الحدّاد يروي مسند محمد بن سنجر[4]، ولا شكّ أنّه أخذه عن عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، الذي أخذه عن ابن سنجر، وأدخله إلى القيروان[5].

وله أحاديث يرويها بسنده إلى عبدالرّزّاق الصنعاني[6]، ممّا يجعلنا نجزم بسماعه لمصنَّف عبدالرّزّاق من ابن أبي المنظور (ت ٢٣٧)، الذي أدخل المصنَّف إلى القيروان[7]، وكان سعيد بن الحدّاد راغباً في الرّحلة إلى المشرق حريصاً عليها، غير أنّه لم يتمكّن من ذلك لفقره، فقد قال: «حاولتُ النّهوض لأداء ما افترض الله عليّ من حجّ بيته الحرام، وأن أضرب إلى كلّ عليم بالحقّ أناصحه، واسترشده، فحالت العوائق دون مرامي وحبستني دون سؤلي...»[8].

- معرفته بالحديث وعلومه:

لم يسبق إبراز هذا الجانب في حياة ابن الحدّاد، حيث كان اهتمام الباحثين منصبّاً على دراسة ابن الحّداد المتكلّم، وابن الحدّاد اللّغويّ، ونحن إذا تفحّصنا المادّة العلميّة المتعلّقة بهذا العَلَم نجدها - رغم شدّة تشتّتها - ناطقة بكبر حصيلة أبي عثمان في الحديث وعلومه، ويمكن أن نبرز هذا الجانب من خلال النّقاط التّالية:

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٠٤.
(٢) أبو العرب ٢٥١.
(٣) الرياض ١/٣٣٦، أبو العرب ٦٨.
(٤) انظر: الحياة الاجتماعية ٢٦٧، ٢٦٨، نقلاً عن كتاب الاستواء لابن الحداد.
(٥) انظر: ابن خير ١٤٢.
(٦) الحياة الاجتماعية ٢٢٤، نقلاً عن كتاب معاني الأخبار لابن الحداد.
(٧) انظر: الشجرة ١/٨٤، المدارك ٥/٣٢٩.
(٨) طبقات الخشني ١٥٠.

* لقد وصفه العلماء بذلك، فقد ذكر الذّهبيّ في سير الأعلام أنّه كان: «بصيراً بالسّنن... من رؤوس السّنّة...»[1]، واعتبره صاحب معجم المؤلّفين في عداد المحدّثين[2]، كما أشار الخُشَنِيّ[3] إلى روايته للحديث، وذبّه عن السّنّة، وغزارة مجلسه بالأخبار، وقال عياض[4]: «كان عالماً بأخبار إفريقيَّة، وعلمائها»، وقال[5]: «وكان آنس النّاس مجلساً، وأغزرهم خبراً».

* كان ابن الحدّاد يروي مسند ابن سنجر ومصنّف عبدالرّزّاق، كما تقدّم، ويكاد الباحث يجزم سماعه لكتابي تاريخ الثّقات، والجرح والتّعديل لأبي الحسن الكوفي؛ إذ لا يعقل أن يرحل إليه ولا يسمعها منه، وهذه حصيلة كبرى في الحديث والرّجال.

* ألّف أبو عثمان في الحديث كتاب معاني الأخبار، وكتاب عِصمة النّبيّين، كما أنّ مؤلفاته الأخرى كانت غنيّة بالمادّة الحديثيّة، بل إن كتاب الاستواء كان مبنيّاً على الأحاديث، وكذا كتاب الرّدّ على الشّافعي[6]، ومزج في كتاب الأمالي بين الحديث والفقه[7].

* كان لابن الحدّاد حلقة يسمع فيها الحديث ويشرحه لطلّابه[8]، وجاء أحد الطّلبة الأندلسيّين إلى القيروان، وهو ينوي المرور إلى المشرق طلباً للعلم، فقال له ابن الحدّاد: «ما الذي كتبت من الكتب؟»، فأخرج له كتاباً من بعض

---

(١) سير أعلام ١٤/٢٥، ٢٠٦. (٢) معجم المؤلفين ٤/٢٣٠.

(٣) انظر: ط الخشني ١٤٨، ١٥١، ١٩٨.

(٤) المدارك ٥/٨١.

(٥) م. ن ٥/٨٦، وانظر: ط الخشني ١٥١.

(٦) انظر: الحياة الاجتماعية ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٢٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، حيث نقل بعض الفقرات من كتابي الاستواء، والردّ على الشافعي.

(٧) توجد منه قطعة في مكتبة القيروان، المكتبة الأثرية ٣٩.

(٨) انظر: الرياض ٢/١٠٤، ورقات ٢/٢٠١.

المسانيد، فقال له سعيد: «اقرأ منه شيئاً»، فقرأ عليه حديثاً واحداً، ففسّره له أبو سعيد، ولخّص معانيه، وجاء بشواهد للحديث، وهكذا في الثّاني والثّالث، فقال الأندلسي عند ذلك: «ما بي حاجة إلى التّقدّم إلى المشرق؛ لأنّي أعلم أنّي لا ألقى مثلك»[1].

* وقد ظهر علم أبي عثمان بالسّنّة أيضاً في مناظراته مع العُبَيديّين؛ فإنّ هذه المناظرات قد ارتكزت أساساً على السُّنّة وعلومها، ومن المؤسف حقّاً ألّا يصلنا منها إلا أربعة مجالس من حوالي أربعين مجلساً[2]، وقد عثرت في هذه المجالس على تعريف أبي عثمان للسُّنّة النبويّة في اللّغة والاصطلاح[3]، وهو التّعريف الوحيد لها لدى محدّثي القيروان فيما بين أيدينا من المصادر، كما عرفنا منهجه في العمل في مختلف الحديث، فقد قيل له: «فإن اختلف عليك فيما نُقل إليك من الحديث وجاءت السّنّة من طرق؟»، قال: «أنظر إلى أصح الخبرين نقلاً فآخذ بأصحّهما، وأطلب الدّليل على موضع الحقّ في أحد الحديثين، ويكون الأمر في ذلك كشهود عدول اختلفوا في شهادة، فلا بدّ من طلب الدّليل على موضع الحقّ من الشهادتين». قيل له: «فلو استووا في الثبات؟»، قال: «يكون أحدهما ناسخاً، والآخر منسوخاً»[4]، كما استشهد في هذه المناظرات بعدّة أحاديث، وحكم على حديث غدير خُم بالصّحّة، وهو صحيح كما قال، وذلك حين قدّم له بعض دعاة العُبيديّين كتاباً فيه هذا الحديث، قال سعيد: «فجعل يده على بعض الصّفحة، وأنا أنظر إلى الإسناد»، فقال لي: «اقرأ»، فقلت له: «عرفت الحديث، وهو حديث غدير خُمّ: من كنت مولاه فعليّ

---

(١) الرياض ٢/٦٥، المدارك ٥/٨٠.

(٢) تقدمت الإشارة إليها في التمهيد وفي مبحث العقيدة والكلام.

(٣) تقدم في فصل الدراية، وانظر: الرياض ١/٧٦، سير أعلام ١٤/٢١٨، ط الخشني ٢٠٢.

(٤) طبقات الخشني ٢٠٣، الرياض ٢/٧٧، سير أعلام ١٤/٢٠٨.

مولاه»[1]، وهو حديث صحيح، وقد رُوِّيناه، قال: فعطف عليّ عُبَيدالله ـ لعنة الله عليه ـ، فقال لي: «فما للنّاس لا يكونون عَبِيدنا؟»، فقلت له: «أعزّ الله السّيِّد، لم يرد ولاية الرّقّ، إنّما أراد ولاية في الدّين...»[2].

* كما اشتمل كتابه في الرّدّ على الشّافعي على فقه في الحديث، ومعرفة بطرقه ومعانيه، فهو يناقش الشّافعيّ، ويأخذ عليه اتّباعه للرّأي في بعض المسائل، وتركه الاحتجاج بكثير من الحديث، ويذهب إلى أنّ مالكاً متّبع للحديث، فكان كثيراً ما يقول: «أيّكما أتبع لحديث كذا؟»، «أيّكما أتبع لما رُوي في كذا؟».. ويختتم المحاورة عادة بمثل قوله: «فمالك رضي الله عنه أشدّ إعظاماً لرسول الله ﷺ ولحديثه»[3]، وهذا يدلّنا على علمه بالحديث، واتّباعه له، وتركه الرّأي والنظّر فيما فيه نصّ.

* وكان رحمه الله يرى للمحدّث ألّا يكثر من الحديث خَشية الوقوع في الخطأ، ويقول: «دليل الضّبط الإقلال، ودليل التّقصير الإكثار»[4]، ويقول أيضاً: «إذا رأيت إنساناً يكثر الخوض في الحديث فليدخل قلبك أنّه غير ناج من القول بالباطل في كثرة ما يخوض فيه»[5].

---

(1) أخرجه التّرمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عليّ ٥/٦٣٣/ ٣٧١٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه ابن ماجه بمعناه وفي أوّله قصّة، وفي فضائل الصّحابة، باب فضل علي ١/٥٥/١١٩، وأخرجه الإمام أحمد بمثله، وفي أوله قصة ٤/٣٦١، كما أخرجه بنحو حديث ابن ماجه في ٤/٣٧٠، كلّهم من طريق زيد بن أرقم، وذكر العجلوني أنّ هذا الحديث يُروى عن ثلاثين من الصّحابة بلفظ: «اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، ثم قال: «فالحديث متواتر أو مشهور»، كشف الخفاء ٢/٣٦١.

(2) الرياض ٢/٦١، سير أعلام ١٤/٢٠٧.

(3) انظر: الحياة الاجتماعية ٢٢٣، نقلاً عن كتاب الرد على الشّافعي ٧، ٨.

(4) المدارك ٥/٨٦، سير أعلام ١٤/٢٠٧، المعالم ٢/٣١٢.

(5) الرياض ٢/١٠٧.

ـ أثره العلميّ والحديثيّ، وتلاميذه، ومنافحته عن السُّنّة:

إنّ نقض ابن الحدّاد لأقوال أهل المذاهب عامّة، وتركه للتّقليد، ونقده لبعض مسائل المدوّنة جعل الطّلاّب يبتعدون عنه في البداية، فبقي مدّة «مهجور الباب، قليل الأصحاب» كما في المعالم(1)، إلاّ أنّ هذه الحال لم تطل، إذ سرعان ما عرف النّاس قدره، وفضله، ورسوخه في العلم، فأقبلوا عليه، وكانت له حَلْقة عظيمة في جامع عُقبة في أواخر عهد الأغالبة، وكان المسجد يمتلىء بالطّلبة، وابن الحدّاد يحدّثهم وهو جالس في المحراب(2)، كما كانت له حَلْقة لإسماع الحديث كما تقدّم، ولمّا دخل الإسماعيليّون القَيْرَوان كانت حَلْقة سعيد في بيته(3)، وقد ازداد التفاف النّاس حوله لِمَا قام به من المنافحة عن السُّنّة، ومقاومة البدع، خلال مجالس المناظرات التي كان يعقدها مع عُبَيدالله الإسماعيليّ ودعاته، وبذلك حمل لواء السُّنّة، وردّ كيد الرّوافض عنها، وحمى النّاس من الدّخول في دعوتهم بما يبيّن لهم من الحقّ. كما كانت له مناظرات عديدة مع الأحناف، ومع المعتزلة أفحمهم فيها، ودحض حججهم(4) وكان يقول: «شكوت بقلبي مسائل لأبي حنيفة ركب فيها المُحال اضطراراً نحو أربعمائة مسألة»(5).

إلاّ أنّ العمر لم يطل به بعد دخول العُبَيديّين، حيث جاءه أجله بعد ذلك بخمس سنوات سنة ٣٠٢ هـ، وقد فرح أعداء الله بوفاته، وخرج البريد مبكّراً يبشّرهم بذلك(6).

وقد تتلمذ على أبي عثمان بشر كثير من أهل القيروان، ومن تلاميذه في الحديث: أبو العرب التّميمي حافظ القيروان (ت ٣٣٣)(7)، وأبو بكر محمد بن

(1) المعالم ٣/٢٩٥.
(2) انظر: المدارك ٥/٨١، المعالم ٢/٣١٥.
(3) انظر: الرياض ٢/١٠٣.
(4) انظر: الرياض ٢/٧٠ ـ ٧٥.
(5) المدارك ٥/٨٠.
(6) انظر: الرياض ٢/١١١.
(7) انظر: المدارك ٥/٧٨.

اللّبّاد (ت ٣٣٣) شيخ السُّنّة بها[١]، وابنه عبدالله بن سعيد[٢] الذي كان كوالده في غزارة خبره وحديثه[٣]. وتتلمذ عليه في الفقه والمناظرة على طريقة أهل السُّنّة: أحمد بن موسى التَّمّار (ت ٣٢٩)[٤]، وأبو بكر ابن القَمُّودي[٥]، وإبراهيم بن محمد الضَّبّيّ (ت ٢٩٧)[٦]، ومحمد بن عبّاس النّحّاس (ت ٣٢٥)[٧]، وعلي بن منصور الصّفّار[٨] وغيرهم، وقد جرت على أكثر هؤلاء مِحن من قبل العُبَيديّين.

ـ مذهبه الفقهيّ:

كان أبو عثمان مالكيّاً، ثمّ مال إلى المذهب الشّافعيّ من غير تقليد[٩]، ثم نقض كثيراً من آراء الشّافعي أيضاً، ووضع كتاباً في الرّدّ عليه[١٠]، وأصبح من أهل الاجتهاد، وكان يقول: «القول بلا علّة تعبّد، والتّعبّد لا يكون إلاّ من المعبود»[١١]، ويقول: «إنّما أدخل كثيراً من النّاس في التّقليد نقصُ العقول ودناءةُ الهِمم»[١٢]، ويرى أنّ التّقليد لا يجوز لأمثاله من العقلاء، فقد قال: «كيف يَسَع مثلي ممّن آتاه الله فهما أن يقلّد أحداً من العلماء بلا حُجّة ظاهرة»[١٣]، وقد قال فيه الذّهبيّ: «وهو أحد المجتهدين»[١٤]، كما عدّه ابن حزم في أصحاب الفتيا من الأئمّة المجتهدين[١٥].

أمّا مذهبه في الأصول، فقد كان على السُّنّة، ذابّاً عن مذاهب السّلف،

---

(١) ط أبي العرب ٢٨.
(٢) انظر: ط الخُشَني ١٥١.
(٣) المدارك ٥/٣٢٨.
(٤) ط الخُشَني ٢١٤.
(٥) الرياض ٢/٤٧، وقد قتله الرّوافض.
(٦) ط الخُشَني ١٧٨.
(٧) ط الخُشَني ٢١٧.
(٨) (٩) المدارك ٥/٨٦.
(١٠) ط الخشني ١٤٢.
(١١) سير أعلام ١٤/٢٠٥.
(١٢) المدارك ٥/٧٩، المعالم ٢/٢٩٥.
(١٣) انظر: ط الخشني ١٤٨، ١٤٩، المعالم ٢/١٩٧.
(١٤)، (١٥) المدارك ٥/٨٦.

وقد ذكرت في التّمهيد، وفي آخر مباحث علوم الدّرَاية مناظراته في الذّبّ عن السُّنّة، ووقوفه في وجه الرّافضة بالحجج الدّامغة والبراهين السّاطعة.

ـ توثيقه:

أثنى المصنّفون على أبي عثمان بالعلم، والفضل، والتّعبّد، ووصفوه بالإمامة، قال الذّهبيّ: «الإمام شيخ المالكيّة، وهو أحد المجتهدين»(١).

وقال السّيوطيّ في بغية الوُعاة(٢): «كان إماماً متفنّناً»، وقد وثّقه الأفارقة، قال أبو العرب: «كان أبو عثمان ثقة فيما نقل»(٣)، وقال الدّبّاغ: «كان ثقة».

ـ مؤلّفاته:

كان أبو عثمان غزير التأليف، جيّد التّصنيف، وقد شملت مصنفاته الحديث والفقه، والقرآن، وعلم الكلام، وهي كثيرة، عرفنا منها الكتب التّالية:

١ ـ معاني الأخبار: وهو شرح لمجموعة أحاديث يرويها ابن الحدّاد بأسانيده، وهو مخطوط، يوجد منه جزء في مكتبة القَيْرَوان(٤).

٢ ـ عصمة النّبيّين(٥)، مفقود.

٣ ـ المقالات(٦)، ردّ فيه على جميع أهل المذاهب، وهو مفقود.

٤ ـ إيضاح المُشْكِل، وهو في توضيح معاني القرآن الكريم، ولعلّ قطعة التّفسير الموجودة بمكتبة القيروان تكون جزءاً منه(٧).

٥ ـ كتاب الأمالي، جمع فيه بين الفقه والحديث، وعلّق فيه على بعض مسائل المدوّنة، منه جزء بمكتبة القيروان(٨).

---

(١) سير أعلام ١٤/٢٠٥.

(٢) بغية الوعاة ١/٥٧٩.

(٣) المدارك ٥/٧٩.

(٤) المعالم ٢/٢٩٦.

(٥)، (٦) انظر: المكتبة الأثريّة ٣٩، وقد نُشر منه مقدار صفحة في الحياة الاجتماعية ٢٢٤.

(٧) المعالم ٢/٢٩٦.

(٨) انظر: المكتبة الأثريّة ٣٨.

٦ ـ كتاب الرّدّ على الشّافعي، يوجد بمكتبة القيروان[1].

٧ ـ كتاب الاستواء، ويوجد منه جزء بمكتبة القيروان[2].

٨ ـ العبادة الكبرى والصّغرى، مفقود[3].

٩ ـ الاستيعاب، ذكره الدّبّاغ، وهو مفقود، ولا يُدرى موضوعه.

١٠ ـ كتاب في الرّدّ على من يقول بخلق القرآن[4].

١٦ ـ عبدالرحمن بن زِيَاد بن أَنْعُمْ الإفْرِيقيّ [5]، أبو خالد، وقيل أبو أيّوب وأبو البَقاء (٦٩ ـ ١٦١ وقيل ١٥٦):

محدّث فقيه، لغويّ، عالم عامل، ورع زاهد، تولّى قضاء القيروان مرّتين،

---

(١) انظر: المكتبة الأثريّة ٣٩.
(٢) انظر: المكتبة الأثريّة ٣٨.
(٣) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨، وقد نشر منه جزء في الحياة الاجتماعية ٢٤٩، وفي المدارس الكلاميّة ٣٠٩.
(٤) ط الخُشني ٢٢١.
(٥) طبقات أبي العرب مح ٩٥، ط الخُشني ٢٣٤، الرياض ١/١٥٢، المعالم ١/٢٣٠، الشّجرة ١/٦٠، المغرب العربي ٦٠، خلاصة تاريخ تونس ٧١، البيان المغرب ١/٨٠، مجلّة الهداية ٣/٨/٩٣، تاريخ الرّقيق ١٦٣، حسن المحاضرة ١/٢٧٥، عُنوان الأريب ١٩، تاريخ الجودي خط ٤، رحلة التّجاني ٣٢، تهذيب الكمال ٢/٧٨٧، مرآة الجنان ١/٣٣٢، تنزيه الشّريعة ١/٧٨، تعريف أهل التّقديس ٥٥، الخلاصة ٢٢٧، ط خليفة ٢٩٦، الجرح ٥/٢٣٤، المجروحين ٢/٥٠، الميزان ٢/٥٦١، الكاشف ٢/١٤٦، التقريب ١/٤٨٠، التهذيب ٦/١٧٣، تاريخ ابن معين ٢/٣٤٧، التاريخ الكبير ٥/٢٨٣، سير أعلام ٦/٤١١، تاريخ الإسلام ٦/٢٢٢، تاريخ بغداد ١٠/٢١٤، جزء من كلام أحمد ٢٧٠ الكامل في الضعفاء ٤/١٥٩٠، ثقات ابن شاهين ١٤٧، الضّعفاء للدّارقطني ٢٧٤، المغني في الضعفاء ٢/٣٨٠، الدّيوان ١٨٨، أحوال الرّجال ١٥٣، الضّعفاء للنّسائي ١٥٨، الضعفاء الصّغير ١٤٢، سؤالات ابن أبي شيبة ١٥٦، الضّعفاء الكبير ٢/٣٣٢، كنى الدّولابي ١/١٠٣، سنن الدّارقطني ١/٣٧٩، المعرفة والتاريخ ٢/٤٣٣، حاشية سنن التّرمذي ١/٧٦، ٣٨٤، ٣٨٦، شرح علل التّرمذي ٣٦٨، معجم البلدان ١/٢٣١، دراسات في الحديث النّبويّ ١/١٨٤، السّابق واللّاحق ١٢٠، نقد ابن حزم =

وكان رفيع الشّأن، جليل القدر، لا تأخذه في الله لومة لائم، أوفده أهل إفريقيّة إلى الخلافة مرّتين، وصدع هناك بالحقّ، وقد توسّع من عدّه من المشارقة في المصريّين[١]، لمجرّد مروره بها والتقائه بعلمائها أثناء رحلاته إلى المشرق، وقد اعتبر بعض العلماء أنّ الرّحلة إلى بلد تسوّغ نسبة العالم إليها[٢].

ـ طلبه للعلم وشيوخه ورحلاته:

لقد كان ابن زياد شديد الإقبال على طلب العلم، حريصاً على لقيّ الشّيوخ والسّماع منهم، فقد سمع بإفريقيَّة من معظم من دخلها من التّابعين في عصره، كما أكّد ذلك أبو العرب في غير ما موضع من كتابه[٣]، وعلى رأس هؤلاء التّابعين: العشرة الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز لتفقيه أهل القَيْرَوان[٤].

كما رحل عبدالرّحمن إلى تونُس، وسمع من أهلها كخالد بن أبي عِمران، المحَدّث الكبير الثّقة (ت ١٢٥ أو ١٢٩)[٥]، وممّن دخلها من جلّة التّابعين كيحيى بن سعيد الأَنْصاري[٦].

وبعد أن نال ابن زياد حظّاً وافراً من علوم الكتاب والسُّنّة في القَيْروان وتونُس رحل إلى المشرق للاستزادة من العلم، فسمع بمصر من جماعة كثيرة من أهلها، ومن بها من التّابعين، مثل: زياد بن نُعَيْم الحَضْرمي[٧]، ثم رحل إلى الشّام فسمع الحديث من عُبادة بن نُسَيّ (ت ١١٨)[٨]، وغيره، كما سمع بالكوفة

= للرّواة في ميزان الجرح والتّعديل ٩١٢/٣، المحن ٢٤٥، الأنساب ٣٢٦/١، الإرشاد للخليلي ٣٦٨/١، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٩٤/٢، معرفة الرّجال لابن معين ٧٢/١.

(١) انظر مثلاً: التهذيب ١٧٣/٦.

(٢) انظر: نسخة وكيع عن الأعمش ١٠٠.

(٣)، (٤) ط أبي العرب ٢١، ٢٣، ٢٤.

(٥) الرياض ٢٦٢/١.

(٦)، (٧)، (٨) تهذيب الكمال ٢٨٧/٢.

من كبار محدّثيها، وزامل في الطّلب بها أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة، واستضافه في بيته[1]، وكانت رحلته هذه قبل سنة ١١٨ هـ؛ لأنّه سمع من عُبادة بن نُسَيّ المتوفَّى في هذه السّنة، ولم تذكر المصادر ما إذا كان ابن زياد قد زار الحرمين في رحلته هذه وسمع فيهما أم لا.

وإذا كانت هذه الرّحلة الأولى لابن زياد قد تمحّضت للطّلب فقد رحل بعدها رحلتين، جمع فيهما بين الطّلب وغيره من المهام، فقد أوفده أهل إفريقيّة سنة ١٢٢ هـ إلى هشام بن عبدالملك مستنصرين به على الخوارج[2]، ثمّ رحل مرّة أخرى مُوفَداً من قِبل الأفارقة أيضاً إلى أبي جعفر المنصور[3] عندما احتل الصُّفْرِيَّة القَيْرَوان، وذلك سنة ١٤٠ هـ، كما مرّ في التّمهيد، وكان ابن زياد آنذاك قد تَرَأَّس في العلم، ولذلك فقد سمع منه كثير من أهل المشرق في هذه الرّحلة، حيث كتب عنه يحيى بن سعيد القطّان بالكوفة[4]، وسمع منه عبدالله بن المبارك وغيره[5]، كما سمع منه سفيان الثّوري بمكة[6]، وسمع منه أهل مصر، كابن لَهِيعَة وعبدالله بن وَهْب وغيرهما[7]، وقد دامت رحلته هذه أربع سنوات حيث عاد إلى القيروان سنة ١٤٤ هـ[8].

وقد كثُر شيوخ ابن أَنْعُم، وجلّهم من التّابعين الثّقات المعروفين بالرّواية، وقد عدّد له المزّي في تهذيب الكمال اثنين وعشرين شيخاً[9]، ووقفت له بعد البحث على قرابة الثّلاثين شيخاً بما فيهم الذين ذكرهم المزّي، وسأكتفي بذكر بعضهم؛ إذ قد مرّ أكثرهم عند الحديث عن التّابعين:

---

(١) شهيرات التّونسيّات ٢٧.
(٢) انظر: المعالم ١/٢٣١، حاشية الشجرة ١/٦١، وانظر: البيان المغرب ١/٥٤.
(٣) انظر: المعالم ١/٢٣١، ط أبي العرب مح ١٠١، الرياض ١/١٦٠.
(٤) الضعفاء الكبير ٢/٣٣٢، الكامل في الضعفاء ٤/١٥٩١.
(٥) حسن المحاضرة ١/٢٧٥.
(٦) الرياض ١/١٥٢.
(٧) المحن ٢٨٢، ٤٢٥، سير أعلام ٦/٤١١، التهذيب ٦/١٧٣.
(٨) انظر: المعالم ١/٢٣٣.
(٩) تهذيب الكمال ٢/٧٨٧.

١ ــ خالد بن أبي عِمران التّونُسي (ت ١٢٥ أو ١٢٩)، وهو محدّث ثقة احتجّ به الإمام مسلم[١].

٢ ــ والده زياد بن أَنْعُم الإفريقي، وقد أجمعوا على توثيقه، وقد تقدّم في القسم الثّالث من التّابعين.

٣ ــ يحيى بن سعيد الأنصاريّ (ت ١٤٤ أو ١٤٦)، وهو من أئمّة الحديث، سمع منه ابن أَنْعُم بتونُس لمّا دخلها يحيى[٢].

٤ ــ عُبادة بن نُسَيّ الشّامي (ت ١١٨)، ثقة فاضل[٣].

٥ ــ عُتْبة بن حُمَيد الضّبّيّ البَصْري، صدوق له أوهام كما في التقريب، وذكره ابن حبّان في الثّقات[٤].

٦٧ ــ دُخَيْن بن عامر الحَجْريّ (ت ١٠٠)، وهو محدّث ثقة[٥].

٧ ــ مُسلم بن يسار الإفريقيّ، وهو محدّث مشهور، وثّقه أغلب الأئمة[٦].

٨ ــ عُمارة بن راشد الكِنانيّ الشّامي، نزيل إفريقيّة (ت حوالي ١٠٠)[٧].

٩ ــ حَنَش بن عبدالله الصّنعاني ثم الإفْرِيقيّ (ت حوالي ١٠٠)، وهو من كبار المحدّثين الثّقات[٨].

---

(١) التقريب ١/٢١٧، الرياض ١/١٦٢.
(٢) التهذيب ١١/٢٢١، ط أبي العرب ٢٥.
(٣) التقريب ١/٣٩٥، ثقات العجلي ٢٤٧، التهذيب ٥/١١٣.
(٤) التقريب ٢/٤، الكاشف ٢/٢١٤، ثقات ابن حبان ٧/٢٧٢، تهذيب الكمال ٢/٧٨٧.
(٥) الرياض ١/١٥٠، التهذيب ٧/٢٠٧.
(٦) المعالم ١/٢١٤، حسن المحاضرة ١/٢٦٢، ثقات ابن حبان ٥/٣٩٠.
(٧) أبو العرب ٢٣، ثقات ابن حبّان ٥/٢٤٤.
(٨) الرياض ١/١٢١، تهذيب الكمال ١/٣٤٢.

١٠ ـ عبدالله بن يزيد الحُبُلِيّ (ت ١٠٠) وهو من الثّقات، احتجّ به مسلم وغيره[١].

وعن طريق هؤلاء الشّيوخ وغيرهم تلقّى ابن أَنْعُم علوم الرّواية والدّراية المتعلّقة بالكتاب والسّنّة وأصبح من كبار العلماء، حتّى وصفه الذّهبي بـ «الإمام القدوة شيخ الإسلام، محدّث إفريقيّة على سوء حفظه»[٢]، واشتهر أمره بالقَيْرَوان.

ـ أثره العلميّ وتلاميذه:

لقد تزامنت فترة العطاء عند ابن أَنْعُم مع الحروب والفتن التي تسبّب فيها الخوارج، والتي دامت حوالي ثلاثين سنة ابتداء من سن ١٢٢ هـ كما مرّ في التّمهيد، ولهذا قلّ أثره العلميّ بالنّسبة لكثرة علمه، حتّى قال الإمام سَحنون: «كان من يَعرف العلم يبقى في صدره لا يسألونه عنه ـ يعني أهل إفريقيّة (لكثرة الحروب والفتن) ـ فيموت به، مثل عبدالرحمن بن أَنْعُم بقي العلم في صدره لا يَنتشر عنه ولا يُعرف»[٣]. وما قاله سَحنون عن ابن أَنْعُم إنّما هو بالنّسبة لكثرة مرويّاته، وإلاّ فقد عُرف عنه العلم وانتشر عنه الحديث، وكثُر تلاميذه، وقد ذكر له المِزِّيّ في تهذيب الكمال واحداً وثلاثين تلميذاً[٤]، وبعد النّظر والتّتبّع وقفت له على اثنين وأربعين تلميذاً بما فيهم الذين ذكرهم المِزّيّ، منهم اثنا عشر من أهل القَيْرَوان، وفيهم جماعة من كبار محدّثي المشرق كسفيان الثّوريّ وعبدالله بن المبارك وغيرهما، وقد ذكره صاحب دراسات في الحديث النّبويّ فيمن عنده أحاديث مكتوبة[٥]، وكان له كتابان دوّن فيهما بعض مرويّاته رواهما أهل القيروان من طريق أبي زكريّاء الحُفْريّ وابن أبي حسّان وابن غانم كلّهم عن ابن زياد،

(١) حسن المحاضرة ١/٢٦٠، الإمام المازري ١١.

(٢) سير أعلام ٦/٤١١.

(٣) ط أبي العرب ٢٩، ٣٠.

(٤) تهذيب الكمال ٢/٧٨٧.

(٥) دراسات في الحديث النبوي ١/١٨٤.

ذكر ذلك أبو العرب، وقال: إنّ أحاديثهما بلغت خمسمائة حديث، كانت تُروى بالقيروان[١]، وقد حدّث عبدالرحمن بالمشرق أيضاً، حيث كتب عنه يحيى بن سعيد القَطّان كتاباً بالكوفة[٢]، وسمع منه ابن وَهب وسفيان الثَّوري بمكة[٣]، كما سُمع منه بالبصرة وبغداد، ومصر[٤]، فلم يقتصر أثر ابن زياد على إفريقيَّة ـ وإنّما تعدّاها إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي التي رحل إليها في المشرق ـ.

وسأقتصر على ذكر بعض تلاميذه ممّن اشتهر بالحديث:

فمن أهل القَيْرَوان حدّث عنه معاوية بن الفضل الصُّمَادِحيّ المحدّث (ت ١٩٩)، وعبدالله بن عمر بن غانم القاضي المحدّث الفقيه (ت ١٩٠)، ورباح بن ثابت الأَزْدي المحدّث (ت ٢٣٧)، والبُهلُول بن راشد المحدّث العابد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن أبي حسّان الفقيه المحدّث (ت ٢٢٩) وغيرهم[٥].

أمّا تلاميذه من أهل المشرق ففيهم ثلاثون راوياً منهم:

ـ سفيان الثّوري، أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦١)[٦].

ـ عبدالله بن المبارك، المحدّث الثّقة الثّبت، الجامع لخصال الخير (ت ١٨١)[٧].

ـ عبدالله بن وَهْب المصري، الحافظ الثّقة الفقيه (ت ١٩٧)[٨].

---

(١) ط أبي العرب ٣٠، ٣٢.
(٢) الجرح والتعديل ٥/٢٣٤.
(٣) الرياض ١/١٥٢، ١٥٣.
(٤) ذلك واضح من خلال تلاميذه. انظر: تهذيب الكمال ٢/٧٨٧، التهذيب ٦/١٧٣.
(٥) انظر: ط أبي العرب، الرياض، المعالم، عنوان الأريب، في المواضع المثبتة في صدر الترجمة.
(٦) انظر مثلاً: تاريخ الرقيق ١٦٣، الأنساب ١/٣٢٦.
(٧) انظر: التقريب ١/٤٤٥، الخلاصة ٢٢٧.
(٨) الكاشف ٢/١٢٦، التقريب ١/٤٦٠، حسن المحاضرة ١/٢٧٥.

ـ عبدالله بن يزيد المُقْرىء، شيخ البُخَارِيّ، اتّفق النّقّاد على توثيقه (ت ٢١٢ أو ٢١٣)، وقد سمع من ابن أَنْعُم لمّا دخل القيروان سنة ١٥٦ هـ[١].

ـ عيسى بن يونُس بن أبي إسحاق السَّبِيعي، أحد الأعلام في الحفظ والعبادة، ثقة مأمون (ت ١٨٧)[٢] .

ـ سفيان بن عُيَيْنة، الإمام الحُجّة (ت ١٩٨)[٣] .

وغيرهم من كبار رجال المشرق[٤].

وقد خرج لابن أَنْعُم البخاريّ في الأدب المفرد، وفي أفعال العباد، وأبو داود والتّرمذيّ وابن ماجه، وأحمد في المسند، والدّارمي، والطّبراني في الكبير، وعبد بن حُميد في مسنده، وابن وهب في جامعه، وأبو نُعَيم في الحِلية وغيرهم.

ـ منزلة الإفريقيّ من حيث الجرحُ والتعديلُ[٥]:

لقد اختلف النّقّاد اختلافاً كثيراً في ابن زياد من حيث الجرح والتّعديل، فوثّقه بعضهم، وضعّفه آخرون من قبل حفظه، مع اتّفاق الجميع على عدالته وجلالته، وسأعرض أقوالهم ثمّ أخلص إلى النّتيجة التي ارتأيتها:

أ ـ المعدّلون:

ـ قال ابن عبدالبرّ: «من أهل مصر وإفريقيّة والمغرب يثنون عليه بالفضل والدّين والعقل، وهم أعلم به من سواهم»[٦].

---

(١) التهذيب ٦/٨٣ أبو العرب مح ١٦٣، تاريخ بغداد ١٠/٢١٤.

(٢) الكاشف ٢/٣١٩، التهذيب ٨/٢٣٧، المعالم ١/١١٨.

(٣) التقريب ١/٣١٢، الإرشاد ١/٣٦٨.

(٤) انظر: تهذيب الكمال، سير أعلام، تاريخ الإسلام، تهذيب التّهذيب في المواضع المثبتة في أول التّرجمة.

(٥) يرجع في هذه الأقوال إلى المصادر المثبتة أوّل الترجمة، وقد قرنت أغلب الأقوال بأسماء الكتب الموجودة فيها، أو أسماء قائليها فيسهل الرّجوع إلى مصادرها.

(٦) الشجرة ١/٦١.

ـ وقال المالكيّ: «كان من جلّة المحدّثين منسوباً إلى الزّهد والورع صلباً في دينه».

ـ وقال المالكيّ أيضاً وتابعه الذّهبيّ في السّير: «كان سفيان الثّوري يعظّمه ويعرف حقّه».

ـ وقال سَحنون: «عبدالرّحمن ثقة». كما نقله أبو العرب.

ـ وقال الدّبّاغ في المعالم: «كان من جلّة المحدّثين والعلماء العاملين، ذا ورع وزهد وصلاح».

ـ وقال أحمد بن صالح: «وهو صحيح الكتاب». قيل له: أيحتجّ بـه؟. قال: «نعم»، وكان أحمد بن صالح يُنكْر على من يتكلّم فيه، ويقول: هو ثقة، وقال: من تكلّم في ابن أَنْعُم فليس بمقبول، ابن أَنْعُم من الثّقات، وقال: هو ممّن يحتجّ به.

ـ وروى غير واحد عن يحيى بن سعيد القطّان أنّه وثّقه، وقال: كتبت عنه كتاباً بالكوفة.

ـ وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح من الآمرين بالمعروف.

ـ وقال أبو بكر ابن أبي داود: إنّما تكلّم النّاس في الإفريقيّ وضعّفوه لأنّه روى عن مسلم بن يسار يعنون البَصْريّ، ولم يعلموا أنّ مسلم بن يسار آخر يقال له: أبو عثمان الطُّنْبُذِيّ، وكان الإفريقيّ، رجلاً صالحاً.

ـ وقال الذّهبيّ في المُغني: «مشهور جليل»، وقـال في السّير: «الإمـام القدوة شيخ الإسلام»، وقال في الميزان: «العبد الصّالح».

ـ ووثّقه أحمد شاكر توثيقاً متيناً، وأكّد على ذلك في كلّ موضع ذكره فيه في تعليقه على سنن الترمذيّ والمحلّى، وكان يقول: «أمّا عبدالرحمن بن زياد بن أَنْعُم فـإنّه ثقـة، ومن ضعّفه فـلا حجّة لـه»، وساق بعض مـا تقدّم من كـلام

المعدّلين، ثم قال: «وأهل بلد الرّجل أعرف به وأعلم، والذي ظهر لي بالتّتبّع أنّ كثيراً من علماء الجرح والتّعديل من أهل المشرق كانوا أحياناً يخطئون في أحوال الرّواة من أهل المغرب»، وعقّب على قول ابن حزم في المحلّى بقوله: «ليس بهالك كما زعم ابن حزم، وهو ثقة عدل، أنكروا عليه أحاديث، وهذا ممّا لا يخلو منه أكثر الرّواة».

ـ وقال التّرمذي: «كان البخاري يقوّي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث»، قلت: وهذا من ألفاظ التّعديل على الصّحيح[1]، وهذه الشّهادة من البخاري لها اعتبار مضاعف؛ لإمامة البخاري في هذا الشّأن، ولمعرفته أكثر من غيره بابن أَنْعُم؛ لأنّ أبا عبدالرّحمن المُقرىء هو تلميذ لابن أَنْعُم وشيخ للبخاريّ، ومن طريقه روى البخاري لابن أَنْعُم خارج الصّحيح.

ب ـ المُجرِّحُون:

ـ قال أحمد: «منكر الحديث»، وقال: «ليس بشيء، نحن لا نروي عنه شيئاً»، وقال: «لا أكتب حديثه»، قلت: بل روى عنه، وأخرج له في المسند[2]، وهذا يخفّف من تضعيفه له إذا لم يكن رجوعاً عنه، ولعلّه يقصد بترك الكتابة عنه ما كانت على سبيل الاحتجاج.

ـ وقال عمرو بن علي: «كان يحيى بن سعيد وعبدالرّحمن بن مهدي لا يحدّثان عن الإفريقي». قلت: بل حدّث عنه ابن مهدي مرّة، وكتب عنه يحيى بن سعيد كتاباً بالكوفة، ووثّقه كما تقدّم.

ـ ونقل عن ابن مهدي أنّه قال: «ما ينبغي أن يُروى عن الإفريقي حديث». قلت: وقد روى عنه مرّة، فلعلّ مراده أنّه لا يُروى عن الإفريقي على سبيل الاحتجاج.

---

(١) تدريب الرّاوي ١/٣٤٩، فتح المغيث ١/٣٦٥، ٣٦٦، دراسات في الجرح والتّعديل ص ٢٤٤.

(٢) انظر مثلاً: المسند ٤/١٦٩.

ـ وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: «يُكتب حديثه، ولا يحتجّ به».

ـ وقال ابن عديّ: «عامّة حديثه، وما يرويه لا يُتابع عليه».

ـ وقال ابن حبّان: «يروي الموضوعات عن الثّقات، ويأتي عن الأثبات ما ليس من أحاديثهم، وكان يُدلّس عن محمد بن سعيد المصلوب». قلت: وهذه مبالغة وإسراف منه في تضعيفه، كما أشار إلى ذلك الذّهبيّ في الميزان.

ـ وقال الدّارقطني: «ليس بالقوي»، وقال ابن خِراش: «متروك».

ـ وقال النّسائي: «ضعيف»، وقال ابن خُزيمة: «لا يحتجّ به».

ـ وقال ابن حزم: «هالك»، وذكره ابن البَرْقِيّ في باب من نُسب إلى الضّعف.

ـ وقال سفيان الثّوري: «جاءنا عبدالرحمن بن زياد بستّة أحاديث يرفعها إلى النّبيّ ﷺ لم أسمع أحداً يرفعها»، قال أبو العرب: «فلهذه الغرائب ضعّف ابن معين حديثه». قلت: تقدّم ذكر هذه الأحاديث والكلام عليها[1]، وقد تبيّن أن الإفريقيّ قد توبع على رفع ورواية أربعة منها، وأنّ اثنين فقد يمكن اعتبارهما من غرائبه، وذلك يخفّف من الطّعن الموجّه إليه بسببها.

ـ وذكره ابن حجر في المرتبة الخامسة من مراتب المدلّسين.

جـ ـ الأقوال التي جمعت بين التّعديل والجرح الخفيف:

ـ قال ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زُرعة عن الإفريقيّ وابن لَهِيعَة: أيّهما أحبّ إليكما؟ فقالا: جميعاً ضعيفان، وأشبههما الإفريقي، بين الإفريقي وابن لَهِيعة كثير، أمّا الإفريقي فإنّ أحاديثه التي تُنكر عن شيوخ لا نعرفهم وعن أهل بلده، فيحتمل أن يكون منهم ويحتمل ألاّ يكون.

---

(١) راجع مبحث الإضافات الحديثيّة في الباب الثّاني.

ـ وسئل أبو زُرعة عن الإفريقيّ فقال: ليس بقويّ، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم.

ـ قال ابن القطّان: «كان من أهل العلم والزّهد بلا خلاف بين النّاس، ومن النّاس من يوثّقه ويربأ به عن حضيض الرّواية، والحقّ فيه أنّه ضعيف لكثرة روايته المنكرات وهو أمر يعتري الصالحين».

ـ وقال الذّهبيّ في الميزان: «قدم على المنصور فوعظه وصدعه بأنّهم ظلمة»، ونقل قول البُخاري الذي تقدّم ذكره، وقال: «ولم يذكره في الضّعفاء». قلت: بل ذكره في الضّعفاء غير أنّه لم يبالغ في تجريحه حيث قال: «في حديثه بعض المناكير»، ووصف الذّهبي ابن حبّان بالإسْراف في تضعيف ابن أَنْعُم كما تقدّم.

ـ قال ابن معين: «ضعيف لا يسقط حديثه»، وقال أيضاً: «ضعيف يكتب حديثه وإنّما أنكر عليه الأحاديث الغرائب التي يحدّثها».

ـ وقال يعقوب بن شيبة: «ضعيف الحديث، وهو ثقة صدوق رجل صالح».

ـ وقال الجَوْزَجَانِيّ: «غير محمود في الحديث وكان صادقاً خشناً».

ـ وقال يعقوب بن سُفْيان: «لا بأس به في حديث ضعف».

ـ قال ابن شاهين: «ليس به بأس وفيه ضعف، وهو أحبّ إليّ من أبي بكر ابن أبي مريم». وكذا قال ابن معين أيضاً مثل ذلك، فلعلّه نقل قوله ولم ينسبه إليه.

ـ قال السّاجي: «فيه ضعف، وكان ابن وهب يطريه».

ـ قال الغلابي: «يضعّفونه».

ـ وقال ابن حجر في التّقريب: «ضعيف في حفظه، وكان رجلاً صالحاً».

ـ وقال الحربي: «غيره أوثق منه».

ـ وقال الذّهبي في السّير: «قاضي إفريقيّة ومحدّثها على سوء حفظه».

ـ قال عمرو بن علي: «ما سمعت عبدالرحمن بن مهدي ذكره إلاّ مرّة واحدة، قال: حدّثنا سفيان عن عبدالرّحمن الإفريقي، وهو مليح الحديث، ليس مثل غيره في الضّعف».

وسئل عنه هشام بن عروة فقال: «دعنا منه، حديثه حديث مشرقيّ«، أي إنّهم يروون أحاديثه بأسانيد مشرقيّة فلا يحتاجون إلى سنده.

ـ نتيجة النّظر في حال الإفريقيّ:

لقد تبيّن ممّا سبق أنّ النّقاد متّفقون على عدالة الإفريقي، وفضله كما قال ابن القطّان، أمّا قدحهم في دعواه الرّواية عن مسلم بن يسار فلا يعتدّ به؛ لأنّ الحقّ إلى جانبه، فإنّهم ظنّوا أنّه مسلم بن يسار البصري، وإنّما هو الإفريقيّ ولم يكونوا يعرفونه.

كما تبيّن أيضاً أنّ أهل إفريقيّة ومصر والأندلس قد وثّقون، وهم أعلم بحاله من المشارقة كما نبّه على ذلك ابن عبدالبر.

أمّا أهل المشرق فقد وثّقه بعضهم وضعّفه آخرون، واختلف فيه قول قسم ثالث منهم، مثل: الإمام أحمد الذي يقول: لا أروي عنه، ثم نجده يخرج له في المسند، وكذا عبدالرحمن ابن مهدي وغيرهما.

ويمكن حصر الطّعن الموجّه إلى الإفريقي في نوعين من الجرح:

١ ـ جرح مجمل، وقد قابله توثيق، فلا يقبل إلاّ مفسّراً.

٢ ـ جرح مفسّر، وقد تبيّن لنا أنّه غير قادح ومردود عليه بأنّه لم يثبت كما سيأتي، ومعلوم أنّه إذا اجتمع في الرّاوي جرح مفسّر وتعديل، وعرف المعدّل ذلك الجرح ونفاه فإنّه لا يؤخذ به[1].

---

(١) التدريب ١/٣٠٩، ٣١٠.

وإليك الرّدود على من طعن في الإفريقي غير ما سبق بيانه:

ـ إنّ أكثر الذين جرّحوا الإفريقي هم من النّقّاد المعروفين بالتّشدّد في الجرح، مثل: أبي حاتم، والنَّسائي، وابن حبّان، وابن حزم، وابن القطّان[1] فهؤلاء إذا جرّحوا أحداً ووثّقه غيرهم كما هو الحال في الإفريقي فلا يقبل تجريحهم إلا مفسّراً، ويتوقّف في تصحيح حديثه وهو إلى الحسن أقرب كما قرّر ذلك الحافظ الذّهبيّ[2].

ـ إنّ ما وصف به من التّدليس إن ثبت فهو قليل، ولا يقدح فيه؛ إذ إنّ تدليس الثّقات عن الضّعفاء يقدح في الرّواية ولا يقدح في الرّاوي على الصّحيح[3]، أمّا وضع ابن حجر له في الطّبقة الخامسة من المدلّسين فلعلّه أخذ بقول من ضعّفه.

ـ إنّ قول ابن عديّ: «عامّة ما يرويه لا يتابع عليه»، غير مُسلّم، حيث وجدت أنّ ما عدّوه من غرائبه قد توبع على أكثره، وقد فصّلت القول في ذلك في مبحث الإضافات الحديثيّة لأهل القيروان.

ـ إنّ وصف ابن القطّان له بكثرة رواية المنكرات يعارضه قول الإمام البُخاري: «في حديثه بعض المناكير»، ويعارضه كذلك ما نُقل عن سفيان الثّوري وابن معين حيث حصرا غرائب ابن أنْعُم في ستّة أحاديث، ثمّ إنّ وجود بعض المناكير في حديثه هو ممّا لا يخلو منه أكثر الرّواة، وخاصّة المكثرين منهم كالإفريقي، كما أشار إلى ذلك الأستاذ أحمد شاكر، وهو أمر ذكره جهابذة هذا الفنّ منذ القديم، فقد قال ابن معين: «من لم يخطىء فهو كذّاب»، وقال ابن

---

(١) انظر: مقدمة كتاب المجروحين ١/ي. المتكلّمون في الرجال ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ذكر من يعتمد قوله ١٥٨، ١٥٩.

(٢) ذكر من يعتمد قوله ١٥٩.

(٣) التّدريب ١/٣٣٠، فتح المغيث ١/١٩٣.

المبارك: ومن يسلم من الوهم؟...[1]، ومعلوم أنّه ليس كلّ من يروي المناكير ضعيفاً، كما قرّر ذلك الحافظ الذّهبيّ[2].

ـ إنّ قول ابن حبّان فيه مردود؛ لأنّه لم يذكر لنا شيئاً من الموضوعات التي أشار إليها، وقد استدرك عليه الحافظ الذّهبيّ، ووصَفه بالإسراف في تضعيف الإفريقي.

ـ يكاد تضعيف الإفريقي ينحصر في غرائبه السّت، وقد ثبت عدم تفرّده بجميعها كما تقدّم، ولا عبرة بتفرّده بالباقي ـ وهو حديثان ـ إلى جانب مرويّاته الكثيرة، وقد عُرفت مناكير الإفريقي وحُدّدت، فعامّة مرويّاته غيرها مقبولة.

والغرائب تفسّر بخفّة الضّبط وذلك مع توفّر العدالة في الإفريقي يلتقي مع حدّ الحديث الحسن لذاته. ويضاف إلى ما تقدّم أنّ البخاري ـ إمام هذا الشّأن ـ كان يُقويّ أمره ويقول فيه: «مُقارِبُ الحديث»، وهذا من ألفاظ التّعديل على الصّحيح[3].

ولذا فالإفريقي صدوق في حديثه تدليس قليل، وبعض المناكير التي عُرفت وحُدّدت، وبها عرفنا خفّة ضبطه، فتكون جملة أحاديثه الأخرى ـ غير المنكرة والمدلّسة ـ من مرتبة الحسن لذاته، وقد حكم الشّيخ أحمد شاكر بتصحيح حديثه[4]، وذلك توسّع منه. والله أعلم.

ـ **مؤلفاته**:

له كتابان دوّن فيهما مرويّاته بلغت أحاديثهما خمسمائة حديث، وقد رواهما أهل القيروان. ذكر ذلك أبو العرب[5]، وأشار إليه صاحب دراسات في الحديث النّبوي[6].

---

(١) أسباب اختلاف المحدّثين ١/١٤٤. (٢) قواعد التّحديث ١٩٨.

(٣) التدريب ١/٣٤٩، فتح المغيث ١/٣٦٥.

(٤) انظر مثلاً: حاشية الترمذي ١/٧٦، ٣٨٤، ٣٨٦.

(٥) ط أبي العرب ٣٠، ٣٢. (٦) دراسات في الحديث ١/١٨٤.

١٧ ـ **عبدالرّحمن بن محمّد بن رَشِيق**[1]، أبو القاسم (ت بعد ٤٤٤):

محدّث حافظ، عالم بالتّاريخ والرّجال، فقيه أديب شاعر، تفنّن في كثير من العلوم.

ـ طلبه وشيوخه:

نشأ أبو القاسم بالقيروان وأخذ الحديث وغيره عن مشايخها في عصره، منهم: عبدالخالق بن شَبْلُون شيخ القيروان بعد ابن أبي زيد (ت ٣٩١)[2]، وأبو القاسم عبدالرحم التِّجيبي[3]، والحسن بن عبدالله الأَجْدَابيّ[4]، ومحدّث القيروان وحافظها الإمام أبو الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)[5]، كما سمع من عدّة من علماء الأندلس، منهم: محمد بن أبي صُفْرَة المحدّث المتوفّى بالقيروان سنة ٤١٦ هـ[6].

ثمّ رحل أبو القاسم إلى المشرق سنة ٣٧٦ هـ[7]، فسمع من جماعة من علمائها، منهم: أبو ذرّ عبد بن أحمد بن الهَرَوِيّ (ت ٤٣٥)[8]، سمع منه صحيح البُخاري.

ـ علمه بالحديث، وأثره:

إنّ أبا القاسم من أولئك العلماء الذين تأخّرت وفاتهم إلى زمن خراب القيروان أو قبلها بقليل، ولذلك فقد وُصف بالبروز في علم الحديث وغيره، ومع ذلك فلم نعثر له على تلاميذ؛ لعدم وجود من يدوّن له، ولعلّ المالكيّ ذكره في القسم الذي لم يصلنا من كتاب الرّياض.

---

(١) المعالم ١٨٦/٣، الشجرة ١١٠/١، الأعلام ١٠٠/٤، معجم المؤلفين ١٧٤/٥، تراجم المؤلفين ٣٥٦/٢، البخاري واهتمام أهل المغرب به (مقال) ص ١٥.

(٢) الشّجرة ٩٧/١.

(٣)، (٤) المعالم ١٨٦/٣.

(٥) ستأتي ترجمته رقم ٢٤.

(٦) الشّجرة ١١٤/١، المعالم ١٨٦/٣.

(٧) الشّجرة ١١٠/١.

(٨) المعالم ١٨٦/٣، إفادة النّصيح ٣٩.

قال الدّبّاغ[1]: «كان حافظاً للحديث وعلله، عارفاً بأسماء رجاله ونقَلته، وله مشاركة في سائر العلوم، وتقدّم في معرفة الآثار، والسّير والأخبار، وعناية كاملة بتقييد السّنن والأحاديث المشهورة». وهذا القول يدلّ على أنّ ابن رَشِيق كان من كبار المحدّثين فهو حافظ للحديث، والعلل، عالم بالرجال، مهتمّ بتدوين السُّنّة.
وقال صاحب الشجرة[2]: «الفقيه العالم المحدّث». وجاء في الأعلام، ومعجم المؤلّفين أنه: «مؤرخ، فقيه، حافظ للحديث، شاعر»[3].

ولقد كان ابن رَشِيق يراسل أبا عمر الصَّفَاقُسِي (ت حوالي ٤٤٤) عندما كان بالأندلس[4]، وعلى هذا تكون وفاته بعد هذا التّاريخ، وقد خربت القيروان سنة ٤٤٩ هـ، فنتج عن ذلك إغفال تدوين آثار هذا العلَم، ولا شكّ أنّ أمثاله كثيرون.

مؤلّفاته:

يستفاد من مصادر ترجمته أنّ مؤلّفاته كانت كثيرة في الرّجال، والتّاريخ، والفقه، إلاّ أنّني لم أقف إلاّ على ثلاثة منها، وهي: - كتاب في كرامات أهل إفريقيّة[5]، - كتاب في أخبار العلماء والصّلحاء ومناقبهم شرقاً وغرباً[6]، - المستوعب لزيادات مسائل المبسوط ممّا ليس في المدوّنة[7]، وهي كلّها مفقودة.

---

(١) المعالم ١٨٦/٣.
(٢) الشّجرة ١١٠/١.
(٣) الأعلام ١٠٠/٤، معجم المؤلفين ١٧٤/٥.
(٤) انظر: الشّجرة ١١٠/١.
(٥) المعالم ٩٨/١.
(٦) المعالم ١٨٦/٣.
(٧) الشّجرة ١١٠/١، المعالم ١٨٦/٣.

١٨ ــ عبدالله بن أبي حسّان اليَحْصُبِيّ[1]، أبو محمد (١٤٠ ـ ٢٢٧، وقيل غير ذلك):

محدّث، فقيه، لغويّ، عالم بالتّاريخ، والأخبار، والأشعار، من المناظرين عن السُّنّة، مع جود، وعلوّ همّة، وفصاحة لسان.

ــ طلبه وشيوخه:

أخذ الحديث بالقيروان عن ابن أَنْعُم (ت ١٦١) وأكثر عنه، كما ذكر أبو العرب[2]، وقد روى عنه الكتابين اللّذَيْن دوّنهما ابن أَنْعُم، وبلغت أحاديثهما خمسمائة[3]، كما لقي عبدالله بن فَرُّوخ الفارسيّ المحدّث (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)، وأهل هذه الطّبقة.

ثمّ رحل إلى المشرق لتنمية حصيلته العلمية فقصَد الإمام مالك[4]، وسمع منه حديثاً كثيراً، وتفقّه به، وقد اهتمّ به مالك، قال ابن وهب: «ما رأيت مالكاً أميل إلى أحد منه لابن أبي حسّان»[5]، وكان قد دفع له بعض مسائل ابن غانم ليجيب عنها[6].

ولشدّة حرص ابن أبي حسّان على الطّلب فقد كان يعطي لرجل ثلاثة دراهم كلّ يوم؛ حتّى يحجز له مكاناً قريباً من الإمام مالك[7].

---

(١) طبقات أبي العرب مح ١٥٥، ١٧٠، الرّياض ١/٢٨٤، المعالم ٢/٥٨، البيان المغرب ١/١٠٨، الدّيباج ١٣٣، المدارك ١/٤٨٠، الفكر السّامي ٢/٩٦، الشّجرة ١/٦٣.

(٢) ط أبي العرب مح ١٥٥، وانظر: الشّجرة ١/٦٣.

(٣) ط أبي العرب ٣٠.

(٤) انظر: الدّيباج ١٣٣، الفكر السّامي ٢/٩٦.

(٥) المعالم ٢/٥٩.

(٦) المدارك ١/٤٨١.

(٧) الرّياض ١/٢٨٦.

كما أخذ الحديث عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذِئب المحدّث الثّقة (ت ١٥٨ أو ١٥٩)(١).

وسمع حديثاً كثيراً من سفيان بن عُيَيْنة الحافظ الحجّة (ت ١٩٨)، الذي كان شديد الاهتمام به، فإذا دخل ابن أبي حسّان مال إليه سفيان بوجهه وحديثه، واشتغل به عن الطّلبة، فكان أهل الحديث إذا رأوه داخلاً قالوا: «قد جاءكم المشؤوم»(٢)، قلت: ولعلّ سفيان اختصّه بالحديث لبعد إفريقيّة عن حواضر العالم الإسلاميّ المليئة بالعلماء، ولكونه على سفر، حتّى يدرك غرضه من الرّواية بأخصر وقت ممكن.

وقد أخذ عبدالله في رحلته هذه أيضاً علوم اللّغة، تلقّاها عن سيبَوَيْه والكِسَائِيّ(٣).

ـ أثره وتلاميذه:

عاد ابن أبي حسّان إلى القيروان مملوء الوطاب علماً، وجلس ينشر علمه بالقيروان، وكان له بها مسجد لصلاته ومجالسه، وقد بثّ بالقيروان حديثاً كثيراً، وأخذ عنه النّاس أخبار إفريقيّة وحروبها(٤)، وكان شديداً على المبتدعة في مناظراته معهم، دفاعاً عن السُّنّة(٥)، وقد قال له مرّة بعض طلّابه: «أرأيت هذا الذي يقول النّاس في أبي بكر وعلي؟»، يريد التّفضيل بينهما، فضربه ضربة أوجعته وقال له: «ليس هذا دين قُريش، ولا دين العرب، هذا دين أهل «قُمّ» قرية من قرى خراسان»، يسكنها الشّيعة، وهو يشير بذلك إلى رأيهم الفاسد في تفضيل عليّ على أبي بكر رضي الله عنهما.

---

(١) التّهذيب ٩/٣٠٣، التّقريب ٢/١٨٥، المدارك ١/٤٨٠.

(٢) المدارك ١/٤٨١، وانظر: المعالم ٢/٥٨.

(٣) انظر: الشجرة ١/٦٣.

(٤) انظر: الدّيباج ١٣٣.

(٥) انظر: الرياض ١/٢٨٦، المدارك ١/٤٨٢.

ثمّ قال: «والله ما يخفى علينا نحن من يستحقّ الولاية بعد والينا، ولا من يستحقّ القضاء بعد قاضينا، فكيف يخفى على أصحاب محمد ﷺ من يستحق الأمر بعد نبيّهم ﷺ»[1]. وكان كثير ما يشارك في المناظرات التي يعقدها أمراء الأغالبة - في مجالسهم - بين الفقهاء[2].

وقد أخذ عنه جماعة من أهل القيروان والأندلس، منهم: الإمام سَحنون، وفُـرات بن محمد العَبْـدي (ت ٢٩٢)، وسليمان بن خَـلَّاد، ومحمد بن وَضَّـاح الأندلسي وهو من كبار المحدّثين (ت ٢٨٧)[3].

- الثّناء عليه وتوثيقه:

قال سَحنون: «كنت أوّل طلبي إذا تغلّقت عليّ مسألة في الفقه آتي ابن أبي حسّان، فكأنّما في يده مفتاح لما انغلق»[4].

وقال أبو علي البصري: «كان حسن البيان، عالماً بأيّام العرب وأنسابها، راوية للشّعر قائلاً له، وعنه أخذ النّاس أخبار إفريقيّة وحروبها»[5].

وقال المالكيّ: «كان مفوّهاً، حاضر الحجّة، قويّاً على المناظرة، ذابّاً عن السُّنّة، قليل الهيبة للملوك في حقّ يقوله»[6].

وثّقه أبو العرب قال: «وهو ثقة في حديثه.. ما طُعن عليه بشيء»[7]، كما وثّقه القاضي عياض[8] وابن فَرْحُون[9].

(١) الرياض ٢٨٧/١. وانظر عن قُمّ: معجم البلدان ٣٩٧/٤.
(٢) الرياض ٢٨٧/١، ٢٨٨، المدارك ٤٨٢/١، ٤٨٤، المعالم ٦١/٢.
(٣) انظر عن تلاميذ المصادر المثبتة أوّل التّرجمة.
(٤) المدارك ٤٨٢/١.
(٥) المدارك ٤٨٢/١.
(٦) الرياض ٢٨٦/١.
(٧) ط أبي العرب مح ١٥٥.
(٨) المدارك ٤٨٠/١.
(٩) الديباج ١٣٣.

ـ من حديثه:

عبدالله بن أبي حسّان عن عبدالرّحمن بن زياد قال: أخبرني عبدالله بن يزيد، وهو أبو عبدالرّحمن الحُبُلِيّ، قال: كان عبدالله بن عمر جالساً فقال: «ألا أعلّمكم كلمات كان رسول الله ﷺ يعلّمهنّ أبا بكر يقولهنّ حين يريد أن ينام؟»، قال: قلنا: بلى، فأخرج إلينا قِرطاساً، فإذا فيه: «اللّهمّ فاطرَ السّموات والأرض، عالمَ الغيب والشّهادة، أنت ربُّ كلِّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمداً عبدك ورسولك، والملائكة يشهدون، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الشّيطان وشركه، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرّه على مسلم»[1].

١٩ ــ عبدالله بن أبي زيد عبدالرّحمن القَيْرَوانِيّ[2]، أبو محمد (٣١٠ ـ ٣٨٦):

وهو محدّث حافظ عالم بالرّجال، وفقيه أصوليّ بارع بلغ درجة الاجتهاد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد باختلاف يسير من طريق الحُبُلِيّ عن ابن عمر ١٧١/٢، وفيه ابن لَهِيعة والعمل على تضعيف حديثه، غير أنّه يرقى إلى درجة الحسن لغيرة بالحديث الذي معنا، وبما له من الشّواهد. وأخرجه بنحوه من حديث عبدالله بن عمرو ١٩٦/٢، وأخرجه أيضاً بنحوه من حديث أبي بكر ١٤/١.
وأخرجه التّرمذي من حديث عبدالله بن عمرو في كتاب الدّعوات، باب ٩٥، ٥٤٢/٥/ ٣٥٢٩، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه»، قلت: والحديث بإسناده الذي معنا حسن لذاته فإنّ سائر رجاله ثقات، والإفريقي حديثه حسن لذاته كما تقدّم قريباً.

(٢) المعالم ١٠٩/٣، المدارك ٤٩٢/٣، دائرة المعارف ٨٠/١، الديباج ١٣٦، شذرات الذهب ١٣١/٣، تراجم المؤلفين ٤٤٣/٢، مجلد الهداية ٥/٧/ ١٤٠٠، ألف سنة من الوفيات ٥١، وفيات ابن قنفذ ٢٢١، الفكر السامي ١١٥/٢، النجوم الزاهرة ٢٠٠/٤، مرآة الجنان ٤٤١/٢، طبقات الفقهاء ١٧٠، أعلام ابن عاشور ٤٤، تاريخ التراث العربي ١٦٦/٣/١، فهرسة ابن خير ٢٤٤، الأعلام ٢٣٠/٤، ١٣٣/١٠، معجم المؤلفين ٧٣/٦، كشف الظنون ٨٤١/١، ٨٨٠، هدية العارفين ٤٤٧/٥، فهرست ابن النديم ٢٨٣، تبيين كذب المقتدي ١٢٢، سير أعلام ١٠/١٧، القراءات بإفريقية ٣٠٤، مقدمة كتاب الجامع ١٥.

في مذهب مالك، ومقرىء عالم بالتّفسير، ولغويّ شاعر، بصير بالرّدّ على أهل البدع، مع زهد وورع وعفّة، بلغت شهرته الآفاق، وانتشرت مؤلّفاته في البلاد.

ـ طلبه للعلم وشيوخه ورحلته:

لقد عاصر ابن أبي زيد دولة الرّافضة بالقَيْرَوان، وكانت مرحلة طلبه ودراسته عندما كانت هذه الدّولة في أعتى أيّامها، حيث منعوا التّدريس في المساجد، وحرصوا على إماتة السُّنّة ونشر البدع، ممّا جعل العلماء ينقلون حلقاتهم العلميّة ودروسهم إلى البيوت والمجالس الخاصّة كما تقدّم في المراكز العلميّة، وهذا الوضع ـ مع ما فيه من الكبت والتّضييق على أهل السُّنّة ـ لم يمنع أبا محمد من الطّلب، لشدّة حرصه ورغبته في العلم، فكان يقصد العلماء في بيوتهم يسمع منهم، ويضع كتبه تحت ثيابه حتّى تبتلّ بالعرق خوفاً من بني عُبَيد[1]، وقد أكثر أبو محمد من لُقِيّ الشّيوخ، وسمع منهم الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، واللّغة، حتّى إنّ شيوخه القرويّين قد زادوا على العشرين شيخاً[2]، رغم صعوبة الظّرف كما تقدّم، وعلى رأسهم: أبو بكر ابن اللَّبَّاد شيخ السُّنّة بالقيروان، وأبو العَرَب المحدّث الحافظ، ويفترض أنّ الموطّأ كان من أُولى سماعاته كما هي عادة القرويّين، وكذا صحيح البُخاري الذي أدخله القابِسيّ فيما بعد.

ولم يكن ابن أبي زيد ليضيع فرصة وجود العلماء الوافدين على القَيْرَوان، ولذلك نجده يتتبّع أخبار هؤلاء الوافدين، ويسمع منهم، ويكتب عنهم، من ذلك أنّ دَرّاس بن إسماعيل الفاسي (ت ٣٥٧ وقيل ٣٦٢)، لمّا نزل القيروان استضافه ابن أبي زيد عنده وسمع منه حديثاً كثيراً وفقهاً[3]، كما استفاد من فرصة وجود

(١) انظر: المعالم ٢٥/٣.
(٢) انظر: المصادر المثبتة أول الترجمة وخاصة المعالم ١٠٩/٣.
(٣) انظر: جذوة الاقتباس ١٩٤/١، الفكر السامي ١١١/٢، سير أعلام ١٠/١٧.

أبي محمد الأَصِيلِيّ (ت ٣٩٢) المحدّث بالقيروان فكتب عنه الحديث[١]، ومن دلائل حرص ابن أبي زيد على الطّلب أيضاً أنّه استدعى للإجازة جملة من علماء عصره المشاهير الذين لم يتمكّن من لقيّهم، فقد استجاز محمد بن القاسم بن شعبان المصريّ (ت ٣٥٥)، وكان محدّثاً واسع الرّواية[٢]، وأبا بكر محمد بن عبدالله الأَبْهَرِي البغدادي (ت حوالي ٣٧٥)، الذي كان يروي صحيح البُخاري وغيره من كتب السُّنّة، وله مؤلّفات كثيرة منها كتاب الأمالي، وعوالي حديثه[٣]، كما استجاز أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المَرْوَزِيّ البغدادي نزيل مصر، وكان من كبار العلماء (ت ٣٤٠)[٤].

وقد أجازه هؤلاء بمرويّاتهم ومؤلّفاتهم، كما كاتب أبو محمد جماعةً من علماء عصره، منهم محدّث الأندلس عبدالرحمن بن محمد بن فُطَيْس (٣٤٨ - ٤٠٢)[٥].

ونظراً لهذا الحرص الشّديد على طلب العلم، بالإضافة إلى أنّه ابتدأ الطّلب في سنّ مبكّرة فقد عُرف ابن أبي زيد بغزارة العلم ولمّا يصل العشرين من عمره، فقد طلب منه مُحْرِز بن خَلَف المؤدّب أن يؤلّف له كتاباً مختصراً، يضمّنه ما يحتاجه طلبة الكُتّاب في العقيدة والفقه، فألّف له «الرّسالة» التي عمّت شهرتها الآفاق وهو في السّابعة عشرة من عمره[٦].

وبعد أن تخرّج أبو محمد على شيوخ إفريقيّة والوافدين عليها، وبدأت تظهر بوادر رئاسته في العلم يمّم وجهه شطر المشرق حاجّاً ومستزيداً من العلوم

---

(١) انظر: المدارك ٦٤٣/٣.
(٢) انظر: المدارك ٢٩٣/٣، الشجرة ٩٦/١.
(٣) انظر: المدارك ٤٦٦/٣، الشجرة ٩٦/١.
(٤) حسن المحاضرة ٣١٢/١، الشجرة ٩٦/١.
(٥) الصلة ٣٠٠/١.
(٦) المعالم ١١١/٣، مقدمة كتابه الجامعة ٥٠.

عن مشايخه، فسمع هنالك من جماعة كثيرة، على رأسهم الحافظ الثّقة الإمام أبو سعيد أحمد بن محمد بن الأَعْرَابِي (ت ٣٤٠)[(١)]، وأبو عثمان أحمد بن إبراهيم بن حمّاد القاضي (ت ٣٢٩)، وعثمان بن سعيد الغَرَابِلِيّ، وغيرهم[(٢)]، وقد قارب شيوخه في رحلته الخمسة عشر شيخاً من المحدّثين والفقهاء وأهل اللّغة[(٣)]، وقد استفاد منهم علماً عظيماً، فنمت حصيلته العلميّة واستكمل ما نقصه في إفريقيّة من الحديث والفقه، وبذلك أصبح من كبار علماء عصره، وعاد إلى القيروان بعلم جمّ أخذه عنه النّاس.

أمّا شيوخه عامّة فقد عرفنا منهم خمسة وثلاثين شيخاً من مختلف المصادر، وسأكتفي بذكر من عُرف منهم بالحديث والرّواية، فمن القرويّين:

- أبو العرب محمّد بن أحمد التَّمِيمي القيرواني، صاحب التّصانيف في الرّجال، والحديث، والجرح والتّعديل (ت ٣٣٣)[(٤)].
- أبو بكر محمد بن محمد بن اللَّبَّاد، الحافظ الثّقة، شيخ السُّنّة بالقَيْرَوان (ت ٣٣٣)[(٥)].
- عبدالله بن أبي هاشم بن مَسْرُور، وكان محدّثاً مشهوراً، كثير الرّواية والتّصانيف (ت ٣٤٦)[(٦)].
- ربيع القَطّان، المحدّث القروي، العالم بالرّجال، والعلل، وغريب الحديث (ت ٣٣٣)[(٧)].

---

(١) اللسان ١/٣٠٨، المعالم ٣/١٠٩.
(٢) (٣) انظر: المصادر المثبتة أول الترجمة.
(٤) الديباج ١٣٦، المعالم ٣/١٠٩.
(٥) الرياض ٢/٢٨٣، المعالم ٣/٢٣، الخشني ٢٣٢.
(٦) المدارك ٣/٣٤٠، الشجرة ١/٨٥.
(٧) الرياض ٢/٣٢٣، المعالم ٣/٣٠.

أمّا غير القرويّين فمنهم:

- دَرَّاس بن إسماعيل الحافظ، محدّث فاس وفقيهها (ت ٣٥٧)[1].
- أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ، محدّث الأندلس، وراوية صحيح البُخاري (ت ٣٩٢)[2].
- أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأَعْرَابِيّ (ت ٣٤٠)، «الإمام الحافظ الثّقة الصّدوق الزّاهد»، كان يحدّث بسنن أبي داود وغيرها، وكان كثير الحديث[3].
- محمد بن القاسم بن شعبان، كان واسع الرّواية، كثير الحديث، مع تفنّن في سائر العلوم (ت ٣٥٥)، وهو شيخ لأبي محمد بالإجازة[4]، كما أشرت إلى ذلك قريباً.
- أبو بكر محمد بن عبدالله الأَبْهَرِي (ت حوالي ٣٧٥): كان يروي كثيراً من المصنّفات في السّنّة، منها: صحيح البُخاري، وله في الحديث عدّة تآليف، منها: عوالي حديثه، وقد أجاز ابن أبي زيد بمؤلّفاته ومرويّاته[5].

وهكذا تلقى ابن أبي زيد علومه من رجال أكثر من مدرسة من المدارس المبثوثة في حواضر العالم الإسلامي، «فاجتمعت لديه بذلك نفائس الآثار، وقد أعانه ذلك التّكوين الممتاز على أن يرجع بالفقه المالكيّ إلى صفائه العلمي»[6]، فركّزه على علوم الكتاب والسُّنّة، وابتعد به عن التّوسع في الرّأي، والقول بلا دليل.

---

(١) جذوة الاقتباس ١/١٩٤، الفكر السامي ٢/١١١.

(٢) البغية ٣٢٧، الجذوة ٢٤٠، المدارك ٣/٦٤٣.

(٣) اللسان ١/٣٠٨، المعالم ٣/١٠٩.

(٤) الشجرة ١/٨٠، المدارك ٣/٢٩٣.

(٥) المدارك ٣/٤٦٦.

(٦) أعلام ابن عاشور ٤٧.

- أثـره وتلاميـذه:

ما إن عاد ابن أبي زيد من رحلته حتّى اشتهر أمره، وذاع صيته، وانتشرت إمامته، فرحل إليه النّاس من الأقطار[1]؛ لِمَا عُرف به من النّبوغ في العلم من الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، واللّغة ونحوها، وجلس ابن أبي زيد للتّدريس، وفتح باب داره للطّلبة، فأقبلوا عليه إقبالاً منقطع النّظير، وقد جذبهم إليه سعة مرويّاته، وحفظه، وفصاحة لسانه، مع أدب جمّ، وورع، وزهد، وتقوى، وكان أبو محمّد شديد الحفاوة بطلّابه، معتنياً بأمورهم الخاصّة، متفقّداً لحاجيّـاتهم، ساعده على ذلك ما آتـاه الله من الخير، فكـان يسكن الغربـاء منهم في بيوت خاصّة، وينفق عليهم، بل إنه زوّج كثيراً منهم، وأمدّهم بأموال طائلة، كما في المصادر[2]، وقد تخرّج على يدي ابن أبي زيـد مئات الـطّلّاب من القيروان، وإفريقيّة، والمغرب، والأندلس[3]، حتّى قيل إنّه لم ينجب أحد من الأصحاب بعـد سَحنون مـا أنجب ابن أبي زيد. وقـال عياض: «إليـه كانت الـرّحلة من الأقطار، ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه»[4]، وقال الدَّبّـاغ: «ضربت إليـه الأكباد من سائر البلدان»[5]، وكان ابن أبي زيد يحدّثهم بمرويّاته، مثل: سيرة ابن هشام[6]، وتفسير غـريب الموطّـأ للأخفش[7]، وبمصنّفـاته التي زادت عن الثّلاثين كما سيأتي قريباً، منها: كتاب الاقتداء بأهل السُّنّة، وكتاب الجامع في السُّنن والآداب، وغيرها.

وإلى جانب التّدريس كان ابن أبي زيد مهتمّاً بالرّدّ على المبتدعة دفاعاً عن السُّنّة، فصنّف في ذلك عدّة كتب، منها: رسالة في الرّدّ على القدريّة، وكتاب

---

(١) انظر: سير أعلام ١٧/١٠، الديباج ١٣٦، المدارك ٣/٤٩٢.
(٢) انظر مثلاً: المعالم ٣/١١٣، ١١٤، ١١٥، سير أعلام ١٧/١١.
(٣) انظر: المعالم ٣/١٠٩، أعلام ابن عاشور ٤٧.
(٤) المدارك ٣/٤٩٢.
(٥) المعالم ٣/١١٠.
(٦) سير أعلام ١٧/١١.
(٧) فهرسة ابن خير ٩١.

الاستظهار في الرّد على البَكْرِيّة، وناقض رسالة البغدادي المعتزلي الذي أرسل إلى أهل القيروان يدعوهم إلى الاعتزال كما مرّ في التّمهيد[1] وكان أبو محمد مهتمّاً بالبلاد النّائية:

فقد كتب إلى أهل سِجِلْمَاسَة رسالة في تلاوة القرآن[2].

ولمّا بالغ بعض معاصريه في مسألة الكرامات، وجاءوا بأشياء منكرة من خوارق العادات، وأكلوا بذلك أموال النّاس بالباطل، لم يسع ابن أبي زيد السّكوت فألّف رسالة في الرّدّ عليهم، فشنّع عليه بعض المتصوّفة، وأشاعوا أنّه ينكر الكرامات غير أنّ ذلك لم يضرّه، فقد انتصر له كبار معاصريه كأبي بكر محمد بن الطّيّب الباقِلّاني (ت ٤٠٣)، حيث إنّ ابن أبي زيد كاتبه في ذلك، فأجابه، وفسّر للنّاس كلامه، وأبان لهم مقصده[3].

وإلى جانب ذلك فقد لخّص أبو محمد مذهب مالك[4]، ويسّره لطالبيه واحتجّ لكثير من مسائله، وخاصّة في كتابه النّوادر والزّيادات على المدوّنة الذي أضاف فيه مسائل وأحاديث إلى المدوّنة، وكتابه مختصر المدوّنة، و«على كتابيه هذين المعوّل بالمغرب»، كما قال عياض وغيره[5].

فاشتهر ابن أبي زيد بذلك حتّى سُمّي: «مالك الصّغير»[6] و«قطب المذهب»[7]، وحصل له بذلك رئاسة على أهل زمانه، وكان كسَحنون في وقته.

---

(١) انظر: مبحث المعتزلة في التمهيد.

(٢) انظر مثلاً: تراجم المؤلفين ٢/٤٤٤.

(٣) انظر: المدارك ٣/٤٩٥، الشجرة ١/٩٢.

(٤) انظر: الشجرة ١/٩٦، الديباج ١٣٦.

(٥) المدارك ٣/٤٩٤، المعالم ٣/١١١.

(٦)، (٧) انظر: طبقات الفقهاء ١٦٠، سير أعلام ١٧/١٠، الفكر السامي ٢/١١٥، المعالم ٣/١١٠، تبيين كذب المفتري ١٢٢.

وذاع صيته في الآفاق حتّى استجازه من لم يلقه من كبار معاصريه، مثل: أبي عبدالله محمد بن أحمد بن مُجاهِد البغدادي، وقد اطّلع القاضي عِياض على الرّسالة التي طلب فيها ابن مجاهد الإجازة من ابن أبي زيد، وممّا جاء فيها: «وما يتّصل بنا من فضل الشّيخ، أيّده الله، قد نشّطني إلى تعريف ما بنا من الحاجة إلى هذين الكتابين (المختصر والنّوادر)، وتطلّع من قِبَلي من الطّالبين لها... فإن رأى الشّيخ أيّده الله أن يتفضّل بإنفاذها بعد عرضها بحضرته، وإجازتها لي ولغيري من أصحابنا ممّن آثر ذلك وأحبّه»(١). فجاوبه أبو محمد بجواب حسن، وأجازه كتبه، له ولمن رغب ذلك، وأرسل إليه ما طلب مع تلميذين من تلاميذه، كما استجازه أيضاً بعض أهل الأندلس(٢).

وكانت مؤلّفات ابن أبي زيد واسعة الانتشار رويت بالأندلس(٣)، والعراق، وصِقِلِّيَّة، أمّا «الرّسالة» فقد ذكر صاحب المعالم أنّها بلغت العراق، واليَمن، والحِجاز، والشّام، ومصر، وبلاد النّوبة، وصِقِلّيّة، وجميع بلاد إفريقيّة، والأندلس، والمغرب، وبلاد السّودان(٤).

وبالجملة فقد بلغ أبو محمد من العلم شأواً عظيماً، وأعاد إلى السّنّة اعتبارها(٥)، بعد أن كانت أُميتت في عهد العُبَيديّين، وقد عاش ابن أبي زيد بعد خروج الرّافضة من إفريقيَّة ثلاثاً وعشرين سنة كلّها دأب ونشاط في نشر العلم، فأُنسي أهلُ إفريقيّة السّنوات الكالحة التي عانوها تحت نير الاستعمار الباطني، حتّى إنّ صاحب الفكر السّامي قد اعتبره المجدّد الذي بعثه الله لأهل إفريقيَّة وما جاورها(٦).

---

(١) المدارك ٣/٤٧٧.

(٢) انظر: المدارك ٣/٨١٨.

(٣) فهرسة ابن خير ٩١، ٢٤٥ - ٢٤٧، ٤٤٠.

(٤) المعالم ٣/١١١. وانظر: رياض أهل الجنة بآثار أهل السنة ٥٥، ٥٦.

(٥) انظر: المازري للنيفر ٩.

(٦) الفكر السامي ٢/١١٦.

وقد تتلمذ على ابن أبي زيد مئات من مختلف البُلدان، عثرت له منهم على قرابة الأربعين بعد النّظر والتّتبّع في المصادر، وسأذكر بعض من اشتهر منهم بالحديث، فمن القرويّين:

- إسحاق بن الوليد القرويّ، أبو يعقوب المحدّث ولد سنة ٣٥٤ هـ[١].

- أبو عبدالله محمد بن عبّاس الأنصاري (ت بعد ٤٢٦)، من كبار فقهاء إفريقيّة ومحدّثيها[٢].

- أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الأَجْدَابِيّ، مؤرّخ، محدّث، ثقة، ثبت (ت ٤٣٢)[٣].

- أبو محمد مكّي بن أبي طالب القرويّ (ت ٤٣٧) بالأندلس، وهو محدّث غلبت عليه علوم القرآن، كان يروي صحيح مسلم، وسنن أبي داود، وغيرهما[٤].

أمّا غير القرويّين، فمنهم:

- الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن فَتُّوح الحُمَيدِي، صاحب الجمع بين الصّحيحين (ولد قبل ٤٢٠)[٥].

- الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الفَرَضِيّ، صاحب تاريخ رواة العلم بالأندلس، والمؤتلف والمختلف، ومشتبه النّسبة، وغيرها، وهو من كبار المحدّثين[٦].

---

(١) الصلة ١/١١٣.
(٢) المدارك ٣/٧١٠، المعالم ٣/١٦٩.
(٣) المعالم ٣/١٧٠.
(٤) المعالم ١/١٧١، الصلة ٢/٥٩.
(٥) نفح الطيب ٢/٢٣٩.
(٦) البغية ٣٢١، الجذوة ٢٣٧، الصلة ١/٢٤٦.

ـ أحمد بن محمد بن عُبيدة الأُموي، وهو محدّث واسع الرّحلة كثير السّماع (ت ٤٠٠)[١].

ـ أبو الحسن علي بن محمد الطَّرَابُلْسي (ت ٤٣٢)[٢].

ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عابد المَعَافِرِيّ القُرْطُبي المحدّث (ت ٤٣٩)[٣].

ـ أبو عبدالله محمد بن يحيى التّميمي المعروف بابن الحذَّاء، محدّث فقيه أندلسيّ (ت ٤١٠ أو ٤١٦)[٣]، وغيرهم.

علمه بالحديث وتوثيقه، وثناء العلماء عليه بسعة العلم وكثرة الرّواية:

لقد كان ابن أبي زيد من كبار المحدّثين، وإن غلب عليه لقب الفقيه، وقد تقدّم ما يدلّ على ذلك في شيوخه وتلاميذه، وفيما يلي مزيد بيان على معرفة ابن أبي زيد بالحديث رواية ودراية:

ـ إن العلماء قد أثنوا عليه بمعرفة الحديث وعلومه، وكثرة الرّواية، قال الدَّبَّاغ: «كان متفنّناً في علوم كثيرة منها.. حديث رسول الله ﷺ تسليماً، ومعرفة رجاله، وأسانيده، وغريبه»[٤].

وقال أيضاً: «كان واسع العلم كثير الحفظ والرّواية»[٥]، وقال عياض وغيره: «كان كثير الحفظ والرّواية»[٦].

ـ له مؤلّفات في السّنّة، منها: كتابه «الجامع في السّنن والآداب»، وقد احتوى على ١٦٩ حديثاً، منها ٣٥ حديثاً في الصّحيحين و٤٢ في الموطّأ[٧]،

---

(١) الصلة ٢٧/١.

(٢) رحلة التجاني ٢٥٠، ٢٦٥، الشجرة ١١٠/١.

(٣) نفح الطيب ٢٣٩/٢.

(٤) المدارك ٧٣٣/٣.

(٥) (٦) المعالم ١١٠/٣، ١١٣.

(٦) المدارك ٤٩٢/٣.

(٧) انظر: فهارس كتاب الجامع ٣٠٩ ـ ٣١٧.

وكتاب الاقتداء بأهل السّنّة، وله كتاب دوّن فيه مرويّاته الحديثيّة يوجد بعضه في المتحف البريطاني[1].

كما كانت مصنّفاته الأخرى مشتملة على حديث كثير، وخاصّة كتاب النّوادر والزّيادات.

ـ كما كان يروي كثيراً من كتب السُّنّة، مثل: الموطّأ، وسيرة ابن هشام، وتفسير غريب الموطّأ وغيرها[2].

ـ لقد اشتمل باب العلم[3] من كتاب الجامع على مسائل متعلّقة بأصول الحديث، كمسألة التّحديث بخبرين مختلفين وأنّه لا يقع من الأئمة، والـرّواية بالمعنى، وزيادة الحرف ونحوه في الحديث، وهل يؤخذ الحديث عن الثّقة إذا لم يكن يحفظ حديثه، وصيغ التّعبير عن القراءة على العالم، ومـاذا يقول من حضر القراءة على المحدّث، والمناولة المقترنة بالإجازة، ونحو ذلك، كما أشار إلى أنّه طرق عدّة مواضيع مشابهة لهذه في مقدّمة كتابه مختصر المدوّنة.

ـ قال أبو محمد في الرّسالة المنسوبة إلى مالك في الأدب والمواعظ أنّه بعثها إلى الرّشيد: «إنّها لا تصحّ وإنّ طريقها لمالك ضعيف، وفيها أحاديث لا نعرفها»[4]، وهذا يدلّ على حفظه، وعلمه بالرّجال، ونقده للحديث.

ـ وكان ابن أبي زيد ممّن يقولون بالإجازة، ويتوسّعون فيها، وقد استجاز كثيراً من شيوخه، وأجاز عدداً من تلاميذه كما تقدّم، وهو يرى صحّة الإجـازة للمجهول إذا كان موجوداً ومعيّناً من حيث الجملة[5].

---

(١) مكتبة المتحف البريطاني جـ ٢، ٨٨٨، ٨.

(٢) انظر: سير أعلام ١١/١٧، فهرسة ابن خير ٩١.

(٣) الجامع ١٤٥.

(٤) المدارك ٢٠٦/١.

(٥) انظر: الإلماع ١٠٤.

أمّا من حيث التّوثيق:

فقد عُرف ذلك لابن أبي زيد بالشّهرة والاستفاضة، وتدعّم بأقوال النّقّاد والمصنّفين، الذين لهجوا بالثّناء عليه، وذكر فضائله وعلمه، قال الإمام القابِسِي العالم بالحديث والرّجال (ت ٤٠٣): «كان أبو محمد إماماً مؤيّداً، موثوقاً به في درايته وروايته»(١).

وقال المَيُورْقِيّ: «اجتمع فيه العلم، والورع، والفضل، والعقل، شهرته تغني عن ذكره»(٢). وقال الذّهبي في سير الأعلام: «الإمام العلاّمة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب،،، وكان أحد من برز في العلم والعمل»(٣)، وقال صاحب الشّجرة: «الفقيه، النّظّار، الحافظ، الحجّة، إمام المالكيّة في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ والرّواية»(٤).

مصنّفاته(٥):

كان أبو محمد بن أبي زيد غزير التّأليف، حسن التّصنيف، قال القاضي عِياض: «ملأت الدّنيا تآليفه، عارض كثير من النّاس أكثرها، فلم يبلغوا مداه، مع فضل السّبق وصعوبة المبتدأ»(٦)، وقد زادت مؤلّفاته على الثّلاثين، عُرف منها:

- النّوادر والزّيادات على ما في المدوّنة، في نحو مائة جزء، يوجد منه جزء كبير بمكتبة جامع القيروان(٧).

---

(١) المعالم ٣/١١٠.
(٢) المدارك ٣/٤٩٣.
(٣) سير أعلام ١٧/١٠.
(٤) الشجرة ١/٩٦.
(٥) انظر: مصنفاته في مصادره، وخاصة، المعالم، المدارك، دائرة المعارف، الديباج، تراجم المؤلفين، معجم المؤلفين، تاريخ التراث العربي.
(٦) المدارك ٣/٤٩٣.
(٧) سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ٣٦٦.

ـ مختصر المدوّنة، يوجد بمكتبة جامع القيروان[1]، **وعلى هذين الكتابين** المعوّل بالمغرب في التّفقّه.

ـ كتاب السّنن، أو الجامع في السّنن والآداب والمغازي والتّاريخ، **مطبوع** سنة **١٤٠٢ هـ**، وسيأتي الكلام عنه مفصّلاً في فصل المصنّفات في الباب الثّالث.

ـ مجموعة أحاديث توجد بالمتحف البريطاني جـ **٢/٨٨٨**، ٨[2].

ـ الرّسالة، وهو كتاب مشهور، اهتمّ به الفقهاء فشرحه عشرات العلماء، ونظمه **بعضهم** شعراً[3].

ـ البيان عن إعجاز القرآن ـ التّنبيه على القول في أولاد المرتدّين ـ الثّقة بالله والتّوكّل عليه ـ الاقتداء بأهل السّنّة ـ الذّبّ عن مذهب مالك ـ المضمون من الرّزق ـ الحُبُس على أولاد الأعيان ـ تفسير أوقات الصّلاة ـ تهذيب العُتْبِيّة[4] ـ الاستظهار في الرّدّ على البَكْرِيّة[5] ـ كشف التّلبيس، كسابقه، ـ رد السائل ـ إعطاء القرابة من الزّكاة، ـ رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن ـ الرّدّ على القدريّة ـ أصول التّوحيد ـ طلب العلم ـ كتاب المناسك ـ فضل قيام رمضان ـ رسالة فيمن تأخذه عند قراءة القرآن والذكر حركة ـ حماية عرض المؤمن ـ

---

(١) سجل قديم **٣٦٦**.

(٢) قمت بالإجراءات اللاّزمة للحصول عليها إلا أنها لم تصلني حتى الآن.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي **١/٣/١٦٨**.

(٤) وهي لمحمد بن أحمد العتبي القرطبي (ت **٢٥٤**) وتسمى أيضاً المستخرجة وهذبها ابن أبي زيد ورتبها على الأبواب ويسمى تهذيبها أيضاً: تبويب المستخرجة، وقد وهم من ظنهما كتابين.

(٥) نسبة إلى أبي القاسم عبدالرحمن بن محمد البَكري الصقلي نزيل القيروان، الذي بالغ في مسألة الكرامات فرد عليه ابن أبي زيد، ويرد اسم الكتاب محرفاً إلى الفكرية في معظم المصادر.

الموعظة والنّصيحة ـ الموعظة الحسنة لأهل الصدق ـ النّهي عن الجدل ـ كتاب الوسواس ـ مناقضة رسالة علي بن أحمد البغدادي المعتزلي نزيل مصر ـ قصيدة في البعث ـ قصيدة في مدح المصطفى ﷺ، توجد في المتحف البريطاني رقم ٦١٧، ١١ ـ الرّدّ على ابن مسرّة المارق (ت ٣١٩) ـ ولابن أبي زيد أيضاً مختصر لشرح أبي بكر بن الجهم على مختصر عبدالله بن عبدالحكم في الفقه. .[١].

وفـاتـه:

توفّي رحمه الله تعالى سنة ٣٨٦ هـ، ورثاه كثير من شعراء القيروان[٢].

٢٠ ـ عبدالله بن علي الإفريقيّ[٣]، أبو أيوب، نزيل الكوفة:

يبدو أنّه غادر القيروان صغيراً؛ إذ لم أعثر له على شيوخ من أهلها، ونفس المترجمين له من المشارقة ينسبونه إلى إفريقيّة كما هو واضح في مصادره، وهو من أتباع التّابعين، سكن الكوفة، وقد ذكره الحاكم ضمن من يجمع حديثه من أهل الكوفة[٤].

روى[٥] عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِيّ (ت ١٢٤)، وهو من أئمّة التّابعين، ثقة كثير الحديث، وأبي إسحاق عمرو بن عبدالله السَّبِيعِيّ (ت ١٢٩ أو قبلها) وهو ثقة عابد كثير الحديث اختلط في آخر عمره[٦]، وصفوان بـن سُلَيم

(١) وقد وهم من نسب له كتاب أحكام المعلمين والمتعلمين كابن خلدون ومن تابعه من المعاصرين، انظر: مقدمة آداب المعلمين ح.ح عبدالوهاب ٣٠، مقدمة الجامع ٤٨.

(٢) انظر: بعض هذه المراثي في المدارك ٤٩٦/١، ٤٩٧، المعالم ١١٨/٣.

(٣) تاريخ الإسلام ٨٩/٦، التقريب ٤٣٤/١، الكاشف ٩٩/٢، الجرح والتعديل ١١٥/٥، كنى الدولابي ١٠٣/١، التهذيب ٣٢٥/٥، تهذيب الكمال ٧١٣/٢، الخلاصة ٢٠٧، معرفة علوم الحديث ٢٤٧، ثقات ابن حبان ٢١/٧، الكواكب النيرات ٢٦٢، الميزان ٤٦٣/٢.

(٤) معرفة علوم الحديث ٢٤٧.

(٥) انظر: شيوخه في المصادر أعلاه وخاصة تهذيب الكمال.

(٦) التقريب ٧٣/٢.

المدنيّ (ت ١٣٢) وهو ثقة عابد رمي بالقدر، وقد أخرج له الجماعة[١] وزيد بن أسلم العدويّ (ت ١٣٦)، عالم ثقة[٢]، ومحمد بن المُنْكَدِر المدنيّ، ثقة فاضل (ت ١٣٠ أو بعدها)[٣]، وعاصم بن بَهْدَلَة أجلّ مقرئي الكوفة (ت ١٢٨)[٤].

ولا شكّ أنّه بتتلمذه على هؤلاء الثّقات المكثرين قد روى حديثاً كثيراً، فليس بغريب أن يكون ممّن يجمع حديثه كما ذكر الحاكم.

وقد تتلمذ على أبي أيّوب جماعة كثيرة منهم[٥]: موسى بن عُقبة بن أبي عّياش الأسدي، وهو ثقة مكثر إمام في المغازي[٦]، ويحيى بن زكريّاء بن أبي زائدة، الثّقة الثّبت عالم الكوفة بعد الثّوري (ت ١٨٣)[٧]، وعبدالرحمن بن سليمان الكِنانيّ، أو الطّائي المَرْوَزِيّ نزيل الكوفة، ثقة له تصانيف (ت ١٨٧)[٨]، ومروان بن معاوية الفَزَارِيّ الثّقة الحافظ (ت ١٩٣)[٩]، وأبو فَرْوَة يزيد بن سِنان التّميمي (ت ١٥٥)، وقد ضُعِّف[١٠] وغيرهم.

- منزلته من حيث الجرح والتّعديل[١١]:

قال أبو زُرعة: ليس بالمتين، في حديثه إنكار، هو ليّن[١٢]، ونقل قوله الذّهبي في الميزان والتاريخ والكاشف، وابن أبي حاتم في الجرح والتّعديل، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطىء.

---

(١) التقريب ١/٣٦٨.
(٢) الكاشف ١/٢٦٣.
(٣) التقريب ٢/٢١٠.
(٤) ثقات العجلي ٢٣٩، الكاشف ٢/٤٤.
(٥) انظر: تلاميذه في المصادر المثبتة أول الترجمة.
(٦) التهذيب ١٠/٣٦٠، التقريب ٢/٢٨٦.
(٧) الكاشف ٣/٢٢٤.
(٨) التقريب١/٥٠٤.
(٩) الكاشف ٣/١١٧.
(١٠) التقريب ٢/٣٦٦، الكاشف ٣/٢٤٤.
(١١) انظر: هذه الأقوال في المصادر المثبتة في صدر الترجمة.
(١٢) الكواكب النيرات ٢٦٢.

وقيل ليحيى بن معين هو ثقة؟، قال: نعم، ليس به بأس، ونقل قوله الدّولابي في الكنى وابن حجر في التهذيب، وذكره ابن حبّان في الثّقات. وتابعه الخزرجيّ في الخلاصة.

والخلاصة في حاله أنه صدوق في حديثه بعض المناكير الدالة على خفة ضبطه. وقد أخرج له التّرمذي وابن ماجه والطّبراني في الصغير. وغيرهم.

٢١ ـ عبدالله بن عمر بن غانم الرُّعَيْنِيّ(١)، أبو عبدالرحمٰن، قاضي القيروان (١٢٨ ـ ١٩٠)، وتمييزه عمّن اشتبه به:

فقيه محدث قاض، مشهور بالعلم والورع والصّلاح والتّواضع وكان من كبار رجال إفريقيّة.

وقبل الشّرع في ذكر عناصر ترجمة ابن غانم أرى أنّه لا بد من تحقيق مسألة أخطأ فيها كثير من المصنّفين قديماً وحديثاً، وهي الخلط بين صاحب التّرجمة وبين عبدالله بن عمر النُّمَيْرِيّ، فإنّ كلا الرّجلين من الطّبقة التّاسعة، ويشتركان في الاسم واسم الأب، وبسبب ذلك دخل الوهم فيهما على كثير من المصنّفين.

---

(١) أبو العرب ٤٣، الرياض ١/٢١٥، المعالم ١/٢٨٨، المدارك ١/٣١٦، الشجرة ١/٦٢، ألف سنة من الوفيات ٣٦، تنزيه الشريعة ١/٣٢٥، المرقبة العليا ٢٥، تاريخ قضاة القيروان خط ٨، الأنساب ١/٣٢٤، مقدمة موطأ مالك برواية ابن زياد ٣٨، ط الخشني ٢٣٥، المغرب العربي ٦٨، المجروحين ٢٠/٣٩، التقريب ١/٤٣٥، التهذيب ٥/٣٣١، الجرح ٥/١١٠، تاريخ إفريقية والمغرب ٢٢٦، ٢٣٢، طبقات الفقهاء ١٥١، الكاشف ٢/١٠٠، الميزان ٢/٤٦٤، الخلاصة ٢٧، تهذيب الكمال ٢/٧١٥، تراجم المؤلفين ٥/٤٤٨، الأعلام ٤/٢٤٧، الحلل ١/٣/٧٣١، وفيات ابن قنفذ ١٤٤، وانظر عن النّميري: الجمع بين رجال الصحيحين ١/٢٦٦، التاريخ الكبير ٥/١٤٥، الانتقاء ٦٠، تهذيب الكمال ٢/٧١٥، التهذيب ٥/٣٣٤، التقريب ١/٤٣٥.

ومنشأ الوهم من ابن مندة حيث اعتبر أنّ عبدالله بن عمر النُّمَيْـرِيّ الذي ذكره البُخاري في التّاريخ الكبير وأخرج له في الصّحيح هو ابن غانم الإفريقيّ، وتبعه في ذلك القَيْسَرَانِيّ في الجمع بين رجال الصحيحين[1]، والقـاضي عياض في ترتيب المدارك[2]، وغيرهما. واغترّ بذلك بعض المعاصرين فخلطوا بينهما.

وقال ابن حجر في ترجمة النُّمَيْرِيّ في التّهذيب: «خلط صاحب الكمال ترجمته بترجمة عبدالله بن عمر بن غانم...» ثم قال: «تبع عبدالغني في ذلك أبا نصر الكَلاَبَاذِيّ، وأبا إسحٰق الحَبّال، وكذا زعم أبو الوليد الباحي في كتاب رجال البخاري، وغيرهم»، قلت: نعم، إن الكَلاَبَاذِيّ قد نقل في ترجمة النُّمَيْرِيّ عن ابن منده أنّ النّميري هو الإفريقي[3]، أما أبو الوليد الباجي فلم يذكر ذلك في كتاب التّعديل والتّجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصّحيح[4]، حسب النّسخة اليتيمة التي حققها الدكتور أبو لبابة حسين.

وقال ابن حجر في التّهذيب أيضاً: «وقد فرّق بينهما أبو حاتم، وغير واحد، ولم يذكر البخاري في التّاريخ النُّمَيْرِيّ... والصّـواب التفرقـة بينهما»، قلت: والفرق بينهما واضح فهما وإن اشتركا في الاسم واسم الأب والطبقة إلا أنهما لم يشتركا في أي شيخ ولا تلميذ، كما أنه لا يوجد في الرّواة عن مالك من اسمه عبدالله بن عمر النُّمَيْرِيّ فيما وقفت عليه من المصادر، كما أنّ نسبة النُّمَيْرِيّ لم ترد لابن غانم في كتب الأفارقة ثم إن النُّمَيْرِيّ قد أخرج له أصحاب الكتب الستة بينما لم يخرج لابن غانم غير أبي داود في سننه.

---

(١) الجمع بين رجال الصحيحين ٢٦٦/١. (٢) المدارك ٣١٦/١.

(٣) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقـة والسداد الـذين خرج لهم البخـاري في جامعـه ٤١٨/١.

(٤) التعديل والتجريح ٨٤٢/٢.

طلبه وشيوخه ورحلته وتحقيق القول في ذلك:

سمع ابن غانم من كبار محدّثي إفريقيّة في عصره، فقد روى عن ابن أَنْعُم الكتابين اللّذين دوّن فيهما سماعه وبلغت أحاديثهما خمسمائة حديث[1].

وسمع من خالد بن أبي عمران المحدّث التونُسي (ت ١٢٥ أو ١٢٩)، وهو ثقة احتجّ به مسلم والثلاثة، وعنده حديث كثير[2].

كما لقي ابن غانم عليَّ بن زياد (ت ١٨٣) والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣) وغيرهما من محدّثي إفريقيّة وفقهائها في هذه الطّبقة.

ثم ارتحل إلى المشرق، فدخل مصر والحجاز والشّام والعراق في طلب العلم[3]،* وسمع من جلّة الرّواة.

فقد أخذ الموطأ عن الإمام مالك[4]، وسمع منه أحاديث أخرى دوّنها ورويت عنه[5]، وكان الإمام به حفيّاً، يجلسه جنبه في حَلْقة الدّرس، ويبالغ في إكرامه حتّى إنّه عرض عليه أن يزوّجه ابنته ويقيم في المدينة فأبى ابن غانم إلا أن يسافر بها كما ورد في الرّياض والمعالم وغيرهما[6]. وكانت بينهما مكاتبات بعد أن عاد ابن غانم إلى إفريقيّة وتولّى قضاءها[7].

كما سمع ابن غانم حديثاً كثيراً من سفيان الثّوري بمكّة، وكان ابن غانم هو قارىء الحلقة، قرأ على الثّوري شهوراً كثيرة فلم يأخذ عليه لَحْنَةً واحدة كما

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٣٠، ٣٢.

(٢) انظر: الرياض ١/٢١٥، المعالم ١/٢٨٨.

(٣) انظر: المعالم ١/٢٨٨، الرياض ١/٢١٥، المدارك ١/٣١٧.

(٤) انظر: المدارك ١/٣١٧، الحلل ١/٣/٧٣١، وراجع مبحث رواة الموطأ من الأفارقة في هذه الرسالة.

(٥) انظر الحلل ١/٣/٧٣١، الأعلام ٤/٢٤٧.

(٦) انظر: الرياض ١/٢١٧، المعالم ١/٣٠٤.

(٧) انظر: الرياض ١/٢٢٠.

في الرّياض وغيره[1]، ولا شكّ أنّ حصيلة هذه الشّهور الكثيرة كانت سماع «جامع سفيان الثّوري».

وسمع أيضاً من داود بن قيس المدنّي، وهو ثقة فاضل من العُبّاد[2]، وأخذ عن إسرائيل بن يونس السَّبِيعِيّ (ت ١٦٢)، وهو ثقة، كثير الحديث، من الحفّاظ[3].

وسمع من عثمان بن الضّحّاك المدني، وهو من كبار أصحاب مالك، كان عالماً بأيّام العرب وأشعارهم[4].

ولقي بالعراق أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة، وأخذ عنه بعض كتب الأحناف[5]، وسيأتي أثر ذلك في نشاطه العلمي.

وقد ذكروا أنّه سمع بالشّام أيضاً، ولم أعثر له على شيوخ من أهلها.

وسمع بمصر من عبدالله بن لَهِيعة (ت ١٧٤)، وهو محدّث صدوق كثير الرّواية، ضعيف في حفظه[6].

وهناك ملاحظة تتعلق برحلة ابن غانم إلى المشرق ينبغي التّنبيه عليها:

فقد ورد في المصادر ما يدلّ على أنّ ابن غانم قد رافق عبدالله بن فرّوخ في رحلته إلى المشرق[7]، وقد وقعت رحلة ابن فرّوخ قبل سنة ١٤٥ هـ[8].

---

(١) انظر: الرياض ١/٢١٦، ٢١٧، المدارك ١/٣١٧، المعالم ١/٣٠٤.
(٢) الكاشف ١/٢٢٤، التقريب ١/٢٣٤، الأنساب ١/٣٢٧.
(٣) الكاشف ١/٦٧، التقريب ١/٦٤، الأنساب ١/٣٢٧.
(٤) المدارك ١/٢٩٣، التقريب ٢/١٠، الكاشف ٢/٢١٩.
(٥) انظر: المدارك ١/٣١٧.
(٦) التقريب ١/٤٤٤، الكاشف ٢/١٠٩.
(٧) انظر: الرياض ١/٢١٦، المدارك ١/٣١٧، المعالم ١/٣٠٤.
(٨) انظر: ترجمة عبدالله بن فروخ رقم ٣ في المهاجرين.

فإذا صحّ هذا صار لابن غانم رحلتان؛ إذ قد ثبت سماعه للموطّأ من الإمام مالك[1]، ولم يكن الإمام قد وضع الموطّأ في هذا التّاريخ، إنما كان انتهاؤه منه حوالي سنة ١٥٧ هـ في آخر حياة أبي جعفر المنصور[2].

وهناك احتمال آخر وهو أن يكون ابن غانم قد أطال المقام في المشرق إلى أن سمع الموطّأ، وليس هناك ما يمكننا من ترجيح أحد الاحتمالين ترجيحاً بيّناً، وإن كان الاحتمال الثاني يتلاءم مع كثرة شيوخ ابن غانم ودخوله العديد من حواضر المشرق العلميّة.

ـ أثره وتلاميذه:

عاد ابن غانم إلى القيروان بعلم جمّ، وجلس في جامع عُقبة يسمع مرويّاته فأقبل عليه الطّلاب، كان يُسمعهم الموطّأ وغيره من حديثه فقد ذكر سحنون أنّه كان يُسمعهم الموطّأ، فقال بعض الطّلبة: «يا أبا عبدالرحمٰن، أيعجبك هذا من قول مالك؟» فقام ابن غانم وألقى الكتاب من يده وقال: «أوَ ليس وصمة عليّ في ديني وعقلي أن أردّ على مالك قولة قالها؟، والله لقد أدركت العُبّاد الذين يتورّعون عن الذّرّ فما فوقه، سفيان ودون سفيان، فما رأيت بعيني أورع من مالك»[3].

وكان ابن غانم قد خصّص للطّلبة يوماً في الأسبوع يقرأ عليهم فيه كتاب أبي حنيفة[4]، كما حدّثهم بما دوّنه عن مالك غير الموطّأ[5]، وغير ذلك من سماعاته.

وقد تولّى ابن غانم القضاء سنة ١٧١ هـ وبقي فيه إلى أن توفّي، وحكم بالحقّ والعدل، ولم تصرفه مشاغل القضاء عن نشر العلم، فاستمرّ في الجلوس

---

(١) انظر: الرياض ٢١٧/١، المدارك ٣١٧/١، مقدمة موطأ ابن زياد ٨٠، ٨٣، نقلاً عن فهرست ابن طولون.

(٢) انظر: المدارك ١٩٢/١، البيان المغرب ٧٩/١.

(٣) الرياض ٢١٧/١، المعالم ٣٠٥/١. (٤) الحلل ٧٣١/٣/١.

(٥) انظر: الأعلام ٢٤٧/٤.

لطلّابه، وكان في مدّة قضائه يكاتب مالكاً يسأله عن بعض الأحكام، كما كان يكاتب أبا يوسف القاضي، وهارون الرّشيد الخليفة[1].

وقد سمع من عبدالله بن غانم جماعة كثيرة عرفنا منهم[2]:

الإمام سحنون بن سعيد، وداود بن يحيى الصّوفي المحدّث، وحاتِم بن عثمان المَعافِريّ، وأخوة سعيد بن عمر بن غانم، وعثمان بن محمد بن خُشيش، وهو وضّاع، فيما ثبت لديّ، ولم ترد له ترجمة، وقد تقدّم ذكره في الوضّاعين، ومن قبله جاءت المصائب لابن غانم، وأخذ عنه أحمد بن يحيى بن مِهْرَان.

كما حدّث عنه من أهل المشرق عبدالله بن مَسْلَمَة القَعْنَبِيّ (ت ٢٢١)، وهو محدّث ثقة عابد[3]، وعبدالرحمٰن بن قاسم العُتَقِيّ، فقيه مصر (ت ١٩١)[4].

ـ منزلته من حيث الجرح والتّعديل[5]:

اختلف النّقاد في ابن غانم بين موثّق ومجرّح، فوثّقه أهل بلده وأكثر النُّقّاد، وضعّفه بعضهم بسبب المناكير التي رويت عنه، والآفة فيها ممّن هو دونه، كما سيأتي، واعتذر له بذلك بعض النُّقّاد، وإليك تفصيل ذلك:

ـ أقــوال الموثقيــن:

قال أبو العرب: كان ثقة ثبتاً نبيلاً.

وقال ابن يونس: كان أحد الثّقات الأثبات.

وقال المالكي: «كان فضله وعلمه وورعه أشهر من أن يذكر، وهـو أحد الثّقات الأثبات».

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٢٠، ٢٢٥، تاريخ الرقيق القيرواني ٢٢٩.
(٢) انظر: تلاميذه في المصادر المثبتة أول الترجمة.
(٣) التقريب ١/٤٥١، الجرح والتعديل ٥/١١٠.
(٤) الكاشف ٢/١٦٠.
(٥) انظر: أقوال التعديل والتجريح الآتي ذكرها في المصادر المثبتة في أول الترجمة.

وقال أبو داود: «أحاديثه مستقيمة».

وقال الذّهبيّ في الكاشف: «مستقيم الحديث».

وذكره ابن خَلْفُون في الثّقات.

وقال الزّركلّي: «كان من الثّقات».

وقال السّمعانيّ: «أحد الثّقات الأثبات».

ووسمه ابن حَجَر في التّهذيب بأنّه كان «جليل القدر ثقة لا ريب فيه».

ـ أقـوال المجرّحيـن:

ذكره ابن حبّان في كتاب المجروحين في ترجمة ابن غانم حديثين منكرين يرويهما عنه عثمان بن محمد بن خُشَيْش، وقال فيه: «يروي عن مالك ما لم يحدّث به مالك قط، لا يحلّ ذكر حديثه ولا الرّواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار».

وذكر قريباً من ذلك صاحب تنزيه الشّريعة.

وعقّب ابن حجر على هذا الكلام بقوله: «وأفرط ابن حبّان في تضعيفه»، وقال: «ولعلّ البلاء في الأحاديث التي أنكرها ممّن هو دونه».

وقال الذّهبيّ في الميزان: «لعلّ الآفة من عثمان صاحبه»، وقال مثله الزين العراقي في تخريج الإحياء، حسب ما ذكره ابن عراق الكناني (ت ٩٦٣)[١]، قلت: وهو كما قالوا، فإنّ عثمان بن خُشَيش وضّاع كما تقدّم عند الكلام على الوضع ومدى معالجته من قبل علماء القيروان[٢]، وأشار إلى ذلك أيضاً الشّيخ المعلمي في تحقيقه لكتاب الأنساب.

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢٠٨/١، ولم أجد للعراقي غير تخريج الحديث. انظر: المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء ٨٣/١، ولعلّ ما نقله عنه يكون من تخريجه الكبير لأحاديث الإحياء.

(٢) انظر: ٣٨١ من هذا البحث.

ـ وقال أبو حاتِم: مجهول، وعلّق عياض على ذلك بقوله: لم يعرفه لبعد قطره، قلت: ولا تضرّه جهالة أبي حاتم به طالما عرفه غيره من النُّقّاد، وقد بلغت شهرته الآفاق.

ـ قال ابن حارث: «كان علي بن زياد سيّء القول فيه، ويغمزه في كتبه»، وابن زياد هذا من قرناء ابن غانم فلا يعتّد بطعنه عليه، خاصة وأنّه غير مفسّر، ولعلّ ذلك تعلّق بتولّي ابن غانم للقضاء، أو بروايته عن ابن لَهِيعة حديثاً باطلاً في فضائل إفريقيّة، وإلى هذا التّعليل الأخير ذهب الشّيخ محمد الشّاذلي النّيفر[1].

خلاصة النّظر في حال ابن غانم:

إنّ ابن غانم ثقة كما ورد عن أهل بلده وغيرهم من أهل المشرق كما قدّمته، ولا يعتدّ بمن جهله، ولا بمن تشدّد بنسبته إلى الجرح، وقد أكّد ذلك ابن حجر في التّهذيب كما تقدّم، أمّا الأحاديث المنكرة التي رويت عنه فالآفة فيها من الرّاوي عنه: عثمان بن محمد بن خُشيش كما ذكر ذلك غير واحد من الأئمّة.

وقد أخرج له أبو داود في سننه وسحنون في المدوّنة ومحمد بن عبدوس (ت ٢٦٠) في المجموعة.

ـ مصنّفاته:

جمع ما سمعه من الإمام مالك في كتاب سمّي «ديوان ابن غانم» ورواه عنه أهل القيروان، كما مرّ.

---

(١) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٣٨.

٢٢ ـ عبدالله بن أبي هاشم بن مسرور التُّجيبي[١]، أبو محمد، يعرف بابن الحجّام (٢٧٣ ـ ٣٤٦):

محدّث كثير الرّواية، وفقيه صالح، غزير التّصانيف كثير الجمع للكتب، وكان من العُبّاد.

ـ طلبه وشيوخه ورحلته:

كان ابن أبي هاشم حريصاً على الطّلب، مكثراً من الشّيوخ سمع من كبار محدّثي إفريقيّة وفقهائها في وقته، فقد أخذ بالقيروان عن محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، المحدّث الفقيه صاحب المسند الكبير[٢]، وسمع من عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، وهو محدّث كثير الرّواية، أدخل إلى القيروان مسند محمد بن سنجر، وقد سمع منه ابن مسرور جامع عبدالله بن وهب والموطّأ وأكثر من الرّواية عنه[٣].

وروى عن سعيد بن إسحاق (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥)، وهو محدّث عالم بالأخبار والرّجال والمغازي، مكثر من الرّواية[٤]، وأخذ التّاريخ وعلم الرّجال عن فُرات بن محمد العَبْدِيّ (ت ٢٩٢)[٥]، وأخذ الفقه عن حَمْدِيس القطّان (ت ٢٨٩)[٦]، وأبي عيّاش أحمد بن موسى الغَافِقِيّ (ت ٢٩٥)[٧]، ومحمد بن بِسطام الضّبّيّ (ت ٣١٣)[٨]، وسمع الحديث وغيره من يوسف بن يحيى المَغَامِيّ

---

(١) طبقات الخشني ١٧٦، الرياض ٤٢٢/٢، المدارك ٣٤٠/٣، الديباج ١٣٥، تراجم المؤلفين ٩٤/٢، المكتبة الأثرية ٣٤، الشجرة ٨٥/١، معجم المؤلفين ١٥٦/٦.

(٢) انظر: الشجرة ٨٥/١، وستأتي ترجمته رقم ٣٢.

(٣) انظر: المعالم ٥٧/٣، المكتبة الأثرية ٣٤.

(٤) انظر: الديباج ١٣٥، وتقدمت ترجمته رقم ١٤.

(٥) انظر: الشجرة ٨٥/١.

(٦)، (٧) انظر: الديباج ١٣٥، المعالم ٧٥/٣.

(٨) انظر: الديباج ١٣٥، المعالم ٧٥/٣.

(ت ٢٨٨) الأندلسي نزيل القيروان، وكان من كبار علماء عصره[١]، كما حدّثه أحمد بن أبي سليمان الصّوّاف (ت ٢٩١)[٢]، وسمع من جماعة كثيرة غير هؤلاء.

ثمّ رحل إلى المشرق في طلب العلم فسمع بمصر والحرمين وجدّة وغيرها[٣]، ولقي كبار أهل المشرق منهم: أبو سعيد أحمد بن الأعرابيّ (ت ٣٤٠)، وهو إمام ثقة، كثير الحديث من الحُفّاظ[٤]، ومحمد بن إبراهيم الدَّيْبُلِيّ، أحد رواة الحديث بمكة[٥] وإبراهيم بن حُمَيد[٦] ومحمد بن الحسين الطُّوسِيّ[٧] وعبدالله بن حَمُّويَة[٨] وعلي بن عبدالله بن أبي مَطَر (ت ٣٣٩)[٩] والحضرميّ[١٠] وغيرهم.

وقد حصل لأبي محمد بلقيّ هؤلاء الشّيوخ علم غزير ورواية كثيرة، فقد جاء في المدارك وغيره أنه «غلب عليه الجمع والرّواية»[١١] وقال الخشَنِيّ «يغلب عليه الجمع والتّقييد»[١٢].

أثره العلمي وتلاميذه وبعض آرائه في علوم الحديث:

لقد بدأ أبو محمد مرحلة العطاء قبل أن يعود إلى القيروان، فقد ذكرت المصادر أنّه أسمع أهل مصر والإِسْكَنْدَرِيّة وطَرَابُلُس[١٣]، ولمّا وصل القيروان فتح باب داره للطّلاّب، ولم يكن له من عمل إلاّ الرّواية والتّصنيف، وقد حدّث بمصر، وانتفع به كثير من أهل إفريقية والأندلس، وكان يحدّث بالموطّأ[١٤] وبجامع

---

(١) انظر: الديباج ٣٥٦.
(٢) المعالم ٣/٥٧.
(٣) انظر: المدارك ٣/٣٤١، الحديث بإفريقيّة من القرن السادس إلى القرن الثامن ١/١٨.
(٤) اللسان ١/٣٠٨، الشجرة ١/٨٥.
(٥) الإكمال ٣/٣٥٤، الديباج ١٣٥.
(٦)، (٧)، (٨) المدارك ٣/٣٤١.
(٩) المدارك ٥/٣٣١.
(١٠) الشجرة ١/٨٠، المدارك ٣/٢٩٩، ترجمة ابنه، اللسان ٤/٢٣٧.
(١١) المدارك ١/٣٤١.
(١٢) ط الخشني ١٧٦.
(١٣) انظر مثلاً: المعالم ٣/٥٧.
(١٤) انظر: الملخص للقابسي خط لوحة ٣.

ابن وهب، ولا زال جزء من نسخته بمكتبة القيروان[1]، كما كان يسمع الطّلبة بقيّة مرويّاته، ومصنّفاته الكثيرة، قال ابن حارث في طبقاته: «يغلب عليه الجمع والتّقييد وإسماع ما روى من الكتب... وهو اليوم يقرأ عليه كتبه»[2]، وقال المالكي: «سمع منه جماعة وانتفع به خلق كثير»[3]، وكان شديد الهيبة، لا يكاد أحد ينطق في مجلسه بغير الصّواب، وكان مجلسه حفيلاً بالطّلبة. ومن عادته أن ينتظر بعض أصحابه النّابهين ليبدأ الإسماع أو القراءة، فضجر من ذلك بعض الطّلاّب، ولم يستطع أن يكلّمه فيه بمشارة فقال له: «أصلحك الله حضرني بيت من الشّعر تسمعه إن شئت، فقال: نعم أنشده، فقال:

مَثَل جرى في النّاس ليس بقاصر جوع الجماعة في انتظار الواحد

فأمر أبو محمد القريء أن يبدأ»[4].

وكان لابن أبي هاشم هذا رأي خاص يتعلّق بالرّواية والإجازة؛ إذ إنّه يرى صحّة الرّجوع في الرّواية والإجازة إذا بدر من الطّالب ما يخلّ بحمل العلم، فقد اطّلع على ما يجرح في بعض أصحابه فكتب محضراً جاء فيه: «يشهد من يتسمّى في هذا الكتاب أنّ عبدالله بن مسرور أشهدهم أنّ فلاناً وفلاناً كانوا يأخذون عنّي شيئاً من العلم، وسألوني أن أُجيز لهم كتبي ففعلت، فاشهدوا عليّ أني رجعت فيما رووا عنّي وعن إجازتي لهم كتبي لما ظهر فيهم من سوء حالهم»[5]. وعلّق القاضي عياض على ذلك بقوله: «ومثل هذا لا يضرّ الرّواية، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من أصحابه، ولعلّه لم يخف عليهم أنّ الرّجوع فيها لا يصحّ، ولكنه كالرّدع والتّجريح لهم بمثال هذا».

وقد سمع منه خلق كثير من أهل مصر وطرابُلُس وإفريقيّة، والأندلس كما تقدّم، اشتهر منهم[6]: الإمام أبو الحسن علي بن القابِسي (ت ٤٠٣)، كبير

(١) انظر: المكتبة الأثرية ٣٤.
(٢) ط الخشني ١٧٦.
(٣) الرياض ٢/٤٢٢.
(٤) انظر: المعالم ٣/٥٨.
(٥) المدارك ٣/٣٤٣، المعالم ٣/٥٨.
(٦) انظر: تلاميذه في المصادر المثبتة في صدر ترجمته.

محدّثي القيروان، وأبو محمد بن أبي زيد (ت ٣٨٦) المحدّث الفقيه المتفنّن في مختلف العلـوم، ومحمد بن إدريس[١]، وأبو عبدالله بن عمر الصَّدَفِيّ[٢]، وهما من أهل الأندلس، وكان له أبعد الأثر في نشر السُّنّة فقد بلغت مرويّاته ومصنّفاته سبعة قناطير من الكتب، كما اعتبر «عمدة الغرب الإسلاميّ ومصر والإسكندرية في الرّواية»[٣].

ـ مصنّفـاتـه:

لقد وصفت المصادر أبا محمد بأنّه كثير التّصنيف في أنواع العلوم، كثير الكتب، حسن التّقييد، صحيح الكتاب، اقتنى كتباً كثيرة، يغلب عليه الجمـع والتقييد، وقد نُقل عن تلميذه المحدّث أبي الحسن القابِسيّ أنّه قال: «ترك أبو محمد هذا سبعة قناطير كتب كلّها بخط يده إلا كتابين، فلما توفّي رفع جميعها إلى سلطان الوقت ومنع النّاس منها»[٤].

وقيل لم يسلم منها إلا الثّلث، كان أبو محمد أرسله إلى ابن أبي زيد قُبيل وفاته، وكان هذا دأب العبيديّين مع علماء أهل السّنّة، فإذا توفّي عالم أخذوا كتبه إذا تمكّنوا منها، وهكذا ضاعت هذه القناطير السّبعة من الكتب بسبب الحقـد الباطنيّ، وضاعت أسماؤها أيضـاً فلم يصلنا إلا اسم كتـاب واحد هـو: كتاب المواقيت ومعرفة النّجوم والأزمان، كما احتفظت لنا مكتبـة القيروان بجـزء من النّسخة التي يرويها أبو محمد من جامـع ابن وهب[٥]. غير أنّـه لم يتسنّ لي الاطّلاع عليها رغم ما بذلته من جهد في سبيل ذلك.

---

(١) الديباج ١٣٦. (٢) بغية الملتمس ١٠٢.

(٣) الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن نقلاً ١/١٨، عن مقال عناية أهل المغرب بصحيح مسلم ١٥.

(٤) انظر مثلاً: المدارك ٣/٣٤١، الرياض ٢/٤٢٣.

(٥) المكتبة الأثرية ٣٤.

٢٣ - عُبيد الله بن زَحْر الضَّمْـرِيّ الكِنَانِيّ[1]، مـولاهم، الإفريقيّ، من الـطّبقة السّادسة:

طلبـه وشيوخـه:

ولد بالقيروان في آخر القرن الأوّل وبها نشأ، وأخذ الحديث عمّن بها من التّابعين، منهم سعد بن مسعود التُّجيبيّ، وجُعْثُل بن عاهان الرُّعَيْنِيّ، وحِبَّان بن أبي جبلة وعبدالرحمٰن بن رافع ويَزِيد بن أبي منصور[2]، كما أخذ عن خالد بن أبي عِمران التّونُسيّ المحدّث (ت ١٢٥ أو ١٢٩)[3]، وغيرهم.

ثم رحـل في طلب الحديث إلى المشـرق، فسمـع بـالحـرمين والبصـرة والكوفـة ومصـر وغيرها من البلاد، وتوسّع في الرّواية والتقى بجماعة كثيرة من الشّيـوخ، أكثرهم من التّـابعين الثّقات منهم[4]: أبـو إسحاق عمـرو بن عبـدالله السَّبِيعِيّ (ت ١٢٩ وقيل قبلها)، والمغيرة بن عبدالرحمٰن بن هشام المَخْـزُومِيّ، والرّبيع بن أنس البَكْرِيّ (ت ١٤٠)، وأبو الهيثم المصري مولى عُقبة بن عامر، وليث بن أبي سُلَيم (ت ١٤٨)، وأبو هارون عُبارة بن جُوَيْن العَبْدِيّ (ت ١٣٤)،

---

(١) الـرياض ١٧٤/١، المعـالـم ٢٤٨/١، تاريـخ الإسـلام ٢٧٣/٥، الكـاشف ١٩٧/٢، المعجم الكبير ٢٣٢/٨ - ٢٣٨، تاريخ ابن معين ٣٨٢/٢، الإكمال ١٧٨/٤، الميزان ٦/٣، التقريب ٥٣٣/١، الخلاصة ٢٥٠، التهذيب ١٢/٧، التاريخ الكبيـر ٣٨٢/٥، ثقـات العجلي ٣١٦، المعرفـة والتاريـخ ٤٢٣/٢، الضعفاء الكبيـر ١٢٠/٣، الجـرح والتعديل ٣١٥/٥، الضعفاء للدارقطني ٦٨، المجروحين ٦٢/٢، الكامـل ١٦٣١/٤، الديوان ٢٠٥، المغني ٤١٥/٢، تهذيب الكمال ٨٧٦/٢، دراسات في الحديث النبوي ١٩٢/١، اللباب ٢٦٤/٢، نقد ابن حزم للرواة ٩٦٦/٣.

(٢) تقدمت تراجمهم في التابعين. (٣) المعالم ٢٤٨/١.

(٤) انظر: شيوخه من أهل المشرق في تهذيب الكمال ٨٧٦/٢، وغيره من المصادر المثبتة أعلاه.

وعلي بن يزيد الأَلْهَانِيّ (ت بعد ١١٠)، وسليمان بن مِهْرَان الأعمش (ت ١٤٧)، وغيرهم وكان يروي مرسلاً عن أبي أمامة البَاهِلِيّ وأبي العالية.

وبذلك كثرت أحاديثه وقد أخرج له الطّبراني وحده أكثر من ثمانين حديثاً[١]، كما أخرج له أبو داود والتّرمذي والنَّسائي وابن ماجه، والبُخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد في مسنده.

ـ أثـره وتلاميـذه:

يبدو أنّ عُبيد الله لم يعد إلى إفريقيّة بعد رحلته العلميّة إلا أن تكون المصادر قد أغفلت ذلك، وقد عّده صاحب المعالم من شيوخ إفريقيّة[٢] غير أنيّ لم أجد له تلاميذ من أهلها أو الوافدين عليها، وقد ذكر المالكيّ حديثاً يتّصل فيه سنده بعُبَيْدِ الله، غير أنّه لم يذكر السّند بينهما حتّى نعلم ما إذا كان سنداً إفريقيّاً أو لا. ولعلّه سكن مصر أو الكوفة؛ إذ أكثر تلاميذه من أهلهما، وقد روى عنه كثير من المحدّثين منهم[٣]: يحيى بن أيوب المصري (ت ١٦٨)، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهو أكبر منه (ت ١٤٤ أو بعدها)، والمفضّل بن فَضالة المصري (ت ١٨١)، وبَكْر بن مُضَر المصري (ت ١٧٣ أو ١٧٤)، ومُطَّرِح بن يزيد الكوفيّ، وخَلَّاد بن عيسى الصَّفَّار، وغيرهم.

وكان عُبيد الله كثير الحديث، كثير الفتيا كما في الميزان[٤].

منزلته من حيث الجرح والتعديل[٥]:

لقد اختلف فيه النّقاد بين موثّق ومضعّف.

---

(١) المعجم الكبير ٨/٢٣٢ ـ ٢٣٨. (٢) المعالم ١/٢٤٨.

(٣) انظر: تلاميذه في مصادره المثبتة في أول ترجمته.

(٤) انظر: الميزان ٣/٦.

(٥) راجع هذه الأقوال في المصادر المثبتة في صدر الترجمة، وما بعدها.

أ ـ أقــوال المجرحيـــن:

ـ قال أحمد: ضعيف، قلت: وقد أخرج له في المسند[1].

ـ وقـال الحاكم وأبـو حاتم: ليّن الحـديث. وقـال يعقـوب بن سفيـان: ضعيف.

ـ وقال أبو مُسْهِر: صاحب كلّ معضلة، وإنّ ذلك على حديثه لبيّن.

ـ وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أيضاً: حديثه عندي ضعيف.

ـ وقال ابن عديّ: يقع في حديثه ما لا يتابع عليه.

ـ وقال ابن المديني: منكر الحديث، وقال ابن حزم: «ضعيف».

ـ وقال ابن حبّان فأسرف: «منكر الحديث جداً، يروي الموضوعات عن الأثبات وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطّامّات، وإذا اجتمع في إسناد خبر: عُبيد الله وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبدالرحمٰن، لم يكن ذلك الخبـر إلاّ ممّا عملته أيديهم».

قلت: علّق ابن حجـر على هذا فقـال: «ليس في الثّلاثـة من اتُّهم إلاّ علي بن يزيد أمّا الآخرون فهما في الأصل صدوقان وإن كانا يخطئان».

ـ وقال الذّهبيّ في الدّيوان: «له صحيفة غرائب عن علي بن يزيد، ليس بحجة» قلت: ولعل عبارة «ليس بحجة» تعود إلى علي بن يزيد كما يفهم من عبارة الدّارقطني الآتي ذكرها. وقال الذّهبيّ في المغني: «مختلف فيه وهو إلى الضّعف أقرب».

وقال الدّارقطني: «عُبيد الله بن زَحْر عن علي بن يزيـد نسخة بـاطلة وقال أيضاً: ليس بالقوي وشيخه على متروك».

---

(١) انظر مثلاً: مسند أحمد ٥/٢٥٢.

ب ـ أقـوال الموثّقيـن:

قال النّسائي: ليس به بأس.

وقـال البُخاري: ثقـة، وقال أيضـاً: مقارب الحـديث، ولكن الشّـأن في علي بن يزيد.

وقال أحمد بن صالح: ثقة.

وقال الذّهبيّ في التّاريخ: جائز الحديث، وقال في الميزان: قد أخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده، وكان النّسائي حسن الرّأي فيه، ما أخرجه في الضعفاء بل قال: لا بأس به.

وقال ابن حجر في التّقريب: صدوق يخطيء، وقال المِزيّ: كان رجـلاً صالحاً.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: «كان أيّما رجل».

وقال الخطيب: «كان رجلاً صالحاً، في حديثه لين». وذكر الدّبّاغ أنه كان رجلاً فاضلاً صالحاً معدوداً في شيوخ إفريقيّة.

النّتيجة في حاله:

تبيّن ممّـا سبق أن عُبيد الله بن زَحْـر صدوق إذا حـدّث عن غير علي بن يزيد، وإنما دخل المناكير والأخطاء والغرائب في حديثه من ناحية شيخه علي، ولذلك عندما أخرج البُخاري في الأدب لابن زَحْر تجنّب حديثه عن علي بن يزيد وقال: «الشّأن في علي بن يزيد»، وعلى هذا يكون غير روايته عن علي مقارب الحديث.

٢٤ ـ علي بن محمد بن خَلَف المَعافِرِيّ القروي[1]، أبـو الحسن، المعروف بالقَابِسيّ، أو بابن القابِسيّ (٣٢٤ ـ ٤٠٣):

وهو قروي الأصل وإنما عرف بالنّسبة إلى قابِس لأنّ عمّه كان يشدّ عمامته شدّة قابِسيّة[2].

المحدث الحافظ، الفقيه، المقريء الأصولي، إمام أهل إفريقيّة في وقته بلا منازع، مع زهد، وفضل، وتقوى، وكثرة تعبّد، وكان ضريراً، وهو أوّل مـن أدخل صحيح البُخاري إلى المغرب فيما ذكر.

نشأته وطلبه وشيوخه:

ولد أبو الحسن بالقيروان، وبها نشأ وتعلّم، وسمع الحديث والفقه وعلوم القرآن من مشايخ إفريقية.

وكان حريصاً على التّلقّي والسّماع، واسع الرّواية، كثير الشّيـوخ، قارب عددهم الأربعين من كبار أهل البلدان فيما وقفت عليه في مختلف المصادر.

وقـد سمـع بـالقيـروان من عبـدالله بن أبي هـاشم وأبي الحسن علي بن

---

(١) المعالم ١٣٤/٣، المدارك ٦١٦/٣، الشجرة ٩٧/١، وفيات ابن قنفذ ٢٢٧، التكملة ١٥٦/١، وفيات الأعيان ٣٢٠/٣، تذكرة الحفاظ ١٠٧٩/٣، مشـارق الأنـوار ٣٦/١، ٣٨، الفكر السامي ١٢٢/٢، ابن خير ٩٠، ٩٧. ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٩٦، الديباج ١٩٩، التـربية في الإسـلام للأهـواني ٢١، طبقـات الحفـاظ ٤١٩، تـاريـخ التـراث العـربي ١٧٦/٣/١، البداية والنهـاية ٣٥١/١١، النجـوم الزاهـرة ٢٣٣/٤، الأعلام ١٤٥/٥، شذرات الذهب ١٦٨/٣، نكت الهيمان ٢١٧، هدية العارفين ٦٨٥/٥، كشف الظنون ١٨١٨/٢، الرسالة المستطرفة ١٢، تبيين كذب المفتري ١٢٢، غاية النهاية ٥٦٧/١، سيـر أعـلام ١٥٩/٧، معجم المؤلفين ١٩٤/٧، تـراجم المؤلفين ٤٥/٤، القـراءات بإفريقية ٣١٢، الإكمال ٣٨٠/٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣٢١/٣، وقابِس مدينة مشهورة على ساحل جنوب إفريقية، انظر: اللباب ٥/٣، الإكمال ٣٨٠/٦.

محمد بن مسرور (ت ٣٥٩)، أخذ عنهما الموطّأ برواية ابن القاسم[1] وغيره من حديثهما.

كما سمع من محمد بن مسرور العسّال (ت ٣٤٦)، وكان محدّثاً فقيهاً[2].

وأبي إسحٰق السّبائيّ (ت ٣٥٦) المتفنّن في مختلف العلوم.

وأبي القاسم بن زياد اليَحْصُبِيّ العالم بالحديث والرّجال[3].

وأخذ المستقصية في الموطّأ لابن مُزَيْن عن أبي الحسن الكانشي[4]، وغيرهم.

كما استفاد من العلماء الوافدين على القيروان، فقد كتب حديثاً كثيراً وفقهاً عن دَرَّاس بن إسماعيل الفاسي، المحدّث (ت ٣٥٧)[5].

ثمّ رحل إلى تونُس، فسمع بها من أبي العبّاس عبدالله بن أحمد الأبياني (ت ٣٥٢ هـ)، ومن مرويّاته عنه الموطّأ برواية يحيى بن بُكَيْر[6] وتفسير غريب الموطّأ للأخفش[7].

رحلته وتحقيق عدم سماعه من الهَرَوِيّ:

وفي سنة ٣٥٢ هـ[8] بدأ أبو الحسن رحلته إلى المشرق في طلب الحديث، ولم يدخل بلداً إلا سمع من أهله.

وابتدأ بطرابُلُس فأخذ فيها الحديث وعلم الرجال عن أبي الحسن علي بن

---

(١) انظر: الملخص خط لوحة ٣، الشجرة ١/٩٥.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٩.

(٣) الشجرة ١/٩٥.

(٤) ابن خير ٩٢.

(٥) تاريخ ابن الفرضي ١/١٧٣، الفكر السامي ٢/١١١.

(٦) فهرسة ابن خير ٨٤.

(٧) م. ن ٩١.

(٨) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٠، وفيات الأعيان ٣/٣٢٠.

أحمد بن زكريا المعروف بابن ذَكْوَان (ت ٣٧٠)، وهو محدّث كبير له مؤلّفات في الحديث والرّجال، وله سماع وسند عال[١].

ثم انتقل إلى مصر، فسمع بالفُسّطاط والإسكندريّة من جماعة كثيرين منهم:

حمزة بن محمد الكِنانيّ، الحافظ، المتّفق على تقدّمه في معرفة الحديث (ت ٣٥٧)[٢]، وقد أخذ عنه القابِسيّ سنن النّسائي، ومسند حديث مالك، وتفسير القرآن للنّسائي أيضاً[٣].

وأبو بكر محمد بن سلمان النِّعَالِيّ المحدّث (ت ٣٨٠)[٤].

وأبو الحسن علي بن جعفر السّلفانيّ القاضي[٥].

وأبو بكر محمد بن سليمان بن أبي شَرِيف من فقهاء الفُسطاط[٦].

وأبو الحسن علي بن جعفر الثّابيانيّ[٧] وغيرهم.

ثم رحل إلى مكة والمدينة، فسمع صحيح البُخاري من أبي زيد محمد بن أحمد المَرْوَزِيّ (ت ٣٧١) عن محمد بن يوسف الفَرَبْرِيّ عن الإمام محمد بن إسماعيل البُخاري[٨].

وضبط له سماعه للصّحيح رفيقه في الرّحلة المحدث الأندلسي أبو محمد الأَصِيلِيّ (ت سنة ٣٩٢)؛ لأنّه كان ضريراً[٩].

---

(١) انظر: المدارك ٥٣٧/٣.
(٢) انظر: حسن المحاضرة ٣٥١/١.
(٣) ابن خير ٥٩، ١١٢، ١٤٥.
(٤) المدارك ٤٨١/٣.
(٥) المدارك ٢٩٥/٣.
(٦) المدارك ٢٩٧/٣.
(٧) المعالم ١٣٥/٣، المدارك ٦١٦/٣.
(٨) إفادة النصيح ١١١، انظر: مشارق الأنوار ٣٨/١، فهرسة ابن خير ٩٧.
(٩) تذكرة الحفاظ ١٠٧٩/٣، المعالم ١٣٩/٣.

كما سمع الصّحيح أيضاً وغيره من الحديث من أبي محمد بن يوسف المَكّي الجُرْجَانِيّ (ت ٣٧٣)[١].

وحدّثه محمد بن عبدالله بن عبدالمؤمن بالمنتقى في السّنن المسندة لأبي محمد بن الجارود.

وأخذ مسند الأوزاعي لدُحَيْم عن عبدالله بن محمد بن ناصح[٢].

وسمع هناك من مشايخ عدّة، وقد انفرد صاحب الشّجرة[٣] بذكر تتلمذ القابِسيّ على أبي ذَرّ الهَرَوِيّ (ت ٤٣٥) ولا أراه يصحّ، إذ لم أعثر على ذلك في المصادر الأخرى، بل قد نصّ بعضها على أنّ القابسيَّ عاد من مكّة إلى مصر فالقيروان، بينما واصل زميله الأصيليّ رحلته ودخل العراق[٤] فسمع بها من أبي ذرّ الهَرَوِيّ وغيره، فلعلّ الأمر التبس على الشّيخ مخلوف بين صاحبنا وزميله، ويمكن حسم المسألة بأن أبا ذر كان دون سن التمييز إبان رحلة القابسي فإنه ولد سنة ٣٣٥ هـ، وكانت رحلة القابسي بين سنتي ٣٥٢ و ٣٥٧ هـ.

وقد دامت رحلة الإمام القابِسي قرابة السّت سنوات (٣٥٢ - ٣٥٧)، سمع فيها علماً كثيراً، فتوسّع في رواية الحديث ومعرفة علله ورجاله حتّى صار من أئمته[٥].

نبوغه في علم الحديث:

لقد سمع أبو الحسن القابِسيّ في إفريقيّة والمشرق حديثاً كثيراً كما أسلفت، والتقى بجهابذة هذا الفنّ في عصره، وروى عنهم أشهر المصنّفات

(١) الشجرة ١/٩٧. (٢) ابن خير ١٤٩.

(٣) الشجرة ١/١٠٤.

(٤) انظر مثلاً: البغية ٣٢٧، إفادة النصيح ١١١، المعالم ٣/١٣٤.

(٥) انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٢٠، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٩، غاية النهاية ١/٥٦٧.

الحديثيّة، ولـذلك فقـد نبغ في حفظ الحـديث، والعلوم المتعلّقة بـه، كالعلل والرّجال ونحوها، وصار من الحفّاظ، شهد له بذلك كبار المحدّثين.

قال الذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ[1]: «الحافظ المحدّث الفقيه الإمام علاّمة المغربّ».

وقـال أيضـاً: «كـان حـافـظاً للحـديث والعلل بصيـراً بـالـرّجـال عـارفـاً بالأصلين... وكتبه في نهاية الصحة»[2].

وقال نحو هذا السّيوطيّ في طبقات الحفّاظ[3].

وقـال القاضي عِيـاض[4]: «كان واسـع الرّوايـة عـالمـاً بـالحـديث وعلله ورجاله»، وجاء في الديباج[5] مثل قول عياض.

وقال الدّبّاغ[6]: «كان حافظاً للسّنّة عالماً بعلوم الحديث والفقه واختلاف النّاس».

وقال صاحب الشّجرة[7]: «الإمام في علم الحديث وأسانيده فنونه».

وقـال ابن العِماد والصَّفَـدِيّ والزّركليّ[8]: «كـان حافـظاً للحـديث وعلله ورجاله».

وقال ابن خلّكان: «كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلّق به»[9].

لقـد صنّف القـابِسيّ في الحــديث كتاب الملخّص، جمع فيه ما اتّصل

(١)، (٢) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٩.
(٣) ط الحفاظ ٤١٩.
(٤) المدارك ٣/٦١٦.
(٥) الديباج ١٩٩.
(٦) المعالم ٣/١٣٦.
(٧) الشجرة ١/٩٧.
(٨) شذرات الذهب ٣/١٦٨، نكت الهميان ٢١٧، الأعلام ٥/١٤٥.
(٩) وفيات الأعيان ٣/٣٢٠.

سنده من حديث مالك في الموطّأ برواية سحنون عن ابن القاسم عن مالك، وقد احتوى على ٥٢٠ حديثاً، وهو جيّد في بابه (١).

وقد تطرّق في مقدمته إلى عدّة مسائل في علوم الحديث، ممّا يدل على تبحّره فيها، مثل علامات الحديث المتصل، والألفاظ الدّالّة على اتّصال السّند، وحكم ذكر التابعيّ ما كان على عهد الرسول ﷺ وصور ذلك، وقول الصّحابي: كنّا نفعل، أو نؤمر، كما تعرّض إلى شروط حمل الحديث، والحرص على روايته دون الإكثار المؤدّي إلى الوقوع في الخطأ، واللّحن في الحديث، والرّواية بالمعنى، ونحو ذلك، مع التّمثيل لذلك والاستشهاد بالأحاديث (٢).

وسيأتي الكلام عليه مفصّلاً ضمن المصنّفات الحديثيّة في تلك المرحلة في الفصل الثّاني من الباب الثّالث.

كما صنّف كتاب الممهّد، وهو كبير جدّاً بلغ فيه إلى ستين جزءاً، وتوفّي قبل إتمامه، وهو «مبوب على أبواب الفقه، جمع فيه بين الحديث والأثر والفقه» (٣).

كما ألّف في شرح الموطّأ كتاباً نقل منه صاحب الاستقصاء (٤).

كما أنّ بقيّة مصنّفاته الكثيرة قد اشتملت على حديث كثير، أقول هذا بناء على ما وصلنا منها وهو «الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّقين» فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة، وبرهن فيها القابِسيّ على مقدرة فائقة في شرح الأحاديث بأسلوب ميسّر معتمداً على القرآن والحديث أساساً، كما أنه يجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض والاختلاف، ويذكر أنّ أسانيد أبي داود ونحوها لا تقوى على

---

(١) الرسالة المستطرفة ١٢.

(٢) انظر: الملخص ط ٢، ٣، ٤.

(٣) المعالم ٣/١٣٦.

(٤) الاستقصاء ١/٩٠، ويوجد أجزاء من تفسير الموطأ مما سأل عنه يحيى بن إبراهيم وغيره للقابسي في مكتبة القيروان، انظر: المكتبة الأثرية ٣٨، ٣٩، فلعلّ القابِسي جمع تفاسير بعض العلماء وأضاف إليها شرحه.

مدافعة أسانيد البُخاري[1] ونحو ذلك، ممّا يدلّ على معرفته بالرّجال والأسانيد، وشروط الأئمّة في درجة أحاديث مؤلفاتهم.

وكان لأبي الحسن كلام في نقد الرّجال، ومعرفة بتواريخ المولد والوفة للرّواة[2].

وإلى جانب علم الحديث فقد كان القابِسيّ ملمّاً بالفقه بارعاً فيه، عالماً بتفسير القرآن ووجوه القراءات، أصوليّاً متكلّماً على مذهب أهل السُّنّة، مفنِّداً لمزاعم أهل البدع، منافحاً عن السُّنّة، غزير التّآليف جيّدها.

أثره وتلاميذه والرّحلة إليه:

تعتبر عودة أبي الحسن القابِسيّ إلى القيروان سنة **٣٥٧ هـ**[3]، فاتحة عهد جديد للحياة العلميّة عامّة، وللسُّنّة وعلومها بصفة خاصّة.

فقد أدخل إلى المغرب ولأوّل مرّة[4] الجامع الصّحيح للإمام البُخاري، وسنن النَّسائي وغيرهما من المصنّفات الحديثيّة كما تقدّم.

فلمّا وصل القيروان أقبل عليه النّاس لسماع مرويّاته، غير أنّ القابِسيّ كان يتحلّى بأدب المحدّثين، فلم يرضَ أن يحدّث في حياة شيوخه، وسدّ بابه دون النّاس، فلمّا رأى الطّلبة ذلك مع مسيس الحاجة إلى مرويّات القابِسي أرادوا أن

---

(١) الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين (منشورة مع كتاب التربية للأهواني) ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) انظر مثلاً: المدارك ٣٤٢/٣، ٣٥٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣٢٠/٣، المعالم ١٣٥/٣.

(٤) انظر: الشجرة ٩٧/١، الإمام المازري ٣٢، وقد حاول بعض المعاصرين أن يثبت دخول الصحيح إلى إفريقيّة قبل ذلك، وهي فكرة معقولة غير أن الدليل يعوزها، انظر: أبو عبدالله الأبي وكتابه الإكمال ١٠٥، وقد تقدم مزيد بيان لهذه النقطة عند الحديث عن دخول البخاري إلى إفريقية في مباحث علوم الرواية.

يكسروا عليه باب داره، معتقدين أنّه لا يسعه عدم التّحديث، فلمّا رأى عزمهم خرج إليهم وهو ينشد:

لعمر أبيك ما نسب المعلّى إلى كرم وفي الدّنيا كريم
ولكنّ البلاد إذا اقشعّرت[1] وصَوصح نبتُها رُعي الهشيم

وقال: أنَا والله ذلك الهشيم، ثمّ بكى وأبكى الحضور[2].

ثم جلس للطّلبة يسمعهم مرويّاته الكثيرة ومصنّفاته العديدة، وبدأ أمره يشتهر، وذاع صيته، وانتشرت إمامته فرحل إليه النّاس من الأقطار.

وكان كسحنون في زمانه علماً وورعاً وكثرة أصحاب من مختلف بلاد إفريقيّة والمغرب والأندلس يعدّون بالمئات.

وكان بارّاً بطلبته، يسكن الغريب منهم والمحتاج، قال حاتِم الطّرابُلْسِيّ: «كنّا عند أبي الحسن علي بن محمد بن خلَف القابِسيّ في نحو ثمانين رجلاً من طلبة العلم من أهل القيروان والأندلس وغيرهم من المغاربة في عَلِيَّة له...»[3].

وقد نَشر صحيح البُخاري في إفريقية، كما نُشر عن طريق تلاميذه بالأندلس، فقد أخذه عنه من أهلها جماعة، منهم: حاتم الطّرابلسيّ[4]، وعبدالله بن محمد الجَدَلِيّ[5] (ت ٤٤٤) والمُهَلَّب بن أبي صُفْرَة (ت ٤٣٥)[6]، وعبدالرحمٰن الحضرمي بالإجازة[7].

ورواه عنه في الأندلس كذلك أبو عمران الفاسي القيروانيّ[8].

---

(١) أي تقبضت وتجمع، لسان العرب ٩٥/٥.
(٢) انظر: الديباج ١٩٩، المدارك ٦١٧/٣.
(٣) الصلة ١٥٦/١، وانظر: الصلة ٦٠٣/٢، والعَلِيّة غرفة فوق سطح المنزل.
(٤) ابن خير ٩٧.
(٥) الصلة ٢٦٦/١.
(٦) إفادة النصيح ١١٠.
(٧) مشارق الأنوار ٣٦/١، ٣٨.
(٨) مشارق الأنوار ٣٦/١، ٣٨.

وممّا حدّث به في القيروان وانتشر عن طريقه في المغرب والأندلس: السّنن ومسند حديث مالك وتفسير القرآن، كلّهم للنّسائي[1].

مسند حديث الأوزاعي لعبدالرحمٰن بن إبراهيم الملقب بدُحيم[2].

والمنتقى في السّنن المسندة لابن الجَارُود[3].

والمستقصية في الموطأ لابن مُزَيْن[4].

والموطّأ بمختلف طرقه[5]، وغيرها من مرويّاته.

كما أخذ عنه النّاس مصنّفاته الكثيرة، وكانت تُروى بالأندلس كذلك، وعلى رأسها كتاب الملخِّص[6] الذي لقي لدى الأندلسيّين حفاوة كبيرة، وكان يروى كثيراً في القرون التالية في الأندلس وتونُس[7].

كما روى الطّلبة عنه مختلف مصنّفاته الأخرى، وتنافسوا في اقتنائها وروايتها في عامّة بلاد المغرب والأندلس[8].

وقد استدعاه للإجازة جماعة كثيرة من العلماء فأسعفهم بها، منهم: أبو شاكر عبدالواحد بن محمد بن مَوْهَب (ت ٤٥٦)، وهو محدّث فقيه أندلسيّ[9]، وعمر بن عُبيد الله الذُّهْلِيّ محدّث قُرْطُبَة (ت ٤٥٤)[10].

وكان للقابِسيّ اهتمام بأهل المدن الكبرى وحرص على نشر العلم فيها، فقد أرسل تلميذه أبا القاسم عبدالرحمٰن بن محمد اللَّبِيدِيّ (ت ٤٤٦) لتفقيه أهل المَهْدِيّة[11].

---

(١) ابن خير ٥٩، ١١٢، ١٤٥.

(٢) ابن خير ١٤٩.

(٣) ابن خير ٩٢.

(٤) ابن خير ١٢٣.

(٥) ابن خير ٨٤، الملخص لوحة ٣.

(٦) فهرسة ابن خير ٩.

(٧) برنامج الوادي آشي ٢٠٩.

(٨) انظر: فهرسة ابن خير ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٩٦.

(٩) المدارك ٣/٨١٨، الصلة ١/٣٦٥.

(١٠) الصلة ١/٣٨٠.

(١١) انظر: المعالم ٣/١٧٥.

كما كانت له مواقف صارمة مع الحكّام ووقوف إلى جانب الشّعب في الملمّات الاجتماعية[1].

وقد تتلمذ على الإمام القابِسيّ مئات من الطّلاّب، وقد تقدّم أنّ ثمانين منهم كانوا ممّن يسكنون عنده، وبعد البحث في مختلف المصادر التي ترجمت له أو ذكرته تمكّنت من العثور له على تسعة وأربعين تلميذاً، وسأكتفي بذكر نماذج منهم، فمن أهل إفريقيّة:

ـ أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي القيرواني، المحدّث (ت ٤٣٠)[2].

ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله المالكيّ المحدّث، والد صاحب رياض النّفوس (ت ٤٣٨ وقيل ٤٤٤)[3].

ـ أبو بكر عَتِيق السّوسيّ، الحافظ للفقه والحديث (ت ٤٣٠)[4].

ـ عبدالرحمٰن بن محمد بن رَشِيق المحدّث الحافظ المؤرّخ.

ـ المحدّث العالم بالرّجال أبو القاسم بن مُحْرِز[5].

ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن سُعْدَى الإشْبِيلِيّ نزيل المَهْدِيّة، وهو فقيه محدّث[6] وغيرهم.

أما غير الأفارقة فمنهم:

ـ أبو القاسم حاتم بن محمد الطّرابُلْسي، وهو محدّث مكثر لازم القابِسي أكثر من سنة[7].

---

(١) انظر: المدارك ٣/٦١٩.
(٢) ستأتي ترجمته رقم ٧ في المهاجرين.
(٣) المعالم ٣/١٧٥.
(٤) الشجرة ١/١٠٦.
(٥) المعالم ٣/١٨٥.
(٦) الشجرة ١/١٠٦.
(٧) انظر: الصلاة ١/١٥٥، سير أعلام ١٨/٣٣٦.

- أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الفَـرَضِيّ (ت ٤٠٣)، وكان كثير الحديث[١].

- أبو بكر محمد بن مَوْهَب التَّميمي القرطُبي، الفقيه المحدّث (ت ٤٠٦)[٢].

- أبو القاسم المُهَلَّب بن أحمد بن أبي صُفْرة، المحدّث (ت ٤٣٣)[٣].

- سعيد بن أحمد بن يحيى التُّجيبي (ت ٤٢٨)[٤].

- الحافظ المقريء المحدّث الكبير: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّانِيّ (ت ٤٤٤)[٥].

- هشام بن عبدالرحمٰن، المعروف بابن الصّابونيّ (ت ٤٢٣)، له كتاب في تفسير البُخاري على حروف المعجم[٦] وغيرهم.

توثيقـه:

الإمام القابِسي ثقة ثبت حجّة، من كبار الحفّاظ، ذكره الذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ، ووسمه بالحافظ الإمام علاّمة المغرب، وذكر أنّ كتبه كانت في غاية الصّحّة[٧]، كما ذكره السّيوطيّ في طبقات الحفّاظ وأثنى عليه كثيراً[٨]، وبالغت كلّ المصادر في ذكر فضله وعلمه وإتقانه وضبطه. من ذلك أنّ عياضاً اعتبره من أهل الضّبط وقرنه في الذّكر بالحافظ أبي ذَرّ الهَرَوِيّ[٩].

وقد ألّف في فضائله تلميذه أبو عبدالله المالكيّ[١٠].

---

(١) انظر: الصلة ٢٤٦/١، الجذوة ٢٣٧.

(٢) الشجرة ١١١/١.

(٣) المدارك ٧٥١/٣.

(٤) الصلة ٢١٤/١.

(٥) نفح الطيب ١٣٥/٢.

(٦) الصلة ٦١٥/٢.

(٧) تذكرة الحفاظ ٣٢٠/٣.

(٨) ط الحفاظ ٤١٩.

(٩) الإلماع ١٨٩، وراجع المصادر المثبتة أول الترجمة لمزيد من الأقوال في توثيق القابسي.

(١٠) انظر: المعالم ١٤٣/٣.

مصنّفاته[1]:

للإمام القابِسيّ مؤلّفات كثيرة، وصفتها المصادر بأنّها بديعة ومفيدة، وكان يمليها على تلميذه أبي عبدالله مكي بن عبدالرحمٰن الأنصاري (ت ٤٣٢)[2]، وقد عُرف من مصنّفاته ما يلي:

ـ الملخِّص لما أسنده مالك في الموطّأ[3].

ـ الممهَّد، وقد رتّبه على أبواب الفقه وجمع فيه بين الفقه والحديث كما في المعالم[4].

ـ تزكية الشهود وتجريحهم، ـ شرح الموطّأ[5] ـ أحكام الدّيانة، المنقذ من شُبَه التّأويل ـ المنبّه للفُطْن من غوائل الفِتَن ـ الرّسالة المفصِّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين[6] ـ كتاب الاعتقادات ـ مناسك الحجّ ـ الذّكر والدّعاء ـ كشف المقالة في التّوبة ـ رُتَبُ العلم وأحوال أهله ـ الرّسالة النّاصرية في الرّدّ على البَكريّة ـ كتاب حُسن الظّنّ بالله تعالى ـ أحمية الحصون ـ رسالة في الورع ـ الرّسالة المعظّمة لأحوال المتّقين ـ النّافعة والنّاصرة في الاعتقادات.

ـ توفّي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ٤٠٣ هـ، وضُربت الأخبية حول قبره شهوراً طويلة، ورثاه الشّعراء بنحو مائة مرثيّة[7].

---

(١) راجع مصادره، وسأشير إلى ما عرف من هذه المصنفات.

(٢) المعالم ١٧٦/٣.

(٣) مخطوط، انظر: عن مواضعه تاريخ التراث العربي ١٣٩/٣/١، وسيأتي التعريف به والتوسع في ذكر مواضعه.

(٤) المعالم ١٣٦/٣.

(٥) نقل عنه صاحب الاستقصاء ٩٠/١، وانظر: المكتبة الأثريّة ٣٨، ٣٩.

(٦) نشرت ضمن كتاب التربية في الإسلام للأهواني، وسيأتي ذكرها في المصنفات.

(٧) انظر: المعالم ١٤٢/٣، الشجرة ٩٧/١.

٢٥ ـ عَنْبَسة بن خَارِجَة الغَافِقِيّ[١]، أبو خَارِجَة (ت ٢١٠ وقيل ٢٢٠ عن ٨٦ سنة):

محدّث، فقيه، لغويّ، عابد.

طلبه وشيوخه ورحلته:

أغفل المصنّفون ذكر شيوخ أبي خارجة هذا قبل رحلته إلى المشرق، حيث لم أجد له إلا شيخاً واحداً، هو المحدث عبدالملك بن أبي كريمة التُّونسي[٢].

وقد ولد حوالي سنة ١٢٤ هـ، وعلى هذا يكون لقاؤه ممكناً بعبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي (ت ١٦١)، وعبدالله بن فروخ الفارسي (ت ١٧٦)، وغيرهما من شيوخ القيروان.

وبعد أن تلقّى العلوم بإفريقيّة رحل إلى المشرق، وأخذ به من بكار المحدّثين والفقهاء، وسمع في رحلته حديثاً كثيراً.

فقد أخذ عن الإمام مالك، وله عنه سماع مدوَّن كسماع ابن القاسم وأشهب[٣].

وسمع من سفيان الثّوري جامعه الصّغير وغيره من حديثه[٤].

كما سمع من سفيان بن عُيَيْنَة وكتب عنه[٥]، وأخذ عن المغيرة بن عبدالرحمٰن المَخْزُومِيّ[٦].

---

(١) الرياض ١/٢٤١، المدارك ١/٣٨٦، طبقات أبي العرب مح ١٥٠، الديباج ١٦٨، اللسان ٤/٣٨١، المغرب العربي ٦٨.

(٢) الرياض ١/٣٢٤، التهذيب ٦/٤١٨.

(٣) ط أبي العرب ٧٢، الديباج ١٦٨.

(٤) الرياض ١/٢٤١.

(٥) الديباج ١٦٨.

(٦) المدارك ١/٤٨٦.

وتفقّه بالليث بن سعد (ت ١٧٥)[1]، وأخذ عن رِشْدِين بن سعد (ت ١٨٨)[2]، وسمع حديثاً كثيراً من عبدالله بن وهب المصري (ت ١٩٧)[3].

وقد لقي أبا يوسف القاضي، صاحب أبي حنيفة، ولم يأخذ عنه[4].

وبلقيّ هؤلاء الشّيوخ تمكّن أبو خارجة من تكوين حصيلة علميّة كبيرة في مختلف العلوم، وخاصة الحديث، فإن شيوخه يعتبرون من الثّقات المبرّزين فيه، إلّا رِشدين فهو ضعيف مع صلاحة وتدينه[5].

تحقيق سماعه من سفيان الثّوري:

وقد شكّك بعض الرّواة بالقيروان في سماع أبي خارجة من سفيان الثّوري وقال: «رحلت أنا وأبو خارجة إلى سفيان الثّوري فأصبناه قد مات»[6]، غير أنّ أبا العرب دافع عنه وذكر أنّه سمع من سفيان قبل ذلك، وأنه ثقة لا يشكّ في سماعه من سفيان، وتابعه القاضي عياض في المدارك[7].

أثره العلمي وتلاميذه:

عاد أبو خارجة إلى إفريقيّة بعلم غزير، وقد وُصف بالتفنّن في علوم الحديث والفقه والعربيّة وغيرها[8]، وأدخل إلى القيروان الجامع الصغير لسفيان الثّوري، وقد سمعه منه البُهلول بن راشد وغيره[9].

وأخذ عنه عون بن يوسف الخُزاعي، المحدّث الفقيه (ت ٢٣٩).

وموسى بن جَرِير العطّار رواية تفسير يحيى بن سلّام، وابنه أحمد بن موسى.

---

(١)، (٢)، (٣) انظر: المدارك، الرياض، الديباج في المواضع المثبتة أول الترجمة.
(٤) المدارك ١/٤٨٧.
(٥) انظر: التقريب ١/٢٥١.
(٦) ط أبي العرب مح ١٥٠.
(٧) انظر: ط أبي العرب ١١٧، ١٥١، المدارك ١/٤٨٦، ٤٨٧.
(٨) انظر مثلاً: الديباج ١٦٨.
(٩) الرياض ١/٢٤١.

وسعيد بن حسّان، وعبدالله بن يونس، وأبو زكريّاء يحيى بن سليمان الحُفْرِيّ (ت ٢٣٧)، وعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المُهاجِر الفقيه المحدّث، وغيرهم[١].

وكان الإمام سحنون يجلّه، وإذا سئل بحضرته أحال عليه[٢]، ممّا يدل على سعة علمه.

كما أثنى عليه المترجمون، ووصفوه بكثرة العلم، قال القاضي عياض[٣]: «كان متفنّناً في العلوم من الحديث والفقه والعربيّة وغير ذلك»، وقال مثله صاحب الدّيباج[٤].

وقال المالكيّ[٥]: «كان شيخاً صالحاً عالماً باختلاف العلماء»[٦].

وإنّما لم يكثر أثره العلمي؛ لأن أكثر إقامته كانت في بعض الحصون في جهة صَفَاقُس بعيداً عن القيروان.

توثيقه:

أجمع أهل المغرب على توثيق أبي خارجة، قال أبو العرب[٧]: «ثقة» وقال عياض[٨]: «ثقة مأمون».

وسئل أحمد بن بُرْد عنه فقال: «بمثله يقال ثقة، وهو رجل صالح»[٩].

وقال ابن يونس: «هو رجل مشهور من أهل المغرب»[١٠].

---

(١) انظر: هؤلاء التلاميذ وغيرهم في مصادره أعلاه.
(٢) انظر: المدارك ١/٤٨٦، الرياض ١/٢٤٤.
(٣) المدارك ١/٤٨٦. (٤) الديباج ١٦٨.
(٥) الرياض ١/٢٤١، المدارك ١/٤٨٦.
(٦) انظر: الرياض ١/٢٤١. (٧) ط أبي العرب مح ١٥٠.
(٨)، (٩) المدارك ١/٤١٧. (١٠) اللسان ٤/٣٨١.

وقد ذكر ابن حجر في اللّسان[1] أنّ الدّارقطني جهّله، قلت: وذلك لا يضيره؛ لأنّه معروف مشهور في إفريقيّة والمغرب، وساق الحافظ أيضاً له حديثاً منكراً، غير أنّ الآفة فيه من يحيى بن محمد بن خُشَيش، وهو هالك كما قال ابن حجر[2].

وقد ألّف في مناقبه محمود سَيَّالة الصَّفَاقُسِي[3].

مصنّفاته:

دوّن عنبسة سماعه من مالك في كتاب كان يُروى بالقيروان كسماع عبدالرحمٰن بن القاسم وأشهب[4].

٢٦ ـ عون بن يوسف الخُزَاعِيّ[5]، أبو محمد، (١٥٠ ـ ٢٣٩):

محدّث، فقيه، صالح، عابد.

طلبه وشيوخه ورحلته:

كان عون بن يوسف حريصاً على طلب العلم، مقبلاً على سماع الحديث، فقد سمع بإفريقيّة من جماعة كثيرة من أهل القيروان وتونُس والأندلس[6]. حيث أخذ عن أبي خارجة الغافِقِيّ (ت ٢١٠) جميع مرويّاته. منها: جامع سفيان الثّوري الصغير وغيره.

كما سمع البُهلول بن راشد (ت ١٨٣) المحدّث الفقيه.

وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠) سمع منه الموطّأ وغيره.

---

(١)،(٢) اللسان ٣٨١/٤.

(٣) ذكر محقق الرياض أن النسخة توجد بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٩٢٦٩، انظر: حاشية الرياض ٢٤١/١.

(٤) ط أبي العرب مح ١٥١، الديباج ١٦٨.

(٥) طبقات أبي العرب مح ١٨٨، الرياض ٣٨٥/١، المدارك ٦٢٧/١، المعالم ٧٢/٢، الشجرة ٦٩/١، طبقات الفقهاء ١٥٧، اللسان ٣٨٩/٤، الحلل السندسية ٨٠٧/٢/١.

(٦) انظر: هؤلاء الشيوخ وغيرهم في المصادر أعلاه.

وأخذ الفقه والفرائض عن شُقران بن علي القيرواني (ت ١٨٦)[١].

وسمع كتاب الأهوال لابن وهب من موسى بن منير الأندلسيّ نزيل القيروان[٢].

ثم رحل إلى تونُس فسمع من محدّثها عبدالملك بن أبي كريمة[٣].

وبعد أن استكمل السّماع من شيوخ إفريقيّة رحل إلى المشرق، فسمع بمصر من عبدالله بن وهب جامعه وبقيّة كتبه[٤]، وسمع من المفضَّل بن فَضالة، وهو من المحدّثين الثّقات الفضلاء (ت ١٨١)[٥].

ثم رحل إلى المدينة فوصلها بعد وفاة مالك بسنة، سنة ١٨٠ هـ وذكر أنّه أدرك بها أربعين رجلاً من معلّمي ابن وهب[٦] إلا أنّنا لم نعرف منهم على التّعيين إلا عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢)[٧].

وقد أكثر عون الخُزاعي في رحلته من لقيّ أهل الحديث، فقد ذكر أبو العرب أنّه سمع من بشر كثير من المحدّثين[٨]. وذكر الدّبّاغ أنّه «كان محدّثاً»[٩]، وقال صاحب الشّجرة: «الفقيه المحدّث»[١٠].

أثره العلمي وتلاميذه وبعض آرائه الحديثيّة:

لما عاد عون بن يوسف إلى القيروان جلس للطّلاب وأسمعهم مرويّاته، مثل: كتب ابن وهب وغيرها[١١].

---

(١) الشجرة ١/٦٠.
(٢) طبقات أبي العرب مح ١٩٦.
(٣) انظر: طبقات أبي العرب ٢٤٧، التهذيب ٦/٤١٨.
(٤) انظر: الرياض ١/٣٨٧.
(٥) انظر: التقريب ٢/٢٧١.
(٦) (٧) أبي العرب ١٠٥، المدارك ١/٦٢٧.
(٨) ط أبي العرب مح ١٨٨.
(٩) المعالم ٢/٧٢.
(١٠) الشجرة ١/٦٠.
(١١) انظر: المدارك ١/٦٢٧، الرياض ١/٣٨٧.

وأقبل عليه النّاس، حتّى إنّ أصحاب سحنون أنفسهم كانوا يسمعون منه رغم ما بينه وبين سحنون من التّباعد[1].

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من أهل إفريقية والأندلس منهم[2]: بَكر بن حمّاد التّاهَرتيّ القيروانيّ (ت ٢٩٦). وهو من كبار المحدّثين.

وابنه يحيى بن عون، وهو محدّث لا زالت مكتبة القيروان تحتفظ لنا ببعض مرويّاته ومدوّناته[3].

كما سمع منه سليمان بن سالم، الفقيه المحدث (ت ٢٨٩).

وعبدالله بن أحمد بن طالب (ت ٢٧٥)، الفقيه المتفنّن في العلوم، وفُرات بن محمد العَبْدِيّ (ت ٢٩٢)، وغيرهم من القرويّين.

كما سمع منه جماعة من كبار محدّثي الأندلس منهم: بقيّ بن مَخْلَد، مسند الأندلس (ت ٢٧٦)، ومحمد بن وضّاح، حافظها (ت ٢٨٧)، وبهذين «صارت الأندلس دار حديث»[4].

وروى عنه علكدة بن نوح الرُّعَيْنِيْ (ت ٢٣٧)[5]، وإبراهيم بن محمد بن باز، المعروف بابن القَزّاز (ت ٢٧٣)[6]، ويحيى بن حَجّاج، من أهل طُلَيْطُلَة (ت ٢٦٣)[7]، وغيرهم.

وكان عون يفرّق بين السّماع والإجازة عند الأداء، فيقول في السّماع: «حدثنا» وفي الإجازة: «أخبرنا»، وهو يرى صحّة الإجازة باعتبارها طريقاً من طرق

---

(١) انظر: المدارك ١/٦٢٨، المعالم ٢/٧٦.
(٢) انظر: هؤلاء التلاميذ وغيرهم في المصادر أعلاه.
(٣) منها كتاب الحجة مما دون يحيى بن عون، وكتاب حديث لم يذكر اسمه. انظر: المكتبة الأثرية ٣٩.
(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢/١٧.
(٥) تاريخ ابن الفرضي ١/٣٨٦.
(٦) الجذوة ١٤١.
(٧) المدارك ٣/١٦٠.

التّحمّل إلا أنه يعتبرها أقلّ من السّماع من حيث القوة، وقد عرف عنه ذلك واشتهر، قال أبو العرب: «ما كان في كتب عون حدثنا فلان فهو سماع، وما كان أخبرنا فهو إجازة»[1].

وقال عياض: «كان عون يفرّق بين السّماع والإجازة، فيقول في السماع: حدثنا وفي الإجازة: أخبرنا»[2].

وكان بعض الرّواة يشكّك في سماعه من ابن وهب، ويقول: إنه إنما أخذ عنه كتبه إجازة[3]، ولذلك كان بعض الطّلبة بعد أن يسمع منه يستفسره عن طريقة تحمّله عن ابن وهب. قال بَكر بن حمّاد: «لمّا فرغتُ من قراءة كتبي كلّها على عون ـ وهي كتب ابن وهب ـ قلت له: يا أبا محمد، كيف كان سماعك من ابن وهب؟ فقال لي: «يا بني أقال فينا أحد شيئاً؟ ثم قال: والله ما أحبّ أن يعذّب الله أحداً من أمّة محمد ﷺ بسببي بالنّار، أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر علمه إن كنت أخذتها من ابن وهب إلاّ قراءة: قرأت عليه أنا وقرأ عليّ، ولو كانت إجازة لقلت إنّها إجازة»[4].

وهو إنّما يفرّق بين السّماع والإجازة زيادة في الدّقّة، وإلاّ فقد رأى شيوخه ما يدلّ على جواز التّعبير بحدّثنا في الإجازة أيضاً، قال عون: «ولقد حضرت ابن وهب فأتاه رجل بتِلّيس[5] فقال: «يا أبا محمد هذه كتبك»، فقال له ابن وهب: «صُحّحت وقوبِلت؟» فقال: «نعم»، فقال له: «اذهب فحدّث بها فقد أجزتها لك، فإني حضرت مالكاً فعل مثل ذلك»[6].

---

(1) ط أبي العرب مح ١٨٩. (2) المدارك ١/٦٢٧.

(3) انظر: المدارك ١/٦٢٨، المعالم ٢/٧٦.

(4) انظر: ط العرب مح ١٨٩، المدارك ١/٦٢٧، الرياض ١/٣٨٧.

(5) وعاء يسوّى من الخوص يشبه القفة، تاج العروس ٤/١١٦.

(6) المدارك ١/٦٢٧، الرياض ١/٣٨٧، ط أبي العرب مح ١٨٩، المعالم ٢/٧٤.

توثيقه:

أجمع أهل المغرب على توثيقه، قال أبو العرب[1]: «كان رجلاً صالحاً ثقة مأموناً»، وقال الدّبّاغ[2]: «كان فقيهاً صالحاً زاهداً مأموناً، وكان محدّثاً». وقال صاحب الشّجرة[3]: «الفقيه المحدّث الرّجل الصالح الأمين، مع الورع والدّين المتين»، كما وثّقه المالكي وعياض.

وقد ذكر صاحب اللّسان أنّ الدّارقطنيّ ضعّفه، قلت: وقد أغرب الدّارقطني بذلك، وإنما ضعفه بناء على الحديث المنكر[4]، الذي رواه عنه الوضّاع يحيى بن محمد بن خُشيش، فالآفة فيه من هذا الأخير كما قال ابن حجر، وعون الخُزاعي بريء من ذلك، ولو كان الدّارقطني يعرف أهل إفريقيّة لما أطلق عليه التّضعيف، فهو ثقة مشهور الفضل والعلم، معروف بالصّلاح ودقة النّقل والعلم بالحديث.

٢٧ ـ عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقيّ[5]، أبو مهدي (٢١٤ ـ ٢٩٥):

محدّث واسع الرّواية، عالم بالرّجال، فقيه، لغويّ، زاهد، عابد، من العلماء العاملين.

---

(١) ط أبي العرب ١٠٥. (٢) المعالم ٢/٧٢.

(٣) الشجرة ١/٦٩.

(٤) انظر: عن هذا الحديث اللسان ٣/٤٥، وانظر: ترجمة يحيى بن محمد بن خُشيش في اللسان ٦/٢٧٦.

(٥) طبقات الخشني ١٤٢، ٢٣٨، المدارك ٣/٢١٢، الشجرة ١/٧٢، إفادة النصيح ١١٤، مرآة الجنان ٢/٢٢٤، ورقات ٢/١٠٢، فهرسة ابن خير ١٦، ١٤٢، سير أعلام ١٣/٥٧٣، التمهيد ١/٢٢، ٩٦، ١٢١، الإلماع ٩١، مجلة الهداية ٥/٦/١٣٩٩، المرقبة العليا ٣٠، تاريخ قضاة القيروان خط ٣٣، الديباج ١٧٩، المكتبة الأثرية ٣٤، العبر ٢/١٠٨، شذرات الذهب ٢/٢٢٠، عنوان الأريب ٢٤.

طلبه وشيوخه ورحلته:

كان والد عيسى من الصّلحاء، فكان يختلف بابنه إلى من قدر عليه من أهل العلم والصّلاح منذ صغره[(١)].

وقد ابتدأ عيسى الطّلب في العاشرة[(٢)]، فسمع بإفريقيّة من مشايخها[(٣)]، أخذ عن الإمام سحنون الموطأ والمدّونة وجامع عبدالله بن و هب، ولا تزال بعض نسخته من جامع ابن وهب في مكتبة القيروان[(٤)].

كما سمع من محمد بن سحنون جميع كتبه[(٥)]، منها مسنده في الحديث، وشرح الموطّأ وغريب الحديث وغيرها.

وسمع تفسير يحيى بن سلّام الكثير الآثار من موسى بن جرير الأزدي[(٦)]، وسعيد بن حسّان البُرُلُّسِيّ وهو أحد رواة الحديث بإفريقيّة[(٧)]، وغيرهم.

ثمّ رحل في طلب الحديث إلى المشرق، وكانت له رحلتان:

سمع في الأولى بمصر من محمد بن عبدالله البرقيّ، المحدث الفقيه الثقة، له كتاب في رجال الموطّأ وغريبه وغيره من المصنّفات (ت ٢٤٩)[(٨)].

وروى عن الحارث بن مسكين الحافظ، كان ثقة في الحديث ثبتاً (ت ٢٥٠)[(٩)] وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السّرح الحافظ الفقيه، كان من الثّقات الأثبات (ت ٢٥٠)[(١٠)]، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وكان من كبار العلماء (ت ٢٦٨)[(١١)]، وعبدالرحمٰن بن عبدالله بن عبدالحكم صاحب فتوح مصر

(١)، (٢) انظر: المدارك ٣/٢٢٣.

(٣) انظر: هؤلاء الشيوخ وغيرهم في مصادره أعلاه.

(٤) المكتبة الأثرية ٣٤.

(٥) عنوان الأريب ٢٤، تاريخ قضاة القيروان خط ص ١٤.

(٦) ط أبي العرب ١١٧.

(٧) ط أبي العرب مح ٢٠٧.

(٨) الشجرة ١/٦٧.

(٩) حسن المحاضرة ٣٠٨، الشجرة ١/٦٧.

(١٠) حسن المحاضرة ١/٣٠٩.

(١١) الشجرة ١/٦٧، حسن المحاضرة ١/٣٠٩.

والمغرب (ت ٢٥٧)[1]، وأخذ عن محمد بن إبراهيم الإسكندراني، المعروف بابن الموّاز الفقيه الكبير (ت ٢٨١)، روى عنه مصنّفاته، وكتب ابن الماجشون أيضاً[2] وسمع من الرّبيع بن سليمان المُرَادِيّ، وهو محدث ثقة وكان يملي الحديث من حفظه (ت ٢٧٠)[3]، وحدّث عن يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفِيّ، وهو من المحدّثين الثّقات (ت ٢٦٤)[4] وغيرهم.

وسمع بالمدينة من الزُّبير بن بَكّار المحدّث الثقة[5].

وسمع من أبي جعفر هارون بن سعيد الأَيْلِيّ، وهو من أهل الشام ونزل مصر، وكان محدّثاً ثقة فاضلاً (ت ٢٥٣)[6]، وغيرهم.

وقد فاته في رحلته هذه السّماع من الحافظ محمد بن سنجر (ت ٢٥٨)[7]، فرحل مرّة ثانية بسببه، ومحّض رحلته للسّماع منه، وانتهز فرصة نادرة تمكّن من خلالها من استيعاب السماع من ابن سنجر، قال عيسى: «فلمّا دخلت مصر سمعت منادياً ينادي: «من يحسن القراءة فليأت دار أبي عبدالله بن سنجر يقرأ لابن الأمير مسنداً»، قال: فأعلمت المنادي بمكاني من القراءة، ورأيت ذلك فرصة، وكنت أكتب اللّيل كلّه، وأقرأ بالنّهار حتّى كمل نسخه وسماعه فما مرّت تلك الأيّام حتّى مات ابن سنجر»[8].

---

(١) الشجرة ١/٦٧.

(٢) حسن المحاضرة ١/٣١٠، المدارك ٣/٣٧٦.

(٣) التقريب ١/٢٤٥، حسن المحاضرة ١/٣٤٨، وفيه خلط في تاريخ المولد والوفاة.

(٤) التقريب ٢/٣٨٥.

(٥) التقريب ١/٢٥٧، المحن ٢٣٢.

(٦) الإكمال ١/١٣٠، التقريب ٢/٣١٢، وقد ذكرت مصادر ابن مسكين أنه سمع منه في الشام. ولا أرى ذلك يصح لأن أبا جعفر قد نزل مصر، ولم نعرف لعيسى شيوخاً شاميين غيره مما يشكك في دخوله لها.

(٧) انظر عنه: حسن المحاضرة ١/٣٤٨، المدارك ١/٢٢٣.

(٨) المدارك ٣/٢٢٣.

وهكذا تمكّن عيسى من سماع محمد بن سنجر، وأدخله إلى القيروان لأوّل مرّة، كما جاء فيما بين أيدينا من المصادر.

وكان محمد بن سنجر الجُرْجَانِيّ (ت ٢٥٨) من كبار الحفّاظ، وكان عيسى بن مسكين يثني عليه ويذكر أنّه لقي نحو ألف شيخ في الحديث[١].

وبالسّماع من هؤلاء الشّيوخ الذين امتازوا بحفظ الحديث وعلومه أصبح عيسى بن مسكين كثير الحديث والكتب، واسع الرّواية، حتّى وَصفه ابن حارث بأنّه أروى أصحاب سحنون للكتب والآثار[٢]، وقال أبو العرب: «كان كثير الكتب في الفقه والأثر»[٣].

أثره العلمي وتلاميذه:

عاد ابن مسكين إلى القيروان بحصيلة وافرة من الحديث، وجلس يحدّث بمرويّاته، فأقبل عليه طلبة العلم من كلّ البلدان.

وكان من سيرته أن يقرأ حزبه من القرآن بعد صلاة الصّبح، ثم يجلس للطّلبة يحدثهم ويقرأون عليه إلى وقت العصر، أمّا بعد صلاة العصر فكان يعلّم ابنته وبنات أخيه القرآن والعلم[٤].

وكان يحدّث بمسند ابن سنجر وعنه انتشر في إفريقية والأندلس[٧].

كما كان يحدّث بجامع عبدالله بن وهب[٦]، وغيرهما من مرويّاته.

وقد تتلمذ عليه كثيرون، حتّى قال عياض وابن فَرْحُون وغيرهما[٧]: «سمع

(١) انظر: ط الخشني ١٤٣، حسن المحاضرة ٣٤٨/١.

(٢) انظر: المعالم ٨٣/٢، المدارك ٥٩١/١.

(٣) ط أبي العرب مح ٢٤٢.

(٤) انظر: المدارك ٢٢٧/٣.

(٥) انظر: فهرسة ابن خير ١٤٢، فهرس ابن عطية ٦٦.

(٦) انظر: المكتبة الأثرية ٣٤، التمهيد ٩٦/١، المحن ٤٢.

(٧) انظر: الديباج ٢١٢/٣، الديباج ١٧٩.

منه النّاس»، ومن أشهر تلاميذه[1]: حافظ إفريقيّة أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣)، وقد روى عنه حديثاً كثيراً وأخباراً، وخاصّة في كتاب المحن[2] الذي سيأتي التّعريف به في المصنّفات.

وحدّث عنه محمد بن عمر بن خَيْرُون الأندلسيّ، نزيل القيروان[3].

وسمع منه لقمان بن يوسف، العالم بالحديث والرّجال واللّغة (ت ٣١٩)[4].

وروى عنه المحدث عبدالله بن أبي هاشم بن مسرور (ت ٣٤٦)، وأبو الحسن بن محمد الخَوْلَانِي الكانشيّ (ت ٣٤٧)[5].

وتتلمذ عليه بالإجازة أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَانِيّ (ت ٣٦٩)[6].

وسمع منه عبدالله بن حَمُّود السُّلَمي كثيراً (ت ٣٥٧)[7]، وغيرهم، وقد تولّى عيسى بن مسكين قضاء القيروان مجبراً، واشترط لنفسه شروطاً مكّنته من القيام بالحق والحكم بالعدل، وبقي قاضياً قريباً من تسع سنوات، ثم استقال ولم يرتزق من السّلطان شيئاً[8].

نشاطه الحديثيّ، وعلمه به، وبعض آرائه فيه:

تقدّم التّنصيص على سماعه من كثير من المحدّثين وإدخاله لمسند ابن سنجر وغيره من كتب الحديث، ممّا يدلّ على عنايته بالحديث وسعة روايته، وقال تلميذه أبو الحسن الكانشي: «أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب

---

(١) انظر: تلاميذه في المصادر المثبتة أعلاه.

(٢) انظر: كتاب المحن ٤٢، ٤٣، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٣٨.

(٣) التكملة ١/٣٦١.

(٤) الشجرة ١/٨١، الرياض ٢/١٩٣.

(٥) الشجرة ١/٨٥.

(٦) الشجرة ١/٩٥.

(٧) المدارك ٣/٣٧٥.

(٨) انظر: تاريخ قضاة القيروان خط ص٣٣، المرقبة العليا ٣٠، الشجرة ١/٧٣.

ثم قال لي: «كلّها رواية، وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهداً من قول العرب»[9]، وكان مداوماً على إسماع مرويّاته كما تقدّم.

وقد أثنى عليه المترجمون له بالعلم بالحديث، وسعة الرّواية، قال ابن حارث: «وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشهدهم للوقار»[2].

ووصفه أبو العرب بكثرة الكتب في الفقه والآثار[3]، وقال صاحب مرآة الجنان: «كان متمكّناً من الفقه والآثار»[4]، وجاء نحو هذا في شذرات الذهب والعبر[5]. وكان ابن مسكين يحفظ حديثه، ويداوم على مذكراته لئلّا ينساه، قال بعض تلاميذه: «جئت إلى عيسى بن مسكين، فوجدته جالساً على دكّان في المعصرة، وخادم له يردّ الزّيتون، والدّابّة تطحن، وهو يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ من صدره، فقيل له في ذلك فقال: «أعرض حديثي لئلّا أنساه»[6].

كان ابن مسكين يرى قوّة الإجازة كطريق من طرق التّحمّل ويعمل بها، حيث أجاز عدداً من تلاميذه[7]، وكان لا يفرّق بينها وبين السماع في ألفاظ الأداء، وله فيها قول مشهور تناقله المصنّفون قديماً وحديثاً، واستدلوا به على قوّة الإجازة، قال عيسى: «الإجازة قويّة وهي رأس مال كبير، وجائز أن يقول: حدّثني فلان وأخبرني فلان»[8].

توثيقه:

أثنى المصنّفون على ابن مسكين بالعلم والفضل والدّين والورع، قال أبو العرب: «كان ثقة مأموناً ناصحاً ذا سمت وخشوع»[9]، وقال غيره: «كان رجلاً

---

(1) الديباج ١٧٩، المدارك ٣/٢١٣. (2) المعالم ٢/٨٣، المدارك ١/٥٩١.
(3) ط أبي العرب مح ٢٤٢. (4) مرآة الجنان ٢/٢٢٤.
(5) شذرات الذهب ٢/٢٢٠، العبر ٢/١٠٨. (6) المدارك ٣/٢٢٧، ورقات ٢/١٠٤.
(7) انظر مثلاً: المدارك ٣/٤٩٩.
(8) إفادة النصيح ١١٤، الإلماع ٩١، الصلة ١/٢٠٠.
(9) ط أبي العرب مح ٢٤٢، المدارك ٣/٢١٢.

صالحاً فاضلاً» وقال أبو علي البصري: «لو أفردنا كتاباً في ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وورعه وعدله ما انتهينا إلى وصفه»[1]، وقال ابن حارث: «كان ابن مسكين من أهل الفضل البارع والورع الصّحيح»[2]، وقال ابن فَرْحُون: «كان ثقة مأموناً صالحاً»[3]، وقال صاحب الشّجرة: «العالم العامل الفقيه الثّقة الأمين الفاضل القاضي العادل»[4].

وبالجملة فقد كان رحمه الله من المحدّثين الثّقات، والفقهاء المبرّزين، أسهم في نشر السُّنّة بالقيروان وإثراء الحياة العلمية فيها.

٢٨ ــ فُرات بن محمد العَبْدِيّ[5]، أبو سهل (ت ٢٩٢):

محدّث، إخباريّ، عالم بالرّجال والأنساب.

طلبه وشيوخه ورحلته:

سمع فُرات من كبار شيوخ القيروان، وأخذ عنهم الحديث والتّاريخ والأنساب حتى برع فيها، وأصبح أحد كبار رواة الأخبار العارفين بأسماء الرّواة ووفَيَاتهم وغيرها من علوم الحديث.

وقد لازم الإمام سحنون ثم ابنه محمد بن سحنون (ت ٢٥٦).

وسمع من عون بن يوسف الخُزاعي (ت ٢٣٩)، وموسى بن معاوية الصُّمادحيّ المحدّث الثقة (ت ٢٢٥ أو ٢٢٦)[6]، وعبدالله بن أبي حسّان

---

(١) المدارك ٢١٣/٣.

(٢) ط الخشني ١٤٢.

(٣) الديباج ١٧٩.

(٤) الشجرة ٧٣/١.

(٥) طبقات الخشني ١٤١، الشجرة ٧٢/١، البيان المغرب ١٣٩/١، المعالم ٢٤٩/٢، فهرسة ابن خير ١٠، اللسان ٤٣٢/٤، مقدمة الرياض ص١٣٠٢، تنزيه الشريعة ٩٥/١.

(٦) انظر: الرياض ٣٧٦/١، سير أعلام ١٠٨/١٢، فهرسة ابن خير ١٠.

اليَحْصُبِيّ (ت ٢٢٧) وهو محدّث فقيه لغويّ[1]، وأبي زكريا يحيى بن سليمان الحُفَرِيّ (ت ٢٣٧)، ومحمد بن رَشيد الفقيه الثّقة في نقله[2]، وغيرهم[4].

ثمّ رحل إلى المشرق فلقي المحدّثين والفقهاء من كبار أصحاب مالك، وسمع منهم فقد أخذ حديثاً كثيراً عن أبي المُصْعَب أحمد بن أبي بكر الزُّهْرِيّ (ت ٢٤٢)[4]، وسمع من يحيى بن عبدالله بن بُكَير (ت ٢٣١)[5]، وأبي عبدالله أصْبَغ بن الفَرَج (ت ٢٢٥)[6]، ونُعَيْم بن حَمّاد الخُزاعيّ المروزيّ نزيل مصر (ت ٢٢٨)[7]، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٦٨)[8]، ومحمد بن الحضرمي من أهل طرابُلُس الغرب، وهو محدّث فقيه مشهور[9] وغيرهم.

أثره العلمي وتلاميذه وموقف بعضهم منه:

اشتملت كتب التاريخ والطّبقات على نقول كثيرة عن فُرات تتعلّق بتاريخ إفريقيّة، وأسماء رجالها، ووفياتهم، وبعض الأحاديث أيضاً، ففي طبقات أبي العرب فقط نجد أكثر من خمسين خبراً مسنداً عن فُرات[10]، وكذا في كتاب المحن[11] وكتاب رياض النّفوس للمالكيّ[12]، ممّا يدلّ على كثرة علمه وسعة روايته.

وقد أكّد ابن حارث ذلك بقوله: «كان قبله حديث كثير، وكان يغلب عليه الرّواية والجمع ومعرفة الأخبار»[13]، وقال ابن عذاري: «له لسان طويل ومعرفة

---

(١) المعالم ٢/٥٨، الديباج ١٣٣. (٢) ط أبي العرب ١١٠.

(٣) انظر: هؤلاء الشيوخ وغيرهم في المصادر أعلاه.

(٤) التهذيب ١/٢٠، ط أبي العرب مح ١٥٩.

(٥)، (٦)، (٧)، (٨) انظر: اللسان ٤/٤٣٢، المعالم ٢/٢٤٩.

(٩) انظر: المدارك ١/٤٩٠.

(١٠) انظر: طبقات أبي العرب مح ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

(١١) انظر: ص ٤٢، ٨٥، ٣٢١. (١٢) انظر: ١/٨٧، ١٠٤، ٢٨٤، ٢٨٦.

(١٣) ط الخشني ١٤١.

بالأنساب»[1]، وقال صاحب الشّجرة: «الفقيه العالم الرّاوية المحدّث الإخباريّ، العارف بأسماء الرّجال»[2].

وقد تتلمذ عليه كثير من أهل إفريقيّة والأندلس منهم: أبو العرب التّميمي الحافظ، (ت ٣٣٣)، وقد نقل عنه كثيراً من مصنّفاته كما تقدّم، غير أنّه كان يتعقّبه أحياناً إذا كان فيما نقله عنه وهم[3].

وأبو ميسرة أحمد بن نزار الفقيه (ت ٣٣٧)[4]، وأبو جعفر أحمد بن موسى التّمّار (ت ٣٢٩)[5]، وعبدالله بن حَمُّود السُّلَمِيّ (ت ٣٥٧)[6]، وإبراهيم بن عبدالله الزُّبَيْرِي المعروف بالقَلاَنِسِيّ (ت ٣٥٩ أو ٣٦١)[7]، ومحمد بن العُتَيْقِي الأندلسيّ (ت ٣٠٦)[8] وغيرهم.

رأي العلماء فيه:

بالرّغم من سعة علم فُرات فإنه لم يكن مرضيّاً لدى النُّقّاد، بسبب طول لسانه ووقيعته في النّاس وبينهم، حتّى اتُّهم بالكذب.

قال ابن حارث[9]: «كان أعلم النّاس بمعايب النّاس، وأوقع النّاس في النّاس».

وأورد ابن عذارى مثل هذا وزاد عليه «حتّى نُسب إلى الكذب»[10] ومثله ورد في الشّجرة[11].

---

(١) البيان المغرب ١/١٣٩.
(٢) الشجرة ١/٧٢.
(٣) انظر ط أبي العرب ٢٤.
(٤) الرياض ٢/٣٦١.
(٥) المدارك ٣/٣٣٨.
(٦) المدارك ٣/٣٧٥.
(٧) المدارك ٣/٥٢٤.
(٨) تاريخ ابن الفرضي ٢/٣٠.
(٩) ط الخشني ١٤١.
(١٠) البيان المغرب ١/١٣٩.
(١١) الشجرة ١/٧٢.

وذكره صاحب تنزيه الشّرعية في الفصل الذي خصّصه للوضّاعين والمتّهمين بالكذب والوضع ونحوهم، ونقل عن ابن حارث أنه قال فيه: «كان متّهماً بالكذب أو معروفاً به»[1].

وقال ابن حجر في اللّسان: «كان ضعيفاً متّهماً بالكذب أو معروفاً بـه»، والخلاصة في حاله أنه ضعيف متهم بالكذب[2].

٢٩ ــ لقمان بن يوسف الغَسَّانِيّ[1]، أبو سعيد (ت ٣١٩ أو ٣١٨):

محدّث، عالم بـالرّجـال والتّاريـخ، لغويّ، مقـرىء، متفنّن في كثير من العلوم، مع تحلّيه بالزّهد والورع.

طلبه وشيوخه ورحلته:

كان لقمان كثير الشّيوخ، حريصاً على الطّلب، شارك أبا العرب في السّماع من شيوخه الذين زادوا على المائة وعشرين شيخاً[4]:

منهم عيسى بن مسكين المحدّث المتفنّن في العلوم (ت ٢٩٥)، ويحيى بن عمر الأندلسيّ نزيل القيروان، وهو فقيه محدّث ثقة (ت ٢٨٩)[5]، وحِمَاس بن مـروان القاضي الفقيـه (ت ٣٠٤)[6]، وعبدالجبّـار بن خـالـد السُّـرتي من كبـار أصحاب سحنون (ت ٢٩٣)[7]، ومحمد بن بِسْطَام الضَّبِّيّ (ت ٣١٣)[8] وغيرهم.

ثم رحل إلى مصر فسمع بها حديثاً كثيراً، كما في المصادر[9].

---

(١) تنزيع الشريعة ١/٩٥. (٢) اللسان ٤/٤٣٢.

(٣) ط الخشني ١٧١، الشجـرة ١/٨١، الريـاض ٢/١٩٣، المدارك ٣/٣١١، القـراءات بإفريقية ٢٩٥.

(٤) انظر: المدارك ٣/٣١٢، الديباج ٢٥٠.

(٥) انظر: الرياض ١/٤٩٠، تاريخ رواة العلم ٢/١٨١.

(٦) انظر: المعالم ٢/٣٢٠، سير أعلام ١٤/٢١٥.

(٧) الرياض ١/٤٦٣. (٨) الرياض ٢/١٨١.

(٩) انظر مثلاً: ط الخشني ١/١٧١، الشجرة ١/٨١.

فقد أخذ الحديث عن علي بن عبدالعزيز، ويحيى بن أيّوب العَلَّاف، وغيرهما[1]. وقرأ على محمد بن سعيد الأَنْمَاطِيّ والوَدَّانِيّ[2].

أثره العلمي وتلاميذه:

أطنبت المصادر في ذكر علم لقمان بالحديث وغيره، غير أنّها لم توضّح لنا مدى أثره في نشر علومه ومرويّاته.

قال الخُشَنِيّ: «كان عالماً باللّغة وبصيراً بالحديث وعارفاً بالرّجال»[3].

وجاء في المدارك أنه: «كان عالماً باللّغة والرّجال والقرآن»[4].

وقال صاحب الشّجرة[5]: «الثقة العارف بأخبار القيروان وأخبار شيوخها العارف باللّغة والحديث والرّجال».

وقال المالكي[6]: «يذكر أنّه كان عالماً باثني عشر صنفاً من العلوم».

وكان له مجلس يحدّث فيه، وقد «سمع منه النّاس» كما في المدارك[7] واشتهر مجلسه بالحسن وغزارة الحديث والأخبار[8]، غير أنّ المصادر لم تذكر له بالتّحديد إلا تلميذاً واحداً جاء في ثنايا ترجمته وهو: أبو العبّاس عبدالله بن أحمد المعروف بالأبياني (ت ٣٥٢) قال أبو العبّاس: كنت أسمع من يحيى بن عمر، ثم آتي لقمان فأفسّر عليه ما أشكل عليّ، فسألني عن ذلك يحيى فأخبرته، فقال لي: «قل حدّثني يحيى بن عمر ونبأني بمعناها لقمان بن يوسف»[9]، ولعلّ السبب في قلّة المادّة حول أثره بالقيروان أنّه بقي أربعة عشر عاماً في صِقِلِّيَّة ينشر العلم حتّى انتفع به خلق كثير من أهلها[10].

---

(١)، (٢) انظر: المدارك ٣/٣١١.

(٣) ط الخشني ١٧١.

(٤) المدارك ١/٣١١.

(٥) الشجرة ١/٨١.

(٦) الرياض ٢/١٩٣.

(٧) المدارك ٣/٣١٢.

(٨) ط الخشني ١٧١، المدارك ٣/٣١٢.

(٩) المدارك ٥/٢٩٧.

(١٠) انظر: الرياض ٢/١٩٣.

توثيقه:

وقد أثنى عليه المترجمون له ووثّقوه، قال الخُشَنِيّ: «كان من الصُّوَّم القُوَّم»[1]، وكان تلميذه الأبياني يثني عليه كثيراً، كما أثنى عليه أبو العرب، وهو من أقرانه، وقال أبو عبدالله الخراط[2]: «كان ثقة صالحاً متقشّفاً»، ووثّقه صاحب الشّجرة أيضاً كما تقدم.

٣٠ ـ محمد بن أحمد بن تميم بن تَمّام التَّمِيمِيّ[3]، **أبو العرب (حوالي ٢٥٠ ـ ٣٣٣):**

حافظ إمام في الحديث والرّجال، من كبار المؤرّخين للرّواة، فقيه، شاعر.

طلبه للحديث والفقه:

ينحدر أبو العرب من عائلة وجيهة، فقد كان جدّه تمام إميراً على تونُس[4]، ولذلك كان يتزيا بلباس أبناء السّلاطين في صغره، وقد ارتبط ابتداء طلبه المبكّر بقصّة طريفة حكاها أبو العرب نفسه، قال: «أتيت يوماً وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن سلّام[5] (ت ٢٦٢) فرأيت عنده الطّلبة، ورأيت أمراً أعجبني،

---

(١) ط الخشني ١٧١.

(٢) المدارك ٣/٣١٢.

(٣) الرياض ٢/٣٠٦، المدارك ٣/٣٣٤، المعالم ٣/٣٦، الشجرة ١/٨٣، الديباج ٢٥٠، تراجم المؤلفين ٣/٣٥٩، سير أعلام ١٥/٣٩٤، الأعلام ٦/٢٠٠، تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٩، مقدمة طبقات أبي العرب ٢٣، مقدمة كتاب المحن ٥، طبقات الخشني ١٧٣، طبقات الحفاظ ٣٦٤، تاريخ التراث العربي ١/٢/٢٣٦، كشف الظنون ٢/١١٢٢، هدية العارفين ٦/٣٧، القراءات بإفريقية ٢٩٥، عنوان الأريب ٢٨، فهرسة ابن خير ٢٩٧، ٣٠١، الوافي بالوفيات ٢/٣٩.

(٤) انظر: المدارك ٣/٣٣٤، سير أعلام ١٥/٣٩٤، البيان المغرب ١/٨٩ ـ ٩٢.

(٥) هكذا في المعالم والمدارك، وبعض نسخ الرياض كما أشار المحقق إلى ذلك وجاءت في نسخة القاهرة يحيى بن محمد بن سلام. وأخذ بها المحقق لأن أبا العرب أكثر من الرواية عن يحيى، والصواب أنه محمد بن يحيى كما في المصادر، وقد لحقه أبو العرب =

وركنت إليه نفسي، فعاودت الموضع، وكنت آتي إليه والطرطور على رأسي ونعلي أحمر في رجلي، في زيّ أبناء السّلاطين، وكان الطلبة ينقبضون منّي من أجلِ ذلك الزّيّ، فقال لي رجل يوماً بجواري: «لا تتزيّ بهذا الزّيّ فليس هو زيّ طلبة العلم وأهله، وزهّدني»[1]، عند ذلك طلب من والدته أن تسمح له أن يلبس ثياب أهل العلم ولكنّها رفضت، فاحتال حتّى اشترى ثياباً، ووضعها في بعض الدّكاكين، فإذا جاء لطلب العلم مرّ على ذلك الدّكّان وغيّر ملابسه فإذا انتهى الدّرس أعادها وهكذا. . . وكان في أوّل أمره يكتفي بالاستماع دون الكتاب فقال له أحد الطّلبة: «أراك تلازم هذا المجلس وتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئاً ممّا تسمع بيدك، يكون عندك، ما هذا حقيقة العلم). فقال له: «والداي رغبا عن هذا وعن المعونة عليه وما مكّنّا من شيء اشتري به الرّق»، فوفّر له ذلك الرّجل الجلد الذي يكتب عليه مقابل أن ينسخ له نسخة من كلّ ما يكتبه، وبقي كذلك حتّى يسّر الله له ما يشتري به الرّقّ ويقوي به على الطّلب.

وهذا يدلّنا على أنّ بداية أبي العرب للطّلب كانت مبكّرة جداً إلى درجة أنّه لم يكن يلبس شيئاً أو يشتريه إلا بموافقة والديه، كما يدلّنا على شدّة رغبته وحرصه؛ إذ لم تثنه عن عزمه الصّعوبات التي واجهها من والديه، واحتال حتّى تغلّب عليها، فلا عجب أن أصبح بعد ذلك من كبار علماء إفريقيّة والمغرب.

شيوخه ومروياته:

كان أبو العرب مكثراً من لقيّ العلماء، فقد أخذ عن كلّ من عنده علم من شيوخ إفريقيّة وممّن دخلها من أهل البلدان كما في المصادر، وسمع من خلق كثير[2] وقد زاد عدد شيوخه على المائة وعشرين شيخاً[3]، بالرّغم من أنّه لم

= وعليه ابتدأ الطلب إلا أنه لم يكثر الأخذ عنه لأنه لمّا توفي كان عمر أبي العرب قريباً من اثني عشر عاماً.

(١) الرياض ٣٠٧/٢، المدارك ٣٣٥/٣، المعالم ٣٧/٣.

(٢) انظر: الرياض ٣٠٦/٢.

(٣) انظر: المدارك ٣٢٤/٥، المعالم ٤٢/٣، الشجرة ٨٣/١.

يتمكّن من الارتحال خارج إفريقيّة، وبعد تتبع ما جاء في كتابيه الواصلين إلينا، وهما كتاب طبقات علماء إفريقيّة[1] وكتاب المحن[2]، وما جاء مسنداً عنه في بقيّة الكتب الإفريقيّة تمكّنت من أن أعثر له على سبعة وثمانين شيخاً.

ولقد تلقّى أبوالعرب ـ فيما ظهر لي ـ جميع المصنّفات التي كانت موجودة في إفريقيّة في تلك الفترة مثل: الموطّأ، وجامع سفيان الثّوري الكبير وجامعهُ الأوسط، ومسند محمد بن سنجر أخذه عن عيسى بن مسكين[3]، وجامع عبدالله بن وهب وتفسير يحيى بن سلّام والمدوّنة، وكتب محمد بن سحنون، مثل: المسند وغريب الحديث وشرح الموطّأ وغيرها، وسماع خالد بن أبي عمران من تابعي أهل المدينة[4]، ومصنَّف عبدالرّزّاق[5] وكثير من كتب الرّجال والجرح والتّعديل التي كان يشير إليها في ثنايا طبقاته[6]، وسماع عبدالرحمٰن الإفريقي[7].

هذا بالإضافة إلى كتب المغازي والفتوح والتّاريخ، مثل: مغازي الواقدي، وكتاب فتوح إفريقية لعيسى بن أبي المُهاجِر، وكتاب أبي بكر السّوسي وغيرها[8].

وكان أبو العرب ينقّب ويبحث عن حديث المتقدّمين من محدّثي إفريقيّة، قال في ترجمة رباح بن يزيد: «طلبت حديثه فما وجدت منه إلا كتاباً واحداً»[9]، وقال في ترجمة عبدالرحمٰن بن زياد: «إنما وجدنا عنه كتابين فقط حدّثني بهما عبدالله بن أبي زكريّا... وفُرات»[10].

وقد استدعى أبو العرب للإجازة جماعة من الشّيوخ لم يتمكّن من لقيّهم،

---

(١)، (٢) سيأتي التعريف بهما في فصل المصنفات في الباب الثالث.
(٣) انظر: الرياض ٢/٣٠٩.
(٤) الطبقات ٢٤٥.
(٥) ط الخشني ١٧٣.
(٦) انظر: ط أبي العرب ٢٤، ٢٧، ٣٣.
(٧) انظر: ط أبي العرب ٣٠.
(٨) انظر: ط أبي العرب ٨، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٢.
(٩) انظر: ط ٤٧.
(١٠) انظر: ط ٣٠.

منهم عمرو بن ثور الشّاميّ[1]، وكان أبو العرب دقيقاً في التّعبير عن الإجازة عند الأداء فهو يطلق عليها لفظ أخبرنا ويقيّدها بكونها إجازة، فيقول: أخبرني فلان إجازة[2].

ولم يكن أبو العرب يستنكف من السّماع من تلاميذه وأقرانه إذا لمس عندهم علماً، فقد تَدَبَّج[3] بجماعة من المحدّثين منهم: قاسم بن مَسْعَدة البَكْرِيّ الأندلسيّ (ت ٣١٧)، قال أبو العرب: «جاءني قاسم بن مَسْعَدة ليسمع منّي، فرأيت عنده علماً بالحديث وتمييز الرّجال فأخذت عنه»[4].

كان يستفيد من أهل الرّحلة في طلب الحديث، فقد قال عن محمد بن عبدالعزيز القُرْطُبي المعروف بالخَرَّاز (ت ٢٩٣): «سمع معي من مشايخنا الآثار... ثمّ رحل إلى الشّام فسمع بها، وسمع بمصر وبمكّة، وكان يدري الحديث، فلمّا قدم القَيْرَوان سمعت أنا منه»[5].

تقدّمه في معرفة الحديث وعلومه، واعتماد النّقاد كلامه في الرّجال:

لقد نتج عن هذا التّتبّع الكبير للحديث وعلم الرّجال أن أصبح أبو العرب إماماً في هذا المجال، شهد له بذلك القاصي والدّاني، قال أبو عبدالله الخَرَّاط: «كان رجلاً صالحاً ثقة عالماً بالسُّنن والرّجال، من أبصر أهل وقته بها، كثير الكُتب... كَتب بخطّه كثيراً في الحديث والفقه»[6]، وقال تلميذه الخُشَني: «تغلب عليه الرّواية والجمع»[7]، وقال ابن أبي دُلَيْم: «غلب عليه الحديث، والرّجال، وتصنيف الكتب، والرّواية، والإسماع»[8].

---

(١)، (٢) انظر: المحن ٤٥.

(٣) تقدم تعريف التّدبيح ص ٢١٩.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ١/٤٠٤.

(٥) تاريخ ابن الفرضي ٢/٢١.

(٦) المدارك ٣/٣٣٤.

(٧) ط الخشني ١٧٣.

(٨) المدارك ٣/٣٣٥.

وذكر الدّبّاغ أنّه كان متقدّماً في علم الأثر، ومعاني الحديث[1]، وقال الذّهبيّ في تذكرة الحُفّاظ[2]: «الحافظ المؤرّخ... غلب عليه علم الحديث والرّجال». وقال نحو هذا في سير الأعلام[3]، وقال صاحب الدّيباج[4]: «كان عالماً بالسّنن والرّجال من أبصر أهل وقته بها»، وقال السّيوطيّ في طبقات الحفّاظ نقلاً عن عياض: «غلب عليه الحديث والرّجال»[5]، ووسمه ابن حَجَر بأنّه «حافظ القيروان»[6].

وهكذا كلّ من ذكره أشار إلى تقدّمه في علوم الحديث، ووصفه بالحفظ والضّبط.

وأضحت مصنّفات أبي العرب، وخاصّة في الرّجال، عمدة من جاء بعده، فلا نجد مؤلّفاً إلّا منها أفاد وعنها نقل، وهم عالة عليه في أخبار إفريقيّة ورواتها، يستوي في ذلك أهل المغرب والأندلس[7]، ومن تعرّض إلى الأفارقة من أهل المشرق، كابن حَجَر والذّهبيّ[8]، كما اعتمد النُّقّاد كلامه في التّعديل والتّجريح[9]، ولا نجد أحداً تكلّم في الرّجال من أهل إفريقيَّة مثلما تكلّم أبو العرب، وهو الوحيد بحسب علمي الذي صنّف في ذلك كتاباً مستقلّاً، هو كتاب: «ثقات المحدّثين وضعافهم»، وقد نقل عنه ابن حجر وغيره واعتمد كلامه[10].

---

(١) انظر: المعالم ٣/٣٦.
(٢)، (٣) تذكرة الحفّاظ ٣/٨٨٩، سير أعلام ١٥/٣٩٤.
(٤) الدّيباج ٢٥٠.
(٥) ط الحفاظ ٣٦٤. (٦) اللسان ٧/٩٤.
(٧)، (٨) انظر مثلاً: اللسان ٤/٣٨٢، التهذيب ٥/٣٣٢، الإصابة ١/٣٧٢، سير أعلام ٢/٦٨، ١٠٨، نفح الطيب ٣/٩، وفيات الأعيان ٣/١٨٠، تاريخ ابن الفرضي ١/٤٠٤، أما رياض النفوس وترتيب المدارك فالنقول فيهما عن أبي العرب لا تحصى.
(٩)، (١٠) انظر مثلاً: اللسان ١/١٢٧، التهذيب ٦/٢٣٤، والكتاب المفقود وسيأتي التّعريف به في المصنّفات.

وكان لأبي العرب علم بتمييز الرّجال، وكان يتعقّب شيوخه فيما يخطئون فيه، ومن ذلك قوله: «قال لي فُرات (ت ٢٩٢) كلّ من روى عنه عبدالرّحمٰن بن زياد (ت ١٦١) فهو من أهل إفريقيَّة أو ممّن دخلها إلا مسلم بن يسار»، ثم تعقّبه أبو العرب قائلاً: «يحسب فُرات أنّه مسلم بن يسار البصري، ومسلم بن يسار هذا الذي روى عنه عبدالرحمٰن هو من أهل إفريقيَّة»، ثم دعّم قوله بما ذكره الإمام أحمد، ويحيى بن معين[1].

وإذا كان كتاب طبقات علماء إفريقيَّة يدلّ على سعة علم أبي العرب بالرّجال ومكانته من علوم الجرح والتّعديل فإن كتاب المِحَن يدلّ على سعة روايته للحديث وعلمه بالتّواريخ والأخبار، وينطق الكتابان بأنّ أبا العرب كان محدّثاً دقيقاً، أميناً، يورد الأحاديث والأخبار بأسانيدها، ويعزو كلّ معلومة إلى قائلها، وذلك واضح في الكتابين المذكورين كما سيأتي عند التّعريف بهما في المصنّفات.

شيوخه:

أمّا شيوخ أبي العَرَب الذين زادوا عن المائة وعشرين، وعثرت منهم على سبعة وثمانين شيخاً ـ كما تقدّم ـ فقد عُرف أكثرهم بمعرفة الحديث وعلومه، وسأكتفي بذكر نماذج لبعض من اشتهروا بحمل الحديث وروايته، فمن أهل إفريقيَّة: أحمد بن مُعَتِّب الأَزْدِيّ (ت ٢٧٧)[2]، أحمد بن يزيد القُرَشي (ت ٢٨٤)[3]، بَكر بن حمّاد التَّاهَرْتي نزيل القيروان (ت ٢٩٦)[4]، جَبَلة بن حَمُّود الصَّدَفِي (ت ٢٩٩)[5]، سعيد بن إسحاق الكَلْبي (ت ٢٩٤ أو ٢٩٥)[6]، سعيد بن

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٤.

(٢) المدارك ٣/٢٣٠، المحن ٣٩.

(٣) الرياض ١/٤٧٣، المحن ٤١، ط أبي العرب ١٩.

(٤) المعالم ٢/٢٨١، المحن ٤٠، ط أبي العرب ٣٧.

(٥) الشجرة ١/٧٣، ط أبي العرب ٢٩، المحن ٤٥٤.

(٦) المدارك ٥/٤٠٩، المحن ٤٠، ط أبي العرب ٨٤.

محمد بن صُبيح المعروف بابن الحدّاد (ت ٣٠٢)[١]، سليمان بن سالم (ت ٢٨٩)[٢]، عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)[٣]، فُرات بن محمد العَبْدي (ت ٢٩٢)[٤]، لقمان بن يوسف (ت ٣١٨ أو ٣١٩)[٥]، مالك بن عيسى القَفْصِي (ت ٣٠٥)[٦]، يحيى بن محمد بن سلّام (ت ٢٨٠)[٧] وغيرهم.

وأمّا غير الأفارقة فمنهم: «أبو عبدالله محمد بن عُبيد الله المعروف بالدَّبَّاج (ت ٣١٧)[٨]، محمد بن عبدالعزيز المعروف الخَرَّاز (ت ٢٩٣)[٩]، قاسم بن مَسْعَدة البَكْرِي (ت ٣١٧)[١٠]، سعيد بن شعبان بن قُرَّة (ت ٢٩٥)[١١]، وغيرهم.

أثره العلمي والحديثي وتلاميذه:

عايش أبو العرب قيام دولة العُبَيديّين، ورأى كيدهم للسُّنّة، وأهلها، بل وتعرّض للحبس والتّقييد في سجونهم[١٢]، كما هو الحال بالنّسبة لكثير من العلماء، وطُبِّقت عليه الإجراءات المُشدّدة في منع العلماء من التّدريس والفتوى، إلا أنّ ذلك لم يزده إلّا سعياً لنشر السُّنّة وإحيائها، وتوعية النّاس بخطر الرّافضة على الإسلام، فقد غلبت عليه الرّواية والإسماع كما في المصادر، وكان بيته مفتوحاً لطلبة العلم الذين أقبلوا عليه لسماع مرويّاته الكثيرة، ومصنّفاته العديدة، كعوالي حديثه، ومسند حديث مالك، وغيرها كما سيأتي عند ذكر مؤلّفاته، وقد

(١) الرياض ٥٨/٢، المعالم ٣٦/٣.
(٢) المدارك ٢٣٣/٣، ط أبي العرب ٤٧.
(٣) سير أعلام ٥٧٣/١٣، ط أبي العرب ٣، المحن ٤٢.
(٤) المعالم ٢٤٩/٢، ط أبي العرب ٢٩، المحن ٤٤.
(٥) الشجرة ٨١/١، الرياض ١٩٣/٢.
(٦) ط أبي العرب مح ٢٤٩، ورقات ٣١٩/٢، المحن ٢٠٨.
(٧) ط أبي العرب ٣٨، المحن ٤٧.
(٨) تاريخ ابن الفرضي ٣٩/٢.
(٩) تاريخ ابن الفرضي ٢١/٢.
(١٠) تاريخ ابن الفرضي ٤٠٤/١.
(١١) المحن ١٥٦، ١٥٨.
(١٢) انظر: الديباج ٢٥٠، المدارك ٣٣٥/٣.

كثر الآخذون عنه، فقد «روى عنه النّاس» كما في الدّيباج[1] وغيره، وفي المعالم[2]: «أخذ عنه... أمم لا يحصون»، منهم: ابناه أبو العبّاس تَميم ويقال تمّام (ت ٣٧١)[3]، وأبو جعفر أحمد ويقال تَميم[4]، وهذا الأخير رحل إلى الأندلس وحدّث فيها بكتب أبيه إلا أنّ أخاه ضعّفه ونفى سماعه تلك الكتب من أبيهما[5]، والحافظ الفقيه أبو محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[6]، والحسين بن سعيد الخَرَّاط (ت بعد ٣٥٠) وكان عالماً بالرّجال والتاريخ، نقل عنه المصنّفون[7]، وربيع بن سليمان القَطَّان (ت ٣٣٣)[8]، ومحمد بن حارث الخُشني (ت ٣٦١)، صاحب الطّبقات[9]، ومحمد بن الحسن الزَّوِيلِيّ (ت ٣٨٣)، ومحمد بن عبدالله بن يحيى اللَّيْثيّ القُرْطُبيّ (ت ٣٣٩) وكانت له عناية بالحديث[10]، ومحمد بن قاسم بن حَزْم (ت ٣٤٤)، كانت له مشاركة في الحديث[11] وغيرهم[12].

وقد انتشرت مرويّات أبي العَرَب ومصنّفاته عن طريق هؤلاء التّلاميذ في إفريقيَّة والأندلس ككتاب المحن، ومناقب سَحنون وغيرهما[13].

ولم يكن أبو العرب يدع أيّ فرصة لنشر العلم إلا واستفاد منها، بل كان يعمل على إيجاد هذه الفرص، ولذلك نجده يستفيد من تجمّع العلماء والصّلحاء في ساحة الجهاد عندما خرجوا لقتال بني عُبَيد في المَهْدِيَّة، ويحدّثهم بكتابي

---

(١) انظر: الديباج ٢٥٠.
(٢) المعالم ٣/٣٦.
(٣) المعالم ٣/٩٧.
(٤) التكملة ١/١٢٧، المعالم ٣/٣٥.
(٥) انظر: المدارك ١/٥٣٣.
(٦) المعالم ٣/٣٦، الديباج ٢٥٠.
(٧) انظر: الرياض ١/٢٤، ٢/١٢٨، ١٣٥، المدارك ٣/٣٣٤.
(٨) الشجرة ١/٨٣، ط الخشني ١٧٩.
(٩) مقدمة المحن ٧.
(١٠) تاريخ ابن الفرضي ٢/٦١.
(١١) تاريخ ابن الفرضي ٢/٦٦.
(١٢) راجع مصادره أعلاه.
(١٣) انظر: فهرسة ابن خير ٢٦٥، ٢٩٧، ٣٠١.

الإمامة لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) وقال بعد إتمامها: «لَسماع هذين الكتابين عليَّ هنا أفضل من كلّ ما كتبت»[١].

وكان أبو العَرَب أحد من نظّم عمليّة الخروج على الرّافضة، وساهم في توعية النّاس بخطر العُبَيديّين على السّنّة، بل إنّه كان السّبب في اتّحاد كلمة العلماء والنّاس على الخروج، حيث اجتمع العلماء في المسجد، وتناظروا في أمر الخروج، فأَسكت أبو العرب النّاس، ثم قال: «حدّثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبدالله بن سنجر يرفعه إلى النّبيّ ﷺ أنّه قال: «يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفّار»، فلمّا أتمّ الحديث كبّر النّاس وارتفعت أصواتهم ثم خرجوا»[٢]، قال صاحب المعالم: «وهذا يدلّك على كمال عدالته وصحّة نقله، ولولا ذلك ما اتّفقوا بعد الاختلاف»[٣].

---

(١) المدارك ٣/٣٣٥، المعالم ٣/٣٧، سير أعلام ١٥/٣٩٥.

(٢) الرياض ٢/٣٠٩، المعالم ٣/٣٥، والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده بنحوه ٤/٤٥٩/ ٢٥٩، وذكره ابن حجَر بنحوه في المطالب العالية ٣/٩٤، وعزاه إلى أبي يعلى وعبد بن حميد، وأخرجه أبو نُعيم في الحلية ٤/٩٥ وقال: غريب تفرّد به الحجّاج (ابن تميم)، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/١٥٧ كلّهم من طريق ابن عباس. وأعلّه ابن الجوزي بعمران بن زيد، حيث نقل قول ابن معين فيه: «لا يحتجّ به» وتعقّبه إرشاد الحقّ محقّق العلل بأنّ عمران حديثه حسن بالنّظر في مجموع أقوال النّقاد فيه (انظر: التهذيب ٨/١٣٢)، وذكر أنّ العلّة فيه من الحجّاج بن تَمِيم قلت: وهو كما قال؛ فإنّ حجّاجاً ضعيف (التقريب ١/١٥٢، الميزان ١/٤٦١). فالحديث ضعيف بهذا الإسناد، غير أنّ له شاهداً مختصراً من طريق علي يتقوّى به. أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند ١/١٠٣، والخطيب في موضّح أوهام الجمع والتّفريق ٢/٣٢٣، والبخاري في تاريخه ١/٢٧٩، ٢٨٠، وأبو نُعيم في الحلية ٤/٣٢٩ وقال: غريب، وذكره ابن حَجَر في تعجيل المنفعة عن المسند ١٤، وسند هذا الحديث أيضاً ضعيف فإن فيه يحيى بن المتوكّل وكثير بن إسماعيل النّوّاء وهما ضعيفان (التقريب ٢/٣٥٦، ٢/١٣١).

وأخرجه الخطيب في موضّح أوهام الجمع والتّفريق ٢/٣٢٣، بسند آخر غير أنّه ضعيف أيضاً فيه محمد بن عمرو الهاشمي، وهو مجهول (التقريب ٢/١٩٦)، وتَلِيد بن سليمان، وهو شيعيّ ضعيف (التقريب ١/١١٢).

(٣) المعالم ٣/٣٥، ٣٧.

وهكذا كان دأب أبي العرب: نشر العلم والتّصنيف فيه، ومجاهـدة بني عُبيد باللّسان والقلم ثمّ بالسيّف، وقد توفّي رحمه الله تعالى بعد القتال الذي قاده علماء القيروان ضد العُبَيديّين سنة ٣٣٣ هـ.

تـوثيقــه:

أجمع النّقّاد والمترجمون له من أهل المشـرق والمغرب على تـوثيق أبي العرب، ولهجوا بالثّناء عليه، وعدّوه من كبار الأئمّة الحفّاظ، فقد بالغ في توثيقه تلميذه أبو عبدالله الخرّاط القيرواني كما تقدم، وقال المالكي[1]: «كان ضابطا لكتبه كثير التّقييد»، ووثّقه الدّبّاغ في المعالم في عدّة مواضع منها قوله: «كان ثقة ثبتاً صحيح التّقييد ضابط الرّواية»[2] وقال صاحب الدّيباج[3]: «كان رجلاً صالحاً، ثقة، عالماً بالسّنن والرّجال من أبصر أهل وقته بها».

وذكره الذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ، وهو لا يـذكر فيـه إلا الثقات، ولقّبـه بالحافظ[4]، ولقّبه في سير الأعلام بالعلاّمة ذي الفنون[5]، كما ذكره السّيوطيّ في طبقات الحفّاظ[6]، ووسمه ابن حجر بأنّه «حافظ القيروان»[7]، واعتمد كلامه في نقد الرّواة كما تقدم.

مـصنّفاتــه[8]:

أشارت المصادر إلى كثرة تصانيف أبي العرب واعتنائه بالتّقييد واهتمامـه

---

(١) الرياض ٢/٣٠٩.

(٢) المعالم ٣/٣٦، وانظر: ١/٧٠، ٣/٥٣.

(٣) الديباج ٢٥٠.

(٤)،(٥) تذكرة الحفّاظ ٣/٨٨٩، سير أعلام ١٥/٣٩٤.

(٦) ط الحفّاظ ٤٦٤.   (٧) اللّسان ٧/٩٤.

(٨) انظر: هذه المصنّفات في مصادره وخاصّة المدارك ٣/٣٣٤، الدّيباج ٢٥٠، تراجم المؤلّفين ٣/٣٥٩، الأعلام ٦/٢٠٠.

بضبط مرويّاته ومصنّفاته كما قدمت، وقد ذكر هو نفسه أنّه كتب بيده ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب[1]، وقد عرفنا من مؤلّفاته:

ـ كتاب طبقات علماء إفريقيّة، وهو مطبوع وسيأتي التّعريف به.

ـ كتاب المحن وقد طُبع مؤخّراً، وسيأتي التّعريف به في المصنّفات.

ـ كتاب ثقات المحدّثين وضعافهم، وقد نقل عنه ابن حجَر كثيراً، وكان أحياناً يسمّيه كتاب الضعفاء[2]، ولذلك ظنّ صاحب تراجم المؤلّفين أنهما كتابان وهو كتاب واحد، وتوجد منه قطعة في مكتبة جامع القيروان[3]، وهو المصنّف الوحيد في بابه عند القرويّين فيما أعلم.

ـ كتاب التّاريخ وهو كبير، يصل إلى ١٧ جزء، ويبدو أنّه مصنف على الحوليّات؛ إذ قد جاء في رياض النّفوس في صدر ترجمة ابن الحداد: «قال أبو العرب: ثمّ كانت سنة اثنتين وثلاثمائة، وفيها توفّي أبو عثمان سعيد بن محمد...»[4]، ولا شكّ أنه نقل عن كتاب التّاريخ، كما نقل عنه الدّبّاغ والقاضي عياض[5].

ـ كتاب عوالي حديثه كتاب مسند حديث مالك ممّا ليس في الموطّأ[6].

ـ طبقات رجال إفريقيّة أو طبقات أهل القيروان[7]، وهو فيما يبدو كبير

(١) انظر: الرّياض ٣٠٦/٢، الشّجرة ٨٤/١، المدارك ٣٣٤/٣.
(٢) انظر اللّسان ١٢٧/١، ٣٦/٥، التّهذيب ٢٥٥/٢، ٢٣٤/٦.
(٣) ذكر سزكين أنّها في مكتبة ح.ح عبدالوهاب نقلاً عن الزّركلي وأخطأ في ذلك؛ إذ بعد البحث تبيّن لي أنّها في مكتبة جامع القيروان، وقد بذلت جهوداً مضنية دون أن أتمكّن من الاطّلاع عليها.
(٤) الرياض ٥٧/٢، وقد لاحظ ذلك أيضاً محقّق الكتاب.
(٥) المعالم ٤٣/٣، المدارك ٣٢٤/٥.
(٦) جاء في المصادر «مسند حديث مالك» وأكملت العنوان من الطّبقات ٣٥، ولعلّهما كتابان.
(٧) انظر: الإصابة ٣٧٢/١، التّهذيب ١٧١/٢، تاريخ التّراث العربي ٢٣٦/٢/١.

جدّاً، ولعلّ كتاب علماء إفريقيَّة الواصل إلينا مستخرج منه كما هي عادة كثير من علماء المسلمين المتقدّمين.

ـ طبقات عُبّاد **إفريقيَّة** وهو خاصّ بالعُبّاد وأهل الزّهد.

ـ كتاب فضائل مالك ـ كتاب فضائل سَحنون ـ كتاب **مناقب** بني تَميم ـ كتاب في موت العلماء (جزآن) ـ كتاب ذكر الموت وعذاب القبر ـ كتاب الجنائز ـ كتاب الوضوء والطّهارة ـ كتاب الصّلاة ـ كتاب طبقات أهل البصرة[1] ـ كتاب طبقات المفسّرين انفرد بذكره ابن حَجَر حيث نقل عنه في اللّسان[2].

٣١ ـ محمد بن تَميم بن أبي العرب التّميمي[3]، أبو العَرَب، وهو حفيد السّابق (٣٣٧ ـ ٤١٧):

وهو محدّث واسع الرّواية، عالم بالرّجال والتّاريخ، كثير الشّيوخ، سمع في كثير من حواضر العالم الإسلامي، غير أنّ المادّة العلميّة قليلة حوله.

سمع بالقيروان من أبيه تَمِيم المحدّث[4]، وأكثر عنه، وسمع غيره من علماء القيروان؛ فقد لقي ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)، والقابِسيّ (ت ٤٠٣)، وأبا عِمران الفاسي (ت ٤٣٠)، وغيرهم من كبار محدّثي القيروان وفقهائها، ثمّ رحل إلى المشرق سنة ٣٧١ هـ[5] وطاف بلاداً كثيرة في طلب العلم حيث سمع بمصر والشّام والحجاز، كما سمع بالأندلس[6]، وقد ذهب إليها تاجراً سنة ٤١٦ هـ[7]، ولعلّه حدّث بها أيضاً؛ إذ كانت رحلته إليها في آخر حياته وقد تَرَأس في العلم.

(١) انفرد بذكره صاحب تراجم المؤلّفين ٣/٣٥٩، وعزاهُ إلى المكتبة الوطنية بتونُس رقم ١٥١.
(٢) اللّسان ٦/٢٦٠.
(٣) المعالم ٣/١٥٨، الصّلة ٢/٥٦٧.
(٤) تقدّمت ترجمته رقم ٧ في المحدّثين.
(٥) المعالم ٣/١٥٨، الصّلة ٢/٥٦٧.
(٦) المعالم ٣/١٥٨.
(٧) الصلة ٢/٥٦٧.

وكان محمد كثير الحديث، ثقة، ضابطاً، متحرّياً، قال الدّبّاغ[3]: «كان من أهل العلم والفضل والثّقة، واسع الرّواية، عارفاً بالتّاريخ، صحيح النّقل كثير التّحرّي». وقال ابن بَشْكَوَال[2]: «كان شيخاً مُسمِتاً، من أهل الفضل والثّقة، واسع الرّواية، وكان من أهل الصّدق والتّحرّي فيما ينقله».

٣٢ ـ محمد بن سَحنون بن سعيد التَّنوخي[3]، أبو عبدالله (٢٠٢ ـ ٢٥٦):

إمام حافظ، عالم بالحديث والتّاريخ والرّجال، فقيه، مناظر، مشارك في أنواع العلوم، مع الزّهد، والورع، وكثرة العبادة.

طلبه للحديث والفقه:

أ ـ عناية والده به: تربّى محمد في كنف أبيه الإمام سَحنون، وكان به حفيّاً، وبتعليمه مهتمّاً، فقد جعل له مؤدّباً ليحفّظه القرآن، ويعلّمه الخطّ وأساسيّات العلوم، وكان سَحنون يقول للمؤدب: «لا تؤدّبه إلّا بالكلام الطّيّب والمدح، فليس هو ممّن يؤدّب بالتّعنيف والضّرب، فإنّي أرجو أن يكون إمام وقته وفريد أهل زمانه»[4]، وقد أثمرت هذه التّربية النّاجعة، وكان من آثارها أن ألّف محمد بن سَحنون بعد ذلك كتاباً في آداب المعلّمين، كما سيأتي في المصنّفات في الباب الثّالث.

---

(١) المعالم ١٥٨/٣.   (٢) الصلة ٥٦٧/٢.

(٣) ط الخشني ١٢٩، ٢٢٧، الشّجرة ٧٠/١، الرّياض ٤٤٣/١، المدارك ١٠٤/٣، المعالم ١٢٢/٢، سير أعلام ٦٠/١٣، مرآة الجنان ١٨٠/٢، ألف سنة من الوفيات ٤٣، المغرب العربي ٧٩، قيمة الزّمن عند العلماء ٤٦، تراجم المؤلّفين ١٩/٣، وفيات ابن قنفذ ١٨١، تاريخ المغرب العربي ١٠٧/٢، طبقات الفقهاء ١٥٧، الدّيباج ٢٣٤، البيان المغرب ١١٥/١، اللّسان ٢٥٩/٥، المحن ٤٧٢، معجم المؤلّفين ١٦٩/١٠، الأعلام ٧٦/٧، شذرات الذّهب ١٥٠/٢، تاريخ التّراث العربي ١٥٦/٣/١، هديّة العارفين ١٧/٦، مقدّمة آداب المعلّمين ح ح ع ١٥، مقدمة آداب المعلّمين محمد عبدالمولي ٣٩.

(٤) المدارك ١٠٥/٣، المعالم ١٢٤/٢.

وكان اعتماد ابن سَحنون في الفقه والحديث على والده سَحنون، سمع منه جميع مرويّاته، وعلى رأسها الموطّأ والمُدوّنة، ولم تقتصر عنايته به على ذلك بل ظلّ يتابعه ويوجّهه حتّى بعد أن تأهّل للتّصنيف والجلوس للتّعليم كما سيأتي.

ب ـ شيوخه: وكما سمع ابن سَحنون من والده فقد سمع أيضاً مختلف المصنّفات الموجودة بالقَيْرَوان عن كبار علمائها، حيث سمع من موسى بن **معاوية** الصُّمَادِحِيّ (ت **٢٢٥**)، وهو من كبار المحدّثين سمع من وَكِيع وحده **٣٥** ألف حديث[١]، وأخذ عن عبدالله بن أبي حسّان المحدّث الفقيه تلميذ مالك (ت **٢٢٧**)[٢]، وغيرهما من أهل إفريقيَّة، وقد استفاد ابن سَحنون من الوافدين على القيروان، وأكثر من السّماع منهم، فقد سمع حديثاً كثيراً من بَقِيّ بن مَخْلَد (ت **٢٧٦**) مسند الأندلس ومحدّثها وراويتها، وصاحب المسند، قال بقي: «قدمت على سَحنون، فكان ابنه يسمع عليّ في داخل بيت سحنون بمحضر سحنون»[٣]، كما اسمع من عبدالعزيز بن يحيى المدني (ت بعد **٢٣٠**) الذي دخل القيروان سنة **٢٢٥** هـ، ولم يتركه أهلها يخرج حتّى استوعبوا السّماع منه[٤]، وقد سمع منه محمد الموطّأ، ورسالة مالك إلى ابن وهب في القدر والرّدّ على القدريّة[٥] وغيرها.

رحلته إلى المشرق:

وبعد أن استكمل السّماع بإفريقيَّة رحل محمد بن سَحنون إلى المشرق سنة **٢٣٥** هـ[٦]، وقد استحثّه أبوه على الطّلب، وحضّه على التّقصيّ، والإكثار من المشايخ قائلاً: «إنّك تقدم طرابُلُس وكان فيها رجال مدنيّون، ومصر وبها

---

(١) انظر: سير أعلام ١٢/١٠٩.

(٢) انظر: الرّياض ١/٢٨٤، الدّيباج ١٣٣.

(٣) تاريخ ابن الفرضي ١/١٠٨.

(٤) ط أبي العرب ٧٨، ١٠٠.

(٥) انظر: المدارك ١/٢٠٤.

(٦) انظر: المدارك ٣/١١٨، الرّياض ١/٤٤٤، سير أعلام ٣/٦١.

الرّواة، والمدينة وهي عشّ مالك، ثمّ تقدم مكّة، فاجتهد جهدك، فإن قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أنّ شيخك كان مفرّطاً»[1].

ولمّا وصل محمد بن سَحنون مصر، أقبل عليه العلماء وجالسوه، وسمع من بعضهم، مثل أبي الطّاهر أحمد بن عمرو بن السّرح الحافظ الفقيه العلاّمة (ت ٢٥٠)[٢]، وزاره إسماعيل بن يحيى المُزَنِيّ (ت ٢٦٤) صاحب الشّافعي، فحاوره في العلم، فلمّا خرج من عنده قال: «لم أر والله أعلم منه، ولا أحدّ ذهناً، على حداثة سنّه»[٣].

ثمّ انتقل إلى المدينة، وأملى بها بعض المسائل[٥]، وسمع فيها من أبي مُصَعَب أحمد بن أبي بكر الزُّهْريّ (ت ٢٤٢)[٦]، ويعقوب بن حُمَيد بن كاسب (ت ٢٤٠ أو ٢٤١)، وغيرهما، وسمع بمكّة من سَلَمة بن شَبِيب النَّيْسابوري، نزيل مكّة (ت بعد ٢٤٠)، وهو محدّث ثقة[٧]، وسمع حديثاً كثيراً من أبي زُرعة عبدالرحمٰن بن عمرو النَّصْري الدّمشقي (ت ٢٨١)، شيخ الشّام، وهو ثقة من الحفّاظ[٨]، وغيرهم.

ثمّ عاد ابن سَحنون إلى القيروان، وقد ازداد علمه، واتّسعت مرويّاته؛ ليأخذ موقعه بين كبار علمائها.

---

(١) المدارك ١/٥٢١، المعالم ٢/٨٣، الرّياض ١/٤٤٤.
(٣) حسن المحاضرة ١/٣٠٩، آداب المعلّمين ٧٦.
(٤) انظر: الرّياض ١/٤٤٤، المعالم ٢/١٢٦، وانظر عن المُزَني: طبقات الفقهاء ٩٧، حسن المحاضرة ١/٣٠٧.
(٥) انظر: المدارك ٣/١١٥.
(٦) الرّياض ١/٤٤٤.
(٧) التّقريب ١/٣١٦.
(٨) الكاشف ٢/١٥٨، التّقريب ١/٤٩٣، المحن ١٨٩.

أثره وتلاميذه، ومكانته العلميّة:

جلس محمد بن سَحنون للطّلبة في حياة أبيه، فكانت له حلقة غير حلقة والده[1]، وتتلمذ عليه كثير من أصحاب والده، كما أنّه كان يُسمِع بعض كتب سَحنون في حياته[2]، وكان كثيراً ما يتولّى الإلقاء والتّحديث في حلقة والده، فإذا جاء والده جلس محمد يسمع مع الطّلبة[3]، وكان كثيراً ما يناظر أباه[4]، وقد عُرف قدره، وظهرت مقدرته العلميّة في وقت مبكّر، وكان والده يتعهّده دائماً بالنّصح والتّوجيه حتّى بعد أن ظهرت إمامته، قال محمد: «دخل عليّ أبي وأنا أؤلّف كتاباً في تحريم المُسكِر، فقال: يا بنيّ إنّك تردّ على أهل العراق، ولهم لطافة أذهان، وألسنة حِداد، فإيّاك أن يسبقك قلمك لما تعتذر منه»[5].

ولما توفّي سَحنون رحمه الله تعالى انفرد ابنه بالإمامة، وسلّم له ذلك أهل عصره وجلس مجلس أبيه[6] وتبوّأ مكانته العلميّة والأدبيّة، وزاد إقبال الطّلاّب عليه، لا يكادون يسمعون في القيروان إلاّ منه، وكان له في مسجده مجلس حفيل يحضره الطّلبة والعامّة، كما كانت له حلقة في بيته.

وبالإضافة إلى مرويّاته الكثيرة وكتب أبيه فقد كان ابن سَحنون يسمع الطّلبة مصنّفاته الغزيرة التي بلغت مائتي كتاب[7]، منها مسنده في الحديث، وهو كبير، وشرح الموطّأ، وغريب الحديث، وكتاب السّير، وكتاب الطّبقات، وغيرها كما سيأتي في مصنّفاته، وقد انتشرت رواية كثير من مصنّفاته في الأندلس أيضاً عن طريق من تتلمذ عليه من أهلها[8].

---

(١) الرّياض ١/٤٤٤، سير أعلام ١٣/٦٠.

(٢)، (٣) المدارك ٣/١٠٤.   (٤) الدّيباج ٢٣٥.

(٥) المدارك ٣/١٠٦، المعالم ٢/١٢٤.

(٦) انظر: المدارك ٣/١٠٤، المعالم ٢/١٢٤.

(٧) انظر مثلاً: المعالم ٢/١٢٣.

(٨) انظر: فهرسة ابن خير ٢٥٤، ٣٠١، ٣٠٢.

ولم يكن أثر محمد بن سَحنون مقتصراً على الرّواية والإسماع والتّصنيف، فقد كان له بالإضافة إلى ذلك دور كبير في مناظرة أهل البدع والرّدّ عليهم، وكان معروفاً بذلك، فإذا قدم أحد منهم إلى القَيْرَوان استُدعي ابن سَحنون لمناظرته[(1)]، كما كان كثير الخروج إلى قصور الرّباط للتّعبد والتّعليم ولحراسة المسلمين، وقد قاد مرّة معركة ضدّ الرّوم وأجلاهم عن السّاحل حتّى دخلوا البحر[(2)]، كما كان يكتب المواعظ البليغة إلى أمراء بني الأغلب يذكّرهم ويرشدهم إلى الحقّ[(3)]، وكان يصل وُدّ أبيه، ويساعد المحتاج بماله وجاهه[(4)].

ويظهر لنا أثر ابن سَحنون كذلك من خلال ثناء العلماء عليه ووصفهم له بالإمامة في العلم والتّفنّن فيه.

قال ابن الجزّار: «كان ابن سَحنون إمام عصره في مذهب أهل المدينة في المغرب، جامعاً لخلال قلّما اجتمعت في غيره، من الفقه البارع، والعلم بالأثر، والحديث، والجدل، والذّبّ عن مذهب أهل الحجاز»[(5)]، وقال أبو العرب: «كان عالماً بالآثار، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، ألّف في جميع ذلك كتباً كثيرة»[(6)].

وقال المالكي: «أدرك من جميع العلوم ما لم يدركه غيره من أهل عصره»[(7)]، وقال ابن حارث: «كان من الحفّاظ المتقدّمين»[(8)]، وقال الدّبّاغ: «كان إمام النّاس بعد أبيه»[(9)]، وقال عيسى بن مسكين: «خير من رأيت: محمد بن سَحنون، كان جامعاً لخصال من الخير منها: العلم والورع، ومعرفة

---

(1) انظر: الرياض ١/٤٤٩، المعالم ٢/١٣٤.
(2) انظر: الرياض ١/٤٦٦.
(3) انظر: الرياض ١/٤٤٧.
(4) انظر: المدارك ٣/١٠٣، ١٠٧، ط الخُشَني ١٢٩.
(5) المدارك ٣/١٠٥.
(6) الرياض ١/٤٤٣.
(7) الرياض ١/٤٤٤.
(8) المدارك ٣/١٠٥.
(9) المعالم ٢/١٢٢.

الأثر، وكثرة الإيثار، والتّفقّد للإخوان»[1]، وقال الذّهبي: «كان محدّثاً بصيراً بالآثار، واسع العلم، متحرّياً، متقناً، علّامة كبير القدر»[2]، وقال صاحب الدّيباج: «كان عالماً بالآثار، صحيح الكتاب»[3].

وكان ابن سَحنون يعيب على الفقهاء الذين ليس عندهم علم بالرّجال، ويقول: «يتكلّمون في الفقه، ولعلّ أحدهم لو سئل عن اسم أبي هريرة ما عرفه»[4]، فكأنّه يرى أنّ شخصيّة الفقيه العلميّة لا تكتمل إلّا بمعرفة هذا الفنّ ونحوه من علوم الحديث.

وقد تتلمذ على ابن سَحنون أعداد لا تحصى، وسمع منه خلق كثير، منهم[5]: عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، وقد سمع منه جميع كتبه[6]، وسليمان بن سالم الفقيه، الرّاوية، المحدّث (ت ٢٨٩)[7]، وحَمْديس القطّان (ت ٢٨٩) وكان صلباً في السّنّة، شديداً على أهل البدع[8]، وسعدون بن أحمد الخَوْلَانِي (ت ٣٢٥)، وكان محدّثاً واسع الرّواية، فقيهاً[9]، وسعيد بن يحيى نزيل صِقِلِيَّة[10]، وسعيد بن حَكّمون الفقيه، الرّاوية، المرابط (ت ٣٠٨)[11]، وغيرهم من الأفارقة.

كما سمع منه جماعة كثيرة من الأندلسيّين، منهم: الحافظ المحدّث أحمد بن عمرو بن منصور البَيْرِي (ت ٣١٢)[12]، وإسماعيل بن عَرُوس، وكان من أهل العناية بالعلم[13]، وأَصْبَغ بن منبّه، وكان عالماً فقيهاً[14].

---

(١) المعالم ٢/١٢٣.
(٢) سير أعلام ١٣/٦٠.
(٣) الديباج ٢٣٤.
(٤) المدارك ٣/١٢٠.
(٥) راجع مصادره لمزيد من التلاميذ.
(٦) المدارك ٣/٢١٢.
(٧) المعالم ٢/٢٠٦، المدارك ٣/٢٣٣.
(٨) انظر: المعالم ٢/٢٠١، ط الخُشَني ١٤٤.
(٩) ط الخشني ١٦٦، الشجرة ١/٨٢.
(١٠) المدارك ٣/١٣٠.
(١١) الشجرة ١/٨١، المعالم ٢/٣٥٨.
(١٢) تاريخ ابن الفرضي ١/٣٨.
(١٣) تاريخ ابن الفرضي ١/٧٩.
(١٤) تاريخ ابن الفرضي ١/٩٥.

توثيقه:

لقد تقدّم في الفقرة السّابقة ذكر ثناء كثير من العلماء على ابن سَحنون بحفظ الحديث والتّقدّم في مختلف فنون العلم، وليس ذلك بغريب؛ فإنّ محمد بن سَحنون من كبار الأئمَّة الحفّاظ، الذين استفاض خبرهم، واشتهرت إمامتهم، قال الحافظ ابن حَجَر في اللّسان: «ثقة معروف، من كبار العلماء بالمغرب»، وقال القاضي إسماعيل بن إسحٰق البغدادي: «الإمام بن الإمام»[1].

وقال أبو العَرَب: «كان إماماً ثقة»[2]، ووثّقه صاحب الدّيباج[3]، وبالغ صاحب الشّجرة في الثّناء عليه، فقال: «الإمام بن الإمام، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، الفقيه، الحافظ، مع الجلالة والثّقة والعدالة»[4].

مصنّفاته[5]:

يعتبر ابن سَحنون من أكثر القرويّين تصنيفاً، فقد «فُتح له باب التّأليف»[6]، وبلغت مصنّفاته مائتي كتاب[7]، وفي جميع العلوم منها: الحديث، والرجال، والتاريخ، والسّير، والمناظرة، والفقه، وعلوم القرآن، وغيرها.

ومن هذه الكتب:

- مسند في الحديث، وقد وصفته المصادر بأنّه كبير.
- شرح الموطّأ وهو أربعة أجزاء.
- كتاب غريب الحديث. ثلاثة أجزاء.

---

(١) المدارك ٣/١٠٥. (٢) الرياض ١/٤٤٣.
(٣) الديباج ٢٣٤. (٤) الشجرة ١/٧٠.
(٥) انظر: هذه المصنّفات في مصادره أوّل التّرجمة.
(٦) المدارك ٣/١٠٤، المعالم ٢/١٢٤.
(٧) الرياض ١/٤٤٣، المعالم ٢/١٢٣، الديباج ٢٣٤، المدارك ٣/١٠٥.

ـ كتاب الطّبقات سبعة أجزاء، وقد نقل عنه المالكي في رياض النّفوس[1].

ـ كتاب التّاريخ. ستّة أجزاء، نقل عنه عياض في ترتيب المدارك[2] والمالكي في الرّياض[3].

ـ رسالة في السُّنّة ـ كتاب في شيوخ مالك[4].

ـ كتاب السّير عشرون جزءاً ـ رسالة فيمن سبّ النّبيّ ﷺ.

ـ شرح أربعة كتب من المدوّنة[5] ـ كتابان في الإمامة، وقد كُتبا في مصر بماء الذّهب وأُهديا للخليفة. ـ كتاب أحكام القرآن ـ كتاب آداب المعلّمين، وهو مطبوع وسيأتي في المصنّفات ـ، كتاب الأجوبة، مخطوط كتاب الحجّة على القدريّة ـ كتاب الحجّة على النّصارى ـ كتاب الرّدّ على البَكْرِيّة ـ كتاب الإباحة ـ كتاب تحريم المُسكر ـ رسالة في أدب المتناظرين، جزآن ـ كتاب الورع ـ كتاب الإيمان والرّدّ على أهل الشّرك ـ الرّدّ على أهل البدع في ثلاثة كتب[6] ـ الرّدّ على الشّافعي وعلى أهل العراق ـ الجوابات في خمسة كتب ـ كتاب الأشربة ـ كتاب الزّهد ـ كتاب نوازل الصّلاة، وله كتاب كبير مشهور اسمه «الجامع» اشتمل على مختلف أصناف العلم، منها: الحديث والسّير، والتّاريخ، وطبقات العلماء، وغير ذلك، ولعلّه يشتمل على بعض المصنّفات التي سبق ذكرها.

وفاته:

توفّي رحمه الله تعالى بالسّاحل سنة ٢٥٦ هـ، وحُمل إلى القَيْرَوان فدُفن بها، وقد أُغلقت لوفاته الحوانيت، والكتاتيب، وضُربت الأخبية قرب قبره،

---

(١) الرياض ١/١٣١، ١٦٧.
(٢) المدارك ١/١١١.
(٣) الرياض ١/٩١.
(٤) المدارك ١/٢٠٠.
(٥) المعالم ٢/١٣٤.
(٦) لعلّ المراد بالكتب هنا الأبواب أو الأجزاء التي يحتوي عليها الكتاب.

ونُصبت الأسواق شهوراً طويلة حتّى خاف ابن الأغلب أمير إفريقيَّة ففرّق النّاس بالقوّة، ورُثي بأكثر من ثلاثمائة مرثيّة[1].

٣٣ ـ محمد بن سَعْدُون بن علي بن بِلال القَيْرَوانيّ[2]، أبو محمد (٤١٣ ـ ٤٨٥ أو ٤٨٦):

محدّث، فقيه، أُصوليّ، جالَ في مختلف بلاد المشرق والمغرب.

طلبه وشيوخه ورحلته:

كانت مرحلة طلب ابن سَعدون في الوقت الذي كانت فيه القيروان في أزهى عصورها العلميّة، وقد تخلّصت من كلّ أثر للرّوافض، وتمحّضت للسُّنّة ومذهب مالك، وعادت الحياة إلى المساجد، وازدهرت مختلف العلوم كما مرّ في التّمهيد، وفي هذا الجوّ الملائم للطّلب أقبل محمد بن سَعدون على الحلقات الكثيرة المنتشرة في جامع عُقبة، وغيره من مساجد القيروان وبيوت العلماء وجالس الشّيوخ، وأكثر منهم، وكتب عنهم الحديث[3]، وحمل عنهم المصنّفات الكثيرة التي كانت رائجة في القيروان آنذاك، وعلى رأسها صحيح البُخاري، سمعه من أبي عبدالله محمد بن عبدالله المالكي (ت ٤٣٨ وقيل ٤٤٤) عن الإمام القابِسي.

وسمع الحديث عموماً من محمد بن محمد الزَّيّات المعروف بابن النّاظور، وكان من أهل العناية بالحديث[4].

وتفقّه بأبي بكر أحمد بن عبدالرحمن الخَوْلَانِيّ شيخ القيروان في وقته،

(١) انظر: المدارك ٤/٢١٩، الدّيباج ٢٣٦، سير أعلام ١٣/٦١، المعالم ٢/١٣٤ ـ ١٣٦.

(٢) المدارك ٣/٧٩٩، الشّجرة ١/١١٧، المعالم ٣/١٩٨، الصّلة ٢/٥٧٠، فهرس الفهارس ٢/٣٦٩، فهرسة ابن خير ٤٣٤، وفيات ابن قنفذ ٢٩٤، تراجم المؤلّفين ٣/٣٥، الدّيباج ٢٧٣، ٣١١، كشف الظّنون ١/٣٣٤، هديّة العارفين ٦/٧٧، الأعلام ٧/٨، معجم المؤلّفين ١٠/٢٣، الحلل ١/١/٢٧١، الغنية ٦٧، ٩٢، ١٥٠، ١٥٣، ٢٠٨.

(٣) انظر: الصلة ٢/٥٧٠.

(٤) المدارك ٣/٧١٦.

وكان فقيهاً محدّثاً، واسع الرّواية (ت ٤٣٢ وقيل بعدها)[1]، ولقي المحدّث الشّهير أبا عِمران موسى بن عيسى الفاسي نزيل القيروان (ت ٤٣٠) الآتي التّعريف به قريباً في المهاجرين.

وسمع من مروان بن محمد الأَسَدِيّ، المحدّث، صاحب شرح الموطّأ (ت حوالي ٤٤٠)[2].

وأخذ عن أبي القاسم عبدالرحمٰن بن محمد الحضرميّ المعروف باللَّبِيديّ، وهو من كبار علماء القيروان (ت ٤٤٠)[3].

وسمع الحديث من أبي علي حسن بن أبي طالب الزَّيّات[4]، ومكّي بن عبدالرحمٰن القُرَشي من فقهاء إفريقيَّة[5].

وأخذ عن أبي إسحٰق إبراهيم بن حسن التّونُسي، الفقيه، الأصوليّ (ت ٤٤٣)[6].

كما سمع من خاتمة علماء القَيروان، المحدّث، المقرِيء، الأُصولي عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِي (ت ٤٦٢)[7] وغيرهم.

ثمّ رحل إلى المشرق فسمع وكتب حديثاً كثيراً[8]، فقد لقي بمصر المحدّث الحافظ علي بن مُنَيِّر بن أحمد الخَلّال (ت ٤٣٩)، وسمع منه سنن

(١) الشجرة ١/١١٧، المعالم ٣/١٦٥.
(٢) الجذوة ٣٢١، الصلة ٢/٥٨١.
(٣) المدارك ٣/٧٠٧، المعالم ٣/١٧٥.
(٤) المدارك ٣/٧١٦، الشجرة ١/١١٧.
(٥) المدارك ٣/٧١١.
(٦) المعالم ٣/١٧٧، المدارك ٣/٧٦٦.
(٧) المعالم ٣/١٨١، المدارك ٣/٧٧٠.
(٨) انظر: الصلة ٢/٥٧٠، المعالم ٣/١٩٨.

النَّسائي، وجزءاً فيه من وافقت كنيته كنية زوجته من الصّحابة لأبي الحسن محمد بن عبدالله النَّيسابُوري [1] وغيرها.

كما سمع بها من أبي الحسن علي بن رَبِيعة التَّيْمي المحدّث (ت ٤٤٠) [2]، ومن أبي الحسن محمد بن الحسين النَّيْسابُوري (ت ٤٤٨) [3]، وغيرهم.

ثمّ واصل رحلته إلى مكة، فسمع بها الحديث من أبي ذرّ عبد بن أحمد الهَرَوِيّ (ت ٤٣٥) وهو راوية صحيح البُخاري المشهور، وكان بصيراً بالحديث، إماماً فيه، وله في ذلك مصنّفات عدّة، منها: المسند الصحيح المخرّج على الصّحيحين وغيره [4]، ويفترض أنّ ابن سعدون قد حمل عنه بعض مصنّفاته، ولعلّه أعاد عليه سماع صحيح البُخاري أيضاً.

كما سمع بها من أبي بكر محمد بن علي المُطَوِّعِيّ، وقد أورد له صاحب الإلماع روايات كثيرة عنه [5]، ومن مرويات ابن سعدون عن المُطَوِّعِيّ كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم [6].

وسمع في رحلته أيضاً من آخرين، وكثر شيوخه ومرويّاته حتّى إنّه ألّف فيهم فهرسة كما سيأتي في مصنّفاته، وقد ذكر صاحب الصّلة وغيره أنّه «كتب الحديث بمكّة ومصر والقيروان» [7].

---

(١) انظر عن هذه المرويّات: فهرسة ابن خير ١١٥، ١٦٨، وانظر عن ابن مُنَيِّر: حسن المحاضرة ١/١٧٣، والجزء المذكور مطبوع سنة ١٤٠٣ بدمشق.

(٢) حسن المحاضرة ١/٣٧٣.

(٣) حسن المحاضرة ١/٣٧٤.

(٤) انظر: إفادة النّصيح ٣٩ - ٤٠.

(٥) انظر: الإلماع ١٠، ٢٥، ٥٧.

(٦) ابن خير ٢٢٣.

(٧) الصلة ٢/٥٧٠، المعالم ٣/١٩٨.

أثره الحديثيّ وتلاميذه:

عاد محمد بن سَعدون إلى القَيْرَوان بعلم وفير، ولا شكّ أنّه كان يتشوّف للجلوس في مساجدها لإسماع الطّلبة والتّحديث بمرويّاته الكثيرة، غير أنّ وصوله إليها قد تزامن فيما يبدو مع بداية فتنة الأعراب التي انتهت بخراب القَيْرَوان، ولذلك نجده يغادر القَيْرَوان، ويطوف في بلاد المغرب والأندلس مشتغلاً بالتّجارة، وناشراً للعلم، وقد سمع منه بشر كثير من أهل تلك النّواحي وانتفعوا به[1]، منهم المحدّث الكبير الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الصَّدَفِيّ (ت ٥١٤)[2]، وإمام المحدّثين في وقته أبو علي الحسين بن محمد الغَسَّاني المعروف بالجَيَّاني (ت ٤٩٨)[3]، ومحمد بن عيسى التَّمِيمي كبير علماء سَبْتَة (ت ٥٠٥)[4]، والحسن بن علي بن طَرِيف النّحويّ المحدّث (ت ٥٠١)[5] وغيرهم. وقد ذكرت المصادر أنّه بثّ علماً كثيراً أثناء تطوافه ببلاد المغرب والأندلس[6]. ويؤكّد ذلك ما ورد عنه من الرّوايات الكثيرة في كتب المغاربة كالإلماع والغُنية وفهرسة ابن خير، وما ذكروه من المصنّفات التي دخلت الأندلس من طريقه[7].

وقد أثنى عليه المترجمون له كثيراً، ووصفوه بمعرفة الفقه والحديث، إلا أنّ صاحب المدارك قال[8]: «لم يكن له أصول حسنة»، ولعلّ هذا بسبب كثرة تطوافه وعدم وجود فرصة لتهذيب سماعاته.

---

(١) انظر: الصلة ٢/٥٧٠، تراجم المؤلّفين ٣/٣٥، الأعلام ٧/٨، المعالم ٣/١٩٨.

(٢) الشّجرة ١/١٢٨، الصّلة ٢/٥٧٠.

(٣) الشّجرة ١/١٢٣.

(٤) الإلماع ٩.

(٥) الإلماع ١٠.

(٦) انظر مثلاً: الصّلة ٢/٥٧٠، المعالم ٣/١٩٨.

(٧) انظر مثلاً: الإلماع ١٠، ١١، ٢٥، ٥٧، ٨١، ٨٤، الغنية ٧٦، ٩٢، ١٥٠، فهرسة ابن خير ١١٥، ١٦٨، ٢٢٣.

(٨) المدارك ٣/٨٠٠.

مصنّفاته[1]:

له عدّة مؤلّفات منها:

- فهرسة ما رواه عن شيوخه، وقد كان يروي بالأندلس كما في الغنية وفهرسة ابن خير[2].

- إكمال تعليق شيخه التّونُسي علَى المُدوَّنة - مناقب شيخه أبي بكر أحمد بن عبدالرحمٰن - كتاب في ذمّ بني عُبَيد سمّاه: «تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلّب الأزمان»، وله عنوان آخر، هو: «تأسيّ أهل الإيمان بما طرأ على مدينة القيروان»، نقل منه صاحب البيان المغرب[3] حوالي سبع صفحات، دلّت على معرفة ابن سَعدون بالأنساب والتّاريخ والفرق، وقد فضح فيه الرّافضة بالأدلّة والبراهين، وأبطل ما ادّعوه من الانتساب إلى آل البيت، وغير ذلك.

٣٤ - محمد بن مَسْرُور العَسَّال[4]، أبو عبدالله (٢٥٠ - ٣٤٦):

محدّث، فقيه، من كبار العُبَّاد.

طلبه وشيوخه ورحلته:

سمع بالقَيْرَوان من شيوخ عصره، منهم أحمد بن مُعَتِّب العالم بالحديث والرّجال (ت ٢٧٧)، أخذ عنه الرّقائق لابن المبارك وغيرها[5]، ويوسف بن يحيى المَغَامِيّ (ت ٢٨٨)، وكان فقيهاً محدّثاً[6]، وسَهل بن عبدالله القُبْرِيَانِيّ

---

(١) انظر: مصنّفاته في المصادر المثبتة في صدر التّرجمة.

(٢) انظر: الغنية ٢٠٨، فهرسة ابن خير ٤٣٤.

(٣) انظر: البيان المغرب ٢٨١/١.

(٤) الشّجرة ٨٥/١، المعالم ٥٩/٣، المدارك ٣٨٩/٣، فهرسة ابن خير ١٤٢، ٢٦٨.

(٥) ط الخُشَني ١٣٨، الدّيباج ٣١، ابن خير ٢٦٨.

(٦) الشّجرة ٧٦/١، تاريخ ابن الفرضي ٢٠١/٢.

(ت ٢٨٢)، وكان فقيهاً ورعاً من أهل الحديث[١]، وأخذ عن أخيه عمر بن مسرور[٢]، وسمع من يحيى بن عمر الأندلسي نزيل القيروان، وهو من كبار العلماء في الحديث والفقه (ت ٢٨٥ أو ٢٨٩)، أخذ عنه مسند أسد بن موسى، وتفسير غريب الموطّأ للأخفش[٣] وغيره من مرويّاته، وسمع من عبدالجبّار بن خالد السُّرْتِيّ (ت ٢٩٣)[٤] وغيرهم.

ثمّ رحل إلى المشرق فسمع من مِقْدَام بن داود[٥] وعلي بن عبدالعزيز المدني[٦] وأجازه الحافظ المحدّث المقرىء الفقيه يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفِيّ المصري (ت ٢٦٤)[٧].

أثره وتلاميذه:

لما عاد ابن مَسْرُور إلى القيروان جلس لنشر العلم، وفتح باب داره للطّلبة؛ إذ كان التّدريس في المساجد آنذاك قد منعه العُبَيديّون، وقد «أخذ عنه النّاس» كما في المعالم[٨]، منهم: ابنه عمر بن محمد، وقد توفّي في حياة والده سنة ٣٤٣ هـ، وكان عالماً بالسُّنّة[٩]، كما سمع منه المحدّث الحافظ الإمام أبو الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)[١٠]، والحافظ العلاّمة أبو محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)[١١]، وسمع منه من الأندلسيّين: تمّام بن عبدالله المَعَافريّ المحدّث (ت ٣٧٧)[١٢] وهاشم بن يحيى، وهو من أهل العلم والحديث (ت ٣٥٨)[١٣] وغيرهم.

---

(١) المعالم ٢/١٩٦.
(٢) المدارك ٣/٣٩٠.
(٣) الجذوة ٣٥٤، فهرسة ابن خير ٩١، ١٤٢.
(٤) الرياض ١/٤٦٣.
(٥) المدارك ٣/٣٩٠.
(٦) المعالم ٣/٥٩.
(٧) حسن المحاضرة ١/٣٠٩، المدارك ٣/٣٩٠.
(٨) المعالم ٣/٥٩.
(٩) المدارك ٣/٣٩٠.
(١٠)، (١١) المعالم ٣/٥٩.
(١٢) تاريخ ابن الفرضي ١/١١٥.
(١٣) تاريخ ابن الفرضي ٢/١٦٩.

وكانت العبادة قد غلبت عليه، وكان يقوم اللّيـل هو وجميـع أهل بيتـه، وكانت عندهم خادمة أعجميّة فظنّت أنّ صلاة اللّيل واجبة، فلمّا باعوها هربت من الذين اشتروها وقالت لهم: «بعتموني من قوم يهود لا يصلّون باللّيل»[1].

٣٥ ـ محمد بن يحيى بن سلّام[2] الإفريقيّ (١٨٠ - ٢٦٢):

محدّث كامل العناية بالحديث وعلومه ورجاله، فقيه، مفسّر، عابد.

نشأته وطلبه ورحلته وشيوخه:

ولد محمد بالبصرة سنة ١٨٠ هـ، وأتى به والده إلى القيروان وعمره حوالي ثلاث سنوات، فنشأ بالقيـروان، وتعلّم على شيوخهـا، وسمع الحـديث والفقه والتّفسير، قال ابن ناجي في المعالم: «كان قديم الطّلب»، غير أنّ المصادر لم تُسعفنا بالحديث عن طلبه، بل لم تذكر له إلّا شيخاً واحداً هو والده المحدّث المفسّر يحيى بـن سـلّام (ت ٢٠٠)، وقد روى عنه التّفسير كما جاء في فهرسة ابن خير[3]، وروى عنه الحديث أيضاً كما في المعجم الصّغير للطّبراني، وكتاب المحن لأبي العرب[4].

ويُفترض أنّه سمع من كثير من الشّيوخ غير والده؛ لِمَا وُصف به من كثرة العلم، وخاصّة في مجال الحديث، فقد جاء في المعالم: «كانت له عناية كاملة بالحديث، ونقله، وروايته، وضبطه، ومعرفة رجاله، وحَمَلتـه، حافـظاً للسُّنن، جامعاً لها، إماماً فيها، عارفاً بأصول الدّيانات... مبرّزاً في المعـرفة والفهم،

---

(١) انظر المعالم ٣/٥٩، المدارك ٣/٣٩٠.

(٢) المعالم ٢/١٤٥، المدارك ٣/٣٣٥ ضمن ترجمة أبي العرب، تراجم المؤلفين ٣/٥٢، مقدّمة كتاب التّصانيف ٧٦، فهرسة ابن خير ٥٦، ٥٧، ط أبي العرب مح ١١٣ ضمن ترجمة والده يحيى، المعجم الصغير ١/١٣١.

(٣) فهرسة ابن خير ٥٦، ٥٧.

(٤) انظر: كتاب المحن ٤٧، ٦٣، ٦٨، ٧٣، المعجم الصّغير ١/١٣١.

على هدى وسنّة واستقامة»[1]، وقال العَوَانِيّ: «محمد بن يحيى بن سلّام البصري المحدّث»[2].

ومن أبرز من يُتوقّع سماعه منهم: الإمام سحنون بن سعيد، وابنه محمد، وأسد بن الفُرات، وعون بن يوسف الخُزاعي، وموسى بن معاوية الصُّمادحي وطبقتهم:

ورحل محمد بن يحيى إلى المشرق بصحبة والده[3] قُبيل سنة ٢٠٠ هـ، وقد توفّي والده بمصر بعد عودته من الحجّ مباشرة سنة ٢٠٠ هـ، ولم تذكر المصادر له شيوخاً في رحلته، ومن المفروض أنّه سمع فيها؛ لأنّ طالب العلم لا يضيع مثل هذه الفرصة.

أثره وتلاميذه:

جلس محمد بن يحيى لرواية الحديث، وإسماع تفسير والده، وكانت له في داره حلقة عظيمة يحضرها عدد كبير من الطّلّاب، وهي التي استهوت أبا العَرَب ودفعته للطّلب والانتقال من حياة الأمراء إلى حياة العلماء[4].

وقد سمع منه كثير من أهل القيروان والأندلس، منهم: ابنه يحيى وقد روى عنه تفسير يحيى بن سلّام[5]، وكثيراً من الحديث كما في كتاب المحن[6]، كما سمع منه الحسن بن محمد القَلَانِسيّ (ت ٣٢٧)[7]، وأبو العرب محمد بنْ أحمد التَّمِيمِيّ الحافظ (ت ٣٣٣)، غير أنّه لم يكثر من الأخذ عنه؛ إذ إنّه توفّي لمّا كان أبو العرب في بداية الطّلب[8]، وأخذ عنه محمد بن أحمد بن جَرِير العطّار

---

(١)، (٢) المعالم ٢/١٥٠.

(٣) انظر: الرياض ١/١٨٩.

(٤) انظر: المدارك ٣/٣٣٥.

(٥) فهرسة ابن خير ٥٦، ٥٧.

(٦) انظر: المحن ٤٧، ٦٣، ٦٨، ٧٣.

(٧) الرياض ٢/٢٦٣.

(٨) انظر: المدارك ٣/٣٣٥، وراجع ترجمة أبي العرب رقم ٣٠.

(ت ٣٠٠)[١]، وسمع منه التّفسيرَ الحسنُ بن علي بن الأشعث المصري[٢]، وسمعه منه أيضاً أبو جعفر أحمد بن زياد[٣]، وأخذ عنه سَعدون بن أحمد الخَوْلَانِيّ (ت ٣٢٤)[٤].

توثيقه:

وكان محمد بن يحيى على عقيدة أهل السّنّة، شديداً على المبتدعة، ينكر عليهم آراءهم السّيّئة[٥].

وقد أثنى عليه المصنّفون ووثقوه، قال أبو العرب[٦]: «ثقة نبيل»، وقال الدّبّاغ[٧]: «كان رحمه الله فقيهاً، ورعاً، حافظاً، مطبوعاً على الأخلاق الكريمة، قليل الكلام والخوض في أمور النّاس، طويل الصّلاة».

مؤلّفاته:

لمحمد بن يحيى زيادة في تفسير أبيه كانت تُروى بالأندلس وإفريقيَّة[٨].

٣٦ ـ مَسَرَّة بن مُسلم بن رَبيعة الحَضْرَمِيّ القَيْرَوانِيّ، أبو بَكر[٩]، (ت ٣٩٣): محدّث، فقيه، عابد، من بيت علم وزهد، وقد طال عمره.

طلبه ورحلته وشيوخه:

نشأ مسرّة بالقيروان، وأخذ عن شيوخها الحديث والفقه، فقد سمع من محمد بن عمر الذي كان محدّثاً ثقة كثير الكتب في الفقه والآثار[١٠]، وأخذ عن أبي إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبِنْيَانِيّ (ت ٣٦٩)، المتفنّن في مختلف

---

(١) المعالم ٢٨٧/٢.

(٢) فهرسة ابن خير ٥٦، المعجم الصّغير ١٣١/١.

(٣) فهرسة ابن خير ٥٧.

(٤) الخشني ١٦٦، الرياض ٢٥١/٢.

(٥) انظر: ط أبي العرب ١١٣.

(٦) ط أبي العرب مح ١١٣.

(٧) المعالم ١٤٥/٢.

(٨) فهرسة ابن خير ٥٧.

(٩) الشجرة ٩٧/١، المدارك ٣٥٣/٣، ٥٣٣.

(١٠) انظر: المدارك ٢٤١/٣، البغية ١٠١.

العلوم [1]، ولقي أبا الحسن علي بن محمد بن مسرور المحدّث الفقيه (ت ٣٥٩) [2]، وزياد بن يونس اليَحْصُبيّ (ت ٣٦١) [3]، والمحدّث أبا بكر هِبَة الله بن محمد بن أبي عُقْبة التَّميمي (ت ٣٦٩) [4] وغيرهم.

ثمّ رحل إلى المشرق سنة ٣٠٠ هـ صحبة أخيه أبي يوسف [5]، ولقي في رحلته كثيراً من العلماء، وسمع حديثاً كثيراً، فقد أخذ عن الإمام أحمد بن شُعَيب النَّسائي الحافظ، شيخ الإسلام (ت ٣٠٣) [6]، ويفترض أنّه حمل عنه بعض مصنّفاته المشهورة كالسّنن وغيرها، وسمع من أبي سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي الإمام، الحافظ، الثّقة، الزاهد (ت ٣٤٠) [7]، وكتب عن أبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البَغَوِيّ، الحافظ، الثّقة، مسند عصره، (ت ٣١٧) [8]، كما سمع من أبي محمد بن الجَارُود، ومحمد بن رمضان، وأبي عبدالله بن الرَّبيع الجِيزِيّ، وأبي الطّاهر بن مهدي القاضي [9] وغيرهم.

أثره وتلاميذه:

عاد مسرّة إلى القيروان بذلك العلم الغزير في وقت قلّت فيه الرّحلة إلى المشرق بسبب اهتمام النّاس بأمر العُبَيديّين، وخلت المساجد من المدرّسين؛ لأنّ الرّافضة منعوهم من نشر العلم السُّنّيّ كما أسلفت في التّمهيد، فأقبل عليه الطّلاّب، وأخذوا عنه سماعاته الكثيرة، وتسامع به أهل العلم فرحلوا إليه من مختلف مدن إفريقيَّة، فقد ذكر عِياض في المدارك أنّه سمع منه «عالم كثير، ورحل إليه النّاس من الأقطار» [10]، وذكر صاحب الشّجرة نحو هذا [11].

(١) الشجرة ١/٩٥.
(٢) المعالم ٣/٧٥، الشجرة ١/٩٤.
(٣) المعالم ٣/٧٩، الشجرة ١/٩٥.
(٤) المعالم ٣/٨٧، الشجرة ١/٩٥.
(٥) المدارك ٣/٣٥٢، ٥٣٤.
(٦) حسن المحاضرة ١/٣٤٩، المدارك ٣/٥٣٤.
(٧) اللسان ١/٣٠٨.
(٨) اللسان ٣/٣٣٨.
(٩) المدارك ٣/٥٣٤.
(١٠) المدارك ٣/٥٣٤.
(١١) الشجرة ١/٩٧.

وقد عرفنا من تلاميذه: أبا القاسم عبدالرحمٰن بن محمد اللَّبِيدِي (ت ٤٤٦) [١]، وعَطِيّة بن مُسلِم الصَّفَاقُسِي [٢]، وابن أبي إسحٰق الجِبِنْيَاني [٣].

وقد طال به العمر، وانقطع في آخر حياته للعبادة، وترك الإسماع، فكان يختم القرآن في اليوم مرّتين، ولما ضعف أصبح يختم في اليوم مرّة [٤].

توثيقه:

وهو ثقة في علمه، وثّقه شيخه وصاحبه العلّامة أبو إسحٰق الجِبِنْيَاني، وكان يحضّ ولده وغيره على السّماع منه [٥].

٣٧ ــ مُعاوية بن الفَضْل الصُّمَادِحِيّ [٦]، أبو عَوْن (ت ١٩٩):

محدّث فاضل، معدود في شيوخ إفريقيّة.

طلبه ورحلته وشيوخه:

سمع بالقيروان علوم الكتاب والسُّنّة من قدماء رجالها، منهم: عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١) [٧].

ومحمد بن الحكم، وهو محدّث ثقة واسع الرّواية [٨].

ولقي عليّ بن زياد التُّونُسي المحدّث (ت ١٨٣)، وعبدالله بن فَرُّوخ الفارسي (ت ١٧٦)، والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠)، ولجميع هؤلاء علم بالحديث والفقه.

ثمّ رحل إلى المشرق حوالي سنة ١٥٠ هـ، فسمع من الإمام مالك بن أنس

---

(١) الشجرة ١/١٠٩.
(٢)، (٣) المدارك ٣/٥٣٤.
(٤) انظر: المدارك ٣/٥٣٤.
(٥) م. ن ٣/٥٣٤.
(٦) ط أبي العرب ٨٠، الرياض ١/٢٣١، المعالم ١/٣١٧، المدارك ٣/٧ ضمن ترجمة ابنه موسى، الشجرة ١/٦٩.
(٧) المدارك ٣/٧.
(٨) ط أبي العرب مح ١٥٣.

(ت ١٧٩)، والحافظ سُفيان بن سعيد الثّوري (ت ١٦١)، وحَنْظَلَة بن أبي سفيان المكّي (ت ١٥١) وهو محدّث ثقة حجّة[1]، وطلحة بن عمرو الحضرمي (ت ١٥٢)[2] وعبدالله بن نافع الصّائغ (ت ٢٠٦)، وغيرهم[3].

أثره وتلاميذه وتوثيقه:

حدّث معاوية بالقيروان، وسمع منه ابنه موسى وهو من كبار محدّثي القيروان (ت ٢٢٥)، والإمام سَحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)، وأبو داود أحمد بن موسى بن جَرِير العطّار، وهو واسع الرّواية كثير الشيوخ[4]، وغيرهم[5].

ولم يكثر معاوية من التّحديث لتوافر الشّيوخ بالقيروان آنذاك، وهذا من آداب المحدّث، كما تقدّم[6].

وقد أثنى عليه المترجمون له وعدّوه في شيوخ إفريقيَّة ووثّقوه، قال أبو العرب: «كان ثقة صالحاً عالماً بالحديث والفقه»[7]، ووثقة المالكيّ[8]، والقاضي عِياض[9]، وصاحب الشّجرة[10]، وقال الدّبّاغ: «كان ثقة، مقدّماً في شيوخ إفريقيّة»[11].

---

(١) التقريب ١/٢٠٦.
(٢) وهو محدّث ضعيف، انظر: التقريب ١/٣٧٩، الكاشف ٢/٤٠.
(٣) انظر: هؤلاء الشّيوخ وغيرهم في مصادر معاوية وخاصة المعالم والرياض.
(٤) ط الخُشَني ١٥١.
(٥) انظر: تلاميذه في مصادره المثبتة أوّل ترجمته.
(٦) راجع مبحث آداب المحدث.
(٧) ط أبي العرب مح ٢٣٢.
(٨) الرياض ١/٢٣١.
(٩) المدارك ٣/٧.
(١٠) الشجرة ١/٦٩.
(١١) المعالم ٢/٣١٧.

٣٨ ـ موسى بن مُعاوية الصُّمَادِحِيّ[(١)] [(٢)]، أبو جعفر (١٦٠ ـ ٢٢٥):

إمام في الحديث، واسع الرّحلة، كثير الحديث، فقيه، مفت، أحد العُبّاد.

نشأته وطلبه وشيوخه:

نشأ موسى في القَيْرَوان في الوقت الذي استراحت فيه من فتن الخوارج، وكثر فيها العلماء، وازدهرت فيها الحيَاة العلميّة، وبدأت تنافس في ذلك عواصم المشرق، فاستفاد موسى من هذا الجوّ المهيّأ للطّلب، وسمع ممّن بالقيروان من كبار العلماء[(٣)].

وكان موسى بن معاوية حريصاً على طلب الحديث، وقد وسّع رحلته من أجل ذلك، وأكثر من لقيّ الشّيوخ فصار فيه من كبار الأئمّة حتّى إنّ الحافظ أبا الحسن العِجْلِي الكُوفي قال[(٤)]: «لم يكن في إفريقيَّة محدّث إلاّ موسى بن مُعاوية، وعبّاس بن الوليد الفارسي»، وذكر أبو العَرَب إكثاره من لقيّ المحدّثين والسّماع منهم في مختلف الأمصار، حيث قال: «كان ثقة، مأموناً، عالماً بالحديث، كثير الأخذ عن الرّجال المدنيّين والكوفيّين والبصريّين، وغيرهم من أهل الأمصار يطول بذكرهم الكتاب»[(٥)].

وقد أخذ موسى بالقَيْرَوان عن والده معاوية بن الفضل (وقد مرّ قبل هذا)،

---

(١) ط أبي العرب ١٠٦، الرياض ٣٧٦/١، المدارك ٥/٣، المعالم ٥١/٢، سير أعلام النّبلاء ١٠٨/١٢، اللّباب ٢٣٤/٢، تبصير المنتبه ٨٤٣/٣، المحن ٤٥٤، الشجرة ٦٨/١، العيون والحدائق ٤٠٧، وقد روى له ابن خير في فهرسته ١١، وابن عبدالبرّ في التمهيد ٨٣/٤، ١٣٣، ١٧٧، البيان المغرب ١٠٧/١، معجم البلدان ٣٩١/٣.

(٢) نسبة إلى جدّ له يُدعى صُمَادِح والصُّمَادِحِيّ كما في المدارك ٥/٣، وقد تصحّف الاسم لدى المشارقة إلى صُبارح، وظنّوه اسماً لقرية من قرى إفريقيّة، انظر مثلاً: اللّباب ٢٣٤/٢.

(٣) انظر: هؤلاء الشّيوخ في المصادر المثبتة أوّل التّرجمة، معجم البلدان ٣٩١/٣.

(٤) المدارك ٦/٣.

(٥) انظر: ط أبي العرب ١٠٦.

والبُهلول بن راشد (ت ١٨٣) الذي كان يروي جامع سفيان الثّوري، وغيره من الحديث، وسمع من رباح بن يزيد اللّخمي (ت ١٧٢) وكان صاحب رحلة ورواية[١]، وأخذ عن ذُبَيْح وهو ثقة مشهور، من مشايخ إفريقيَّة[٢].

ثمّ رحل إلى تونُس، فسمع الحديث من عبدالملك بن أبي كريمة التّونُسيّ المحدّث (ت ٢٠٤)[٣]، وأخذ بها عن علي بن زياد (ت ١٨٣) موطّأ الإمام مالك[٤]، وغيره من حديثه، وفقهه.

رحلته إلى المشرق في طلب الحديث:

وفي سنة ١٨٤ هـ[٥] رحل موسى إلى المشرق رحلته الواسعة التي استمرت خمس سنوات كاملة، دخل فيها طرابُلُس، ومصر، والمدينة، ومكّة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، وبلاد خُراسان وغيرها، متتبّعاً لأهل الحديث؛ فقد، لقي بمصر عبدالرحمٰن بن القاسم المحدّث الفقيه الثّقة العابد (ت ١٩١)[٦] وغيره.

ولقي بالمدينة كبار أصحاب مالك، الذين برعوا في الحديث والفقه، منهم: المحدّث أَنَس بن عِياض (ت ٢٠٠)[٧]، ومَعْن بن عيسى (ت ١٩٨)[٨]، وغيرهما.

وسمع بمكّة من سفيان بن عُيَيْنة (ت ١٩٨)، الإمام الحُجَّة[٩]، والفُضَيل بن عِياض التَّيْمي وهو أحد أئمّة الحديث (ت ١٨٧)[١٠].

---

(١) مرّت ترجمته رقم ١٠. (٢) ط أبي العرب مح ١٧٠.

(٣) الرياض ١/٣٢٣، التهذيب ٦/٤٨١.

(٤) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨. (٥) المعالم ٢/٥١.

(٦) التهذيب ٦/٢٥٢، المحن ٣٢١.

(٧) التقريب ١/٨٤، الكاشف ١/٨٨، المحن ٨٢.

(٨) التقريب ٢/٢٦٧، التمهيد ٤/١٧٧.

(٩) التقريب ١/٣١٢، سير أعلام ١٢/١٠٩، المحن ٨٥.

(١٠) التقريب ٢/١١٣، سير أعلام ١٢/١٠٨.

وسمع في مختلف مدن العراق من جماعة كثيرة، منهم: الحافظ الحجّة وَكيع بن الجرّاح (ت ١٩٦)، وقد سمع منه موسى خمسة وثلاثين ألف حديث، وأخذ عنه مصنّفه ورواه في القيروان [١]، وسمع من عبدالرحمٰن بن مهدي الإمام في الحديث والرّجال (ت ١٩٨)، وقد أخذ عنه كتابه في السّنّة والفتوى[٢]، وأخذ عن يزيد بن هارون الواسِطِيّ (ت ٢٠٦)، وهو أحد الثّقات المتقنين[٣]، وسمع من أبي معاوية محمد بن خَازم الضّرير (ت ١٩٥)[٤]. ولقي محمد بن الحسن ورفض الأخذ عنه؛ لأنّه بلغه شيء عن مخالفته لبعض الحديث[٥].

وسمع في بلاد الشّام من عيسى بن يونس السَّبِيعي الثّقة الإمام (ت ١٨٧ أو ١٩١)[٦]، وغيره.

انتخابه من حديث بعض شيوخه، ونسخه لكتب بعضهم قبل سماعها منهم، ومذاكرته حديثه لئلاّ ينساه:

ثمّ رحل موسى بعد ذلك إلى بلاد خُراسان في طلب الحديث، قال موسى: «ذُكر لي رجل بخُراسان فأتيتُه فأصبته في المسجد يحدّث، فسلّمت عليه، فقال لي: من أين الرّجل؟ فقلت: من المغرب. فقال من أيّ موضع، فقلت: من القَيْرَوان. قال: ومن لقيت؟ قلت: الفُضَيل ووكيعاً وأبا معاوية الضّرير»، فقال لي: «ما أظنّك تريد بهذا الله عزّ وجلّ، أما يكفيك أن تجعل أحدهم لدينك؟، ولكنّك أردت أن تقدم بلدك فتقول لقيت فلاناً وفلاناً، والله لا أسمعتك إلاّ ثلاثة أحاديث لعنائك»، قال موسى: «فأخذت كتبه فانتخبت منها

---

(١) انظر: المعالم ٥٢/٢، الرياض ٣٧٧/١، فهرس ابن عطيّة ٦٤، سير أعلام ١٠٩/١٢.
(٢) انظر: المدارك ٤٠٣/١، التقريب ٤٩٩/١.
(٣) التقريب ٣٧٢/٢، المعالم ٥٢/٢.
(٤) التقريب ١٥٧/٢، المدارك ٦/٣.
(٥) انظر: المدارك ٧/٣.
(٦) التقريب ١٠٣/٢، الرياض ٣٨٢/١.

ثلاثة أحاديث رويتها عنه»[1]، أقول: ليته صرّح لنا باسم شيخه هذا ليُعرف وتُعرف مرويّاته عنه.

كما سمع بها من جرير بن عبدالحميد الضَّبِّيّ نزيل الرّيّ (ت ١٨٨)، وهو محدّث ثقة، وكان موسى قد نسخ كتب جرير قبل ذلك، فقرأ عليه جَرِير، وهو يمسك بكتابه، حتّى استوعب السّماع منه[2].

وكان موسى في رحلته يذاكر مع زملائه ما يسمعونه من الشّيوخ لئلّا ينساه[3].

مكانتــه العلميّــة:

وبلقيّ هؤلاء الرّواة الكبار، والسّماع منهم، والكتابة عنهم، أصبح موسى من كبار المحدّثين كما شهد له بذلك الإمام أبو الحسن الكوفي[4]، ووصفه به جميع المترجمين له، قال أبو العرب: «كان عالماً بالحديث، كثير الأخذ عن الرّجال المدنيّين والكوفيّين والبصريّين، وغيرهم من أهل الأمصار، يطول بذكرهم الكتاب»[5].

وقال الدَّبَّاغ: «كان راوياً للحديث»[6]، وقال ابن أبي دُلَيْم: «والأغلب عليه الحديث والرّواية»[7]، وقال صاحب الشّجرة: «الإمام العالم بالحديث الآخذ عن رجاله»[8].

وقال صاحب العيون والحدائق: «كان عالماً بالحديث»[9] وقال ابن وضّاح:

---

(١) الرياض ١/٣٨١.
(٢) التهذيب ٢/٧٥، الرياض ١/٤٨٤.
(٣) انظر: الرياض ١/٣٨٤.
(٤) انظر: ط أبي العرب مح ١٩١.
(٥) ط أبي العرب مح ١٩٠.
(٦) انظر: المعالم ٢/٥١.
(٧) المدارك ٣/٦.
(٨) انظر: الشجرة ١/٦٨.
(٩) العيون والحدائق ٤٠٧.

«كان كثير الحديث»[1]، كما كان قائماً بالإفتاء في القيروان، وشهد له الإمام سحنون بجدارته بذلك كما سيأتي قريباً.

أثره العلميّ والحديثيّ وتلاميذه:

عاد موسى إلى القيروان سنة ١٨٩ هـ[2]، بعد رحلة استمرت خمس سنوات، وعاد بحديث كثير، ورواية واسعة، ومصنّفات عديدة، وجلس يبثّ العلم في جامع عُقبة[3] فأفاد منه عالم كثير، وانتفعوا به، وحملوا عنه مرويّاته.

وكان يحدّث بمصنّف وَكِيع بن الجرّاح[4]، وموطّأ مالك[5]، وغيرهما من حديثه.

وقد نشر حديثاً كثيراً حتّى أصبح في عداد من يُجمع حديثه، فقد جمع بعض طلّابه كثيراً من حديثه في مصنف لا يزال بعضه في مكتبة جامع القيروان[6]، وكان موسى قد عمي بعد العودة من رحلته بيسير، فكان يحدّث من حفظه أو بقراءة الطّلبة عليه.

وبجانب التّحديث والرّواية كان موسى يفتي النّاس، وكان الأمير يرسل إليه يستفتيه[7]، وقد قيل لسحنون: إن موسى بن معاوية جلس في الجامع يفتي النّاس فقال: «ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحقّ بالفتيا من موسى بن معاوية»[8].

وكان كثير العبادة، يقضي شهر رمضان في قصور الرّباط[9]، وكان على سنّة

---

(١) سير أعلام ١٢/١٠٨.
(٢) المدارك ٣/٥.
(٣) انظر: المعالم ٢/٥١.
(٤) فهرس ابن عطية ٦٤.
(٥)، (٦) المكتبة الأثرية ٣٨.
(٧) انظر: ط أبي العرب مح ١٩٢.
(٨) المعالم ٢/٥١، سير أعلام ١٢/١٠٨.
(٩) انظر مثلاً: الشجرة ١/٦٩، الرياض ١/٣٨١.

واستقامة، امتُحن في مسألة القول بخلق القرآن على يد القاضي المعتزلي ابن أبي الجواد فعافاه الله[1].

أمّا تلاميذه فهم كثرة لا يحصون، قال أبو العرب: «سمع منه عامّة أهل إفريقيّة فأما رجاله فكثرة لا أحيط بهم لكثرتهم»[2].

ومن مشاهير الرّواة عنه الإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)[3]، وابنه محمد بن سحنون[4] (ت ٢٥٦)، والمحدّث أحمد بن يزيد القُرَشِيّ (ت ٢٨٤)، وهو الذي جمع بعض حديثه عنه في كتاب السُّنَّة[5]، ومحمد بن فُرات العَبْدِيّ (ت ٢٩٢)[6] وغيرهم من الأفارقة. وأمّا تلاميذه الأندلسيّون فمن أشهرهم: المحدّث محمد بن وضّاح (ت ٢٨٦) وقد حمل عنه مصنّف وكيع وغيره[7]، وعيسى بن عاصم الثَّقَفِيّ (ت ٢٥٨[8]، كما سمع منه محمد بن أحمد العَنْسِيّ[9] وغيرهم.

توثيقه:

لقد تقدّم في مكانته العلميّة ذكر ثناء كثير من العلماء، وسأذكر هنا خصوص توثيقهم له:

لقد كان موسى بن معاوية من كبار أئمّة القيروان، وكان سحنون يجلّه ويقدّمه في المجالس[10]، وقد أثنى المصنّفون على فضله، وعلمه وتعبّده،

---

(١) انظر: المدارك ٣/٧، المحن ٤٥٤.

(٢) ط أبي العرب مح ١٩١.

(٣)، (٤) سير أعلام ١٢/١٠٩، الشجرة ١/٦٨، المدارك ٣/٥.

(٥) انظر: المكتبة الأثرية ٣٨.

(٦) فهرسة ابن خير ١١.

(٧) فهرس ابن عطية ٦٤، البغية ١٢٣.

(٨) تاريخ ابن الفرضي ١/٣٧٤، المدارك ٣/١٤٧.

(٩) سير أعلام ١٢/١٠٩.

(١٠) انظر: المدارك ٣/٦.

ووثّقوه. قال الحافظ أبو العرب: «كان ثقة مأموناً»[1]، وقال الدّبّاغ: «كان عالماً... ثقة مأموناً»[2].

وقال ابن وضّاح: «كان ثقة كثير الحديث»[3]، وقال صاحب العيون والحدائق: «كان ثقة مأموناً عالماً بالحديث»[4]، وقال صاحب الشّجرة: «الإمام الثّقة الأمين العالم»[5].

مصنّفاته[6]:

له كتاب الزّهد وكتاب في المواعظ.

٣٩ ــ يحيى بن الخَرَّاز الحُفْرِيّ[7]، أبو زكريّاء (١٣٤ - ٢٣٧):

محدث، فقيه، فرضي.

طلبه وشيوخه ورحلته:

سمع من قدماء شيوخ إفريقيّة في الحديث، منهم: عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)[8]، وعبدالملك بن أبي كريمة التّونُسيّ (ت ٢٠٤)[9]، وسمع من أبي معمر عبّاد بن عبدالصمد البصري نزيل القيروان، أخذ عنه حديثاً كثيراً كما ذكر أبو العرب[10]، وسمع من البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)[11]، وعَنْبَسة بن خارجة الغَافِقِيّ (ت ٢١٠)[12]، وغيرهم.

---

(١) ط أبي العرب مح ١٩٠.
(٢) المعالم ٢/٥١.
(٣) سير أعلام ١٢/١٠٩.
(٤) العيون ٤٠٧.
(٥) الشجرة ١/٦٨.
(٦) المدارك ٣/٨.
(٧) ط أبي العرب مح ١٧٤، معالم الإيمان ٢/٦٣، وله عدة أحاديث في كتاب المحن ٤١، ٥٧، وسمي الحُفْرِيّ لأن داره كانت على حفرة كما قال أبو العرب.
(٨)، (٩) المعالم ٢/٦٤.
(١٠) ط أبي العرب مح ١٧٤.
(١١) الرياض ١/٢٠١.
(١٢) المدارك ١/٣٨٦.

وكان له رحلتان إلى المشرق، سمع في الأولى الحديث من يونس بن يزيد الأَيْلِيّ (ت ١٥٠)، وهو محدّث ثقة واسع الرّواية [١]، وغيره وذلك سنة ١٥٥ هـ.

ثمّ رحل مرة أخرى وأخذ عن جماعة من المحدّثين، منهم: سفيان بن عُيَيْنة (ت ١٩٨)، والفُضَيْل بن عياض (ت ١٨٧) وغيرهما [٢].

أثـره وتلاميـذه:

جلس أبو زكريّاء يحدّث بجامع القيروان، وسمع منه «بشر كثير من أهل القيروان من أصحاب سحنون وغيرهم» [٣]، منهم: ابنه عبدالله [٤]، وفُرات بن محمد العَبْدي (ت ٢٩٢) [٥]، ويحيى بن عمر (ت ٢٨٥ أو ٢٨٩) [٦]، وقد نشر في القيروان حديثاً كثيراً. وطلبه السلطان ليتولّى ديوان إفريقيّة، فهرب إلى المشرق، وكان ذلك سبب رحلته الأولى.

تـوثيقـه:

وثّقه أبو العرب والدّبّاغ، إلا أنّ كثرة روايته عن أبي معمر لا شكّ أنّها أدخلت الضّعف على بعض حديثه؛ لشدّة ضعف أبي معمر [٧].

٤٠ ـ يزيد بن محمد الجُمَحِيّ [٨] (ت ٢١٢ غازياً):

محدّث واسع الرّواية:

طلبه وشيوخه ورحلته:

سمع يزيد من شيوخ إفريقية، فقد لقي البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)،

---

(١) التهذيب ١١/٤٥٠، التقريب ٢/٣٨٦، ط أبي العرب مح ١٧٤.
(٢) انظر: المعالم ٢/٦٤، ط أبي العرب مح ١٧٤.
(٣) ط أبي العرب مح ١٧٤، المعالم ٢/٦٤.
(٤) المحن ٥٧.
(٥) المعالم ٢/٢٤٩. (٦) المعالم ٢/٦٤.
(٧) راجع ترجمته في القسم الثالث من التابعين رقم ٧.
(٨) الرياض ١/٢٣٩، المعالم ٢/٦٩، ط أبي العرب مح ١٦٨، العيون والحدائق ٣٧١.

وعليّ بن زياد (ت ١٨٣)، وعبدالملك بن أبي كَرِيمة (ت ٢٠٤)، وعبدالله بن غانم (ت ١٩١) وغيرهم من أهل هذه الطّبقة.

ثم رحل إلى المشرق فسمع الحديث، وأكثر من لقيّ الشّيوخ، فقد سمع بالمدينة والكوفة والبصرة والشّام وغيرها كما في المصادر[١].

ومن أشهر من لقي في رحلته: الإمام مالك بن أنس[٢]، وأبا بكر بن عيّاش الأَسَدِيّ (ت ١٦٤)، وهو محدّث ثقة عابد[٣]، وسمع من بقيّة بن الوليد (ت ١٩٧)[٤]، وإبراهيم بن محمد المدنيّ (ت ١٨٤ أو ١٩١)[٥] وغيرهم.

أثره وتلاميذه:

حدّث يزيد بن محمد بالقيروان، ونشر سماعاته الكثيرة، فقد وصفه أبو العرب بأنه كان «كثير الحديث»[٦] ومن أشهر تلاميذه: موسى بن معاوية الصُّمادحيّ المحدّث (ت ٢٢٥)[٧]، وقد مرّ قريباً، وأحمد بن يزيد القُرَشِيّ (ت ٢٨٤) وقد أكثر من السّماع منه[٨].

توثيقه:

كان يزيد ثقة، وقد وصفه بذلك أبو العرب حيث قال: «كان ثقة قديم السّنّ كثير الحديث»، ونقلت بقيّة المصادر قوله.

---

(١) انظر مثلاً: المعالم ٢/٧٠، الرياض ١/٢٣٩.
(٢) ط أبي العرب ٨٥، الرياض ١/٢٣٩.
(٣) التهذيب ١٢/٣٤، التقريب ٢/٣٩٩، المعالم ٢/٧٠.
(٤) التقريب ١/١٠٥، ط أبي العرب ٨٥، الرياض ١/٢٣٩.
(٥) التهذيب ١/١٥٨، التقريب ١/٤٢، المعالم ٢/٧٠.
(٦) ط أبي العرب مح ١٦٨.
(٧) المعالم ٢/٧٠.
(٨) ط أبي العرب ٨٥.

نتيجة عامّة لمحدّثي هذا القسم:

فهؤلاء أربعون راوياً من كبار محدّثي القيروان، يمثّلون مختلف جوانب مدرستها الحديثيّة، من حيث كثرة الرّواية أو قلّتها، والثّقة أو الضّعف، والرّحلة، والتّصنيف الحديثيّ في علوم السّنّة رواية ودراية ونحو ذلك، وقد اهتموا بنشر ذلك في ربوع إفريقيّة وما جاورها، وفي مواطن رحلاتهم شرقاً وغرباً، وذادوا عن حمى السُّنَّة، وكانوا سبباً في التّمكين لها، متظافرة جهودهم مع جهود بقيّة المحدّثين والعلماء في العالم الإسلاميّ آنذاك.

القسم الثّاني: المحدّثون الذين هاجروا إلى القيروان واستوطنوها:

مدخل:

لقد ازدهرت الحياة العلميّة في القيروان حتّى كادت تضاهي بعض عواصم المشرق... كالفُسطاط وبغداد، واستهوت كثيراً من العلماء، فقدموا إليها وسكنوها، وأخذوا عن علمائها، وأسهموا في إثراء الحياة العلميّة بها. وأصبح هؤلاء في عداد القرويّين بمختلف الاعتبارات، فهم قد هاجروا إليها هجرة استيطان، كما أنّ مقامهم بها زاد عن المدّة التي نصّ عليها العلماء في تحديد أوطان الرّواة، فعلى الاعتبار الأوّل قال صاحب نفح الطيب: «إن جميع المؤرّخين من أئمّتنا السّالفين والباقين دون محاشاة أحد، بل قد تيقنّا إجماعهم على ذلك، متّفقون على أن ينسبوا الرّجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحقّ به... ومن هاجر منّا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به»[1].

وعلى الاعتبار الثّاني قال عبدالله بن المبارك (ت ١٨١) وغيره: «من أقام في بلدة أربع سنين نسب إليها»[2].

---

(١) نفح الطِّيب ٣/١٦٤.

(٢) تدريب الرّاوي ٢/٣٨٥.

وقد هاجر هؤلاء الرّواة من الأندلس، وهم الأكثر، والأقلّ هاجروا من المشرق، والمَغْرِبَيْن الأوسط والأقصى (الجزائر والمغرب)، ومن بعض مدن إفريقيّة البعيدة عن القيروان، وقد وجدت بعد البحث أنّ عددهم يزيد على الأربعين، ولكنّي سأذكر تسعة منهم ظهر أثرهم أكثر من غيرهم في إثراء الحياة العلميّة بالقيروان وتكوين مدرسة الحديث بها.

١ ــ إبراهيم بن أحمد الشَّيْبَانِيّ[١]، أبو اليَسَر، (ت ٢٩٨):

محدّث، لغويّ أديب، مشارك في علوم القرآن، من أهل بغداد سكن القيروان.

طلبه وشيوخه:

ذكرت المصادر أنّه سمع ببغداد من «جلّة المحدّثين والفقهاء والنّحويين»[٢]، وسمع كثيراً من رسائل المحدّثين وأخبارهم، أخذ عن سعيد بن حُمَيد الكاتب (ت حوالي ٢٤٠)[٣]، وسليمان بن وهب البغداديّ (ت ٢٧٢)[٤]، وأحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠)[٥]، ولقي كثيراً من النّحويين كالمبرّد وعبدالله بن مسلم بن قُتيبة (ت ٢٧٦)، وهو نحوي له مشاركة في الحديث[٦]، وسمع الشعر من أبي تَمّام والبُحْتُرِيّ وغيرهما[٧].

(١) الشجرة ١/٧٤، أعلام المغرب العربي ١/٣٠، تراجم المؤلّفين ٢/٤٠٥، التكملة ١/١٧٣، نفح الطيب ٣/١٣٤. ورقات ١/٢٤٤، البيان المغرب ١/١٦٢، هدية العارفين ٥/٤، الأعلام ١/٢٢، معجم المؤلفين ١/٥، القراءات بإفريقية ٢٨٢، مجلّة الموقف الأدبي عدد ٧٨ سنة ١٩٧٧ م.

(٢) انظر مثلاً: التكملة ١/١٧٣، نفح الطيب ٣/١٣٤.

(٣) هدية العارفين ٥/٣٨٨، التكملة ١/١٧٣.

(٤) هدية العارفين ٥/٣٩٥، نفح الطيب ٣/١٣٤.

(٥) هدية العارفين ٥/٥١، ورقات ١/٢٤٤.

(٦) انظر: مقدمة كتابه إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث ١٠.

(٧) انظر: عن هؤلاء الشيوخ وغيرهم المصادر المثبتة أول الترجمة.

وقد طاف في مختلف البلدان من خُراسان إلى الأندلس، ثم استمالته القيروان فاتّخذها موطناً[١].

وكان متفنّناً في مختلف العلوم، وعلى رأسها الحديث وعلوم القرآن والأدب والشّعر، وكان جيّد الخطّ يكتب كتبه بيده[٢].

أثره العلميّ والحديثيّ في القيروان:

لقد طال مقام إبراهيم في القيروان، فقد دخلها في عهد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الذي تولّى الإمارة سنة ٢٦١ هـ[٣]. ومكث بها إلى أن توفّي سنة ٢٩٨ هـ[٤]، ويبدو أنّه صنّف بها معظم مؤلّفاته، وقد نسخ بها كتاب سِيبَوَيْه كاملاً[٥].

وذكرت المصادر أنّه أدخل إلى القيروان «رسائل المحدّثين، وأشعارهم، وطرائف أخبارهم»[٦]، وأخذها عنه أهل القيروان، كما أخذوا عنه مسنده في الحديث وكتابه سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه وغيرها من مصنّفاته الكثيرة.

وقد تولّى إبراهيم الكتابة لبني الأغلب، وترأس بيت الحكمة في عهد زيادة الله الأغلبي، آخر ملوك هذه الدولة (٢٩٠ - ٢٩٦)[٧] وكان من المدرّسين فيه[٨]، غير أنّ المصادر لم تذكر له إلا تلميذاً واحداً، هو أبو سعيد عثمان بن سعيد الصَّيْقَل[٩]، وقد أغفلت المصادر الإفريقيّة ذكر أبي اليَسَر، ولعلّ ذلك يرجع

(١) انظر: نفح الطيب ٣/١٣٤.
(٢) انظر: الصلة ١/١٧٣، ورقات ١/٢٤٤.
(٣) انظر: البيان المغرب ١/١١٦، نفح الطيب ٣/١٣٤.
(٤) البيان المغرب ١/١٦٢، التكملة ١/١٧٣.
(٥) التكملة ١/١٧٣.
(٦) التكملة ١/١٧٣، نفح الطيب ٣/١٣٤.
(٧) نفح الطيب ٣/١٣٤، ورقات ١/٢٤٤، الأعلام ١/٢٢.
(٨) ورقات ١/٢٤٤.
(٩) نفح الطيب ٣/١٣٥.

إلى قربه من السّلطان وتلبّسه بأعماله، خاصّة وأنّه كتب للعُبيديّين لمدّة سنة كاملة قبل أن يُتَوفّى[1].

مـؤلّفاتــه[2]:

له مصنّفات عديدة أهمّها: ـ المسند في الحديث ـ سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه ـ لقط المرجان، وهو على نسق عيون الأخبار لابن قُتيبة ـ الرّسالة العذراء ـ قطب الأدب ـ المُرَصَّعَة والمُدَبَّجَة في الأدب أيضاً، وغيرها.

٢ ـ بَكر بن حمّاد التَاهَرْتِيّ[3]، أبو عبدالرحمٰن (٢٠٠ ـ ٢٩٦):

محدّث واسع الرّواية، عالم بالتّاريخ والـرّجال، فقيـه، شاعـر، من أهل تَاهَرْت ببلاد الجزائر واستوطن القيروان.

طلبه وشيوخه ورحلته:

نشأ ببلدة تَاهَرْت[4]، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى القيروان وعمـره حوالي ١٧ سنة، فالتحق بحلقاتها العلميّة الكثيـرة المنتشرة في المسـاجد ودور العلماء، ومن أبرز شيوخه بهـا[5]: الإمام سحنـون بن سعيد، وعـون بن يوسف الخُـزاعيّ المحدّث الفقيـه (ت ٢٣٩)، وحامـد بن عمر، وكـان ممّن رحل في الحديث[6]، وبعد أن استوعب السّماع من مشايخها رحل إلى البصرة، وغيرها من

---

(١) انظر: نفح الطيب ٣/١٣٤.

(٢) انظر: المصادر المثبتة أول الترجمة وخاصة تراجم المؤلفين ٢/٤٠٥، الشجرة ١/٧٤، التكملة ١/١٧٣، نفح الطيب ٣/١٣٤، معجم المؤلفين ١/٥، هدية العارفين ٥/٤.

(٣) الرياض ٢/٢١، المعالم ٢/٢٨١، الشجرة ١/٧٢، البيان المغرب ١/١٥٤، ورقـات ١/٢٥٥، نفح الطيب ٢/٤٨، المغرب العربي ١٢٠، مسـالك البكـري ٦٧، الأعلام ٢/٣٧، معجم البلدان ٢/٨، معجم أعلام الجزائر ٥٨.

(٤) نسبة إلى تَاهَرْت، وهو اسم لمدينتين متقابلتين بالمغرب بينهما وبين المَسِيلَة ستّ مراحل، معجم البلدان ٢/٧.

(٥) انظر: المصادر أعلاه.

(٦) ط أبي العرب ١٢١، المحن ١٠٦.

بلاد المشرق، وذلك سنة ٢١٧ هـ[١] فسمع حديثاً كثيراً، وحذق علم الرّجال، وأكثر من لقيّ المحدّثين والأخذ عنهم، كما لقي جماعة من الأدباء والشّعراء وأخذ عنهم[٢]، ومن أبرز شيوخه في رحلته: الحافظ مُسَدَّد بن مُسَرْهَد الأَسَدِيّ البصري، أحد كبار المحدّثين الثّقات، وأوّل من صنّف المسند بالبصرة (ت ٢٢٨)[٣]، وقد سمع منه بَكر حديثاً كثيراً، وأخذ عنه مسنده[٤]، وسمع من عمرو بن مرزوق الباهِلِيّ البصري، وهو محدّث ثقة (ت ٢٢٤)[٥]، وأخذ عن أبي حاتم سهل بن محمد السِّجِسْتَانِيّ المقريء النّحويّ (ت ٢٢٥)[٦]، وإسحٰق بن إبراهيم بن العلاء الحِمْصِيّ (ت ٢٣٨)[٧]، وجعفر بن مُسَافِر الهُذَلِيّ (ت ٢٥٤)[٨]، ونُعَيْم بن حمّاد الخُزاعيّ المروزيّ، نزيل مصر (ت ٢٢٨)[٩]، وزُهَيْر بن عَبَّاد الرُّؤَاسِيّ الكوفيّ، نزيل مصر (ت ٢٣٨)[١٠]، وسمع بطرابُلُس الغرب من أبي الحسن أحمد بن عبدالله الكوفي العجليّ (ت ٢٦١)[١١] صاحب تاريخ الثّقات والجرح والتّعديل، وغيرهم.

وأكثر هؤلاء الشّيوخ تتبّعتهم في أسانيد مرويّاته في التّمهيد والمحن[١٢]، وقد عثرت له في كتاب المحن وحده على ستّة عشر شيخاً، ويصل عدد شيوخه إلى حوالي خمسة وعشرين شيخاً، بين محدّثين وأدباء وشعراء.

---

(١) المعالم ٢/٢٨١.
(٢) انظر مثلاً: الشجرة ١/٧٢.
(٣) التقريب ٢/٢٤٢، المعالم ٢/٢٨١.
(٤) انظر: التمهيد ١/٢٤٨، ٢/٣٥، ٨١، وانظر: البغية ٤٣٣.
(٥) التقريب ٢/٧٨، المعالم ٢/٢٨١.
(٦) التقريب ١/٣٣٧، المعالم ٢/٢٨١.
(٧) التقريب ١/٥٤، المحن ١٩٥.
(٨) التقريب ١/١٣٢، المحن ١١٥.
(٩) التقريب ٢/٣٠٥، المحن ١٨٨.
(١٠) اللسان ٢/٤٩٢، المحن ٤٤.
(١١) المحن ١١١.
(١٢) انظر مثلاً: التمهيد ١/٢٤٨، ٢/٣٥، ٨١، ٤/٧٥، ٧٧، ٢٩١، ٣١٥، ٣١٦، وانظر: المحن ٤٠، ٤٤، ٩٥، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٣٧، ١٤٠، ١٨٨، ١٩٤.

وكان بكر يستفيد كذلك ممّن عنده علم من الوافدين على القيروان، فقد سمع بها من بَقِيّ بن مُخْلَد مسند الأندلس (ت ٢٧٦)[١].

أثــره وتلاميــذه:

عاد بَكر بن حماد إلى القيروان بعلم غزير في الحديث والرّجال والأدب، مع ما تلقّاه فيها، وبذلك أخذ موقعه بين مدرّسيها، وقد عرف الطّلاّب مكانته، فأقبلوا عليه يسمعون مرويّاته الكثيرة مثل مسند مُسَدَّد[٢]، وجلس لإملاء الحديث، كما أملى الشعر أيضاً، وكان غالب شعره في الزّهد والرّقائق وذكـر الموت[٣]، وانتفع به أهل القيروان، وسمع منه خلق كثير من أهلها ومن الوافدين عليها.

وكان رحمه الله شديد التّواضع، أَوَّاباً للحق، قال قاسم بن أَصْبَغْ، المحدّث الأنـدلسيّ (ت ٣٤٠) «لمّا رحلت إلى المشـرق نزلت القيـروان، فأخـذت عن بَكر بن حمّاد حديث مُسَدَّد. . . » ثم ذكر أنّهما اختلفا في لفظة من ألفاظ الحديث، وبعد تبيّن أنّ الحق فيها إلى جانب قاسم، قال: «فقال بَكّر بن حَمّاد وأخذ بأنفه: رغم أنفي للحقّ»[٤].

وقد عرفنا من تلاميذه: حافظ القيروان أبو العرب التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)، وقد روى عنه حديثاً كثيراً، وعن طريقه وصلنا بعض حديث بَكر وعرفنا مكانته من علم الحديث والرّجال والتّاريخ[٥]، كما سمع منه أبو بكر محمد بن اللّبّاد شيخ السُّنّة بالقيروان (ت ٣٣٣)[٦] وغيرهما.

(١) تاريخ ابن الفرضي ١٠٧/١، المحن ١١٣.
(٢) انظر: البغية ٤٣٣.
(٣) انظر: شعره في الرياض ٢٢/٢، المعالم ٢٨٣/٢.
(٤) انظر: نفح الطيب ٤٩/٢.
(٥) انظر مثلاً: كتاب المحن ٤٠، ٩٥، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ط أبي العرب ٣٧، ٧٢، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢.
(٦) الرياض ٢٨٣/٢، سير أعلام ٣٦٠/١٥، المعالم ٢٢/٢.

وسمع منه أهل الأندلس: المحدّث قاسم بن أَصْبَغ (ت ٣٤٠)[1]، كما أخذ عنه الحافظ الفقيه محمد بن صالح القَحْطَانِيّ المَعافِرِيّ (ت ببخاري سنة ٣٨٣)[2].

مكانته الحديثيّة وتوثيقه:

أجمع المترجمون له على توثيق بكر بن حماد، وذكروا تقدّمه في مجال الحديث والرّجال، قال الدّبّاغ: «كان ثقة عالماً بالحديث والرّجال»[3]، ونقل ابن ناجي أنّه كان «عالماً بالحديث وتمييز الرّجال، ثقة مأموناً»[4]، وقال صاحب الشّجرة: «الفقيه، العمدة، الفاضل، الإمام، الثّقة، العالم بالحديث وتمييز الرّجال»[5] وقال ياقوت: «من حفّاظ الحديث، وثقات المحدّثين المأمونين»[6].

ـ وفاتـه:

وشى به البعض لدى أمير الأغالبة، فخرج هارباً من القيروان سنة ٢٩٥ هـ، ولقيه قطّاع طريق فأصابوه بجراح توفّي بسببها سنة ٢٩٦ هـ بتَاهَرْت[7].

٣ ـ عبدالله بن فَرُّوخ الفارسيّ القيروانيّ[8]، أبو محمد (١١٥ ـ ١٧٦):

محدّث واسع الرّواية، فقيه، مناظر، شديد على المبتدعة، وهو أندلسيّ سكن القيروان، وعداده في شيوخ إفريقيّة.

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٤٠٦/١، نفح الطيب ٤٨/٢.

(٢) نفح الطيب ١٤٢/٢.

(٣)، (٤) المعالم ٢٨٢/٢.

(٥) الشجرة ٧٢/١.

(٦) معجم البلدان ٨/٢.

(٧) انظر: المعالم ٢٨٢/٢، الرّياض ٢١/٢.

(٨) ط أبي العرب ٣٤، ط الخُشَنِيّ ٢٣٥، الرّياض ١٧٦/١، المدارك ٣٣٩/١، الشّجرة ٦٠/١، المغرب العربي ٦٦، تاريخ إفريقية والمغرب ١٧٨، المعالم ٢٣٨/١، التّكملة ٧٧٢/٢، الخلاصة ٢٠٩، تاريخ قضاة القيروان خط ٧، التاريخ الكبير ١٦٩/٥، الجرح والتعديل ١٣٧/٥، الكاشف ١٠٥/٢، الميزان ٤٧١/٢، التقريب ٤٤٠/١، التهذيب ٣٥٦/٥، ثقات ابن حبان ٣٣٥/٨، تهذيب الكمال ٧٢٢/٢، أحوال الرجال ١٥٦، الضعفاء الكبير ٢٨٩/٢، الكامل في الضعفاء ١٥١٥/٤، تراجم المؤلّفين ٢/٥، الحلل السّندسيّة ٧٢٣/٣/١.

قدومه القيروان وطلبه وشيوخه ورحلته:

ولد ابن فَرُّوخ في الأندلس، وقدم القيروان صغيراً فسكنها[1]، وسمع من شيوخها علوم الكتاب والسّنّة، فقد أخذ عن عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)[2]، ولقي من بها من بقايا التّابعين، مثل يزيد بن أبي منصور[3] وغيره، وروى عن الحارث بن أسد القَفْصِيّ تلميذ مالك[4].

ثم رحل إلى المشرق رحلته الأولى في طلب العلم قبل سنة ١٤٥ هـ[5]، وهو من أوائل المرتحلين من الأفارقة، وسمع من كبار المحدّثين فقد أخذ بالمدينة عن مالك بن أنس واعتمد عليه في الحديث والفقه، واشتهر بصحبته، وكان مالك بعد ذلك يكاتبه[6]، وسمع بها من أسامة بن اللّيثيّ (ت ١٥٣)[7]، وهشام بن عروة (ت ١٤٥ أو ١٤٦)[8]. وغيرهم.

وسمع بمكّة حديثاً كثيراً من سفيان الثّوري (ت ١٦١)[9]، وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جُريج (ت ١٥٠ أو بعدها)[10]، وغيرهما.

وسمع في العراق من جماعة كثيرة، منهم: سليمان بن مِهْرَان الأعمش (ت ١٤٧)[11]، وقد أخذ عنه حديثاً كثيراً، قال عبدالله بن فَرُّوخ: «أتيت الكوفة

---

(١) انظر: الرياض ١/١٧٧، المعالم ١/٢٣٩. (٢) التكملة ٢/٧٧٣.

(٣) انظره في القسم الرّابع من التّابعين ترجمة رقم ٢.

(٤) علماء قفصة بين مدرستين ١٠٩.

(٥) لأنه روى فيها عن هشام بن عروة المتوفّى سنة ١٤٥ أو ١٤٦، التهذيب ١١/١٤٨، الخلاصة ٢٠٩.

(٦) الرياض ١/١٧٧، الشجرة ١/٦٠. (٧) التقريب ١/٥٣، التهذيب ٥/٣٥٦.

(٨) التهذيب ١١/٤٨، الكاشف ٢/١٠٥.

(٩) التّكملة ٢/٧٧٢، الرّياض ١/٢١٦، ٢١٧.

(١٠) التاريخ الكبير ٥/١٦٩، الجرح والتّعديل ٥/١٣٧.

(١١) المدارك ١/٣٣٩، الجرح والتّعديل ٥/١٣٧.

وأكبر أملي السّماع من سليمان الأَعْمَش، فسألت عنه فقيل لي: إنّه غضب على أصحاب الحديث، فحلف أن لا يسمعهم إلى وقت ذكروه، قال: فكنت أختلف إلى داره طمعاً أن أصل إليه، فلم أقدر على ذلك، فجلست على بابه وأنا مفكّر في غربتي، وما حُرِمته من السّماع منه، إلى أن فُتح الباب، فخرجت جارية فقالت: ما بالك على بابنا؟ فقلت: أنا رجل غريب، وأعلمتها بخبري فقالت: وأين بلدك؟ فقلت: إفريقيَّة، فانتشرحت لي وقالت: أتعرف القيروان؟ قلت لها: ومن أهلها؟ قالت: لعلّك تعرف دار ابن فَرُّوخ؟ ثمّ تأمّلتني وقالت: عبدالله؟ قلت: نعم، فإذا هي جارية كانت ببلادنا ـ (قال الرّاوي): وأظنّه قال: كنتَ رضيعاً لها ـ بعناها وهي صغيرة فصارت إلى الأعمش، وكانت لها دالّة عليه، فدخلت عليه، فقالت له: ابن مولاي الذي كنت أخبرك بخبره بالباب، فأمرها بإدخالي وأسكنني في بيت قبالته، فكنت أسمع منه وحدي، وقد حُرِم سائر النّاس إلى أن قضيت أَرْبي منه»[1].

وقد نقلتُ الخبر بطوله ليقف القاريء على مدى حرص ابن فرّوخ على السّماع، وما يسرّه الله له فيه بسبب تلك الجارية، حتى سمع جميع ما عند الأعمش، وهو من كبار المحدّثين[2].

كما سمع هنالك من زكريّاء بن أبي زائدة (ت حوالي ١٤٨)[3]، وهشام بن حسّان (ت ١٤٧ أو ١٤٨)[4]، وعبدالله بن عون البصري (ت ١٥٠)[5].

ولقي الإمام أبا حنيفة النُّعمان بن ثابت (ت ١٥٠)، وكتب عنه نحو عشرة

---

(١) الرّياض ١/١٨٠، المدارك ١/٣٤٥، المعالم ١/٢٤١، تاريخ إفريقيّة ١٧٩.

(٢) انظر: الكاشف ١/٣٢٠، التهذيب ٤/٢٢٢.

(٣) التقريب ١/٢٦١، التكملة ٢/٧٧٢.

(٤) التقريب ٢/٣١٨، الجرح والتعديل ٥/١٣٧، ط أبي العرب مح ١٠٧.

(٥) التقريب ١/٤٣٩، التهذيب ٥/٣٥٦.

آلاف مسألة، وذلك قبل أن يدوّن أبو حنيفة كتبه[1]، وسمع منه الحديث أيضاً، قال ابن فَرُّوخ: «كنت يوماً عند أبي حنيفة فسقطت آجرّة من أعلى داره على رأسي فدمي، فقال لي: اِختر إن شئت أَرْش الجرح، وإن شئت ثلاثمائة حديث، فقلت: «الحديث خير لي»، فحدّثني ثلاثمائة حديث»[2].

وقد ناظر زُفَر الهُذَيْلِيّ (ت ١٥٨) وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة، فازدراه زُفَر بسبب أنّه من أهل المغرب، فلم يزل به ابن فرّوخ حتّى علا عليه في المناظرة وقطعه، فقال أبو حنيفة لزُفَر: «لا خفّف الله ما بك»؛ لازدرائه ابن فرُّوخ[3].

وقد كان شيوخ ابن فَرُّوخ كلّهم من كبار المحدّثين الثّقات كما تقدم، وبلقيّهم والسّماع منهم والكتابة عنهم كثر حديثه، واتّسعت مرويّاته، وأصبح من كبار العلماء.

أمّا رحلته الثّانية فكانت سنة ١٧٥ هـ قُبيل وفاته، وقد التقى فيها بالإمام مالك وكان به حفيّاً، أجلسه إلى جنبه في مجلس صاحبه المغيرة بن عبدالرحمن المَخْزُومِيّ (ت ١٨٨)، وكان يحيل عليه المسائل ويقول للسّائل: «هو كما قال لك»، ثم التفت مالك إلى أصحابه، وقال: «هذا فقيه المغرب»[4]، وقد حدّث عند عودته بمصر، وأُعجب به أهلها، وطمعوا أن يكون لهم خَلَفاً من اللّيث بن سعد (ت ١٧٥)، ولكنّه سرعان ما توفّي[5].

---

(١) انظر: الرياض ١/١٨٠، المعالم ١/٢٤٠.
(٢) المدارك ١/٣٤٤، المعالم ١/٢٤٠، الرياض ١/١٨١، تاريخ الرقيق ١٧٨.
(٣) انظر: الرياض ١/١٨١، المدارك ١/٣٤٢.
(٤) انظر: الرياض ١/١٧٩، المدارك ١/٣٤١، المعالم ١/٢٣٩.
(٥) انظر: المدارك ١/٣٤١.

أثره الحديثيّ وتلاميذه:

من أوّل آثار ابن فرّوخ العلميّة ما ذكرته آنفاً من مناظراته في العراق، وتحديثه بمصر، وأجوبته عن المسائل بحضرة الإمام مالك الذي كان يحيل عليه الأسئلة.

وقد كان عبدالله بن فرّوخ من أوائل المرتحلين إلى المشرق من أهل إفريقيَّة، وكان الطّلبة بالقَيْرَوان يقبلون بكلّ شغف على العائدين بعلم من المشرق، ولذلك فما إن وصل ابن فرّوخ حتى أقبل عليه النّاس للسّماع منه.

وكان عبدالله يدرك الحاجة الماسّة إلى علمه في تلك الفترة، فجلس في جامع عُقبة «يعلّم النّاس، ويحدّثهم بسنّة رسول الله ﷺ حتّى انتفع به خلق كثير»[1]، سمعوا منه مرويّاته الكثيرة وحملوها عنه، وهو أوسع أهل طبقته رواية، وأكثرهم نشراً للسّنّة بالقيروان.

وكان إلى جانب ذلك مقصد النّاس في الفتيا، بل إنّ أمير القيروان نفسه كان يرسل إليه يسأله في نوازله حتى إنّه سأله مرّة عن الصلاة في الثّوب الذي فيه دم البراغيث، فقال: «ما أرى به بأساً»، ثم قال بحضرة الرّسول: «يسألوننا عن دم البراغيث ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التي تُسفك»[2].

وكان حريصاً على نشر السّنّة، داعياً إلى التّمسّك بها، شديداً على أهل البدع في مواقفه، حيث كان لا يصلّي على موتاهم[3]، وكان يحذّر النّاس منهم، ويكشف لهم بطلان آرائهم، وكان يؤلّف في الرّدّ عليهم[4].

وكان واسع العلم بالسُّنن وما كان عليه السّلف الصّالح، وهو مرجع أهل إفريقيّة في ذلك كالبُهلول بن راشد وغيره[5].

---

(١) الرياض ١/١٧٧، المعالم ١/٢٣٩، المدارك ١/٣٤٠.

(٢) المعالم ١/٢٤٤، الرياض ١/١٨٤. (٣) المدارك ١/٣٤٦، الرياض ١/١٨٦.

(٤) المدارك ١/٣٤٥، الرياض ١/١٧٧. (٥) المعالم ١/٢٤٦، الرياض ١/١٨١.

ونظراً لهذه المكانة العلميّة التي وصل إليها ابن فَرُّوخ فقد ألحّ عليه أمير القيروان أن يلي القضاء، ولكنّه رفض فخوّفه بالقتل، وأجبره على الجلوس للخصوم، فبكى بكاء شديداً، وقال لأوّل خصمين جاءاه: «سألتكما بالله إلّا أعفيتُماني من أنفسكما، ولا تكونا أوّل مشؤومين عليّ، فرحماه، وقاما من بين يديه»[(١)]، عند ذلك يئس الأمير، وطلبَ منه أن يشير عليه بقاض، فأشار بعبدالله بن غانم، وكان ابن غانم بعد ذلك يشاوره في أحكامه، فكان لا يجيبه، فألحّ عليه ابن غانم وشدّد، فضاق ابن فَرُّوخ بذلك وخرج إلى المشرق[(٢)] سنة ١٧٥ هـ فحجّ، وتوفّي في مصر عند عودته، وذلك سنة ١٧٦ هـ[(٣)].

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من أهل إفريقيّة وغيرها، منهم[(٤)]:

البُهلول بن راشد (ت ١٨٣)، وعبدالله بن غانم (ت ١٩٠)، وحبيب بن سعيد أخو الإمام سَحنون[(٥)]، وسَكَن بن سعيد الصّائغ[(٦)]، وأبو مُحْرِز محمد بن عبدالله القاضي (ت ٢١٤)[(٧)]، وواصِل العابد (ت ٢٥٢)[(٨)]، وحَيُّوس بن طارق[(٩)] وأبو زكريّاء القَصِير[(١٠)]، وبُهلول بن عمر التُّجيبي (ت ٢٣٣ أو ٢٣٤)[(١١)].

أما أروى النّاس عن ابن فرّوخ فهو مَعْمَر بن منصور، وكان مسنّاً صاحب رواية[(١٢)]، وغيرهم.

---

(١) المدارك ١/٣٤٣، طبقات أبي العرب مح ١٠٨.
(٢) انظر: المدارك ١/٣٤٣، المعالم ١/٢٤٢.
(٣) المعالم ١/٢٤٨.
(٤) انظر: المصادر المثبتة أوّل الترجمة.
(٥) المعالم ٢/١٠٤.
(٦) ط أبي العرب ١١٢.
(٧) الرياض ١/٢٧٤، ط أبي العرب ٨٤.
(٨) الرياض ٢/١٥.
(٩) الرياض ١/١٨٦.
(١٠) الرياض ١/١٨٠.
(١١) انظر: ترجمته رقم ٦ في المحدثين.
(١٢) ط أبي العرب ١١٢.

أما من غير الأفارقة فقد روى عنه سعيد بن الحَكَم بن أبي مريم المصري، وهو محدّث ثقة ثبت، وكان كثير الثّناء على ابن فرّوخ (ت ٢٢٤) [١].

وعمرو بن الرّبيع بن طارق المصري (ت ٢١٩) [٢] وخَلّاد بن هِلَال [٣] وهشام بن عُبيد الله الرّازي [٤].

كما سمع منه يحيى بن سلّام (ت ٢٠٠) [٥] قبل دخوله إفريقيّة. وغيرهم.

منزلته من حيث الجرح والتّعديل، وبيان وهم القاضي عياض فيه:

عبدالله بن فرّوخ أحد رجال الكتب الأربعة، وحديثه في سنن أبي داود، وقد وهم القاضي عياض حين عدّه من رجال مسلم، ولعلّه اختلط عليه بآخر يروي عن عائشة [٦]، وفيما يلي أقوال النُّقّاد فيه:

أ ـ الموثّقون:

لقد وثقه جميع أهل المغرب ومصر وبعض أهل المشرق، قال الحافظ أبو العرب[٧]: «كان ثقة في حديثه»، وقال: «رُمي بشيء من القدر وتبيّنت براءته منه».

وقال المالكيّ[٨] «كان حافظاً للحديث والفقه»، وكذا قال الدّبّاغ[٩].

وقال ابن أبي مريم[١٠]: «هو أرضى أهل الأرض عندي».

---

(١) التقريب ١/٢٩٣، الكاشف ٢/١٠٥، الخلاصة ٢٠٩.
(٢) الكاشف ٢/٢٨٤، التهذيب ٥/٣٥٦. (٣) التهذيب ٥/٣٥٦.
(٤) الميزان ٢/٤٧١. (٥) ط أبي العرب ٣٦.
(٦) انظر: المدارك ١/٣٤١، وانظر عن الآخر: الميزان ٢/٤٧١.
(٧) ط أبي العرب مح ١٠٧. (٨) الرياض ١/١٧٦.
(٩) المعالم ١/٢٣٨. (١٠) الخلاصة ٢٠٩، الكاشف ٢/١٠٥.

وقال عبدالله بن وهب[1]: «قدم إلينا ابن فرّوخ بعد موت اللّيث بن سعد فرجونا أن يكون خلَفاً منه، فما لبث يسيراً حتّى مات»،

وذكره ابن حبّان في الثّقات وقال: «ربّما خالف»[2].

وقال ابن يونس[3]: «وكان من العابدين»، وقال الذُّهْلِيّ[4]: «ثقة»، وقال ابن حجر في التّقريب[5]: «صدوق يغلط».

ب ـ المضعّفون:

قال البخاري [6]: «يعرف منه وينكر».

وذكر له ابن عديّ أحاديث، وقال: إنّها غير محفوظة [7].

وقال الجَوْزَجَانِيّ [8]: رأيت ابن أبي مريم حسن القول فيه، قال: «هو أرضى أهل الأرض عندي»، فأمّا أحاديثه فمناكير عن ابن جُريج عن عطاء عن أنس غير حديث.

خلاصة النّظر في حاله:

تبيّن أنّ ابن فرّوخ صدوق، في روايته مناكير قليلة فلا تضرّ عامّة حديثه، وقد وثّقه أهل بلده وهم أعرف به، كما وثّقه غيرهم، والمناكير القليلة لا يكاد يسلم من روايتها من كثر حديثه، وهو الحال في عبدالله بن فرّوخ كما تقدّم.

---

(١) المعالم ١/٢٣٨.
(٢) ثقات ابن حبان ٨/٣٣٥.
(٣) التهذيب ٥/٣٥٦.
(٤) التهذيب ٥/٣٥٦، ٣٥٧.
(٥) التقريب ١/٤٤٠.
(٦) التاريخ الكبير ٥/١٦٩.
(٧) الكامل ٤/١٥١٥.
(٨) أحوال الرجال ١٥٦.

٤ ـ عثمان بن أبي بكر بن حَمُّود الصَّفَاقُسِيّ[١]، أبو عمرو، المعروف بابن الضّابط (٣٨٦ ـ حوالي ٤٤٤):

محدّث جوّال واسع الرّحلة والرّواية، كثير الحديث، مع معرفة باللّغة والأدب.

طلبه وشيوخه ورحلاته:

ولد بصَفَاقُس، وهي مدينة كبيرة قرب القَيْرَوان[٢]، ثمّ انتقل إلى القيروان فسكنها، وطلب العلم بها في فترة كان العلم فيها بالقيروان في أزهى عصوره، ولم تذكر المصادر شيوخه بها، إذ إنّه من أولئك الذين تُوفّوا في مدّة فتنة الأعراب[٣]، فلم تهتمّ بهم كتب التّراجم الإفريقيّة، ولولا أنّه دخل الأندلس وترجم له أهلها لضاعت معالم حياته وآثاره، مع أنّه من كبار العلماء، وله إسهام كبير في نشر السُّنّة في إفريقيَّة والمغرب والأندلس. ولا شكّ أنّ غيره كثيرين لم يحظوا بالخروج إلى الأندلس ونحوها فضاعت آثارهم.

وبملاحظة الجانب الزّمني يمكن أن نقول إنّه لحق الإمام الحافظ أبا الحسن القابِسي (ت ٤٠٣)، ولقي المحدّث أبا عمران الفاسي (ت ٤٣٠)، وعَتِيق بن خَلَف التُّجيبيّ صاحب الطّبقات (ت ٤٢٣)[٤]، وأبا بكر عَتِيق السّوسي الحافظ للفقه والحديث[٥] وغيرهم من أهل هذه الطّبقة.

---

(١) الشجرة ١٠٩/١، تراجم المؤلفين ٢٦١/٣، جذوة المقتبس ٣٠٤، القراءات بإفريقيّة ٣٦٣، الأعلام ٣٦٣/٤، معجم المؤلفين ٢٥١/٦، الحلل ٣٣٥/٢/١، رحلة التجاني ٧٨، الصلة ٣٨٧/٢، فهرسة ابن خير ٤٣٥، الديباج ١٨٨، بغية الملتمس ٣٩٧.

(٢) انظر عنها: معجم البلدان ٢٢٣/٣.

(٣) تقدم ذكرها في التّمهيد.

(٤) الشجرة ١٠٦/١.

(٥) الشجرة ١٠٧/١.

ثم رحل إلى المشرق بُعيد سنة ٤٢٠ هـ[١]، وتجوّل في سائر بلدانه، ولقي كبار المحدّثين، وقد سمع بمصر ومكّة والمدينة والعِراق وأصْبَهان، وغيرها[٢].

وقد استفاد في رحلته علماً كثيراً، قال تلميذه الحُمَيدي في الجذوة: «رحل إلى العراق وغيرها بُعيد سنة ٤٢٠ هـ، وأسرع في رحلته، وعرف كثيراً من أخبار البلاد التي دخلها ومن فيها من أهل الرّواية والعلم، وسمع الكثير وكتب»[٣].

وقال ابن الحذّاء: «وكانت له رواية واسعة، ومعه كتب كثيرة، قد رواها بالعراق والشّام والحجاز ومصر...»[٤].

ومن أبرز شيوخ رحلته:

ـ أبو نُعَيم أحمد بن عبدالله الأَصْبَهاني الحافظ صاحب الحِلْية (ت ٤٣٠)، وقد صحبه بإِصْبَهان، وأكثر عنه الـرّواية، فقـد كتب عنه بخطّ يـده مائـة ألف حديث[٥]، وأخذ عنه مسند أبي داود الطّيالِسيّ، ومسند أبي بكر الحُمَيدي[٦]، وحمل عنه بعض مصنّفاته، منها: كتاب الأربعين حديثاً على مذاهب أهل السّنّة، والأربعين حديثاً على مذاهب الصّوفيّة[٧]، وغيرها، وكان الصّفاقُسيّ يقول: «لم ألق مثل أبي نُعَيم علماً وعملاً»[٨].

ـ أبو ذرّ عبد بن أحمد ويقال حُمَيد الهَرَويّ (ت ٤٣٥)، راويـة صحيح البخاري[٩]، وقد سمعه منه أو أعاد سماعه عليه إن كان أخذه في القيروان قبل ذلك.

---

(١) الجذوة ٣٠٤.
(٢) انظر: المصادر أعلاه.
(٣) الجذوة ٣٠٤، وانظر: البغية ٣٩٧.
(٤) رحلة التجاني ٧٩.
(٥) انظر مثلاً: الصلة ٢/٣٨٧، الديباج ١٨٨.
(٦) فهرسة ابن خير ١٤٤.
(٧) فهرسة ابن خير ١٥٨.
(٨) رحلة التجاني ٧٩.
(٩) إفادة النصيح ٣٩، الشجرة ١/١٠٤.

ـ أبو الطّيّب طاهر بن عبدالله الطَّبَرِي، الحافظ المحقّق، سمع منه ببغداد (ت ٤٥٠)[١].

ـ أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالملك الحافظ، وقد أخذ الصّفاقُسيّ عنه سنن التّرمذي[٢]، وشرح غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطّابيّ، وجزء في تصحيح المحدثين لألفاظ من الحديث له أيضاً[٣]، وكتاب الإعلام في شرح البخاري، والمعالم في شرح سنن أبي داود، وتفسير الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ، كلّها للخطّابي[٤]، كما أخذ عنه كتاب الأسماء والكنى المجرّدة لأبي أحمد الحاكم[٥] وغيرها.

ـ الحافظ أبو الحسين عبدالله بن أحمد الكازَرُونيّ، سمع منه الحديث وأخذ عنه كتاب الهداية، والإرشاد في معرفة أهل الثّقة والسّداد الذين خرّج عنهم أبو عبدالله البُخاري في الصحيح للحافظ أبي نصر أحمد بن محمد الكَلاَبَاذِيّ[٦]، وكتاب الحكم والأمثال المرويّة عن رسول الله ﷺ وشرح ألفاظه التي لم يسبق إليها لأبي أحمد العَسْكَرِيّ[٧] وغيرها.

ـ أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصَّابُونِيّ، أخذ عنه كتاب المدخل إلى معرفة الإكليل لأبي عبدالله الحاكم[٨].

ـ أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الحافظ النَّيْسَابُورِيّ، سمع منه كتاب «غريب القرآن وغريب الحديث» لأبي عُبيد أحمد بن محمد الهَرَوي[٩].

---

(١) طبقات الفقهاء ١٢٧.
(٢) فهرسة ابن خير ١٢١.
(٣) فهرسة ابن خير ١٩٠.
(٤) فهرسة ابن خير ٢٠١، والكتابان الأخيران مطبوعان.
(٥) فهرسة ابن خير ٢١٤.
(٦) فهرسة ابن خير ٢٢١.
(٧) فهرسة ابن خير ٢٠٢.
(٨) فهرسة ابن خير ٢٢٤، وهو مطبوع.
(٩) فهرسة ابن خير ٦٩.

وسمع غير هؤلاء كثيراً من المحدّثين والفقهاء واللّغويين.

وبسبب هذه الرّحلة الواسعة، والأخذ عن كبار الرّواة أصبح الصَفاقُسيّ من كبار محدّثي إفريقيّة وأوسعهم رواية، ومن أكثر من أدخل إلى القيروان مصنّفات المشارقة في الحديث كما تقدّم قريباً، وقد مرّ في مبحث ثمرات الرّحلة ذكر كثير ممّا أدخله من المصنّفات الحديثيّة[1]، وقد أثنى عليه المترجمون له، ووصفوه بالتّقدّم في حفظ الحديث ومعرفة رجاله وعلومه كما سيأتي.

أثره الحديثيّ وتلاميذه، وتردّده على بلاد الأندلس:

عاد الصّفاقُسيّ إلى القيروان بعد هذه الرّحلة الواسعة حاملاً معه سماعاته الكثيرة فمكث فيها مدّة لم تكن طويلة[2]، ومع ذلك فقد اشتهر فيها، وعُرف علمه وقدره، ولا شكّ أنّ ذلك بسبب ما نشره من العلم؛ فقد أرسله المعزّ بن باديس إلى الأندلس في بعض المهامّ[3]، وذلك سنة ٤٣٦ هـ[4]، ومكث فيها سنتين، طاف فيها على مختلف مدنها، وسمع منه أهلها حديثاً كثيراً، وعن طريقهم وصلت إليها أسماء مرويّاته التي سبق ذكرها.

قال تلميذه ابن الحذّاء الأندلسيّ: «قدم علينا طُلَيْطُلَة وسنّه نحو الخمسين، وكانت له رواية واسعة، ومعه كتب كثيرة...»[5]، وقال صاحب الصّلة: «قدم الأندلس سنة ٤٣٦ هـ، وأسمع النّاس وطاف بها نحو عامين»[6].

وقال الحُمَيدي: «سُمع منه بالأندلس، وجال في أقطارها ثمّ رجع إلى إفريقيّة»[7].

---

(١) انظر: ص ٢٣٣.
(٢) انظر: الصلة ٢/٣٨٨.
(٣) الأعلام ٤/٣٦٣.
(٤) الشجرة ١/١٠٩.
(٥) رحلة التجاني ٧٩.
(٦) الصلة ٢/٣٨٨.
(٧) جذوة المقتبس ٣٠٤.

وفي سنة ٤٣٨ هـ عاد الصَّفاقُسي إلى القيروان، واستقرّ بها ستّ سنوات جلس فيها للطّلبة وأسمعهم كتبه، وبثّ فيها علماً كثيراً، وكان معتنياً بتـلاميذه الأندلسيّين دائم الصّلة بهم عن طريق المكاتبة[1].

وفي سنة ٤٤٤ هـ وجّهه المعزّ بن باديس ثانية إلى صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة، وذلك عند ابتداء فتنة الأعراب، فتوفّي في الطّريق إليها، رحمه الله تعالى[2].

وقد تتلمذ على أبي عمرو الصّفاقُسيّ عدد كبير من الطّلاّب غير أنّنا لم نعرف منهم إلاّ الأندلسيّين بسبب عدم كتابة الأفارقة عنه كما تقدّم. ومن أشهر تلاميذه:

ـ الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبرّ (ت ٤٦٣)، ذكر ذلك أبو عمر في أسماء الرّجال الذين لقيهم[3].

ـ أبو العبّاس أحمد بن عمر بن أنس العُذْرِيّ، الإمام المحدّث الرّاوية (ت ٤٧٨)[4].

ـ أبو عبدالله محمد بن فَتُّوح الأَسَدِيّ المعروف بالحُميدي الحافظ صاحب الجمع بين الصّحيحين، وجذوة المقتبس (ت ٤٨٨)[5].

ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عتّاب، الإمام الحافظ شيخ الإسلام (٤٣٣ ـ ٥٢٠ أو ٥٢٨)، وقد كتب إليه الصَّفَاقُسِيّ بمصنّفه الذي جمع فيه عوالي حديثه[6].

---

(١) الصلة ٣٨٨/٢، رحلة التجاني ٧٩.
(٢) انظر: الشجرة ١٠٩/١، رحلة التجاني ٧٩.
(٣) الشجرة ١٠٩/١، ١١٩.
(٤) الصلة ٦٩/١.
(٥) الشجرة ١٢٢/١، رحلة التجاني ٧٩.
(٦) الشجرة ١٠٩/١، ١٢٩.

ـ أبو عمرو بن الحَذَّاء الطُّلَيْطُلِيّ الحافظ، وقد سمع من الصّفاقُسي بطُلَيْطُلَة وكان يكاتبه بعد ذلك من القيروان[1]، وغيرهم.

مكانته العلميّة، وثناء العلماء عليه:

لهج المصنّفون بالإشادة بعلم الصّفاقُسيّ، وسعة روايته وحفظه، وتقدّمه في علم الحديث.

قال ابن بَشْكَوال[2]: «كان حافظاً للحديث، وطرقه، وأسماء رجاله، ورواته، وكان يملي الحديث من حفظه، ويتكلّم على أسانيده ومعانيه».

وقال التّجاني[3]: «الإمام المحدّث»، وقال ابن الحَذَّاء[4]: «كانت له رواية واسعة وكتب كثيرة».

وقال الحُميديّ[5]: «كان حافظاً عاقلاً، قرأت عليه كثيراً، وكتبت عنه، وأنشدني».

وقال صاحب الشّجرة[6]: «الإمام، المحدّث، الحافظ، الواسع الرّواية، العالم المتفنّن، الماهر، الأديب، الشاعر».

مصنّفاته:

ـ له مصنّف جمع فيه عوالي حديثه، كتبه لأبي محمد بن عتّاب يعرف بعوالي الصّفاقُسي[7]. ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه[8].

---

(١) رحلة التجاني ٧٩.
(٢) الصلة ٢/٣٨٧.
(٣) الرحلة ٧٨.
(٤) رحلة التجاني ٧٩.
(٥) رحلة التجاني ٧٩، وانظر: الجذوة ٣٠٤.
(٦) الشجرة ١/١٠٩.
(٧) الرحلة ٨٠، تراجم المؤلفين ٣/٢٦٢.
(٨) الشجرة ١/١٠٩.

٥ ـ مالك بن عيسى بن نصر القَفْصِيّ[١]، أبو عبدالله (ت ٣٠٥):

محدّث كثير الحديث، عالم بالرّجال، واسع الرّحلة، مع معرفة بالفقه.

نشأته وطلبه وشيوخه ورحلته:

ولد مالك بقَفْصَة[٢]، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى القيروان فسمع من شيوخها، وأكثر سماعه من محمد بن سَحنون الإمام، الحافظ، المتفنّن في مختلف العلوم (ت ٢٥٦)[٣].

ثم رحل إلى تونُس، وسمع بها من شجرة بن عيسى التّونُسي (ت ٢٣٢)، وهو محدّث فقيه تولى قضاء تونُس[٤].

وبعد أن استوعب مالك السّماع من علماء إفريقيَّة، رحل إلى المشرق رحلته الطّويلة في طلب الحديث، وقد دامت عشرين سنة[٥]، تجوّل فيها في أكثر مدن المشرق، ولقي كبار المحدّثين، وسمع منهم، قال القاضي عياض: «ورحل في طلب الحديث، وطاف بلاد المشرق، يقال: أقام بها عشرين سنة، ولقي علماء الأمصار، والصّلحاء، والزّهاد، وجالسهم، وأكثر الرّواية»[٦].

---

(١) المدارك ١٢٤/٥، الشجرة ٨٠/١، ط الخشني ١٧٤، ط أبي العرب مح (الملحق) ٢٤٩، علماء قفصة بين مدرستين ١١٣، ورقات ٣١٩/٢، الأعلام ١٤١/٦، معجم المؤلفين ١٦٩/٨، معجم البلدان ٣٨٢/٤، الأنساب ٢١٢/١٠، تراجم المؤلفين ٩٦/٤.

(٢) مدينة كبيرة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، انظر: معجم البلدان (وفيه أنها صغيرة وليس بصحيح) والأنساب في المواضع أعلاه، وهي في الجنوب الغربي لما يعرف الآن بالجمهورية التونُسيّة.

(٣) انظر: الشجرة ٨٠/١.

(٤) ط الفقهاء ١٥٩، المدارك ١٢/٣، ١٢٤/٥.

(٥)، (٦) المدارك ١٢٤/٥.

وقال أبو العرب: «لم أعلم في عصره أجمع للعلم منه، ولا أكثر رجالاً»[1].

ورغم هذا الوصف لمالك القَفْصِيّ بسعة الرّحلة والعلم وكثرة الشّيوخ فإنّنا لا نعثر له في المصادر إلاّ على أربعة شيوخ من غير الأفارقة، والسّبب في ذلك هو إهمال المصنّفين الأفارقة له؛ لتلبّسه ببعض أعمال الرّافضة لمّا دخلوا القيروان، فنُبِذ من أجل ذلك، مع أنه لم يدخل في دعوتهم، حيث لم تشر المصادر إلى ذلك، ولم يذكره الخُشَنِيّ في الفصل الذي خصّصه لمن تشرّق من العلماء[2].

وهؤلاء الشّيوخ هم: أبو الحسن أحمد بن عبدالله الكوفيّ (ت ٢٦١) المحدّث المشهور[3]، وقد لقيه بطرابُلُس الغرب حين نزلها أبو الحسن.

ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم المصريّ (ت ٢٦٨)[4]، ويونس بن عبدالأعلى الصَّدَفِي المصري (ت ٢٦٤)[5]، وعلي بن الحسن المعروف بأبي كعب[6].

وكانت الثّمرة الطبيعيّة لهذه الرّحلة الواسعة التي استغرقت عشرين سنة، أن أصبح مالك بن عيسى من كبار علماء عصره، وخاصّة في الحديث وعلومه كما وصفته المصادر[7].

أثره العام وبعض آرائه:

عاد مالك من رحلته بعلم غزير، واستقرّ في القيروان: العاصمة العلميّة والسّياسيّة، وذلك بعد أن أقام مدّة ليست طويلة في مدينته قَفْصَة، وجلس

(١) المدارك ١٢٤/٥.
(٢) ط الخشني ٢٢٣.
(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٥٤.
(٤) الشجرة ٦٩/١، ٨٠.
(٥) حسن المحاضرة ٣٠٩/١، المدارك ١٢٤/٥.
(٦) المحن ٢٠٨.
(٧) انظر مثلاً: ط الخشني ١٧٤.

للتّحديث في القَيْروان، واشتهر بعلم الحديث والرّجال، و«رحل إليه النّاس من الأندلس وغيرها»[1].

وكان مالك لا يكاد يخرج في مجالسه عن الحديث وعلومه، قال سعيد بن الخَرّاط: «أخرجت مالكاً يوماً من الحديث إلى غيره فكأنّي أجرّ ثوراً»[2].

ولم يكن مالك القَفْصِيّ يتحيّز في مرويّاته إلى مذهب دون آخر، ويرى أنّ الرّجل لا يكون عالماً حتّى يسمع ما جاء عن النّبيّ ﷺ دون نظر إلى موافقة ذلك للمذهب أَوْ لَا؛ إذ السّنّة هي الأصل، والمذاهب يجب أن تكون تابعة لها، فقد جاءه بعض الطّلبة إلى مجلسه الذي يحدّث فيه، وقال له: «حَدِّثْني، ولا تُحدِّثني إلّا بما يوافق مذهبي»، فعطف مالك بن عيسى على النّاس فقال لهم: «هذا رجل لا يحبّ أن يكون عالماً»[3].

وقد كان لمالك بن عيسى أثر كبير في نشر الحديث بالقيروان حتّى قيل: لو عاش قليلاً، وامتدّ به العمر لغلب على أهل القيروان علم الحديث»[4].

وقد قلّ هذا الأثر وتقلّص الآخذون عنه في السّنوات الأخيرة من حياته، عندما قبل الدّخول في عمالة الرّافضة، ولعلّه أُجبر على ذلك، ولهذا السّبب كان سعيد بن الحدّاد يزدريه ويقول: «لو علمت أنّ يقظة مالك بن عيسى أنبه من نومي لأزريت على نفسي»[5] فقد اعتبره مفرط الغفلة لقبوله العمل مع أعداء المسلمين، وقد تقدّم في التّمهيد وفي ترجمة ابن الحدّاد[6] ذكر الدّور العظيم الذي قام به في مناهضتهم.

---

(١) المدارك ٥/١٢٤.
(٢) ط الخشني ١٧٤.
(٣) الشجرة ١/٨٠، ط الخشني ١٧٤.
(٤) المدارك ٥/١٢٥، ط الخشني ١٧٤.
(٥) ط الخشني ١٧٤.
(٦) انظر: ص ٨٠، ٤١٢، ٦٠٨.

تحقيق عدم انحرافه عن المدرسة السَّحنونيّة المالكيّة:

لقد أثبتُّ في غير موضع من هذا البحث التحام الحديث بالفقه في القيروان في الفترة التي أدرسها وتكاملهما، وعدم وجود أيّ مظهر من مظاهر الاختلاف، وهذا أمر بيّن في سيرة القوم وأقوالهم وتصنيفاتهم، وقد تقدّمت أدلّته[1].

وقد حاول الشّيخ الشّاذلي النّيفر أن يبيّن وجود صراع في قَفْصَة بين المدرسة السَّحنونية المالكيّة وبين المدرسة الحديثيّة بقيادة مالك بن عيسى القفصي مستفيداً في ذلك من ازدراء ابن الحدّاد لمالك بن عيسى[2]، بإقبال هذا الأخير على طلب الحديث، ورحلته من أجله، ونبوغه فيه، وقد تبيّن لي أنّ السّبب في حمل ابن الحدّاد على القَفْصِيّ هو ما ذكرته قريباً من دخول القفصي - رغم غزارة علمه وسعة روايته - في عمالة الرّافضة، ومعروف أنّ هذا الأمر كان في تلك الفترة سبباً كافياً لمقاطعة العالم، والحمل عليه، وازدرائه، وترك العامّة له فضلاً عن أهل العلم[3]، يضاف إلى هذا ما عُرف به ابن الحدّاد من مقارعة الرّافضة بالحجّة، والشّدّة عليهم، فلا عجب أن يشتدّ على مالك بن عيسى الذي كان ينبغي عليه - وهو العالم الحافظ للسُّنّة - أن يقف إلى جانب ابن الحدّاد دفاعاً عنها لا أن يكون في عمالة أعدائها.

فهذا هو السّبب الحقيقيّ وليس ما ذهب إليه الشّيخ حفظه الله من أنّ السّبب في ازدراء ابن الحدّاد لمالك القَفْصِيّ هو انحراف هذا الأخير عن المدرسة السَّحنونيّة المالكيّة وتزعّمه للمدرسة الحديثيّة؛ إذ من الثّابت أنّ مالك بن عيسى كان مالكيّ المذهب، وقد ذكره القاضي عياض في أعلام المالكيّة[4]، وكذا الشّيخ مخلوف في الشّجرة[5]، وقد صرّح مالك نفسه عندما ألّف كتاب

---

(١) انظر: ص ٩٣ - ٩٥، ١٧٦.

(٢) علماء قفصة بين مدرستين ١١٣، ١١٤.

(٣) انظر: ص ٧٨، ٧٩.

(٤) ترتيب المدارك ٥/١٢٤.

(٥) الشجرة ١/٨٠.

الأشربة أنّه فيه على مذهب أهل المدينة[1]، كما أنّ الخُشَنِيّ لم يذكره فيمن دخل في دعوة العُبيديّين الرّافضة وقد خصّص لهم فصلاً في طبقاته[2]، وقد لزم القفصيّ محمد بن سَحنون وأكثر عنه وهو إمام المالكيّة بعد أبيه.

ثمّ إنّ سعيد بن الحدّاد ـ الذي يرى الشّيخ أنّه ازدرى القفصيّ بسبب انحرافه عن المدرسة المالكيّة ـ لم يكن متحمّساً لها، بل إنّه ترك مذهب مالك إلى مذهب الشّافعي ثمّ أصبح من المجتهدين كما تقدّم في ترجمته[3]، وكان يعيب المُدَوَّنة ويسمّيها «المُدَوَّدَة»[4]، ولذلك فقد رفضه المالكيّة وأصحاب سَحنون، وبقي مهجور الباب، ولم يلتفّ النّاس حوله إلا في آخر حياته عندما انتصب لمناظرة الرّافضة دفاعاً عن السُّنّة. وذلك ظرف تذوب فيه الخلافات الدّاخليّة لمواجهة الخطر الخارجيّ والعدوّ المشترك المتمثّل في العبيديّين.

وهنا أجد لزاماً عليّ أن أنبّه إلى عدم صحّة ما حاول الشّيخ الشّاذلي إبرازه من الصّراع بين مدرستي الفقه والحديث، فإنّ القَفْصِيّ لم يترك المذهب المالكي كما تقدّم، والإمام سَحنون نفسه كان من كبار المحدّثين وكان الفقه المالكي في القيروان في تلك الفترة قائماً على الحديث إلى درجة أنّك لا تكاد تجد فقيهاً غير محدّث، كيف لا والموطّأ من أوّل ما يتلقّاه الطّالب عندهم، ثم يأخذ المدوّنة وهي غزيرة الحديث والآثار.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على مالك بن عيسى جماهير غفيرة من النّاس، منهم:

الحافظ أبو العرب التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣) وقد روى عنه في كتاب المحن[5]

---

(١) المدارك ١٢٥/٥.

(٢) ط الخشني ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) انظر: ترجمته رقم ١٥.

(٤) المعالم ٢٩٥/٢.

(٥) المحن ٢٠٨.

والطّبقات[1]. وأبـو العَبَّاس الأبيـاني[2] وسعيد بن الخـرّاط[3] وزياد بن مـوسى[4] ويوسف بن عبدالله التَّميمي المحدّث (ت ٣٣٦)[5]، وغيرهم.

وتتلمذ عليه جماعة من أهل المشرق، منهم: أبو سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي الحافظ (ت ٣٤٠)، فقد ذكره ضمن من كان يجالس من العلماء وأنّه صحبه وسمع منـه[6]. ومن تلاميـذه الأندلسيّين: المحـدّث محمد بن قـاسم بن محمد بن قاسم (ت ٣٢٨)[7].

شهادة العلماء له بالتّقدّم في علم الحديث وتوثيقه:

قال تلميذه الحافظ أبو العرب: «كان ثقة، له فقه كثير، وعلم بالحديث وعلله ورجاله، لم أعلم في عصره أجمع للعلم منه ولا أكثر رجالاً»[8].

وقال محمد بن حارث الخُشَنِيّ في طبقاته[9]: «كانت له رحلة في طلب الحديث، وكان بصيراً، وفي علمه نافذاً».

وقال زياد بن موسى: «ما رأيت بإفريقيَّة أعلم بالحديث والرّجال منه»[10].
وقال صاحب الشّجرة[11]: «الثّقة، العالم بالحديث وعلله ورجاله».

وقد تقدّم قول تلميذه سعيد بن الخرّاط: «أخرجت مالكاً يوماً من الحديث إلى غيره فكأنّي أجرّ ثوراً»[12].

---

(١) ط أبي العرب مح ١٩٠، ٢٢٤.
(٢)، (٣) ط الخشني ١٧٤.
(٤) المدارك ٥/١٢٥.
(٥) علماء قفصة ١١٥.
(٦) المدارك ٥/١٢٥.
(٧) جذوة المقتبس ٨٠.
(٨) ط أبي العرب مح ٢٤٩.
(٩) ط الخشني ١٧٤.
(١٠) المدارك ٥/١٢٥.
(١١) الشّجرة ١/٨٠.
(١٢) ط الخُشَنِي ١٧٤.

مـؤلّفاتــه:

له كتاب «الأشربة» جمع فيه كلّ ما ورد من الحديث والأثر في هذا الشّأن ممّا يفهم منه التّحريم أو التّحليل، وكان يقول: «مـذهبي في تحريم المسكـر مذهب أهل المدينة، وإنّما ألّفت ذلك الكتاب لرجل صالح، سألني أن أجمع له ما ورد في تحريم النّبيذ وتحليله، فلا يظنّ بنا أحد أنّا نميل إلى تحليله»(١).

٦ ـ محمد بن أبي المنظور عبدالله بن حسّان، أبو عبدالله الأنصاري(٢) الأندلسيّ، نزيل القَيْرَوان وقاضيها (ت ٣٣٧):

محدّث، فقيه، أصوليّ، وكان من الصّلحاء.

نشأته وطلبه وشيوخه ورحلته:

ولد أبو عبدالله في الأندلس، ثمّ سكن القيروان، ويظهر أنّه انتقـل إليها صغيراً؛ إذ لم يترجم له إلاّ كتاب واحد من كتب التّراجم الأندلسيّة(٣)، كما لم أعثر له على شيـوخ أندلسيّين، وعلى هـذا يكون قـد تلقّى تكوينـه الأول في القَيْرَوان على الرّاجح، فيكون سمع من شيوخها أوّلاً، ثمّ رحل إلى المشرق، فوصل العراق واليمن، وسمع هناك من كثير من العلماء، فقد لقي بصَنْعَاء أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيّ (ت ٢٨٥)(٤)، وسمع منه مصنّف عبدالرّزّاق الصّنعانيّ(٥).

وسمع ببغداد من إسماعيل بن إسحاق القاضي المتفنّن في علوم الحديث والقرآن واللّغة وغيرها (ت ٣٠٩)(٦).

---

(١) المدارك ١٢٥/٥.

(٢) ط الخشني ١٧٣، الرياض ٣٥٧/٢، المدارك ٣٣٩/٣، المعالم ٤٤/٣، تكملة الصّلة ٣٦٣/١، تاريخ قضاة القَيْرَوان خط ٤٤، الشجرة ٨٤/١.

(٣) التّكملة ٣٦٣/١.

(٤) اللّسان ٣٤٩/١.

(٥) الشّجرة ٨٤/١، ط الخُشَني ١٧٣.

(٦) المدارك ٢٧٦/٤، المعالم ٤٤/٣، المدارك ٣٣٩/٣.

وأخـذ عن الحارث بن محمـد بن أبي أُسامـة التَّميمي المحدّث صـاحب المُسْنَد (ت ٢٨٢)[1]، وسمع من علي بن عبدالعزيـز عن أبي عُبَيد القـاسم بن سلّام الهَرَوِيّ (ت ٢٢٤)[2]، ومن عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَة، وهو من أئمّة اللّغة، وله مشاركة في الحديث (ت ٢٧٦)[3]، وغيرهم من النّحويّين والأصوليّين[4].

أثره العلمي وتلاميذه:

عاد ابن أبي المنظور من رحلته واستقرّ في مدينة القَيْرَوان، وجلس للطّلبة في بيته، يُسمعهم مرويّاته الكثيرة، وعلى رأسها مصنّف عبدالرّزّاق، وقد سمع منه كثير من الأفارقة وغيرهم، وبثّ علماً كثيراً[5].

ثمّ وقع بينه وبين أهل القَيْرَوان شيء، فأقسم ألّا يُسمع أحداً من أهلها، وكان يُسمع من يأتيه من الغرباء[6].

ولم تذكر المصـادر السّبب الذي من أجله امتنـع عن إسماع القـرويّين، والذي ظهر لي أنّه عندما قبل قضاء الرّافضة بالقيروان طعن عليه أهلها، فبدر منه ذلك القسم.

وكان قد أجبره العُبَيْدِيُّون على القضاء، فتولّاه بشروط احتاط فيها لنفسه، وذلك سنة ٣٣٤ هـ، وبقي فيه إلى أن توفّي سنة ٣٣٧ هـ[7].

ومن أشهـر تـلاميـذه: المحـدّث القـروي أحُمـد بن محمـد القَصْرِيّ

---

(١) اللّسان ٢/١٥٧، المعالم ٣/٤٤، المدارك ٣/٣٣٩.
(٢) المعالم ٣/٤٤، التقريب ٢/١١٧.
(٣) انظر: مقدمة إصلاح غلط أبي عُبيد في غريب الحديث ١٠، المعالم ٣/٤٤.
(٤) انظر: المدارك ٣/٣٣٩، المعالم ٣/٤٤.
(٥) انظر: المصادر المثبتة أوّل التّرجمة.
(٦) انظر: الرياضة٢/٣٥٨، المعالم ٣/٤٤، ٤٥.
(٧) انظر: المدارك ٣/٣٣٩، الشجرة ١/٨٤.

(ت ٣٢٢)[١]، وأبو محمد عبدالله بن إسحاق، المعروف بابن التّبّان المتفنّن في مختلف العلوم (ت ٣٧١)[٢]، والمحدّث عبدالله بن أبي هاشم التُّجيبيّ (ت ٣٤٦)[٣]، وغيرهم.

ومن أشهر تلاميذه الأندلسيّين: عبدالله بن محمد بن أُمَيّة الأنصاريّ، المعروف بابن غَلْبُون، وكان من أهل الحديث (ت ٣٧٢)[٤]، والمحدّث ابن عَيْشُون الطُّلَيْطُلِيّ[٥]، وغيرهما.

وقد أثنى المترجمون له على علمه وفضله وعدله في قضائه، ووثّقه صاحب المعالم[٦].

٧ ــ موسى بن عيسى بن أبي حاج[٧]، أبو عِمران الفاسيّ، نزيل القَيْرَوَان (٣٦٨ - ٤٣٠):

محدّث واسع الرّحلة، كثير الحديث، عالم بالرّجال، فقيه، أصوليّ، مقرىء، مع زهد وتعبّد وصلاح.

---

(١) تقدم في أول ترجمة للمحدّثين، وانظر: المدارك ٣/٣٤٠.

(٢) الشجرة ١/٩٥، المدارك ٣/٣٤٠.

(٣) تقدم في الترجمة رقم ٢٢، وانظر: الشجرة ١/٨٤.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ١/٢٧٧. (٥) التكملة ١/٣٦٤.

(٦) المعالم ٣/٤٥.

(٧) المعالم ٣/١٥٩، المدارك ٣/٧٠٢، الشّجرة ١/١٠٦، البيان المغرب ١/٢٧٥، المعين في طبقات المحدّثين ١٢٦، البغية ٤٤٢، ألف سنة من الوفيات ٥٤، وفيات ابن قنفذ ٢٣٩، الفكر السّامي ١/٢٠٣. فهرس الفهارس ١/١٥٩، الجذوة ٣١٧، الصّلة ٢/٥٥٧، تاريخ معالم التوحيد ١٢٤، مشارق الأنوار ١/٣٨، أعلام ابن عاشور ٧، النّجوم الزّاهرة ٥/٣٠، الدّيباج ٣٤٤، أعلام المغرب العربي ٢/٩٦، جذوة الاقتباس ١/٣٤٤، الإحاطة ٤/٣٤٨، مدرسة البُخاري في المغرب ٢٢٥، الحلل ١/١/٢٧٢، الأعلام ٧/٢٧٨، شذرات الذهب ٣/٢٤٧، غاية النّهاية ٢/٣٢١، سير أعلام النّبلاء ١٧/٥٤٥، الإكمال ٧/٨٠، اللّباب ٢/٤٠٧، تراجم المؤلّفين ٤/٨، القراءات بإفريقيّة ٣٢٩.

نشأته وطلبه وشيوخه:

وُلد أبو عمران في فاس بالمغرب الأقصى، وبها نشأ، وأخذ عن علمائها[1]، ثمّ انتقل إلى مدينة القَيْرَوان فأَوْطَنَها، وتعلّم فيها[2]، فقد سمع صحيح البُخاري[3]، وغيره من الحديث، من الإمام أبي الحسن القابِسيّ (ت ٤٠٣)، وأخذ عن أبي الحسن علي بن أحمد اللَّوَاتِيّ كبير علماء سُوسَة[4]، وغيرهما.

رحلاته العلمية وآثارها:

ثم رحل إلى الأندلس، فسمع من كثير من محدّثيها، دلّه عليهم الحافظ ابن عبدالبرّ وصاحبه في السّماع منهم[5]، ومن أشهرهم: الحافظ أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الأَصِيلِيّ (ت سنة ٣٩٢ هـ)[6]، وأبو الفضل أحمد بن القاسم المحدّث (ت ٣٩٦)[7]، وسعيد بن نصر وكان محدّثاً (ولد سنة ٣٦٨)[8]، وعبدالوارث بن سفيان بن جَبْرُون، وكان مشاركاً في الحديث (ت ٣٩٥)[9]، وعبدالرحمٰن بن محمد بن يحيى العطّار المحدّث[10]، وغيرهم.

ثم عاد إلى القَيْرَوان، ومنها ارتحل إلى المشرق، وأكثر به سماع الحديث وكتابته من كبار علماء البلدان، حيث سمع بمصر من أبي عبدالله محمد بن

---

(١) انظر: أعلام المغرب العربي ٢/٩٦.

(٢) انظر: الشّجرة ١/١٠٦، المدارك ٣/٧٠٢، سير أعلام ١٧/٥٤٥.

(٣) مشارق الأنوار ١/٣٨.

(٤) المدارك ٣/٦٢٢.

(٥) سير أعلام ١٧/٥٤٥، الصّلة ٢/٥٧٧.

(٦) الجذوة ٢٤٠، الصّلة ٢/٥٧٧.

(٧) البغية ١٨٨، الصّلة ٢/٥٧٧، الجذوة ٣١٧.

(٨) البغية ٣٠١، الصّلة ٢/٥٧٧، البغية ٤٤٢.

(٩) الصلة ١/٣٦٤.

(١٠) البغية ٣٦٠، الجذوة ٣١٧.

أحمد بن الوَشَّاء، وكان عالماً بالحديث، واسع الرّواية (ت ٣٩٧)[١]، ومن أبي الحسن علي بن إلبرّاز الفِهْريّ، وكان فقيهاً محدّثاً، وقد قال الفاسيّ: «لم ألق مثله»[٢]، ومن عبدالله بن مُنير الوَشّاء[٣].

وأخذ بها القراءات عن أبي الحسن عبدالكريم بن أحمد بن أبي جِدار[٤]، وغيرهم.

ثم ارتحل إلى مكّة سنة ٣٩٩ هـ، فسمع بها من أبي ذَرّ عبد بن أحمد الهَرَوِيّ (ت ٤٣٥) وقد أعاد عليه سماع صحيح البُخاري، وكتب عنه بعض مرويّاته[٥].

ثمّ عاد إليه بعد أن دخل العراق فلم يجده، فأخذ كتبه في غيبته، وكتب منها حتّى يأتي فيسمعها عليه، فلمّا قدم غضب لصنيعه، وأقسم ألّا يحدّثه. فكان أبو عمران بعد ذلك يقول فيما سمعه منه: حدّثني أبو عيسى، ولا يسمّيه[٦].

وسمع بها من أبي إسحٰق عُبيد الله بن محمد بن أحمد السَّقَطِيّ[٧] وغيرهما، قال أبو عمرو الدّاني: «كتب عن جماعة من محدّثيها حديثاً منثوراً»[٨].

ثمّ دخل العراق، فأخذ علم الأصول عن أبي بكر محمد بن الطّيّب الباقِلّانيّ (ت ٤٠٣)[٩]، الذي أعجبه حفظ أبي عمران، فكان يقول له: «لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبدالوهّاب بن نصر[١٠] - وكان إذ ذاك بالمَوْصِل - لاجتمع فيها علم مالك، أنت تحفظه وهو ينصره، لو رآكم مالك لسُرَّ بكما»[١١].

---

(١) المدارك ٣/٦١٢، ٧٠٣.
(٢) المدارك ٣/٦٩٩.
(٣) المدارك ٣/٧٠٣.
(٤) المعالم ٣/١٥٩.
(٥) انظر: الديباج ٣٤٤، الصلة ٢/٥٧٧، غاية النهاية ٢/٣٢١، المدارك ٣/٧٠٣.
(٦) انظر: الصّلة ٢/٥٧٨، المدارك ٣/٧٠٣.
(٧) المعالم ٣/١٥٩.
(٨) غاية النهاية ٢/٣٢١.
(٩) انظر: المدارك ٣/٧٠٣.
(١٠) المدارك ٣/٦٩١، وهو فقيه مناظر على طريقة أهل السنة، توفي بمصر سنة ٤٢٢ هـ.
(١١) المعالم ٣/١٦٠، المدارك ٣/٣٠٤.

وقد أثبت أبو عمران سماعه من إملاءً في رمضان سنة ٤٠٢ هـ[١].

وأخذ بها القراءة عَرْضاً على أبي الحسن علي بن عمر الحَمَّامِيّ المقريء[٢].

وسمع الحديث من أبي الفَتْح محمد بن أحمد بن أبي الفَوَارِس، أخذ عنه كتاب تصحيف المحدّثين للدّارَقُطْنِيّ[٣] وغيره.

وروى عن أبي الحسن محمد بن الحسين القَطّان، أخذ عنه كتاب التاريخ الكبير للإمام البُخاري[٤]، كما سمع من أبي الحسن أحمد بن محمد بن الصَّلْت[٥] وغيرهم.

وقد وجدتُ له ستّة وثلاثين شيخاً من مختلف البُلدان[٦]، ودامت رحلته هذه قرابة السّتّ سنوات، فقد سمع بمصر من ابن الوشّاء المتوفّى سنة ٣٩٧ هـ كما تقدّم قريباً، ودخل مكّة سنة ٣٩٩ هـ، وثبت سماعه من البَاقِلّانِيّ ببغداد سنة ٤٠٢ هـ في شهر رمضان، ويبدو أنّه خرج منها مباشرة إلى القيروان، حيث لقيه حاتِم الطّرابُلُسِيّ بها سنة ٤٠٢ هـ[٧].

وكانت له رحلة ثانية إلى المشرق سنة ٤٢٥ هـ[٨]، لقي فيها أبا ذَرّ الهَرَوِيّ مرّة أخرى[٩]، وسرعان ما عاد من هذه الرّحلة؛ إذ لم يذكروا له شيوخاً فيها غير أبي ذرّ، كما لم يذكروا آثاره فيها. وقد توفّي بالقيروان سنة ٤٣٠ هـ[١٠].

---

(١) المدارك ٥٨٨/٣.
(٢) الصلة ٥٧٧/٢.
(٣) فهرسة ابن خير ٢٠٤.
(٤) فهرسة ابن خير ٢٠٥.
(٥) المدارك ٦٠٧/٣.
(٦) راجع المصادر المثبتة أول الترجمة.
(٧) الصلة ٥٧٨/٢.
(٨) البيان المغرب ٢٧٥/١.
(٩) المعالم ١٦٣/٣، وفيه أن رحلته هذه كانت سنة ٤٢٦ هـ.
(١٠) البيان المغرب ٢٧٥/١.

أثــره وتلاميــذه:

لقد ابتدأ أثره العلمي بعد خروجه من القيروان إلى الأندلس، حيث حدّث فيها بما سمعه من شيوخه القرويّين، وفي مقدّمة ذلك صحيح البُخاري[1].

وأمّا في القيروان فقد ابتدأ نشاطه العلمي سنة ٤٠٢ هـ[2]، حين عاد من المشرق، فقد جلس للطّلبة في المسجد وفي داره أيضاً[3]، وسرعان ما عُـرف قدره، واشتهرت إمامته، وطـار ذكره في الآفـاق[4]، وقد خَلَف الإمـام القابِسيّ المتوفَّى سنة ٤٠٣ هـ في نشر علوم السُّنّة في إفريقيَّة ورئاسة العلم بها، ورحل إليه النّاس من الأقطار لسماع مرويّاته واستجازه من لم يتمكّن من الاجتماع به[5].

وكان يجلس للطّلبة من بعد صـلاة الصّبح إلى صـلاة الظّهـر، يحدّثهم، ويملي عليهم، ويقرأ لهم، «فلا يتكلّم بشيء إلاّ كُتب عنـه إلى أن مات»[6]، وكان يحدّث بصحيـح البُخاري والتّاريخ الكبيـر له أيضـاً، وتصحيف المحدّثين للدّارقطني، وغيرها من سماعاته كما تقدّم، وكان يحدّث كذلك بمصنّفـاته في الحديث والرّجـال والفقه، وقـد انتشرت روايتهـا في الأندلس أيضـاً عن طريق تلاميذه من أهلها[7].

وكان له كلام في الرّواة جرحاً وتعديلاً، ومعرفة بسيـرهم ووفياتهم وغيـر ذلك[8].

---

(١) مشارق الأنوار ١/٣٨.

(٢) الصلة ٢/٥٧٨.

(٣) انظر: الصـلة ١/٣٧٧.

(٤) انظر: البغية ٤٢٢.

(٥) انظر: الشجرة ١/١٠٦.

(٦) المدارك ٣/٧٠٣، المعالم ٣/١٦٠، فهرس الفهارس ١/١٥٩.

(٧) انظر: فهرسة ابن خير ٤٤٠.

(٨) انظر: المدارك ٣/٤٥٨، المعالم ٣/١٢٨.

وكان العامّة يرجعون إليه فيما يلمّ بهم ويستفسرونه[1]، كما كان الموفَدون في مهمات سياسيّة إلى القيروان يسألونه ويستفتونه ويستفيدون من علمه[2].

وكان له اهتمام بالبلاد البعيدة، وهو الذي أشار على عبدالله بن ياسين (ت ٤٥٠) بالتّوجّه لنشر العلم في صحراء المغرب، ونتج عن ذلك قيام دولة المرابطين في تلك النّواحي[3].

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من النّاس من أهل إفريقيَّة والمغرب والأندلس وصِقِلّيّة، قال الذّهبيّ[4]: «تخرّج بهذا الإمام خلق من الفقهاء والعلماء».

وقد وجدت له في المصادر قريباً من خمسين تلميذاً، من أشهرهم:

* **من أهل إفريقيّة:**

- أبو بكر عَتِيق السّوسيّ الحافظ للحديث والفقه[5].
- أبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِيّ، خاتمة علماء القيروان، المتفنّن في مختلف العلوم (ت ٤٦٠ أو بعدها)[6].
- عبدالحميد بن محمد القيرواني، المعروف بابن الصّائغ (ت ٣٨٦)[7].
- أبو القاسم عبدالرحمٰن بن مُحْرِز (ت حوالي ٤٥٠)[8].
- أبو عبدالله محمد بن سعيد بن شَرَف[9].

---

(١) انظر: المدارك ٣/٧٠٥، المعالم ٣/١٦٢.
(٢) انظر: الفكر السامي ١/٢٠٣.
(٣) انظر: الفكر السامي ٢/٢٠٦، مدرسة البخاري في المغرب ١/٢٢٥، أعلام الفكر الإسلامي ٧، الإحاطة ٤/٣٤٨.
(٤) سير أعلام ١٧/٥٤٦.
(٥) الشجرة ١/١٠٦، المعالم ٣/١٨١.
(٦) الدّيباج ١٥٨، تراجم المؤلّفين ٣/١١٦.
(٧) المدارك ٣/٧٩٤.
(٨) الشّجرة ١/١١٠.
(٩) المعالم ٣/١٩٣.

ـ أبو محمد عبدالعزيز التّونُسيّ (ت سنة ٤٨٦)[١].

ـ أبو حفص عمر العموديّ[٢].

ـ أبو محمد عبدالله بن عبدالعزيز التَّميمي (ت نحو ٤٧٣)[٣]، وغيرهم.

* **وأما غير الأفارقة، فمنهم:**

ـ أبو محمد عبدالحق بن محمد بن هارون الصِّقِلّيّ، وهو محدّث له رحلة واسعة (ت ٤٦٦)[٤].

ـ أبو بكر محمد بن عبدالله بن يونس التَّميمي الصِّقِلّيّ (ت ٤٥١)، وقد أكثر من الرّواية عن الفاسي[٥].

ـ أيّوب بن محمد، من أهل المغرب الأقصى[٦].

ـ موسى بن خَلَف التُّجيني الأندلسيّ، سمع من أبي عمران صحيح البُخاري[٧].

ـ محمد بن إسماعيل بن فورتش، محدّث أندلسيّ (ت ٤٥٣)[٨].

ـ عبدالرحمٰن بن محمد بن عيسى المعروف بابن الحَشّاء (ت ٤٧٣)[٩].

ـ عيسى بن محمد بن عيسى الرُّعَيْنِيّ، من كبار محدّثي الأندلس (ت ٤٧٠)[١٠].

ـ عمر بن سهل بن مسعود اللّخميّ، مقريء محدّث (ت بعد ٤٤٢)[١١].

ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد الباجي (ت ٤٣٣)[١٢].

---

(١) الشجرة ١/١١٨.

(٢) المدارك ٣/٧٩٨.

(٣) المدارك ٣/٧٩٦.

(٤) الشجرة ١/١١٦.

(٥) الشجرة ١/١١١.

(٦) المدارك ٣/٧٨٠.

(٧) التكملة ٣/٦٨٦.

(٨) الصلة ٢/٥٠٨.

(٩) الصلة ١/٣٢٦.

(١٠) الصلة ٢/٤١٤.

(١١) الصلة ١/٣٧٨.

(١٢) المدارك ٣/٧٥٨.

- أبو محمد بن الوليد بن سعد الأنصاري الأندلسي، المحدّث[1].

- حاتم بن محمد الطّرابُلّسي، وهو من كبار المحدّثين، واسع الرّحلة والرّواية (ت ٤٦٩)[2] وغيرهم.

كما تتلمذ عليه بالإجازة جماعة، منهم: أحمد ب محمد بن غَلْبون الإشبيليّ (ت ٥٠٨)[3].

ثناء العلماء عليه بالإمامة في العلم، والتّقدّم في علم الحديث، وتوثيقهم له:

ولا يخلو مصدر من مصادر ترجمة أبي عمران الفاسي من الإطالة في الثّناء عليه، والتّنويه بعلوّ كعبه في العلم، والإشادة بتقدّمه في علوم الحديث، وسعة حفظه، ورئاسته للعلم في إفريقيّة.

قال تلميذه الحافظ حاتم الطّرابُلّسِيّ: «لقيته بالقيروان في رحلتي سنة ٤٠٢ هـ، وكان من أحفظ النّاس، وأعلمهم، وكان قد جمع حفظ المذهب المالكي، وحفظ حديث النّبيّ عليه السّلام، والمعرفة بمعانيه، وكان يُقرِيء بالسّبعة، ويُجَوِّدُها مع المعرفة بالرّجال، والمعدَّلين منهم والمجرَّحين. . .»[4].

وقال أيضاً: «أخذ عنه النّاس من أقطار المغرب والأندلس، واستجازه من لم يلقه. . . ولم ألق أحداً أوسع منه علماً، ولا أكثر رواية»[5].

وقال عمر الصِّقلِّيّ: «أبو عمران الثّقة الإمام الدَّيِّن المعلّم»[6].

---

(١) المدارك ٣/٧٠٠.

(٢) الصلة ١/١٥٤، سير أعلام ١٧/٥٤٦.

(٣) الصلة ١/٧٦.

(٤) (٥) الصلة ٢/٥٧٨، وفيات ابن قنفذ ٢٣٩، المدارك ٣/٧٠٤، الديباج ٣٤٤، سير أعلام ١٧/٥٤٦.

(٦) المدارك ٣/٧٠٤.

وقال صاحب المعالم: «كان فقيهاً عالماً بفنون العلم، منها: القرآن وعلومه والحديث وعلله ورجاله...»(١) وقال أيضاً: «رحلت إليه طلبة العلم من البلاد، وظهرت إمامته»(٢).

وقال صاحب البُغْيَةَ: «إمام وقته، نزل القيروان وحدّث بها، واشتهر ذكره»(٣).

وقال ابن عمّار في رسالته: «كان إماماً في كلّ علم، مقطوعاً بفضله وإمامته»(٤).

وقال الذّهبيّ: «الإمام الكبير العلاّمة عالم القيروان... أحد الأعلام، تخرّج به خلق من الفقهاء والعلماء»(٥).

مؤلّفاته(٦):

درج المترجمون للفاسي على ذكر كتابين فقط من كتبه، هما: فهرسة شيوخه وعوالي حديثه، وقد وجدت له في ثنايا المصادر أربعة مؤلّفات أخرى، فتصبح مصنّفاته المعروفة ستّة، هي:

١ ــ فهرسة شيوخه.

٢ ــ عوالي حديثه، نحو مائة ورقة.

٣ ــ تعليق على المدوّنة، وهو كتاب كبير جليل، مات ولم يكمله.

٤ ــ كتاب الأمالي في الحديث، كان موجوداً في مكتبة جامع القيروان ثمّ فُقد(٧).

---

(١)، (٢) المعالم ٣/١٦٠. (٣) البغية ٤٤٢.

(٤) المدارك ٣/٧٠٤. (٥) سير أعلام ١٧/٥٤٥، ٥٤٦.

(٦) انظر هذه المصنّفات في المصادر المثبتة أوّل التّرجمة وخاصّة: المدارك، الشجرة، تراجم المؤلفين، فهرس الفهارس، الدّيباج.

(٧) بغية الملتمس ٣٩٦، سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ٣٦٨.

٥ ـ نظائر في الفقه، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة بتونُس رقم ١٦٢٤ [(١)].

٦ ـ تعليقات تتعلّق بتراجم الرّواة وتواريخهم[(٢)].

٨ ـ يحيى بن سلّام بن أبي ثَعْلَبَة التَّيْمِيّ[(٣)]، أبو زكريّاء البصري، نزيل القيروان (١٢٤ - ٢٠٠):

محدّث، مفسّر، مقريء، لغويّ، كثير الحديث، واسع الرّحلة.

نشأته وقدومه القيروان وشيوخه:

ولد يحيى بن سلّام بالكوفة سنة ١٢٤ هـ، وانتقل به والده إلى البصرة صغيراً، فنشأ بها[(٤)]، وأخذ العلم عن شيوخها، وأقبل على الطّلب إقبالاً منقطع النّظير، ورحل إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي، وسمع من أهلها، فحصل له من الشّيوخ مالا نكاد نجده عند غيره من العلماء، ولحق عدداً كبيراً من التّابعين، وسمع منهم، وكان يقول: «أحصيت بقلبي من لقيت من العلماء فعددت ٣٦٠ عالماً سوى التّابعين، وهم ٢٤ امرأة تحدّث عن عائشة»[(٥)].

---

(١) تراجم المؤلفين ١٨٧/٥.

(٢) انظر: المعالم ١٢٨/٣، المدارك ٤٥٨/٣.

(٣) ط أبي العرب مح ١١١، الرياض ١٨٨/١، المعالم ٣٢٦/١، تراجم المؤلفين ٥٣/٣، الصّراع المذهبي ١٥٤، علل ابن المديني ٢٩، التّمهيد ٢٤٨/١، ١٤٧/٨، الكواكب النّيّرات ٢٠٥، ميزان الاعتدال ٣٨٠/٤، تاريخ التّراث العربي ٩٠/١/١، علوم الحديث لابن الصّلاح ٢٥٤، الجرح والتّعديل ١٥٥/٩، فهرسة ابن خير ٥٦، التّفسير ورجاله ٢٣، ثقات ابن حبّان ٢٦١/٩، اللسان ٢٥٩/٢، المغني في الضعفاء ٧٣٦/٢، برنامج المكتبة العبدلّيّة ٤٤/١، سجلّ قديم لمكتبة جامع القيروان ٣٦٠، الأعلام ١٨٢/٩، معجم المؤلّفين ٢٠٠/١٣، العيون والحدائق ٣٥١، القراءات بإفريقيّة ١٥١، غاية النّهاية ٣٧٣/٢، نقد ابن حزم للرّواة ١١٣٨/٤.

(٤) الرياض ١٨٩/١، المعالم ٣٢٨/١، العيون والحدائق ٣٥١.

(٥) الرياض ١٨٨/١، المعالم ٣٢٢/١، والمرأة هي قَمِير امرأة مسروق، انظر: تفسير يحيى خط ٩٢ ب، التقريب ٦١١/٢، التهذيب ٤٤٦/١٢.

وقال أبو العرب: «لقي غير واحد من التّابعين، وأكثر من لقيّ الرّجال والحمل عنهم. . . وكان من الحفّاظ»[1].

أقول: وقد تتبّعت شيوخه في جزء من تفسيره، وفي مختلف المصادر، فوصلوا إلى واحد وسبعين شيخاً.

والنّاظر في تفسير يحيى يدرك الأثر الكبير لهؤلاء الشّيوخ في سعة علم يحيى وكثرة روايته، غير أنّه لم يكن ينتقي ويتخيّر في شيوخه، وإنّما كان يروي عن كلّ من عنده علم ورواية.

فكما روى عن الجهابذة الكبار، من أمثال: الإمام مالك وسفيان الثّوري ونحوهما، فقد روى أيضاً عن الضّعفاء والمتروكين، من أمثال: الحارث بن نَبْهَان البصري (ت بعد ١٦٠)[2]، والحسن بن دينار[3]، والمُعَلّى بن هِلَال[4] وأشباههم، وعن طريق هؤلاء دخل بعض الضّعف في حديثه كما سيأتي في موقف النّقّاد منه.

* ابتدأ يحيى بن سلّام حياته العلميّة طالباً على شيوخ البصرة، وجلّهم من تلاميذ الإمام الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)[5]، وقَتَادة بن دِعَامة السَّدُوسِيّ (ت ١١٧ أو ١١٨)[6].

ومن أشهرهم:

- سعيد بن أبي عَرُوبَة مِهْرَان العَدَوِيّ، وهو ثقة مأمون، من الحفّاظ، واختلط في آخره (ت ١٥٠ وقيل بعدها)[7].

---

(١) ط أبي العرب مح ١١١.

(٢) قال ابن حجر: متروك، التقريب ١/١٤٤.

(٣) التهذيب ٢/٢٧٥.

(٤) التقريب ٢/٢٦٦.

(٥) التهذب ٢/٢٦٣.

(٦) التهذيب ٨/٣٥١.

(٧) التهذيب ٤/٦٣، تفسير يحيى خط ٥٢، ٥٧ أ.

ـ حمّاد بن سَلَمة بن دينار البصري، محدّث ثقة عابد (ت ١٧٩)[١].

ـ شُعبة بن الحجّاج العَتَكِيّ الواسطيّ، نزيل البصرة، ثقة حافظ متقن عالم بالرّجال (ت ١٦٠)[٢].

ـ قُرَّة بن خالد السَّدوسيّ، ثقة ضابط (ت ١٥٥)[٣].

ـ هشام بن أبي عبدالله الدَّسْتَوائيّ، ثقة ثبت (ت ١٥٤)[٤].

ـ هَمَّام بن يحيى بن دينار، ثقة ربما وهم (ت ١٦٤ أو ١٦٥)[٥].

ـ إسماعيل بن مسلم العَبْديّ القاضي ثقة[٦] وغيرهم.

* وسمع بالكوفة من كثير من المحدّثين والقرّاء، منهم:

ـ الإمام سفيان بن سعيد الثّوري (ت ١٦١)، وقد سمع منه يحيى قبل خروجه من الكوفة إلى مكّة[٧].

ـ يونُس بن أبي إسحٰق عمرو بن عبدالله السَّبِيعِيّ (ت ١٥٢)[٨].

ـ إسرائيل بن يونس بن أبي إسحٰق السَّبِيعِيّ (ت ١٦٠ أو بعدها)، من الثّقات[٩].

ـ شَرِيك بن عبدالله النَّخَعِيّ القاضي (ت ١٧٧ أو ١٧٨)[١٠].

---

(١) التقريب ١/١٩٧، تفسير يحيى خط ١٩، ٢٠.
(٢) التقريب ١/٣٥١، سير أعلام ٩/٣٩٦.
(٣) التهذيب ٨/٣٧١، تفسير يحيى خط ١٥.
(٤) التقريب ٢/٣١٩، تفسير يحيى ١١١ أ.
(٥) التقريب ٢/٣٢١، تفسير يحيى ٥٨ أ.
(٦) التقريب ١/٧٤، الكاشف ١/٧٨.
(٧) تفسير يحيى خط ٣٠، ١٤٦ ي.
(٨) التهذيب ١١/٤٣٣، تفسير يحيى خط ٣٠، ١٣٤ ب.
(٩) التقريب ١/٦٤.
(١٠) التقريب ١/٣٥١، تفسير يحيى خط ٣٠.

ـ فِطْر بن خليفة المَخْزُومِيّ (ت بعد ١٥٠)[١].

ـ قَمِير بنت عمرو الكوفيّة، زوجة مسروق، تابعيّة ثقة[٢]، وغيرهم.

* وسمع بالشّام من جماعة، منهم:

ـ سعيد بن عبدالعزيز التَّنُوخيّ الدّمشقيّ، إمام ثقة، (ت ١٦٧ وقيل بعدها)[٣].

ـ تَمّام بن نَجِيح الأَسَدِيّ الدِّمشقيّ، نزيل حلب[٤]، وغيرهما.

* وسمع بالمدينة المنوّرة من الإمام مالك بن أنس، وقد تدبّج به، فقد ذكر يحيى أنّ مالكاً كتب عنه ١٨ حديثاً، وفي رواية المعالم ٢٤ حديثاً[٥]، وهذا يدلّ على أنّ يحيى رحل إلى الحجاز بعد أن أصبح في عداد العلماء.

* وسمع بمصر من جماعة من العلماء، منهم:

ـ اللّيث بن سعد الفَهْمِيّ، إمام ثقة مشهور (ت ١٧٥)[٦].

ـ عبدالله بن لَهِيعة الحضرمي (ت ١٧٤)[٧] وغيرهما.

وقد تدبّج يحيى بهذين العَلَمين أيضاً، فقد قال: «روى عنّي من العلماء أربعة: مالك واللّيث بن سعد وعبدالله بن لَهِيعة، ونسي الرّابع»[٨].

ثم انتقل يحيى بن سلاّم إلى القَيْرَوان فأوطنها، وذلك حوالي سنة ١٨٣ هـ؛ لأنّه لحق البُهلول بن راشد المتوفَّى سنة ١٨٣ هـ ولم يسمع منه إلاّ حديثاً واحداً[٩].

---

(١) التهذيب ٨/٣٠٠، سير أعلام٩/٣٩٦.

(٢) التهذيب ١٢/٤٤٦، تفسير يحيى خط ٩٢ ب.

(٣) التقريب ١/٣٠١، تفسير يحيى خط ٦١ ب.

(٤) التقريب ١/١١٣، تفسير يحيى خط ٧ ب، ١٨.

(٥) الرياض ١/١٨٩، المعالم ١/٣٢٢، تفسير يحيى خط ١٣٦ أ.

(٦) التقريب ٢/١٣٨.

(٧) التقريب ١/٤٤٤.

(٨) الرياض ١/١٨٨.

(٩) ط أبي العرب ٥٤.

أثره الحديثيّ في القَيْرَوان وتلاميذه:

استمرّ مقام يحيى بن سلّام في القيروان مدّة زادت على الستّة عشر عاماً (١٨٣ - ١٩٩)، وجلس فيها لنشر العلم، وإسماع مرويّاته الغزيرة، كما حدّث فيها بمصنّفاته، قال أبو عمرو الدّاني: «سكن إفريقيَّة دهراً، وأسمع النّاس بها كتابه في تفسير القرآن، وليس لأحد من المتقدّمين مثله، وكتابه الجامع»[١]؛ إذ لم يكثر إقبال النّاس عليه، ولعلّ ذلك بسبب ما اتُّهم به من القول بالإرجاء، رغم ثبوت براءته من ذلك، نظراً لشدّة حساسيّة البيئة القيروانيّة ضدّ البدع.

وقد جاء في طبقات أبي العرب أنّ يحيى قيل له: «إنّهم يقولون إنّك تقول بالإرجاء»، فضرب يده على جدار القبلة، وقال: «وربّ القبلة ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط، كيف وقد حدّثتكم أنّه بدعة»[٢].

وقال عون بن يوسف الخُزاعي المحدّث القروي (ت ٢٣٩): «كنّا عند عبدالله بن وهب نسمع منه، حتّى مرّ في كتبه حديث عن يحيى بن سلّام، فقال: «اِطرَحوه؛ لأنّه بلغني أنّه مرجيء»، قال عون: فقمت إليه أنا ومعي ثلاثة من أهل إفريقيَّة فشهدنا عنه أنّه بريء من الإرجاء»[٣].

ولهذا السّبب بقي كثير من العلم في صدر يحيى، ولم يظهر للنّاس، فقد روى عنه ابنه محمد أنّه قال: «يا بني رويت ستة آلاف حديث أو ثمانية آلاف حديث، لم يسألني عنها أحد ولم أحدّث بها أحداً»[٤].

أمّا تلاميذه من مختلف البلاد فكثيرون؛ إذ إنّه تدبّج بأكثر شيوخه، قال يحيى: «كلّ من رويت عنه العلم فقد روى عنّي إلّا القليل منهم»[٥].

---

(١) غاية النهاية ٢/٣٧٣.
(٢) ط أبي العرب مح ١١٢.
(٣) ط أبي العرب مح ١١٢، وانظر: الرياض ١/١٩١.
(٤) الرياض ١/١٨٩، المعالم ١/٣٢٣.
(٥) الرياض ١/١٨٩.

ومن أشهر تلاميذه الأفارقة:

- أبو أحمد موسى بن جَرِير العطّار، سمع منه التّفسير ورواه بالقيروان[1].

- أبو داود أحمد بن موسى العطار، ابن المتقدّم (ت ٢٧٤)، وقد روى عنه التّفسير أيضاً[2].

- ابنه محمد بن يحيى بن سلاّم المحدّث (ت ٢٦٢)، وقد روى عن والده التفسير وغيره[3].

- موسى بن معاوية الصُّمادِحي المحدّث (ت ٢٢٥)[4].

- محمد بن قادم (ت ٢٤٧)[5].

- أبو الرّبيع اللِّحْيَانِيّ، وكان فقيهاً صالحاً[6].

- إسماعيل بن رباح الجَزَرِيّ (ت ٢١٢)، الفقيه الصّالح[7].

- أبو سِنان زيد بن سِنان (ت ٢٤٤)، وهو محدّث واسع الرّواية، فقيه[8].

- أبو جعفر عبدالله بن محمّد الدَّغْشِيّ[9].

- عبدالله بن سهل القُبْرِيَانِيّ (ت ٢٤٨)[10]، وغيرهم.

---

(١) ط أبي العرب ١١٧.

(٢) فهرسة أبي خير ٥٦، تاريخ ابن الفرضي ٢/٢١٠.

(٣) فهرسة ابن خير ٥٧، المعالم ٢/١٤٥، المحن ٤٧، ٤٨، ٦٣، ٦٧، ٦٨.

(٤) الرياض ١/١٩١، المدارك ٣/٥.

(٥) ط أبي العرب مح ١٩٩.

(٦) ط أبي العرب مح ٢١٠.

(٧) ط أبي العرب مح ١٤٥، الرياض ١/٣٣٣.

(٨) المعالم ١/٣٢٣، الرياض ١/٣٨٨.

(٩) ط أبي العرب مح ١٩٦.

(١٠) المدارك ٤/١٩٣.

وقد سمع منه من أهل المشرق كثيرون منهم:

ــ الإمام مالك بن أنس واللّيث بن سعد وعبدالله بن لَهِيعة، وهم من شيوخه[1].

ــ عبدالله بن وهب بن مُسلم المصريّ (ت ١٩٧)، وهو من طبقته[2].

ــ أَصْبَغ بن الفَرَج المصريّ، الفقيه (ت ٢٢٥)[3].

ــ بَحْر بن نَصْر بن سابق المصري (ت ٢٦٧)[4].

ــ محمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٦٨)[5].

شـــدّة حفظــه:

وكان يحيى شديد الحفظ، حدّث حفيده، يحيى بن محمد عنه: «إنّه ما سمع شيئاً قطّ إلّا حفظه، إنّه كان إذا مرّ بمن يتغنّى يسـدّ أذنيه؛ لئـلّا يسمعه فيحفظه»[6].

وفي آخر سنة ١٩٩ هـ خرج يحيى إلى الحجّ، وتوفّي في مصر عند عودته وذلك سنة ٢٠٠ هـ.

منزلته من حيث الجرح والتّعديل:

اختلف النّقاد في حديث يحيى بن سلّام من حيث الاحتجاج به أو كتابته للاعتبار، ولم يذهب أحد إلى ردّه مطلقاً.

أ ــ أقــوال الموثّقيــن:

تقدّم ذكر شدّة حفظ يحيى، وقال أبو العرب: «كان ثقة ثبتـاً، وكان لـه إدراك، وكان من خيار خلق الله. . . وكان من الحفّاظ»[7].

---

(١) المعالم ٣٢٢/١، الرياض ١٨٨/١.

(٢) التقريب ٤٦٠/١، سير أعلام ٣٩٦/٩.

(٣) التقريب ٨١/١.

(٤) التقريب ٩٣/١، سير أعلام ٣٩٦/٩.

(٥) الشجرة ٦٧/١، سير أعلام ٣٩٦/٩.

(٦) ط أبي العرب مح ١١١. المعالم ٣٢٦/١.

(٧) ط أبي العرب مح ١١١.

وقال الدّبّاغ: «كان ثقة، ومحلّه من العلم معلوم»[1].

وقال أبو عمرو الدّاني: «كان ثقة ثبتاً، ذا علم بالكتاب والسّنّة، ومعرفة اللّغة العربيّة، صاحب سنّة»[2].

وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال: ربما أخطأ[3]، وقال أبو حاتم[4]: صدوق.

وقال أبو زُرْعَة[5]: «لا بأس به، ربما وهم».

وقال الذّهبيّ في سير الأعلام[6]: «الإمام العلّامة»، ووثّقه أحمد شاكر[7].

ب ـ المضعّفون:

ضعّفه الدّارَقُطْنِيّ[8]، وقال ابن حزم[9]: «ليس هو ممّن يحتجّ بحديثه» وقال ابن عديّ[10]: «هو ممّن يكتب حديثه مع ضعفه».

النّتيجة:

إنّ يحيى بن سلّام صدوق في حديثه أوهام قليلة، لا يكاد يسلم منها من كانت له تلك الكثرة من الشّيوخ، والرّواية الواسعة، ولعلّ مصدر تلك الأوهام بعض شيوخه الضّعفاء الذين تقدّمت الإشارة إليهم.

---

(١) المعالم ١/٣٢٦.
(٢) غاية النهاية ٢/٣٧٣، سير أعلام ٩/٣٩٦.
(٣) ثقات ابن حبان ٩/٢٦١.
(٤) الجرح والتعديل ٩/١٥٥.
(٥) الكواكب النّيِّرات ٢٠٥، اللسان ٦/٢٦٠.
(٦) سير أعلام ٩/٣٩٦.
(٧) حاشية تفسير الطبري ٤/١٠٠.
(٨) الميزان ٤/٣٨٠، المغني في الضّعفاء ٢/٧٣٦.
(٩) نقد ابن حزم للرّواة ٤/١١٣٨.
(١٠) الكامل في الضعفاء ٧/٢٧٨.

مصنّفاته:

١ ـ له كتاب التّفسير، وهو أوّل ما عُرف من التّفاسير الكاملة، وقال فيه أبو عمرو الدّاني[1]: «ليس لأحد من المتقدّمين مثله»، وسيأتي الحديث عنه في المصنّفات.

٢ ـ كتابه الجامع[2]، في الحديث.

٣ ـ اختيارات في الفقه[3].

٤ ـ كتاب التّصاريف: تفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه[4].

٩ ـ يحيى بن عمر بن يوسف الكِنَانِيّ[5]، أبو زكريّاء الأندلسيّ، نزيل القَيْرَوان (٢١٣ - ٢٨٩):

محدّث، فقيه، جليل القدر، شديد على المبتدعة، مع زهد وفضل وصلاح.

نشأته، وقدومه القَيْرَوان، وطلبه:

وُلد يحيى بن عمر بقُرْطُبَة، ونشأ بها، وتعلّم على شيوخها، وخاصّة عبدالملك بن حبيب السُّلَمِيّ، الإمام المتفنّن في الحديث والفقه واللّغة (ت ٢٣٨)[6].

---

(١) غاية النّهاية ٢/٣٧٣، سير أعلام ٩/٣٩٦.

(٢) غاية النّهاية ٢/٣٧٣. (٣) تراجم المؤلّفين ٣/٥٥.

(٤) طبع في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٩م بتحقيق هند شلبي في مجلد واحد.

(٥) الرياض ١/٤٩٠، الشجرة ١/٧٣، جذوة المقتبس ٣٥٤، تاريخ رواة العلم ٢/١٨١، تراجم المؤلفين ٣/٤٢٤، ورقات ٢/٢٧، المدارك ٣/٣٣٤، المعالم ٢/٢٣٣، بغية الملتمس ٢٩٥، ط الخشني ١٣٤، لسان الميزان ٦/٢٧٠، طبقات الفقهاء ١٦٣، الأعلام ٨/١٦٠، معجم المؤلّفين ١٣/٢١٧، الحلل ١/٢/٢٩٧، المحن ٤٧٢، المغرب العربي ٨٣، مقدمة كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر بتحقيق الدشراوي.

(٦) الشجرة ١/٧٤، المدارك ٣/٢٣٤.

ثمّ رحل إلى القيروان، فسمع من الإمام سَحنون بن سعيد بمنزله في السّاحل[1]، ومن المحدّث عون بن يوسف الخُزاعي (ت ٢٣٩)[2]، ويحيى بن سليمان الحُفْريّ (ت ٢٣٧)[3] وغيرهم.

رحلاته وآثارها وشيوخه فيها:

وقد رحل إلى المشرق «فسمع حديثاً كثيراً»[4]، ولقي بمصر كثيراً من الفقهاء والمحدّثين من أصحاب عبدالله بن وهب وعبدالرّحمٰن بن القاسم وأَشْهَب بن عبدالعزيز، منهم: يحيى بن عبدالله بن بُكَيْر (ت ٢٣١)، وقد سمع يحيى بن عمر الموطّأ وغيره من حديثه، وشكّك فُرات العَبْدي في سماعه منه، وقال إنّه قدم بُعيد وفاته، وقال المالكي: «وكان شيوخنا يقولون: إنّما جرى هذا ليحيى مع فُرات في سفرته الثّانية، وفي الأولى لقي ابن بُكَيْر وسمع منه»[5].

- أَصْبَغ بن الفَرَج، الإمام الثّقة الفقيه المحدّث (ت ٢٢٥)[6].
- أبو زيد عبدالرحمٰن بن أبي الغَمْر، الفقيه المحدّث العالم الثّبت (ت ٢٣٤)[7].
- أبو عمرو الحارث بن مسكين، وهو محدّث فقيه ثقة (ت ٢٥٠)[8].
- أبو الرّبيع سليمان بن داود، العارف بالحديث، الإمام الفقيه (ت ٢٥٣)[9].
- محمد بن رُمْح التُّجيبيّ[10]، محدث ثقة ثبت (ت ٢٤٢).

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٩٢، الشجرة ١/٧٣.
(٢) (٣) المدارك ٣/٢٣٤.
(٤) ط الخشني ١٣٤.
(٥) الرياض ١/٤٩١، المدارك ٤/٣٦٢، المحن ٤٧.
(٦) الشجرة ١/٦٦، حسن المحاضرة ١/٣٠٨.
(٧) الشجرة ١/٦٦.
(٨) الشجرة ١/٦٧، التقريب ١/١٤٤.
(٩) الشجرة ١/٦٧، حسن المحاضرة ١/٢٩٢.
(١٠) حسن المحاضرة ١/٢٩٣، التقريب ٢/١٦١.

ـ حرملة بن يحيى التجيبي، كان إماماً حافظاً للحديث والفقه (ت ٢٤٣)[١].

ـ أبو الطّاهر أحمد بن عمرو بن السَّرْح، الحافظ الفقيه العلاّمة (ت ٢٥٠)[٢].

ـ أبو إسحٰق إبراهيم بن عبدالرحمٰن البَرْقِيّ، الفقيه العالم الإمام (ت ٢٤٥)[٣].

ـ هارون بن سعيد الأَيْلِيّ، ثقة فاضل (ت ٢٥٣)[٤].

ـ زُهَيْر بن عَبَّاد الرُّؤَاسِيّ، كوفي نزل مصر (ت ٢٣٨)[٥]، وغيرهم.

ثم واصل رحلته إلى الحرمين، فسمع هنالك من جماعة منهم:

ـ أبو المُصَعَب أحمد بن أبي بَكر الزُّهْرِيّ (ت ٢٤٢)[٦].

ـ يحيى بن مَعِين، الإمام الحافظ بالجرح والتّعديل (ت ٢٣٣)[٧].

ـ يعقوب بن حُمَيْد بن كاسب (ت ٢٤٠ أو ٢٤١)[٨].

ـ يحيى بن سُلَيْم الطّائفيّ (ت ١٩٣)[٩].

ـ أحمد بن عِمران الأَخْفَش، سمع منه كتابه تفسير غريب الموطّأ[١٠].

ـ نصر بن مرزوق، سمع منه مسند أحمد بن موسى[١١]، وغيرهم. وقد ذكرت المصادر أنّه أنفق في طلب العلم ستّة آلاف دينار[١٢].

---

(١) حسن المحاضرة ١/٣٠٧، التقريب ١/١٥٨.
(٢) حسن المحاضرة ١/٣٠٨، التقريب ١/٢٣.
(٣) الشجرة ١/٦٧.
(٤) التقريب ٢/٣١٢، الكاشف ٣/١٨٩.
(٥) اللسان ٢/٤٩٢.
(٦) التقريب ١/١٢، المدارك ٣/٢٣٥.
(٧) التقريب ٢/٣٥٨، اللسان ٦/٢٧٠.
(٨) التقريب ٢/٣٧٥، المعالم ٢/٢٣٣.
(٩) التقريب ٢/٣٤٩، المدارك ٣/٢٣٥.
(١٠) فهرسة ابن خير ٩١، المدارك ٣/٢٣٥.
(١١) فهرسة ابن خير ١٤٢.
(١٢) انظر مثلاً: الرياض ١/٤٩٢.

أثره وتلاميذه وبعض آرائه:

عاد يحيى بن عمر إلى القَيْرَوان فاستوطنها، وبثّ فيها علماً كثيراً، حيث جلس للطّلبة في جامع عُقبة[1]، يسمعهم مرويّاته الكثيرة، ثم مصنّفاته المتعدّدة بعد ذلك، فانتفع به أهل القيروان وغيرهم، واشتهر أمره فرحل إليه النّاس من مختلف مدن إفريقيَّة والمغرب والأندلس.

قال ابن حارث: «سكن القيروان فشرُفت بها منزلته عند العامّة والخاصّة، ورحل النّاس إليه، لا يروون المدوّنة والموطّأ إلا عنه»[2].

وقال ابن الفَرَضِيّ: «كان الرّحلة إليه في وقته»[3].

وقال عِياض: «سمع منه النّاس، وتفقّه عنه خلق كثير... وإليه كانت الرّحلة في وقته»[4].

وكانت حلقته في جامع عُقبة عظيمة جدّاً، حتّى إنّه كان يوضع له بالجامع كرسي يجلس عليه، ليُسمع النّاس من كثرتهم، وهو أوّل من صُنع له ذلك[5]، ومع ذلك فإنّ كثيراً من الطّلبة لا يصلهم صوته لبعدهم فسألوه عن سماعهم فقال نُجيزهم[6].

وكان يحدّث بالموطّأ، والمدوّنة، ومسند أسد بن موسى، وتفسير غريب الموطّأ للأخفش، وكتاب الزّهد لأبي بكر بن رِزق[7] وغيرها.

وكان له كلام في الأسانيد والحكم على الحديث[8]، وكان يقول: «إذا

---

(١) انظر مثلاً: المعالم ٢/٢٣٥.
(٢) المعالم ٢/٢٣٦، المدارك ٣/٢٣٤، وانظر: تاريخ ابن الفرضي ٢/١٨١.
(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢/١٨١. (٤) المدارك ٣/٢٣٤.
(٥) انظر: المعالم ٢/٢٣٥، الرياض ١/٤٩٣. (٦) اللسان ٦/٢٧٢.
(٧) انظر: فهرسة ابن خير ٨٤، ٩١، ١٤٢، ٢٧٦.
(٨) انظر: كتابه أحكام السوق ٨١ - ٨٣.

رأيت محمد بن سَحنون يقول: حدّثني الثّقة عن سَحنون فهو ثابت بن سليمان»[1]، وكان شديد الاتّباع للآثار، مبغضاً للرّأي، لا يفتح باب المناظرة، وإذا ألحّ عليه سائل وأتاه بالمسائل العويصة طرده[2].

وكان يرابط في شهر رمضان، وينشر العلم في قصور الرّباط، قال أحد المرابطين: «كان يحيى بن عمر يأتي إلينا، إلى المُنَسْتِير، يصوم رمضان، وكان يحدّثنا»[3].

كما كان حريصاً على تطبيق السُّنّة، شديداً على المبتدعة، من المعتزلة وغيرهم قال الخُشَنِيّ: «كان شَجى في نفوس العراقيّين وقَذى في أعينهم»[4]، ولذلك فعندما تولّى محمد بن عَبْدُون قضاء القيروان، وكان معتزليّاً، طلب يحيى بن عمر ليمتحنه، وكان ابن عَبْدُون قد ضرب جماعة من المدنيّين، وامتحنهم، وكان الأمير يقول بعد أن عزله: «لو ساعدتُه لجعلتُ له مقبرة على حدة»[5]، ففرّ يحيى بن عمر إلى تونُس ثم إلى سُوسة، وبقي بها ينشر العلم إلى أن توفّي سنة ٢٨٩ رحمه الله تعالى[6].

وكان أثره في الحياة العلميّة بالقيروان كبيراً، وقد تتلمذ عليه كثير من أهلها وغيرهم، منهم:

- أبو العَرَب التَّمِيمِيّ الحافظ (ت ٣٣٣)، وقد حدّث عنه كثيراً[7].
- أبو بكر محمد بن محمد بن اللّبّاد شيخ السُّنّة بالقيروان (ت ٣٣٣) روى عنه تفسير غريب الموطّأ وغيره[8].

---

(١) مناقب أبي إسحٰق الجِبِنْيَانِيّ ١٠.
(٢) انظر: الرياض ١/٤٩٥، المدارك ٣/٢٣٥.
(٣) الرياض ١/٤٩٧.
(٤) ط الخشني ١٣٥.
(٥) ط الخشني ١٨٧.
(٦) تاريخ ابن الفرضي ٢/١٨١.
(٧) انظر: كتاب المحن ٤٧، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠٩.
(٨) فهرسة ابن خير ٩١.

ـ محمد بن مسرور العسّال، وقد سمع منه مسند أسد بن موسى [1].

ـ لُقمان بن يوسف، فقيه، محدّث (ت ٣١٩)[2].

ـ أبو جعفر أحمد بن القَصْرِي (ت ٣٢٢)، وكان فقيهاً محدّثاً كثير الرّواية[3].

ـ أبو العبّاس عبدالله بن أحمد الأبيانيّ العالم الفقيه (ت ٣٥٢)[4].

ـ أخوه محمد بن عمر، وكان كثير الكتب في الفقه والآثار (ت ٣١٠)[5].

ـ أبو الحسن الخَوْلَانِيّ الكانشيّ، الفقيه الصّالح (ت ٣٤٧)[6]، وغيرهم من الأفارقة.

وسمع منه كثير من الأندلسيّين، منهم:

ـ أحمد بن يوسف بن عباس المَعَافِرِيّ (ت ٢٩٩)[7].

ـ أحمد بن يوسف بن مؤذّن (ت ٣٠٧)[8].

ـ سعد بن سعيد بن كَثِير المُراديّ (ت ٣٠٦)[9].

ـ سعيد بن غصن الْبَيْرِيّ[10].

ـ محمد بن أبي سليمان الطُّلَيْطُلِيّ[11].

ـ محمد بن الشِبْل بن بَكر القَيْسِيّ (ت ٣٥٣)[12].

---

(١) فهرسة ابن خير ١٤٢.

(٢) الشجرة ١/٨١، وراجع ترجمته رقم ٢٩.

(٣) المعالم ٣/١١، المحن ٤٥٢.

(٤) الشجرة ١/٨٥، المدارك ٣/٢٣٧.

(٥) المدارك ٣/٢٤١، البغية ١٠١.

(٦) الشجرة ١/٨٥، المعالم ٢/٢٣٦.

(٧) تاريخ ابن الفرضي ١/٣٧.

(٨) تاريخ ابن الفرضي ١/٣٨.

(٩) تاريخ ابن الفرضي ١/١٩٦، البغية ٢٩١.

(١٠) تاريخ ابن الفرضي ١/١٩٧.

(١١) تاريخ ابن الفرضي ٢/٦٦.

(١٢) تاريخ ابن الفرضي ٢/٦٨.

ـ أحمد بن خالد بن يزيد الأندلسيّ (ت ٣٢٢)[١].

ـ سعيد بن عثمان بن سعيد الأَعْنَاقِيّ (٣٠٥)[٢].

ـ صالح بن محمد المُرَادِيّ (ت ٣٠٢)[٣]، وغيرهم ولجميع هؤلاء رواية وعناية بالحديث.

ثناء أهل العلم على يحيى بن عمر بالحفظ، وسعة العلم في الحديث والفقه:

قال أبو العرب: «كان إماماً ثبتاً، كثير الكتب في الفقه والآثار، ضابطاً لكتبه، عالماً بما فيها، متقناً، شديد التّصحيح لها، من أئمّة العلم»[٤].

وقال الخُشَنِيّ: «كان متقدّماً في الحفظ»[٥].

وقال الدّبّاغ: «كان فقيهاً، ثقة، صحيح الكتب، مع صلاح بيّن، وورع حاجز، وكان من الحفظ بمكان... شديداً من الحقّ، صلباً في السّنّة»[٦].

وقال أبو العبّاس الأبياني: «ما رأيت مثل يحيى بن عمر في علمه وورعه وزهده... وكان حريصاً على العلم، يحرّض طالبه ويشرّفه»[٧].

وقال القاضي أبو الوليد الباجي: «كان فقيهاً، حافظاً، ثقة ضابطاً لكتبه»[٨]؛ وجاء في الأعلام ومعجم المؤلّفين أنّه فقيه محدّث حافظ[٩].

وقال صاحب الشّجرة: «الإمام، المبرّز، العابد، الثّقة، الفقيه، الحافظ، المجاب الدّعوة»[١٠].

---

(١) بغية الملتمس ١٦١.

(٢) بغية الملتمس ٢٩٥.

(٣) بغية الملتمس ٣٠٥.

(٤) تاريخ رواة العلم ٢/١٨١، المدارك ٣/٢٣٥.

(٥) ط الخُشَني ١٣٤.

(٦) المعالم ٢/٢٣٥.

(٧) الرياض ١/٤٩٠.

(٨) المدارك ٣/٢٣٥، اللسان ٦/٢٧٠.

(٩) انظر: الأعلام ٩/١٨٢، معجم المؤلّفين ١٣/٢٠٠.

(١٠) الشجرة ١/٧٣.

مصنّفاته:

له مؤلّفات عديدة، جمع فيها بين الحديث والفقه.

قال الخُشَنِيّ: «له أوضاع كثيرة في أصول السُّنن على معاني الآثار وما أتى فيها من الأخبار»[1].

وقال ابن أبي خالد: «له من المصنّفات نحو أربعين جزءاً»[2].

وقد عرفنا منه الكتب التّالية[3]:

ـ الحجّة في الرّد على الشّافعي فيما أغفل من كتاب الله تبارك وتعالى وسنّة نبيّه ﷺ، يوجد منه جزء في مكتبة جامع القيروان[4].

ـ كتاب النّظر إلى الله يوم القيامة ـ كتاب الصّراط ـ كتاب الميزان ـ كتاب الوسوسة ـ كتاب أحمية الحصون ـ كتاب فضل الوضوء والصّلاة ـ كتاب الرّدّ على الشّكوكيّة ـ كتاب الرّد على المرجئة ـ كتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب ـ كتاب النّساء ـ كتاب المنتخبة وهو اختصار للمستخرجة ـ النّظر والأحكام في جميع أحوال السّوق (أحكام السوق)، وهو مطبوع[5] ـ أكرية السّفن ـ وغيرها.

الاستنتاج العام للقسم الثّاني من المحدّثين:

فهؤلاء تسعة من كبار العلماء الذين استقطبتهم مدينة القيروان، فهاجروا إليها، واستوطنوها، وعُدّوا من أهلها، وقد أسهموا إلى حد كبير في نشر السُّنّة النبويّة وعلومها رواية ودراية، وإثراء الحياة العلميّة في إفريقيّة عامّة والقَيْرَوان خاصّة، وفي ذلك دلالة على المكانة المرموقة التي كانت تحتلّها القيروان بين

(١) ط الخُشَني ١٣٥. (٢) المدارك ٣/٢٣٦.

(٣) انظر: مصادره المثبتة أوّل الترجمة وخاصة المدارك، معجم المؤلفين، تراجم المؤلفين الأعلام.

(٤) المكتبة الأثرية ٣٨.

(٥) بتحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٥ م.

حواضر العالم الإسلاميّ آنذاك، كما يعبّر أيضاً على أنّ أبناء الوطن الإسلاميّ الكبير لم تكن بينهم حواجز، ولا عليهم قيود في الاستيطان في هذه المدينة أو تلك من أرجاء العالم الإسلامي الفسيح، فإذا نزل العالم بلداً صار من أبنائه، ويكون معيار التّقديم هو تقواه وعلمه.

وبعـد التّعريف بمحـدّثي القيروان سنـرى إلى أي حدّ أسهمـوا في إثراء المكتبة الحديثيّة بالتّصنيف، وما هي أهمّ المواضيع التي ألّفوا فيها، مع التّعريف ببعض ما وصلنا من مؤلّفاتهم.

الفصل الثاني

التّعريف بأشهر المصنّفات الحديثيّة

تـوطـئه:

إنّ التّأليف هو الثّمرة الطبيعيّة لازدهار الحياة العلميّة، فكلّما شاع العلم وانتشر كلّما كان الدّاعي لتدوينه أكبر، حيث يقبل العلماء على وضع المصنّفات في شتّى فنـون العلم، ويكثر الحـرص على نسخ تلك المصنّفـات واقتنائهـا؛ للمذاكرة والقراءة والسّماع، كما تعتبر المصنّفات صورة واقعيّة للمدرسة الحديثيّة نتاجاً وأفكاراً وآراء وتأثّراً وتأثيراً.

وقد نالت المؤلّفات المتعلّقة بالسُّنّة وعلومها الحظّ الأوفر من اهتمام العلماء في مختلف البلاد الإسلاميّة، وأسهم أهل القيروان ـ كغيرهم ـ في هذا المجال نشراً للسُّنّة، وحفظاً لنصوصها، وحثّاً على التّمسّك بها، ومنافحة عنها، وتوضيحاً لها، وعرضاً لمواقفهم منها، وجهودهم في خدمتها.

وقبل أن أتناول بالتّعريف أهمّ ما وصل إلينـا من مصنّفات القـرويّين في الحديث وعلومه خلال الفترة الزّمنيّة محلّ البحث يحسن أن أتطرّق إلى حركة التّصنيف الحديثيّ في القيروان، وأهمّ المواضيع التي اهتمّ القرويّـون بـالتّصنيف فيها.

أوّلاً: حركة التّصنيف الحديثيّ في القيروان:

لقد كانت بداية الاهتمام بجمع الحديث مبكّرة لدى أهل إفريقيّة، وتمثّلت مرحلتها الأولى في تدوين المرويّات المسموعة للمحدّث، وجمعها في الأجزاء أو

الكتّيبات، وأوّل من قام بهذا التّدوين هو المحدث خالد بن أبي عمران التّجيبيّ (ت ١٢٥ أو ١٢٩)[١]، فإنّه رحل إلى المدينة المنوّرة قبل سنة ٩٤ هـ[٢]، وسمع من جماعة من التّابعين، منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصّدّيق (ت ١٠٦) وسليمان بن يسار (توفي قبيل المائة أو بعدها)، وسالم بن عبدالله بن عمر (ت ١٠٦)، ودوّن سماعه منهم في كتاب كبير، كما قال أبو العرب، كان يُروى بالقيروان[٣]، ويرى الشّيخ الشّاذلي النّيفر أنّ هذا الكتاب هو أصل المدوّنات التي جاءت بعده في إفريقيّة (أي من حيث الفكرة)، وأنّه مبنيّ على رواية الحديث، وعلى أصول فقهيّة أيضاً؛ لأنّ الذين أخذ عنهم من رجال الحديث، مع اشتهارهم بالفقه والفتيا، فهو شبيه بالموطّأ[٤].

وقد ذكر الدّكتور محمد مصطفى الأعظمي أنّ خالد بن أبي عمران كانت عنده أحاديث مكتوبة[٥].

ثم جاء بعده عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، وقد دوّن سماعاته في كتابين بلغت أحاديثهما خمسمائة حديث، رواهما عنه أهل القيروان[٦]، وذكره الأعظميّ أيضاً ضمن من كانت عنده أحاديث مكتوبة[٧].

---

(١) محدث إفريقيّ ثقة عابد احتج به مسلم وأخرج له أبو داود والتّرمذي والنّسائي وأحمد والطبراني في الكبير وابن عبدالبر في التمهيد ويحيى بن سلّام في تفسيره وغيرهم. انظر ترجمته في: الكاشف ١/٢٠٦، التقريب ١/٢١٧، تاريخ الإسلام ٥/٦٦، ٦/٦٠، سير أعلام ٥/٣٧٨، التهذيب ٣/١١٠.

(٢) لأنه روى في هذا الرّحلة عن عروة بن الزّبير المتوفى سنة ٩٤ هـ على الصحيح، انظر: التقريب ٢/١٩، سير أعلام ٥/٣٧٨.

(٣) ط أبي العرب ٢٤٥.

(٤) انظر: مقدمة موطأ ابن زياد ٢٤.

(٥) دراسات في الحديث النبوي ١/١٧٦، ٢١٦.

(٦) ط أبي العرب مح ٢٣٩.

(٧) دراسات في الحديث النبوي ١/١٨٤.

ثمّ دوّن رباح بن يزيد اللَّخْمِيّ (ت ١٧٢) مرْويّاته في كتاب أخذه عنه أهل القيروان[١].

كما كان لعبدالله بن فَرُّوخ (ت ١٧٦) سماعات كثيرة من أئمّة الحديث والفقه، مثل: مالك وسفيان الثّوري وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جُرَيْج وأبي حنيفة وغيرهم، وقد دوّنها وسمعها منه أهل القيروان[٢].

ودوّن محمد بن معاوية الحَضْرَمِيّ سماعه من مالك، وسماعه من اللّيث بن سعد، وقد رواهما عنه أهل إفريقيّة وبعض أهل الأندلس كمحمد بن وضّاح المحدّث[٣].

وجمع عبدالله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠) سماعه من مالك غير الموطّأ في كتاب عُرف بديوان ابن غانم رواه عنه أهل القيروان[٤].

كما كان لعَنْبَسَة بن خارجة الغَافِقِيّ (ت ٢١٠) سماع مدوّن عن مالك كسماع ابن القاسم وأشهب كان يحدّث به في القيروان[٥].

وقد استمرّت مرحلة تدوين السّماعات والمرويّات عموماً إلى أواخر الرّبع الثّالث من القرن الثّاني، ثم أعقبتها مرحلة التّصنيف الجامع بين الحديث وغيره من العلوم، وخاصّة الفقه والتّفسير، وممّا يمثّل هذه المرحلة كتاب الجامع أو الدّيوان للبُهلول ابن راشد (ت ١٨٣)[٦]، ويقال إنّه دوّنه عنه أصحابه.

وصنّف شُقران بن علي القيروانيّ (ت ١٨٦) كتابه في الفرائض[٧]، وهو مبنيّ على علوم الرّواية من الكتاب والسّنّة.

---

(١) ط أبي العرب ٤٥، وانظر: ترجمته رقم ١٠ في المحدثين.
(٢) انظر: ترجمته رقم ٣ في المهاجرين.
(٣) انظر: ترتيب المدارك ١/٤٩٠.
(٤) المدارك ١/٣١٧.
(٥) ط أبي العرب ١٥١.
(٦) انظر: ترجمته رقم ٥ في المحدثين.
(٧) الشجرة ١/٦٠.

ثمّ صنّف يحيى بن سلّام (ت ٢٠٠) كتابه في التّفسير بالمأثور، وهو كتاب زاخر بالحديث والآثار[١].

ثم صنف أسد بن الفُرات (ت ٢١٢) الأسديّة فرفضها أهل القيروان لخلوّها من الحديث ممّا دفع سحنون لتذييلها بالحديث والآثار فكانت جامعة بين الأمرين[٢].

وفي النّصف الأوّل من القرن الثّالث ظهر مع محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) التّصنيف الحديثيّ المستقلّ، فألّف مسنده الكبير في الحديث وكتابه في السُّنّة وكتاب السّير وغيرها[٣].

ثمّ تتالت المصنّفات الحديثيّة فظهرت العوالي الحديثيّة والشّروح والمختصرات وكتب الطّبقات والتّراجم والمناقب ونحوها كما سيأتي.

ثانياً: أهم أنواع التأليف التي صنّف فيها محدّثو القيروان:

أ ــ المصنّفات:

إنّ معظم المصنّفات الإفريقيّة قد فُقدت لأسباب سيأتي ذكرها في نهاية هذا المبحث، والذي يعنينا هنا هو التّنبيه على أنّ ما سأذكره من المصنّفات يمثّل الحدّ الأدنى من مؤلّفات القرويّين في الحديث، ولو ظهرت بعض المصنّفات القرويّة الأخرى للوجود، وخاصّة الفهارس لوجدنا فيها بدون شكّ أسماء لمصنّفات أخرى.

ويمكن من خلال المادّة المتوفّرة حصر التّصنيف الحديثيّ في الموضوعات

(١) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين وسيأتي التعريف بتفسيره في المصنفات.
(٢) انظر: أعلام ابن عاشور ٢٧، ٢٨.
(٣) انظر: ترتيب المدارك ٣/١٠٦.

الآتي ذكرها، وقد رتّبت الكتب داخل كلّ موضوع بحسب تقدّمها الزّمنيّ، فإنّ ذلك ممّا يساعد على إبراز تطوّر حركة التّصنيف:

١ ـ المسانيد:

ـ وقد صنّف فيها محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) مسنده الكبير في الحديث[١]، كما أشرت قريباً.

ـ وصنّف أبو اليَسَر إبراهيم بن أحمد الشَّيْبَانِيّ (ت ٢٩٨) كتاب المسند[٢].

ـ مسند حديث مالك ممّا ليس في الموطّأ لأبي العرب التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)[٣].

٢ ـ الكتب المصنّفة على الأبواب استقلالاً أو تبعاً لغيرها:

ـ كَتاب الجامع ليحيى بن سلّام (ت ٢٠٠)[٤].

ـ كتاب السّنن أو الجامع في السّنن والآداب والمغازي والتّاريخ، لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد (ت ٣٨٦)، وسيأتي التّعريف به قريباً، وتحقيق القول في تبعيّته لمختصر المدوّنة أو استقلاله عنه.

ـ الممهّد للإمام أبي الحسن القابِسيّ (ت ٤٠٣) رتّبه على الأبواب «وجمع فيه بين الحديث والأثر والفقه»[٥].

ـ كتاب كبير لأبي القاسم عبدالرحمٰن بن محمد اللَّبِيدِيّ (ت ٤٤٦)، جمع فيه بين الموطّأ والنّوادر لابن أبي زيد[٦].

ـ الجامع في الأحكام لأبي القاسم زَيْدُون بن علي السَّبِيبِيّ القيرواني[٧].

---

(١) المدارك ٣/١٠٦.

(٢) انظر: ترجمته رقم ١ في المهاجرين.

(٣) ط أبي العرب ٢٥.

(٤) غاية النهاية ٢/٣٧٣.

(٥) المعالم ٣/١٣٦.

(٦) المعالم ٣/١٧٥.

(٧) معجم الصدفي ١٤٩.

٣ ـ العوالي الحديثيّة:

إنّ الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص أمّة الإسلام، وهو من السّنن المؤكّدة، وقد اهتمّ أهل الحديث بالإسناد، وعنوا عناية خاصّة بطلب الأسانيد العالية، لما فيها من القرب إلى صاحب الرّسالة ﷺ، أو لإمام مشهور من أئمّة الحديث، أو العلوّ بالنّسبة لرواية الصّحيحين أو غيرهما من أمّهات السّنّة، أو العلوّ المستفاد من تقدّم وفاة الرّاوي، أو تقدّم السّماع منه، ولم يقتصر اهتمام أهل الحديث على طلب الأسانيد العالية، وإنّما جمع كثير ممّن حصل منهم على شيء من ذلك في مصنّفات لطيفة هي المعروفة بكتب العوالي الحديثيّة(١).

وقد شارك محدّثو القيروان في هذا النّوع من التّصنيف، وممّا عرف لهم منه:

- عوالي حديث أبي العرب محمد بن أحمد التّميمي حافظ القيروان (ت ٣٣٣)(٢).
- عوالي أبي عمران بن عيسى الفاسيّ (ت ٤٣٠)، وقد خرّج منها نحو مائة ورقة(٣).
- عوالي عثمان بن أبي بكر الصّفاقُسِيّ، المعروف بابن الضّابط (ت حوالي ٤٤٤)(٤).

---

(١) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ٢٣١، التقييد والإيضاح ٢٥٨، توجيه النظر ١٦٣، معرفة علوم الحديث للحاكم ٥، الرحلة في طلب الحديث ٢٠، وانظر: نماذج العوالي الحديثية في الرسالة المستطرفة ١٢٣، كشف الظنون ٤/١٢٩، ١٣٠.

(٢) المدارك ٣/٣٣٥، الشجرة ١/٨٤.

(٣) الأعلام ٧/٢٨٧، الشجرة ١/١٠٦.

(٤) تراجم المؤلفين ٣/٢٦١، الشجرة ١/١٠٩.

٤ ـ كتـب الأمالـي[1]:

جمع إملاء وهو أن يجلس الشّيخ وحوله تـلاميذه بـالمحابـر والقراطيس، فيُملي عليهم حديثه من حفظه أو من كتابه، وقد يضيف إلى الحديث ما يحضره من الفوائد المتعلّقة به، ويكتب الطّلبة كلّ ذلك، وهذا أعلى أنواع التّحمّل؛ لأنّ المحدّث يعرف ما يُملي، والطّالب يسمع ويفهم ما يكتب.

ولم يتقصر الإملاء عند السّلف على أهل الحديث، بل استعمله الفقهاء، وأهل اللّغة، وغيرهم.

وقد كان لأهل القيروان إسهـام في هذا النّـوع من فنون التّصنيف، ومن ذلك:

ـ أمالي عبدالله بن أحمد بن طالب التَّمِيمِيّ (ت ٢٧٥)[2].

ـ أمالي سعيد بن محمد بن صُبَيْح المعروف بابن الحَدَّاد (ت ٣٠٢) يوجد بعضها في مكتبة جامع القيروان[3].

ـ أمالي أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠)، وقد كان موجوداً بمكتبة القيـروان ثمّ فقد[4].

٥ ـ الشّـروح الحديثيّـة:

ـ شرح الموطّأ، لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، أربعة أجزاء[5].

---

(١) انظر: كشف الظنون ١٦١/١، أدب الإملاء والاستملاء ٨، ١٠، الرّسالة المستطرفة ١١٩، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٥٥/٢، مقدمة تحفة الأحوذي ١٠٠/١.
(٢) الديباج ١٣٤، الشجرة ٧١/١.
(٣) المكتبة الأثرية ٣٩، المعالم ٢٩٦/٢.
(٤) سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ٣٦٨، البغية ٣٩٦.
(٥) المدارك ١٠٦/٣.

ـ معاني الأخبار: شرح لمجموعة أحاديث لسعيد بن الحداد (ت ٣٠٢)، وهي من روايته، يوجد جزء منها في مكتبة جامع القيروان[١].

ـ النّامي في شرح الموطّأ لأحمد بن نصر الدَّاوديّ (ت ٤٠٢)، ويوجد بعضه في مكتبة القرويّين بفاس[٢].

ـ النّصيحة في شرح صحيح البُخاري للدَّاوديّ أيضاً[٣]، وهو ثاني شروح صحيح البُخاري فيما هو معروف حتّى الآن[٤]، وقد أكثر ابن حجر من الاعتماد عليه في فتح الباري[٥].

ـ شرح الموطّأ للإمام أبي الحسن علي بن محمد القابِسيّ (ت ٤٠٣)، نقل عنه صاحب الاستقصاء[٦]، ويظهر أنّهُ جملة من التّعليقات.

ـ شرح الموطّأ لمروان بن محمد الأَسَدِيّ (ت قبل سنة ٤٤٠)[٧].

٦ ـ المختصـرات الحديثيّـة:

ـ مسند حديث مالك للحافظ أبي العرب التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)[٨].

ـ الملخِّص لما أسنده مالك في الموطّأ، للإمام القابِسي (ت ٤٠٣)[٩]، وسيأتي التّعريف به في المصنّفات.

---

(١) المكتبة الأثرية ٣٩.

(٢) الشجرة ١/١١١، مدرسة الإمام البخاري في المغرب ٢/٥٧٩، المدارك ٣/٦٢٣، فهارس مكتبة القرويين ١/١٨١، رقم ١٧٥.

(٣) مدرسة الإمام البخاري في المغرب ٢/٥٦٩، ٥٧٩، المدارك ٣/٦٢٣.

(٤) انظر: مدرسة البخاري ١/٥٦٧.

(٥) انظر: فتح الباري ١/١٥، ١٠٢، ١٩١، ٤٣٧.

(٦) الاستقصاء ١/٩٠، وانظر: المكتبة الأثرية ٣٨، ٣٩.

(٧) انظر: الجذوة ٣٢١، الصلة ٢/٥٨١. (٨) انظر: المدارك ٣/٣٣٥.

(٩) انظر: تاريخ التراث العربي ١/٣/١٣٩.

٧ ـ ما صنّف في وجوب الاعتصام بالسُّنّة:

ـ رسالة في السُّنّة لمحمد بن سحنون (ت ٢٥٦)[١].

ـ كتاب السّنّة لأحمد بن يزيد القُرَشِيّ (ت ٢٨٤)، جمع فيه الأحاديث المرغّبة في اتّباع السُّنّة، والتّحذير من البدع، يوجد بعضه في مكتبة جامع القيروان[٢].

ـ كتاب الاقتداء بأهل السُّنّة لأبي محمد ابن أبي زيد (ت ٣٨٦)[٣].

ويلحق بهذا النّوع ما صنّف حول النّبوة، مثل:

ـ أعلام النّبوّة لسليمان بن أبي عصفور الفرّاء المعتزلي[٤].

ـ رسالة فيمن سبّ النّبيّ ﷺ لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[٥].

ـ عصمة النّبيّين لسعيد بن محمد الحدّاد (ت ٣٠٢)[٦].

ـ تجديد الإيمان وشرائع الإسلام، وهو في معجزات النّبيّ ﷺ لأبي جعفر أحمد بن عبدالرحمٰن القَصْرِيّ (ت ٣٢٢)[٧].

ـ كتاب عصمة الأنبياء لأبي بكر محمد بن محمد بن اللّبّاد (ت ٣٣٣)[٨]، وهو كتاب إثبات الحجّة في بيان العصمة.

ـ الإعلام بمعجزات النّبي عليه السّلام لعبدالله بن يحيى الشّقراطسي (ت ٤٦٦)[٩].

---

(١) المدارك ٣/١٠٦.
(٢) المكتبة الأثرية ٣٨.
(٣) المدارك ١/٣١٧.
(٤) ط الخشني ٢١٩.
(٥) المدارك ٣/١٠٦.
(٦) تراجم المؤلفين ٢/١٠٥.
(٧) الرياض ١/١٩٨، وقد ذكر محقّق الرياض أن منه عدة أجزاء موجودة بمكتبة جامع القيروان.
(٨) المدارك ٣/٣٠٦.
(٩) تراجم المؤلفين ٣/٢٠٤.

٨ ـ ما صنّف في غريب الحديث استقلالاً أو تبعاً:

ـ غريب الحديث لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) وهو سبعة أجزاء[١].

ـ غريب الحديث ليوسف بن عبدالله التَّميمي (ت ٣٣٦)، وقد نصر فيه أبا عُبيد القاسم بن سلّام الهَرَوِيّ (ت ٢٢٤) على عبدالله بن مسلم بن قُتيبة الدِّينُورِيّ (ت ٢٧٦)[٢].

ـ شرح غريب ألفاظ المدوّنة للجبّيّ (ق ٤)، وقد اشتمل على شروح كثير من ألفاظ حديث المدوّنة، بالإضافة إلى الألفاظ الأخرى[٣].

٩ ـ كتب الجرح والتّعديل:

ـ ثقات المحدّثين وضعافهم لأبي العرب التّميمي (ت ٣٣٣)[٤]، وسيأتي التّعريف به.

ـ كتاب في تزكية الشّهود وتجريحهم للإمام أبي الحسن القَابِسيّ (ت ٤٠٣)[٥].

١٠ ـ كتب الطّبقات وتراجم الرّواة:

وقد أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام القرويّين.

أ ـ كتب الطبقات[٦]:

ـ طبقات محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦) وقد استفاد منه المالكيّ في الرّياض[٧].

ـ طبقات رجال إفريقيّة[٨].

---

(١) المدارك ٣/١٠٦.
(٢) المدارك ٣/٣٥٦.
(٣) حققه محمد محفوظ. ونشرته دار الغرب الإسلامي سنة ١٤٠٢ هـ.
(٤) ط العرب ٣٠.
(٥) الشجرة ١/٩٧.
(٦) سيأتي التعريف بها قريباً ٦٤٦.
(٧) الرياض ١/١٣١، ١٦٧، وانظر: المدارك ٣/١٠٦.
(٨) انظر: ط أبي العرب ٢٩، ١٧٣.

ـ طبقات علماء إفريقيَّة مطبوع، وسيأتي التّعريف به.

ـ طبقات عُبّاد إفريقيَّة.

ـ طبقات المفسّرين[1].

ـ طبقات أهل البصرة[2]، كلّها لأبي العرب التَّمِيمِيّ الحافظ (ت **٣٣٣**).

ـ طبقات علماء إفريقيّة لمحمد بن حارث الخشني (ت **٣٦١**) مطبوع[3].

ـ كتاب الطّبقات لأبي بكر عَتِيق بن خَلَف التُّجِيبِيّ (ت **٤٢٢**)[4].

ـ رياض النّفوس في طبقات علماء القَيْرَوان وإفريقيّة.. للمالكي، وهو وسيأتي التّعريف به قريباً.

ب ـ كتب تراجم الرّواة:

ـ كتاب في شيوخ مالك لمحمد بن سَحنون (ت **٢٥٦**)[5].

ـ كتاب الرّواة عن مالك[6].

ـ كتاب الاقتباس، في تراجم العلماء[7].

ـ كتاب التّعريف في التّراجم أيضاً وكثيراً ما يحيل عليه في طبقاته[8].

ـ أخبار الفقهاء والمحدّثين[9].

---

(١) لسان الميزان ٦/٢٦٠.

(٢) ذكره صاحب تراجم المؤلفين وعزاه إلى المكتبة الوطنية بتونس رقم ١٥١.

(٣) نشره محمد بن أبي شنب بالجزائر سنة ١٩١٤ م، وهو يحتاج إلى مزيد من العناية.

(٤) الشجرة ١/١٠٦، المعالم ٣/١٩٨، الأعلام ٤/٣٦٢.

(٥) المدارك ١/٢٠٠.

(٦) الديباج ٢٥٩.

(٧) ط الخشني ٢١٣.

(٨) ط الخشني ١٣٦، ١٤٥، ٢٣٧.

(٩) الجذوة ٤٩، البغية ٦٣١.

ـ تاريخ علماء الأندلس[1]، كلّها لمحمد بن حارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١).

ـ تعليقات أبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠) في تراجم الرّواة[2].

ـ كتاب أخبار العلماء شرقاً وغرباً لعبدالرحمٰن بن محمد بن رَشِيق (ت بعد ٤٤٤)[3].

١١ ـ كتب فهارس الشّيوخ:

وهي نوع من المصنّفات الحديثيّة يذكر فيها المحدّث أسماء شيوخه ومرويّاته عن كل واحد منهم، وتُسمّى أيضاً البرامج أو معاجم الشّيوخ أو المشيخات أو الأثبات[4]، وقد صنّف فيها جماعة من الأفارقة والقرويّين، من ذلك:

ـ برنامج شيوخ يحيى بن علي الشَّقْرَاطِسِيّ (ت ٤٢٩)، ذكر فيه مرويّاته عن ٧٢ شيخاً[5].

ـ فهرسة أبي عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)[6].

ـ فهرسة شيوخ مكّي بن أبي طالب القَيْسِيّ (ت ٤٣٩ أو ٤٣٧)[7].

ـ فهرسة شيوخ أبي عمر الصَّفَاقُسِيّ المعروف بابن الضّابط (ت حوالي ٤٤٤)[8].

ـ فهرسة شيوخ محمد بن سَعدون القرويّ (ت ٤٨٥)[9].

---

(١) المعالم ٣/٨.
(٢) انظر: المعالم ٣/١٢٨، المدارك ٣/٣٥٨. (٣) المعالم ٣/١٨٧.
(٤) انظر: برنامج الوادي آدشي ٦، الرسالة المستطرفة ١٠٥.
(٥) تراجم المؤلفين ٣/٢٠٦.
(٦) الأعلام ٧/٢٧٨، الغنية ٢٢٨، فهرسة ابن خير ٤٣٤.
(٧) الشجرة ١/١٠٨، فهرسة ابن خير ٤٢٩.
(٨) فهرسة ابن خير ٤٣٥، تراجم المؤلفين ٣/٢٦١.
(٩) فهرسة ابن خير ٤٣٤، الغنية ٢٢٨.

١٢ ـ كتب الوفيات[1]:

عني أهل الحديث بمعرفة سني وفيات الرّواة، فكانت كتب الرّجال عامّة تشتمل غالباً على ذكرها، وفي أواخر القرن الثّالث أفردت الوفيات بتصنيفات مسْتقلّة.

وتُعنى كتب الوفيات بالدّرجة الأولى بضبط تواريخ وفيات المحدّثين وغيرهم من الأعيان، ومواليدهم ومقادير أعمارهم، ولا تقتصر على ذلك بل تشتمل إلى جانبه على ترجمة مختصرة وأحياناً مطوّلة للمتوفّى.

وأمّا ترتيبهم فيكون غالباً على حسب تسلسل سني وفياتهم وشهورها وأيامها، وقد يكون على حروف المعجم مثلما فعل ابن خلّكان (ت ٦٨١) في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، وقد تختصّ بشيوخ المصنّف، مثل تاريخ وفاة شيوخ البَغَوِيّ لأبي القاسم عبدالله بن محمد البَغَوِيّ (ت ٣١٠).

ولهذه الكتب فوائد عظيمة في نقد الأسانيد وفضح الكذّابين الذين يدعون الرّواية عمّن لم يدركوا، وبواسطتها يتبيّن ما في السّند من انقطاع أو عضل أو تدليس أو إرسال ظاهر أو خفيّ، كما أنّها تفيد في تمييز المؤتلف والمختلف والمتّفق والمفترق من الأسماء والأنساب.

---

(١) صغت هذه الفقرة بعد الرجوع إلى: مقدمة تحفة الأحوذي ١/٣٠٠، التدريب ٢/٣٤٩، تقريب النووي ٢/٣٤٩، علوم الحديث لابن الصلاح ٣٤٣، التقييد والإيضاح ٤٣٣، فتح المغيث ٣/٣٠٨، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ١٣٨ ـ ١٤٢، المنذري وكتابه تكملة وفيات النقلة ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١١، تقديم كتاب تكملة وفيات النقلة ١/١٢، مقدمة كتاب تكملة وفيات النقلة ١/٢٤، وانظر: نماذج لكتب الوفيات في كشف الظنون ٤/٧١٣، مقدمة تحفة الأحوذي ١/٣٠١، ٣٠٢، فتح المغيب ٣/٣١٣، بحوث في تاريخ السنّة المشرفة ١٤١، ١٤٢.

ولقد كان للقرويّين مشاركة في هذا النّوع من التّصنيف، من ذلك:

- تاريخ المولد والوفاة لحسين بن مفرّج (قتله العبيديّون سنة ٣٠٨) وهو كتاب حسن كما قال القاضي عياض[١].

- موت العلماء لأبي العرب التّميمي (ت ٣٣٣) وهو جزآن[٢].

- المولد والوفاة لمحمد بن حارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١)[٣].

- كتاب رياض النّفوس للمالكي، تقدّم في الطّبقات، وقد سار في جزء كبير منه على طريقة الوفيات وسيأتي التّعريف به.

١٣ ـ كتب الأنساب:

كتاب النّسب لمحمد بن حارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١)[٤].

١٤ ـ كتب فضائل العلماء ومناقبهم:

- فضائل سحنون بن سعيد لأبي العرب التّميمي (ت ٣٣٣)[٥].

- فضائل مالك بن أنس له أيضاً[٦].

- مناقب مالك لأبي بكر محمد بن اللّبّاد (ت ٣٣٣)[٧].

- الافتخار بمناقب شيوخ القيروان وما تعلّق بهم من تاريخ فقهاء الأمصار لأبي بكر عَتِيق بن خَلَف التُّجِيبِيّ (ت ٤٢٢)[٨].

- مناقب ربيع القَطّان.

---

(١) المدارك ٤/١٣٠.
(٢) الديباج ٢٥٠.
(٣) الديباج ٢٦٠.
(٤) الديباج ٢٦٠.
(٥)، (٦) الشجرة ١/٨٤.
(٧) سير أعلام ١٥/٣٦٠.
(٨) المعالم ٣/١٥٨.

ـ مناقب أبي إسحٰق السَّبَائِيّ.

ـ مناقب أبي الفضل المَمْسِيّ.

ـ مناقب أبي مروان عبدالملك بن نصر، كلّها لأبي عبدالله الحسين بن أبي العبّاس الأَجْدَابِيّ (ت ٤٣٢)[١].

١٥ ـ كتب التّاريخ والسّير:

وهي تهتمّ بالرّواة والعلماء:

ـ تاريخ محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، وقد نقل عنه عياض في المدارك والمالكيّ في الرّياض[٢].

ـ كتاب السّير له أيضاً، وهو عشرون جزءاً[٣].

ـ تاريخ أبي العرب التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)، يصل إلى ١٧ جزءاً، ويبدو أنّه مصنّف على الحوليّات، نقل عنه المالكي وعياض والدّبّاغ[٤].

ـ كتاب المحن له أيضاً وسيأتي التّعريف به.

ـ كتاب تاريخ الإفريقيّين لمحمد بن حارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١)[٥].

ـ كتاب التّعريف بصحيح التّاريخ لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجَزَّار (ت ٣٦٢) وهو يشتمل على وفيات كثير من العلماء وجمل من أخبارهم[٦].

---

(١) انظر: المدارك ٣/٦٢٢.

(٢) انظر: المدارك ١/١١١، الرياض ١/٩١.

(٣) المدارك ٣/١٠٦.

(٤) انظر: الرياض ٢/٥٧، المدارك ٥/٣٢٤، المعالم ٣/٤٣.

(٥) المعالم ٣/٨٢.

(٦) انظر: ورقات ١/٣١٨.

١٦ ـ كتب أخرى:

ـ كتاب الآثار والفوائد لأبي بكر محمد بن اللّبّاد (ت ٣٣٣)، ويشتمل على أكثر من عشرة أجزاء وهو في الحديث غير أنّنا لا نعلم شيئاً عن طريقة تصنيفه[١].

ـ مجموعة أحاديث أبي محمد بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)، ولا نعلم أيضاً منهجه في تدوينها، وتوجد بالمتحف البريطاني جـ ٢ ٨،٨٨٨[٢].

ب ـ أسباب ضياع كثير من مصنّفات القرويّين:

إنّ هذه المصنّفات رغم أنّها لا تمثّل كلّ ما ألّفه القرويّون في الحديث، ومع ذلك فلم يصلنا منها إلا القليل جداً، وتلف معظمها وتبدّد، ولعلّ بعضها لا يزال قابعاً في بعض مكتبات العالم ينتظر من يُبرزه ليستفيد النّاس منه، وإن الظّروف القاسية، والمحن المتتالية التي مرّت بها مدينة القَيْرَوان قد ساهمت في إتلاف كثير من هذه المصنّفات التي لو وُجدت لتغيّرت النّظرة حول الحديث بإفريقيّة، وإن أهمّ عوامل فقدان هذه المصنّفات ما يلي:

١ ـ سيطرة العُبيديّين الرّوافض على إفريقية لمدّة ٦٦ سنة، فإنهم منعوا من تداول المصنّفات، وحجزوا ما وقعت عليه أيديهم وأتلفوه، وعاقبوا من وُجدت بحوزته والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

ـ كان لأبي محمد عبدالله بن أبي هاشم التُّجيبيّ (ت ٣٤٦) سبعة قناطير كتب، فلمّا توفّي أخذها حاكم العُبَيديّين كما قدمت، «ومنع النّاس منها كيداً للإسلام وبغضاً فيه»[٣]، وقيل نجا ثلثها لأنّه كان عند أبي محمد بن أبي زيد (ت ٣٨٦).

---

(١) انظر: المدارك ٣/٣٠٦.

(٢) دائرة المعارف ١/٨٠.

(٣) الرياض ٢/٤٣٢.

ـ لمّا مات أبو سعيد المعروف بالوكيل سطا العُبيديّون على داره وأخذوا جميع ما فيها ولا شكّ أنّ كتبه من بين ما أخذوا؛ لأنّه «كان من أهل العناية بالحديث يحفظ أربعة آلاف حديث ظاهراً»[1].

ـ أرسل عُبيد الله الإسماعيليّ إلى سَعدون بن أحمد الخَوْلَانِيّ (ت ٣٢٤) بعض حرسه فقيّده، «ثم جمع ما في بيته من الكتب ثمّ خرج به وبكتبه حتّى وقف به على عُبيد الله»[2].

ـ وجدوا الموطّأ عند رجل فضربوه بالسّياط وطافوا به[3]، وهذا في مصر ولا شكّ أنّ مثله كان يحدث في القيروان.

ـ ألّف أبو إسحٰق إبراهيم بن عبدالله الزُّبَيْرِيّ (ت ٣٥٩) كتاب الإمامة فضربه العُبيديّون سبعمائة سوط وسجنوه أربعة أشهر[4].

ولا شكّ أنّ هذه السّياسة الباطنيّة الحاقدة على الإسلام قد جعلت العلماء يخفون مصنفاتهم في أماكن قد تتعرّض معها للتّلف، ويتداولونها في حذر، فقد رأينا كيف كان ابن أبي زيد وغيره يخفون الكتب تحت ثيابهم عندما يذهبون للسّماع على الشّيوخ خوفاً من أن يضبطها الرّافضة عندهم[5].

ثمّ إنّ العُبيديين لمّا رحلوا إلى مصر نقلوا معهم ما تبقّى من تلك المصنّفات التي استحوذوا عليها ومنعوا النّاس منها[6]، وكلّ ذلك ساهم في إتلاف المصنّفات وتعريضها للضّياع.

---

(١) ط الخشني ١٧٤.

(٢) الرياض ٢/٢٥٩.

(٣) انظر: الفكر السامي ٢/٧١.

(٤) المدارك ٤/٥٢٤، تراجم المؤلفين ٢/٤١١.

(٥) انظر: الترجمة رقم ١٩ في المحدثين.

(٦) انظر: ورقات ١/٣٣٠، ٣٣١، القيروان ١١٢.

٢ ـ التّخريب الذي تعرّضت له مدينة القيروان على أيدي الأعراب سنة ٤٤٩ هـ، فإنّهم هدموا البيوت وأتلفوا كلّ ما وصلت إليه أيديهم حتّى إنّهم استعملوا أبواب المنازل وغيرها لإيقاد النّار التي يطبخون عليها، ولا شكّ أنّ استعمال الكتب في ذلك كان أسهل لهم، وقد أتوا في المدينة على الأخضر واليابس وتركوها وقد تهدّمت معظم بناياتها، وهرب منها من بقي حيّاً من أهلها، ولا شكّ أنّ من كان عنده كتب آنذاك لم يكن يجد الفرصة لإخراجها، ولعلّه لا يجد كذلك ما يحملها عليه، وخاصّة من كان مثقلاً بالنّساء والعيال، فتكون زحفة الأعراب بذلك سبباً في إتلاف ما نجا من أيدي الرّافضة، وما صنّف بعد خروجهم من إفريقية. ثمّ إن كثيراً من العلماء قد اضطروا إبان فتنة الأعراب لبيع كتبهم للتَّقَوِّي بثمنها على الفرار بعيالهم، ذلك ما تمثّله هذه الأبيات لأحد علماء القيروان:

قالت وأبدت صفحة كالشّمس من تحت القِناع
بِعت الدّفاتر وهي آخر ما يُباع من المتاع
فأجبتها ويدي على كبدي وهمّت بانصداع
لا تعجبي ممّا رأيت فنحن في زمن الضّياع[1]

٣ ـ الاحتلال الإسباني لتونُس في عهد الحفصيّين في النّصف الأوّل من القرن العاشر، قال صاحب حسن البيان عن «شَارْلُكَان» الإسبانيّ: «ففرش جميع ما بمكتبة الجامع الأعظم ـ جامع الزّيتونة ـ من الكتب من مؤلّفات الإفريقيين بأزقّة المدينة تدوسها الخيل والبغال وأقدام النّاس من جنوده المتوحّشين الجهلاء، فذهبت تلك المكتبة التي جمعت بها نفائس التآليف في سائر العلوم منذ مئات السّنين شذر مذر»[2]، ولا شكّ أنّ ما تبقّى من مصنّفات القرويّين قد نُقل كثير

(١) ورقات ١/٣٤٩.
(٢) حسن البيان ١٧٤، وانظر: تاريخ معالم التوحيد ١٤.

منه إلى تُونُس عندما أصبحت حاضرة البلاد الإفريقيّة، وخلفت القيروان في حمل راية العلم، فتلفت مع ما أتلفه الإسْبان كما تقدّم.

٤ ـ ثم جاء دور الاستعمار الحديث على يد الفرنسيّين، الذين أخذوا كثيراً من المخطوطات وأوْدعوها في متاحفهم ومكتباتهم، وقد بدأ يتكثّف ظهورها في هذه السنوات، وتعرف مواضعها في المكتبات الأوروبّية.

ونظراً لهذه العوامل المتعدّدة ضاعت أغلب مصنّفات أهل القيروان، وما وصلنا منها إنما جاءنا معظمه عن طريق أهل الأندلس، مثل طبقات علماء إفريقيّة لأبي العرب، والخُشَنِيّ، وصلانا عن طريق أبي عمر الطّلمنكيّ (ت ٤٢٩)، وكتاب المحن لأبي العرب وصلنا برواية ابنه أحمد بن محمد التَّميمي (ت ٣٦٩) الذي رواه في الأندلس، كما أنّ أسماء كثير من هذه المصنّفات قد عرفناه من خلال فهرسة ابن خير والغنية في شيوخ القاضي عياض وترتيب المدارك ونحوها من كتب الأندلسيّين والمغاربة، أمّا ما احتفظت به مكتبة جامع القيروان فشيء لا يكاد يُذكر كما في كتاب «المكتبة الأثريّة بالقيروان» و«سِجِلّ قديم لمكتبة جامع القيروان»، وإنّ ما بقي فيها بالإضافة إلى قلّته فلا يكاد يوجد فيه مصنّف متكامل، إنما هي أجزاء مبعثرة، سيّئة التّرتيب، ومع ذلك فإنّه لو أُتيحت العناية بإخراجها إلى عالم الطّباعة لساعدت على توضيح المعالم لنتاج تلك المدرسة، ويمكن الاستدلال بها على غيرها ممّا قد يكون موجوداً ببعض المكتبات مجهول الهويّة لضياع أوله وآخره.

ثالثا: التّعريف بأشهر المصنّفات الحديثيّة:

والشّهرة هنا إنّما هي باعتبار ما وصل إلينا منه وعرفناه، وإلّا فهناك كتب مهمّة مشهورة الذّكر في المصادر، ولكن لا يمكن التّعريف بها لعدم وصولها إلينا، وقد قسمت هذه المصنّفات إلى أربعة أنواع هي: ـ المصنّفات على الأبواب ـ كتب الطّبقات ـ ما صنّف في رجال الحديث ـ المصنّفات التي جمعت بين الحديث وغيره.

النّوع الأول: المصنّفات على الأبواب: وهي التي رتّبت مادّتها على أبواب الفقه ونحوها، وقد وصلنا من مصنّفات القرويّين كتابان يمكن إدخالهما في هذا النّوع، هما كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني، وكتاب الملخّص لأبي الحسن القَابِسيّ.

الكتــاب الأول:

١ ــ **عنوان الكتاب**: كتاب السّنن أو الجامع في السّنن والآداب والمغازي والتّاريخ لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦)[١]، والكتاب مطبوع ونشر سنة ١٤٠٢ هـ[٢].

ويطلق الجامع في اصطلاح المحدّثين[٣] على كتاب الحديث الذي تضمّن جميع أقسام الحديث أي أحاديث العقائد وأحـاديث الأحكام وأحـاديث الرّقـاق وأحاديث آداب الأكل والشّرب وأحاديث السّفر والقيام والقُعود والأحاديث المتعلّقة بالتّفسير والتّاريخ والسّير وأحاديث الفتن وأحاديث المناقب وغيرها، فيكون بهذا قد شمل جميع موضوعات الدّين وأبوابه.

وقد يطلق أيضاً على ما جمع من الأحاديث في بـاب واحد أو مـوضوع واحد، وقد يطلق كذلك على ما كـان صورة مختصـرة من النّوع الأوّل بحيث يشمل بعض أقسام الحديث، وجملة من موضوعات الدّين، وفي هذا النّوع الأخير يدخل جامع ابن أبي زيد الذي معنا.

---

(١) سبق التعريف به في الترجمة رقم ١٩.

(٢) حققه محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت، المكتبة العتيقة، تونس - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٣) انظر: مقدمة تحفة الأحوذي ١/٦٤، التدريب ٢/١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، منهج النقد ١٩٨، أصول التخريج ١١٠.

٢ ـ **موضوع الكتاب**: مادّة الكتاب متنوّعة كما هو واضح من عنوانه، وقد جمع فيه المؤلّف جملة من الموضوعات التي لا غنى للمسلم عن معرفتها، واستدلّ عليها بالسّنّة المطهّرة، فقد اشتمل الكتاب على جوانب في الفقه، والعقيدة، والأخلاق، والمعاملات، وسيرة الرّسول ﷺ، وفضائل الصحابة، والسّنن المختلفة، وآداب العلماء، والفتن، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والذِّكر، والورع، والعُزلة واللّباس، ونحو ذلك ممّا له مساس مباشر بحياة المسلم اليوميّة.

٣ ـ **هو كتاب مستقلّ أم تابع لغيره؟**: إنّ الذي دعاني لهذا التّساؤل هو عدم وجود ذكر مستقلّ لهذا الكتاب ضمن مصنّفات ابن أبي زيد في المصادر القديمة، كما أنّ المالكيّة قد درجوا في تصانيفهم الفقهيّة أكثر من غيرهم على إيراد عناوين جامعة توضع تحتها المادّة العلميّة التي لا يستقيم وضعها تحت باب أو فصل معيّنين.

والجامع من حيث موضعه في هذه المصنّفات نوعان:

ـ قد يكون في مواضع متفرّقة من الكتاب، في آخر باب اشتمل على عدّة فصول، ويكون حينئذ جامعاً لمسائل متفرّقة تدخل تحت ذلك الباب ولكنّها لم تضمّن في فصل من فصوله[١].

ـ والثاني أن يكون الجامع كتاباً في آخر المصنّف يشتمل على جملة من المعلومات المتعلقة بموضوع الكتاب ولم ترد مفصّلة في أبوابه[٢].

---

(١) انظر مثلاً: كنز العمال ٥/٤٥، ١٠٠، ١٠/١٩، ٤٥، ١٥/١٦/٤٩٨، جامع الأصول ١/٥٧٠، ٢/٤٦٧، ٣/٢١٤.

(٢) انظر: جامع الأصول ١١/٦٨٥، وقد سمّاه كتاب اللواحق.

ولا شك أنّ المالكيّة قد تأثروا في ذلك بالمنهج الذي سار عليه الإمام مالك في موطّئه ثم سحنون في مدوّنته.

ولعلّه من المفيد هنا أن أُشير إلى أن مالكاً لم يكن أوّل من ابتكر طريقة الجامع في التّصنيف، بل سبقه إلى ذلك مَعْمَر بن رَاشِد، فإنّ جامعه يوجد في آخر كتاب المصنّف برواية عبد الرّزّاق الصَّنْعَانِيّ عنه، وقد توفّي معمر سنة ١٥٣ هـ، وقيل سنة ١٥٤ هـ(١)، بينما لم ينته مالك من تصنيف موطّئه إلا بعد سنة ١٥٧ هـ(٢).

ولا يستبعد أن يكون ابن زيد قد تأثّر في تصنيف كتابه الجامع هذا بجامع مَعْمَر بن رَاشِد، فإنّ هذا الجامع قد دخل إلى القيروان مع المصنّف برواية عبدالرّزّاق عن مَعْمَر، وذلك على يد محمد بن أبي المنظور قاضي القيروان (ت ٣٣٧)(٣)، بالإضافة إلى وجود تشابه كبير في عناوين الأبواب في الكتابين(٤).

وفي هذا الإطار يدخل كتاب الجامع الذي بين أيدينا، فقد أكّد محققا الكتاب أنّ ابن أبي زيد قد ختم به مختصره للمدوّنة، مستدلّين بما ورد في صدر نسخة خزانة الرّباط: «كتاب الجامع في السّنن... مختصر من السّماعات من مالك ومن الموطّأ وغيره من (الكتب)، مضاف إلى مختصر المدوّنة»(٥)، وما جاء في نهاية نسخة خزانة القرويّين: قال أبو محمد عبدالله بن أبي زيد: «قد ذكرنا في كتابنا هذا الكتاب الجامع الذي جعلناه آخر المختصر بعض ما حفظ عن

---

(١) انظر: التهذيب ١٠/٢٤٣، التقريب ٢/٢٦٦، الكاشف ٣/١٤٥.

(٢) انظر: ٢٦٨.

(٣) انظر: ٢٣١.

(٤) انظر: جامع معمر مع مصنف عبدالرزاق ١٠/٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ١١/٣، ٤، ١٤، ٦٦، ١٤٦، ١٧٤، ٢٥٧، ٢٦٠، وقارن بجامع ابن أبي زيد ١٢٦، ذ١٤، ١٩١، ٢٠١. ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٦١.

(٥) انظر: مقدمة الجامع ٨٤.

مالك...»[1] ويضاف إلى ذلك ما ورد في آخر الكتاب من الإشارة إلى أنّ مختصر المدوّنة كمل به[2]، بالإضافة إلى ما يفيد ذلك ممّا ورد في ثنايا الكتاب[3].

وإذا كانت هذه النّقول تؤكّد لنا فعلاً أنّ كتاب الجامع تابع لمختصر المدوّنة فإنها تفيدنا كذلك أنّه إنّما أضيف إلى المختصر إضافة بعد تصنيفه، وليس هو من أصل المدوّنة التي اختصرها ابن أبي زيد، وذلك واضح في قوله: «مضاف إلى مختصر المدونة» وقوله: «مختصر من السماعات عن مالك ومن الموطّأ وغيره من (الكتب)» فهو إذا لم يختصر من المدوّنة، بل صنّف مستقلاً عنها، ثمّ أضيف إلى اختصاره لها.

ثم إنّ النسخ التي عُثر عليها من هذا الكتاب وجدت مستقلّة عن المختصر نفسه[4]. كما أنّ اشتماله على مقدّمة خاصّة به[5] ممّا يؤيّد هذا الرّأي، بالإضافة إلى عدم اشتمال المدوّنة على جامع، وعلى كثير من معاني جامع ابن أبي زيد.

وخلاصة القول في هذه المسألة أنّ ابن أبي زيد قد صنّف كتابه الجامع مستقلاً، وجمع فيه ما يحتاجه المسلم في حياته، واختصر مادّته ممّا ورد في السّنّة، وما رُوي عن الإمام مالك في الموطّأ وغيره، وما أُثر عن بعض السّلف، ثم أضافه إلى مختصر المدوّنة.

٤ ــ منهج ابن أبي زيد في كتابه الجامع:

أ ــ ترتيبه العام: قسم ابن أبي زيد كتابه إلى مقدمة وواحد وعشرين باباً، ابتدأ أوّلها بخطبة قصيرة في حمد الله عز وجل والثّناء على رسوله ﷺ، وهذه أسماء الأبواب الثّلاثة الأولى:

---

(١) انظر: مقدمة الجامع ٨٤.

(٢) انظر: ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) انظر: ص ١٥٢.

(٤) مقدمة الجامع ٨٤.

(٥) انظر: الجامع ١٠٥.

١ ـ باب في ذكر السُّنن التي خلافها البدع، وذكر الاقتداء والابتداع، وشيء من فضل الصّحابة ومجانبة أهل البدع[1].

٢ ـ باب مبعث النّبيّ ﷺ وأيّامه وعمره ونسبه وصفته، وذكر بنيه وبناته وزوجاته، وذكر العشرة من أصحابه وأنسابهم وأعمارهم، وشيء من التّاريخ، ومتى فُرضت الشّرائع[2].

٣ ـ باب في فضل المدينة، وذكر القبر والمنبر والمسجد، والكعبة، وذكر صدقات النّبي ﷺ، وذكر إجلاء اليهود[3]، أما الثّلاثة الأخيرة فهي:

١ ـ باب في الأسماء والأنساب وذكر الرّؤيا[4].

٢ ـ باب في ذكر الشّعر والغناء واللّهو والنّرد والشّطرنج وذكر السّبق والرّمي[5].

٣ ـ باب في الهجرة والمغازي والتّاريخ[6].

ووجه تصديره الكتاب بذكر السّنن والاقتداء وفضائل الصّحابة ونحو ذلك هو الحاجة الماسّة إليه في ذلك الوقت الذي سيطر فيه الرّافضة على إفريقيّة، وعملوا على إدخال أهلها في دعوتهم، وطمس السّنن، وإظهار البدع، وأظهروا سبّ الصحابة رضي الله عنهم ونحو ذلك، فما كان من ابن أبي زيد إلاّ أن ينتصب للمنافحة عن السّنّة المطهّرة، ويظهر فضائل الصّحابة، حتّى لا يغترّ المسلمون بضلالات الرّافضة.

ثمّ ذكر ما يتعلّق بصاحب الرّسالة ﷺ، وهو ممّا لا غنى للمسلم عن معرفته، أمّا بقيّة الأبواب فلم أهتد في سرد المؤلّف لها إلى ترتيب معيّن، والذي يظهر لي أنّه لم يسلك في ذلك نهجاً بعينه، وإنما ذكر ما تيسّر لديه أوّلاً بأوّل،

---

(١) ص ١٠٥.
(٢) ص ١٢٦.
(٣) ص ١٣٨.
(٤) ص ٢٥٨.
(٥) ص ٢٦١.
(٦) ص ٢٥٦.

ولذلك نجده يقع في التّكرار[1]، والفصل بين المتجانسين، من ذلك أنّ الباب الأخير يعتبر متمّماً للباب الثّاني، وقد فصل بينهما بتسعة عشر باباً، كما أنّه فصل بين باب التّجميل[2]... وباب ستر العورة[3]... وباب اللّباس[4]... وجميعها يدخل تحت موضوع واحد، هو موضوع اللّباس.

ب ـ ترتيبه داخل الأبواب ومنهجه في ذلك:

استهلاله بالأحاديث النّبويّة:

يبدأ أبو محمد بذكر حديث أو أكثر من أحاديث النبي ﷺ، ولم يتخلّف ذلك إلّا في بابين فقط[5]، فهو يذكر الدّليل أوّلاً ثمّ يبيّن الحكم على ضوئه، أمّا في ثنايا الأبواب فقد يبدأ بذكر الحكم ثمّ يعقبه بدليله.

حـذف الأسانيـد:

يسوق ابن أبي زيد الأحاديث دون أن يورد أسانيدها، وذلك رغم تقدّمه وتوفّر الأسانيد عنده، فيقول مثلاً: قال أبو محمد: «قال الرّسـول عليه الصّـلاة والسّلام[6]، أو قال أبو محمد: قال مالك قال النّبي عليه السّلام[7]، أو قال أبو محمد: نهى النّبيّ عليه السّلام»[8]،،،.

ولعلّ ذلك بسبب ما التزمه من الاختصار والتّحرير ليسهل على النّاس تناوله والاستفادة منه، وسيأتي قريباً مزيد بيان لهذه المسألة.

---

(1) انظر مثلاً: ٢٢٨، ٢٦٣.
(2) ص ١٧٥.
(3) ص ٢١٠.
(4) ص ٢٢٤.
(5) انظر: ص ١٢٦، ١٥٩.
(6) ص ١٤٥.
(7) ص ١٥٣، وألاحظ هنا إكثار أهل المغرب من إطلاق السّلام على النّبيّ ﷺ دون سبقه بالصّلاة، وقد كره العلماء الاقتصار على ذكر أحدهما دون الآخر، لأن الله تعالى أمرنا بهما جميعاً في قوله عزّ وجل: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا صلوا عليـه وسلّموا تسليمـاً﴾. (الأحزاب: ٥٦، وانظر: شرح النووي على مسلم ١/٤٤).
(8) ص ٢١٧.

اعتماده على النّقول:

ونلاحظ أنّ أكثر اعتماده في هذا الكتاب على النّصوص من الكتاب والسّنّة، والنّقول من كلام الصّحابة والتّابعين وأقوال الأئمّة من بقيّة السّلف.

وقد خلط كلامه بمعاني الآيات والأحاديث(١)، فلا نكاد نجد له قولاً مستقلاً إلّا جملاً يسيرة مختصرة، أو ما لا بدّ منه للرّبط بين النّقول ونحو ذلك، وهذا ما أشار إليه في آخر الكتاب بقوله: «جمعنا ذلك كلّه بما أمكننا من الاختصار»(٢)، ولذلك فلا يكاد نصّ الكتاب يخرج عمّا يلي:

الاستشهاد بالكتاب العزيز:

كثيراً ما يورد ابن أبي زيد آيات من القرآن الكريم محتجّاً بها، أو لبيان بعض المسائل العقائديّة كقوله: «وقد سمّى الله عزّ وجلّ العمل إيماناً، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم﴾(٣)، وقد تكرّر نحو هذا في كتابه ٤٤ مرة.

الاستشهاد بالأحاديث، وطريقته في ذلك:

ـ لقد أكثر أبو محمد من الاستشهاد، وجعلها الأصل الذي بنى عليه كتابه الجامع، فقد اشتمل الكتاب رغم صغر حجمه على ١٦٩ حديثاً قولياً، أمّا الأحاديث الفعليّة فكثيرة جدّاً.

ومن أمثلة النّوع الأوّل قوله: قال النّبيّ عليه السّلام في الوباء: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»(٤).

---

(١) انظر مثلاً: ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣.

(٢) الجامع ٣٠١.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٤٣، الجامع ١٢٣.

(٤) الجامع ٢٤٣، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء بـاب ٥٤، ٤/١٥٠، وفي كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ٧/٢١، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطاعون ٤/١٧٣٧ ـ ١٧٤١/٩٢ ـ ٩٧ كلاهما من حديث أسامة بن زيد وعبدالرحمن بن عوف.

ومن النّوع الثّاني قوله: وقالت عائشة كان النّبيّ عليه السّلام إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، فلمّا اشتدّ وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده، رجاء بركتها[1].

ـ وقد يورد تفسير آية عن الرّسول ﷺ، كقوله: قال الرّسول ﷺ في قوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[2]، قال: الحُسْنَى: الجَنّة، والزّيادة: النّظر إلى وجه الله تعالى[3].

ـ وأكثر الأحاديث احتجّ بها ابن أبي زيد في كتابه الجامع من درجة الصحيح أو الحسن فإن ٣٥ حديثاً من العدد المذكور آنفاً توجد في الصّحيحين و ٤٢ حديثاً في الموطّأ، والبقية في مختلف كتب السّنّة.

ـ غير أنّه لم يسلم من إيراد بعض الأحاديث الضّعيفة كقوله: «ورُوي أنّ النّبيّ عليه السّلام قال: يحمل هذا العلمَ من كلّ خَلَف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[4]، فإن هذا الحديث قد أعلّه النّقّاد بضعف رواته

---

(١) الجامع ٢٣٨، والحديث أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب فضل المعوّذات ١٠٥/٦، ومسلم في السلام، باب رقية المريض ٥١/١٧٢٣/٤، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب التعوذ والرقية من المرض ٩٩/٨١٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٦.

(٣) الجامع ١٠٩، وانظر: صحيح البخاري، تفسير سورة يونس ٢١١/٥، غير أنه لم ينسبه إلى الرسول ﷺ.

(٤) الجامع ١١٩، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ومقدمته من عدة طرق مرسلاً ومرفوعاً ١٥٢/١، ١٥٣، ٩٠٢/٣، وابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل ١٧/٢، والعقيلي في الضعفاء ومقدمته ٩/١، ٢٥٦/٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى البزار، وقال: فيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع (مجمع الزوائد ١٤٠/١).

وبجهالة بعضهم الآخر، وبالإرسال، وحكموا بعدم ثبوت طرقه المرفوعة، ولم يعتدوا بتحسين العَلاَئِيِّ لبعض طرقه، وردّوا على تصحيح أحمد بن حَنْبَل له[1].

---

(١) قال العراقي في التقييد والإيضاح، ومع هذا فالحديث غير صحيح لأن أشهر طرق الحديث رواية معان بن رفاعة السلامي عن إبراهيم بن عبدالرحمن عن النبي ﷺ. . . . (قال العُقَيليّ). . . في ترجمة معان بن رِفاعة: «إنه لا يعرف إلا به»، وهذا إما مرسل أو معضل، وإبراهيم هذا الذي أرسله لا يعرف عنه شيء من العلم غير هذا، قاله أبو الحسن ابن القطان في بيان الوهم والإيهام. قال ابن عدي: «ورواه الثقات عن الوليد بن مسلم عن إبراهيم بن عبدالرحمن العذري قال: حدثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله ﷺ قال ذلك».

قال العراقي: «ومعان أيضاً ضعفه ابن معين وأبو حاتم الرازي والجوزجاني وابن حبان وابن عدي، نعم وثقه علي بن المديني، وكذلك حكي عن أحمد توثيقه والحكم بصحة الحديث. . قيل له: كأنه موضوع، فقال: لا، هو صحيح، فقيل له: ممن سمعته؟، قال: من غير واحد، قيل: من هم؟، قال: حدثني به مسكين إلا أنه يقول عن معان عن القاسم بن عبدالرحمن، قال أحمد: ومعان لا بأس به، قال ابن القطان: وخفي على أحمد من أمره ما علمه غيره، ثم ذكر أقوال المضعفين. قال العراقي: وقد روي هذا الحديث متصلاً من رواية جماعة من الصحابة: علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي هريرة وعبدالله بن عمر وجابر بن سمرة وأبي أمامة كلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور.

وأعلّه ابن عدي والهيثمي بعمرو بن خالد القرشي، وقال العقيلي: «وقد رواه جماعة مرفوعاً من جهة لا تثبت»، وقال السخاوي: «(إن) الحديث مع كثرة طرقه ضعيف بحيث قال الشارح (العراقي): إنه لا يثبت منها شيء، بل قال ابن عبدالبر نفسه: أسانيده كلها مضطربة غير مستقيمة»، قال السخاوي: وقال الدارقطني: إنه لا يصح مرفوعاً يعني مسنداً، وقال شيخنا (ابن حجر): وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة، وحكم غيره عليه بالوضع وإن قال العلائي في حديث أسامة منها: إنه حسن غريب. . . و(أما) أحمد فقد تعقب ابن القطان كلامه (في تصحيح الحديث)، وحديث أسامة لمخصوصه قال فيه أبو نعيم: إنه لا يثبت، وقال ابن كثير: في صحته نظر قوي، والأغلب عدم صحته.

وقال السيوطي في حديث معان بن رفاعة: مرسل أو معطل، وإبراهيم هو الذي أرسله، =

ـ كما أنّه قد يورد لفظاً غريباً في حديث صحيح، ويترك اللّفظ المشهور، مثل قوله: قال ﷺ: «ما بين قبري ومِنْبري روضة من رياض الجنّة»[1]، فهذا حديث صحيح[2] ورد في معظم دواوين السُّنّة، وليس في واحد منها لفظ «قبري» غير الموطّأ فيما وقفت عليه، وإنما هو «بيتي».

فلعلّ ابن أبي زيد قد التزم لفظ الموطّأ، علماً بأنّ مالكاً قد أورد اللّفظين في روايتين، كما أنّ بعض المصادر التي أوردت هذا الحديث كانت متداولة في عهد ابن أبي زيد[3].

ـ لقد دأب أبو محمّد في هذا الكتاب على الاكتفاء بسرد الأحاديث دون ذكر أسانيدها، وذلك رغم تقدّمه ـ فهو من أهل القرن الرّابع ـ وتوفّر الأسانيد عنده، وله في ذكر الأحاديث صيغ متعدّدة، بعضها يطلقه المحدّثون على الحديث الضعيف غالباً، في حين أنّ ابن أبي زيد قد أكثر من إطلاقها على الحديث الصحيح أيضاً.

ومن الصّيغ التي استعملها ما يلي: قال ﷺ[4]، وممّا جاءت به الأحاديث[5]،

= قال فيه ابن القطان: لا نعرفه البتة. والنتيجة أن هذا الحديث ضعيف بمختلف طرقه (انظر: التقييد والإيضاح ١٣٨، فتح المغيث ٢٩٧/١، الضعفاء الكبير ٢٥٦/٤، الكامل في الضعفاء ٩٠٢/٣، مجمع الزوائد ١٤٠/١، التدريب ٣٠٢/١).

(١) الجامع ١٣٩.

(٢) روى هذا الحديث جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن زيد المازني وغيرهم، وقد أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر ٥٧/٢، وفي فضائل المدينة، باب ١٢، ٢٢٤/٢، وفي الرقاق، باب في الحوض ٢٠٩/٧، وفي الاعتصام، باب ١٦، ١٤٥/٨، وأخرجه الترمذي في المناقب، باب فضل المدينة ٧١٨/٥، ٧١٩، ٣٩١٥، ٣٩١٦، وأخرجه النسائي في المساجد، باب فضل مسجد النبي ﷺ ٣٥/٢، وأخرجه مالك في الصلاة، ما جاء في مسجد النبي ﷺ ١٥٩، ٣١١/١٦٠، ٣١٢.

(٣) انظر: ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) انظر: الجامع ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٤.

(٥) انظر: الجامع ١٠٨.

سُمع ﷺ[1]، وفي بعض الحديث[2]، رُوي في الحديث[3]، رُوي أنّ النّبي ﷺ قال[4]،،،.

وهذا الإطلاق الأخير بصيغة التّمريض قد أكثر أبو محمد من ذكره، حيث استعمله في أكثر من عشرين موضعاً، وهو يُطْلَق عند أهل الحديث على الضّعيف غالباً وقد يطلقونه على الصّحيح أحياناً لغرض آخر غير الضّعف[5]، وقد أطلقه أبو محمد على كثير من الأحاديث الصحيحة، كقوله: «روي عن النّبي عليه (الصلاة) والسلام أنّه قال: «لو كان شيء سبق (القدر) لسبقته العين»[6].

كما أنّ ابن أبي زيد يغلب عليه إيراد معاني الأحاديث دون أن يتحرّى دقّة ألفاظها، بالإضافة إلى أنّه لا يعزو الأحاديث إلى مصادرها، ولا يبيّن ما يصلح منها للاحتجاج وما لا يصلح.

وهذا الذي فعله أبو محمد من حذف الأسانيد، والإكثار من إطلاق صيغ التّمريض، وعدم العزو، وعدم بيان صحيح الحديث من سقيمه، هو مسلك الفقهاء حتّى من كان منهم ذا معرفة بالحديث، كما أنّه قد سلكه بعض محدّثي القرن الخامس، ذلك ما أشار إليه الحافظ أحمد بن الحسين البَيْهَقِيّ (ت ٤٥٨) في رسالته إلى شيخه عبدالله بن يوسف الجُوَيْنِيّ والد إمام الحرمين، فقد ذكر فيها تساهل بعض المحدّثين وكثير من الفقهاء في إيراد الأحاديث التي يستدلّون بها في المسائل، فكانوا

(١) انظر: الجامع ١٦١.

(٢) انظر: ١٧٩، ٢٢٠، ٢٥٤.

(٣) انظر: ٢٥٣.

(٤) انظر: ١١٩، ١٣٩، ١٦١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٤.

(٥) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ٢١، التقييد والإيضاح ٣٥ - ٣٨، التقريب والتدريب ١/١٢٠، ١٢١.

(٦) الجامع ٢٤١، والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام، باب الطب من حديث ابن عباس وفي أوله زيادة ٤/١٧١٩/٤٢، وأخرجه الإمام مالك في كتاب الجامع، باب الرقية من العين وفي أوله قصة وزيادة ٩٢/٨٠٩. وانظر: الجامع ٢١٩، ٢٤٨، ٢٤٩.

يرسلونها على ما يحضرهم من ألفاظها ولا يميّزون بين صحيحها وسقيمها، كما أنهم يوردونها بصيغة «رُوي» عن فلان ولا يقولون روى فلان، وذكر أنّ بعضهم يقول رَوى فيما صحّ ورُوي في الضّعيف وما لم يثبت، وهذه درجة حفّاظ الفقهاء الذين ميّزوا بين الصّحيح والسّقيم من الحديث[1].

وقال الشّيخ عبدالرّؤوف المناويّ (ت ١٠٣١)[2]: «... إنّ الصّدر الأوّل من أتابع المجتهدين لم يعتنوا بضبط التّخريج، وتمييز الصّحيح من غيره، فوقعوا في الحزم بنسبة أحاديث كثيرة إلى النّبيّ ﷺ، وفرّعوا عليها كثيراً من الأحكام مع ضعفها، بل ربما دخل عليهم الموضوع... وهذا لا يقدح في جلالتهم بل ولا في اجتهاد المجتهدين؛ إذ ليس من شرط المجتهد الإحاطة بحال كلّ حديث في الدنيا». ثم نقل عن الحافظ عبدالرحيم بن الحسين العِرَاقِيّ (ت ٨٠٦) ما قاله بهذا الصدد في خطبة تخريجه الكبير لكتاب إحياء علوم الدين: «عادة المتقدّمين السّكوت عمّا أوردوا من الأحاديث في تصانيفهم، وعدم بيان من خرّجه وبيان الصّحيح من الضّعيف إلا نادراً، وإن كانوا من أئمّة الحديث، حتّى جاء (الحافظ يحيى بن شرف) النّوويّ (ت ٦٧٦) فبيّن»[3].

الاستشهاد بالآثار من أقوال الصّحابة والتّابعين:

إنّ من اليسيرملاحظة اعتماد ابن أبي زيد في كتابه الجامع على أقوال الصّحابة والتّابعين وأفعالهم، حيث إنه أكثر من إيرادها والاستشهاد بها.

ومن استشهاده بأقوال الصّحابة قوله: «قال ابن عبّاس: السّلام ينتهي إلى البَرَكة»[4].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى باختصار ٣/٢١٠، ٢١١، ٢١٤.

(٢)، (٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/٢٠، ٢١.

(٤) الجامع ١٩٢، وهذا الأثر أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب العمل في السلام وفي أوله قصة ٨٢١/١٣٤، وانظر: عن استشهاده بأقوال الصحابة ١١٩، ١٢٩، ١٥١، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠.

ومن أقوال التّابعين ما أورده عن ابن شهاب «محمد بن مُسلم الزُّهْرِيّ (ت ١٢٤)» قال: «الزّاهد من لم يغلب الحرامُ صبرَه ويشغل الحلالُ شكرَه»[١].

وقوله: «قال مجاهد في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاس مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث﴾[٢]، قال: الغناء[٣].

ومن أفعال الصّحابة والتّابعين قوله[٤]: «كان عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب وأُبيّ بن كعب، و(سعيد) بن المُسيَّب (تابعي) لا يُغيّرون الشّيب».

الاستشهاد بأقوال بقيّة السّلف:

يزخر كتاب الجامع بنقول كثيرة عمّن دون التّابعين من السّلف، وأكثر استشهاده بأقوال مالك[٥]، وتلاميذه، مثل: عبدالله بن وهب[٦] وعبدالرحمٰن بن القاسم[٧]، وأشهب بن عبدالعزيز[٨]، ومعن بن عيسى[٩]، ومحمد بن عبدالحكم[١٠] وغيرهم.

كما أورد أقوالاً لأئمّة آخرين مثل اللّيث بن سعد[١١] وسفيان الثّوري[١٢] وسفيان بن عُيَيْنَة[١٣] وعبدالرحمٰن بن مهدي[١٤]، وغيرهم.

كما استشهد بأقوال بعض علماء القيروان، مثل الإمام سَحنون[١٥] وابنه محمد بن سَحنون[١٦].

---

(١) الجامع ١٧٤.
(٢) سورة لقمان: الآية ٦٠.
(٣) الجامع ٢٦٢، وانظر: نماذج أخرى في ١٠٩، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٩.
(٤) الجامع ٢٠٦.
(٥) انظر: ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤.
(٦) انظر: ١١٩، ١٥٨.
(٧) ص ١٥٥، ١٨٧، ١٩٥.
(٨) ص ١٤٦، ١٥٢، ١٨٥.
(٩) انظر: ص ١٤٧.
(١٠) ص ١٥٥.
(١١) ص ١١٩، ١٤٨، ١٨٦، ١٨٧.
(١٢) ص ١١٥، ١٧١.
(١٣) ص ١١٨، ١٩٤.
(١٤) ص ١١٨.
(١٥) ١٢٢، ١٢٦، ١٦٥، ١٧٤.
(١٦) ص ١٢٢، ١٩٠.

من آرائه وترجيحاته:

إن كثرة اعتماد ابن أبي زيد على النّقول وخَلْطَ كلامه بمعاني الآيات والأحاديث ـ كما تقدّم ـ أسهم في عدم ظهور شخصيّته في هذا الكتاب إلّا في القليل النّادر، ومن هذا القليل:

ـ شرحه لبعض الألفاظ الغريبة، كقوله عند الكلام على سباق الخيل: «والمُصَلِّي هو الثّاني من السّابق، سمّي بذلك، لأنّ جَحْفَلَتَه[1] على صلا السّابق، وهو أصل ذنبه، ويقال للعاشر: السُّكَيْتُ، وما بعد الثّاني إلى التّاسع لا يسمّى إلّا تسمية العدد[2].

ـ قوله في الرّسالة المنسوبة لمالك أنّه بعثها إلى هارون الرّشيد: «وقيل إنّ هذه الرّسالة لم تثبت»[3].

ـ ترجيحه بين بعض الآراء، كقوله في معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولُون آمَنَّا به كلّ من عند ربّنا﴾[4]. قال ابن أبي زيد: والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه: ﴿الرّاسخون في العِلْم يقولونا آمنّا به كلّ من عند ربّنا﴾ قال: «وقال بعض النّاس: الرّاسخين في العلم يعلمون مشكله» ثمّ عقّب على ذلك بترجيح الأوّل قائلاً: «ولكن الأوّل هو قول أهل المدينة، وعليه يدلّ الكتاب»[5].

جـ ـ مصادره:

إن تنوّع المادّة التي اشتمل عليها كتاب الجامع لتدلّ بوضوح على كثرة المصادر التي اعتمدها ابن أبي زيد فيه وتعدّدها، وممّا يؤسف له أنّ المؤلّف لم يذكر لنا

---

(١) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير. (القاموس المحيط ٣/٣٤٦).

(٢) الجامع ٢٦٥.

(٣) الجامع ١٩٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٥) الجامع ١١٤، ١١٥.

مصادره إلّا على سبيل الإجمال، ولم يعز المعلومات إلى مصادرها إلّا مرّة أو مرّتين، ممّا جعل تحديد جميع موارد الكتاب أمراً غير ممكن.

أمّا المصادر التي ذكرها على سبيل الإجمال ففي قوله: «كتاب الجامع... مختصر من السّماعات عن مالك ومن الموطّأ وغيره من (الكتب): هذا ما جاء في صدر نسخة الخزانة العامّة بالرّباط[1].

وجاء في آخر الكتاب قوله[2]: «قد ذكرنا في كتابنا هذا... بعض ما حُفظ عن مالك وعن بعض أصحابه وغيرهم، وما رُوي عن رسول الله ﷺ، وعمّن ذكرنا من سلفنا وأئمّتنا في الآداب والأمر والنّهي وغير ذلك من الفنون التي جرت فيه، وأكثر ذلك من مجالس مالك وموطّئه. وذكرنا شيئاً من التّاريخ والمغازي وما شاكل ذلك فمنه لمالك ومنه لغيره من أهل العلم».

وعلى هذا تكون مصادره هي:

١ ـ موطّأ الإمام مالك، ونقله عنه واضح كما سيأتي قريباً في المقارنة بين الجامع لابن أبي زيد وبين جامع الموطّأ. ولا تكاد صفحة تخلو من نقل عن الإمام مالك، وإن كان لم يصرّح بذكر الموطأ إلّا مرّة واحدة[3] وقد اعتمد عدة روايات للموطّأ، وكان يميّز بينها أحياناً فيقول مثلاً: «في رواية ابن وهب..، في رواية أشهب[4].

٢ ـ مجالس مالك غير الموطّأ، ومختلف السّماعات التي دوّنها أصحابه عنه، وقد أشار إلى ذلك في القولين المنقولين عنه آنفاً، واعتماده على هذه المجالس والسّماعات واضح من خلال كتابه أيضاً فهو كثير النّقل عن تلاميذ مالك كما تقدّم

---

(١) مقدمة الجامع ٨٤.

(٢) الجامع ٣٠١، وانظر: مقدمة الجامع ٨٤.

(٣) الجامع ٢١٤. (٤) انظر: الجامع ٢٢١.

قريباً[1]، وأحياناً يصرّح بذكر نقل التّلميذ عن مالك، كقوله[2]: وروى ابن وهب عن مالك، قال ابن وهب قال مالك، قال معن بن عيسى: سمعت مالكاً،.

كما يتبيّن النّقل عن هذه المجالس من خلال الأسئلة الكثيرة الموجّهة إلى مالك والتي زخر بها الكتاب[3].

٣ ـ كتب أو أجزاء حديثيّة أو أحاديث متناثرة، لقوله[4]: «قد ذكرنا في كتابنا هذا... ما رُوي عن رسول الله ﷺ...»، وقد تقدّم أنّ كتابه اشتمل على ١٦٩ حديثاً قولياً عدا الأحاديث الفعلية وهي كثيرة، ولم يرد منها في الموطّأ إلا ٢٤ حديثاً والبقيّة من مختلف كتب السّنّة.

٤ ـ كتب السّيرة والمغازي والتّاريخ: وقد اشتمل الكتاب على مادّة غزيرة تتعلّق بهذه الجوانب، منها بابان كاملان من أطول أبواب الجامع هما:

ـ باب مبعث النّبي ﷺ وأيّامه وعمره ونسبه وصفته وذكر بنيه وبناته وزوجاته، وذكر العشرة من أصحابه وأنسابهم وأعمارهم، وشيء من التّاريخ ومتى فرضت الشّرائع[5].

ـ باب في الهجرة والمغازي والتّاريخ[6].

ومن كتب هذا الفنّ التي اعتمدها ابن أبي زيد ما يلي

ـ كتاب موسى بن عُقبة، وقد نقل عنه في عدّة مواضع مقتصراً على ذكر موسى دون تسمية كتابه[7].

وموسى بن عُقبة هو ابن أبي عياش الأسديّ مولى آل الزُّبَيْر توفّي سنة ١٤١ هـ، وهو محدّث كثير الحديث، ثقة، أخرج له الجماعة، فقيه إمام في المغازي، وله فيه

---

(١) انظر: ٨٢١.
(٢) انظر: الجامع ١٤١، ١٤٧، ١٥٨، ٢١٥.
(٣) انظر: الجامع ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.
(٤) الجامع ٣٠١، مقدمة الجامع ٨٤.
(٥) الجامع ١٢٦ ـ ١٣٨.
(٦) الجامع ٢٦٥ ـ ٣٠٠.
(٧) الجامع ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٩٨.

كتاب، وكان مالك يقول عنه: «عليكم بمغازي موسى بن عُقبة فإنّه ثقة»، وفي رواية: «عليكم بمغازي الرّجل الصّالح موسى بن عُقبة، فإنها أصحّ المغازي»، وفي رواية: «فإنّه رجل ثقة، طلبها على كبر السّنّ، ولم يكثر كما كثّر غيره»، ولم يكن بالمدينة أعلم بالمغازي منه[1].

ـ مغازي عبدالملك بن هاشم الحِمْيَرِيّ (ت ٢١٨، أو ٢١٣)، ولعلّه جزء من كتابه في السّيرة، أو اسماً آخر، وقد عرفنا اعتماد ابن أبي زيد عليه من خلال نقله في موضوع السيرة عن محمد بن عبدالله البرقي[2] (ت ٢٤٩)، وقد اشتهر عن البرقي التحديث بمغازي ابن هشام، وهو محدّث ثقة، حديثه عند أبي داود والنّسائيّ[3].

وقد تقدّم في ترجمة ابن أبي زيد أنّه كان يروي سيرة ابن هشام ويحدّث بها في القيروان[4].

٥ ـ كتب فقهيّة: لم يصرّح ابن أبي زيد بذكر شيء من الكتب الفقهية التي اعتمدها، وإن كانت استفادته منها واضحة، ومن الكتب التي يمكن القول باعتماده عليها ما يلي:

ـ المدوّنة للإمام سَحنون: ويفهم اعتماده لها من الأحكام التي نقلها عن سَحنون[5]، ومن الأسئلة الموجهة إلى ابن القاسم أو التي وجّهها ابن القاسم إلى مالك وأجاب عنها[6] فإنّ أكثر المدوّنة كذلك، كما سيأتي عند التّعريف بها.

---

(١) انظر عنه: التهذيب ١٠/٣٦٠، التقريب ٢/٢٨٦، الكاشف ٣/١٦٥، تاريخ التراث العربي ١/٢/٨٤.
(٢) الجامع ١٢٦.
(٣) انظر عنه: التهذيب ٩/٢٦٣، التقريب ٢/١٧٨، الكاشف ٣/٥٥.
(٤) انظر: ص ٤٥٨، ٦٤٢.
(٥) انظر: ١٢٢، ١٢٦، ١٧٤، ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٥٧.
(٦) انظر: ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٤.

ـ الواضحة في الفقه لعبدالملك بن حَبيب السُّلَمِيّ، وقد نقل ابن أبي زيد عن ابن حَبِيب بعض الأحكام[1]، ومظنّتها كتابه الواضحة، وابن حبيب هذا من كبار علماء عصره، برع في الفقه والأدب واللّغة والشّعر والأنساب، مع مشاركة في الحديث، وجمع إلى ذلك التّواضع وكثرة العبادة، وألّف في مختلف فنون العلم توفّي سنة ٢٩١ هـ[1].

٦ ـ كتب في العقيدة: واعتماده على بعض كتب العقيدة واضح، خاصّة من خلال الباب الأوّل وهو «باب ذكر السّنن التي خلافها البدع وذكر الاقتداء والاتّباع وشيء من فضل الصّحابة ومجانبة أهل البدع»[3]، ولم يرد في الباب ما يرشدنا إلى بعض المظان.

٧ ـ كتاب النّاسخ والمنسوخ لأبي عُبَيْد القاسم بن سلّام الهَرَوِيّ (ت ٢٢٤)، وقد صرّح ابن أبي زيد بذكره[4].

٥ ـ مقارنة عامّة بين كتاب الجامع لابن أبي زيد وبين جامع الموطّأ:

إنّ الموطّأ هو أهمّ مصادر ابن أبي زيد في هذا الكتاب كما تقدّم، وبعد النّظر والمقارنة بين أبواب الكتابين ومادّة كلّ منهما رأيت أنّه من المناسب أن أقارن بين جامع ابن أبي زيد وجامع الموطّأ، لما لاحظته من التّقارب بينهما، حيث وجدت أنّهما اشتركا في تسعة وعشرين عنواناً، وضعها ابن أبي زيد ضمن أسماء الأبواب، وهي:

---

(١) انظر: ٢٤١.
(٢) انظر عنه: المدارك ٣/٣٠ ـ ٤٨، طبقات الفقهاء ١٦٢.
(٣) الجامع ١٠٥ ـ ١٢٦.
(٤) الجامع ١٩٨.

جامع الموطّأ	الصّفحة	جامع ابن أبي زيد	الصّفحة
١ ـ الدّعاء للمدينة وأهلها	٧٧٦	باب في فضل المدينة...	١٣٨
٢ ـ ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة	٧٨٠	.. وذكر إجلاء اليهود من المدينة	١٣٨
٣ ـ ما جاء في الطّاعون	٧٨٢	.. والطّاعون	٢٣٥
٤ ـ ما جاء في حُسن الخُلق	٧٨٧	.. وحسن الخلق	١٦٩
٥ ـ ما جاء في الحياء	٧٨٨	.. والحياء	١٦٩
٦ ـ ما جاء في المُهاجَرة	٧٨٩	وما يخرج من الهجرة	١٩١
٧ ـ ما جاء في لبس الثّياب المصبّغة والذّهب	٧٩٢	باب في اللّباس، والمصبّغات والحليّ	٢٢٤
٨ ـ ما جاء في لبس الخزّ	٧٩٢	.. والخزّ	٢٢٤
٩ ـ ما جاء في إسبال المرأة في ثوبها	٧٩٤	وما ينبغي من السّتر للنّساء	٢١٠
١٠ ـ ما جاء في صفة النّبيّ ﷺ	٧٨٦	باب مبعث النّبيّ ﷺ... وصفته	١٢٦
١١ ـ ما جاء في السُّنّة والفطرة	٧٩٧	باب في الفِطرة	٢٠١
١٢ ـ النّهي عن الأكل بالشّمال	٨٩٨	.. والأكل بالشمال	٢١٧
١٣ ـ ما جاء في لبس الخاتم	٨٠٨	.. وذكر الخاتم	٨٠٨
١٤ ـ ما جاء في شرب الرّجل وهو قائم	٨٠٠	.. وشرب القائم	٢١٧
١٥ ـ الرّقية من العين	٨٠٩	.. وذكر العَيْن	٢٣٥

١٦ ـ التّعوّذ والرّقية من المرض	٨١١	. . والرّقي والتّعويذ	٢٣٥
١٧ ـ عيادة المريض والطِّيَرَة	٨١٣	. . والطِّيرة	٢٣٥
١٨ ـ ما جاء في صبغ الشّعر	٨١٥	. . وصبغ الشّعر	٢٠١
١٩ ـ ما جاء في الرّؤيا	٨١٩	باب ذكر الرؤيا	٢٥٨
٢٠ ـ ما جاء في النَّرْد	٨٢١	النّرد	٢٦١
٢١ ـ ما جاء في السّلام على اليهودي والنّصراني	٨٢٢	السلام على أهل الذّمّة	١٩١
٢٢ ـ باب الاستئذان	٨٢٤	. . والاستئذان	١٩١
٢٣ ـ ما جاء في الصّور والتّماثيل	٨٢٦	. . وذكر الصّور والتّماثيل	٢٢٤
٢٤ ـ ما جاء في أمر الكلاب	٨٢٨	باب في اتّخاذ الكلاب	٢٤٤
٢٥ ـ ما جاء في قتل الحيّات وما يقال في ذلك	٨٣٢	. . وذكر الحيّات	٢٤٤
٢٦ ـ الأمر بالرّفق بالمملوك	٨٣٥	باب في الرّفق بالمملوك	٢٤٩
٢٧ ـ ما جاء في الغِيبة	٨٣٩	. . والغِيبة	١٧٥
٢٨ ـ ما جاء في الصّدق والكذب	٨٤١	. . والكذب	١٧٥
٢٩ ـ ما جاء في التّعفّف عن المسألة	٨٤٦	. . والتّعفف عن المسألة	١٨١

وهذا يصوّر إلى أيّ حدّ اعتمد ابن أبي زيد على الموطّأ، غير أنّنا نلاحظ أنّه لا يكتفي في هذه المواضع بالنّقل عن الإمام مالك، بل يورد أحاديث كثيرة لا

توجد في الموطّأ، بالإضافة إلى ما يذكره من أقوال أئمّة السّلف وغيرها كما تقدّم.

أمّا من حيث التّرتيب فلم يلتزم ابن أبي زيد التّرتيب الوارد في جامع الموطّأ، وإنّما تصرف في ذلك بالتّقديم والتّأخير، كما أنه كثيراً ما يجمع بين العناوين التي ذكرها الإمام مالك متفرّقة.

وإن النّماذج التّالية تزيدنا بياناً لمدى اعتماد أبي محمد علي الموطّأ:

أ ـ قال ابن أبي زيد في باب فضل المدينة: «وقد بارك فيها النّبيّ ﷺ، وفي مدّهم وصاعهم ورغّب في سكناها والصّبر على لأْوائِها»(١).

وبالرّجوع إلى جامع الموطّأ يتبين لنا أن أبا محمد القيرواني قد عبّر عن حديثين أولادهما الإمام مالك عند حديثه عن المدينة هما: حديث أبي هريرة يرفعه «اللّهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدّنا»(٢). وحديث ابن عمر يرفعه «لا يصبر على لأوائها وشدّتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»(٣).

ب ـ قال ابن أبي زيد في باب الطّبّ عند حديثه عن الرّقي: «وأمر النّبيّ عليه السّلام بالاسترقاء من العين، وقالت عائشة: «كان النّبيّ عليه السلام إذا

---

(١) الجامع ص ١٣٨.

(٢) الموطأ ٢/٧٧٦. وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى الباكورة وقال: هذا حديث حسن صحيح ٣٤٥٤/٥٠٦/٥، والدارمي في كتاب الأطعمة، باب في الباكورة ١٠٦/٢، ١٠٧، وأخرج الإمام البخاري جزءاً منه في فضائل المدينة، باب ١٢، ٢٢٥/٢.

(٣) الموطأ ٣/٧٧٧، وأخرجه الترمذي وفي أوله قصة في المناقب، باب فضل المدينة ٧٠٩/٥/ ٣٩١٨ وقال: وفي الباب عن أبي سعيد، وسفيان بن أبي زهير وسبيعة الأسلمية، قال: وهذا حديث حسن صحيح، غريب من حديث عبيدالله بن عمر.

اشتكى يقرأ على نفسه المعوذتين وينفث، فلمّا اشتدّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[1]. وبالرّجوع إلى جامع الموطّى نجد تحت عنوان الرُّقية من العين حديثاً جاء فيه» استرقوا لهما، فإنّه لو سبق شيء القدر لسبقته العين»[2].

أمّا حديث عائشة فقد أورده الإمام مالك بنحوه تحت عنوان التّعوّذ والرقية من المرض[3].

جـ ـ وقال عند حديثه عن الطّاعون: «قال النّبيّ عليه (الصّلاة) والسّلام في الوباء: «وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»[4]، وقد رواه الإمام مالك من حديث عبدالرحمٰن بن عوف بلفظه، وفي أوّله قصّة، في باب ما جاء في الطّاعون[5].

ومالك أورد هذه الأحاديث مسندة، فحذف ابن أبي زيد أسانيدها على عادته كما تقدّم.

٦ ـ أهمّ مميّزات الكتاب والمآخذ عليه:

امتاز جامع ابن أبي زيد بسهولة الأسلوب، ووضوع العبارة، مع الدّقّة والاختصار، فقد اشتمل رغم صغر حجمه على أهم ما يحتاجه المسلم في حياته ممّا يتعلّق بالفقه والعقيدة والسّنن والآداب والأخلاق، حتّى لا يكاد يشذّ عنه شيء

---

(١) الجامع ٢٣٨.

(٢) الموطأ ٩٢/٨١٠، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب ٢١٨٨/١٧١٩/٤.

(٣) الموطأ ٩٩/٨١٢، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ١٣٩/٥، ومسلم في كتاب السلام، باب رقية المريض ٢١٩٢ /١٧٢٣/٤.

(٤) الجامع ٢٤٣.

(٥) الموطأ ١٩/٧٨٢، والحديث أخرجه البخاري بنحوه من طريق أسامة في كتاب الأنبياء، باب ٥٤، ١٥٠/٤، وفي كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ٢٠/٧، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطاعون ٢٢١٨ /١٧٣٧/٤، وغيرهما.

في ذلك، وقد جاء تلبية لحاجة ملحّة لدى المجتمع القيرواني في ذلك الوقت الـذي كادت تنعـدم فيه المصنّفـات المبيّنة للسُّنّـة والمرغّبـة في التّمسّـك بهـا والمحذّرة من البدع، بسبب ما بذله الإسماعيليّون من جهود لإمـاتتها وتضليـل النّاس عنها. فكان هذا الكتاب مناسباً للحال وسادّاً لتلك الثّغرة.

كما أنّه ثاني كتابين من بين كتب القرويّين الواصلة إلينا اشتملاً على بعض المسائل المهمّة المتعلّقة بعلوم الحديث وقواعد الرّواية وذلك في باب العلم[1] من ذلك: إنّ الأئمّة لا يحدّثون بالأخبار المختلفة، والرّحلة في طلب الحديث، ورواية الحديث بالمعنى، وكراهة الأخذ عن الثّقة إن كان يحفظ حديثه خشية أن يُزاد في كتبه، وعدم جواز الأخذ عن المبتدع الدّاعي إلى بدعته، والسّفيه المعلِن بالسّفه، والذي يكذب في حديث النّاس، ومن ليس من أهل الحديث، وكراهة التّحديث بكلّ ما سمع خشية الوقـوع في الخطأ، وجواز إطلاق لفظ التّحديث على ما سمعه الرّاوي بقراءة غيره، والمناولة، والإجازة ونحو ذلك، وهذه المسائل وإن كانت منقولة عن الإمام مالك وغيره إلا أنّ هذا الكتاب أثبت لنا شيـوعها بالقيروان في هذه ا لفترة.

وقد أفدت من المعلومات الواردة فيه في مباحث الرّواية والدّراية في الباب الثّاني[2].

أمّا المآخذ فتتمثّل في طول العناوين إلى درجة اشتمال عنوان الباب الواحد على مواضيع متباعدة المعنى مثل: «باب في التّجمّل وذكر العُجب والرّياء والكِبْر والغِيبة وسوء الظّنّ»[3]، فحتّى وإن اعتبرنا أنّ العُجب والرّياء والكِبْر قد ينتج عن المبالغة في التّجمّل فلا يمكن أن نتصوّر ذلك بالنّسبة للغِيبة وسوء الظّنّ، وكذا

---

(١) الجامع ١٤٥، والكتاب الثاني هو الملخص للقابسي وسيأتي التعريف به قريباً.
(٢) انظر مثلاً: ص ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧.
(٣) الجامع ص ١٧٥.

الأمر في «باب في الأسماء والأنساب وذكر الرّؤيا»[1] فالبعد واضح بين الأسماء والأنساب وبين الرّؤيا.

إنّ حذف الأسانيد والتّعبير بصيغ التّمريض مثل «يُروى» ونحوها يعتبر سلبيّة أيضاً، باعتبار ابن أبي زيد محدّثاً، وقد تقدّم بيان أنّ هذه طريقة الفقهاء وبعض المحدّثين، ويمكن أن يُعتذر له بما نهجه من الاختصار في كتابه، ثم إنّ الغرض من الكتاب العمل بما فيه بالإضافة إلى أنّ المصادر التي اعتمد عليها معروفة عند المخاطبين من أهل عصره، وأهمّها الموطأ، ويمكن الرّجوع إلى الأسانيد فيها.

الكتاب الثّاني: كتاب الملخِّص لما في الموطّأ من الحديث المسند للإمام أبي الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)[2]:

١ ــ ضبط عنوان الكتاب: تردّد العلماء في ضبط الخاء بين الكسر والفتح، فمنهم من رجّح الكسر، ومنهم من رجّح الوجهين، ولكلّ تخريجه، قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّانِي (ت ٤٤٤): «كان شيخنا أبو الحسن القابِسي يقرأ المُلَخِّص بكسر الخاء يجعله فاعلاً، يريد أنّه يلخِّص المتّصل من حديث مالك»[3]، وقال الكَتَّانِيّ: «الملخِّص بكسر الخاء كما ذكره صاحب تثقيف اللّسان، وكذلك سمّاه صاحبه، وتجوز قراءته بفتحها، وبالوجهين ذكره عِياض في فَهْرَسَتِه»[4].

وقال القاضي عِياض: «وترجمة الكتاب تدلّ على الوجهين، فإذا كانت التّرجمة الملخِّص لمسند الموطّأ فهو بالكسر، وإن كان من مسند الموطّأ فالفتح»[5]. وقال المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة: هو بالفتح[6]. والكسر أولى؛ لأنّه ثبت عن المؤلّف، لأنّ دلالته أقرب.

---

(١) الجامع ٢٥٨.

(٢) سبق التعريف به في الترجمة رقم ٢٤.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٢١.

(٤) الرسالة المستطرفة ١٢.

(٥) الغنية ١١٣.

(٦) التكملة ١/٣٦.

٢ ـ **موضوعه**: جمع فيه الإمام القابِسيّ ما اتصل سنده من حديث الإمام مالك في الموطّأ برواية سَحنون عن ابن القاسم[١] عن مالك، وجرّده من بلاغات مالك ومن فتاوي الصّحابة والتّابعين، وكلّ ما لم يتبيّن له اتّصاله في هذه الرّواية، وإن ظهر اتّصاله من طرق أخرى[٢].

عدد أحاديثه وتفاوت نسخه في ذلك:

وقد بلغ عدد أحاديث كتاب الملخّص خمسمائة وتسعة عشر حديثاً في نسخة مكتبة عارف حكمت التي اعتمدتها[٣]، وقد وجدت في بعض المصادر أنّ عدد أحاديثه ٥٢٠ حديثاً[٤] فلعلّهم أرادوا ذكر العدد كاملاً، أو اشتملت النُّسخ التي وقفوا عليها على حديث زائد.

عدد شيوخ مالك في الملخص:

أمّا عدد شيوخ مالك في الكتاب فهو ثمانون رجلاً، منهم ثلاثة ذكروا بكُناهم[٥] واثنان مبهمان بلفظ الثّقة، وقد قال فيهما: مالك عن الثّقة، مالك عن الثّقة عنده[٦].

٣ ـ **سبب تأليفه**: نصّ الإمام القابِسيّ في مقدّمة كتابه أنّه صنّف استجابة لرغبة كثير من الطّلاب الذين سألوه ذلك، وقد رأى أنّ حصر المتّصل من حديث مالك يعينهم على النّظر في الفقه، والتّوسّع في علم الحديث[٧].

٤ ـ **منهجه في تصنيفه**: قبل التّطرّق إلى ترتيب الكتاب هناك نقطتان أساسيّتان في منهج تأليفه لا بدّ من الإشارة إليهما:

---

(١) عبدالرحمن بن القاسم العتقي، فقيه محدث ثقة عابد، وهو راوية الإمام مالك، لازمه عشرين سنة. انظر: حسن المحاضرة ٣٠٣/١، المدارك ٤٣٣/١، التهذيب ٢٥٢/٦.

(٢) الملخص خط لوحة ٢، ٣.

(٣) انظر: لوحة ٤٩ ب.

(٤) انظر مثلاً: كشف الظنون ١٨١٨/٢، الرسالة المستطرفة ١٢.

(٥) انظر: لوحة ٤٩ أ.

(٦) انظر: لوحة ٤٩ ب.

(٧) انظر: الملخص خط لوحة ٢.

أ ـ الاقتصار على الحديث المتّصل المسند: لم يذكر القابِسيُّ في الملخّص إلّا ما اتصل سنده بهدف «التّيسير على من يريد التّحفظ للمتّصل من مشهور حديث مالك رضي الله عنه، فإذا نال هذا فهو باب من العلم عظيم ناله في قرب»(١)، أمّا الأحاديث التي لم يتبَيّن اتّصالها، أو التي يراد بذكرها التّنبيه على الخلاف فيها أو ما كان مضطرباً بين الوصل والإرسال.. ونحو ذلك فلم يذكره في هذا الكتاب؛ لأنّه ذكر أنّه يجمعه مُتَقَصىًّ في كتاب آخر(٢). وبهذا يكون القابِسيّ قد جرّد كتاب الملخّص من بلاغات مالك ومن فتاوي الصّحابة والتّابعين وكلّ ما لم يتبيّن له اتّصاله، ولو ظهر اتّصاله من طرق أخرى، فكأنّه حذف هذا لأنّه يرى أنّ موضعه كتب العلل لا كتب بيان الأحكام الذي هو الموضوع الأصليّ للموطّأ.

المراد بالمتّصل عند القابِسيّ:

وقد وضّح لنا القابِسيّ مراده بالمتّصل فقال: «والبيّن الاتّصال ما قال فيه ناقلوه: حدّثنا وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعنا منه قراءة عليه، أو قراءة علينا... وكذلك ما قالوا فيه عن... إذا عُرف أنّ ناقله أدرك المنقول عنه إدراكاً بيّناً، ولم يكن ممّن عُرف بالتّدليس، ومثله قول النّاقل: إن المنقول عنه قال كذا أو فعل كذا... إلّا أن يجيء عن النّاقل ما يبيّن أنّه لم يسمعه منه»(٣). كما اعتبر أنّ ذكر التّابعيّ لما كان على عهد الرّسول ﷺ يكون من المتّصل إذا حكى ذلك عن كلام الصحابي نفسه وإلا عُدّ من المنقطع.

أما إذا قال الصّحابي: «كنّا نفعل، وكنّا نؤمر «وصحّ اتّصاله بالصّحابي فمحمله الرّفع عند القابِسيّ، فإن قال فيه» على عهد رسول الله ﷺ فقد بان اتّصاله(٤).

---

(١) الملخص خط لوحة ٢.

(٢) انظر: الملخص لوحة ٣.

(٣)، (٤) الملخص خط لوحة ٢، ٣.

وقد تقدّم عرض هذه المسائل ومناقشتها في مباحث علوم الدّراية[1].

ب ـ **الاقتصار على رواية واحدة للموطّأ**: ذكر القابِسيّ أنّه سيقتصر على رواية سَحنون عن ابن القاسم عن مالك؛ لإمامة ابن القاسم واختصاصه بمالك ولإمامة سَحنون واختصاصه بابن القاسم قال القابِسيّ معلّلاً اقتصاره على هذه الرّواية[2]: «وهي عندي آثر الرّوايات بالتّقديم؛ لأنّ ابن القاسم مشهور بالاختصاص في صحبة مالك مع طولها، وحسن العناية بمتابعته، والاقتصار عليه في الأخذ عنه، عَرف ذلك الخاص والعام، مع ما كان عليه من الفهم بالعلم والورع في الدّين، وسلامته من التّكثير في النّقل عن غير مالك، فخلُص بذلك من أن تختلط عليه ألفاظ الرّواة وأن يُخشى أن تتبدّل عليه الأسانيد، وإنما نقل كتاباً مصنّفاً، فهو وافر الحظّ من السّلامة في النّقل، وقد سمعت أبا القاسم حمزة بن محمد الكِنَانِيّ[3] يقول: «إذا اختلف النّاس عن مالك فالقول ما قال ابن القاسم»، وبحضرته جماعة من أهل بلده ومن السّائلين فما سمعت منكراً منهم، وهم أهل عناية بالحديث وبعلمه، وسَحنون أيضاً فهو على نحو ما وصفت به ابن القاسم، وبهذا حُقّ للقابِسيّ الاقتصار على هذه الرّواية.

ـ **عنايته باختلاف ألفاظ الرّواة داخل هذه الرّواية**: لقد بلغ من دقّة الإمام القابِسيّ وأمانته العلميّة أنّه يهتم باختلاف ألفاظ الرّواة من شيوخه هو، وهم تلاميذ تلاميذ سحنون أي إنّه يفعل ذلك في تلاميذ تلاميذ تلاميذ تلاميذ مالك (أربع مرّات). وهذا غاية في التّحري، وسيأتي التّمثيل لذلك قريباً.

جـ ـ **ترتيب الكتاب**: استهلّ القابِسيّ كتابه بمقدّمة طويلة نافعة، ثمّ سرد

---

(1) انظر: ٤٠٢.

(2) الملخص خط لوحة ٣.

(3) هو أحد الحفاظ متفق على تقدمه في معرفة الحديث وهو راوية سنن النسائي، وعنه أخذها القابسي (ت ٣٥٧). انظر: حسن المحاضرة ١/٣٥١.

الأحاديث المسندة وفق ما انتهجه لنفسه كما سيأتي بيانه بعد الإشارة إلى أهمّ الموضوعات التي اشتملت عليها المقدّمة[1].

١ ـ مقدمـة الكتـاب:

وقد اشتملت على النّقاط التّالية:

ـ سبب تأليف الكتاب.

ـ فائدة الاقتصار على الحديث المسند وسبب الاقتصار على رواية واحدة للموطّأ وقد تقدّم بيان الأمرين قريباً.

ـ ذكر ألفاظ الأداء التي يُعرف بها المتّصل من غيره، وبيّن رأيه في ادّعاء الاتّصال مع ذكر بعض الصّور التي تلحق بكلّ ذلك والتّمثيل لها ومناقشتها، وقد ذكرتها آنفاً، وأفدت منها في مباحث الدراية[2].

ـ وذكر أنّ ما لم يرد في هذا الكتاب من الرّواية المذكورة هو غير متّصل أو مجزوم بوصلة، وأنّه سيجمعه في كتاب مستقلّ[3]، ولعلّه لم يتمكّن من ذلك؛ إذ لم أعثر على من ذكره في ما بين يديّ من المصادر.

ـ ثم ذكر أسانيده في الرّواية التي اعتمدها[4] فقد قرئت وهو يسمع على أبي محمد عبدالله بن أبي هاشم التُّجِيبِيّ[5] عن عيسى بن مسكين[6] وأبي جعفر أحمد بن أبي سليمان[7] عن سَحنون عن ابن القاسم عن مالك، غير شيء يسير أخذه عن أبي محمد إجازة.

---

(١) لقد تضمنت هذه المقدمة كثيراً من أصول الرواية والدراية، وقد ذكرتها وناقشتها في مواضعها من الرسالة واكتفيت هنا بمجرد الإشارة إليها تجنباً للتكرار.

(٢) انظر: المواضع المذكورة في الإحالة السابقة.

(٣) انظر: لوحة ٣ أ.

(٤) انظر: لوحة ٣ ب.

(٥) سبقت ترجمته رقم ٢٢.

(٦) سبقت ترجمته رقم ٢٧.

(٧) فقيه محدث من كبار أصحاب سحنون (ت ٢٩١)، الشجرة ١/٧١، الرياض ١/٥٠٥.

كما قرئت وهو يسمع على أبي الحسن علي بن محمد بن مسرور العَبْدِيّ المعروف بالدَّبَّاغ[1] عن أحمد بن أبي سليمان عن سَحنون عن ابن القاسم عن مالك ونبّه على ما كان منه إجازة وهو جزء يسير من رواية التُّجِيبِيّ[2].

وذكر في آخر سماعه ما يفيد أنّه يذهب إلى جواز التّلفيق بين الحديث، حيث ذكر أنّ ما في هذا الكتاب من الحديث في بعض الأبواب التي لم يتمكّن من مقابلتها على أصول بعض الرّواة «فهو على نص كتاب أبي الحسن الدّبّاغ إلاّ ما بيّنته وما كان فيما قوبل أيضاً بما وُجد من كتب عيسى خرّجته على الأحسن عندي ممّا اختلفت فيه ألفاظهم ليقرب على المتحفّظين وجعلت خلافه في عرض الكتاب مكتوباً بالحمرة وعليه اسم صاحبه»[3].

ـ ثمّ عقد باباً في شروط حمل الحديث، والتّرغيب في روايته وحذّر من أن يكون هذا التّرغيب دافعاً للإكثار الموقع في الوهم والخطأ[4].

ـ ثم خلص إلى الحديث عن الرّواية بالمعنى، واللّحن في الحديث، وحذّر من نسي لفظ الحديث أن يحدث بما فهمه؛ إذ قد يكون مخالفاً لمراد الشّارع، وذلك أمر لا يقدر عليه إلاّ الأئمّة الذين طالت عنايتهم بالحديث[5].

٢ ـ ترتيب الأحاديث وسياقه لها[6]:

ـ سرد القابِسيّ الأحاديث مرتّبة على شيوخ الإمام مالك، بحيث يجمع أحاديث كلّ شيخ في مكان واحد.

ـ رتّب هؤلاء الشّيوخ على حروف المعجم، وسمّى كل حرف باباً، وابتدأ

(١) محدث فقيه ثقة حسن التقييد (ت ٥٣٩). المدارك ٣/٥٢٥، المعالم ٣/٧٥.
(٢) الملخص ٣ ب.
(٣) الملخص ٣ ب، ٤ أ.
(٤) انظر: لوحة ٤.
(٥) انظر: لوحة ٥.
(٦) ذكر القابسي بعض ملامح هذا الترتيب في لوحة ٥ ب.

بالمحمّدين، وذكر أنّ مقصده بذلك التّبرّك باسم النّبي ﷺ واستفتاحاً، وأفادنا أنّه ليس في شيوخ مالك من اسمه أحمد.

وقد سار في سرد هؤلاء الشّيوخ على التّرتيب المعجمي لأهل المغرب[1] وهو أ، (ب، ت)، ث، ج، ح، خ، د، (ذ)، ر، ز، ط، (ظ، ك، ل)، م، ن، ص، ض، ع، غ، (ف)، ق، س، ش، هـ، و، ي.

وقد ذكر هذه الحروف مرتّبة على هذا النّحو في آخر كتابه وعلّم بالحُمرة على الحروف التي ليس في هذا الكتاب[2] من شيوخ مالك من يبدأ اسمه بواحد منها.

قلت: وهو ما جعلتُه بين قوسين.

كما أنّه لم يراع في هذا التّرتيب إلّا الحرف الأوّل فقط من اسم الرّاوي، فنجده مثلاً يقدم موسى بن عُقبة على مَخْرَمَة بن سليمان[3]، ويقدّم صفوان بن سخليم على صالح بن كَيْسان[4].

ـ بعد أن انتهى من سرد أصحاب الأسماء ذكر أصحاب الكُنى وهم ثلاثة[5]، ثمّ المبهمين وهم اثنان[6].

ـ رتّب أحاديث كلّ شيخ بحسب من روى عنهم وفق أسبقيّة ورودهم في الموطّأ الأوّل فالأوّل، وجمع أحاديث هؤلاء بحسب ورودها في أبواب العلم من الموطّأ، فكأنّ أحاديث كلّ شيخ مرتّبة على أبواب الفقه، ومن هنا جاءت صلته بالتّصنيف على الأبواب، وهو على هذا كأنّه صورة مصغّرة، من حيث المنهج، لمسند بقيّ بن مَخْلَد، فقد ذكر ابن حزم أنّه «رتب حديث كلّ صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنّف، قال ابن حزم: وما أعلم هذه الرّتبة لأحد قبله»[7].

---

(١)، (٢) لوحة ٤٩ ب، ٥٠ أ.
(٣) انظر: ١٩ ب، ٢٠ أ.
(٤) انظر: ٢٤ ب.
(٥)، (٦) لوحة ٤٩ أ، ب.
(٧) سير أعلام ١٣/٢٩١.

ـ إذا اجتمع في إسناد واحد رجلان أو أكثر يجعله في باب الأوّل منهم حسب ترتيبه المعجمي[1]، ويكتفي عند اسم الثّاني، بالتّنبيه على تقدّمه، ويذكر موضعه فيقول مثلاً: «حديث عُبيد الله الأغرّ مع زيد بن رباح»[2]، إلا إذا كان في حديث الأوّل علّة فإنّه يؤخر الحديث إلى باب من سلم حديثه، ويشير إلى ذلك كقوله: «سالم بن عبدالله حديثان، وله ثالث في هذه الرّواية معلول»[3]، وهذا يدل على فهمه للعلل ومعرفته بها، غير أنّه لم يورد من ذلك شيئاً يذكر، وسيأتي بيان ذلك قريباً.

ـ إذا تكرّر حديث واحد بإسناد واحد فإنه يكتفي بذكر أتمّهما سياقاً إذا كان هناك زيادة في لفظ أحدهما[4].

ـ يذكر في بداية كلّ اسم عدد من روى عنه مالك ممّن تسمّى بذلك الاسم، ويذكر عدد أحاديث جميعهم، فيقول مثلاً: «جملة من وقع في هذا الكتاب ممّن روى عنه مالك واسمه محمد أحد عشر رجلاً لجميعهم مائة حديث واثنا عشر حديثا»[5].

ـ أمّا عدد أحاديث كلّ شيخ لمالك فإن كانت كثيرة فإنه يذكر عددها عند ذكر شيوخ الشّيوخ ثمّ يذكر العدد الإجماليّ في نهاية حديثه فيقول مثلاً: «محمد بن شهاب الزُّهْرِيّ له عن أنس خمسة أحاديث»[6] وبعد أن يذكرها يقول: «سهل بن سعد السّاعدِيّ حديث واحد»[7] وهكذا عند كلّ شيخ، ثم في نهاية حديث شيخ مالك يقول مثلاً: «كمل حديث الزّهريّ وهو خمسة وثمانون حديثاً[8].

(١) انظر مثلاً: لوحات ٧ أ، ٨ أ، ١٩ ب، ٣٩ أ.
(٢) لوحة ٣٢ب١ أ وانظر: ٢٦ أ، ٣١ أ، ٣٦ أ.
(٣) ٤٤ ب.
(٤) انظر: لوحة ٥ ب.
(٥) لوحة ٥ ب.
(٦) لوحة ٥ ب.
(٧) لوحة ٦ أ.
(٨) لوحة ٩ ب.

أما إذا كانت الأحاديث قليلة فإنه يذكرها في بداية سرده لحديث شيخ مالك فيقول مثلاً: «أبو الأسود (محمد بن عبدالرحمٰن بن نَوْفَل) أربعة أحاديث»[1]، ثمّ يسردها.

ـ الإشارة إلى اضطراب الرّواة في المتن: وهؤلاء الرّواة هم شيوخه وتلاميذهم أي داخل رواية ابن القاسم، وليس تلاميذ ابن القاسم ولا تلاميذ مالك، فإذا اختلفت ألفاظ الرّواة في الحديث في رواية ابن القاسم أشار إلى ذلك ونبّه على اسم الرّاوي الذي ذكر لفظه، كقوله في حديث أبي هريرة يرفعه: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خدَاج... فهذه بيني وبين عبدي الحديث» قال أبو الحسن: «في هذا الحديث اضطراب ألفاظ بين رواتنا فأثبتّه على نصّ الدّباغ[2] إلا «فهذه» فإنّها على لفظ عيسى[3] والنّسخة، وعند الدّبّاغ فهذا»[4].

ـ شرح بعض الألفاظ الغريبة:

ـ قد يشرح بعض الألفاظ الغامضة كتفسيره «الأَمِهَق» بأنّه الشّديد البياض[5] غير أنّه لم يكثر من ذلك.

ـ صورة أخرى للصّناعة الحديثيّة عنده:

ـ قد يبين اتّصال ما يوهم ظاهره الانقطاع أو ما في اتصاله إشكال كقوله في حديث أسلم مولى عمر أنّ رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً... قال عمر فحرّكت بعيري الحديث قال أبو الحسن: «قوله: قال عمر فحركت بعيري إلى آخره يبيّن أنّ أسلم عن عمر رواه»[6].

---

(١) لوحة ١٠ أ.

(٢)، (٣) تقدم ذكرهما عند إيراد سماعات القابِسي لرواية ابن القاسم.

(٤) لوحة ١٤ ب وانظر: ٨ أ، ٢٣ ب، ٣٩ أ.

(٥) انظر: لوحة ١٦ ب.

(٦) لوحة ١٧ ب، وانظر: ٧ ب، ٢٢ أ، ٣٥ ب، ٤١ ب، ٤٢ أ.

ـ ينبّه على الحديث الذي ثبت اتّصال بعض ألفاظه دون بعض، كقوله في حديث أبي حذيفة في رضاعة الكبير[1]: «قال أبو الحسن: الذي اتصل (في) هذا الحديث قول عروة: فأخذت بذلك عائشة».

د ـ مقارنة بين كتاب الملخِّص وكتاب التّقصّي للحافظ ابن عبدالبرّ:

وهو كتاب التّقصّي لحديث الموطّأ، وشيوخ الإمام مالك ويسمّى أيضاً تجريد التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد لحافظ الأندلس الإمام يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النَّمَرِيّ (ت ٤٦٣)[2].

وقد حَسُنت المقارنة بين الكتابين لاهتمام كلّ منهما بحديث الموطّأ ثم إن العلماء منذ القديم كانوا يفاضلون بينهما كما سيأتي، ويمكن إجمال هذه المقارنة فيما يلي:

ـ لقد قصر القابِسيّ كتابه الملخِّص على الحديث المسند المتصل بينما اشتمل كتاب التّجريد على كلّ ما في الموطّأ من حديث النّبيّ ﷺ مسنده ومرسله ومتّصله ومنقطعه، وَوَجْهُه ما ذكره المؤلف حين علّل ذلك بقوله: «إذ كلّ ذلك عند مالك وأصحابه ومن سلك سبيلهم حجّة توجب العمل... على أنّا قد وصلنا مراسيل الموطأ في كتاب التّمهيد من طرق الثّقات»[3].

ـ اعتمد القابِسيّ على رواية ابن القاسم وحدها أمّا ابن عبدالبر فإنه وإن اعتمد على رواية يحيى بن يحيى اللَّيْثِيّ (ت ٢٣٤)[4] إلا أنّه يشير إلى بقيّة الرّوايات بما فيها رواية ابن القاسم[5] وينبّه إذا ما كان لمالك حديث عن الرّاوي لم يرد في رواية يحيى بن يحيى[6].

---

(١) انظر مثلاً: ٤٢ ب، ٤٣ أ.
(٢) انظر عنه: الشجرة ١/١١٩.
(٣) التجريد ص ١٠.
(٤) انظر عنه: الشجرة ١/٦٣.
(٥) انظر مثلاً: ٢٩.
(٦) انظر مثلاً: ٢٩.

ـ اشتركا في ترتيب شيوخ مالك على حروف المعجم، أمّا الأحاديث فقد رتّبها القابِسيّ حسب ورودها في أبواب العلم من الموطّأ، لكن ابن عبدالبر رتّبها بحسب قوّة اتّصالها فيقدّم «المتّصل المسند، ثم ما يليله على رتبه، حتّى يفضي ذلك إلى ذكر المرسل والمقطوع والبلاغ»[1].

ـ اشتركا في تخصيص باب للكنى[2].

ـ اشتركا في التّنبيه على ما قد يخفى اتّصاله[3].

ـ اشتركا في ذكر عدد أحاديث شيوخ مالك.

ـ إذا كان في سند الحديث شيخان لمالك ذكره ابن عبدالبر في أوّلهما وروداً ثم ينبّه عليه في حديث الثّاني وهذا شبيه بعمل القابِسيّ.

وقد انفرد ابن عبدالبرّ بأمور منها:

ـ تعريفه بشيوخ مالك تعريفاً موجزاً، يذكر فيه غالباً بعض الشّيوخ والتّلاميذ، ومنزلته من حيث الجرح والتّعديل، وقد يذكر موطنه، وتاريخ وفاته، ويبيّن الخلاف في اسم الرّواي أو كنيته إن وجد، أو نسبه أو نسبته مع تحقيق موجز وترجيح في كثير من المواضع، وقد يعرّف بغير شيوخ مالك عند الحاجة[4]، ويسمّي من ذُكر بكنيته[5].

ـ عند ذكر عدد أحاديث شيخ مالك ينبّه ابن عبدالبرّ على ما كان منها مسنداً أو مرسلاً كما ينبّه على ما فيه علّة فيقول مثلاً: «لمالك عنه أربعة أحاديث، أحدها مسند متّصل، والثّلاثة منقطعة»[6] أو يقول: «لمالك عنه حديث مرسل عند

---

(١) التجريد ص ١٠.

(٢) انظر: الملخص لوحة ٤٩ أ، التقصي ص ٢٣٩.

(٣) انظر: التجريد ٣٠، ٥٤، ٨٠، ١٠٢، ١٢٦، ١٤١.

(٤) انظر: التجريد ١٣، ١٤٥، ١٤٩. (٥) انظر مثلاً: ص ٢٠.

(٦) التجريد ص ٢٢.

جماعة رواة الموطّأ»[1] أو يقول: «لمالك عنه خمسة عشر حديثاً كلّها مسندة»[2]، وواضح من الأمثلة أنّ المنقطع عنده أعمّ من المرسَل، وقد سار في هذا على اصطلاح المحدّثين في ذلك[3].

ـ نبّه على اختلاف الألفاظ بين الرّواة عن مالك إن وجد، وكثيراً ما يبيّن الرّاجح[4].

ـ نبّه على الاختلاف بين الأسانيد إن وجد كزيادة راو أو إسقاطه من السّند، مع بيان الرّاجح أحياناً[5].

ـ ينبّه على الحديث الذي اختلف فيه الرّواة عن مالك وصلاً أو إرسالاً ويذكر من أرسله ومن وصله[6] كما ينبّه على ما لم يختلف فيه فيقول مثلاً: «لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث»[7].

ـ ينبّه على الحديث الذي ورد عند مالك موقوفاً أو مرسلاً أو عند غيره موصولاً مسنداً[8].

ـ إذا كثرت مراسيل الرّاوي عنون لها وقسمها بحسب شيوخه فيقول مثلاً: «أوّل مرسلات زيد بن أسلم عن شيوخه»[9]، ويفعل ذلك في المسند أيضاً[10] مقدِّماً أصحاب الأسماء ثمّ الكنى ثمّ المبهمين.

---

(١) التجريد ١٢.

(٢) التجريد ١٤.

(٣) التدريب والتقريب ١/١٩٥، ١٩٦.

(٤) انظر مثلاً: ١٣، ٢٠، ٢٤.

(٥) انظر مثلاً: ١٩، ٢٣، ٢٩، ٤٢.

(٦) انظر مثلاً: ص ١٢.

(٧) ص ١٣ وانظر: ١٩.

(٨) انظر مثلاً: ٢٨، ٤٩، ٥٨، ٦١، ١٠٨.

(٩) ص ٤٦، وانظر: ١٢٢، ١٥٢.

(١٠) انظر ١٤، ٢٠.

- خصّص باباً للكنى[1] كما فعل القابِسيّ، وخصّص باباً لبلاغات مالك ومرسلاته[2] وهي ٦١ حديثاً وبيّن أنّ كلّها مسندة خلا أربعة أحاديث[3].

- ختم الكتاب بباب ذكر فيه حديث مالـك في الموطّـأ ممّا لم يـرد في رواية يحيى بن يحيى[4] وهي ٦٣ حديثاً.

أمّا أحاديث الكتاب بما فيها المسند والموقوف والمرسل والبـلاغ فعدتّهـا ٨٥٣ حديثاً والزّيادات ٦٣ حديثـاً، فيكـون المجموع ٩١٦ حديثاً، في حين أن عدد أحاديث الملخِّص ٥١٩ حديثاً في النّسخة التي اعتمدتها، وقيل ٥٢٠ كما تقدّم.

وامتياز كتاب التجريد على كتاب الملخص واضح لما سيأتي:

- استقصاؤه حديث مالك في الموطّـأ.

- تنبيهه على ما اتّصل من بلاغات مالك ومرسلاته.

- تعريفه ببعض شيوخ مالك.

- كلامه على بعض رجال السند.

- تنبيهه على اختلاف ألفاظ رواة الموطّـأ.

- ترجيحاته في المسائل المختلف فيها كما تقدّم.

---

(١) ص ٢٣٩.

(٢) والمرسل عند مالك هو نفس المراد بالمرسل عنـد غيره من أهـل الحديث، وهـو قول التّابعي: قال رسول الله ﷺ كذا أو فعل كذا، ومذهب مالك أنّ مرسل الثّقة تجب بـه الحجّة ويلزم به العمل إذا لم يخالف ظاهر عمـل أهل المـدينة. (التقـريب والتدريب ١/١٩٥، ١٩٦، التمهيد ١/٢، ٣، ١٧، ١٩، ٢٠).

(٣) ص ٢٤٢، وقد وصل هذه الأربعة أبو عمرو ابن الصلاح. الرسالة المستطرفة ١٢، رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ ٦.

(٤) ص ٢٥٩.

وغير ذلك من فوائده، ولذلك كان القُدامى يفضّلون التّجريد على الملخّص كما نُقل[1] عن أبي الوليد سليمان بن خَلَف الباجيّ الأندلسيّ الحافظ (ت ٤٧٤)[2]، والمحدث القروي أبي عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)[3]، أمّا إذا نظرنا إلى الغرض من تصنيف كلّ منهما فلا شكّ أنّ للملخِّص فائدة كبرى، ولذلك قال المتقدّمون أيضاً عنه أنّه «جيد في بابه»[4] وهو بيان المسند من الموطّأ، وفي ذلك إظهار أنه الأغلب.

هـ ـ مميّزات الكتاب والمآخذ عليه:

لا شكّ أنّ تمييز الحديث المتّصل عن غيره وإفراده بالتّصنيف أمر عظيم الفائدة للمستدلّ ولطلبة العلم وخاصّة المبتدئين منهم، وهو باب من العلم عظيم يناله طالبه دون تعب، كما نبّه عليه الإمام القابِسيّ[5] نفسه فهو يعين المبتديء على النّظر في الفقه ويكون منطلقاً له للتوسّع في علم الحديث[6]، ولذلك قال بعض العلماء: «هو جيّد في بابه»[7]، يعني موضوعه، وهو الأحاديث المسندة.

ويمتاز كتاب الملخص أيضاً بما يلي:

ـ لبّى مطالب المحدّث والفقيه جميعاً، فجمعه لأحاديث كلّ شيخ من شيَوخ مالك على حدة يفيد المحدّث في جمع طرق الحديث، ومعرفة درجته، وشهرته بتعدّد طرقه، ومعرفة مدار طرق الحديث الذي يدور عليه عند مالك خلال الموطّأ عموماً، كما يفيد المحدّث في معرفة من أكثر عنه مالك الرّواية ومَن أقلّ عنه.

أمّا ترتيبه لأحاديث الشّيخ على الأبواب فإنّه يفيد الفقيه في معرفة دلالة

---

(١) مقدمة التجريد ٣.

(٢) انظر عنه: الشجرة ١/١٢٠.

(٣) انظر: الغنية ٨٣.

(٤) الرسالة المستطرفة ١٢.

(٥)،(٦) انظر: الملخص لوحة ٢.

(٧) وفيات الأعيان ٣/٣٢٠.

الحديث وجمع ألفاظه، ومعرفة الأحكام المستفادة منها، كما مرّت الإشارة إلى عنايته بتلك النّاحية، وهي اختلاف الألفاظ باختلاف الرّواة.

ـ إنّ اعتماد القابِسيّ على هذه الرّواية قد أسهم ضمناً في حفظها حيث إنّ معظم روايات الموطّأ في عداد المفقود الآن، أمّا رواية ابن القاسم فلا يعلم لها وجود الآن في غير مكتبة القيروان[1]، والمسند منها ـ وهو معظمها ـ يوجد في كتاب الملخّص الذي بين أيدينا.

أمّا من حيث المآخذ عليه فيمكن أن نعتبر جزمه بأنّ الأحاديث التي لم توجد في كتابه غير متّصلة في رواية ابن القاسم من المآخذ، إذ قد ثبت وصل جميع بلاغات مالك ومراسيله، وقد بيّن ذلك ابن عبدالبر فيها عدا أربعة وصلها الحافظ أبو عمرو بن الصلاح[2].

و ـ خدمه الكتاب والاهتمام به:

يعتبر الملخِّص من أكثر كتب القرويّين انتشاراً، واستمرت روايته في القرون التّالية وخاصّة في الأندلس، وقد اهتموا به وتداولوه وحفظه كثير منهم[3].

وقام بشرحه كثير من المحدّثين، عُرف منهم:

ـ محمد بن أحمد بن أبي صُفْرة التّميمي الأندلسي، توفّي بالقيروان سنة ٤١٦ هـ[4].

---

(١) المكتبة الأثرية بالقيروان ٤١.

(٢) التدريب ٢١٢/١، ٢١٣، الرسالة المستطرفة ١٢، رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ لابن الصلاح ٦.

(٣) انظر: التكملة ٤٨٥/٢، ٥١٠، الذيل والتكملة ١٧/٥، ٢٨٩/٦، ٣٧٢، ٤٥٨، فهرسة ابن خير ١٠٩، برنامج الوادي آشي ٢٠٩، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن ٨٣٥/٢.

(٤) المدارك ٧٥٢/٣، الشجرة ١١٤/١.

- يونس بن مُغيث القاضي المعروف بابن الصّفّار، قُرْطُبِيّ (ت ٤٢٩ هـ)، وقد سمّاه شرح مسند الموطّأ[١].

- أبو بكر بن مَوْهَب الغُبَرِيّ، وقد شرحه في أسفار كثيرة[٢].

- أبو القاسم عامر بن هشام الأَزْدِيّ، وقد شرح غريبه وسمّاه: «المخصّص في شرح غريب الملخِّص»[٣].

- القاضي شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الشّافعي الدِّمشقيّ (ت ٦٩٣) شرح منه ١٥ حديثاً ثمّ توفّي قبل تمامه[٤].

- عبدالله بن محمد بن فَرْحُون اليَعْمُرِيّ التونُسي ثم المدني (ت ٧٧٩)، ألّف كتاباً جمع فيه بين كتابي الملخِّص والتّقصيّ، ورتّبه على الأبواب الفقهية وسمّاه: «الدّرّ المخلّص من التّقصيّ والملخّص»[٥]. ثمّ شرحه شرحاً وافياً في أربعة مجلّدات وسماه: «كشف المُغطّى في شرح مختصر الموطّأ»[٦].

- محمد بن حمزة العَيَّاشِيّ (ت بعد ١١٤٠): ألّف كتاباً في شرح الملخِّص[٧].

ز ـ أماكن مخطوط الملخّص:

لا يزال كتاب الملخّص مخطوطاً ينتظر من يخرجه إلى النّور ليستفيد منه

(١) المدارك ١/٢٠١، الشجرة ١/١٣٣، مقدمة التعديل والتجريح ١/٤٧.

(٢) المدارك ١/٢٠١. (٣) الذيل والتكملة ٥/١/١٠٧.

(٤) كشف الظنون ٢/١٨١٨.

(٥) الرسالة المستطرفة ١٣، مخطوطات مغربية ٨٤، وفيه أنه يوجد في الخزانة العامة بالرباط حرف القاف ١٨٦/١ ص ١ ـ ٧٣.

(٦) الرسالة المستطرفة ١٣.

(٧) توجد قطعة منه بخط المؤلف في خزانة الجامع الكبير بوزان ٢٤٩، انظر: مخطوطات مغربية ٨٥.

الباحثون وطلبة العلم، وعسى الله أن يوفّقني إلى ذلك بعد إتمام العمل الذي بين يديّ، وتوجد منه عدّة نسخ في مكتبات العالم:

- نسخة في مكتبة القيروان تحت رقم ٧ - ٢٤ - ٨٧(١).

- الخزانة العامّة بالرّباط، حرف الكاف ١/٥٦٢، تنقصه بعض أوراق في أوّله(٢).

- خزانة القرويّين بفاس رقم ٨٠٥، تنقصه ورقة من آخره(٣).

- خزانة الجامع الكبير بوَزّان رقم ٣/١٩٢ ص ٤٥٤ - ٦٠٧(٤).

- المكتبة الحمزاويّة بتافيلالت رقم ١٩٢(٥).

- مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنوّرة، نسخة كاملة جيّدة، وهي التي اعتمدتها للتعريف بالكتاب، وعدد لوحاتها خمسون، توجد تحت رقم ٥٣٢ - ١٣٢/١٧٤.

- شهيد علي رقم ٢/٣٩٠(٦).

- طلعت، حديث رقم ٦٦٢(٧).

النّوع الثّاني: كتب الطّبقات:

أ ـ تعريفها والتّأليف فيها:

الطّبقات جمع طبقة، وتجمع على طباق أيضاً، وهي في اللّغة الجماعة من

---

(١) سجل قديم بمكتبة جامعة القيروان ص ٣٦٥.

(٢)، (٣)، (٤) مخطوطات مغربية في القرآن والحديث ٨٣.

(٥) فهرس ابن عطية ٦٠ هامش ١.

(٦)، (٧) تاريخ التراث العربي ١/٣/١٣٩.

النّاس أو القوم المتشابهون أو الأمّة بعد الأمّـة أو الجماعـة من النّاس يعـدلون مثلهم[1].

أمّا في الاصطلاح فهي الجماعة المتعاصرون الذين اشتركوا في السّنّ، ولو تقريباً، وفي الأخذ عن المشايخ، وربما اكتفوا بالاشتراك في الشّيوخ وهو غالباً يلازم الاشتراك في السن[2].

لقد عُرف نظام التّصنيف على الطّبقات لدى المؤرّخين وعلماء الحديث منذ وقت مبكّر، وهو من أقدم طرق التّأليف لدى المسلمين، وأوّل[3] من عرف عنه التّصنيف في هذا الفنّ الهَيْثَم بن عَدِي (ت ٢٠٧)، حيث صنّف في ذلك كتابين هما[4]: طبقات من روى عن النّبي ﷺ، وطبقات الفقهاء والمحدّثين، كما صنّف معاصره محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧) كتاب الطّبقات[5].

وقد أسهم محدّثـو القيروان في هـذا النّوع من التّصنيف في وقت مبكّـر أيضاً، حيث ألّف محمد بن سحنون (ت ٢٥٦) كتاب الطّبقات[6]، ثمّ تتـابعت مصنّفاتهم في ذلك فألّف فيه أبو العرب (ت ٣٣٣) والخُشَنِيّ (ت ٣٦١) وغيرهم، وقد أولوا هذا النّوع اهتماماً خاصاً وكثرت مؤلفاتهم فيه[7].

وقد اختلفت مناهج من صنّف في هذا الفنّ من العلماء، فمنهم من اقتصر على الصّحابة أو التّابعين، ومنهم منن ذكر فيه طبقات الرّجال عامّة، ومنهم من اقتصر على صنف خاص من العلماء كالفقهاء أو المحدّثين أو القرّاء.

---

(١) انظر: لسان العرب ٢١٠/١٠، القاموس المحيط ٢٥٦/٣، تدريب الراوي ٣٨١/٢.
(٢) انظر: فتح المغيث ٣٨٧/٣، ٣٨٨.
(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٧٦.
(٤) انظر: فهرست ابن النديم ١٤٦.
(٥) الفهرست ١٤٤.
(٦) انظر: المدارك ١٠٦/٣.
(٧) راجع أسماء هذه المصنفات في مبحث أهم الموضوعات التي صنف فيها محدثو القيروان.

وأغلب كتب الطّبقات تشمل رجال عدّة بلدان، والقليل منها اقتصر على رجال بلدة واحدة، وما ألّف القرويّون يندرج في هذا الصّنف الأخير، وهو يُعدّ نادراً بالنّسبة للصّنف الأوّل، بل إنّهم من أوّل من صنّف فيه فيما وقفت عليه، فالمعروف لدى المشارقة أنّ أقدم كتاب خُصّص لرجال مدينة معيّنة هو تاريخ واسط لبحشل الذي ألّفه سنة ٢٨٨ هـ[١]، وقد سبقه في ذلك محمد بن سَحنون القيروانيّ (ت ٢٥٦) حين ألّف كتابه في طبقات الأفارقة[٢].

وبما أنّ الكتب التي سأعرّف بها اختصّت بأهل إفريقيّة فإنّه يحسن الإشارة بكلمة موجزة إلى هذا النّوع، وهو التّصنيف على المدينة الواحدة وطبقات رجالها[٣]: إنه فنّ من فنون التّصنيف عرفه المحدّثون وغيرهم من العلماء، فقد اهتمّ كثير منهم بتواريخ البلدان التي ينتسبون إليها ومن كان فيها من الرّواة، فدوّنوا أخبار فتحها ومن نزل بها من الصّحابة، ومن كان بها من العلماء والرّواة.

ب ـ فوائدها:

لهذا النّوع من التّصنيف فوائد كثيرة منها: إبراز المدارس العلميّة والحديثيّة لكلّ بلد من بلدان العالم الإسلاميّ.

ودقّة المعلومات وشمولها ووثوقها، فإن المؤلّف يتحدّث عن بلده التي تكون

---

(١) بحوث في تاريخ السنّة المشرفة ١٩٨ مقدمة طبقات خليفة، مبحث التنظيم على الطبقات ٤١، وممّا يجدر التنبيه عليه أن بحشل وإن كان قد سُبق في هذا المجال غير أنّ تواريخ البلاد التي سبقت كتابه مثل تاريخ المدينة لابن زَبَالة (ت ١٩٩)، ثم لعمر بن شَبَّة كانت شاملة للرّجال والأحداث والسير، وكذا تاريخ دمشق لأبي زرعة الدّمشقي (ت ٢٨٢)، الذي أفدنا من الجزء المطبوع منه أنه قائم على طبقات الرجال أيضاً حيث بدأ فيه بالرسول ﷺ، وثنى بالخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم وفضلهم مع ذكر الأحداث التي وقعت في عهودهم. انظر: تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة ١٣٣٣/٤ - ١٣٩٦.

(٢) انظر: ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.

(٣) بحوث في تاريخ السنة ١٤٢، ١٩١، ١٩٨.

له بها خبرة جيّدة، وتكون أخبارها في الغالب شائعة ومعروفة بين أهلها، ويتلقّى الأخبار مسندة عن شيوخه غالباً.

كما يفيد أيضاً في معرفة أوطان الرّواة ومعرفة الصّحابة من التّابعين، ومن نزل منهم تلك المدن ممّا يمكننا من معرفة التّدليس أو الإرسال وغير ذلك من صور الانقطاع.

والتّأكّد من صحّة السّماع ومعرفة مخارج الأحاديث التي تدور عليها مرويّات كلّ بلد، وما انفردوا به من السّنن عن غيرهم ونحو ذلك.

ويمكّننا من التّمييز بين الأسماء المتّفقة في اللّفظ مع اختلاف الموطن[1] كما هو الحال في مسلم بن يسار الإفريقي ومسلم بن يسار البصري حيث غفل بعض المشارقة عن التّفريق بينهما لعدم معرفتهم بالإفريقي، فلما حدثهم عبدالرحمٰن بن زياد عنه قالوا له أين لقيته؟ فقال بإفريقيّة، فاتهموه ظنّاً منهم أنّه البصري الذي لم يدخل إفريقيّة قط، وإنما هو الإفريقي[2].

ومن فوائدها أيضاً: إحياء القدوة الحسنة للخالفين من نماذج العلماء والنّقّاد والصّالحين وإحياء ذكرهم في أذهان الأجيال المسلمة لتنسج على منوالهم، كما صرّح بذلك بعض المؤلّفين في مقدّماتهم[3].

وقد وصلت إلينا ثلاثة كتب ممّا ألّف أهل القيروان في طبقات رجال بلدهم، وهي: طبقات علماء إفريقيّة لأبي العرب، وطبقات علماء إفريقيّة للخُشَنِيّ ورياض النّفوس لأبي بكر المالكيّ وسأعرف بها مبتدئاً بأقدمها.

---

(١) انظر: فتح المغيث ٣/٣٩٧.
(٢) انظر: حاشية سنن الترمذي ١/٧٦. وترجمة الإفريقي رقم ١٦ في المحدثين.
(٣) انظر مثلاً: رياض النفوس ١/٤.

الكتاب الأول:

ـ عنوانه: طبقات علماء إفريقيّة لأبي العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِيّ حافظ القيروان (ت ٣٣٣)[١].

١ ـ موضوعه وتحقيق القول في الزّمن الذي غطّاه وزمن تأليفه:

خصّص أبو العرب هذا الكتاب لمن كان بإفريقيّة من الفقهاء والمحدّثين[٢] ابتداء من الصّحابة ثم التّابعين فمن بعدهم، فترجم لهم مرتّبين على نظام الطّبقاب وذلك بعد أن ذكر فضائل إفريقيّة وبعض أخبرا فتحها.

ويغطّي الكتاب الفترة الزّمنيّة الواقعة بين سنة ٢٧ هـ ومنتصف القرن الثّالث، لأنّه لم يترجم لمحمد بن سَحنون المتوفًى سنة ٢٥٦ هـ، وقال في بعض التّراجم الأخيرة «كان له سنّ كسنّ سحنون أو أكبر»[٣]، وقد توفّي سحنون سنة ٢٤٠ هـ.

وإذا علمنا أنّ أبا العرب قد توفّي سنة ٣٣٣ هـ أدركنا أنّ حوالي ٨٣ سنة ممّا عاصره لم تحظ بأيّة ترجمة في ما وصل إلينا من الكتاب، وبالتّالي فإنّه يحق لنا أن نتساءل: هل شرع أبو العرب في تأليف هذا الكتاب في آخر حياته وتوفّي قبل أن يتمكّن من إتمامه أم أنّه أتمّه وفقدت بقيّة النّسخة في خضمّ الاضطرابات والفوضى التي تعرّضت لها القيروان إبان ثورة أبي يزيد الخارجي سنة ٣٣٣ هـ كما لا ننسى الدّور العُبَيْدِيّ في إتلاف مصنّفات القرويّين من أهل السنة؟.

كلا الاحتمالين وارد، والاحتمال الثّاني هو الذين ترجّح لديّ، حيث إنّي وجدت نقولاً عن أب يالعرب تخصّ أعلاماً عاشوا في الرّبع الأول من القرن

---

(١) سبقت ترجمته تحت رقم ٣٠ في المحدثين.

(٢) انظر: ط أبي العرب ١٢.

(٣) ط أبي العرب ١٢٣.

الرّابع وآخرهم موتاً فيما وقفت عليه هو سعدون بن أحمد الخولاني المتوفّى سنة ٣٢٥ هـ وقد نقل القاضي عياض عن أبي العرب في ترجمته[١].

فكيف إذاً توقّفت النّسخة التي بين أيدينا عند حوالي سنة ٢٥٠ هـ؟.

٢ ـ أصل الكتاب، وما وصل إلينا منه:

لا أجد تفسيراً لذلك التّساؤل إلا أن يكون محمد بن حارث الخُشَنِيّ قد سمع من شيخه أبي العرب هذا القسم من الكتاب قبل تمامه، ورحل به إلى الأندلس سنة ٣١١ هـ. حيث جعل له تتمّة وسمعه منه هناك تلميذه أبو عمر أحمد بن محمد الطَّلَمَنْكِيّ (ت ٤٢٩) الذي وصلنا الكتاب عن طريقه.

أمّا النّسخة الكاملة فقد أصابها ما أصاب بقيّة كتب القرويّين من التّلف والضّياع، ووصل إلينا الكتاب مختصراً[٢] من قبل المحدّث الأندلسيّ الحافظ أبي عمر أحمد بن محمد الطَّلَمَنْكِيّ (٣٤٠ ـ ٤٢٩)[٣].

والذي جعلني أجزم باختصاره أمور منها:

ـ إضافة الكتاب إلى الطلمنكي كما نقله أوّل ناشر له نقلاً عن المخطوط[٤].

---

(١) المدارك ١٣٦/٤.

(٢) هذا ما ذهب إليه محققا الكتاب وتابعهما صاحب بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٤٩ ووجدت له بعض القرائن كما سيأتي، أما الأستاذ بشير البكوش محقق رياض النفوس، وهو بصير بالإفريقيات، فقد تحاورت معه في هذا الأمر ووجدت أنه يذهب إلى عدم اختصار الكتاب وأن إضافته للطلمنكي كما ورد في نسخة الطبقات إنما هي إضافة تملك، غير أن أمر اختصاره أرجح لدي بناء على مادته العلمية.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ٤٢٣، تذكرة الحفاظ ١٠٩٨/٣، الشجرة ١١٣/١، سير أعلام ٥٦٦/١٧، الصلة ٤٤/١، جذوة المقتبس ١١٤، بغية الملتمس ١٦٢، ترتيب المدارك ٧٤٩/٣.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٤١.

ـ وجود الكتاب في نسق واحد من طبقات الخُشَنِيّ شيخ الطَّلَمَنْكِيّ، وتجزئة متتابعة من واحد إلى سبعة ولا شكّ أنّ ذلك من عمل الطّلمنكيّ الذي أخذ الكتابين من شيخه الخُشَنِيّ واختصرهما.

ـ حذف كثير من التّراجم، حيث يبدو أنّ الطلمنكي قد حذف من الكتاب عدداً كبيراً من التّراجم، فإننا نجد نقلاً عند أبي العرب في كتب التّراجم لأعلام لم نجد لهم ترجمة في ما وصلنا من الطّبقات ويوجد ذلك خاصّة في رياض النّفوس وترتيب المدارك والدّيباج المُذَهَّب ومعالم الإيمان[1]، وقد تتبعت هذه النّقول فوجدت أنّها تتعلّق بأكثر من خمسين علماً، ويحتمل أن تكون هذه النّقول عن كتب أخرى لأبي العرب لكن احتمال كونها من طبقات علماء إفريقيّة احتمال قويّ؛ لأنّه هو الكتاب الذي بقي واشتهر.

ـ حذف أجزاء من بعض التّراجم، فكثيراً ما نجد في كتب التّراجم نقولاً عن أبي العرب تتعلّق بشخصيّات ترجم لها في طبقاته ومع ذلك لا نجدها في ما وصل إلينا في تراجمهم من الطّبقات[2].

ـ حذف الأحاديث: كثيراً ما يحذف الطَّلَمَنْكِيّ الأحاديث التي يذكرها أبو العرب في طبقاته، حيث يكتفي بذكر السّند ثم يقول: «فذكر الحديث»[3].

ـ ارتباك العبارة وتفكّك المعاني بسبب كثرة الحذف والإكثار من كلمة «قال

---

(١) انظر مثلاً: الرياض ١/ ٢٤٠، ٤٧٣، المدارك ٣/ ٢٤١، ٤/ ١٢٤، الديباج المذهب ٣١، ٣٥٦، المعالم ٢/ ١٣٩، ١٦١، وانظر: الملحق الذي وضعه محققا كتاب ط أبي العرب وأثبتا فيه ما نقل عن أبي العرب حول أعلام لم توجد في كتابه الواصل إلينا ص ٢٣٨.

(٢) انظر مثلاً: المدارك ١/ ٤٩١، وقارن بطبقات أبي العرب ٨٦، الرياض ١/ ٣٤٦، وقارن بطبقات أبي العرب ١٠١، المعالم ٢/ ٣٦، وقارن بطبقات أبي العرب ٨٤.

(٣) انظر مثلاً: طبقات أبي العرب ٢٣، وقد جاء الحديث تاماً في الرياض ٨٢١، وانظر: ط أبي العرب ٥٤، ٨٠، ١١٤.

أبو العرب» للاستعاضة بذلك عن الحذف، وهذا أمر واضح في كلّ الكتاب[1] فهذه الأمور يصعب تفسيرها إلّا بأنّ أبا عمر الطّلمنكيّ قد اختصر الكتاب وانتقى منه وأخرجه بالصّورة التي وصلنا عليها.

٣ ــ منهــج تصنيفــه:

أــ ترتيبــه العــام:

ــ لم يقدّم أبو العرب لكتابه بخطبة، وذلك كان شأن كثير من المتقدّمين، لا يعنون بعمل مقدمات لمصنّفاتهم مثل خليفة بن خيّاط في طبقاته، ومحمد بن سعد في طبقاته الكبرى، وبحشل (ت ٢٩٢) في تاريخ واسط.

وقد بدأ أبو العرب طبقاته مباشرة بذكر «ما جاء في الفضائل في إفريقيّة»[2]، فروى بسنده جملة من الآثار تصل إلى اثنين وثلاثين، تتنوّع ما بين المرفوع والمرسل والموقوف والمنقطع[3].

ــ وبعد أن أتى على ذلك بيّن منهجه حيث قال: «وأنا مبتدىء بعد ما رُوي في مناقب إفريقيّة بذكر من دخلها من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن كان مع الصّحابة في غزواتها على ما سمعت من أهل العلم في ذلك وما بلغني، ثم أذكر بعد ذلك طَبَقة ممّن كان بها من العلماء والفقهاء، وما توفيقي إلا بالله»[4]، فالكتاب كما ذكر صاحبه مصنّف على نظام الطّبقات، وخاصّ بمن دخل إفريقيّة من الصّحابة فمن بعدهم من العلماء والفقهاء من أهل إفريقيّة.

والمعلومات التي فيه ذكرها بسند إلى أهل العلم. وقليل منها من البلاغات أو من قوله ابتداء كما سيأتي بيانه.

---

(١) وقد لاحظه محققا الكتاب أيضاً، انظر: مقدمة ط أبي العرب ٢٩.

(٢) ط أبي العرب ١.

(٣) وقد تقدمت دراسة بعضها في فصل الدراية.

(٤) ط أبي العرب ١٤.

ـ ثمّ ساق بعض أخبار فتح إفريقيّة وأجمل في ذكر من نزلها من الصّحابة.

ـ ثمّ سرد أسماء الصّحابة الذين بلغه دخولهم إلى إفريقيّة[1] وهم ١٦ صحابياً وواحد من صغار الصّحابة، ونلاحظ أنه يكتفي بسرد الأسماء ولم يتوقّف قليلاً إلا عند اثنين منهم[2]. أمّا عناصر ترجمة الصحابي عنده فهي ذكر اسمه ثلاثياً، وأحياناً يكتفي بالاسم واسم الأب أو بالكنية والنّسبة، وقد يذكر ما تتبيّن به الصّحبة غير أنّه مقلّ في ذلك، مثل شهود بيعة الشجرة، وخصِّ الرّجل من قبل بعض المصنّفين بمسند، وهو لا يكتفي في إثبات الصّحبة بمجرّد الرّؤية[3].

ـ ثم ذكر من دخل إفريقيَّة من التّابعين وقسمهم إلى ثلاث طبقات، وهنا أيضاً نجده في الغالب يكتفي بذكر الأسماء وقد يذكر خبراً قصيراً يتعلّق بالتّابعي كما هو الحال بالنّسبة لمن ذكرهم من أفراد بعثة عمر بن عبدالعزيز[4]، وقد بلغ عدد من ذكرهم واحداً وخمسين تابعياً[5]، وقد أدخل أبو العرب في التّابعين من ولد على عهد الرسول ﷺ ولم تثبت له رواية عنه مثل عُقبة بن نافع وعبدالملك بن مروان ونحوهما[6] وإن كانت له رؤية مثل مَعْبَد بن العبّاس[7]، وهو صنيع المحدّثين في تعريف التّابعي اصطلاحاً؛ لأنّ رواية هؤلاء كانت عن الصّحابة، ولم يثبت سماعهم عن النّبيّ ﷺ[8].

ـ ولم يظهر مصطلح المُخَضْرَم عند أبي العرب، رغم أنّه أورد بعضهم في كتابه، وعدّهم من التّابعين مثل الأَكْدَر بن حُمَام اللَّخْمِيّ[9].

---

(١) ط أبي العرب ١٦.
(٢) ط أبي العرب ١٧.
(٣) ط أبي العرب ١٦ ـ ١٨.
(٤) ط أبي العرب ٢٠.
(٥) ط أبي العرب ١٨ ـ ٢٤، وانظر مبحث عدد التابعين في هذه الرسالة.
(٦) انظر: ط أبي العرب ١٨.
(٧) ذكره ابن حجر فيمن له رؤية وليست له رواية، وذكره أبو العرب في التابعين، انظر: الإصابة ٤٥٧/٣، ط أبي العرب ١٨.
(٨) راجع ص ٥٠٢.
(٩) ط أبي العرب ١٩، وانظر: ص ٥٠٣.

ـ ويلاحظ أنّ أبا العرب قد يميّز بين التّابعين الأفارقة وغيرهم، وينبّه على من أوطنها منهم، فيقول مثلاً: «زياد بن مُسلم الغِفاريّ وهو من أهل إفريقيّة»، «المغيرة بن أبي بُردة القُرَشيّ، كان ممّن أوطن إفريقيّة»[1].

ـ وأمّا عناصر ترجمة التّابعين عنده فهي ذكر اسمه ثلاثياً وقد يكتفي بالاسم واسم الأب، وقد يذكر بعض ماله تعلّق بإفريقيّة من حياة التّابعين كافتتاح مدينة، أو جلوس لنشر العلم، أو تعليم حكم فقهيّ لأهل القيروان، أو بعض أنشطته الاجتماعية والسّياسيّة وأثره العلميّ العام، وقد يفرّق بين من دخلها غازياً وبين من دخلها لنشر العلم والتّفقيه. وقد يذكر توثيقاً عاماً لجماعة منهم. وهو مقلّ في كلّ ذلك، أمّا إثباته كون الشّخص تابعيّاً فقد يكون بالتّصريح بلقيّه لأحد الصّحابة، أو سؤاله له أو روايته عنه، وهو مقلّ في هذا أيضاً، وكثيراً ما يذكر للتّابعي تلميذاً أو تلميذين[2].

ـ ثم بدأ في تراجم أتباع التّابعين وعنون لهم بقوله: «وممّن له سنّ قد روى عن الجلّة من التّابعين ثم من أهل إفريقيّة»[3].

ـ ثمّ شرع بعد ذلك في ذكر بقيّة الرّواة مقدِّماً ذوي الأسنان منهم، دون أن يعنون لطبقاتهم أو يقسمهم تقسيماً معيّناً، غير أنّ الترتيب قد يختلّ عليه أحياناً، من ذلك أنه ذكر يحيى بن سلّام المتوفَّى سنة ٢٠٠ هـ، وبعد ثلاث تراجم ذكر ترجمة شيخه البُهلول بن راشد المتوفَّى سنة ١٨٣ هـ[4].

وقد اشتمل الكتاب على ١١٤ ترجمة عدا الصّحابة والتّابعين، وقد تقدّم ذكر عددهم.

ـ ذكره للغرباء: لقد كان أبو العرب يشير إلى الغرباء بقوله: «ومن القادمين إلينا»[5] ولم يخصّص لهم مكاناً معيّناً كأن يذكرهم آخر الطّبقة مثلاً، وإنما ساقهم مع بقيّة التّراجم وبلغ عددهم خمسة عشر رجلاً.

---

(١) ص ٢٣، ٢٤.
(٢) ص ١٨ ـ ٢٤.
(٣) ص ٢٧.
(٤) ص ٣٧، ٥٢.
(٥) انظر مثلاً: ٨٣، ٩٩، ١٢٥.

ـ ويلاحظ في كلّ ما تقدّم أن مفهوم الطّبقة عنده متغيّر وغير منضبط، فإنّه ذكر الصّحابة في طبقة واحدة، وذكر التّابعين في ثلاث طبقات، وجعل طبقة لأتباع التّابعين، وشمل الجزء الثاني من الكتاب الرّجال الذين تُوفّوا بين سنة ١٩٠ هـ وحوالي سنة ٢٣٥ هـ، ولم يفصل بينهم فكأنّهم عنده أهل طبقة واحدة، وكذا من جاءوا في الجزء الثّالث وقد انتهى بهم إلى حوالي منتصف القرن الثّالث.

ب ـ عناصر الترجمة وترتيبه لها:

لم يسر أبو العرب على نَسَق واحد في ذكره للمعلومات داخل التّراجم، كما أنّ التراجم تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الطّول والقصر، حيث بلغت ترجمة البُهلول بن راشد ـ وهي أطول ترجمة ـ حوالي عشر صفحات[1] بينما جاءت ترجمة أبي جعفر البغدادي في سطر واحد[2]، وسأذكر أهمّ البيانات التي ترد في التّراجم وهي نادراً ما تجتمع في ترجمة واحدة.

١ ـ بيان اسم الرّاوي ونسبته وكنيته: يذكر أبو العرب اسم الرّواي باختصار ويقتصر غالباً على ذكر اسم الرّاوي واسم أبيه[3] وقد يضيف النّسبة[4] أو اسم الجدّ[5] أو الكُنية[6] وقد يقتصر على الاسم فقط[7].

٢ ـ ذكر شيوخ الرّاوي: وهذا الأمر يعدّ من مميّزات شخصية الرّاوي عن غيره.

وقد دأب أبو العرب على ذكر شيوخ صاحب التّرجمة وقد يكثر منهم إلا أنّه لا يستقصي وكثيراً ما يكتفي بذكر المشاهير كمالك وسفيان والثّوري ونحوهما[8]، وقد يذكر بعضهم ثم يقول: «ومن غيرهم» أو «ومن بشر كثير من التّابعين»[9] ونحو ذلك، وقد يذكرهم ذكراً إجمالياً ولا يسمّي فيقول مثلاً: «سمع من جلّة التّابعين» أو «أكثر من

---

(١) ط أبي العرب ٥٢.
(٢) ط أبي العرب ٩٩.
(٣) انظر مثلاً: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٥٢.
(٤) انظر: ص ٤٣، ٦٢، ٦٧.
(٥) انظر: ص ٢٧.
(٦) انظر: ص ٤٥.
(٧) انظر مثلاً: ٩٠، ٩٢.
(٨) انظر مثلاً: ٣٤، ٧٢.
(٩) انظر: ص ٤٤، ١٠٥.

لقيّ الرّجال والحمل عنهم»[1] وقد ذكر البلد الذي سمع فيها الرّواي من ذلك الشّيخ كقوله: «سمع البُهلول من حنظلة بن أبي سفيان بمكّة»[2] وهذا ممّا يساعد في معرفة رحلات الرّاوي واتّصال سنده كما يشير أحياناً إلى مقدار حديثه عنه قلّة وكثـرة فيقول مثلاً: «قد أكثر عن عبدالرحمٰن بن زياد»[3] أو «سمع من مالك شيئاً يسيراً»[4]، والغالب عليه ذكر أسماء الشّيوخ مجرّدة، وقد يوثّـق الشّيخ أو يجرحه لأمرٍ يقتضي ذلك، كإكثار صاحب التّرجمة عنه، كقوله في ترجمة سعيد بن السَّرِيّ: «وأكثر عن أبي البَخْتَرِي. . . وأبو البَخْتَرِي عند أهل التّمييز كذّاب»[3].

٣ ـ ذكر التّلاميذ وبيان من لم يرو عنه غير واحد: ولهذا أيضاً فائدة في تمييز شخصيّة الرّاوي عمّن يمكن أن يشتبه به.

وأبو العرب يذكر تلاميذ الرّاوي غالباً إلا أنّ اهتمامه بهم أقلّ من اهتمامه بالشّيوخ وقد يكتفي بواحد أو اثنين ثم يقول: «وغيـرهم» أو «وبشر كثيـر»[6]. وقد يُجمل في ذكرهم فيقول مثلاً: «سمع من أبي زكريّاء بشر كثير من أهل القيروان من أصحاب سحنون وغيرهم»[7]، وينبّه غالباً على من لم يرو عنه إلا راو واحد كقوله: في ترجمة بِشر الأَزْدِيّ: «سمع منه فُرات، ما علمت أحداً روى عنه غيره»[8] وهذا يفيد في بيان حال الرّاوي جرحاً وتعديلاً لأنّ من لم يرو عنه إلا واحد، ولم يتَكلّم فيه أحد فهو مجهول العين[9].

كما أنّه يشير إلى المُقلّ والمكثر من التّلاميذ فيقول مثلاً: «سمع يحيى بن سلاّم

---

(١) انظر: ص ٢٧، ٣٤، ٣٧، ٧٢.
(٢) ص ٥٢، وانظر: ٧٦.
(٣) ص ٧٥.
(٤) ص ٧٦.
(٥) ص ٧٩.
(٦) انظر: ص ٧٧، ٨٧، ١٠٩، ١١٦.
(٧) ص ٩١.
(٨) ص ١٠١، وانظر: ٩٢، ٩٧، ١١٧، ١٢١.
(٩) انظر: التقريب والتدريب ١/٣١٧، ٢/٢٦٤، اختصار علوم الحديث ٩٧، تيسير مصطلح الحديث ١١٨.

من البُهلول حديثاً واحداً»[1] أو يقول: «أكثر أحمد بن يزيد السّماع منه»[2] أو «كان من أروى النّاس عن ابن فروخ مَعْمَر بن منصور»[3].

٤ ــ ذكر رحلة الرّاوي: ينص غالباً على من كانت له رحلة ويذكر شيوخه في رحلته وبعض سماعاته فيها وقد يذكر تاريخ خروجه وتاريخ عودته كقوله: «وحامد بن عمر، كان ممّن رحل في الحديث»[4]، وقوله في ترجمة أسد بن الفُرات: «رحل إلى المشرق فسمع من مالك موطّأه، ثم ذهب إلى العراق...»[5]، وقوله عن سَحنون: «وكان خروجه في طلب العلم أوّل سنة ١٨٨ هـ وكان قدومه سنة ١٩١ هـ»[6]، كما يشير إلى من تزاملوا في الرّحلة[7].

٥ ــ ذكر تواريخ المولد والوفاة[8]: يذكر أبو العرب غالباً تاريخ وفاة الرّاوي وقد يذكر الخلاف فيه إن وجد، ولم أقف له على ترجيح في ذلك.

وإذا لم يعرف تاريخ وفاته ذكر أنّ موته قريباً من موت فلان لأحد المشهورين، وقد يذكر مكان دفنه ومن صلّى عليه ونحو ذلك، أمّا تاريخ المولد فلا يذكره إلّا نادراً.

٦ ــ ذكر حديث الرّاوي وتراثه: كثيراً ما يشير أبو العرب إلى مقدار رواية صاحب التّرجمة قلّة وكثرة فيقول مثلاً: «كان عنده حديث كثير»[9] أو يقول: «كان قليل الحديث»[10]، وقد يذكر ما تركه الرّاوي من حديثه مدوّناً فيقول مثلاً: «طلبت حديثه فما وجدت له إلا كتاباً واحداً»[11]. ويذكر أحياناً مرويّاته من الكتب التي سمعها، كقوله في ترجمة البُهلول: «روى جامع سفيان الثّوري الكبير عن عليّ بن

---

(١) ط أبي العرب ٥٤.
(٢) ص ٨٥.
(٣) ص ٣٦.
(٤) ص ١٢١، وانظر: ٣٠، ٣٤، ٧١، ٧٢.
(٥) ص ٨٢.
(٦) ص ١٩١، وانظر: ١٠٥، ١٠٦.
(٧) انظر مثلاً: ٧١، ١١٠.
(٨) انظر مثلاً: ٢٩، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.
(٩) انظر مثلاً: ٨٥، ١١٩.
(١٠) انظر مثلاً: ص ٣٤، ٦٧، ٨٠.
(١١) ص ٤٧، وانظر: ٣٠.

زياد»[1]، وقوله في ترجمة موسى بن جرير العطار: «سمع من عيسى بن مسكين تفسير يحيى بن سلّام»[2].

٧ ــ التّوثيق والتّجريح عنده، وأهمّ ألفاظه، وبيان وجه النّقد:

لا نجد لأحد من علماء القيروان ما لأبي العرب من الكلام على الرّواة جرحاً وتعديلاً، وكلّ من جاء بعده عيال عليه في هذا الأمر بخصوص رجال إفريقيّة الذين ترجم لهم، وهذا يؤكّد ما قدّمته في التّعريف به من ذكر علمه بالجرح والتّعديل وأثره فيه[3] ، وقد ظهر هذا الجانب لدى أبي العرب في كتابه هذا ظهوراً بيّناً، فلا نكاد نجد راوياً لم يحكم عليه إلا القليل، وهذا في غاية الأهمّيّة لمعرفة درجة حديث الرّاوي قبولاً وردّاً.

وهو لا يكتفي بالتّكلّم على صاحب التّرجمة جرحاً وتعديلاً، وإنّما كثيراً ما يجمل القول في حال شيوخه أيضاً كما قدّمت عند ذكر الشّيوخ.

أ ــ التّوثيق: اهتم أبو العرب بتوثيق الرّواة من جهة عدالتهم وضبطهم.

فمن حيث العدالة نجده يؤكّد على تسنّن الرّاوي ومباينته للمبتدعة، نظراً لما شاع في القيروان وإفريقيّة من العقائد والآراء المنحرفة بسبب ظهور الفرق الكلاميّة في وقت مبكّر، وبسبب وجود العُبَيديّين الرّافضة في آخر القرن الثّالث كما فصّلته في التّمهيد، وكانت مباينة هؤلاء المبتدعة ومجاهدتهم تعدّ مدار معرفة العدل من غيره عندهم[4].

ولهذا كان أبو العرب يثني على الرّاوي بكونه صاحب سنّة، مقاوماً للبدع، كقوله في مَعْمَر بن منصور: «وكان على سنّة»، وقوله في أسد: «وكان أسد ثقة، لم

---

(١) ص ٥٢.
(٢) ص ١١٧، وانظر: ٦١، ٧٨، ٨٢، ١١٠، ١١٨.
(٣) انظر: ترجمته رقم ٣٠.
(٤) انظر: التمهيد ٩٦.

يكن فيه شيء من البدع»، وقال في عبدالله المَهْرِيّ: «كان ثقة مبايناً لأهل الأهواء، لا يسلّم على أحد منهم»[1].

كما أنه يثبت عدالة الرّاوي بذكر كثرة صومه وصلاته وصدقته ومعروفه، وخوفه من الله عزّ وجلّ، وتعفّفه عن الحرام[2].

أما من حيث الضبط فنجد أبا العرب يؤكّد على حفظ الرّاوي ويوثّقه في روايته، وأهم الألفاظ التي يطلقها لتوثيق الرّاوي هي: كان من الحفّاظ، كان ثقة ثبتاً، كان ثقة في حديثه، كان ثقة نبيلاً، كان ثقة، كان ثقة رجلاً صالحاً، وهو ثقة مأمون[3].

وهناك ألفاظ يطلقها إذا لم يعلم جرحه في الرّاوي، ولم يطّلع من حاله وعلمه وروايته ما يجعله يجزم بتوثيقه، مثلاً: ما علمت أحداً ذكره بسوء، لم أسمع فيه بسوء، ما علمت إلاّ خيراً[4].

ويلاحظ أنّ تلك الألفاظ هي التي كانت مستعملة عند المشارقة أيضاً في عصره وما بعده، ولا يبعد استفادته في ذلك منهم، بدليل نقله في بعض الأحيان عن أشخاص معيّنين من أئمّة النّقد المشارقة كما سيأتي ذكره.

وكان أبو العرب أحياناً يسأل عمّا لم يعرفه من الرّواة، كقوله: سألت عن زُرَارَة ميمون بن عمرو فعرفه، وقال: «هو ثقة»[5].

ب ـ **التّجريح**: لقد اهتم أبو العرب بنقد الرّاوي من جهتي العدالة والضبط.

فمن حيث نقد الضبط نجده يبيّن نكارة مرويّات الشّخص أو غرابتها أو لينها أو انقطاعها، وذلك بناء على اطّلاعه عليها، كقوله: «وفَرْوَن ـ أحد الرّواة الأفارقة ـ

---

(١) انظر: ط أبي العرب ١١٣، ٨٢، ١٢٣.
(٢) انظر: ٢٥، ٤٥ ـ ٥٧، ٦١، ٦٢.
(٣) انظر مواضع هذه الألفاظ بالترتيب: ٣٧، ٣٧، ٣٤، ٤٣، ٧٦، ٨٦، ٦١.
(٤) مواضعها مرتبة في ٩٢، ١٢٠، ١٢١.
(٥) ص ٧٨، وانظر: ١١٢.

حديثه يدلّ على لينه»، وقوله في إسحٰق المَلْشُونِيّ: «وحديثه يدلّ على ضعفه، ما يحتاج إلى معرفة حاله بأكثر من روايته»، وقوله في أبي جعفر الدَّغْشِيّ: «في حديثه مناكير الله أعلم بما تدلّ عليه»، وقوله في زكريّاء الوقّار: «إن كثيراً من حديثه منقطع، وعن رجال شاميّين غير أعلام»[1].

أما من حيث نقد العدالة فإنه يبيّن كذب الرّاوي كقوله: «وأبو البَخْتَرِي عند أهل التّمييز كذاب»[2]، أو يذكر ما رمي به من البدع أو كونه يشرب النّبيذ المسكر ونحو ذلك[3].

وقد ينقل أبو العرب عن غيره جرحاً مجملاً للرّاوي فيقول مثلاً: «وهو عند المحدثين ضعيف في روايته»، وقوله في علي الحِمْصِيّ نقلاً عن سَحنون: «كان ابن وهب قد نفره حتّى أوهنه»، وقد يبيّن ما ورد عنهم من سبب التّضعيف كقوله في ترجمة عبدالرحمٰن الإفريقي بعد أن ساق الأحاديث التي أغرب بها: «فلهذه الغرائب ضعّف ابن معين حديثه»[4].

أما تفصيل رأي المؤلّف في البدعة فقد أفردته بالبحث في النّقطة الموالية لأنّه يذهب إلى صحّة رواية المبتدع ما لم يعرف بكذب كما سيأتي.

٨ ــ الإشارة إلى من رُمي ببِدعة: اهتمّ أبو العرب ببيان ما إذا كان الرّاوي قد رُمي ببدعة، فيذكر نوع البدعة ومدى ثبوتها على الرّاوي أو براءته منها، كقوله في ترجمة عبدالله بن فَرُّوخ: «ورُمي بشيء من القدر حتّى تبيّنت براءته»، ثم ذكر كيف ظهرت براءته، وقوله في يحيى بن سلاّم: «رُمي بالإرجاء»، ثمّ دلّل على براءته منه، وقال في معاوية الصُّمادِحِيّ: «رُمي بالصُّفْرِيّة ولعلّه لا يصحّ عنه»[5]. ويلاحظ مطالع

---

(١) انظر: صفحات ٩٣، ٩٨، ١١١، ١٠ب.

(٢) ص ٧٩.

(٣) انظر: ٨١، ٣٤، ٣٧.

(٤) انظر: ٣٣، ٧٩، ٢٧، ٤٣.

(٥) انظر: صفحات ٣٤، ٣٧، ٨٠.

كتاب أبي العرب أنّه من أولئك العلماء الذين يذهبون إلى صحّة رواية المبتدع، وهو وإن لم يصرّح بالتفريق بين الدّاعي إلى بدعته وغيره، فالـذي يفهم من توثيقه لبعضهم أنّه يقبل رواية الدّاعي أيضاً ما لم يعرف عنه الكذب، فقد قال في أبي الخطّاب محمد بن عبدالأعلى الكِنْدِيّ، وهو داعية الإباضية الكبير في إفريقيّة، وقد تمكن من افتكاك طرابُلُس من حكومة القيروان، وأسهم في إثارة فتن كثير من الحروب حتّى قتله محمد بن الأشعث أمير إفريقيّة سنة ١٤٤ هـ[١]. . . قال فيه أبو العرب: «كان رُمي بهوى الصُّفْرِيّة، وهو ثقة في علمه وما حمل»[٢].

٩ ــ ذكر سند أبي العرب إلى صاحب التّرجمة: وهذا يمكن إدخاله في عنايته بالسند غير أنّي أفردته لإبرازه، فكثيراً ما يذكر أبو العرب سنده إلى الرّاوي الذي يترجم لـه، ويبدو أنّـه كان يـذكر بعض الأحـاديث بسنده إليهم، إلاّ أنّ الطَّلَمَنْكِيّ حذفها، من ذلك قوله في ترجمة عبدالرحمٰن بن زياد: «إنما وجدنا عنه كتابين فقط حدّثني بهما عبدالله بن أبي زكريّاء الحُفْرِيّ عن أبيه عنـه، وفُرات حدّثني بهما عن ابن أبي حسّان عنه»، وقال في ترجمة علي بن كثير: «حدّثني عنه بَكر وعبدالله بن الوليد»، وقال في ترجمة غانم بن سعيد: «حدّثني عنه بَدْر بن يحيى». وقال في ترجمة عبدالله بن عثمان المَعافِرِيّ الأَبْزَارِيّ: «حـدّثني محمد بن الهَيْثَم اللُّؤْلُؤِيّ عن أبيه قال: جلست أنا ودَحْيُون إلى جانب طالب الأَبْزَارِيّ في حانوته فجاء يحيى بن سلاّم، فذكر حديثه»[٣].

١٠ ــ الإحالة على بقيّة كتبه: يحيل أبو العرب في بعض التّراجم على كتبه الأخرى المتعلّقة بالموضوع، حتّى لا يكرّر المعلومات في أكثر من كتاب، كقوله في ترجمة سَحنون: «ومناقبه رحمه الله كثيرة جداً، وقد ذكرنا ما بلغنا منها في كتابنا الذي ألّفناه نذكر فيه مناقبه وسيرته في قضائه[٤].

---

(١) انظر: البيان المغرب ٧٠ ـ ٧٢. (٢) ط أبي العرب ٨٧.

(٣) انظر: صفحات ٣٠، ١٢٢، ١٢١، ١٠٠.

(٤) ط أبي العرب ١٠٢.

وقال في ترجمة عبدالرحمٰن بن زياد: «وقد ذكرنا في كتابنا الذي ألفناه في طبقات الرّجال حكايات كثيرة عن عبدالرحمٰن. . .»[1].

وقال عن الحارث بن نَبْهَان: «وهو عند المحدّثين ضعيف في روايته، وقد ذكرنا ما قالوا في كتابنا الذي ألفناه في ثقات الرّجال وضعافهم»[2].

١١ ـ **جوانب أخرى**: كثيراً ما يذكر أبو العرب أموراً أخرى لها دلالتها على حال المترجم عموماً، وعلى أنشطته المختلفة، كتولي صاحب التّرجمة للقضاء[3] وشيء من سيرته فيه، وزهده وورعه وعبادته، وبذله وإيثاره ومختلف مناقبه، واستجابة دعائه، وأخباره مع السّلطان ومحنته[4] وغير ذلك حتّى إنّه قد يجعل لذلك عنواناً مستقلاًّ كقوله: «ومن فضائل إسماعيل تاجر الله»[5].

٤ ـ مقارنة بين طبقات أبي العرب وكتاب تاريخ وَاسِط:

كتاب تاريخ واسط ألّفه أبو الحسن، أَسْلَم بن سَهْل الرَّزَّاز الوَاسِطِيّ المعروف بـ: بَحْشَل (ت ٢٩٢)[6]، وقد اخترته للمقارنة بسبب قرب مؤلّفه في الطّبقة من أبي العرب واختصاص كلّ منهما بطبقات رجال مدينة واحدة.

ملامح الالتقاء بينهما:

يلقتي الكتابان في عدّة أمور منها:

ـ إنّ المؤلفَيْن تعاصرا واشتركا في أكثر من ثلاثين سنة، فقد توفّي بَحْشَل سنة ٢٩٢ هـ، وولد أبو العرب في السّتينات، وبذلك يعكس الكتابان اهتمام

---

(١) م. ن ٢٩.

(٢) م. ن ٣٣.

(٣) انظر مثلاً: ٣٣، ٣٥، ٤٣، ٤٤.

(٤) انظر مثلاً: ٢٨، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٩، ٦٠، ٦٢.

(٥) ص ٢٥.

(٦) الحافظ الصدوق المحدث، مؤرخ مدينة واسط، سير أعلام النبلاء ٥٥٣/١٣، وواسط مدينة بالعراق متوسطة بين البصرة والكوفة، معجم البلدان ٣٤٧/٥.

علماء مدينتين، ويُمثّلان اتّجاه مدرستين من حيث العناية بالسّنّة رواية ودراية، إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق، ويُظهران منهج التّصنيف في طبقات رجال كلّ منهما في النّصف الثّاني من القرن الثّالث.

ـ كلا الكتابين يختصّ برجال أهل مدينة مؤلّفه.

ـ كلّ منهما صُنّف على نظام الطّبقات، فقد فُهم ممّا وجد من خطبة كتاب بَحْشَل وما صرّح به في أول فصوله أنّه سيذكر من دخلها من الصّحابة ومن نشأ بها من أهل العلم قرناً بعد قرن(١).

أمّا اصطلاحه في الطّبقة فإنّه وإن كان مخالفاً لاصطلاح أبي العرب الذي تقدّم ذكره إلاّ أنّه يلتقي معه في أنّه متغيّر وغير ثابت، حيث إنّـه ذكر في القرن الأول الصّحابة ومن رَوى عنهم من أهل واسط من التّابعين(٢) فيكون مراده بهذا القرن إطلاقه المعروف وهو مائة سنة، وذكر في القرن الثّاني التّابعين ومن روى عنهم(٣) فيكون مراده به قريباً من إطلاقه في القرن الأوّل، أمّا أهل القرن الثّالث عنده فأكثرهم تُوفّوا في آخر القرن الثّاني، وقليل منهم توفّـوا في بدايـة القرن الثّالث(٤).

أمّا أهل القرن الرّابع فهم شيوخه الذين كتب عنهم الحديث(٥) وهم آخر طبقات الكتاب، وآخرهم وفاة فيمن ذكر وفياتهم هو علي بن عبدالله المتوفّى سنة ٢٥٨ هـ، مع العلم أنّ المصنف توفّي سنة **٢٩٢** هـ فلا يمكن أن يكون مقصده بالقرن الثّالث والقرن الرابع مائة عام، كما سار عليه في القرنين الأوّل والثّاني،

---

(١) انظر: تاريخ واسط ٣٥، ٤٧، (كل ما لم أشر إلى طبعته من هذا الكتاب فهو طبعة بغداد).

(٢) م. ن ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) م. ن ٨٥ ـ ١٥٠.

(٤) م. ن ١٥١ ـ ٢١٧، وانظر نماذج لوفياتهم في صفحات: ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٢٥٨، ١٦٤، ١٦٧.

(٥) م. ن ٢١٨ ـ ٢٩٢.

مع ملاحظة أنّه قد أورد في ثنايا كتابه روايةً أنّ القرن عشرون سنة[1]، وواضح أنّه لم يتقيد بذلك.

ـ ذكر كلّ من الكتابين ما ورد من فضائل حول المدينة التي يترجم لرجالها وطرفاً من أخبارها[2].

ـ ذكر كلّ منهما الصّحابة الذين دخلوا مدينته، غير أنّ صاحب تاريخ واسط زاد على ذلك فذكر بعض من لم يدخلها أيضاً لمناسبة رواية بعض تابعي أهل واسط عنه، وذلك مثل عائشة رضي الله عنها[3] فإنّها لم تدخل واسطاً قط؛ لأنّها توفّيت سنة ٥٨ هـ وقيل ٥٧ هـ[4]، بينما أنشئت مدينة واسط في عهد عبدالملك بن مَرْوان (٦٥ ـ ٨٦)، وذلك بين سنتي ٧٥ هـ و ٧٨ هـ [5].

وقد اهتم أبوالعرب بذكر جميع من وقف عليه ممّن دخل إفريقيّة والقيروان من الصّحابة الغزاة، وإن لم تكن لهم رواية عن الرّسول ﷺ، والصّحابة الغزاة الذين لهم رواية، ولهذا قال أبو العرب[6]: «وأنا مبتدىء... بذكر من دخلها من أصحاب رسول الله ﷺ ومن كان من الصحابة في غزواتها على ما سمعت من أهل العلم في ذلك وما بلغني».

أمّا بحشل فكانت عنايته بذكر من كانت له رواية عن الرّسول ﷺ وبعض ملازمة له، لأنّ واسطاً أنشئت في ظلّ الإسلام، فكان الاهتمام منصبّاً على من دخلها لنشر العلم، أو أسهم في ذلك عن طريق تلاميذه من أهلها وإن لم يدخلها، ولذلك قال بحشل[7]: «تسمية القرن الأوّل القادمين مدينة واسط من

(١) م. ن ١١٩.
(٢) انظر: تاريخ واسط ٣٥ ـ ٣٨، ط أبي العرب ١ ـ ١١.
(٣) انظر: تاريخ واسط ٧٨ ـ ٨٠.
(٤) انظر: الإصابة ٣٤٨/٤ ـ ٣٥٠.
(٥) انظر: مقدمة تاريخ واسط ٢١، ٢٢. معجم البلدان ٣٤٨/٥.
(٦) ط أبي العرب ١١، ١٢.
(٧) تاريخ واسط ٤٧.

صحابة رسول الله ﷺ ممّن خدمه ورآه ونقل حديثه وسمع كلامه»، وألاحظ أنّه لم ينبّه على أنّه سيذكر من لم يدخلها أيضاً، وقد فعل كما مرّ التّمثيل له بعائشة رضي الله عنها.

وقد كان لهذا الاعتبار أثره في ترتيب مادّة الكتابين، فبَحْشَل يذكر الصّحابيّ ويذكر تحته من روى عنه، بينما ذكر أبو العرب جملة من دخلها في الغزو ضمن الجيوش من الصّحابة، ثمّ فصّل القول فيهم بعد ذلك بذكر أسمائهم وبعض البيانات القليلة عنهم، وذلك في باب مستقلّ[1]. فكان منهج بحشل أخصّ بالجانب الحديثيّ، ومنهج أبي العرب أعمّ وذلك تبعاً لهدف كلّ منهما من إيرادهم، ولطبيعة بلد كلّ منهما.

- وإذا كان أبو العرب يكتفي غالباً ببيان شخصيّة الصّحابي، وقليلاً ما يورد بعض العناصر الأخرى لترجمته كما تقدّم، فإن صاحب تاريخ واسط يذكر اسم الصّحابي مع اسم أبيه، أو كنيته، وقد يذكر جدّه وما يتميّز به من نسبة إلى قبيلة أو ولاء ويبيّن اسم من عُرف بكنيته ونحو ذلك، ويجعل ذكر الصّحابي عنواناً يورد تحته بعض ما يرويه بسنده إلى تابعي أهل واسط من تلاميذ ذلك الصّحابي، كقوله: «من روى عن أبي عَسِيب مولى رسول الله ﷺ من أهل واسط»، وقوله: «من روى عن عبدالله بن أبي أَوْفَى، وأبو أَوْفَى اسمه علقمة، وعبدالله يُكنى أبا معاوية»، وقوله: «من روى من أهل واسط عن أبي سعيد الخُدْرِيّ واسمه سعد بن مالك بن سنان»[2].

وقد يذكر بعض ما تثبت به الصّحبة كالرّواية عن النّبيّ ﷺ، أو بالتّصريح بها عن بعض الرّواة، أو كونه من أهل الصُّفّة، أو كونه مولى لرسول الله ﷺ، أو كونه مؤذّن الرّسول ﷺ، ونحو ذلك[3].

---

(١) ط أبي العرب ٣ - ١٥، ١٦.

(٢) انظر: تاريخ واسط ٤٨، ٥٠.

(٣) انظر: تاريخ واسط ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٦٣.

وقد يورد بالرّواية ما فيه تصريح بدخول الصّحابي إلى واسط[1].

ـ وإذا روى عن الصّحابي رجال ونساء من أهل واسط قدّم ذكر حديث الرّجال أوّلاً ثمّ أتبعه بذكر حديث النّساء، كما هو الحال في ترجمة أنس بن مالك رضي الله عنه[2]. وقد تعقّبه الراوي عنه: أبو بكر محمد بن عثمان المعدّل في جماعة ذكرهم المؤلّـف على أنهم من الصّحابة، فاستدرك عليهم بأنّهم ليسوا كذلك[3].

ويقسم بَحْشَل ترجمة الصّحابي بحسب من روى عنه من تـابعي واسط، ولا يذكر لكل واحد منهم إلاّ حديثاً أو حديثين، وينبّه على ما إذا كان عنده عنه أكثر من ذلك[4].

وقد ذكر في كتابه ثلاثين صحابياً وتسع صحابيّات، وقد قدّم الصّحابة في الذّكر ثمّ ثنّى بالصّحابيّات، ولا يُعلم للصّحابيّات اللاّتي أوردهنّ دخول لواسط بل إنّ منهنّ من تُوفّيت قبل إنشاء هذه المدينة كما تقدّم، ولعلّه إنّما ذكرهن وصلة إلى ذكر من روى عنهم من تابعي أهل واسط.

ـ وفي القرن الثّاني ذكر بَحْشل التابعين، وجعل كلاّ منهم عنواناً لمن روى عنه من أتباع التّابعين من أهل واسط، وضمّ لكلّ رجل من الرّواة من كان له رواية من أهله، وإن كان دونه في السّنّ، واكتفى بذكر حديث لكـلّ منهم[5]، ومنهجه في ذكرهم نحو منهجه في أهل القرن الأول، وقد جعلهم طبقة واحدة أمّا أبو العرب فقد جعل التّابعين ثلاث طبقات كما تقدّم.

ـ أمّا أهل القرن الثّالث عند بَحْشَل فهم أتباع التّابعين من أهـل واسط الذين له رواية بأسانيده إليهم، وقد ضمّ إلى كلّ منهم من حـدّث من أهله[6]

(1) م. ن ٤٧، ٤٨.

(2) انظر: ص ٥٦، ٦٤.

(3) انظر: ص ٥٦، ٦٤.

(4) انظر مثلاً: ٦٤.

(5) انظر: ٨٥.

(6) انظر: تاريخ واسط ١٣٦ (ط بيروت).

واكتفى بذكر حديث واحد لكلّ راو، وقد توسّع قليلاً في عناصر ترجمة رجال هذا القسم والذي يليه كما سيأتي تفصيله.

ـ أما أهل القرن الرّابع فهم الرّواة الواسطيّون الذين تتلمذ عليهم مؤلّف الكتاب وكتب عنهم الحديث، وضمّ إلى كلّ منهم من كانت له رواية من أهله[١].

عناصر ترجمة القسمين الأخيرين:

إنه من اليسير ملاحظة التّوسّع الذي اشتملت عليه تراجم هذين القسمين بالنّسبة لأهل القسمين الأوّلين، وإن كانت عناصر تراجمهم لا تزال غير كافية بالنّسبة لما هو مطلوب، بالإضافة إلى عدم التزامه بهذا التّوسّع.

ـ لقد أكثر من ذكر تواريخ المولد والوفاة بالنّسبة لرجال القرنين الأخيرين وقد يذكرهما جميعاً[٢] وكثيراً ما يقتصر على ذكر الوفاة[٣]، وقد يذكر الوفاة مع اسم الرّاوي في العنوان[٤]، وغالباً ما يكون ذكره لها في أوّل الترجمة أو آخرها، وقليلاً ما يذكر الخلاف ولا يرجّح[٥]، فيلتقي في ذلك مع أبي العرب.

ـ ثمّ يذكر شيئاً من مناقب الرّاوي إن وجدت[٦]، وقد يذكر بعض أخباره الأخرى، مثل: مقرّ إقامته، وموضع وفاته، ونحو ذلك[٧]، وقد يذكر في الأثناء بعض النّواحي الاجتماعيّة والسّياسيّة لمدينته مع إقلاله في ذلك[٨].

---

(١) م. ن ١٩٦ (ط بيروت).

(٢) انظر: صفحات ١٥١، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٦١، ١٦٥، ٢١٨، ٢٢٠.

(٣) انظر: صفحات ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥.

(٤) انظر: صفحات ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨ (ط بيروت).

(٥) انظر: ص ٩٠.

(٦) انظر: ص ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١٥١، ١٧٠، ٢١٨.

(٧) انظر: ص ٩٢، ٩٣، ١١٤، ١١٥، ١٨٢، ٢٢٨، ٢٦١.

(٨) انظر: ١٠٢، ١٠٨، وانظر: ط بيروت ١٠٣، ١٠٩، ١١٠.

ـ كثيراً ما يسرد بَحْشَل أسماء تلاميذ الرّاوي من أهل واسط وهو لا يزيد غالباً على ذكر أسمائهم[1]، وقد يخصّهم في الذّكر بعنوان مستقلّ[2].

ـ وقد يذكر أسماء الشّيوخ أيضاً وإن كان مقلاّ في ذلك[3]، ولا يخفى ما في ذكر الشّيوخ والتلاميذ من الفائدة في تمييز شخصيّة الرّاوي عمّن يمكن أن يشتبه به.

ـ وبعد أن يروي حديثاً بسنده إلى صاحب التّرجمة يذكر من كان له حديث من أهله ـ إن وجد ـ كالابن وابن الأخ وابن الأخت ونحو ذلك[4]، وقد خالف في ذلك أبا العرب.

الصناعة الحديثية عند بحشل غير ما تقدّم ذكره:

توثيق الرّاوي: قليلاً ما يورد بحشل توثيقاً لصاحب التّرجمة بالرّواية عن غيره أو ابتداء منه، ويكتفي بلفظ «كان ثقة»[5]، وهو مقلّ في هذا، كما أنّه لم يورد جرحاً لأيّ واحد من الرّواة، مخالفاً في كلّ هذا لأبي العرب الذي أكثر من ذكر التّعديل والتّجريح بصيغ مختلفة، مع الاهتمام بناحيتي العدالة والضّبط كما تقدّم.

ـ **يذكر تعدّد طرق الحديث** الواحد أحياناً[6]، وذلك ما لم يفعله أبو العرب، كما ينبّه على اختلاف الأسانيد كزيادة راوٍ في أحدها[7] ويرجّح السند الصّحيح وإن كان مقلاّ في كلّ ذلك كقوله: «هذا غلط وحديث هُشَيْم أصحّهما»[8].

---

(١) انظر: صفحات ٨٦، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٧، ١٠٥، ١١١، ١١٧، ١٣١.

(٢) انظر مثلاً: ص ١١٨ (ط بيروت).

(٣) انظر مثلاً: ص ١٠٥، ١٢٦، ١٤١، ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٥.

(٤) انظر مثلاً: ص ٩٢، ١٥١، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ٢٧٧.

(٥) انظر: صفحات ١١٩، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ٢٠٣.

(٦) انظر: ص ١٢٩، ٢١٩، ٢٤٩.

(٧) انظر: ص ١٧٢.

(٨) انظر: ص ٦١.

ـ يصرّح باسم الراوي الذي ورد في السّند بكنيته مثل: «عن أبي الوَضِيء، قال أبو الحسن اسمه: عَبّاد بن نُسَيْب»[1].

ـ يوضّح شخصيّة بعض رجال الإسناد كقوله: «وعطاء هذا يُكنى أبا يزيد بن عطاء بن عبدالرحمٰن البَزَّاز، بزّاز الحجّاج بن يوسف، قدم به الحجّاج من البصرة»[2].

ـ يميّز بين المشتركين في الكُنية كقوله: «ليس هذا أبو فَزَارَة الكوفيّ، ذاك راشد بن كَيْسَان»[3].

ـ قد ينبّه على الحديث الذي ورد مرفوعاً وموقوفاً، ولا يرجّح[4].

ـ قد ينبّه على من انفرد الرّاوي بالأخذ عنهم[5].

وبالجملة فإنّ كتاب بحشل يمتاز بكثرة ما فيه من الحديث، وبعض اللّفتات المتعلّقة بعلوم الحديث وإن كانت قليلة، وكتاب أبي العرب أكثر فائدة في معرفة أحوال الرّواة من حيث الجرح والتّعديل، وأكثر توسّعاً في ذكر أخبار الرّاوي والأوضاع الإجتماعيّة والسّياسيّة التي عاشها وأثره فيها.

٥ ـ أهمّ مميّزات الكتاب وأثره والمآخذ عليه:

ـ يعتبر كتاب أبي العرب صورة موضحة للحياة العلميّة عامة، والمدرسة الحديثيّة خاصة في القيروان وإفريقيّة حيث حدّد هيكلها، وبناءها العام منذ نشأتها على يد الصّحابة إلى منتصف القرن الثّالث.

ـ وهو أهمّ كتاب وصل إلينا ـ ولو مختصراً ـ من كتاب رجال الأفارقة،

(١) ص ٥٩، وانظر: ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٣.

(٢) ص ٦٧، وانظر: ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ٩٩.

(٣) ص ٦٨، وانظر ٦٩.

(٤) ص ١٢٠ (ط بيروت).

(٥) ص ١٢١، ١٢٥.

والمصنّفون الذين جاءوا بعد أبي العرب عالة عليه في أخبار الرّجال الذين ترجم لهم وما يتعلّق بجرحهم وتعديلهم ووفياتهم ومرويّاتهم، وغير ذلك من أخبارهم، وقد نقل عنه أهل المشرق أيضاً واعتمدوه وخاصّة الحافظ ابن حجر في اللّسان والتّهذيب والإصابة(١) والحافظ الذّهبيّ في سير أعلام النّبلاء(٢).

ـ لقد احتفظ لنا الكتاب بترجمة أكثر من ثلاثين راوياً انفرد بذكرهم، ولم نجدهم في غيره من المصنّفات منهم ثلاثة من التّابعين وسبعة من الغرباء والبقيّة من أهل إفريقيّة(٣).

ـ اشتمل الكتاب على بعض الآراء والاستنتاجات للمؤلّف تمثّل جانباً من إسهام علماء تلك المدرسة في علم الرّجال وما يتعلّق به.

ـ كما عرّفنا الكتاب بدخول بعض المصنّفات المهمّة إلى إفريقيّة واسم المحدّث الذي أدخلها مثل موطأ الإمام مالك، وجامع سفيان الثّوري وغيرهما(٤)، ونقل عنه ذلك من جاء بعده من المصنّفين.

ـ وحفظ لنا أسماء بعض الوافدين على القيروان ومن سمع منهم من أهلها.

ـ يعطينا الكتاب من خلال التّراجم صورة حيّة عن الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة لما اشتمل عليه من أخبار مهمّة في هذه الجوانب تتصّل بالرّواة وصِلاتهم بالنّاس والسّلطان وآثارهم في الحياة، ونحو ذلك وهو جانب مهمّ يمتاز به على كثير من كتب التّراجم المتقدّمة.

---

(١) انظر: اللسان ٢/٦٨، ٣/٨، ٢٣٣، ٤/٣٨٢، ٦/٢٦١، التهذيب ١/٤٨٤، ٢/٧٩، ١٧١، ٥/٣٣٢، ٣٥٦، ٦/١٦٨، ١٧٥، ١٧٦، ٤١٨، الإصابة ١/٣٧٢.

(٢) انظر: سير أعلام ٢/٦٨، ١٠٨، ١٣/٦٣، ١٤/٢١٥.

(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٣، ٢٤، ٤٣، ٦٢، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٤) انظر: ط أبي العرب ٥٢، ٧٢، ٧٨، ٢٥١، ٢٥٢.

أمّا المآخذ فأهمّها أنّه شان كتابه، وهو الحافظ المحدّث، حين صدّره بذكر فضائل إفريقيّة وجلّها منكر وموضوع ولم ينقدها، ولعلّ ممّا يخفّف من هذه السّلبيّة أنّه أورد تلك الأخبار مسندة، وفي ذكر السّند إظهار لحاله عند ذوي الشّأن، ولكن كان عليه أن يبيّن حالها، حيث قرّر النّقاد أنّ الحديث الموضوع لا يكتب إلا للتّنبيه على وضعه ليحذره النّاس(١).

وكما أنّه وهم حين عدّ المطّلب بن السّائب بن وَدَاعة في التّابعين وهو صحابيّ(٢) وعدّ بعض أتباع التّابعين في التّابعين مثل المغيرة بن سلمة(٣). كما أنّه ذكر بسنده بعض المعلومات البعيدة الحدوث ولم ينقدها، مثل ما رواه من أنّ حرمة الخمر لم تعرف في إفريقيّة إلا مع بعثة عمر بن عبدالعزيز العلميّة(٤).

٦ ـ مصادر أبي العرب في طبقاته:

استقى أبو العرب مادّته العلميّة من ثلاثة أنواع من المصادر هي:

أ ـ شيوخه الذين شافهوه، وقد بلغت عدّتهم في هذا الكتاب ٣٨ شيخاً، منهم من أكثر من الرّواية عنه حتّى لا تكاد تخلو منه صفحة، ومنهم من لم تزد الرّواية عنه عن الخبر والخبرين، وأهمّ هؤلاء الشّيوخ من حيث كثرة المادّة التي رواها عنهم في الكتاب، هم:

ـ فُرات بن محمد العَبْدِيّ، روى عنه في ٤٦ موضعاً(٥).

ـ أحمد بن يزيد القُرَشِيّ، روى عنه في ٢٢ موضعاً(٦).

---

(١) انظر: التقريب والتدريب ١/٢٧٤.
(٢) انظر: ط أبي العرب ١٨.
(٣) انظر: ط أبي العرب ٢٤، وانظر ترجمته في: التهذيب ١٠/٢٦١.
(٤) ط أبي العرب ٢١، وسبق نقد هذه الرواية ص ٣٥٦، ٣٥٧.
(٥) انظر مثلاً: صفحات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، وقد مرت ترجمته تحت رقم ٢٨.
(٦) انظر مثلاً: ١٩، ٥١، ٩٢، ٩٣، سبقت ترجمته رقم ٣.

ـ جَبَلة بن حَمُّود الصَّدَفِيّ، روى عنه في ١٥ موضعاً[١].

ـ بَكر بن حَمَّاد التَّاهَرْتِيّ، روى عنه في ١٣ موضعاً[٢].

ب ـ كتب نقل عنها وذكر أسماءها: صرّح أبو العرب باسم مصدرين فقط من الكتب التي استفاد منها وهما:

ـ كتاب أبو بكر السُّوسِيّ[٣]، ويبدو أنّه في المغازي والتّاريخ استناداً إلى المادّة المنقولة منه.

ـ كتاب سليمان بن سالم[٤]، وقد ذكرت المصادر لسليمان هذا كتابين، أحدهما في الفقه يُعرف بالسُّليمانيَّة نسبة إليه، والثّاني كتاب مجالس سليمان، ومادّته متنوّعة، فيحتمل أن يكون أبو العرب قد استعمل أحد هذين الكتابين أو كتاباً آخر لم يصلنا اسمه.

جـ ـ كتب نقل عنها واكتفى بذكر مؤلّفيها: وهي ثمانية كتب.

ـ كتاب لعبد الله بن وهب[٥].

ـ كتاب لإسحٰق بن أبي عبدالملك المَلْشُونِيّ[٦].

ـ كتاب لعيسى بن محمد بن أبي المُهاجِر القرويّ، ولا شكّ أنّه كتاب «فُتوح إفريقيّة»؛ إذ لم يعرف له غيره[٧].

---

(١) انظر مثلاً: ٦، ٢١، ٢٩، ٣٢، وانظر ترجمته في: الرياض ٢/٢٧، الشجرة ١/٧٣، المعالم ٢/٢٧٠.

(٢) انظر مثلاً: ٣٧، ٨١، ٩١، وانظر: ترجمته رقم ٢ في المهاجرين.

(٣) انظر: ص ١٥، ١٨.

(٤) ص ٧٥، وانظر: ترجمة سليمان في المدارك ٣/٢٣٣، المعالم ٢/٢٠٦.

(٥) انظر مثلاً: ٣، ٤، ٨، ٩، ١٥، ١٦.

(٦) انظر: ص ٨، ٩، وانظر: ترجمته عند أبي العرب ص ٩٨.

(٧) انظر: ص ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، وانظر: ترجمته عند أبي العرب ١٢٠.

ـ كتاب لمحمد بن عمر الواقديّ القاضي، المشهور صاحب المغازي، ولعلّ أبا العرب ينقل عن كتاب المغازي نفسه لتعلّق المادّة المنقولة عنه بذلك[1].

ـ كتاب ليحيى بن معين، ولعلّه تاريخه في الرّجال[2].

ـ كتاب للإمام أحمد بن حَنْبل برواية ابنه عبدالله[3].

ـ كتاب لأبي بكر محمد بن محمد بن اللّبّاد، وقد أكثر من النّقل عنه[4].

ـ كتاب لأبي عثمان سعيد بن الحدّاد، وقد أكثر من النّقل عنه، وأحياناً ينقل عنه بواسطة كتاب ابن اللّبّاد[5].

٧ ـ خدمة الكتاب:

طُبع الكتاب طبعتين، وما زال يحتاج إلى مزيد من العناية:

ـ نشره محمد بن أبي شَنَب الجزائرِيّ (ت ١٩٢٩ م) في كتاب واحد مع طبقات الخُشَنِيّ كما هما في المخطوط، وذلك سنة ١٩١٤ م، ولم يزد على ما في المخطوط ونشره، وقد طبع الكتاب بفرنسا، ثمّ صورته دار الكتاب اللّبناني ونسبته لنفسها.

ـ ثمّ حقّقه علي الشّابّيّ ونعيم اليَافِيّ، وطبع في الدّار التونُسيّة للنّشر سنة ١٩٦٨ م، وقد بذلا في تحقيقه جهداً مشكوراً إلا أنّهما أغفلا الترجمة لبعض الأعلام لعدم عثورهما عليها، كما توجد في الكتاب بعض الهنات البسيطة

---

(١) انظر: ص ١٢، ١٤، ١٨، وانظر: ترجمته في التهذيب ٩/٣٦٣.

(٢) انظر: ص ٢٥، ٢٧. (٣) انظر: ص ٢٤.

(٤) انظر مثلاً: ٢٨، ٤٤، ٤٥، ٤٧، وانظر: ترجمة أبي بكر في الرياض ٢/٢٨٣، المعالم ٣/٢١.

(٥) انظر مثلاً: ٣٥، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، وقد سبقت ترجمة ابن الحداد رقم ١٥.

المتعلّقة بالرّجال ناتجة عن عدم تخصّص المحقِّقَيْن في الحديث وعلومه[1]، وينقص ذلك من قيمة جهدهما.

الكتـــاب الثّانـــي:

١ ـ **عنوانه**: طبقات علماء تونُس لأبي العرب التَّمِيمي (ت ٣٣٣) وهو تابع لطبقات علماء إفريقيّة الذي سبق ذكره، كما سيأتي.

٢ ـ **موضوعه**: ترجم أبو العرب في هذا الكتاب لمن كان بمدينة تونُس من الفقهاء والمحدّثين منذ ظهور العلم بها إلى سنة ٢٤٢ هـ، ويـرد هنا نفس التّساؤل الذي مرّ عند الحديث عن طبقات علماء إفريقيّة، إذ إنّ الفاصل الزّمنيّ بين وفاة آخر مترجّم ووفاة أبي العرب تصل إلى ٩١ سنة.

٣ ـ **تبعيّة هذا الكتاب لطبقات علماء إفريقيّة**: إن محمد بن أبي شَنَب أوّل ناشر للكتاب هو الذي سمّى هذا الجزء طبقات علماء تونُس، ممّا يوهم أنّه كتاب مستقلّ، ثم جاء على الشّابّيّ وزميله فدمجـا في عنوان الكتـاب بين التّسميتين وسمّياه «طبقات علماء إفريقيّة وتونُس»، والذي ترجّح لديّ أنّهمـا كتاب واحـد وذلك للأمور التّالية:

أ ـ لقد استقصيت مواضع ترجمة أبي العرب في المصادر فلم أجد من نسب إليه كتاباً باسم طبقات علماء تونُس.

ب ـ لقد عنون أبو العرب لهذا الجزء بقوله: «ذكر علماء أهل تونُس»[2]، وهذا العنوان يدلّ على أنّ ما سيأتي إنما هو استئناف وبناء على ما تقدّم ولا يدلّ

---

(١) من ذلك مثلاً اعتبارهما أن أحمد بن يزيد القرشي هو أحمد بن يزيد الحراني المذكور في التهذيب ١/٩٠، انظر: طبقات أبي العرب ٨٣، وراجع ما تقدم ص ٣٨٦.
(٢) انظر: طبقات أبي العرب ٢٤٥.

على استهلال كتاب مستقلّ فكأنه قال: «سأذكر علماء تونُس بعد أن انتهيت من ذكر علماء القيروان.

جـ ـ إنّ الطَّلَمَنْكِيّ مختصر الكتاب والعارف بأصل وضعه قد عنون لهذا الجزء بقوله: «الحزء السابع من كتاب علماء إفريقية تأليف أبي العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِيّ»[(١)].

د ـ ينتهي الجزآن في نفس المدّة الزّمنيّة حوالي منتصف القرن الثّالث ممّا يدلّ أيضاً على تكاملهما.

وبهذا يتبيّن أنّ ما سُمّي طبقات علماء تونُس ما هو إلاّ جزء تابع ومتمّم لكتاب طبقات علماء إفريقيّة.

٤ ـ **منهج أبي العرب في هذا الجزء**: بعد دراسة هذا الجزء تبيّن لي أنّ المؤلّف سار فيه على نفس منهجه في الجزء السّابق، ولا غرابة في ذلك فهما يؤلّفان كتاباً واحداً كما تقدّم، فلا فائدة أذاً في تكرار ملامح هذا المنهج، وسأكتفي بإشارة عابرة للتّعريف بهذا الجزء.

اشتمل هذا القسم على تسع تراجم تمتاز نسبيّاً بالطّول إذا قيست بتراجم الجزء الخاص بالقيروان، ويبدو أنّ أبا العرب قد انتقاها من جملة علماء تونُس أو انتقاها الطَّلَمَنْكِيّ مختصر الكتاب، إذ إنّ جميعهم ممّن اشتهر بحمل العلم، مثل خالد بن أبي عِمْران وعليّ بن زياد، وعبدالملك بن أبي كَرِيمة[(٢)] ونحوهم:

وقد اهتمّ أبو العرب، بالإضافة إلى ما سبق من منهجه، بالإشارة إلء من دخل القيروان من هؤلاء العلماء[(٣)]، ومن ارتحل إليه من أهلها للسّماع منه[(٤)]، أمّا

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٤٤.

(٢) انظر: صفحات ٢٤٥، ٢٥١، ٢٤٧.

(٣) انظر: ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥.

(٤) انظر: ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٦.

فيما عدا ذلك فقد سار على نفس النّسق الذي اتبعه في علماء إفريقيّة، من حيث بيان اسم الرّاوي وشيوخه وتـلاميذه ورحلتـه ومن التقى بهم فيها والكتب التي أدخلها، ومنزلته من حيث الجرح والتّعديل ونحو ذلك[1].

الكتـــاب الثّالـــث:

١ ـ **عنــوانـه**: طبقــات علمـاء إفــريقيـة لمحمــد بن حــارث الخُشَنِيّ (ت ٣٦١)[2].

٢ ـ **موضوعه**: اشتمل هذا الكتاب على تراجم المحدّثين والفقهاء والقضاة والنُّظّار من أهل القيروان، واهتمّ فيه مؤلّفه بذكر من امتُحن أو دخل في دعوة العُبيديّين منهم ويعتبر الكتاب في بابيـه الأوّل والثّاني تتمّـة لكتاب شيخـه أبي العرب، فإنّه ابتدأ من حيث انتهت نسخة طبقات أبي العرب التي أخذها عنه، حيث إنّ نهايتها كانت حوالي منتصف القرن الثّالث، كما سبق ذكره، فكانت أوّل ترجمة عنده هي ترجمة محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[3]، وانتهى فيه إلى حوالي سنــة ٣٤٠ هـ، أمّـا فيمــا يخصّ القضـاة والممتحنين والنُّــظّار (المنـاظــرون والمتكلّمون) فقد ابتدأهم الخُشَنِيّ من حيث وصل إليه علمه؛ إذ إنّ أبا العرب لم يفردهم بالذّكر، وإنما كان يشير إلى المحن في ثنايا بعض التّراجم.

٣ ـ **منهجه**: لقد صنّف الخُشنيّ كتابه على نظام الطّبقات كما صرّح بذلك في كتابه[4] وقد سلك فيه المنهج التّالي:

---

(١) انظر مثلاً: ترجمة خالد بن أبي عمران ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) انظر: ترجمته في سير أعلام ١٦/١٦٥، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٠١، المعـالم ٣/٨١، الشجرة ١/٩٤، طبقات الحفاظ ٣٩٨، الديباج ٢٥٩، الإكمال ٣/٢٦١.

(٣) انظر: ط الخشني ١٢٩.

(٤) انظر: ط الخشني ١٨٠.

أ ـ ترتيبه العام: قسم الخُشَنِيّ كتابه إلى ستّة أبواب، سرد التّراجم في كلّ منها وفق نظام الطّبقات:

ـ الباب الأول[1]: ذكر فيه المدنيّين، وهم أتباع المذهب المالكيّ من القيروانيّين والأفارقة، وقد قسمهم إلى طبقتين وذكر فيهما ٧٧ ترجمة.

ـ الباب الثّاني[2]: ذكر فيه العراقيّين وهم الأحناف والمعتزلة، وعدّتهم ٢٥ رجلاً.

ـ الباب الثّالث[3]: ذكر فيه من عرف بالمناظرة والجدل، وقد قسمه إلى قسمين، اشتمل الأوّل على ترجمة ١٨ رجلاً من المدنيّين الذين ناصروا السُّنّة ونافحوا عنها بالمناظرة والجدل، وخصّص القسم الثّاني للعراقيّين الذين يجادلون في الرّؤية، ومسألة خلق القرآن ونحو ذلك وهم عشرة رجال.

ـ الباب الرّابع[4]: ذكر فيه من استخفّه الرّافضة فدخل في دعوتهم، فذكر أوّلاً المدنيين وهم خمسة، ثم ذكر العراقيّين وهم أحد عشر رجلاً.

ـ الباب الخامس[5]: ذكر فيه من امتُحن من قبل الحكّام من علماء القيروان، بسبب مناصرتهم للسُّنّة وذودهم عنها، وهم عشرون عالماً.

ـ الباب السّادس[6]: وقد خصّصه لمن تولّى قضاء القيروان، فذكر فيه ٢٨ قاضياً كرّر منهم اثنين تولّى كلّ منهما القضاء مرّتين، وبالمقارنة بما ذكره محمد الجوديّ في تاريخ قضاة القيروان، وجدتُ أنّ الخُشَنِيّ سها عن ذكر أربعة من القضاة.

---

(١) انظر: ص ١٢٩، ولم يعنون للباب وإنما ذكر اسمه في آخره ص ١٨٠.

(٢) ص ١٨٠.

(٣) ص ١٩٧.

(٤) ص ٢٢٣.

(٥) ص ٢٢٧.

(٦) ص ٢٣٣.

نتيجة هذا التّقسيم:

لقد نتج عن هذا النّوع من التّقسيم تكرار كثير من التّراجم في عدّة مواضع؛ لأنّ الشّخص الواحد يمكن أن يكون مدنيّاً وقاضياً ومناظراً ويتعرّض لمحنة من قبل السّلطان فيضعه في كلّ هذه المواضع[1]، ويذكر في كلّ موضع المعلومات التي تناسبه، وقد تتبّعت هذه المكرّرات فوجدتها تصل إلى ٤٠ ترجمة، وهو عدد كبير بالنّسبة لحجم الكتاب.

كما أنّ هذا التّقسيم أوقعه في نوع آخر من التّكرار وهو أنّه أعاد التّرجمة لعشرة من الرّواة سبق أن ترجم لهم أبو العرب[2]، وقد وقع هذا التّكرار في الأبواب الأربعة الأخيرة التي لا تمثّل تتمّة كتاب أبي العرب، ولعلّه من المفيد أن أنبّه إلى أنّه لم ينفرد بذلك فإن محمد بن سعد (ت ٢٣٠) قد حدث منه هذا في طبقاته الكبرى المعروفة، حيث نجده مثلاً يترجم لعلي رضي الله عنه في البدريّين من المهاجرين، وفي من نزل الكوفة من الصّحابة[3].

ب ــ **أهمّ عناصر التّرجمة عنده**: وما سأذكره قلّما يجتمع في ترجمة واحدة، كما أنّ المؤلف لم يتبع في ذلك ترتيباً معيّناً.

١ ــ ذكر اسم الرّاوي ونسبه: وهو أوّل ما يذكره في التّرجمة، غير أنّه لم يحافظ في ذلك على نمط واحد فقد يذكر اسم الرّاوي واسم أبيه فقط[4] وقد

---

(١) من ذلك أنه ذكر عبدالله بن أحمد بن طالب في المدنيين ص ١٣٦ وفي أهل النظر ص ١٩٨ وفي من دارت عليه محنة ص ٢٢٨ وفي القضاة ص ٢٣٦.

(٢) مثل ترجمة البهلول بن راشد (ط الخشني ٢٢٧، وترجمة أسد بن الفرات (ط الخشني ٢٣٥).

(٣) انظر: الطبقت الكبرى لابن سعد ١٩/٣، ١٢/٦.

(٤) انظر مثلاً: ١٢٩، ١٤٢.

يضيف الكُنية[1] أو النّسبة[2] أو اللّقب[3] أو اسم الجدّ[4]، وربما اكتفى بالاسم[5] فقط.

٢ ـ ذكر شيوخ الرّاوي: يذكر الخُشَنِيّ شيوخ الرّاوي بعد ذكر اسمه ونسبه غالباً، وهو يعدّد بعض شيوخ الرّاوي في بلده وبعض شيوخه في رحلته، غير أنّه لا يستقصي[6]، وكثيراً ما يُغفل ذكرَ الشّيوخ[7].

٣ ـ تسمية التّلاميذ: إنّ اهتمام الخُشَنِيّ قليل بذكر تلاميذ الرّاوي، ومن عادته أن يشير إلى ذلك بصفة إجمالية، كأن يقول: «سمع منه غير ما رجل من رجال القيروان» أو «وهو اليوم يُقرأ عليه كتبه»[8]، وإذا كان الرّاوي من شيوخه فإنّه يذكر تتلمذه عليه، كقوله في ترجمة أبي عثمان الخَوْلَانِيّ: «كتب عنه حديثا كثيراً»[9].

ومن فوائد ذكر الشّيوخ والتّلاميذ ما سبق أن ذكرته من تمييز شخصيّة الرّاوي عمّن يمكن أن يشتبه به.

٤ ـ بيان رحلة الرّاوي: له اهتمام بذكر رحلة الرّاوي وشيوخه فيها والبلاد التي دخلها وما سمعه الرّاوي في رحلته ونحو ذلك، فيقول مثلاً: «رحل حاجّاً فسمع بمصر حديثاً كثيراً»[10]، «حجّ فلقي ابن عبدالحكم ويونس بن عبدالأعلى»[11]، «رحل فلقي بمصر يونس بن عبدالأعلى ورحل إلى الصعيد إلى

(١) ١٣٦، ١٤٧، ١٦٤.
(٢) انظر مثلاً: ١٤١، ١٤٣، ١٥١.
(٣) انظر مثلاً: ١٤٤، ١٥٢، ١٨٠.
(٤) انظر مثلاً: ١٣٣، ١٣٨.
(٥) انظر مثلاً: ١٧٥، ١٩٣.
(٦) انظر مثلاً: ١٢٩، ١٣٤، ١٤٢، ١٥٩.
(٧) انظر مثلاً: ١٣٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦.
(٨) ١٤٧، ١٧٧.
(٩) ص ١٦٦.
(١٠) ص ١٧١.
(١١) ط الخشني ١٣٦.

محمد بن سنجر»[1] وقد يذكر الكتب التي أدخلها الرّاوي في رحلته[2]، وإذا لم يكن للرّاوي رحلة فإنّه قد ينبّه إلى ذلك، وربما ذكر سببه كما قال في ترجمة سعيد بن الحدّاد: «لم يرحل ولا حجّ لأنّه كان رجلاً فقيراً»[3].

٥ ـ ذكره للوفيات: إنّ اهتمامه بها قليل في الغالب، وأكثر من دوّن وفياتهم هم من شيوخه أو أقرانه[4]، وذلك هام لصلته المباشرة بهم فيكون ما يثبته حجة عند الاختلاف.

٦ ـ منزلة الرّاوي من معرفة الحديث: كثيراً ما يشير الخُشَنِيّ إلى ذلك فيقول مثلاً: «سمع حديثاً كثيراً»، «كان قبله حديث»، «تغلب عليه الرّواية والجمع للحديث»، «وكان بصيراً بالحديث وعارفاً بالرجال»، «سمع بعض الحديث»[5]. . .

٧ ـ الإشارة إلى مصنّفات الرّاوي والكتب التي يرويها: كثيراً ما يذكر الخُشَنِيّ مؤلّفات صاحب التّرجمة كقوله في ترجمة يحيى بن عمر: «له أوضاع[6] كثيرة في أصول السّنن على معاني الآثار وما أتى فيها من الأخبار، ككتاب الصّراط والميزان والنّظر إلى الله تبارك وتعالى. . .»[7]، وقد يذكر الكتب التي سمعها الرّاوي كقوله في ترجمة أبي جعفر بن زياد: «سمع من محمد بن يحيى بن سلّام تفسير القرآن وسمع من ابن تَمِيم القَفْصِيّ كتب أنس بن عياض»[8].

---

(١) ط الخشني ١٤٢، وانظر: ١٣٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٥.
(٢) انظر: ص ١٦٨، ١٧٣.
(٣) ط الخشني ١٤٨.
(٤) انظر مثلاً: ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨.
(٥) انظر: هذه النقول في صفحات ١٣٤، ١٤١، ١٥٢، ١٧١، ١٤٨.
(٦) أي مصنّفات.
(٧) ط الخشني ١٣٥، وانظر: ١٣٣، ١٥٠، ١٦٨، ١٧٥، ٢١٧، ٢١٩.
(٨) ط الخشني ١٦٨.

٨ ــ الإشارة إلى من رمي ببدعة: كثيراً ما ينبّه الخُشَنِيّ على من رُمي ببدعة من الرّواة كقوله: «كان يقول بخلق القرآن»[١]، بل إنّه خصّص باباً ذكر فيه من دخل في بدعة العُبَيديّين وضلالهم[٢]، وهو يذكر في التّرجمة لهم اسم الشّخص، وسبب تشرّقه كالفقر، والتّشوّف إلى المناصب، والخوف منهم، ونحو ذلك، وقد يذكر المنصب الذي تبوّأه مقابل تشرّقه[٣] كالقضاء والكتابة.

وفي مقابل ذلك فإنه أحياناً يشير إلى كون الرّاوي صاحب سنّة[٤].

وقد تقدّم بيان صلة هذه المسألة بتعديل الرّاوي، كما أنّها تفيد في بيان اتّجاه العالم والثّقة بعلمه.

٩ ــ العناية بذكر مذهب الرّاوي في الفقه: دأب الخُشَنِيّ في كتابه على الفصل بين المالكيّة والأحناف، وهما أتباع المذهبين السّائدين في القيروان، فأغناه ذلك عن ذكر مذهب الرّاوي عند كل ترجمة، وقد يشير إلى أتباع المذهب الشّافعي، وهم قلّة بالقيروان[٥].

١٠ ــ ذكر محنة الرّاوي: اهتمّ الخُشَنِيّ كثيراً بأخبار الممتحنين في مسألة خلق القرآن وفي فتنة العُبَيديّين كما تقدّم في التّمهيد، فكان ينبّه على ذلك في ثنايا التّراجم ويذكر الصّراع بين المدنيّين والعراقيّين والمحن النّاتجة عنه[٦]، ثمّ خصّص للممتحنين باباً ذكر فيه محنهم وأسبابها وأوصافها، كالضّرب والسّجن والقتل[٧].

(١) ط الخشني ٢١٩، وانظر: ١٩٥، ٢٢١.
(٢) ط الخشني ص٢٢٣.
(٣) يقال لمن دخل في دعوة الرّافضة تشرق لكون داعيتهم جاء من المشرق، وقد تقدم بيان ذلك في التمهيد.
(٤) انظر: ط الخشني ١٤٤، ١٥٩، ١٩٢.
(٥) انظر: ط الخشني ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧.
(٦) انظر: ط الخشني ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٣٩، ١٦٨، ١٨٧.
(٧) انظر: ط الخشني ٢٢٧ ـ ٢٣٣.

١١ ــ التّراجم الأثنائيّة: «كثيراً ما يتعرّض الخُشَنِيّ خلال ترجمة راوٍ للتّعريف بآخر لعامل يربط بينهما كالبنوّة والأخوّة أو الاشتراك في الطّلب ونحو ذلك، مثل جمعه بين محمد بن عَبْدُون وأخيه إسحٰق، وجمعه بين أحمد بن وهب وابنه جعفر، وجمعة بن حِمَاس بن مروان ومحمد بن بَسِيل لأنّ كلًّا منهما يشبه الآخر في الطّلب على سحنون في سنّ مبكّرة»(١).

١٢ ــ الإحالة على بقيّة كتبه: إذا تعرّض في ترجمة الرّاوي لخبر ذكره في بعض كتبه الأخرى، أو ذكر عنه أخباراً أخرى في كتاب آخر فإنّه يحيل عليه كقوله في ترجمة حَمْدِيس القطّان: «وقد ذكرت في كتاب التّعريف من أخباره ما لم أذكره في هذا الكتاب»(٢).

١٣ ــ جوانب أخرى لشخصيّة الرّاوي: كثيراً ما يذكر الخُشَنِيّ عبادة المترجم له وزهده وتواضعه وبذله وكرمه والثّناء عليه وبروعه في علم المناظرة، وتولّيه للقضاء وشيئاً من سيرته فيه وغير ذلك.

جـ ــ مصادره: لم يفصح الخُشَنِيّ عن مصادره في هذا الكتاب، ولم يذكر فيه إلّا شيخاً واحداً، ولعلّ السّبب في ذلك أنّ أكثر الذين ترجم لهم فيه هم من أقرانه أو من الطّبقة التي سبقته أي طبقة شيوخه، فيكون هو نفسه مصدراً لأخبارهم، وهذا من مميّزات كتابه كما قدّمت.

وشيخه الذي نقل عنه في هذا الكتاب هو أبو العرب محمد بن اللّبّاد (ت ٣٣٣)(٣)، وقال مرّة: «أخبرني بعض الشّيوخ»(٤)، كما أنّه استفاد من طبقات أبي العرب، وقد صرح بذلك في عدّة مواضع(٥).

---

(١) انظر: صفحات ١٣٣، ١٩٤، ١٥٣.
(٢) ط الخشني ص ١٤٥، وانظر: ١٤٦، ١٥٤، ٢١٣، ٢٣٧.
(٣) انظر: ص ١٨٠.
(٤) انظر: ص ١٨١.
(٥) انظر: ١٩٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥.

٤ ـ مقارنة بين طبقات الخُشَنِيّ وطبقات أبي العرب:

كتاب أبي العرب أكثر فائدة بالنّسبة للمشتغلين بالحديث وعلومه؛ فهو يمتاز على كتاب الخُشَنِيّ بالتّنبيه على أحوال الرّواة من حيث الجرح والتّعديل كما أنّه أكثر توسّعاً في ذكر الشّيوخ والتّلاميذ، مع اهتمامه بالوفيات، وذكره للوافدين على القيروان ومن سمع منهم وغير ذلك.

٥ ـ أهم مميّزات طبقات الخُشَنِيّ والمآخذ عليه:

امتاز الكتاب بذكر العلماء المخالفين في المذهب كالأحناف والشّافعية، وهو أول من جمع قضاة القيروان، وأوّل من نبّه على من انتحل النّظر والجدل من أهل القيروان من المدنيين وغيرهم، ونبّه على من تعرّض من أهلّها لمحنة ومن دخل في دعوة العُبَيديّين.

كما امتاز أيضاً بأنّه المصدر المباشر في التّعريف بعدد كبير ممّن ترجم لهم، فتكون معلوماته عنهم دقيقة وموثوقة.

ويؤخذ عليه وهو المحدّث الحافظ عدم الاهتمام بذكر منزلة من ترجم لهم من حيث الجرح والتّعديل، وعدم التّوسّع في ذكر الشّيوخ والتّلاميذ وقلّة الاهتمام بذكر الوفيات، كما أنه لم ينبّه على الوافدين إلى القيروان في الفترة التي ترجم لرجالها حيث لم يذكر منهم إلا واحداً فقط[1]، ولعلّ السّبب في كلّ ذلك يرجع إلى أنّ الخُشَنِيّ صنّف كتابه هذا في الأندلس، بعيداً عن موطن الرّواة الذين يترجم لهم، فلا يجد مصادر تذكر وفياتهم وشيوخهم ونحو ذلك، ويصعب على الذّاكرة أن تستحضر كلّ هذه المعلومات.

٦ ـ خدمة الكتاب: نشر الكتاب مرّة واحدة، حيث أخرجه محمد بن أبي شَنَب الجزائريّ سنة ١٩١٤ م مع طبقات أبي العرب، وقد تقدّم أنّ ابن أبي شنب

---

(١) انظر: ص ١٧٣.

لم يزد على إظهار الكتاب إلى النّور دون أن يبـذل فيه جهداً، فالكتاب ما يزال بحاجة إلى عناية ولعلّ الله ييسّر لي تحقيقه قريباً.

الكتـــاب الرابــع:

١ ـ تسمية الكتاب، ومؤلّفه: طبقات المالكي، وهو:

«رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة زهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم».

ومؤلّفه هو أبو بكر عبدالله بن محمد المالكيّ القيرواني[١]، وهو فقيه محدّث ومؤرّخ أخذ عن كبار شيوخ عصره مثل أبي بكر أحمد بن عبدالرحمٰن الخَوْلَانِيّ (ت ٤٣٢)، وكان عبدالله هو قاريء حلقته كما في المعـالم، وسمع من أبي عبدالله محمد بن عَبَّاس الخَوَّاص (ت بعد ٤٢٦)، وقد رحل إلى صِقِلِّيَّة[٢] وبقي بها مدّة، وحدّث بها، وهو أحد من بقي بالقيروان بعد خرابها[٣]، وقد أثنى عليه المصنّفـون، ووثّقه تلميـذه المحـدث الكبيـر الإمـام محمـد بن علي المَـازِرِيّ (ت ٥٣٦) حيث قال فيه: «وعن الشّيخ أبي بكر المالكيّ، وقد شهدنا من فضله ودينه وجلاله وعلمه بالأخبار ما يحصل الثّقة في أنفسنا بما يحكيه...»[٤].

ورغم اهتمام المالكيّ بالتّرجمـة لعلماء القيـروان فإنّـه لم يجد من يهتمّ بترجمته؛ لأنّه من أولئك الذين ضاعت معالم شخصيّاتهم بسبب خراب القيروان واضمحلال حضارتها، أمّا وفاته فكانت بعد سنة ٤٦٤ هـ[٥].

---

(١) انظر عنه: الشجرة ١/١٠٨، المعالم ٣/١٩٠، الإمام المازري ٧٩، مقـدمة الـرياض لحسين مؤنس ٣٠، مقدّمة الرياض للبكوش ١٨.

(٢) انظر: الرياض ٢/١٩٨.

(٣) المعالم ٣/١٩٠.

(٤) الإمام المازري ٧٩.

(٥) انظر: مناقشة تاريخ وفاته في مقدمة الرياض ١٩.

وكان حقّه أن يذكر مع المحدّثين غير أنّ المادّة العلميّة حوله كانت سبباً في استبعاده، كما هو الحال بالنّسبة لكثيرين أمثاله، وقد أشرت إلى ذلك في بداية التّرجمة لمحدّثي القيروان[1].

٢ ـ **موضوعه والغرض من تأليفه**: اشتمل الكتاب على تراجم من دخل إفريقيّة من الصّحابة والتّابعين ومن كان بها من الفقهاء والمُحَدّثين والقرّاء والعُبّاد والمرابطين، منذ الفتح الإسلاميّ إلى سنة **٣٥٦** هـ[2]، وهذا يعني أنّ الكتاب لم يصل إلينا كاملاً فقد تقدّم أنّ المؤلف توفّي بعد سنة **٤٦٤** هـ فلا يمكن أن يغفل رجال أكثر من قرن من الزّمان، وممّا يؤكّد هذا وجود نقول عن الرّياض في ترتيب المدارك تخصّ أعلاماً عاشوا بعد الفترة التي توقّفت عندها النّسخة الواصلة إلينا منهم مسرّة بن مسلم (ت **٣٩٣**)[3] وعلي بن أحمد المَعافِريّ (ت **٣٩٥**)[4] وعَمْرُون بن محمد السُّوسِيّ (ت **٣٩٥**)[5]، بل إنّ القاضي عياض قد نقل في الإلماع عن الرّياض خبراً يتعلّق بشخص كان يعيش في النصف الثّاني من القرن الخامس[6].

كما أنّ ناسخ النّسخة الواصلة إلينا قال في نهايتها: «هذا آخر ما وجدته من كتاب رياض النّفوس...»[7] فكأنّ النّاسخ يعلم وجود بقيّة للكتاب لم يعثر عليها.

ويؤيّد هذا ما سبق ذكره من النّقول عن الرّياض لأشخاص عاشوا في آخر القرن الرّابع وبعد منتصف القرن الخامس.

٣ ـ **اختصاره**: إن ما وصل إلينا من رياض النّفوس مختصر بالإضافة إلى أنّه غير كامل، والدليل على ذلك ما يلي:

---

(١) انظر: ٥٤٠.
(٢) انظر: الرياض ٢/٤٦٩.
(٣) المدارك ٣/٥٣٣.
(٤) (٥) المدارك ٣/٥٣٧.
(٦) الإلماع ١١١.
(٧) الرياض ٢/٥٠٧.

أ ـ وجود ما يدلّ على اختصاره في عنوان مخطوطة باريس حيث ورد فيها هكذا (صر كتاب رياض النّفوس. .)[1] فالصّاد والرّاء هما الحرفان الأخيران من كلمة «مختصر»، وممّا يؤكّد ذلك أنّ صاحب تاريخ قضاة القيروان ينقل عنه وعند العزو إليه يقول:

«انتهى من اختصار المالكي»[2].

ب ـ عدم اشتماله على تراجم بعض الأعلام الذين لا يمكن إغفالهم، مثل عيسى بن مسكين القاضي المحدّث الفقيه، وقد نقل عياض في ترجمته لعيسى عن المالكي[3]، كما خلت النّسخة الواصلة إلينا من شطر كبير من ترجمة الإمام سحنون فيما يتعلّق بمحنته وقضائه وكثير من أخباره، وهناك نقول كثيرة عن الرياض في المدارك تتعلق بأعلام تُوفّوا قبل التّاريخ الذي انتهت عنده النسخة الواصلة إلينا، ومع ذلك لا توجد لهم تراجم فيها منهم: أبو العباس الأبيانيّ (ت ٣٥٢)[4]، وأبو الحسن الكَانشيّ (ت ٣٤٧)[5] وغيرهما. كما نقل صاحب المعالم عن الرّياض في ترجمة عُبَيْد الله بن عمر، ولا نجد له ترجمة في ما وصل إلينا من الكتاب[6].

جـ ـ وجود نقول عن الرّياض في ترتيب المدارك والمعالم واللّسان وإنباه الرّواة تتعلّق بشخصيات توجد لهم تراجم في النّسخة الواصلة إلينا ومع ذلك لا نجد فيها هذه النقول، من ذلك قول عياض في ترجمة محمد بن معاوية الحَضْرَميّ: «وفي روايته في الموطأ جامع الجامع وليس ذلك عند غيره من أصحاب مالك، ذكر ذلك أبو بكر المالكيّ في كتاب الرّياض»[7]، وجاء في

---

(١) انظر: صورة الصفحة الأولى من المخطوط في مقدمة الرياض بتحقيق البكوش ص ٣٣.
(٢) انظر: تاريخ قضاة القيروان خط ٥، ٧، ١٥.
(٣) انظر: المدارك ٣/٢١٣.
(٤) انظر: المدارك ٣/٣٤٧.
(٥) انظر: المدارك ٣/٣٧٣.
(٦) المعالم ١/١٦٨.
(٧) المدارك ١/٤٩١، وانظر: ترجمته في الرياض ١/٢٩٠.

المعالم في ترجمة حفص بن عمارة نصّ طويل منه: «قال أبو بكر المالكي: قال حفص سمعت سفيان الثّوري يقول لو احترق نصف جسدي بالنّار لكان النّصف الباقي أشرّ، وسمعت الثوري أيضاً يقول...»[1] وجاء في اللّسان في ترجمة البُهلول بن عُبَيْدَة التُّجِيبِيّ: قال أبو بكر المالكي في علماء إفريقيّة: «اختلف النّاس فيه فبعضهم ضعّفه ووثّقه بعضهم...»[2]، وجاء في إنباه الرّواة: «ولمّا مات سَحنون رثاه المَهْرِيّ بقصيد طويل عينيّ الرّوِيّ أنشده بكماله أبو عبدالله المالكي في تاريخ القيروان وإفريقيّة»[3]، وما ذكرته إنما هو على سبيل التّمثيل، والنّماذج كثيرة جداً.

٤ ـ **منهج تأليفه**: سلك المالكيّ في كتابه طريقة التّصنيف على الطّبقات، وكذلك سمّى كتابه بها، غير أنّنا نجده في نهاية الجزء الأول وفي كامل الجزء الثّاني ينتقل وبلا مقدّمات إلى طريقة الوفيات، ولعلّه يرى أنّ التّصنيف على الطّبقات يشمل طريقة الوفيات أيضاً، ولا يُعاب عليه ذلك، فإنّ تعريف الطّبقات الذي سبق ذكره يمكن أن يشمل فعلاً طريق التّصنيف على الوفيات.

أ ـ **ترتيبه العام**: استهلّ المؤلف كتابه بخطبة، لم يصلنا إلا بعضها، ذكر فيها بعد حمد الله والثناء عليه، أنّ تأليفه لهذا الكتاب كان استجابة لرغبة بعض النّاس الذين لم يسمّهم، وأنّه ذكر في هذا الكتاب ما بلغ علمه من علماء القيروان وعُبّادها.

ـ ثم ذكر سبعة آثار في فضائل إفريقيّة يبدو أنّه نقلها عن أبي العرب، ثم خلص إلى الحديث عن أخبار فتح إفريقيّة وبناء القيروان وتأسيس مسجدها، وذكر

---

(١) المعالم ١/٣٢٠، وقارن بترجمته في الرياض ١/٢٩٥.

(٢) اللسان ٢/٦٨، وقارن بترجمته في الرياض ١/٢٨١.

(٣) إنباه الرواة ٢/٢١١، وانظر: ترجمة سحنون في الرياض ١/٣٤٥، وترجمة المهري ١/٤٠٣.

ما يتعلّق بها من الولايات والأخبار إلى آخر ولاية حسّان بن النُّعمان سنة ٨٥ هـ، معتبراً أنّ ذلك نهاية الفتح واستقرار الإسلام في إفريقيّة[١].

ـ ثم شرع في التّراجم واستهلّها بذكر من دخل إفريقيّة من الصّحابة، وهم عنده ٢٩ صحابيّاً، ثمّ ذكر التّابعين واعتبرهم الطّبقة الأولى من علماء القيروان[٢] وقسمهم إلى ثلاثة أقسام: العشرة الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز، و ١٦ ممّن استقر بالقيروان غير العشرة، ثمّ ذكر عشرة ممّن دخلوا القيروان ثمّ عادوا إلى بلدانهم.

ـ ثم ذكر بقيّة التّراجم وعددها ٢٠٤ ترجمة في كتابه وقد سلك في سردها طريقتين:

الأولى: طريقة الطّبقات، والغالب عليه أن يقسم كلّ طبقة إلى قسمين، يذكر في أوّلها الفقهاء والمحدّثين والقُرّاء، ويخصّص القسم الثّاني لأهل العبادة والزّهد والنّسك، وقد اختصّت الطّبقة الثّالثة بزيادة قسم لا يوجد في غيرها يتعلّق بالعلماء والمحدّثين الذين لم يرووا عن الإمام مالك[٣].

أمّا الطّريقة الثّانية: فهي طريقة الوفيات ـ التي يمكن اعتبارها نوعاً من الطّريقة الأولى ـ وقد انتقل إليها فجأة في نهاية الجزء الأوّل بعد أن ذكر عدداً كبيراً من أهل الطّبقة الخامسة، وبدأها بسنة ٢٨٤ هـ في ترجمة أبي الأَحْوَس[٤]، وسار على هذا الأسلوب في كامل الجزء الثّاني وانتهى فيه إلى سنة ٣٥٦ هـ عند ترجمة أبي إسحٰق السّبائي[٥] وهو لم يؤرّخ لوفيات كلّ السّنين وانتهى فيه إلى سنة ٢٨٤ ثمّ سنة ٢٨٩ ثم سنة ٢٩١ هـ، وهكذا حسب ما توافر لديه أو حسب ما عمل المختصر للكتاب، أو حسب ما وُجد منه، وقد يأتي في السّنّة الواحدة بأكثر

---

(١) انظر: الرياض ١/٥٧.

(٢) الرياض ١/٩٩.

(٣) الرياض ١/٢٩٥.

(٤) الرياض ١/٤٨٢.

(٥) الرياض ٢/٤٦٩.

من ترجمة، ويلاحظ أنّه وإن غيّر أسلوب التّصنيف إلا أنّه لم يغيّر طريقته في عرض التّراجم.

ب ـ أهمّ عناصر ترجمة الصّحابي عنده: يغلب على تراجم الصّحابة الإيجاز، حيث يذكر غالباً اسم الصّحابي وكنيته وتاريخ وفاته وإثبات صحبته بالرّؤية أو الرّواية أو شهود المغازي مع الرّسول ﷺ ونحو ذلك، ويذكر زمن دخوله إلى إفريقيّة أو الغزوة التي قدم فيها، وينبّه على من تكرّر دخولهم إليها، وقد يذكر بعض خبر الصّحابي، وشيئاً من فضائله وعلمه، وقد يذكر له حديثاً، وربما أشار إلى من له عقب بإفريقيّة.

جـ ـ أهمّ عناصر التّراجم الأخرى:

وهي نادراً ما تجتمع في ترجمة واحدة كما أنّها لا ترد مرتبّة، فقد يؤخّر في ترجمة ما يقدّمه في أخرى.

١ ـ بيان اسم الرّاوي ونسبه وكنيته: والغالب عليه أن يذكر اسم الرّاوي تامّاً فيبدأ بالكنية، ثمّ بقية الاسم كاملاً إلى أن ينتهي بذكر النّسبة، فيقول مثلاً: «أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن عمر بن غانم بن شُرَحْبِيل بن ثَوْبَان الرُّعَيْبِيّ»[١]، وقد يذكر الخلاف في اسم الرّاوي، وربما رجّح، كقوله: «هو الغالب عليه»[٢].

وربما ذكر اللّقب الذي اشتهر به صاحب التّرجمة[٣].

٢ ـ تمييز المتّفق والمفترق: قد ينبّه المالكي على الرّاوي الذي اشترك مع غيره في الاسم واسم الأب، ويُمَيِّز بينهما[٤].

٣ ـ بيان شيوخ الرّاوي: يهتمّ المالكيّ بذكر أسماء الشّيوخ، ولا تكاد ترجمة تخلو من ذلك إلاّ أنّ من عادته ألاّ يستقصي فيذكر بعضهم ثم يقول:

---

(١) الرياض ٢/٢١٥.
(٢) انظر مثلاً: ١/١١٧، ١٣٧.
(٣) انظر مثلاً: ١/١٠٦، ١٣٥.
(٤) انظر مثلاً: ١/١٣٦.

وغيرهم[1] وقد يذكرهم إجمالاً فيقول مثلاً: روى عن جماعة[2]، وينبّه عادة على إكثار الرّاوي عن بعض شيوخه كما قال في ترجمة عُليّ بن رباح: «راوية ابن عبّاس وأبي هريرة»[3] وقال في ترجمة عِكْرِمة: «كان كثير الرّواية عن مولاه وعليه معتمده»[4]، وقد ينقل ما ورد من الطّعن على الرّاوي في سماعه من بعض الشّيوخ[5]، ويفصل عادة بين شيوخ الرّاوي في بلده وشيوخه في رحلته[6].

وفي ذكر الشّيوخ، والتلاميذ فائدة تمييز شخصيّة الرّاوي عمّن يمكن أن يشتبه به، كما تقدم.

٤ ــ **ذكر التّلاميذ**: للمالكيّ اهتمام بذكر التّلاميذ أيضاً، إلا أنّه لا يستقصي وإنّما يذكر نماذج من المشاهير، وأحياناً يذكر واحداً فقط كقوله: «روى عنه جماعة منهم عبدالرحمٰن بن زياد»[7]، وقد يقسم التّلاميذ بحسب بلدانهم فيقول: «روى عنه من أهل إفريقيّة... ومن أهل مصر...»[8]. وفي ذلك تمييز للمرويّات من طريقهم عنه، وتمييز للمشتبه منهم بعضهم ببعض.

٥ ــ **ذكر رحلة الرّاوي وبعض نتائجها**: من عادة المالكيّ أن يشير إلى رحلة الرّاوي فيذكر البلاد التي دخلها وشيوخه فيها، كقوله عند الحديث عن سَحنون: «سمع بمصر من ابن القاسم... وبالمدينة من عبدالله بن نافع... وبالشّام من الوليد بن مسلم...»[9]، ويذكر شيئاً من أخبار الرّاوي في رحلته»[10]ويسمّي الكتب التي أدخلها عند عودته كقوله في عليّ بن زياد: «هو أوّل

---

(١) انظر مثلاً: ١/٩٩، ١٠٢.

(٢) انظر مثلاً: ١/١١٠.

(٣) الرياض ١/١٢٠.

(٤) الرياض ١/ ١٤٥.

(٥) انظر مثلاً: الرياض ١/١٣٨.

(٦) انظر مثلاً: ١/٢٠٠، ٢١٥.

(٧) ١/١٠٢، وانظر: ١/٩٩، ١١٠.

(٨) انظر: ١/١٠٦، ١٢٥، ١٦٢.

(٩) الرياض ١/٣٤٧،.

(١٠) انظر مثلاً: ١/١٧٩، ١٨٠، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٥٧.

من أدخل المغرب جامع سفيان الثّوري وموطّأ مالك»[1]، وقد يجعل للرّحلة عنواناً خاصاً إذا طالت أخبارها كما في ترجمة أسد: «ذكر رحلته وما تمّ له مع مالك وأهل العراق»[2]، كما أنّه يذكر رحلة المتعبّدين والزّهّاد إلى بعضهم[3].

٦ ـ **ذكر وفاة الرّاوي وموضعها وملابساتها**: كثيراً ما يذكر المالكيّ مواليد الرّواة ووفياتهم وقد يذكر سبب وفاته وموضع دفنه ومن تولّى الصّلاة عليه، والمراثي التي قيلت فيه ونحو ذلك، غير أنّه لم يلتزم ذكر ذلك في مكان معيّن من التّرجمة فقد يورده في أوّل التّرجمة أو وسطها أو آخرها[4].

٧ ـ **بيان منزلة الرّاوي من حيث الجرح والتّعديل**: كثيراً ما يذكر المالكي حال الرّاوي من حيث الجرح والتّعديل، إلا أنّه غالباً ما ينقل هذه الأحكام عن غيره وأكثر ما ينقل عن أبي العرب[5] وقد ينقل عن غيره كالنّسائيّ[6] وأبي سِنان القرويّ[7] وأبي عبدالله الخَرَّاط القرويّ[8] وغيرهم، ونادراً ما يُطلق الحكم من عنده[9]، ومن عادته في التّوثيق أن يسند القول إلى من نقل عنه، أمّا في التّضعيف فإنّه في الغالب لا يسمّ المضعِّف وقد يجمل الجرح، وقد يفسّره، كقوله في عمرو بن شُعَيْب: «يضعَّف إذا حدّث عن أبيه عن جدّه»[10] وقوله في عَبَّاد بن عبدالصّمد: «وإنّما ضعّفوه للغرائب التي أتى بها عن أنس»[11]، وليس عنده ألفاظ زائدة عمّا ذكرته عند التّعريف بطبقات أبي العرب[12]، وأحياناً يورد اختلاف النُّقّاد في حال الرّاوي مثلما فعل في ترجمة عِكْرِمَة[13]، وقد يرجّح، من

---

(١) الرياض ١/٢٣٤، وانظر: ١/٢٤١، ٢٥٥، ٢٨١، ٢٨٤.

(٢) الرياض ١/٢٥٦.

(٣) انظر: الرياض ١/٣١٣.

(٤) انظر: الرياض ١/١٠٠، ١٠٧، ١١٠، ١٥٤، ١٨٩، ٢/٢٧.

(٥) انظر مثلاً: ١/٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١.

(٦) ١/١٤٨.

(٧) ١/٢٣٠.

(٨) ٢/١٣٥.

(٩) انظر مثلاً: ١/٢١٥، ٢٤٧.

(١٠) الرياض ١/٦٥.

(١١) الرياض ١/١٣٩.

(١٢) انظر: ص ٨٥٩، ٨٦٠ من هذه الرسالة.

(١٣) انظر: الرياض ١/١٤٥، ٢٨١.

ذلك ما نقله عن ابن حَجَر في اللّسان في ترجمة بُهلول بن عمر التُّجيبِيّ قال: «وقال أبو بكر المالكي في علماء إفريقيّة: اختَلف النّاس فيه، فبعضهم ضعّفه، ووثّقه بعضهم، وكان صدوقاً في حديثه»[1].

٨ ــ الإشارة إلى من رُمي ببدعة: هذه النّقطة والتي تليها تدخلان في مسألة الجرح والتّعديل وقد أفردتهما لإبراز أهمّيتهما ومكانتهما في البيئة القيروانيّة: من عادة المالكي أن ينبّه على ما رُمي به صاحب التّرجمة من بدع كالاعتزال والقول بخلق القرآن ونفي الرّؤية والدّخول في دعوة الرّافضة والمجادلة في الأسماء والصّفات والقدر ونحو ذلك[2].

٩ ــ ذكر تسنّن الرّاوي: وفي مقابل ما تقدّم يذكر المالكيّ عادة كون الرّاوي على سنّة ويشير إلى مباينته لأهل البدع والسّلطان، وكثيراً ما يكون ترك السّلام على أهل البدع وترك الصّلاة خلفهم أو على من مات منهم، ومقاطعتهم. . . كثيراً ما يكون ذلك دليلاً على تسنّن الرّاوي في تلك البيئة التي كثر فيها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة والقدريّة والمرجئة كما تقدم في التّمهيد، وتكون معاداة أهل الأهواء ومقاطعة السّلطان، وعدم الدخول في أعماله ممّا يُثْنى به على العالم السُّنّيّ[3].

١٠ ــ إيراده للأحاديث: كثيراً ما يذكر المالكيّ أحاديث للمترجم لهم، وقد بلغ عدد أحاديث الكتاب القوليّة ١١٣ حديثاً، والأحاديث الواردة في كتابه غير مسندة في الغالب[4]، وقد يورد طرفاً من السّند[5]، ولعلّ ذلك من تصرّف

---

(١) لسان الميزان ٦٨/٢.

(٢) انظر مثلاً: الرياض ١٨٦/١، ١٩٠، ٣٨/٢، ٥٥، ٢٣٠.

(٣) انظر: الرياض ١٧٦/١، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٤، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) انظر مثلاً: ٦٠/١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٧٢، ٢١٧.

(٥) انظر مثلاً: ٧٧/١، ٨٧، ٩٥، ٩٧.

المختصر وقد يورد الحديث من طريق بعض المصنّفات الحديثيّة مثل مسند ابن سنجر وجامع عبدالله بن وهب[1].

وقد يذكر حديثاً من روايته عن صاحب التّرجمة ولكنّه لا يأتي بالإسناد كاملاً وإنما يقول: «وممّا يتّصل بنا عنه من الحديث»[2]، وكثيراً ما يعقّب على الأحاديث التي يوردها بالتّوضيح والتّعليق من عنده أو نقلاً عن غيره[3].

١١ ـ الصّناعة الحديثيّة غير ما تقدّم:

ـ التّنبيه على الغرائب:

ينبّه المالكيّ عادة على إغراب الرّاوي ببعض الأحاديث كقوله في ترجمة بَكر بن سَوادة «وأغرب بحديث عن عُقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت»[4]، وقوله في ترجمة أبي عبدالرحمٰن الحُبُلِيّ: «وأغرب بحديث السّجلّات: عن أبي عبدالرحمٰن الحُبُلِيّ أنّه قال سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصاح برجل من أُمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سِجِلّاً كلّ سجلّ منها مدّ البصر...» الحديث»[5].

ـ التّنبيه على العلل:

وقد ينبّه على علل بعض الأسانيد كقوله: «أدخل مالك هذا الحديث في موطّئه عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن بلال بن الحارث المُزَنِيّ، ولم

---

(١) انظر مثلاً: ٧٥/١، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٠.

(٢) الرياض ١٧٤/١، ٢٠٢.

(٣) انظر: الرياض ٦٨/١، ٩٠، ١١٣، ١١٧، ١٣٥، ١٥١.

(٤) الرياض ١١٢/١، وانظر مثلاً: ٨٧/١، ٩٠، ٩٩، ١٣٢، ٢٣٣.

(٥) الرياض ٩٩/١، والحديث أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلٰه إلّا الله ٢٤/٥/٢٦٣٩، وابن ماجة بنحوه في أبواب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٥٧٨/٢/ ٤٣٦٨، وأحمد في مسنده بنحوه ٢١٣/٢ كلهم من طريق أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو، ولم أجد له طريقاً آخر غيره. وهو حديث حسن غريب كما قال الترمذي.

يذكر جدّه كما ذكره ابن سنجر، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد في كتابه الملخِّص: «وفي اتّصاله شيء»»[1].

ـ عدم تحرّي الصّحّة في أحاديث الكتاب:

ومن الملاحظ أنّ المالكيّ لم يكن ينتقي الأحاديث التي يوردها ولم يكن يتحرّى فيها الصّحّة ولذلك اشتمل كتابه على كثير من الأحاديث المنكرة، مثل حديث «قسم الله الخبث على سبعين جزءاً فجعل في البربر تسعة وستين جزء، والثقلين جزءاً واحداً»[2] فالنّكارة ظاهرة في معناه وألفاظه.

١٢ ـ ذكر المصادر التي خرّجت حديث الرّاوي: كثيراً ما يذكر المالكي المصنّفات التي خرّجت حديث صاحب التّرجمة كقوله: «أدخله مالك في موطّئه، أدخله أبو داود ومسلم والنّسائي في مصنّفاتهم، أدخله البُخاري فقال..[3]، وقد يذكر ذلك على سبيل الإجمال فيقول مثلاً: أدخله المصنّفون في كتبهم[4].

١٣ ـ الإشارة إلى الأثر العلميّ للرّاوي وآرائه: من عادة المالكيّ أن يذكر أثر الرّاوي في الحياة العلميّة بالقيروان كقوله: «سكن القيروان، وانتفع به أهلها»[5]، وقوله: «فانتفع به أهل إفريقيّة، وبثّ فيها علماً كثيراً»[6]، وقوله: «سكن القيروان وروى عنه أهلها»[7]، وقوله: «رجع إلى إفريقيّة فأوطنها وأقام بها يعلّم النّاس ويحدّثهم بسنّة رسول الله ﷺ حتّى انتفع به كثير»[8]، وقد يذكر بعض

(١) الرياض ٧٦/١، وانظر هناك نص الحديث.
(٢) الرياض ٢٥٤/٢، وانظر مثلاً: ١١٢/١، ٢٤٩، ١٧٨/٢، ٤٦٦.
(٣) انظر مثلاً: ٧٣/١، ٧٧، ٨٣، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠.
(٤) انظر: ٩٩/١، ١٥٢.
(٥) الرياض ١١٢/١.
(٦) الرياض ١٠٠/١.
(٧) الرياض ١٢٤/١.
(٨) الرياض ١٧٧/١، وانظر: الرياض ١٠٦/١، ١١٦، ١١٩، ١٤٦، ١٧٧، ٢١٧.

مؤلّفات الرّاوي[1]، ومذهبه[2]، وما تعرّض له من المحن بسبب تمسكّه بالسُّنّة[3]، وقد ينبّه على اجتهادات صاحب التّرجمة في بعض المسائل، ويعلّق عليها أحياناً معلّلاً أو مرجّحاً عند الاختلاف[4].

كما أنّه يشير إلى أثر الرّاوي الاجتماعي كبناء مسجد أو فندق، والوقوف مع النّاس في المُلمّات ونحو ذلك، ويشير أحياناً إلى الأثر السّياسيّ أيضاً، وتولّيه بعض المناصب كالقضاء أو الإمارة وسيرته في ذلك[5].

١٤ ـ الإشارة إلى أهمّ القضايا الشّرعيّة المثارة في عصر الرّاوي: نجد في ثنايا تراجم الرّياض مادّة خصبة تتعلّق بالقضايا الفكريّة والاعتقاديّة والفقهيّة التي كانت تشغل بال القرويّين، وأخذت حيّزاً كبيراً من اهتماماتهم، حتّى عُقدت لها المناظرات وأُلّفت فيها المصنّفات، مثل مسألة القرآن هل هو مخلوق أو منطوق، ورؤية الله في الآخرة، والأسماء والصّفات والمفاضلة بين الصّحابة وحكم النّبيذ، وحكم الخروج على الأئمة وغير ذلك[6].

وقد ينبّه على اجتهادات صاحب التّرجمة في بعض هذه القضايا أو غيرها، وربما عقّب على قوله بالتّعليل والتّرجيح[7].

١٥ ـ جوانب أخرى في حياة المترجم له: يُطنب المالكيّ في ذكر أخبار العُبّاد والمرابطين ويتحدّث عن حياتهم وما هم عليه من الزّهد والورع وكثرة

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٠١، ٣١٢، ٢/٤٢٣.

(٢) انظر مثلاً: ١/٢٨١، ٢٦٣، ٢/٥٥، ٢٦٥، ٤١٩.

(٣) انظر مثلاً: ١/٢١٢، ٢/٢١، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٦٧، ١٣٨، ١٥٢.

(٤) انظر مثلاً: ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٦، ٣٥٥.

(٥) انظر مثلاً: الرياض ١/١٠٣، ١٠٧، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٥.

(٦) انظر: الرياض ١/٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٦٧، ٢/٧٠.

(٧) انظر مثلاً: الرياض ١/٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٦، ٣٥٥، ٣٥٩، ٢/٢٨٠، ٢٩٥.

العبادة، ويذكر الأدعية التي يدعون بها، وينبّه على كراماتهم كاستجابة الدّعاء والالتقاء بالخضر حسب قولهم، وقد يذكر شيئاً من أشعارهم(١)، حتّى إنّ هذا الجانب قد طغى على الكتاب على حساب كثير من الأمور المُهمّة المتعلّقة بالجانب العلميّ، وقد تقدّم أنّ من منهجه تقسيم كلّ طبقة إلى علماء وعبّاد، وبالإضافة إلى ذلك فإنّه قد يخصّص لبعض التّراجم عنواناً(٢) يتعلّق بتعبّد المترجم له وفضله وزهده وكراماته ونحو ذلك، ويستغرق فيه عدّة صفحات، ولا شكّ أنه تأثّر في ذلك بروح العصر الذي كان فيه.

وبهذه الجوانب تتكامل نماذج مدرسة الحديث القيروانيّة من خلال تراجم كتاب رياض النّفوس.

هـ ـ مقارنة بين الرياض وترتيب المدارك:

ـ لقد اهتمّ القاضي عياض في ترتيب المدارك بذكر أتباع المذهب المالكيّ في مختلف بلاد العالم الإسلاميّ، وخاصّة إفريقيّة والأندلس والحجاز والعراق، بينما اختصّ كتاب الرّياض بأهل إفريقيّة وجلّ من ذكرهم فيه هم من المالكيّة ويندر أن نجد فيه ذكراً للأحناف.

ـ طريقة التّصنيف في كلّ منهما على نظام الطّبقات غير أنّ المالكيّ انتقل إلى طريقة الوفيات في آخر الجزء الأوّل كما تقدم.

ـ يعتبر كتاب الرّياض من المراجع الأساسيّة لكتاب المدارك فيما يتعلّق بتراجم الأفارقة(٣)، وهو كثير النّقل عنه وإن كان أحياناً لا يصرّح بذكر اسمه فيعرف ذلك بالمقارنة.

---

(١) انظر مثلاً: الرياض ١٤٢/١، ١٤٤، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠.

(٢) انظر مثلاً: الرياض ١٦٤/١، ١٦٨، ١٧١، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٩.

(٣) انظر مثلاً: المدارك ٣٣٩/١، ٣٤٠، ٣٤٤.

- كتاب الرّياض أكثر توسّعاً في ذكر الأخبار المتعلّقة بعبادة الرّاوي وكراماته وحياته الخاصّة وكتاب المدارك أكثر توسّعاً في ذكر الشّيوخ والتّلاميذ وأحوال الرّواة من حيث الجرح والتّعديل، وأكثر اهتماماً بالتّنبيه على الوفيات والمصنّفات، وهو من هذه النّاحية أكثر فائدة للمشتغلين بالحديث وعلومه.

- يشترك الكتابان في عدم تنظيم المادّة العلميّة على النّحو المبتغى، وقلّة الاهتمام بترتيبها، فما يقع تقديمه في ترجمة قد يؤخّر في أخرى، وقد يذكران بعض الشّيوخ في أوّل التّرجمة وبعضهم في وسطها ونحو ذلك.

- اشترك الكتابان في بعض المصادر مثل طبقات أبي العرب[1] وتاريخ ابن سحنون[2].

وهذه نظرة مقارنة في ترجمتين اشتركا فيها:

١ - ترجمة أبي جعفر موسى بن معاوية الصُّمادِحِيّ[3]:

- ذكر عياض الخلاف في نسبة وفصّل القول في ذلك، بينما اكتفى المالكي بقول واحد لأحد القرويّين.

- نقل كلاهما توثيق أبي العرب وثناءه على موسى غير أنّ نقل عياض أوفى، حيث ذكر فيه الشّيوخ والتّلاميذ.

- توسّع المالكي في الحديث عن رحلة موسى فذكر أخباره فيها، والبلاد التي دخلها، والشيوخ الذين لقيهم فيها، بينما اكتفى صاحب المدارك بذكر تاريخي خروجه وعودته.

- اشتركا في ذكر بعض الأخبار إلا أنّ عياضاً ذكرها مختصرة بينما توسّع فيها المالكي مثل أخباره في الرّباط واستفتاء الأمير له ونحو ذلك.

---

(١) انظر مثلاً: الرياض ١/٨، ٩، ٣٠، ٤٣، ٤٤، المدارك ١/٣٢٩، ٣٤٥، ٤٦٥.

(٢) انظر مثلاً: الرياض ١/٩١، المدارك ١/١١١.

(٣) انظر ترجمته في: الرياض ١/٣٧٦، المدارك ٣/٥.

ـ ذيّل عياض ترجمة موسى بترجمة والده معاوية بن الفضل بينما أفرده المالكي بترجمة مستقلّة[1].

٢ ـ ترجمة أبي محمد عبدالرّحيم بن عبد ربّه الرَّبَعِيّ (ت ٢٤٧)[2]:

ـ لقد نقل عياض أكثر هذه التّرجمة عن المالكي ولم يصرّح بالنّقل عنه إلاّ في أربعة مواضع فقط، وأحياناً يذكر النّقول مختصرة.

ـ توسّع المالكيّ كثيراً فيما يتعلّق بعبادة صاحب التّرجمة وزهده وكراماته كلقائه مع الخضر ومع بعض مؤمني الجنّ، وعنون لهذه الأخبار، بينما سرد عياض التّرجمة على نسق واحد وأورد مناقب عبدالرّحيم مختصر.

ـ أورد المالكيّ رسالة عبدالرّحيم إلى سحنون عندما تولّى القضاء، وردّ سحنون عليه ولم يذكرهما عياض.

ـ انفرد صاحب المدارك بالنّقل عن طبقات الخُشَنِيّ ومجالس سليمان بن سالم بينما نقل المالكي عن غيرهما.

و ـ مصادر المالكيّ في كتاب الرّياض:

اعتمد المالكي على ثلاثة أنواع أساسيّة من المصادر، وهي:

١ ـ شيوخه الذين سمع منهم، وهم خمسة في ما وصل إلينا من الكتاب:

ـ أبو بكر أحمد بن عبدالرحمن الخَوْلَانِيّ (ت ٤٣٢)[3].

ـ أبو محمد الحسن بن أبي العبّاس الأَجْدَابِيّ[4].

---

(١) انظر: الرياض ١/٢٣١.

(٢) انظر ترجمته في: الرياض ١/٤٢١، المدارك ٤/١٩٣.

(٣) انظر: الرياض ٢/٩٧، ٢٩٨، ٣٣٩، وانظر ترجمته في: المدارك ٣/٧٠١، الشجرة ١/١٠٧.

(٤) انظر: الرياض ٢/٢٢٩، ٤٠١، وانظر ترجمته في: المدارك ٤/٢٦٢، ضمن ترجمة الحسين الأجدابي.

ـ أبو الحسن علي بن أبي العبّاس الأَجْدَابِيّ[1].

ـ والده محمد بن عبدالله المالكيّ[2].

ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد اللَّبِيدِيّ (ت ٤٤٦)[3].

٢ ـ المصادر التي صرّح بذكرها: وهي متنوّعة في الحديث والرّجال والفقه والتّاريخ وسأذكرها مقدّماً ما يتعلّق منها بالحديث وعلومه:

ـ الجامع الصّحيح لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البُخارِيّ[4].

ـ صحيح مسلم[5].

ـ سنن أبي داود[6].

ـ سنن النَّسائي[7].

ـ موطّأ الإمام مالك[8].

ـ مسند أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن سنجر (ت ٢٥٩)[9].

ـ جامع عبدالله بن وهب[10].

ـ الملخِّص لأبي الحسن القَابِسي[11].

ـ موطّأ عبدالله بن وهب[12].

---

(١) انظر: الرياض ٢/٢٧٣. (٢) انظر: الرياض ٢/١٢٤.

(٣) انظر: الرياض ١/٤٤٦، ٢/٤٥، ٢٦٢، ٣٤٥.

(٤) انظر: الرياض ١/٦٣، ٨٣. (٥) انظر: الرياض ١/١٣٠، ٣٧٢.

(٦) انظر: الرياض ١/١٣٠. (٧) انظر: الرياض ١/١١٥، ١٣٠.

(٨) انظر: الرياض ١/٧٣، ٧٦، ٧٧، ١٢٣.

(٩) انظر: الرياض ١/٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٣.

(١٠) انظر: الرياض ١/٧٤، ٩١، ١١٩. (١١) انظر: الرياض ١/٧٧.

(١٢) انظر: الرياض ١/١٢٤، ١٥١.

- طبقات محمد بن سَحنون[1].

- طبقات أبي العرب التَّمِيمِيّ[2].

- طبقات الخُشَنِيّ ولم يصرِّح به، ولكن ذكر مؤلفه وما نقله عنه يوجد في الطّبقات[3].

- تاريخ أبي سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصَّدَفِيّ (ت ٣٤٧)[4].

- تاريخ محمد بن سَحنون[5].

- تاريخ سعيد بن عُفَيْر المصريّ (ت ٢٢٦)[6].

- تاريخ خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠)[7].

- مدوّنة الإمام سَحنون[8].

- كتاب الزّهد لسحنون[9].

- مجالس سليمان بن سالم[10].

- فوائد أبي العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الذُّهْلِيّ الكوفيّ نزيل مصر (ت ٣٠٠)[11].

- كتاب الجزية لأبي بكر محمد بن أحمد بن الجَهْم (ت ٣٢٩ أو بعدها)[12].

---

(١) انظر: الرياض ١/١٣١، ١٦٧.
(٢) انظر: الرياض ٢/٣٣.
(٣) انظر: الرياض ٢/٢٠٠.
(٤) انظر: الرياض ١/٦٦، ١٣١، ١٦٧.
(٥) انظر: الرياض ١/٩١.
(٦) انظر: الرياض ١/١٩.
(٧) انظر: الرياض ١/١٨.
(٨) انظر: الرياض ١/١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٨.
(٩) انظر: الرياض ٢/٤٥١.
(١٠) انظر: الرياض ١/١٩٩، ٢٦١، ٢٧٢، ٣٢٦.
(١١) انظر: الرياض ١/٨٩.
(١٢) انظر: الرياض ١/٢٠١.

٣ ـ المؤلفون الذين نقل عن تصانيفهم ولم يسمّها:

ـ أبو إسحٰق محمد بن القاسم بن شَعْبَان المصريّ المعروف بابن القُرَطِيّ (ت ٣٥٥)[١]، والمادّة المنقولة عنه تدلّ على أنّ هذا المصدر هو كتاب «مناقب مالك والرواة عنه»[٢].

ـ محمد بن عمر الواقديّ، ويبدو أنّ المصدر هو مغازي الواقدي؛ لتعلّق المادّة المنقولة عنه بالمغازي[٣].

ـ الحسين بن سعيد الخَرَّاط، وهو مؤرخ قروي عارف بالرّجال (كان حيّاً سنة ٣٥٠)[٤].

ـ أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني[٥].

ـ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي، ينقل عنه من مصدر آخر غير السّنن وغير كتاب الضّعفاء والمتروكين[٦].

ـ عبدالله بن المبارك[٧].

ـ أبو زُرعة عبدالرحمن بن عمرو الدِّمشقيّ الحافظ (ت ٢٨١)[٨]، وليس ذلك في تاريخه في الرجال، ولعلّه في تاريخ مدينة دمشق، لتعلّق ما نقله عنه ببعض أهلها.

ـ حمزة بن محمد الكِنَانِيّ (ت ٣٥٨)[٩].

---

(١) انظر: الرياض ١/١٢٣، ٢٣١، ٢٧٤.
(٢) انظر: الشجرة ١/٨٠.
(٣) انظر: الرياض ١/١٤، ١٦، ١٩، ٧٦.
(٤) انظر: الرياض ١/٢٤، ٢/٤٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٤، ١٤٩.
(٥) انظر: الرياض ١/٣٥٦، ٤٧٢.
(٦) انظر: الرياض ١/١٤٨.
(٧) انظر: الرياض ١/١٤١.
(٨) انظر: الرياض ١/١٣١، ١٣٢.
(٩) انظر: الرياض ١/١٩٢.

ـ أبو الحسن علي بن عمر الدّارقطنيّ (ت ٣٨٥)[1].

ـ أحمد بن عبدالله بن عبدالرّحيم البَرْقِيّ[2].

ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧)، ويبدو أنّه ينقل عنه من كتاب فتوح مصر والمغرب[3].

ـ أبو جعفر محمد بن جَرير الطَبَرِيّ (ت ٣١٠)[4].

ـ عبدالملك بن حبيب السُّلَمِيّ الأندلسيّ (ت ٢٣٧)[5].

ـ الحارث بن أسد المُحَاسِبِيّ (ت ٢٤٣)[6].

ـ أبو عثمان سعيد بن محمد بن صُبَيْح (ابن الحداد)[7].

ـ عبدالله بن نافع الزُّبَيْرِيّ (ت ٢١٦)[8].

ـ أبو بكر محمد بن محمد بن اللّبّاد القَرَوِيّ (ت ٣٣٣)[9].

ـ محمد بن سَحنون، نقل عنه أيضاً من كتب أخرى غير الطّبقات والتّاريخ[10].

ـ ربيع بن سليمان القطّان القروِيّ (ت ٣٣٣)[11].

ـ يحيى بن عمر الأندلسي ثم القرويّ (ت ٢٨٩)[12].

---

(١) انظر: الرياض ١/٩١.

(٢) انظر: الرياض ١/٧٠.

(٣) انظر: الرياض ١/٩٨.

(٤) انظر: الرياض ١/١١٦.

(٥) انظر: الرياض ١/٢٤.

(٦) انظر: الرياض ١/٩٠.

(٧) انظر: الرياض ١/١٠٣، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٢٨.

(٨) انظر: الرياض ١/٢٤.

(٩) انظر: الرياض ١/١٧٠، ١٩٣، ٣٠٥، ٣٥٢.

(١٠) انظر الرياض ١/١٨٦، ٣٥٧.

(١١) انظر: الرياض ٢/١٣٤.

(١٢) انظر: الرياض ١/١٩٦، ١٩٧.

ـ أبو إسحٰق إبراهيم بن أحمد الجِبْنِيَانِيّ (ت ٣٦٩)[١].

ـ أبو الحسن علي بن عبدالله بن الخَلَّاف القرويّ[٢].

ـ عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَة (ت ٢٧٦)، ويبدو أنّه ينقل عنه من كتاب المعارف[٣].

ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الجَوْهَرِيّ (ت ٣٨١)[٤].

ـ علي بن الحسن بن فِهْر المصريّ (ت بعد ٤٤٠)[٥].

ـ أبو بكر عَتيق بن خَلَف التُّجيبيّ (ت ٤٢٢)، وينقل عنه المالكي من أحد كتابيه: الطّبقات أو الافتخار بمناقب شيوخ القيروان[٦].

ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد الصِّقِلّيّ[٧].

ـ الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبرّ القُرْطُبِيّ (ت ٤٦٣)، ولعلّه نقل عنه من كتاب الاستيعاب[٨].

وهذه المصادر الكثيرة والمتنوّعة تبيّن غزارة مادّة الكتاب وتنوّعها كما تدلّ على سعة اطّلاع المؤلّف وكثرة التّصانيف التي كانت بإفريقيّة في منتصف القرن الخامس، وعلى صلاتها العلميّة بمصادر العلوم الإسلامية شرقاً وغرباً وعلوم السُّنّة رواية ودراية بوجه خاص.

ز ـ أهمّ مميّزات الكتاب وآثاره والمآخذ عليه:

ـ يعتبر كتاب رياض النّفوس أوسع الكتب الواصلة إلينا عن رجال إفريقيّة وأهمّها.

---

(١) انظر: الرياض ٢/٢٥٨.
(٢) انظر: الرياض ١/٢٥٣، ٣٨٦.
(٣) انظر: الرياض ١/٦١، ٦٥، وانظر: تعليق المحقق رقم ٢.
(٤) انظر: الرياض ١/١٢٣، ١٤٨.
(٥) انظر: الرياض ١/٢٤٠.
(٦) انظر: الرياض ١/٤١٨، ٤٢٣، ٤٤٠.
(٧) انظر: الرياض ٢/٣٢٢، ٤٥١، ٥٠٣.
(٨) انظر: الرياض ١/٦٠، وقارن بالاستيعاب ٢/٤٣٤.

- إنّه يُظهر إلى حد كبير بناء مدرسة الحديث في إفريقيّة والقيروان رجالاً ومنهجاً وتراثاً.

- إنّه مصدر أساسيّ لكلّ من كتب عن الأفارقة من أهل المغرب والمشرق، فمن المغاربة اعتمده القاضي عياض في المدارك وفي الإلماع، والدّبّاغ وابن ناجي في معالم الإيمان، وابن فَرْحُون في الدّيباج المذهّب، والمَقَّرِيّ في نفح الطّيب، وابن الأَبَّار في التّكملة، ومخلوف في الشّجرة ومواضع نقل هؤلاء عنه متعدّدة وواضحة في كتبهم، أمّا من المشارقة فممّن نقل عنه الحافظ ابن حجر في اللّسان والتّهذيب[1] والحافظ الذّهبيّ في سير الأعلام[2].

- احتفظ لنا كتاب الرّياض بترجمة واحد وثلاثين علماً لا نجدها في غيره من المصادر، ولولا وجوده لكان هؤلاء في عداد المجاهيل، مثل عمر بن يزيد التُّجِيبِيّ، وسعيد بن لَبِيد المَعافِرِيّ، ومُسافر بن سِنان، وغيرهم[3].

- الاهتمام إلى حدّ ما بالجوانب الحديثيّة لصاحب التّرجمة كشيوخ الرّاوي وتلاميذه ورحلته ومرويّاته ومصنّفاته والكتب التي أدخلها بعد رحلته ومنزلته من حيث الجرح والتّعديل ونحو ذلك، كما قدّمت تفصيله، وإن كان كثيراً ما يغفل هذه الجوانب.

وفيما ذُكر كفاية لإظهار إسهام القيروان بمحدّثيها ومصنّفاتهم في حفظ السُّنّة وخدمتها رواية ودراية، غير أنّه لو توسّع لأبرز جوانب أخرى لمدرسة القيروان الحديثيّة.

---

(١) انظر: اللسان ٢/٦٨، ٣/٣٥٤، ٤/٣٨٢، والتهذيب ٥/٣٣٢، ٦/٨٢، وهو أحياناً يسميه تاريخ القيروان وأحياناً طبقات علماء القيروان وأحياناً رياضة النفوس.

(٢) انظر: سير أعلام ١٢/٦٩، ١٣/٦١.

(٣) الرياض ١/١٧٤، ١٨٨، ١٩٩، وانظر: ١/٢٤٧، ٢٩٦، ٣٢٢، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٨٠، ٢/١٠، ١٥، ١٣٣، ١٩٥، ١٧٨، ٣٥٥.

ـ الإلمام غالباً بمختلف جوانب حياة الشخص فيصوّره وهـو يتحرّك في المجتمع يؤثـر ويتأثّر، ويفرح ويحزن ويواسي، ويدرس ويعلّم ويؤلّف ويتعبّد، فلا يكاد القاري ينتهي من قراءة التّرجمة ـ وخاصة التي وصلنا منها شبه كامل ـ حتّى يكون قد أخذ صورة متكاملة عن المترجم له.

ـ احتفظ لنا كتاب الرّياض في ثنايا التّراجم بمادّة علميّة هائلة عن الحياة السّياسيّة والاجتماعية في القيروان لا نكاد نعثر عليها عند غيره، وخـاصّة فيمـا يتعلّق بموقف أهل السّنّـة من الاحتلال الإسمـاعيليّ، وموقف علمـاء السُّنّة من مختلف الحكومات التي قامت بإفـريقيّة، والتفـاف الشّعب حول العلمـاء، ومواسـاة هؤلاء للمحتـاجين، ومختلف الثّورات التي انـدلعت ضدّ حكّـام القيـروان،،، ويستطيع المتتبّع لهذه المادّة أن يبرز هذه الجوانب ويصل إلى نتائج مهمّة جدّاً في تاريخ إفريقيّة السّياسيّ والاجتماعي.

ـ ويعتبر كتاب الرّياض هو الوحيد الذي احتفظ لنا بصورة حيّة متكاملة عن حياة المرابطين من العلماء والعبّاد في مختلف الحصون والقصور المنتشرة على سواحل إفريقيّة، فإنّك تجد في ثنايا التّراجم حديثاً عن تعبّد هؤلاء المرابطين، وجهادهم، واهتمامهم بالعلم، وموقفهم من الحكام، وآثارهم السيّاسيّة والدّينيّة، وطعامهم البسيط، وزهدهم وترفّعهم عن الدّنيا،،.

أمّا سلبيّات الكتاب فمنها:

ـ إنّ المالكي لم يصن كتابه عن الأحاديث المنكرة والموضـوعة، حيث أوردها دون بيان حالها، فقد صدّره ببعض ما جاء في فضائل إفريقيّة، وجاء في ثنايا الكتاب بعدة أحاديث منكرة[1].

ـ المبالغة في ذكر كرامات بعض العُبّاد إلى درجة أنّه يورد أشياء مصادمة

---

(١) قد سبقت الإشارة إلى ذلك قريباً وانظر: ٢٤٩/١، ١٧١/٢، ٣٥٤، ٤٦٦.

للحقائق الشّرعيّة، التي لا يجهلها مثله، بل قد يتجاوز الذّكر إلى التّعقيب من جانبه بصحّة بعضها.

والأمثلة على ذلك كثيرة، سأكتفي منها بذكر مسألتين:

أ ـ ذكر رؤية الله عزّ وجلّ في المنام، وقد ذكرها في ترجمتين[1] ولم يعلّق عليها، وقد أجمعت الأمّة على أنّه لا يمكن لأحد أن يرى الله عزّ وجلّ في الدّنيا ـ سواء في اليقظة أم في المنام ـ ولم يتنازعوا في ذلك، إلاّ فيما يتعلّق بالنّبيّ ﷺ خاصّة، والرّاجح أنّه ﷺ لم ير ربّه في الدّنيا[2].

ب ـ ذكر الالتقاء بالخَضِر عليه السّلام، وقد أكثر المالكيّ من الحديث عن التقاء الخضر ببعض العُبّاد بإفريقيّة وحديثه معهم، ووعظه لهم، وسرعة تنقله بين البلاد ونحو ذلك[3]، ولم يعقّب المالكي على الأخبار الكثيرة التي أوردها في ذلك، وقد أنكر حياةَ الخَضِر جمهورُ العلماء من أهل الحديث وغيرهم، وبسط المحقّقون القول في ذلك، وبيّنوا علل الأخبار الواردة في ذلك[4]، قال ابن القَيِّم: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلّها كذب، ولا يصحّ في حياته حديث واحد»[5]، وقال السيوطي: «وأمّا الخَضِر فأئمّة الحديث لا يثبتون له وجوداً»[6]، وقال ابن تيمية: «إن خَضِر موسى مات... والخَضِر الذي يأتي كثيراً من النّاس إنما هو جنّيّ تصوّر بصورة إنسيّ أو إنسيّ كذّاب،»، وأنا أعرف ممّن

---

(١) انظر: الرياض ٢/٣١٦، ٣٣٣، ٣٣٧.

(٢) انظر شرح الطحاوي في العقيدة السلفية ١٣٧.

(٣) انظر: الرياض ١/١٦٤، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٢٩، ٢/٤٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٦.

(٤) انظر: فتاوي ابن تيمية ١/٢٤٩، الإصابة ١/٤٢٩، فتح الباري ٦/٣٠٩، المنار المنيف ٦٧، الأسرار المرفوعة ٤٤٣، الفوائد الموضوعة ٥٩، التصوف بين الحق والخلق ٢٣، تاريخ ابن خلدون ٤/٣٠.

(٥) المنار المنيف ٦٧.

(٦) الفوائد الموضوعة ٥٩.

أتاه الخضر وكان جنّياً، ممّا يطول ذكره»[1]، وقال ابن خلدون: «الصّحيح أنّ الخَضِر قد مات»[2].

ـ لقد اشتمل الكتاب على أخطاء تاريخيّة تتعلّق بضبط تسلسل الحوادث، وضبط التّواريخ المختلفة[3].

ـ عدم الاهتمام بذكر من كان بالقيروان وإفريقيّة من علماء الحنفيّة، وقد أدّى إهمال المؤلّفين المالكيّة في الطبقات والتراجم لأعلام المذهب الحنفي إلى ضياع معالم شخصيّات هؤلاء وآثارهم.

ـ عدم ترتيب المادّة العلميّة وتنسيقها كما ينبغي، حيث إنّه قد يعالج نفس النّقطة في عدّة مواضع من التّرجمة، ويؤخّر في ترجمة ما قدّمه في أخرى وغير ذلك من مظاهر التفكّك وتشتّت المعلومات.

ـ لقد اهتم المالكيّ بأخبار العُبّاد والزُّهّاد، وأحوالهم وكراماتهم أكثر من اهتمامه بالعلماء وأخبارهم في طلبهم، وأثرهم العلمي، ونحو ذلك، ولا نجد له عذراً في ذلك إلّا التأثّر بما كان رائجاً في عصره من مظاهر التّصوّف كما تقدّم.

جـ ـ خدمة الكتاب: قام بتحقيق الجزء الأوّل منه الدكتور حسين مؤنس وطُبع في القاهرة سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.

ـ ثم حقّقه كاملاً (بحسب ما وصل منه) الأستاذ بشير البكّوش، وطبع في دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

---

(١) الفتاوي ١/٢٤٩.
(٢) تاريخ ابن خلدون ٤/٣٠.
(٣) انظر مثلاً: الرياض ١/٣٢، ٣٣، ٤٦، ٤٨، ٥٦، ١٤١، ٣٠٠.

النّوع الثّالث: ما صنّف في رجال الحديث خاصّة:

توطئة: لقد كثر اهتمام أهل القيروان بالتّصنيف في تراجم علماء بلادهم من المحدّثين والفقهاء وغيرهم، حتّى كان هذا الجانب من أهمّ أغراض التّصنيف عندهم وألّفوا فيه ما لم يؤلّفوه في غيره من المجالات، فقد صنّفوا في طبقات العلماء وتراجمهم ووفياتهم ومناقبهم، وأنسابهم وأخبارهم[1]، غير أنّ الغالب عليهم الجمع في مصنّفاتهم بين المحدّثين وغيرهم، والكتاب الوحيد ـ فيما عثرت عليه ـ الذي اختصّ بالمحدّثين هو كتاب «**ثقات المحدّثين وضعافهم**» لحافظ القيروان أبي العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)، غير أنّ الكتاب ـ بكلّ أسف ـ لم يصل إلينا، ونظراً لأهمّيته في توضيح الصّورة عن المدرسة الحديثيّة بالقيروان فقد رأيت أنّ التّعريف به أمر ضروريّ، واعتمدت في ذلك على بعض النّتف القليلة جدّاً المتعلّقة به والموجودة في بعض المصادر.

كتاب ثقات المحدّثين وضعافهم لأبي العرب:

١ ـ موضوع الكتاب: إنّ الكتاب كما هو واضح من عنوانه يدخل في كتب رواة الحديث عامّة، فلم يقتصر على نوع من الرّواة كالثّقات أو الضّعفاء أو رجال كتاب مخصوص من كتب الحديث، بل إنّه لم يختص بالأفارقة أيضاً فقد عثرت في تهذيب التّهذيب على نقل ابن حجر عنه توثيق بعض محدّثي المشرق، منهم: عبدالرحمن بن علي بن شَيْبَان الحَنَفِيّ اليَمَامِيّ[2] والحسن بن بِشر الكوفيّ[3]، كما نقل عنه في اللّسان في ترجمة إبراهيم الشّامي البغداديّ[4]، أمّا شموله لمن دخل إفريقيَّة من المحدّثين فأمر مفروغ منه، ذكره أبو العرب نفسه فيما وصل إلينا من

---

(١) انظر: مبحث أهم المواضيع التي صنف فيها القرويون، رقم ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ص ٥٧٩.

(٢) انظر: التهذيب ٦/٢٣٤.

(٣) انظر: التهذيب ٢/٢٥٦.

(٤) اللسان ١/١٢٧.

طبقاته عند إحالته على كتاب ثقات المحدّثين وضعافهم[1]، وعلى هذا فالكتاب فيما يبدو كبير الحجم.

٢ ـ منهجه وبيان الوهم في عنوانه: يبدو أنّ أبا العرب قد قسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ قسم للثّقات.

ب ـ قسم للضّعفاء، وقد أكثر ابن حجر من النّقل عن هذا القسم خاصّة ويسمّيه فيقول: ذكره أبو العرب في الضّعفاء[2]، وقد وَهِم «سزكين» بسبب ذلك فسمّى الكتاب، كتاب الضّعفاء[3]، وهو ما جعل صاحب تراجم المؤلّفين يظنّهما كتابين ففرّق بينهما مسمّياً أحدهما كتاب ثقات المحدّثين والآخر كتاب ضعاف المحدّثين[4]، كما وهم في ذلك الدّكتور أكرم ضياء العُمَرِيّ في كتاب بحوث في تاريخ السّنّة المشرّفة[5] وليس من شكّ في أنّ الكتاب واحد، ويحمل عنوان ثقات المحدّثين وضعافهم، لورود ذلك عن المؤلف نفسه[6]، وسيأتي ذكر عبارته.

جـ ـ قسم للأحاديث المُعَلَّة: ويكون هذا القسم شبيهاً بكتب علل الحديث، والذي جعلني أقول بوجود هذا القسم هو أنّ الصّفحة الموجودة من الكتاب في مكتبة القيروان تحمل عنوان: «ما جاء من الحديث في النّظر إلى الله تبارك وتعالى»[7]، كما أنّي عثرت في اللّسان على ما قد يفيد ذلك، فقد ذكر

---

(١) انظر: ط أبي العرب ٢٦، ٣٣.

(٢) انظر مثلاً: اللسان ١/١٢٧.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي ١/٢/٢٣٧.

(٤) انظر: تراجم المؤلفين ٣/٣٦١.

(٥) انظر بحوث في: تاريخ السنة ٩٢.

(٦) انظر: طبقات أبي العرب ٢٦، ٣٣، وقد سماه مرة ثقات الرجال وضعافهم.

(٧) انظر: الأعلام ٦/٢٢٥، وفيه أنه في خزانة ح.ح، عبدالوهاب وعنه نقل صاحب تاريخ التراث العربي ١/٢/٢٣٧، وبعد البحث تبين لي أنها بمكتبة جامع القيروان، وقد بذلت جهوداً مضنية دون أن أتمكن من الاطّلاع عليها.

ابن حَجَر في ترجمة أبي القاسم المغربِيّ حديث الحِنّاء: «لمّا خلق الله الجنّة حفّها بالرَّيْحَانِ وحفّ الرَّيْحان بالحِنّاء. . .» الحديث، ونقل عن ابن العرب: «أنّ أبا القاسم هذا تفرّد به عن مالك فقبّح الله من يكذب»(1)، ويمكن أن يكون هذا القسم الأخير مبثوثاً في ثنايا القسمين الأوّلَيْن.

ويظهر أنّ أبا العرب قد قدم لكتابه بخطبة بيّن فيها منهجه فيه ومصادره، فقد جاء في اللّسان: وقال أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم في كتاب الضّعفاء: «وما كان في الكتاب عن أبي الطّاهر المَدِينِيّ فإنّ محمد بن عبدالعزيز ومحمد بن بِسطام حدثاني به عن أبي الطّاهر»(2).

وليس فيما بين أيدينا من المادّة العلمية ما يزيد منهج الكتاب وضوحاً، غير أنّه يمكن الجزم بأن أبا العرب ينقل أقوال النُّقّاد في صاحب التّرجمة فقد جاء في طبقات أبي العرب: «وقد دخل إفريقيّة الحارث بن نَبْهَان وهو عند المحدّثين ضعيف في روايته، وقد ذكرنا ما قالوا فيه في كتابنا الذي ألّفناه في ثقات الرّجال وضعافهم»(3). وقال ابن حجر في ترجمة إبراهيم الشّاميّ البغداديّ: «ذكره أبو العرب في الضّعفاء ونقل عن أبي الطّاهر المدينيّ(4) أنّه ضعّفه»(5)، وعلى هذا تكون كتب الجرح والتّعديل هي المصادر الأساسيّة التي اعتمدها أبو العرب في هذا الكتاب.

٣ ـ أهمّيّة الكتاب: إنّ هذا الكتاب في غاية الأهمّيّة حيث إنّه الكتاب الوحيد الذي عرفناه ممّا صنّفه القرويّون في جرح رجال الحديث وتعديلهم، كما أنّه لم يقتصر على الأفارقة بل تعدّاهم إلى المشارقة كما هو واضح من نقول ابن

---

(١) انظر: اللسان ٧/٩٤.

(٢) اللسان ٥/٣٦.

(٣) ط أبي العرب ٣٣.

(٤) هو أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عثمان المديني، قدم مصر، (ت ٢٥٣)، اللسان ٣/٣٦.

(٥) اللسان ١/١٢٧.

حجر عنه، وفي هذا دلالة على معرفة أهل القيروان لمحدّثي المشرق وأنّ كثيراً من مصنّفات النُّقّاد المشارقة في الجرح والتّعديل كانت شائعة بالقيروان في عهد أبي العرب، والكتاب معتمَد في أحكامه من قبل الحافظ ابن حجر ليس فيما يخصّ المغاربة فقد بل فيما يتعلّق بالمشارقة أيضاً[1].

النّوع الرّابع: المصنّفات التي جمعت بين الحديث وغيره:

مدخل: هناك ارتباط وثيق وتكامل واضح بين الحديث وغيره من العلوم بالقيروان، ـ وخاصّة الفقه ـ في هذه الفترة التي أدرسها (٥٠ ـ ٤٤٩ هـ) فلا نكاد نعثر على فقيه أو مقرىء أو مفسّر ليست له مشاركة في الحديث إن لَم يكن بارعاً فيه، وقد نتج عن هذه الظّاهرة أنّ أكثر المصنّفات في الفقه والتّفسير وغيرهما قد اعتمدت على الرّواية وجمعت بين الحديث وغيره من فنون العلم.

وسأقوم هنا بالتّعريف بأربعة من الكتب التي وصلتنا ويتمثّل فيها هذا الجانب وهي: تفسير يحيى بن سلّام، مدوّنة الإمام سَحنون، كتاب آداب المعلّمين لمحمد بن سَحنون وكتاب المحن لأبي العرب التَّمِيمِيّ.

الكتاب الأوّل: تفسير يحيى بن سلّام البصري ثمّ القيروانيّ (ت ٢٠٠)[2]:

أوّلاً موضوعه: تفسير القرآن الكريم كاملاً، مع الاعتماد في الغالب على تفسير القرآن بالقرآن وما توفّر لديه من مرويّات عن النّبيّ ﷺ وصحابته فمن بعدهم، وهذا يعرف اصطلاحاً بالتّفسير بالمأثور أو بالمنقول[3].

---

(١) انظر: التهذيب ١٥٢/٢، ١٥٩، ٢٥٦، ٥٩/٣، ٢٣٤/٦، اللسان ١٢٧/١، ٣٦/٥، ٩٤/٧.

(٢) سبق ترجمته رقم ٨ في المهاجرين ص ٥٥٩.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٤٨٠/١، مباحث في علوم القرآن ٣٤٧، مقدمة تفسير مجاهد ١٥/١، ١٦.

وقد اعتبر بعضهم أنّ تفسير يحيى هو أقدم التّفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، والتي اعتنت بتفسير كامل سور القرآن الكريم[1]، إلاّ أنّ هذا يعكّر عليه ما وجد كاملاً وطبع من تفاسير التّابعين، مثل ما روي عن مُجاهد بن جَبْر (ت ١٠٤[2] وقيل قبلها) من طريق عبدالله بن أبي نَجِيح (ت ١٣١ وقيل بعدها)[3]، وهو تفسير يتعلّق بجميع سور القرآن الكريم من سورة البقرة إلى سورة النّاس، أمّا سورة الفاتحة فقد نقل المحقّق ما ورد فيها عن مجاهد في تفسير الطَبَرِيّ[4].

ثانياً: منهج تأليفه:

أ ـ سلوكه طريقة التّفسير بالمأثور: اعتمد يحيى بن سلاّم في تفسيره على الرّواية اعتماداً كبيراً[5]، فإنّ أكثر ما فيه قد ورد بسند المؤلّف، ولا غرابة في ذلك فإن عدّة شيوخه ـ كما تقدّم في ترجمته ـ[6] ٣٦٠ رجلاً سوى التّابعين وهم ٢٤ رجلاً، وامرأة واحدة تروي عن عائشة[7] ثم إنّ جلّ شيوخه من تلاميذ كبار

---

(١) انظر: التفسير ورجاله ٤٢، القراءات بإفريقية ١٥١.

(٢) أبو الحجاج المكي ثقة إمام، عالم بالحديث والفقه، متقوق في معرفة تفسير القرآن، مع ورق وتقوى وصلاح (انظر: التهذيب ١٠/٤٢، التقريب ٢/٢٢٩)، مقدمة تفسير مجاهد ١/٣٩.

(٣) أبو يسار المكي، ثقة، كثير الحديث، عالم بالتفسير، رمي بالقدر، وكان ربما دلس وقد اختلف العلماء في سماعه التفسير عن مجاهد، والصحيح أنه سمعه منه، لأن الإمام البخاري قد اعتمد روايته في صحيحه (٥/١٦١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد (مقدمة تفسير مجاهد ١/٦٠ نقلاً عن تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ٩٤)، وانظر عن ابن أبي نجيح: التهذيب ٦/٥٤، التقريب ١/٤٥٦.

(٤) انظر: تفسير مجاهد ١/٦٨، ٦٩، ٢/٨٠١.

(٥) سيأتي التمثيل لذلك، وانظر: برنامج المكتبة العبذلية ١/٤٥، التفسير ورجاله ٤٣.

(٦) رقم ٨ في المهاجرين ص ٥٥٩. (٧) الرياض ١/١٨٨.

مفسري التّابعين مثل الحسن البصري وقتادة بن دِعامة ومجاهد بن جَبْر[1]، هذا بالإضافة إلى أنّ عصر يحيى (١٢٤ - ٢٠٠) قد امتاز بأنّ الرّواية لا زالت فيه هي أساس كلّ العلوم الشّرعية ولم يتضح بعد أمر الفصل في التّأليف بين علم الحديث وغيره من الفنون، ولهذا فقد اشتمل الكتاب على عدد كبير جدّاً من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة على الصّحابة والتّابعين، كما سيأتي بيانه بالأمثلة.

ب ــ ترتيبه العام: بدأ يحيى تفسيره بذكر حدّ النّاسخ والمنسوخ والمكّيّ والمدني وبعض ما يتعلّق بنزول القرآن وترتيب الآيات داخل السّور وما جاء في البسملة[2]، ثم شرع في تفسير السّور بحسب ترتيبها في المصحف، مبتدئاً في كلّ سورة بذكر اسمها والتّنبيه على ما إذا كانت مكّيّة أو مدنيّة[3]، ثمّ يشرع في شرح الآيات في السّورة.

جـ ــ أهمّ عناصر تفسير الآيات: لم يلتزم يحيى نهجاً واحداً في تفسير الآيات، فقد يبدأ بذكر سبب نزول الآية، أو بما ورد في تفسيرها من أحاديث وآثار أو يفسّر بعض ألفاظها وغير ذلك، وفيما يلي أذكر أكثر ما اهتم يحيى بذكره في تفسيره.

١ ــ **ذكر أسباب النّزول**: إن ابن سلّام كثير الاهتمام بذكر أسباب النّزول مسندة إلى بعض الصّحابة، وذلك قليل، والغالب أن يذكرها مسندة إلى بعض التّابعين برواياتهم عمّن أبهموا ذكره من الصّحابة، وقد يذكر للآية الواحدة عدّة روايات في أسباب نزولها، وقد يورد الرّواية الواحدة من عدّة طرق، ومن نماذج ذكره لأسباب النّزول ما يلي: قال يحيى: قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا

(١) انظر شيوخ في: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين ص ٦٥٠.
(٢) انظر: مختصر تفسير يحيى لابن أبي زمنين ١ - ٣ خط.
(٣) انظر مثلاً: تفسير يحيى نسخة الجامعة الإسلامية رقم ١٣٤٣ (وهي التي اعتمدتها في التعريف بالكتاب بعد أن رقمتها) لوحة ٣٦، ١٠٢ أ.

كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِم﴾[1]. . . الحسن بن دينار (وهو شيخ ليحيى) عن الحسن ومحمد بن سيرين قالا: لقي رجل من المنافقين رجلاً من المسلمين فقال: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شرّ من الحمر، فقال المسلم: فأنا أشهد أنّه الحقّ وأنا شرّ من حمار، ثم أخبر بذلك النّبيّ ﷺ فأرسل إليه يعني المنافق فقال: قلتَ كذا وكذا؟ فحلف بالله ما قال له، وحلف المسلم بالله لقد قاله، فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ﴾[2]، قوله: ﴿وهمّوا بما لم ينالوا﴾[3]. أخبرني عاصم بن حكيم أنّ مجاهداً قال: «همّ المنافق بقتل المسلم»[4].

٢ ــ **شرح المفردات وبيان معاني الآيات**: ليحيى في إظهار معاني القرآن الكريم وشرحه طرق، هي:

أ ــ **تفسير القرآن بالقرآن**: وهو كثير في تفسير يحيى، من ذلك قول يحيى[5]: قوله: ﴿مَنْ ذَا الّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضَاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[6]، وتفسيره في سورة البقرة: ﴿مَثَلُ الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم في سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبعَ سَنَابِلَ فِي كُلّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّة واللّهُ يُضاعِفُ لمن يشَاءُ واللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[7]، وقال: قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللّيْلَ النَّهارَ﴾[8]، وهو كقوله: ﴿يُكَوِّرَ اللَّيْلَ على النَّهار ويُكوِّر النَّهار عَلَى اللَّيْل﴾[9]، ومعلوم أنّ خير ما يفسّر به القرآن هو القرآن نفسه، ولهذا كان على المفسّر أن يبدأ به[10].

(١)، (٢)، (٣) سورة التوبة: الآية ٧٤. ٢/١٧٣، ١٧٥.

(٤) تفسير يحيى لوحة ١٧، وانظر نماذج من أسباب النزول في: لوحات ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٩، ٣٦، ٦٥، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ١٣٤.

(٥) تفسير يحيى ٨٤ ب.

(٦) سورة الحديد: الآية ١١.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٨) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٩) سورة الزمر: الآية ٥، وانظر نماذج من ذلك في: تفسير يحيى ١٦، ٢٠، ٢٤ ب، ٢٧، ٢٨، ٣٦ ب، ٤٤.

(١٠) انظر: مناهل العرفان ٢/٤٨٠، ٤٨١، مباحث في علوم القرآن ٣٣٠، الإتقان في علوم القرآن. ٢/١٧٣، ١٧٥.

ب ـ **تفسير القرآن بالأحاديث والآثار**: وقد اشتمل تفسير يحيى من ذلك على ثروة كبيرة، حتّى إنّ ابن أبي زمنين قد صرّح في مقدّمة المختصر أنّ الدّافع لاختصاره هو كثرة ما اشتمل عليه من الأحاديث[1].

١ ـ الأحاديث المرفوعة: وهي كثيرة جداً، وقد يورد في تفسيره للآية الواحدة عدّة أحاديث، من ذلك ما جاء في معرض حديثه عن غزوة تبوك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ قل نارُ جَهَنَّم أَشَدُّ حَرّاً﴾[2]، قال يحيى[3]: وحدّثني تَمام بن نَجِيح عن الحسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ غَرْباً من جهنّم وُضع في الأرض لآذى حرّه من بين المشرق والمغرب»[4]، وحدّثني حمّاد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم». قيل يا رسول الله: إن كانت لكافية، قال: «فإنّها فُضّلت عليها تسعة وتسعين جزءاً»[5].

---

(١) انظر: مختصر ابن أبي زمنين لوحة ١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨١.

(٣) انظر: تفسير يحيى لوحة ١٨، ولا تكاد تخلو لوحة من حديث مرفوع أو أثر موقوف على بعض الصحابة أو من دونهم.

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وفي آخره زيادة وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال: فيه تمام بن نجيح وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله أحسن حالاً من تمام باب صفة النار ٣٨٧/١٠، قلت: والحديث ضعيف بهذا الإسناد لضعف تمام بن نجيح (التقريب ١١٣/١، الكاشف ١١٣/١).

(٥) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب بدء الخلق باب صفة النار ٩٠/٤، والترمذي بنحوه في كتاب صفة جهنم باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزء ٢٥٧٩/٧٠٩/٤، وقال: حسن صحيح، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع باب ما جاء في صفة جهنم ٢١٠/٨٤٤، كلهم من حديث أبي هريرة غير أن أسانيدهم إليه غير سند يحيى هنا.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك في سنن ابن ماجه بنحوه وفي آخره زيادة في أبواب الزهد، صفة النار ٤٣٨٧/٥٨٦/٢. =

٢ ـ الموقوفات على الصّحابة: كثيراً ما يفسّر يحيى الآيات بأقوال الصّحابة مسندة، كقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّس على التَّقوى من أوَّل يَوم..﴾[(١)]. حدّثني إبراهيم بن محمد عن محمد بن المُنْكَدِر عن عبدالله بن جعفر عن عليّ وعمر قالا: «المسجد الذي أُسّس على التقوى مسجد النّبيّ عليه السلام»[(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿رَفَع السَّمٰواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾[(٣)]. سعيد عن قَتادة أنّ ابن عبّاس قال: «لها عَمَدٌ ولكن لا ترونها»[(٤)].

٣ ـ الموقوفات على التّابعين: يورد يحيى في تفسيره للآيات ما يرويه بسنده من أقوال بعض التّابعين، من ذلك:

قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَرْفَع اللّهُ الذين آمنوا منكُم والّذين أُوتوا العلمَ دَرَجَات﴾[(٥)]. هشام عن قتادة عن مُطرِّف بن عبدالله قال: «فضل العلم

= وسند يحيى رجاله ثقات، وهم: حماد بن سلمة البصري ثقة عابد (التقريب ١٩٧/١، التهذيب ١١/٣)، محمد بن زياد القرضي الجمحي، ثقة ثبت (التقريب ١٦٢/٢، التهذيب ١٦٩/٩).

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

(٢) تفسير يحيى ٢١ أ، وهذا موافق لما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخذري رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، وقال في المرفرع: «حديث حسن صحيح غريب» كتاب التفسير باب ١٠، ٥/٢٨٠/٣٠٩٩.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢.

(٤) وقد فسرها بذلك مجاهد أيضاً كما ورد مسند في تفسيره (٣٢٣/١)، أما سند يحيى هنا فرجاله ثقات، فإن سعيداً هو ابن أبي عروبة البصري، ثقة حافظ من أثبت الناس في قتادة (التهذيب ٦٣/٤)، وقتادة بن دعامة السدوسي ثقة ثبت (التقريب ١٢٣/٢) غير أن الحديث ضعيف لما فيه من الانقطاع فإن قتادة لم يسمع من ابن عباس (انظر: التهذيب ٣٥١/٨ حيث نقل عدم سماعه من غير أنس من الصحابة).

(٥) سورة المجادلة: الآية ١١.

أعجب إليّ من فضل العبادة». قيل: لِمَ؟، قال: «لأنّه أورع لله عن محارمه»[1].
عاصم بن حكيم عن هلال بن خَبَّاب قال: قلت لسعيد بن جُبَير: متى هلاك هذه الأمة؟ فقال: «إذا هلك فقهاؤها هلكوا»[2].

٤ ــ اعتمد يحيى في تفسيره على المراسيل والبلاغات ونحو ذلك، وسيأتي بيانه والتّمثيل له عند الكلام على الصّناعة الحديثيّة.

ج ــ التّفسير بالاعتماد على اللّغة العربيّة ومدلولاتها:

اعتمد يحيى هذا النّوع من التّفسير أيضاً وشاع في كتابه، وقد نصّ علماء التّفسير على اعتماده[3]، وهو طريق سليم لتفسير القرآن، فإنّ كتاب الله عزّ وجلّ نزل باللّغة العربيّة، والآيات التي لم يرد في شرح معناها نصّ في الكتاب أو السّنّة أو أثر عن الصحابة أو التّابعين، يتوقّف فهم المراد بها على شرح مفردات الألفاظ والعبارات ومدلولاتها بحسب وضعها في لغة العرب.

وهذه بعض النّماذج على ذلك من تفسير يحيى بن سلّام:

قال يحيى[4]: «الدّين فى اللّغة الجزاء، ومن كلام العرب دِنته أي جازيته... وأصل الصّبر: الحَبْس، ولذلك سُمّي الصائم صابراً لحبس نفسه من

(١) أخرجه ابن عبدالبر من طريق قتادة عن مطرف بنحوه (جامع بيان العلم ١/٣٢، ٢٤)، وسند يحيى (تفسير يحيى ١٢٧ ب) إلى مطرف صحيح: هشام بن سَنْبَر الدستوائي ثقة (التقريب ٢/٣١٩)، قتادة ثقة كما مر قريباً، مطرف بن عبدالله بن الشخير ثقة عابد فاضل (التقريب ٢/٢٥٣).

(٢) تفسير يحيى ١٢٧ ب، وهذا الأثر أخرجه ابن عبدالبر بنحوه في جامع بيان العلم من طريق هلال عن سعيد ١/١٥٣، وسند الحديث عند يحيى حسن، فإن عاصماً صدوق (التقريب ١/٣٨٣)، وهلال بن خباب وثقه الذهبي وقال ابن حجر: صدوق تغير بأخره (التقريب ٢/٣٢٣، الكاشف ٣/٢٠٠)، وسعيد بن جبير، ثقة ثبت فقيه (التقريب ١/٢٩٢).

(٣) انظر: الإتقان ٢/١٧٩، مباحث في علوم القرآن ٣٣١.

(٤) مختصر تفسير يحيى خط ٧ ب، وما ذكره موافق لما جاء في كتب اللغة، انظر مثلاً: القاموس المحيط ٢/٦٦، ٤/١٤١، ٢٢٥.

الأكل والشّرب». وقال يحيى: «قوله: ﴿المُنَافِقُون والمُنَافِقَات بعضُهم من بعض﴾ (بعضهم أولياء بعض)، ﴿يَأْمُرُونَ بالمُنْكَرِ﴾ (يأمرون بالكفر بالله)، ﴿ويَنْهَوْنَ عن المَعْرُوف﴾ (عن الإيمان بالله وما جاء به رسوله)، ﴿ويَقْبِضُون أَيْدِيَهُم﴾[1] (عن النّفقة في سبيل الله)»[2].

وقال في موضع آخر: «قوله: ﴿سَوَاءٌ مِنكُم من أَسَرَّ القولَ ومَنْ جَهَرَ بِهِ ومن هُو مُسْتَخْفٍ باللَّيْل وسَارِبٌ بالنَّهار﴾ (فيها تقديم وتأخير: سواء من أسرّ القول منكم ومن جهر به)... قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ (لهذا المستخفي وهذا السارب)، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله﴾[3] (فيها تقديم وتأخير: له معقّبات من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، أولئك يحفظونه)»[4].

وقال يحيى: «قوله: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورة أَنْ آمنوا بالله وجَاهِدُوا مع رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَك أُولو الطَّوْلِ منهم﴾ (ذوو السّعة والغنى في البقاء والتّخلف عن الجهاد)، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِين﴾[5] (النساء)»[6].

وقال يحيى عند تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهم﴾[7]: «وكلّ شيء في القرآن «اشتروا» فهو شراء إلاّ هذه الآية، وكلّ شيء في القرآن «شروا» فهو بيع»[8].

٣ ـ بيان الأحكام التي اشتملت عليها الآيات:

إذا تعرّض يحيى لآية تتضمّن حكماً فقهيّاً بيّنه، وذكر ما يرويه في ذلك مرفوعاً أو موقوفاً على الصّحابة أو من دونهم، من ذلك قوله عند تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنّ لِعِدَّتِهِنّ﴾[9]... سعيد عن

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.
(٢) تفسير يحيى ١٦ ب.
(٣) سورة الرعد: الآيات ١٠، ١١.
(٤) تفسير يحيى ٢٧ أ.
(٥) سورة التوبة: الآية ٨٦.
(٦) تفسير يحيى ١٩.
(٧) سورة البقرة: الآية ٩٠.
(٨) مختصر تفسير يحيى ١١ ب.
(٩) سورة الطلاق: الآية ١، وانظر: تفسير يحيى ٥٠ ب، ٥١ أ.

قتادة قال: يطلّقها في قُبُل عدّتها طاهراً من غير جماع[1]، أبو الأشهب عن الحسن قال: «كان الرّجل إذا أراد أن يطلّق امرأته استقبل طُهرها، ثم دعا شاهدين فأشهدهما على طلاقها واحدة، وقال لها: اعتدّي، ثمّ تلوّم نفسه فيها بينه وبين انقضاء عدّتها، فإن كان له فيها حاجة دعا شاهدين فأشهدهما أنّي قد أرجعتها، وإن لم يكن له فيها حاجة تركها حتّى تنقضي عدّتها، فإن ندما، كان خاطباً من الخطّاب..»[2].. سليمان بن أَرْقَم عن الحسن ومحمد بن سِيرين قالا: كان يقول: «من طلّق الطّلاق للسُّنّة لم يندم على امرأة فارقها»[3]. قال يحيى: «يقولان: ينبغي له أن يطلّقها واحدة ولا يطلّقها الثّلاث جميعاً».

سعيد عن قتادة أنّه كان يقول: «طلاق السُّنّة أن يطلّق الرّجل امرأته من قُبل عدّتها طاهراً من غير جماع، يطلّقها واحدة ثم يدعها، وإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثّالثة، فإن أراد أن يطلّقها ثلاثاً طلّقها أخرى في قُبل عدّتها طاهراً من غير جماع، ثم يدعها حتّى إذا حاضت وطهُرت طلّقها أخرى، ثم لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره»[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره بنحوه ٨٤/٢٨، ورجال سند يحيى هنا ثقات: سعيد بن أبي عروبة، ثقة حافظ، من أثبت الناس في قتادة (التقريب ٣٠٢/١)، قتادة بن دعامة السّدوسي، ثقة ثبت (التقريب ١٢٣/٢)، وله شاهد صحيح بنحوه من كلام ابن عباس ذكره الحافظ في الفتح وعزاه إلى الطبراني وصحح سنده (فتح الباري ٣٤٦/٩).

(٢) لم أقف على هذا القول للحسن، وورد نحو هذا عن غيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾، انظر: تفسير الطبري ٨٨/٢٨، ٨٩، وانظر: الكلام عن سنة الطلاق وبدعته، وطلاق الثلاث: الشرح الكبير ٤١٠/٤ فما بعدها، فتح الباري ٣٤٥/٩، ٣٦١، المجموع ١٢١/١٧، المغني لابن قدامة ٣٧٠/٧ شرح النووي على مسلم ٦٢/١٠، ٧٠.

(٣) ورد نحو هذا القول من كلام علي رضي الله عنه، ولم أعثر عليه في كتب السنة وإنما جاء في المغني لابن قدامة (٣٦٥/٧، ٣٨٦، ٣٦٩)، والشرح الكبير (٤١٠/٤)، معزواً إلى الأثرم والنجاد، وهذا الأخير رواه من طريق ابن سيرين عن علي، وسند يحيى هنا فيه سليمان بن أرقم، وهو ضعيف (التقريب ٣٢١/١).

(٤) رواه الطبري بنحوه بسند صحيح (تفسير الطبري ٨٤/٢٨): عن محمد بن عبدالأعلى، =

ابن أبي ذِئب عن نافع عن ابن عمر أنّه طلّق امرأته وهي حائض فسأل عمر النّبيّ ﷺ فقال: مُره فليراجعها ثمّ يمسكها حتّى تطهر من حيضة غير الحيضة التي طلّقها فيها، فإذا طهرت إن شاء أمسك وإن شاء طلّق[1].

قال يحيى: كان ابن عمر طلّقها واحدة[2]، فقيل ليحيى: أبلغك أنّ ابن عمر طلّقها ثلاثاً؟ قال: لا، إلا واحدة، قيل له: أيعتدّ بتلك التّطليقة الواحدة؟ قال: نعم[3].

أشعث عن عبدالله بن أبي يزيد أنّ رجلاً طلّق امرأته ثلاثاً فسأل عن ذلك ابن عبّاس فقال له: أغضبت ربّك وبانت منك امرأتك، لم تتّق الله فيجعل لك مخرجاً، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[4].

= ثقة. (التهذيب ٢٨٩/٩)، ثنا محمد بن ثور، ثقة. (التهذيب ٨٧/٩)، عن معمر بن راشد، ثقة ثبت فاضل، (التقريب ٢٦٦/٢)، عن قتادة، ثقة. كما تقدم قريباً، وسند يحيى رجاله ثقات كما تقدم.

(١) اتفق الشيخان وغيرهما على إخراج هذا الحديث بنحوه، صحيح البخاري، كتاب الطلاق باب ١، ١٦٣/٦، صحيح مسلم، كتاب الطلاق باب ١، ١/١٠٩٣/٢، ويلتقيان مع سند يحيى في نافع وابن عمر، وهو عندما من طريق مالك، وعند يحيى من طريق ابن أبي ذئب. وقد ذكر الحافظ في الفتح (٣٥٣/٩)، إن هذا الطريق في جامع عبدالله بن وهب، وابن أبي ذئب هو: محمد بن عبدالرحمٰن بن المغيرة المدني. ثقة فقيه فاضل. (التقريب ١٨٤/٢).

(٢)، (٣) انظر: صحيح البخاري كتاب الطلاق باب ٢، ١٦٣/٦، صحيح مسلم كتاب الطلاق باب ١، ١/١٠٩٤/٢، ٢، وراجع فتح الباري ٣٥١/٩ - ٣٥٥.

(٤) الآية في سورة الطلاق ٤، والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث بنحوه وفي أوله قصة، ٢١٩٧/٦٤٧/٢، وحكم ابن حجر على سنده بالصحة (الفتح ٣٦٢/٩)، وسند يحيى فيه عبدالله بن أبي يزيد وهو مقبول وذكره ابن حبان في الثقات (التهذيب ٨٤/٦، التقريب ٤٦٢/١).

هَمَّام بن محمد سمعت الحسن يقول في الذي يطلّق ثلاثاً جميعاً: إنّه لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره[1].

سليمان بن أَرْقَم عن الحسن أنّ عليّ بن أبي طالب كان يكره أن يطلّق الرّجل امرأته ثلاثاً جميعاً في مجلس واحد ويقول: «أخطأ السّنّة ويلزمه ذلك»[2].

سليمان بن أَرْقَم عن الحسن قال: قال عمر: وعظت النّاس. . . أردت أو هممت أن أجعل الذي يطلّق ثلاثاً في مقعد واحد تطليقة واحدة حتّى حملوني على كتاب الله فحملتهم على كتاب الله[3]. قال يحيى: يقول: لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره.

عثمان عن نافع عن ابن عمر أنّه قال: «عصى ربّه، وحرمت عليه امرأته»[4] (أي الذي طلّق ثلاثاً).

---

(١) لم أعثر على هذا القول للحسن، وهذا منطوق الآية الكريمة: ﴿فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعدُ حتّى تنكح زوجاً غيرَهُ﴾ (البقرة ٢٣٠)، وقد نقل الطبري نحو قول الحسن هذا عن بعض الصحابة والتابعين (تفسير الطبري مح ٤/٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) نقل نحو هذا عن بعض الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس (انظر: فتح الباري ٩/٣٦٢ - ٣٦٧)، شرح النووي على مسلم ١٠/٧٠ - ٧٢.
وسند يحيى فيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف (التقريب ١/٣٢١).

(٣) أصل هذا الحديث في صحيح مسلم من حديث ابن عباس عن عمر، كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث ٢/١٠٩٩/١٥، ١٦، ١٧، وعند أبي داود، كتاب الطلاق باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث ٢/٦٤٩/٢١٩٩.
أما سند يحيى فإن فيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف كما تقدم، كما أن الحسن البصري لم يسمع من عمر رضي الله عنه (التهذيب ٢/٢٦٤).

(٤) ورد قول ابن عمر هذا بنحوه في آخر حديث في صحيح مسلم، كتاب الطلاق باب ١، ٢/١٠٩٣، ١٩٤/١، وله روايات عند الدارقطني في كتاب الطلاق ٤/٢٨، ٢٩، ٣٢، ٤٥، ٧٨ ٧٩، ٨٥، ١٣١.
وتلتقي أسانيدهم مع سند يحيى في نافع وابن عمر أما عثمان فهو ابن واقد المدني ثم البصري، مختلف فيه، وحديثه حسن، وقد توبع على هذا الحديث فيرتقي حديثه على درجة الصحيح لغيره. التقريب ٢/١٥، التهذيب ٧/١٥٨.

وقد يرجّح يحيى بعض الأقوال على بعض عند إيراده للأحكام كما سيأتي عند ذكر ترجيحاته واختياراته.

٤ ـ التّنبيه على القراءات المختلفة:

كثيراً ما يشير يحيى إلى أوجه القراءة المختلفة للّفظ الواحد، ولا غرابة في ذلك، فإنه قد روى الحروف عن أصحاب الحسن البصريّ[١]، بالإضافة إلى براعة كثير من شيوخه الآخرين في القراءات[٢]، ممّا أهله لأن يكون صاحب اختيار وترجيح في ذلك كما سيأتي، غير أنّ يحيى لا يصرّح بأسماء أصحاب تلك القراءات إلاّ قليلاً، ومن نماذج ذلك ما يلي:

ـ جاء في المختصر[٣]: «يكذبون»، أشار يحيى إلى أنها «تقرأ بالتّخفيف والتثقيل». قلت: أي يَكْذِبُون، ويُكَذِّبون، وهما قراءتان سبعيّتان[٤].

ـ قال يحيى في قوله تعالى: ﴿وأتمّوا الحجّ والعمرة لله﴾[٥] «مقرأ العامّة بالنّصب فيهما»، وذكر قراءة أخرى وهي: نصب الحجّ ورفع العمرة، وذكر أنّ هذه القراءة تتّفق مع قول من ذهب إلى أنّ الحجّ فريضة والعمرة تطوّع[٦].

وقد أورد الطَّبَرِيّ أيضاً قراءة الرّفع بسنده إلى عامر بن شَرَاحِيل الشَّعْبِيّ[٧].

ـ وقد يشير يحيى إلى زيادة لفظ في بعض القراءات، من ذلك ما جاء في

---

(١) غاية النهاية ٢/٣٧٣.

(٢) انظر: القراءات بإفريقية ١٥٤ ـ ١٥٨.

(٣) مختصر تفسير يحيى خط ٤ ب، واللفظ من الآية ١٠ في سورة البقرة.

(٤) انظر: فتح القدير ١/٤٢، البحر المحيط ١/٦٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

مختصر تفسير يحيى ٢١ ب.

(٧) تفسي الطبري مح ٤/١٠، ١١، والشعبي ثقة مشهور فقيه فاضل من الطبقة الثالثة (التقريب ١/٣٨٧).

تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾[1]. سعيد عن قتادة قال: هي في قراءة أُبيّ بن كعب: «له معقّبات من بين يديه ورَقيب من خلفه»[2] أي بزيادة كلمة «رقيب»، وقد ذكر هذه القراءة صاحب البحر أيضاً، وذكر قراءتين نحوها عن ابن عباس، ثم قال: «وينبغي حمل هذه القراءات على التّفسير لا أنّها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون»[3].

ويبدو أنّه كانت ليحيى قراءة يعرف بها، فقد جاء في المختصر: قال محمد بن أبي زمنين: «قراءة يحيى: «واتَّخِذُوا» بكسر الخاء، وقرأ بعض القراء: «واتَّخَذُوا» بفتح الخاء»[4].

ويؤيّدُ هذا ما ذكره ابن الجَزَرِيّ من أنّ ليحيى اختياراً في القراءة من طريق الآثار[5].

٥ ـ الإشارة إلى اختياراته وترجيحاته:

كثيراً ما يذكر يحيى اختياراته من بين ما يورده من الرّوايات، مُعبّراً عن ذلك، بقوله: «وبه يأخذ يحيى»، أو «قال يحيى»، ثمّ يسوق ما ترجّح لديه، من ذلك:

ـ إنّه أورد عدّة روايات في نفقة المطلّقة ثلاثاً وسكناها، ثمّ أورد الرّواية عن عمر رضي الله عنه بأنّ لها السُّكنى والنّفقة، وقال على أثرها: «وبه يأخذ يحيى»[6].

---

(١) سورة الرعد: الآية ١١.
(٢) تفسير يحيى ٢٧ أ.
(٣) البحر المحيط ٣٧٢/٥.
(٤) مختصر تفسير يحيى ١٥ أ، والمقصود ما ورد في قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة ١٢٥).
(٥) غاية النهاية ٣٧٣/٢.
(٦) تفسير يحيى ٥٣، وانظر مناقشة هذه المسألة في: الفتح ٤٨٠/٩، وشرح النووي على مسلم ٩٥/١٠، والجمهور على أن المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ولها السكنى.

ـ ساق يحيى عدة روايات تتعلّق بنفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها، وفي آخرها أورد رواية عن جابر بن عبدالله والحسن وسعيد بن المسيَّب وعطاء، قالوا: الحامل المتوفَّى عنها لا نفقه لها، ثم قال: «وبه يأخذ يحيى»[1].

ـ وإذا كانت المسألة مجمعاً عليها نبّه يحيى على ذلك بقوله: «وليس فيه اختلاف»[2].

وما تقدّم هو اختيارات يحيى وترجيحاته في الأحكام، وقد ذكرت المصادر أنّ له اختياراً في القراءة أيضاً من طريق الآثار[3]، غير أنّي لم أقف على نماذج لذلك في الجزء الذي اعتمدته من تفسيره، ويمكن أن تكون له اختيارات كذلك في معاني المفردات وأسباب النزول والنّسخ والمكي والمدني، ونحو ذلك غير أنّ هذا الجزء لم يظهره.

د ـ الصناعة الحديثيّة في تفسير يحيى:

* **عنايته بالإسناد ومنهجه في ذلك:** اعتنى يحيى في تفسيره بجانب الرّواية، فإن أكثر ما فيه مروي بأسانيده سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً على الصّحابة أو التّابعين أو مرسلاً.

وفيه إلى جانب ذلك البلاغ والمعلّق والمنقطع ونحو ذلك.

صيغ الأداء: ويلاحظ أنّ يحيى لم يلتزم صيغة معينة من صيغ الأداء من التّحديث أو الإخبار أو السّماع ونحو ذلك[4]، كما أنّه كثيراً ما يغفل ذكرها. وهذا في كتابه كثير جداً، كقوله: النَّضْر بن مَعْبَد عن أبي قِلَابة، وقوله: سليمان بن أَرْقَم عن الحسن، وقوله: هشام عن قتادة...[5].

---

(١) تفسير يحيى ٥٣ ب، وانظر: نماذج أخرى في ٢٠أ، ٢٠ ب.

(٢) تفسير يحيى ٥١ ب.

(٣) انظر مثلاً: غاية النهاية ٢/٣٧٣، طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٧١.

(٤) انظر: تفسير يحيى ٧، ١٠، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٩، ١١٦ ب.

(٥) انظر: تفسير يحيى ١١١ أ، ٥١، ٦٣ أ، ٥٢، ٥٣، ٥٧ أ.

وقد يكون صرّح في موضع آخر بالسّماع أو بالتّحديث عن بعض من يذكرهم دون أن يبيّن كيفية تحمّله عنهم، مثل قوله في مواضع: «عاصم بن حَكيم»[1]، وفي مواضع أخرى: «أخبرني عاصم بن حَكيم»[2]، وقوله: «حمّاد بن سلمة»[3]، وفي مواضع أخرى: «حدّثني حمّاد بن سلمة»[4].

وهذه طريقة متّبعة لدى الأفارقة كما هو واضح من خلال المدوّنة.

وقد لا يعيّن يحيى شيوخه كقوله: «سمعت بعض أشياخنا يقول»، و«قال بعضهم»، و«سمعت بعضهم»...[5].

جمع الطّرق: كثيراً ما يجمع يحيى في سند واحد شيوخه الذين سمع منهم متناً واحداً، كقوله: «وحدثني سفيان الثّوري وشريك بن عبدالله ويونس بن أبي إسحٰق الهَمْدَانِيّ عن أبيه عن البراء بن عازب...»[6]، وقوله: «سعيد وهمّام وعثمان عن قتادة»[7].

تسمية من ورد في الإسناد مبهماً: كقوله: «وحدّثني خِدَاش عن موسى الأَسْوَارِيّ عمّن حدث عن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال... هو أبو هارون العَبْدِيّ الذي حدّث عن أبي سعيد الخُدْرِيّ»[8].

ذكر المتابعات والشّواهد، كقوله: «حدثنا عثمان عن قتادة عن شَهْر بن حَوْشَب قال: ...» وبعد أن ساق الحديث ذكر متابعاً لعثمان حيث قال: «**همّام** عن قتادة عن شَهْر بن حَوْشَب نحوه...»[9]، وقوله: «حدّثني إبراهيم بن محمد

(١) انظر: تفسير يحيى ٧، ١٦، ١٩.
(٢) انظر: تفسير يحيى ١٤.
(٣) تفسير يحيى ٥٨.
(٤) تفسير يحيى ١٩.
(٥) انظر: تفسير يحيى ٢٤ ب، ٢٨، ٢٩، ٦٢ ب.
(٦) تفسير يحيى ٣٠ أ.
(٧) تفسير يحيى ٥٨ أ.
(٨) تفسير يحيى ٦٣ أ.
(٩) تفسير يحيى ٢١.

عن محمد بن المُنْكَدِر عن عبدالله بن جعفر عن علي وعمر قالا»، وبعد أن ذكر قولهما ساق شاهداً حيث قال: «وحدّثني إبراهيم بن محمد عن محمد بن المُنْكَدِر عن أبيّ بن كعب مثله»[1].

المراسيل: أكثر يحيى من إيراد المراسيل في كتابه، ولم تكن له عناية بالكلام على أسانيدها أو حتّى التّنبيه على كونها مرسلة.

وأكثر هذه المراسيل هي مراسيل الحسن البصري، وقد ذكر العلماء أنّ معظمها جيّد ومقبول[2].

وقد أورد أيضاً مراسيل عامر الشَّعْبِيّ[3] ومحمد بن شِهاب الزُّهريّ[4] ومكحول[5] ومجاهد[6] وسعيد بن المسيَّب[7] والقاسم بن عبدالرحمن[8]، وغيرهم.

ومن هذه المراسيل قوله: حدّثني الحسن بن دينار عن الحسن (البصري) قال: قال رسول الله ﷺ: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[9]، وقوله: «حدّثني عبدالرحمن بن يزيد عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقام

---

(١) تفسير يحيى ٢١.
(٢) انظر: التهذيب ٢/٢٦٦، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ١٥٣، شرح علل الترمذي لابن رجب ١٧٦، ١٧٧.
(٣) انظر مثلاً: ٦٢ ب.
(٤) انظر مثلاً: مختصر تفسير يحيى لوحة ٣.
(٥) تفسير يحيى ١٩.
(٦) تفسير يحيى ١٤.
(٧) تفسير يحيى ٢٧ ب.
(٨) تفسير يحيى ٦١ أ.
(٩) تفسير يحيى ٢٠ ب، والحديث أخرجه الترمذي مسنداً من حديث أبي سعيد الخدري بلفظه وفيه زيادة، كتاب التفسير، سورة الحجر ٥/٢٩٨/٣١٢٧، وقال: حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم (أي موقوفاً عليهم) قلت: وهذا حديث حسن فإن رجاله عند الترمذي ثقات إلا مصعب بن سلام فقد وثقه جماعة وضعفه آخرون والراجح في حاله أنه صدوق (انظر: تهذيب الكمال ٣/٣١٣٢، التهذيب ١٠/١٦١، التقريب ٢/٢٥١، الميزان ٤/١٢٠، الكاشف ٣/١٣٠). وانظر أمثلة عن مراسيل الحسن في: تفسير يحيى ١١، ١٧، ١٨، ٢٠.

الصّلاة وآتى الزّكاة ومات لا يشرك بالله شيئاً فإنّ حقّاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد في مولده، وإنّ في الجنّة لمائة درجة بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، ولولا أن أشقّ على أمّتي ولا أجد ما أحملهم عليه، ولا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا بعدي ما قعدت خلاف سريّة تغزو، ولوددت أنّي أقاتل في سبيل الله فأُقتل ثمّ أُحيا ثمّ أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل»»[1].

المنقطع: وهو لغة من الانقطاع ضدّ الاتّصال، واصطلاحاً: هو الإسناد الذي لم يتصل إسناده على أيّ وجه كان انقطاعه[2]، وقد أكثر يحيى من إيراده دون أن ينبّه على ما في السّند من الانقطاع من ذلك:

---

(١) تفسير يحيى ١٠ أ، والحديث أخرجه النسائي من حديث أبي الدرداء بنحوه في كتاب الجهاد باب درجة المجاهد ٦/ ٢٠، وسند النسائي فيه ضعف يسير، إذ إن فيه محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع، وهو صدوق يخطىء ويدلس (التقريب ٢/ ١٩٨)، غير أن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح لغيره، فقد أخرج شطره الأول: الترمذي وأحمد بمعناه وفيه زيادة كلاهما من حديث معاذ بن جبل، سنن الترمذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة الجنة ٤/ ٦٧٥/ ٢٥٣٠، مسند أحمد ٥/ ٢٤٠.

قلت: وفي السند عندهما: عطاء بن يسار عن معاذ، وهو لم يدركه كما نبه عليه الترمذي، وقال ابن حجر: «في سماعه منه نظر» (التهذيب ٧/ ٢١٨) غير أن الحديث روي أيضاً من طريق عطاء عن عبادة (الترمذي في نفس الموضع) وإسناده حسن فإن رجاله ثقات، غير هشام بن سعد اختلفوا فيه، وحديثه حسن كما قال العجلي (التهذيب ١١/ ٣٩، التقريب ٢/ ٣١٨، ثقات العجلي ٤٥٧).

أما شطره الثاني فقد أخرجه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان باب الجهاد من الإيمان ١/ ١٤، ومسلم بنحوه وفي أوله زيادة كتاب الإمارة باب فضل الجهاد ٤/ ١٤٩٥ - ١٤٩٧/ ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ومالك في الموطأ في أول حديث مختصر بنحوه في كتاب الجهاد باب الشهداء في سبيل الله ٣٦٨/ ٣٣، وأخرجه بنحوه في باب الترغيب في الجهاد ٣٧٣/ ٤٥، والنسائي بنحوه في كتاب الجهاد باب تمني القتل في سبيل الله ٦/ ٣٢، وابن ماجة بنحوه وفي أوله زيادة، باب فضل الجهاد ٢/ ١٧١/ ٢٧٧٩٨، جميعهم من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر: التقريب والتدريب ١/ ٢٠٧، علوم الحديث لابن الصلاح ٥١، اختصار علوم الحديث ٥٠، تيسير مصطلح الحديث ٧٦.

ـ روايته عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه[1]، وهو لم يسمع من أبيه بالإضافة إلى ضعفه الشديد[2].

ـ روايته من طريق قتادة عن ابن عبّاس، ولم يسمع منه[3].

ـ روايته من طريق الحسن البصري عن علي، ولم يدركه[4].

البلاغات: والبلاغ هو قول الرّاوي: بلغني عن فلان، لشخص لا يتوهّم سماعه منه لأنّ بينهما ما لا يقلّ عن واسطتين، وهو نوع من المُعْضَل، والمُعْضَل هو ما سقط من إسناده إثنان فأكثر على التّوالي[5].

وقد اشتمل تفسير يحيى على كثير من بلاغاته، ولا يتوهّم أنّه تأثر في ذلك بالإمام مالك، فإنّ الإمام من أقرانه، وقد روى كلّ منهما عن صاحبه كما تقدّم في ترجمة يحيى، بل إن صنيع يحيى هذا يؤكّد أنّ مالكاً لم ينفرد بالبلاغات، ولكنّها عرفت لغيره أيضاً.

ومن بلاغات يحيى في تفسيره:

ـ قوله: «بلغنا أنّ رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد (مسجد الضّرار)، وقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا بالله إن أردنا إلّا الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّه يَشْهَدُ إنّهم لَكَاذِبُون﴾»[6].

---

(١) انظر مثلًا: ١٠، ١٤، ٦١ أ، ٦٤ ب، ٧٣ ب.

(٢) انظر: مقدمة تفسير مجاهد ٤٦/١، ط ابن سعد ٤٩٦/٥، التهذيب ٤٥٣/٥، التقريب ٥٢٨/١.

(٣) انظر مثلًا: تفسير يحيى ٢٤ ب، وانظر: التهذيب ٣٥١/٨.

(٤) تفسير يحيى ٥١ أ، وانظر التهذيب ٢٦٤/٢.

(٥) انظر: التدريب والتقريب ٢١١/١، ٢١٢، علوم الحديث لابن الصلاح ٥٤، ٥٥، التقييد والإيضاح ٨١.

(٦) تفسير يحيى ٢١ ب، والآية في سورة التوبة ١٠٧.

ـ وقوله: «بلغنا أنّ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ماتوا قبل أن تُفترض الفرائض أو بعضها، فقال ناس من أصحاب النبي عليه السلام: مات إخواننا قبل أن تفترض الفرائض فما منزلتهم؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾(1)، قال يحيى: «وقد كانوا يؤمنون بما فُرض عليهم يومئذ فأخبر أنّهم ماتوا على الإيمان»(2).

ـ وله بعض البلاغات الموقوفة على الصّحابة(3) والتّابعين(4)، وقد يأتي في البلاغات ببعض السّند وقد يحذفه كاملاً(5).

التّعليق: والمعلّق(6) هو ما حُذف من مبدأ إسناده راوٍ أو أكثر على التّوالي.

وأكثر ما يظهر هذا في تفسير يحيى فيما ينقله عمّا اعتمده من أجزاء التّفاسير الموجودة قبله، لأنّه لا يصرّح دائماً بذكر السّند إلى أصحابها، ومنها ما لم أقف له أبداً على ذكر لأسانيده إليها.

وأكثرها وروداً في كتابه تفسير عبدالله بن عبّاس، وتفسير الحسن البصريّ، وتفسير محمد بن مروان السُّدِّيّ، وتفسير محمد بن السّائب الكَلْبِيّ، وتفسير مجاهد بن جَبْر، وتفسير قَتادة بن دِعامة(7).

ومن نقوله عنهم:

ـ قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

---

(1) سورة التوبة: الآية ١١٥.
(2) تفسير يحيى ٢٢ ب.
(3) انظر مثلاً: ٧١ أ.
(4) انظر مثلاً: ٧٥ ب.
(5) انظر نماذج للبلاغات عنده في: لوحات ١٧، ١٩، ٢٩ ب، ٣٠ أ، ٧٤ ب، ٨٣ أ، ٨٦ ب، ١١١ أ، ١١٥أ، ١٣١.
(6) علوم الحديث لابن الصلاح ٢٠، التقييد والإيضاح ٣٢، تيسير مصطلح الحديث ٦٨.
(7) انظر نماذجها مرتبة في: تفسير يحيى ٨، ٢٢، ٢ ب، ٧ أ، ٩، ١١، ١٣، ٢٠، ٢٢، ٢٢ ب، ٦١ أ، ١٣، ٢٤.
والسُّدّيّ: متهم بالكذب (التقريب ٢/٢٠٦)، والكَلبيّ أيضاً متهم بالكذب ورمي بالرفض (التقريب ٢/١٦٣).

أَحَدَاً﴾[1]: «والغيب هاهنا في تفسير الحسن: القيامـة . . . وتفسير قتادة: الغيب: الوحي، وتفسير السُّدِّيّ: الغيب يعني غيب وقت العذاب متى هو»[2].

ـ وقال يحيى: «قوله: ﴿فضُرِبَ عَلَيْهِم بِسُورٍ لَهُ بَاب﴾[3]: تفسير مجاهد أنّه الأعراف»[4].

ـ وقال: «قوله: ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِـذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَـلاً صَالِحـاً وآخر سيّئاً﴾[5]: هم من المؤمنين، منهم: أبو لُبَابة ابن عبدالمُنْذِر وأَوْس بن ثَعْلَبَة في تفسير الكَلْبِيّ، وقال الحسن: لا أسمّيهم»[6].

* **عنايته بالمتن:** لم تظهر ليحيى في تفسيره عناية تذكر بالمتن، ومن هذا القليل:

ـ تنبيهه على اختلاف ألفاظ الرّواة:

كقوله في حديث طهور الأنصار: قالوا: «نغسل أثـر المقاعـد»، ثم أورد طريقاً آخر للحديث وقال: «إلا أنّه قال: نغسل أثر الخلاء»[7].

ـ توضيح معاني الأحاديث وبيان فقهها:

من ذلك قوله في الحديث الذي أرسله مكحول ـ وقد تقدم قـريباً ـ قـال يحيى: «قوله في أول الحديث: «هاجر أو قعد في مولده»، بعدما انقطعت الهجرة وذلك بعد فتح مكّة وبعدما صار الجهاد تطوّعاً»[8].

هــ مصادره: ليحيى في تفسيره مصدران أساسيّان:

١ ـ شيوخه الذين شافهوه ونقل عنهم مرويّاتهم في الحديث والتّفسير، وقد

---

(١) سورة الجن: الآية ٢٦.
(٢) تفسير يحيى ٣٦.
(٣) سورة الحديد: الآية ١٣.
(٤) تفسير يحيى ٨٦ ب.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٢.
(٦) تفسير يحيى ٢٠.
(٧) تفسير يحيى ٢١، وانظر: ١٨.
(٨) تفسير يحيى ١٠ أ.

تتبّعتهم في الجزء الذي اعتمدته للتّعريف بالكتاب فوصلوا إلى ٦٦ شيخاً وقد عرّفت بأشهرهم في ترجمة يحيى[١].

٢ ـ التّفاسير السابقة عليه: وهي تفاسير يروي يحيى بعضها بسنده إلى بعض الصّحابة وكثير من التابعين، أشهرها:

ـ تفسير عبدالله بن عبّاس الصّحابي الجليل، أحد المكثرين من الرّواية، حَبْر الأمّة وترجمان القرآن (ت ٦٨)[٢].

ـ تفسير عمر بن الخطّاب، ثاني الخلفاء الرّاشدين، وقد نزل القرآن بموافقته في عدّة أشياء (ت ٢٣)[٣].

ـ تفسير الحسن بن يسار البصري وهو تابعيّ جليل، غزير العلم، عارف بالتّفسير (ت ١١٠)[٤]، وقد أكثر يحيى بن سلّام من النّقل عنه[٥].

ـ تفسير قتادة بن دِعامة السّدوسيّ البصري (ت ١١٧ أو ١١٨)، وهو من كبار علماء التّابعين وحفّاظهم[٦].

ـ تفسير مجاهد بن جَبْر المَكّيّ أحد كبار مفسّري مدرسة ابن عبّاس (ت ١٠٠ وقيل بعدها)[٧].

ـ تفسير محمد بن السّائب الكَلْبِيّ المفسّر، أبو النَّضْر الكوفيّ وهو عالم

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٨ في المهاجرين.
(٢) انظر: التهذيب ٢٧٨/٥، وانظر: تفسير يحيى ٨، ٢٢، ٢٤، ٤٤.
(٣) انظر: التهذيب ٤٣٨/٧، تفسير يحيى ١٤، ٢٨، ٣٠.
(٤) انظر: التهذيب ٢٦٣/٢، مباحث في علوم القرآن ٣٣٩.
(٥) انظر: تفسير يحيى ٢ ب، ٨، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٤.
(٦) التهذيب ٣٥١/٨، وانظر: تفسير يحيى ٧ ب، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٦، ١٩، ٢٠.
(٧) التهذيب ٤٢/١٠، وانظر: تفسير يحيى ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٦.

بالتّفسير والأنساب والأخبار غير أنّه متّهم بـالكذب والـرّفض (ت ١٤٦)[١]، وقد أشار «سزكين» إلى مواضع تفسيره[٢].

– تفسير محمد بن مروان السُّدِّيّ الكوفي، أخذ عن الكَلْبِيّ تفسيره، وهو متّهم بالكذب[٣] وقد ذكر «سزكين» أنّ له تفسيراً[٤].

ولا شكّ أنّ رواية يحيى عن هذين الأخيرين قد أدخلت الضّعف الشّديد إلى كثير ممّا رواه في تفسيره.

ثالثاً: نماذج مقارنة من تفسير ابن سلّام بتفسير الطّبرِيّ:

يعتبر تفسير محمد بن جَرِير الطَّبَرِيّ (ت ٣١٠) المُسمّى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» عمدة التّفسير بالمأثور والمرجع الأوّل لمن اعتنوا بالتّفسير على هذه الطّريقة وأقدم ما وصل إلينا كاملاً في التّفسير[٥]. هذا ما شاع لدى المهتمّين بدراسة مناهج المفسّرين، غير أنّ الكتاب الذي معنا وهو تفسير يحيى بن سلّام قد سبقه إلى الوجود بقرن كامل وسلك فيه مؤلّفه طريقة التّفسير بالمأثور، وكان أحد مصادر الطّبري في تفسيره، فإنّه كان ينقل عنه، ولكنّه لا يكثر من التّصريح باسمه[٦]، بل إنّه روى الحديث من طريقه أيضاً[٧]، ومع ذلك لم يعرفه المشارقة؛ لأنّ يحيى قد أنهى تأليفه في القيروان وأسمعه بها[٨] فلم يتوسّع ظهور الكتاب

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦، التهذيب ٩/١٧٨، وانظر: تفسير يحيى ٦، ١٤، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٦١ أ، ١١٦، ١٥٥ أ.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي ١/١/٨١.

(٣) التقريب ٢/٢٠٦، التهذيب ٩/٤٣٦، وانظر: تفسير يحيى ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٢ أ، ٢٣، ٢٤ ب.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي ١/١/٧٧.

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن ٣٦٣.

(٦) انظر: القراءات بإفريقية ١٨٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري مح ٤/١٠٠/٣٤٧٠.

(٨) غاية النهاية ٢/٣٧٣.

بالمشرق، ولعلّ بعض الأفارقة أخذ منـه في رحلته بعض الأجـزاء فوقـع عليها الطّبريّ واعتمدها.

ويلتقي الكتابان في اعتمادهما على الرّواية في التّفسير، كما يلتقيان في اختيار المشهور من القراءات، وترجيح القراءة التي يؤيّدها الدّليل من الكتاب أو السُّنّة، ممّا جعل صاحبة القراءات بإفريقيّة تعتقد أنّ الطَّبَرِيّ قد تأثّر في مذهبه في القراءات بتفسير يحيى بن سلاّم[1]، غير أنّ الطَّبَرِيّ أوضح منهجاً وأكثر استنباطاً للأحكام واهتماماً بالإعـراب، مع وضـوح شخصيّة المؤلّف في كثـرة التّرجيـح والاختيار، وقد يتعرّض بالنّقد لرجال الإسناد أيضاً ويتعقّب بعض الإسرائيليّات[2]، وهذا ما لم يفعله يحيى في تفسيره، غير أنّ تفسير يحيى أكثر آثاراً في تفسير العديد من الآيات.

وفيما يلي نموذجان من الكتابين، يظهر فيهما تفوّق تفسير يحيى في جانب الآثار وقد اخترتهما لهذا الغرض، وإلاّ فتفوّق تفسير الطَّبَرِيّ واضح في جوانب أخرى كثيرة كما قدّمت.

أ ــ تفسير قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ الله الـذين آمنوا منكُم والـذين أُوتوا العلم دَرَجـات﴾[3]، جاء في تفسيـر يحيى[4]: «. . . دَرَجات في الآخـرة، حَيْـوَة بن شُـرَيح قـال: أخبرني رجـل من أهل العـراق أنّ عبـدالله بن مسعـود، قـال: «يرفع الله. . . درجات عن الذين آمنوا الذين ليسوا بعلماء»[5]، يحيى عن بعض أصحابه عن الأعمش عن أبي وائل وغيره عن عبدالله بن مسعود، قال: «العلم أفضل من الجهاد»، قال: يقول الله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾، فقد دخل فيه المجاهدون، قال: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ على غيرهم[6].

---

(١) انظر: القراءات بإفريقية ١٨١، ١٨٢.

(٢) انظر: مباحث علوم القرآن ٣٦٣، ٤٦٤.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١١. (٤) تفسير يحيى خط ١٢٧ ب.

(٥)، (٦) هذه الأسانيد كلها ضعيفة، إذ اشتمل كل منها على راوٍ مبهم.

قال[1]: وحدّثني رجل من أهل الكوفة عن بَكـر بن خُنَيْس عن رجل عن عبدالرحمن بن غَنم عن معاذ بن جَبَل قال: «أفضل النّاس العلماء والشّهداء، أمّا العلماء فأخبروا بما جاءت به الرّسل، وأمّا الشهداء فقاتلوا على ما جـاءت به الرّسل».

الخليل بن مُرّة عن عمران القَصِير قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»[2].

هشام عن قَتادة عن مطرِّف بن عبدالله قال: «فضل العلم أعجب إليّ من فضل العبادة»، قيل: «لِمَ يا أبا جُزَيّ؟»، قال: «لأنّه أورع لله عن محارمه»[3].

قال يحيى: وبلغني عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «موت عالم أحبُّ إلى إبليس من موت ألف عابد»[4].

---

(١) هذه الأسانيد كلها ضعيفة، إذا اشتمل كل منها على راوٍ مبهم.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي بلفـظه وفي أوله قصـة إلا أن فيه «على أدناكم» كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/٥٠/٢٦٨٥، وأخرجه الـدارمي عن الحسن مرسـلاً وفي أوله قصـة باب فضـل العلم والعـالم ٩٨/١، قـال الترمذي: «هذا حديث غريب»، قلت: في هذا الحديث ضعف لوجود الوليد بن جميل في سنده عند الترمذي، وقد اختلف فيه النقاد وهو إلى الضعف أقرب (انظر: التهذيب ١٣٢/١١) الميزان ٣٣٧/٤، الكامل ٢٥٤٢/٧، الديوان ٣٣٠، التقريب ٣٣٢/٢.

(٣) ورد في جامع بيان العلم بنحوه موقوفاً على مطرف ومرفوعاً من طريق أبي هريرة وعمرو بن قيس وليس في جميعها السؤال ٢٢/١، ٢٣، ٢٤، وذكره الهيثمي بنحوه مرفوعاً من طريق ابن عباس وعزاه إلى الطبراني في الكبير وقال: فيه سوار بن مصعب وهو ضعيف جداً. مجمع الزوائد ١٢٠/١.

(٤) ورد بمعناه حديث مرفوع من حديث ابن عباس وأبي هريرة: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عـابد» سنن التـرمذي كتـاب العلم بـاب مـا جـاء في فضـل الفقـه على العبـادة ٢٦٨١/٤٨/٥، سنن ابن ماجه المقدمة باب فضل العلماء ٢٢٣/٩٧/١.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، قلت: وسنده عند الترمذي وابن ماجه ضعيف لوجود =

نعيم بن يحيى عن الأعمش عن المِنْهال بن عمرو عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال: «معلِّم الخير يستغفر له كلّ شيء حتّى الحوت في البحر»[1].

عمار عن الحسن بن دينار عن الحسن (البصري) قال: قال رسول الله ﷺ: «موت العالم ثُلْمَةٌ في الإسلام لا يسدّها شيء أبداً»[2].

عاصم بن حكيم عن هلال بن خباب قال: قلت لسعيد بن جُبَير: «متى هلاك هذه الأمّة؟»، قال: «إذا هلك فقهاؤها هلكوا»[3].

سليمان بن أَرْقَم عن الزُّهرِيّ قال: ذهب أبيّ بن كعب ليركب فأمسك له

= روح بن جناح فيه وهو ضعيف (التقريب ١/٢٠٣) وقال الساجي: هو حديث منكر، واعتبره ابن حبان من الموضوع (التهذيب ٣/٢٩٢، ٢٩٣).
وورد عن عمر رضي الله عنه قال: لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه» جامع بيان العلم ١/٢٦.

(١) أخرجه الدارمي بلفظه موقوفاً على ابن عباس في المقدمة باب فضل العلم والعالم ١/٩٩، وسنده حسن، فيه شمر بن عطية صدوق (التقريب ١/٣٥٤) وبقية رجاله ثقات، وورد نحوه مرفوعاً ضمن حديث طويل لأبي الدرداء في سنن الترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/٤٨/٢٦٨٢، وأعله بالانقطاع، وفي ٥/٥٠/٢٦٨٥، وقال: «هذا حديث غريب»، سنن ابن ماجه المقدمة باب فضل العلماء ١/٩٧/٢٢٤، سنن الدارمي في المقدمة باب فضل العلم والعالم ١/٩٨، مسند الإمام أحمد ٥/١٩٦، وأخرجه ابن ماجه بنحوه في حديث مستقل عن أبي الدرداء مرفوعاً، المقدمة باب فضل العلماء ١/١٠٥/٢٤١.

(٢) أخرجه الدارمي عن الحسن إلا أنه لم يصرح برفعه إلى النبي ﷺ بل قال: «كانوا يقولون. . .» وفي آخره «ما اختلف الليل والنهار» بدل «أبداً» سنن الدارمي المقدمة باب فضل العلم والعالم ١/٩٤، وسنده صحيح، رجاله ثقات مشهورون وهم: بشر بن الحكم (التقريب ١/٩٩)، عبدالله بن رجاء المصري ثم المكي (التقريب ١/٤١٤)، هشام بن حسان (التقريب ٢/٣١٨)، الحسن البصري (التقريب ١/١٦٥).

(٣) تقدم الكلام عليه في مبحث تفسير القرآن بالموقوفات عند ابن سلام.

ابن عبّاس بالرّكاب فقال له: «يا ابن أخي!»، فقال له ابن عبّاس: «إنّ الله يحبّ أن يعظّم حقُّ أحبار المسلمين»[1].

قال يحيى: «بلغني أنّ النّظر في وجه الفقيه عبادة»[2].

المعلّى[3] عن ابن أبي سُليم عن عبدالله عن عمّار بن ياسر قال: «ثلاثة لا يستخف بهم إلّا منافق، الإمام المُقْسِط وذو الشّيبة المسلم ومعلّم الخير»[4].

جعفر بن بَرْقان عن ميمون بن مِهْرَان عن أبي الدّرداء قال: «ويلٌ لمن لا يعلم مرّة، وويل لمن يعلم ثمّ لا يعمل سبع مرّات»[5].

وهكذا يلاحظ أنّ يحيى بن سلّام قد أكثر من إيراد الأحاديث والآثار في تفسير هذه الآية وإن كان لم يرتّبها بحسب قوّة اتّصالها، بينما نجد الطَّبَرِيّ يكتفي بإيضاح معنى الآية من خلال ما ورد في الآية التي سبقتها، ويورد ثلاثة آثار أحدها ذكره يحيى بن سلّام بمعناه، وهو قول مطرِّف بن عبدالله.

قال الطَّبَرِيّ[6]: «... يقول تعالى ذكره: ﴿يرفع اللّهُ﴾ المؤمنين منكم أيّها القوم بطاعتهم ربّهم فيما أمرهم به من التّفسّح في المجلس... أو بنشوزهم إلى الخَيْرات (الوارد في الآية السّابقة)... إنّ بالعلم لأهله فضلاً وكان مطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير يقول: «فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة وخير دينكم

---

(١) فيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف (التقريب ١/٣٢١).

(٢) جاء في مختصر المقاصد الحسنة (٢٠٦): «نظرة في وجه العالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة صباحاً وقياماً» وقال: باطل.

(٣)، (٤) فيه المعلى بن هلال الكوفي، وهو كذاب (التقريب ٢/٢٦٦).

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/٤، والحديث بسند ابن سلام حسن، فيه جعفر بن برقان وهو صدوق يهم في حديث الزهري (التقريب ١/١٢٩) وميمون بن مِهْران ثقة (التقريب ٢/٢٩٢).

(٦) تفسير الطبري ٢٨/١٤.

الورع»[1]». وكان عبدالله بن مطرِّف يقول: «إنّك لتلقى الرّجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة والآخر أفضل منه بَوْناً بعيداً»، قيل له: «وكيف ذلك»، فقال: «هو أشدّهما ورعاً لله عن محارمه». حدّثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد قوله: ﴿يرفع الله. . . درجات﴾ «في دينهم إذا فعلوا ما أُمروا به».

ب ــ تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحداً إلاّ مَنْ ارْتَضَى من رَسول. . .﴾[2].

قال يحيى بن سلاّم[3]: «قوله: ﴿قل إن أَدْرِي أَقَرِيبٌ ما تُوعدون﴾ أيّها الكافرون ﴿أَم يجعلُ له ربّي أمداً﴾»، وقال في آية أخرى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾[4].

﴿عالم الغيب﴾ والغيب هاهنا في تفسير الحسن: القيامة وخبر ما مضى، وقال بعضهم هو قوله: ﴿إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَة ويُنزِّل الغَيْثَ ويعلمُ مَا فِي الأَرْحَام ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أَرْضٍ تموت﴾[5]، وتفسير قتادة: الغيب الوحي، وتفسير السُّدِّيّ: الغيب يعني غيب وقت العذاب متى وقته».

ثمّ استأنف فقال: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنْ ارْتَضَى من رَسُول﴾ فإنّه يظهره على ما أراد من الغيب، وفسّر الطّبريّ هذه الآية تفسيراً مقارباً لتفسير يحيى حيث قال[6]:

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ١/٢٣، ٢٤.
(٢) سورة الجن: الآية ٢٥.
(٣) تفسير يحيى لوحة ٣٦ أ.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٩.
(٥) سورة لقمان: الآية ٣٤.
(٦) تفسير الطبري ٢٩/٧٦.

«يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: ما أدري أقريب ما يعدكم ربّكم من العذاب وقيام السّاعة ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾ يعني غاية معلومة تطول مدتها».

وقوله: ﴿عَالِمِ الغَيْبِ فلا يُظْهِر...﴾ يعني بعالم الغيب عالم ما غاب من أبصار خلقه فلم يروه ﴿فَلَا يُظْهِرَ عَلَى غَيْبِه أَحَداً إِلَّا مَنْ ارْتَضَى من رَسول﴾ فإنّه يظهره على ما شاء من ذلك، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل، «ذكرُ من قال ذلك». ثم أورد بسنده أربعة آثار اثنين منها عن قتادة بمعنى ما ذكره ابن سلّام عنه.

رابعاً: اهمّيّة الكتاب:

يمتاز تفسير يحيى بن سلّام بأنه من أقدم ما وصل إلينا من التّفاسير الكاملة، والّذي درج عليه جميع من كتب في التّفسير ومدارسه ورجاله أن يعتبروا تفسير محمد بن جَرير الطَّبريّ (ت ٣١٠) أقدم ما وصل إلينا كاملاً في التّفسير[١]، وظهور هذا التّفسير اليوم[٢] من شأنه أن يربط سلسلة تطوّر مناهج التّفسير بين القرن الأوّل والقرن الثّالث، ويوضّح لنا «لمن كان الطّبرِيّ مديناً بذلك المنهج الأَثَرِيّ» كما قال صاحب التّفسير ورجاله الذي هو أوّل من نبّه على وجود هذه الحلقة المفقودة[٣].

وقد أثنى القدماء على هذا التّفسير، قال أبو عمرو الدّاني عن يحيى بن سلّام: «سكن إفريقيّة وسمع النّاس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدّمين مثله»[٤]، ولذلك فقد اهتمّ النّاس بروايته في إفريقيَّة[٥] والأندلس[٦]،

---

(١) انظر مباحث في: علوم القرآن ٣٦٣.
(٢) تقوم الأستاذة هند شلبي بخدمة هذا التفسير ولم يطبع منه شيء بعد.
(٣) انظر: التفسير ورجاله ٤٢. (٤) غاية النهاية ٢/٣٧٣.
(٥) انظر مثلاً: ط أبي العرب ١١٧، ط الخشني ١٦٨.
(٦) انظر: فهرسة ابن خير ٥٦، تاريخ ابن الفرضي ١/٦٨، ٣٥٧، ٢/١٤٨، ١٨٩، ٢١٠.

بل منهم من كان يحفظه[1]، وكان من مصادر الطّبري في تفسيره[2]، ممّا يدلّ على ظهوره بالمشرق أيضاً.

ويمتاز الكتاب أيضاً بأنّ صاحبه نهج فيه طريقة التّفسير بالمأثور، وأكثر فيه من إيراد الأحاديث والآثار مسندة بروايته عن شيوخه إلا قليلاً من البلاغات وغيرها كما تقدَّم، كما أنّ شخصيّة المؤلف كانت بارزة في الكتاب يظهر ذلك من خلال اختياراته المتعدّدة وتفسيره للألفاظ واستخراجه للمعاني كما تقدّم بيانه.

وقد اتّبع يحيى في تفسيره أسلم طرق التّفسير حيث نجده يفسّر القرآن بالقرآن ثم بالسُّنّة ثمّ بأقوال الصّحابة والتّابعين ثمّ التّفسير بالرّجوع إلى معاني الكلمات في اللّغة العربيّة.

خامساً: خدمة الكتاب:

اختصره عالمان من علماء الأندلس هما:

ـ محمد بن عبدالله بن عيسى المَرِيّ، أبو عبدالله الألْبِيرِيّ المعروف بابن أبي زمنين (ت ٣٩٩)[3]، توجد منه نسخة في خزانة جامع القرويّين بفاس رقم ٣٤[4]، وقد حقق بعضه طالبان في قسم القرآن، كلية أصول الدين بالرياض، في إطار إعداد رسالتيهما للماجستير.

ـ عبدالرحمن بن مروان القفازِيّ القُرطبيّ، أبو المطَرِّف (ت ٤١٣)[5].

وحقّق حمادي صمود الجزأين ١٦، ١٨ باللّغة الفرنسيّة[6]، ولا زالت الأستاذة هند شلبي بصدد القيام بتحقيقه.

---

(١) انظر: المعالم ٢/٢٤٨. (٢) انظر: تفسير الطبري ٢/١٤٦.

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي ١٠٤، ترتيب المدارك ٣/٦٧٢.

(٤) مخطوطات مغربية ٥٤.

(٥) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٦٥، الصلة ١/٣١١.

(٦) انظر: كتاب التَّصْرِيف ٧٠ حاشية رقم ٤، أي إن حواشيه عليه كانت باللغة الفرنسية.

سادساً: مواضع مخطوطات الكتاب ومصوّراتها:

ـ نسخة المكتبة العبدليّة[1]، توجد بدار الكتب الوطنيّة بتونُس تحت رقم ٧٤٤٧.

ـ نسخة ح.ح عبدالوهّاب، توجد بدار الكتب الوطنيّة بتونُس تحت رقم ١٨٦٥٣.

ـ نسخ مكتبة جامع القيروان، وهي ثمانية نسخ حسب ما أفادتني به الأستاذة شلبي، مصوّرة بالميكروفيلم تحت رقم ٣٣٣ ـ ٨٠٩[2].

ـ نسخ جامعة الإمام بالرياض جـ١ رقم ٨٠٢٤، جـ٢ رقم ٨٠٢٥، جـ٣ رقم ٨٠٢٦.

ـ نسخ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥.

والذي تبيّن لي أنّ نسخ جامعة الإمام والجامعة الإسلامية مصوّرة عن نسخ مكتبة جامع القيروان.

ومن الملاحظ أنّه لا توجد نسخة من هذه النّسخ تحوي التّفسير كاملاً وربما يتوصّل إلى جمع الكتاب بالمقارنة بينها، كما أنّ خطّها سيّىء جدّاً، فمثلاً النسخة التي اعتمدتها احتوت على خمسة أنواع من الخطوط، هذا بالإضافة إلى سوء ترتيبها وكثرة ما فيها من التّكرار.

---

(١) انظر: برنامج المكتبة العبدلية ١/٤٤، مخطوطات مغربية ٥٤.

(٢) المكتبة الأثرية ٣٧، وانظر: سجل قديم ٣٦٠.

الكتاب الثاني: المدوّنة الكبرى للإمام سَحنون بن سعيد التَّنُوخِيّ (ت ٢٤٠)[1]:

أوّلاً: موضوعها:

تعتبر المدوّنة أوّل تأليف شامل لفروع الفقه المالكيّ ومسائله مع الاستدلال لها غالباً بالأحاديث وفتاوى الصّحابة وأعمالهم وفتاوى التّابعين وأقوال السّلف، وهذه الاستدلالات من إضافة الإمام سحنون كما سيأتي، وأمّا المسائل فأكثرها من رواية سحنون عن ابن القاسم عن مالك ومنها ما كان عن عبدالله بن وَهْب وأَشْهَب وغيرهما عن مالك، وقد اشتملت المدوّنة على اجتهادات كثيرة في المذهب لكبار أصحاب مالك، وللإمام سحنون نفسه.

ثانياً: مراحل تدوينها[2]:

رحل أسد بن الفُرات (ت ٢١٢) إلى مالك بن أنس فسمع منه الموطّأ وأراد المزيد عليه، فقال له مالك: «حسبُك ما للنّاس»، وكان أصحاب مالك يكتبون ما يسمعون منه حتّى يتكوّن لكلّ منهم سماع، كسماع ابن القاسم الذي لازم مالكاً عشرين سنة، فرأى أسد أنّ ذلك يطول عليه، وخشي أن يفوتَه ما رغب فيه من لقيّ الرّجال والرّواية عنهم، فكان يكثر من طرح المسائل على مالك، فلمّا بالغ في ذلك قال له مالك: «إن أحببت الرّأي فعليك بالعراق»، فرحل إلى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولازمه، وكان محمد يخصّ أسداً بمجلس وحده، فكتب عنه كثيراً من المسائل، ولمّا وصل نبأ وفاة مالك إلى العراق، ورأى أسد شدّة تعظيم النّاس له وإقبالهم على من يحدّث عنه وزهدهم في سواه، ندم عند ذلك على تفريطه وقال: «لئن فاتني ملازمة مالك فلا تفوتني

---

(١) انظر: ترجمته رقم ١٣ في المحدثين.

(٢) انظر: المدارك ١/٤٦٩ ـ ٤٧٣، سير أعلام ١٢/٦٨، أعلام ابن عاشور ٢٧، وفيات الأعيان ٣/١٨٠، مقدمة موطأ ابن زياد ٨، المكتبة الأثرية ٢٨، مقدمة المدونة ٦٤، المعالم ٢/١١، الحلل السندسية ٧٤٥، ٧٤٨، الانتقاء ٥٠، طبقات الفقهاء ١٥٥.

ملازمة كبار أصحابه»، فرحل إلى مصر«ولازم ابن القاسم، وعرض عليه المسائل التي دوّنها عن محمد بن الحسن على طريقة الحنفيّة ليجيبه عنها ابن القاسم برأي مالك، فأجابه ابن القاسم عنها إلا أنّه كان أحياناً لا يجزم بالجواب، فدوّن أسد عنه ستّين كتاباً هي المعروفة بالأسديّة نسبة إلى أسد، وعاد بها أسد إلى القيروان، فنشرها، وحصلت له بها رئاسة، غير أنّ النّاس عابوا عليه خُلوَّها من الآثار، وقالوا له: «أجئتنا بِـ «أخال» و «أظن» و «أحسب»، وتركت الآثار وما عليه السّلف»، كما نقل صاحب المدارك وغيره، وكان هذا من أهمّ الأسباب التي دفعت سحنوناً إلى أن يعاود سماعها على ابن القاسم ويستكمل ذلك النّقص، قال الشّيخ محمد الفاضل بن عاشور: «إنّ هذا الأثر العظيم الذي أبرزه أسد قد بقي كما هو شأن كلّ عمل في ابتدائه منقوصاً من جهتين: الجهة الأولى: هو أنّه لما بنى أدراج مذهب على منهج مذهب آخر فقد وقع فيه من الاختلاط في الأقوال والاختلال في عزوها أمور جاءت قادحة في ما يُطلب في كتب الأحكام من الصّحّة المطلقة، والجهة الثّانية: من جهتي النّقص هي أنّ فقهاء المالكيّة اعتادوا بناء الفقه على الأحاديث والآثار كما هي طريقة مالك في الموطّأ، وقد سلك أسد في كتابه طريقة فقه خالص مبنيّ على صريح الاجتهاد، فلذلك لقيت هذه الطّريقة بعض ازْوِرَار. . . وقد كان سَحنون الذي تتلمذ لأسد بعد مقدمه أتمّ النّاس شعوراً بتينك النّاحيتين من نواحي النّقص. . فانبرى ليسدّ الخلل ويرأب الصّدع، ورأى أن لا طريق إلى ذلك إلا بالعود بكتاب أسد إلى الأصل الذي أخذ عنه وهو ابن القاسم لتصحيح أقواله وضبط مشتبهه، وبناء تلك المسائل على مسند الأخبار والآثار»، فلمّا أتمّ سَحنون سماع الأسديّة ونسخها رحل بها إلى ابن القاسم فعرضها عليه، ورجع ابن القاسم عن كثير ممّا ذكره في الأسديّة وحذف منها ما لم يجزم بنسبته إلى مالك، وكتب إلى أسد بإرجاع كتابه إلى ما في كتاب سَحنون. ولقي سَحنون في رحلته كبار المحدّثين وسمع وكتب عنهم، فاتّسعت روايته للحديث والآثار[1]، وأصبح في مستوى يخوّل له تأصيل مسائل الأسديّة،

(١) انظر: ترجمته رقم ١٣ في المحدثين.

فلمّا عاد إلى القيروان رتّب كتابه على الأبواب إلا كتباً يسيرة متفرّقة بقيت على أصل اختلاطها[1] ـ إذ إنّ الأسديّة لم تكن مرتّبة ولا مبوّبة ـ واستدلّ سحنون لمعظم مسائلها بالحديث وأقوال السّلف واجتهادات الأئمّة من الصّحابة والتّابعين وكبار أصحاب مالك وسمّاهما «المدوّنة» فترك النّاس الأسديّة وأقبلوا على المدوّنة لموافقتها لما انطبعت عليه البيئة القيروانيّة من التّمسّك بالسّنّة والتزام الآثار والحساسيّة المفرطة تجاه الرّأي، وأصبحت المدوّنة عمدة المذهب المالكيّ وانتشرت في آفاق المغرب والأندلس وأقبل عليها الطّلاّب، واهتمّ بها العلماء بين شارح ومعلّق ومختصر.

وممّا يجدر التّنبيه عليه هنا طريقة القوم في مدارسة المدوّنة. قال صاحب أزهار الرّياض: «وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدوّنة اصطلاحان: اصطلاح عراقي واصطلاح قرويّ، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدوّنة كالأساس وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلّة والقياس، ولم يُعرّجوا على الكتاب بتصحيح الرّوايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل، وتحرير الدّلائل على رسم الجدليّين، وأهل النّظر من الأصوليّين.

وأمّا الاصطلاح القرويّ فهو البحث عن ألفاظ الكتاب وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب وتصحيح الرّوايات وبيان وجوه الاحتمالات والتّنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف إلى ذلك من تتبّع الآثار وترتيب أساليب الأخبار وضبط الحروف على حسب ما وقع في السّماع، وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها»[2] وهذا يبيّن لنا أنّ أهل القيروان كانوا يميلون إلى الحديث والأثر، ويهتمّون في المدوّنة بجانب الرّواية ويتدارسونها على ذلك الأساس.

---

(١) قام بتبويب هذه الكتب الفقيه القرطبي سليمان بن عبدالله بن المبارك (ت ٣٣٧)، انظر: تاريخ ابن الفرضي ١/٢٢٠.

(٢) أزهار الرياض ٣/٢٢.

ثالثاً: منهج تأليفها:

١ ـ ترتيبها العام:

لم يصدر الإمام سَحنون مدوّنته بخطبة يبيّن فيها منهجه، وإنما شرع مباشرة في عرض كتب الفقه، وقد قسمها إلى ٧٤ كتاباً، وهي بذلك تكون أكثر أمّهات الفقه كتباً، وقد استهلّها بكتاب الوضوء فالصّلاة فالزّكاة فالحجّ فالجهاد... أمّا الكتب الأخيرة فهي... الحدود، الرّجم، الأشربة، السّرقة، المحاربين، الجنايات، ثمّ الدّيّات وهو آخر كتب المدوّنة.

وقد خالف سَحنون في المدوّنة ما انتهجه مالك في الموطّأ من الاستهلال بوقوت الصّلاة[1] وتقديمها على الطّهارة، ولعلّ ذلك بسبب ما يذهب إليه من أنّ دخول الوقت شرط في وجوب الوضوء[2]، وما سار عليه سحنون هو مسلك معظم المصنّفين في الفقه وفي الحديث على أبواب الفقه.

ويلاحظ على ترتيبه ما يلي:

ـ إن كتب المدوّنة قد اتّسمت ـ مع كثرتها ـ بالطّول، فقد قسم كلًّا منها إلى فصول عديدة قد تزيد على المائة أحياناً، وهناك بعض الكتب القصيرة، وهي قليلة، لم يقسمها إلى فصول، مثل: كتاب التّخيير والتّمليك[3] وكتاب إرخاء السّتور[4] واشتمل كلّ فصل على جملة من المسائل التي تختلف قلّة وكثرة من فصل إلى آخر، وقد ذكر أنّ عدد مسائل المدوّنة أربعون ألف مسألة[5]، وقيل ثلاثون ألف مسألة[6].

---

(١) انظر: الموطأ ص ٢٥.

(٢) مقدمات ابن رشد في حاشية المدونة ١/٧.

(٣) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ٢/٢٦٨.

(٤) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ٢/٢٢٤.

(٥) انظر: المدونة ط مصر ١/٢٤١، وقد نسب ذلك إلى القاضي عياض.

(٦) انظر: الأنساب ١/٣٢٧.

ـ قد يقسم سحنون الكتاب الواحد إلى كتابين أو ثلاثة، وهـو نوع من التّقسيم لم أره لغيـره، مثلاً: كتـاب الصّلاة، كتـاب الصّلاة الثّـاني[1]، كتاب الحجّ، كتاب الحجّ الثّاني، كتاب الحجّ الثّالث[2]، وقد وقع ذلك في سبعة كتب من المدوّنة.

ـ إذا طالت مادّة موضوع مـا من أحد الكتب وكـان ذا أهمّيّة جعله كتـاباً مستقلاً، من ذلك أنّه جعل «إرخاء السُّتور» كتاباً مستقلاً[3]، وهو تـابع لكتـاب النّكاح الذي قبله، كما جعل «الرّجم» كتاباً مستقلاً[4]، وهو تابع لكتاب الحدود الذي قبله.

ـ سار على نهج الموطّأ في جعل أبواب جـامعة للمـوضوعـات التي لم يتمكّن من تضمينهـا داخل فصـول الكتاب، مثـل: جامـع الصّـلاة[5]، جـامـع التّمليك[6]، جامع الصُّلح[7]، غير أنّه لم يجعل جامعاً عامّا في آخر المدوّنة.

٢ ـ ترتيبها داخل المسائل:

يبدأ سَحنون عادة بسؤال يوجّهه لابن القاسم، وهو الغالب[8]، وقد يورد أوّلاً قـول ابن القاسم[9]، أو غيـره من كبار أصحـاب مـالـك ابتـداء، مثـل: عبدالله بن وهب[10] وأشهب[11] وعبدالله بن نافع[12]، ثم يورد جواب المسألة عن

---

(١) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ١/٦٠، ١٠٥.

(٢) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ١/٢٩٥، ٣٢٧، ٣٣٥.

(٣) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ٢/٢٢٢.

(٤) انظر: المدونة ـ دار الفكر ـ ٤/٣٩٧.

(٥) انظر: المدونة ١/١٠٢.

(٦) انظر: المدونة ٢/٢٧٩.

(٧) انظر: المدونة ٢/٢٤٣.

(٨) انظر مثلاً: المدونة ١/٢، ٨، ٢٥.

(٩) انظر مثلاً: المدونة ١/٤٠، ٤٩، ٦٠.

(١٠) انظر مثلاً: المدونة ١/٢٠٧.

(١١) انظر مثلاً: المدونة ٢/٢٢٧.

(١٢) المدونة ١/٢٠٤.

ابن القاسم بتوضيح رأي مالك، ثمّ قد يورد ما سمعه في المسألة من باقي شيوخه، ثمّ يأتي بما يرويه في المسألة من الأحاديث وأقوال الصّحابة وأفعالهم أو أقوال التّابعين، وهذا بصفة عامّة وفيما يلي أهمّ ملامح المنهج الأخرى:

أ ـ التّركيز على قول مالك: إنّ سَحنون يريد أن يكون الجواب هو ما يقوله مالك في تلك المسائل، ولذلك كانت أغلب أسئلته بهذه الصّيغة:

ما قول مالك في..؟ هل كان مالك..؟ أكان مالك يرى..؟ أسمعته من مالك..؟ صف لي قول مالك في..؟ أكان مالك يكره..؟[1] وقد يسأله عن حديث ما هل يأخذ به مالك؟[2].

وكان ابن القاسم يعي هذه الرّغبة جيّداً لدى سحنون، فكان يجيب بقول مالك في المسألة إذا كان يحفظه فيقول مثلاً: قال مالك، أو سمعت مالكاً، أو أخبرني مالك أو سئل مالك[3].

أما إذا لم يكن يحفظه فينبّه على ذلك، ثم يجيب باجتهاده، فيقول مثلاً: لم أسمع فيه من مالك شيئاً وأرى... لا أحفظ عن مالك فيه شيئاً وأرى، جائز في رأيي..[4]. وكان سحنون كثيراً ما يناقش ابن القاسم في قول مالك، ويطلب منه التّعليل قائلاً: لم أجازه مالك؟ لم قال مالك هذا؟ لم أوقف مالك؟ لم قال مالك؟ فما فرق ههنا بين؟ فلم جعلهم مالك؟[5].

ب ـ إيراد فقه بقيّة شيوخه غير ابن القاسم: وهم كبار أصحاب مالك، فقد أضاف سَحنون إلى الأسديّة عدّة فصول ساءل فيها بقيّة شيوخه غير ابن

---

(١) انظر مثلاً: ١/٨٦، ٩٨، ١٩٣، ١٩٥، ٢/١٦، ١٤٣، ٣/١٧٩، ٢٨٩، ٤/٢٧٢، ٣٨٩.

(٢) انظر مثلاً: ٤/٤٨٢، ٤٩٢.

(٣) انظر مثلاً: ١/٤٠، ٤٩، ٥٧، ٢/٨٩.

(٤) انظر مثلاً: ١/٧، ١٢، ٢/١٣٥، ٣/٧، ١٦، ٤/٥، ٣٨.

(٥) انظر مثلاً: ٢/٢٢٣، ٣٦٧، ٣/٣٩٧، ٤/٤٥٢، ٤٦٧.

القاسم ممّن لازم مالكاً، كأشهب وعبدالله بن وهب وعبدالله بن نافع وغيرهم، وقد وقفتُ فيها على إثني عشر فصلاً من إضافة سحنون منها: ما جاء في المعتكف يخرجه السّلطان، ما جاء في القدر، ما جاء في قتل الأسارى...[1].

كما جاء في ثنايا مساءلته لابن القاسم بكلام غيره من شيوخه[2] وربما أورد عنهم أجوبة تخالف جواب ابن القاسم[3].

جـ ـ دعم المسائل بأدلّتها من الحديث والآثار: من أهمّ أعمال سَحنون في المدوّنة بالإضافة إلى ترتيبها وتبويبها وإيراد أقوال بقيّة أصحاب مالك غير ابن القاسم الذي دوّن عنه أسد الأسديّة... من أهم أعماله: إيراد الأحاديث والآثار التي يرويها في تلك المسائل، وأوّل من نبّه على ذلك أبو إسحٰق الشّيرازي (ت ٤٧٦) فيما نقله عنه عِياض في المدارك قال: قال الشّيرَازِيّ: «ونظر سَحنون فيها نظراً آخراً، فهذّبها وبوّبها، ودوّنها، وألحق فيها من خلاف أصحاب مالك ما اختار ذكره، وذيّل أبوابها بالحديث والآثار إلا كتباً منها متفرّقة بقيت على أصل اختلاطها في السّماع... وقال أحمد بن خالد... فأخذها سَحنون ودوّنها وأدخل فيها الآثار»[4].

وبالرّغم ممّا ذكره هؤلاء العلماء وأكّدوا عليه من تذييل سحنون لأبواب المدوّنة بالآثار، فإنّ النّاظر في نسخة المدوّنة الواصلة إلينا يسهل عليه ملاحظة خلوّ كثير من الفصول من الآثار[5] ولعلّ ما أشاروا إليه من القلّة إنما هو باعتبار كثرة فصول المدوّنة.

(١) المدونة ١/٢٠٤، ٢٠٧، ٣٧٤، وانظر: ٢/١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٢٧، ٣/٤٥١، ٤/٣٤٥، ٤/٣٢٨.
(٢) انظر مثلاً: ١/٣، ٥، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩١، ٤٧٤، ٢/٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣/٢٥٣، ٢٥٤.
(٣) انظر مثلاً: ٢/٢٠٤، ٣/١٤، ٤/٨٣، ٨٤، ٨٧، ٣٤٢، ٤٦٤.
(٤) المدارك ١/٤٧٢.
(٥) انظر مثلاً: ١/١٢، ١٩٥، ٢/٨١، ١١٤، ٣/١٤، ٤/٢١٢.

د ــ الصناعة الحديثيّة في المدوّنة: لقد جمعت المدوّنة بين الفقه والآثار، واشتملت على عدد كبير من الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة على الصحابة والتّابعين، وفتاواهم، وقد كان لسحنون مسلكه الخاص في إيراد كلّ ذلك والاستدلال به.

١ ــ الأحاديث المرفوعة وطريقته في إيرادها، وعددها في المدوّنة:

قليلاً ما يورد عبدالرحمن بن القاسم أحاديث في أجوبته على أسئلة سَحنون[١].

أمّا غالبيّة الأحاديث التي اشتملت عليها المدوّنة فهي من رواية سحنون، أضافها إليها بعد أن رتّبها على الأبواب كما سبق بيانه، وذلك واضح في أسانيدها، فإنّها عن شيوخ سحنون مثل: علي بن زياد التّونُسي[٢]، ووكيع ابن الجراح[٣]، وأشهب بن عبدالعزيز[٤]، وأَنس بن عياض[٥]، وأكثر روايته للحديث كانت عن عبدالله بن وهب[٦]، الذي سمع منه سحنون جميع كتبه وفي مقدّمتها جامعه في الحديث كما تقدّم في ترجمة سحنون[٧].

ويلاحظ أنّ سحنوناً قليل الاستعمال لصيغ الأداء كما تقدم بالنّسبة ليحيى بن سلاّم في تفسيره، فهو في الغالب يذكر اسم شيخه ثمّ يسوق الحديث، وقد يقول: قال ابن وهب مثلاً، ثم يورد ما يرويه عنه، وذلك واضح في جميع فصول المدوّنة.

---

(١) انظر مثلاً: المدونة ١/٣٠، ١٧٢، ٤٠٠، ٢/٢٧.
(٢) انظر مثلاً: المدونة ١/١٢، ١٣، ١٤، ٣/٢.
(٣) انظر مثلاً: المدونة ١/٣، ١٨، ٢١.
(٤) انظر مثلاً: المدونة ١/٢١٢، ٢٣٦، ٢٤٤.
(٥) انظر مثلاً: المدونة ٣/٢٨٤.
(٦) انظر مثلاً: المدونة ١/٥، ٢/٤٢، ٢٧٣، ٢٦٩، ٣/٤٦٩، ٤/١٨، ٨٤.
(٧) انظر: ترجمة سحنون رقم ١٣.

ومن عادة سَحنون أن يروي الحديث بسنده إلى النبي ﷺ من ذلك ما رواه عن وكيع عن هشام الدَّسْتَوَائِيّ عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسو الله ﷺ: «التّفل في المسجد خطيئة، وكفّارته أن يواريه»[1].

وقد يورد الحديث بدون سند، وهو نادر، كما جاء في فصل إنكاح الأولياء: . . . لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «لا ضَرر ولا ضِرار»[2].

وقد يشير إلى تعدّد طرق الحديث كقوله: «ابن لَهِيعة عن الأعرج عن أبي

---

(١) المدونة ١/٩٩، والحديث أخرجه الإمام البخاري بمعناه في كتاب الصلاة باب كفارة البزاق في المسجد ١/١٠٧، وأخرجه الإمام مسلم بنحوه في المساجد باب النهي عن البصاق في المسجد ١/٣٩٠/٥٥، ٦٦، كلاهما من حديث أنس بن مالك، ويلتقي سند كل منهما مع سند سحنون في قتادة.
وانظر نماذج لأسانيد سحنون في المدونة ١/٢، ٣، ٦، ٧، ٨، ٩.

(٢) المدونة ٢/١٤٥، والحديث أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأقضية باب القضاء في المرفق ٣٦/٦٣٨، ورجاله ثقات غير أنه مرسل فقد رواه مالك عن عمرو بن يحيى المازني، ثقة. (التقريب ٢/٨١ عن أبيه يحيى بن عمارة، ثقة. ٢/٣٥٤ أن رسول الله. . . وقد سبق الكلام على وصل مراسيل مالك في الموطأ.
وأخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند من حديث عبادة بن الصامت وفيه إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت وهو مجهول الحال، ويرسل عن عبادة (التقريب ١/٦٢)، مسند أحمد ٥/٣٢٧، وأخرجه ابن ماجه من طريقين أحدهما من حديث عبادة وفيه إسحاق أيضاً، والثاني من حديث ابن عباس وفيه جابر الجعفي، وهو شيعي ضعيف (التهذيب ٢/٤٦، الكاشف ١/١٢٢)، سنن ابن ماجه كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٢/٥٧/٢٣٧٨، ٢٣٧٩، وجاء في المقاصد الحسنة (٤٦٨): «(رواه) مالك والشافعي عنه عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه مرسلاً، وهو عند أحمد وعبدالرزاق وابن ماجه والطبراني عن ابن عباس وفيه جابر الجعفي، وأخرجه ابن أبي شيبة مَن وجه آخر أقوى منه والدارقطني من وجه ثالث، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة وأبي لبابة وثعلبة بن أبي مالك وجابر وعائشة»، وورد نحو هذا في كشف الخفاء (٢/٤٩١)، وحكم عليه الزرقاني بأنه حديث حسن، مختصر المقاصد الحسنة ٢١٦.

هريرة أنّ رسول الله ﷺ نهى عن جمع الرّجل بين المرأة وعمّتها وبين المرأة وخالتها»، ثم قال: «ابن لَهِيعة عن ابن هُبَيْرة عبدالله بن زيد عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ مثله»[1].

وإذا سمع الحديث من جماعة من الشّيوخ جمعهم في إسناد واحد، كقوله: قال ابن القاسم وعلي بن زياد وابن وهب وابن نافع عن مالك...

وقد يقدّم الحديث على السّند، كقوله: وذكر ابن وهب أنّ رسول الله نَهى عن الصلاة في سبع مواطن... ثم قال: من حديث ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن زيد بن جَبِيرَة عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله نهى عن ذلك كلّه[2].

أمّا من حيث الدّرجة فإنّ أكثر الأحاديث التي في المدوّنة صحيحة أو حسنة كما هو واضح من تخريج النّماذج السّابقة، وفيها الضعيف غير أنّه قليل بالنّسبة لعدد أحاديثها، فقد قيل: إنّ عدد أحاديثها يصل إلى أربعة آلاف حديث، ونسب ذلك إلى القاضي عياض[3]، وقد خرّج منها أحد الباحثين المعاصرين ٥٥١ حديثاً، وصل فيها إلى النّتائج التّالية:

- الأحاديث الواردة في الصحيحين: **٣٨١** حديثاً.
- الأحاديث الحسنة: **١٣١** حديثاً.

---

(١) المدونة ٢/٢٠٥، أخرجه البخاري بنحوه من حديث أبي هريرة من طريقين يلتقي أحدهما مع السند الأول للمدونة في الأعرج، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها ١٢٨/٦، وأخرجه مسلم من طرق عن أبي هريرة بنحوه يلتقي بعضها مع سند المدونة في الأعرج كتاب النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها... ٢/١٠٢٨ - ١٠٣٠/٣٣ - ٤٠.

(٢) المدونة ١/٩١، وسند المدونة فيه زيد بن جبيرة، وهو ضعيف جداً (التهذيب ٣/٤٠٠، التقريب ١/٢٧٣، الكاشف ١/٢٦٤).

(٣) انظر: المدونة (ط مصر) ١/٢٤١، وفي ذلك نظر إلا إذا اعتبرنا الآثار أيضاً.

ـ الأحاديث الضّعيفة ضعفاً مُنجبِراً: ٧٠ حديثاً.
ـ الأحاديث الضّعيفة جدّاً: ٩ أحاديث.

وقال الباحث: «لم أقف في المدوّنة على حديث موضوع»[١].

٢ ـ المراسيل:

لقد أكثر الإمام سحنون من إيراد المراسيل في المدوّنة، ولا شكّ أنه يذهب فيه مذهب مالك وسائر المالكيّة من أنّه حجّة[٢].

ومن مراسيله ما رواه عن ابن وهب أخبرني الضّحّاك بن عثمان عن عبدالجبار عن الحسن أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ نكاح المرأة إلا بوليّ وصداق وشاهدي عدل»[٣].

٣ ـ الموقوفات على الصّحابة:

كثيراً ما يستدلّ سَحنون بفتاوى الصّحابة وأفعالهم ويورد ذلك مسنداً غالباً

---

(١) تخريج أحاديث المدونة ٢/١٠٨٦، ١٠٨٧.
(٢) انظر: التمهيد ١/٣.
(٣) المدونة ٢/١٤٥، وقد ترجم البخاري لبعض أبواب النكاح بقوله من قال: لا نكاح إلا بولي ٦/١٣٢، والحديث ورد بغير الزيادة التي في المدونة مرفوعاً مسنداً بلفظ: «لا نكاح إلا بولي»، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب النكاح ٢/١٦٩، ١٧٠، وأبو داود في النكاح باب في الولي ٢/٥٦٨/٢٠٨٥، والترمذي في النكاح باب ما جاء لا نكاح إلا بولي ٣/٤٠٧/١١٠١ ـ ١١٠٢، وابن ماجه في النكاح باب لا نكاح إلا بولي ١/٥٨٠/١٩٠٤، جميعهم من حديث أبي موسى، وعند الترمذي طريق بنحوه من حديث عائشة، وعند ابن ماجه طريق آخر من حديث ابن عباس.
وقال الترمذي: «وفي الباب عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة وعمران بن حصين وأنس». والحديث صحيح كما في المستدرك، وذكر الحافظ في الفتح ٩/١٨٤ أن ابن حبان صححه، وقد حسن الترمذي بعض طرقه وصحح بعضها.
وذكر الترمذي أنه روى عن بعض التابعين منهم الحسن البصري الذي أرسل الحديث في المدونة. انظر نماذج عن المراسيل في: المدونة ١/٧٩، ٣/٦٤، ٤٦٨.

كقوله: وكيع عن أَفْلح بن حُميد عن أبيه قال: «عرّسنا مع ابن عمر بالأبواء، ثمّ سرنا حين صلّينا الفجر حتّى ارتفع النّهار فقلت لابن عمر: إنّي صلّيت في إزاري وفيه احتلام، ولم أغسله فوقف عليّ ابن عمر فقال: اِنزل فاطرح إزارك وصلّ ركعتين، وأقم الصّلاة ثم صَلّ الفجر ففعلت»، قال سحنون: «وإنما ذكرت هذا حجّة على من زعم أنّه لا يعيد في الوقت»[1]، أما احتجاجه بأقوالهم فمن ذلك ما جاء في مسألة الصّلاة بالحقن[2]: «وأن ابن عمر قال: ما كنت أبالي أن يكون في جانب ردائي، إذا كنت مدافعاً لغائط أو لبول. من حديث ابن وهب عن... وذكر عن ابن مسعود مثل قول ابن عمر»[3].

٤ ـ الموقوفات على التّابعين (المقطوعات):

اشتملت المدوّنة على كثير من ذلك وغالباً ما يورده سَحنـون بسنده إلى التّابعين كقوله: «ابن وهب عن ابن لَهِيعة عن خالد بن يزيد عن عطاء بن أبي رباح أنّه قال في الرّجل يقبّل أهله في رمضان أو يلاعبها حتّى ينزل الماء الدّافق عليه الكفارة»[4]، وكثيراً ما يحتجّ بأقوال الفقهاء السّبعة مجتمعين كقوله: «عن ابن نافع[5] عن أبي الزّناد عن أبيه أنّ السّبعة مع مشيخة سواهم من نظرائهم أهل فقه وفضل، منهم سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزُّبَير والقاسم بن محمد وأبو بكر بن

---

(١) المدونة ١/٢٤، وانظر: عن احتجاجه بفتاوى وأفعال الصحابة ١/١٨، ١٧٦، ٣٧١، ٣٨٢، ٤/٨٥، ٩١، ٣٤٧.

(٢) الحَقْنة وجع في البطن، القاموس المحيط ٤/٢١٦، والمقصود هنا ما يجده المصلي أثناء صلاته من مدافعة البول أو الغائط.

(٣) المدونة ١/٣٩، وانظر عن استدلاله بأقوال الصحابة: ١/٥٧، ٧٠، ١٢٨، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٣، ٢/٦٧، ٢١٦، ٣/٢٨٠، ٣٩٦، ٤/٨٢، ٨٥.

(٤) المدونة ١/١٧٦، وانظر مثلاً: ١/١٢٩، ١٩٨، ٢١٧، ٢٥٥، ٢/٦٧، ١٥٩، ١٦١، ٢٩٧، ٣/٣٦، ٦٥، ٩١، ١٠١، ١٠٣، ٣٧٤، ٤/١٩٩، ٤٥٦، ٤٧٥.

(٥) هو عبدالله بن نافع الصائغ المدني، شيخ سحنون ثقة صحيح الكتاب (التقريب ١/٤٥٦).

عبدالرحمن بن الحارث وخارجة بن زيد وعُبيدالله بن عبدالله بن عُتبة وسليمان بن يسار كانوا يقولون. . .[1].

٥ ـ المعلّقات:

قد يبدأ سحنون السّند برجل لم يسمع منه كاللّيث بن سعد وعبدالله بن لهيعة ونحوهما، غير أنّه يفرّق بين هؤلاء وبين شيوخه بأنه غالباً ما يذكر صيغ الأداء أمام أسماء شيوخه. أمّا هؤلاء فإنه لا يفعل ذلك أمام أسمائهم.

فيقول مثلاً: ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ. . .[2]، وقد يحذف السند إلى الصحابي فيقول مثلاً: وذكر ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ. . .[3].

وقد لا يذكر حتّى الصحابي فيقول مثلاً: وقد جمع النّبيّ ﷺ بين المغرب والعشاء في المطر[4].

٦ ـ البلاغات:

أورد سحنون في مدوّنته بعض بلاغاته عن مالك[5]، كما اشتملت بعض

---

(١) المدونة ٣٩٨/٣، وانظر مثلاً: ٤٣٧/٣، ٩١/٤.
(٢) المدونة ٢٠٥/٢، وانظر: نماذج أخرى في ١٠٣/١، ٤٦٩، ١٣٨/٢، ١٩٥، ٢٥٣، ٢٦٩/٣، ٢/٤.
(٣) المدونة ١١١/١.
(٤) المدونة ١١١/١، وقد أخرج الإمام مسلم من طريق مالك من حديث ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر، كتاب صلاة المسافرين باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ٤٨٩/١/٥٠، وأخرجه الإمام مالك، كتاب الصلاة، الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر ١٧٨/١٢٥، وقال مالك في آخره: أرى ذلك كان في مطر، وأخرجه أبو داود من طريق مالك وأورد قوله أيضاً، كتاب الصلاة باب الجمع بين الصلاتين ١٤/٢/١٢١٠.
(٥) المدونة ٨٠/١، ٩١.

الأسانيد عنده على بلاغات بعض شيوخه مثل ابن وهب[1] وكذا بلاغات بعض التّابعين مثل محمد بن شهاب الزُّهريّ[2].

٧ ـ المبهمات:

اشتملت بعض الأسانيد في المدوّنة على رواة أُبهمت أسماؤُهم، ولم يهتمّ سَحنون بتسميتهم، مع أنّه يورد أحاديثهم في معرض الاحتجاج.

ومن هذه الأسانيد قوله[3]: قال ابن وهب عن محمد بن عمر عن رجل حدّثه عن جعفر بن الزُّبير عن القاسم بن عبدالرحمن عنه أبي أُمامة البَاهِلِيّ أنّ رسول الله ﷺ قال . . .

وقوله[4]: قال ابن وهب أخبرني ابن لَهيعة عن بَكْر بن سَوادة الجُذَامِيّ عن رجل حدّثه عن عطاء بن يسار أنّ رجلين احتلما في عهد رسول الله ﷺ . . .

هـ ـ اجتهادات سَحنون واختياراته: اشتملت المدوّنة على كثير من اجتهادات سَحنون في الفقه واختياراته وترجيحاته، حيث نجده يعرض مختلف الأقوال في المسألة ويختار أحدها غالباً، كقوله في بعض مسائل المقارضة[5]: «وهذه مسألة قد اختُلف فيها، وهذا أحسن ما سمعت واخترت لنفسي».

وأورد بعض الأقوال في مسألة الشّركة في الزّرع، آخرها أنّ الزّرع لصاحب الزّريعة (البذور) وللآخرين أجر مثلهم ثم قال سحنون: وذكر (عبدالله) بن غانم عن مالك مثل هذا، وهو عندي أعدل وبه أقول أنا[6].

كما أنّ سحنوناً كثيراً ما يثير مسائل جديدة لم تكن من أصل الأَسَدِيّة ولم

---

(١) المدونة ١/١٦، ٩٢.

(٢) المدونة ١/٢٤.

(٣)، (٤) المدونة ١/٤٦، وانظر مثلاً: ١/٨٣.

(٥) المدونة ٤/٦٦.

(٦) المدونة ٤/٣٠.

يسأل عنها ابن القاسم أو غيره، أو يضيف جزئيّات بعض المسائل ويجتهد فيها، وهذا واضح في كثير من الفصول[1].

وقد يعلّل لأجوبة ابن القاسم أو يستدلّ لها، وكثيراً ما يستشهد لأقوال مالك ويعلّل لها.

كقوله تعليلاً لجواب ابن القاسم أنّ من اشترى من زكاة ماله رقَبة وأعتقها عن نفسه فإنّها لا تجزئه وعليه الزّكاة ثانية، قال سحنون: «لأنّ الولاء له فكأنّها زكاة لم يخرجها، وإنما إخراجها أن يكون الولاء لهم»[2].

ومن ذلك ما أورده من قول مالك في عدم جواز أن يشترط المساقي أخذ أجرته من الثّمرة بالإضافة إلى قسمة الباقي نصفين بينه وبين المالك، ثم قال: وحديث عمر بن عبدالعزيز الذي في صدر الكتاب دليل على هذا[3].

كما أنّه قد يعقّب على بعض الآراء بالتوضيح والبيان، كقوله تعقيباً على ما ورد عن مالك أنّ ما أُنفق على أولاد المفقود أنّهم يردّون ما أخذوه بعد العالم بموته، قال سحنون: «ومعناه إذا كان لهم أموال»[4].

و ــ بيان سحنون لبعض القواعد الفقهيّة: قد يورد سحنون في ثنايا كلامه بعض القواعد الفقهيّة التي يستنبطها كقوله: «كلّ موضع تجوز فيه اليمين مع الشّاهد فشهادة النّساء فيه جائزة»[5].

كما يلاحظ أنّه كثيراً ما ينبّه على أصول المسائل فيقول مثلاً: «. . . ذلك أصل وحيد وكلّ مسألة توجد من هذا النّوع فردّها إليه»[6].

---

(١) انظر مثلاً: ٣/٥٦، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٩٥، ٣٠١، ٤/٦٦، ٨٣، ١٠٩.
(٢) المدونة ١/٢٥٧، وانظر مثلاً: ٢/٣٦٧.
(٣) المدونة ٤/٦، وانظر مثلاً: ٣/٥، ٩، ٤/١٦، ٢٠، ٦٠، ٨٣، ٩٠.
(٤) المدونة ٢/٩٤، وانظر مثلاً: ١/٢٠٨، ٢/١٤٠، ٣/٤٣٦، ٤/٧٥.
(٥) المدونة ٤/٨٣، وانظر مثلاً: ٤/٨٦.
(٦) ٤/٦٦، وانظر مثلاً: ١/٣٧١، ٤/١٦، ٤٥٢.

٣ ـ مصادر سحنون في المدوّنة:

أ ـ شيوخه من أصحاب مالك: أكثر ما في المدوّنة من الفقه والحديث أخذه سحنون عن شيوخه، ومعظمهم من أصحاب مالك المصريّين والمدنيّين والقرويّين والعراقيين، منهم:

فمن المصريّين:

ـ عبدالرحمن بن القاسم العُتَقِيّ (ت ١٩١)، وهو فقيه محدّث ثقة مأمون عابد من كبار أصحاب مالك[١]، ومعظم ما في المدوّنة من المسائل عنه، وقد سبق أنّه هو الذي أجاب عنها أسداً كذلك.

ـ عبدالله بن وهب القُرَشِيّ (ت ١٩٧)، وهو محدّث فقيه حافظ عابد، وأكثر ما في المدوّنة من الحديث رواه سَحنون عنه. وقد سمع منه الموطّأ والجامع وجميع كتبه[٢].

ـ أَشْهَب بن عبدالعزيز القَيْسِيّ (ت ٢٠٤)، وهو فقيه محدّث ثقة، وقد روى عنه سَحنون الفقه والحديث[٣].

ومن المدنيّين:

ـ عبدالله بن نافع الصّائغ (ت ٢٠٦)، وهو ثقة صحيح الكتاب، روى عنه سحنون الحديث وكثيراً من المسائل[٤].

ـ أَنَس بن عياض اللَّيْثِيّ (ت ٢٠٠)، وهو محدّث ثقة[٥].

---

(١) التهذيب ٢٥٢/٦، ورواية سحنون عنه واضحة في المدونة.

(٢) التقريب ٤٦٠/١، وانظر: المدونة ٢/١، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

(٣) الشجرة ٥٩/١، التقريب ٨٠/١، وانظر: المدونة ٢١٢/١ ـ ٢٣٦، ٢٤٤، ٦٧/٢، ٨٧، ٣٧٢، ٢/٣، ٧١، ٩٥، ٢٣٣، ٣٦٠.

(٤) التقريب ٤٥٦/١، وانظر: المدونة ٩/١، ١٤٢/٢، ٢٤١، ٣١١/٣.

(٥) التقريب ٨٤/١، وانظر: المدونة ٢٨٤/٣.

ومـــن البصريّيـــن:

ـ عبدالرحمٰن بن مهدي (ت ١٩٨)، ثقة ثبت عارف بالرّجال والحديث، روى عنه سحنون حديثاً كثيراً[١].

ومـــن الكوفيّيـــن:

ـ وكيـع بن الجرّاح (ت ١٩٦)، حـافظ ثقة عـابـد، روى عنـه سَحنـون الحديث[٢].

ـ سفيان بن عُيينة (ت ١٩٨)، أحد أئمّة الحديث[٣].

ومن أهل إفريقيّة والقيروان:

ـ علي بن زياد التّونُسيّ (ت ١٨٣)، محدّث فقيه، أولّ من أدخل الموطّأ إلى إفريقيّة وسمعه منه سَحنون، وقد أكثر سحنون من الرّواية عنه من الموطّـأ وغيره[٤].

ـ عبدالله بن عمر بن غانم القَرَوِيّ (ت ١٩٠)[٥]، وهو أحد رواة المـوطّأ وقد سمعه منه سحنون، وغيرهم.

ب ـ **المصنّفات**: وقد عرفت منها اثنين:

ـ موطأ الإمام مالك، وهو من أهمّ مصادر المدوّنة وقد يصرّح به[٦]، وفي الغالب لا يذكر اسمه فيُعرف بالمقارنة[٧]، وهو يستعمل جميع روايات الموطّأ التي

---

(١) التقريب ١/٤٩٩، وانظر: المدونة ١/٢١٢، ٢١٣، ٢٥٠، ٢/١١، ٢٣، ٤/٨٤، ٨٥، ١٠٤.

(٢) انظر مثلاً: المدونة ١/٣، ١٨، ٢١، ٢/٣٠٧، ٣/٣٠١.

(٣) انظر مثلاً: المدونة ١/١١.

(٤) الشجرة ١/٦٠، وانظر: المدونة ١/٣، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤.

(٥) انظر: المدونة ٤/٣٠.

(٦) انظر مثلاً: المدونة ٤/٣٠.

(٧) انظر مثلاً: المدونة ١/١٦٠، وقارن بالموطأ ١٨١.

سمعها، وهي: رواية عبدالله بن غانم ورواية عبدالرحمن بن القاسم ورواية عبدالله بن وهب ورواية علي بن زياد [1].

ـ الكتاب الذي دوّن فيه خالد بن أبي عمران سماعاته من تابعي أهل المدينة[2].

رابعاً: أهمّيّة المدوّنة وأثرها فيما بعدها:

تمتاز المدوّنة بأمور منها:

ـ إنّها أولّ مصنّف شامل لفروع الفقه المالكيّ.

ـ إنّها مشتملة على الأدلّة من الحديث وآثار السّلف، ممّا دعم ارتباط الفقه بالحديث في إفريقية، ولذلك أقبل عليها النّاس وتركوا الأسديّة؛ لأنها مبنيّة على الرّأي، كما تقدم.

ـ لقد سنّتِ سبيل الفقه المقارن بموازنة آراء مالك بآراء أصحابه[3].

ـ كما مهّدت السّبيل أيضاً لتخريج المسائل على أصول مالك، وبذلك فُتح باب التّخريج في ذلك المذهب العظيم منذ عصره الأوّل[4].

ـ إن المدوّنة قد ردّت الفقه المالكي إلى طريقته الأولى الواردة في الموطّأ، مع الاستفادة ممّا جاء به أسد من العراق[5].

ـ أصبحت المدوّنة عمدة المذهب المالكيّ في بلاد المغرب ومرجع علمائه الذين أقبلوا عليها بالدّراسة والشّرح والتّعليق والاختصار، ولم تتمكّن المصنّفات الكثيرة التي جاءت بعدها من مزاحمتها، كما أنّ الدّارسين قد تنافسوا

---

(١) انظر: ص ٥٨٩، من هذه الرسالة وراجع الموضع المحال عليها لهؤلاء الشيوخ قريباً.

(٢) انظر مثلاً: المدونة ٢٨/١، ٣٩٨، ٤٠/٢، ٣/٣، ٤٨/٤، ٥٨.

(٣)، (٤) انظر: كتاب مالك حياته وعصره ٢٢٩.

(٥) انظر: أعلام ابن عاشور ٢٨.

في اقتنائها فإنّ الوافدين لقراءة العلم بالقيروان من شغفهم بكتاب المدوّنـة قد تغالوا في اقتناء نسخها وأكثروا في ثمنها فاشتروا ما بالقيروان حتّى عدمت منها[1].

خامساً: نماذج مقارنة من المدوّنة بغيرها:

١ ـ مقارنة مع نماذج من كتاب الأم لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشّافعي (ت ٢٠٤).

أ ـ في مسألة التّوقيت في الوضوء[2]، وهو ما عنون له الشّافعي بقوله عدد الوضوء والحدّ فيه[3]:

ـ اتّفقا على عدم تحديد عدد معيّن، ونصّ في المدوّنـة على أنّ الذي يشترط هو الإسباغ واستدل بآية الوضوء وببعض الأحاديث، وذكر الشّـافعيّ أنّ الكمال ثلاث مرّات وواحدة تجزىء جمعاً بين الأحاديث.

ـ اشتركا في الاستدلال بحديثين اتّفقا في رجال الأوّل وفي معظم رجال الثّاني، فأمـا الأول: فهو حـديث عبدالله بن زيـد بن عاصم حين سُئـل: «هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ قال عبدالله: نعم، فدعا عبدالله بوضوء فأفرغ على يديه فغسل يديه مرّتين مرّتين ثمّ تمضمض واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه إلى المرفقين مـرّتين مرّتين، ثم مسـح رأسه بيديه، فأقبل وأدبر بهما، بدأ من مقدّم رأسه حتّى ذهب بهما إلى قفاه، ثمّ ردّهما حتّى رجع بهما إلى المكان الذي منه بدأ، ثمّ غسل رجليه»[4].

---

(١) ورقات ١/٣٤٩، نقلاً عن المعالم ٣/٢٢٦.

(٢) المدونة ١/٢. (٣) الأم ١/٣١.

(٤) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الوضوء باب مسح الرأس مرة ١/٥٦، ومسلم بنحوه في كتاب الطهارة باب وضوء النبي ﷺ ١/٢١٠/٢٣٥، ومالك بلفظه في كتاب الطهارة باب العلم في الوضوء ٣٧، كلهم من طريق عبدالله بن زيد بن عصام وأخرجه غيرهم.

والحديث الثّاني: هـو حديث عثمـان بن عفّان رضي الله عنـه أنه: «دعـا بـوضوء فتـوضّأ فغسـل كفّيه ثـلاث مـرّات، ثمّ تمضمض واستنثـر ثـلاثـاً. . .» الحديث[1].

ـ انفرد سحنون بزيادة بعض الآثار.

ب ـ في مسألة العبد بين الرّجلين يعتق أحدهما نصيبه[2].

أورد سَحنون من طريق مالك حديث ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أعتق شركاً له في عبد فكان له مال يبلغ ثمن العبد قُوِّم عليه قيمة العدل فأعطى شركاءه حصصهم، وأُعتق عليه العبد، وإلاّ فقد أُعتِق عليه منه ما أَعتق»[3]. قال سَحنون: وقضى بذلك عمر بن عبدالعزيز. . .

وأورد الشّافعي نفس الحديث من طريق مالك ثم قال: «فأخذنا نحن وأنتم بهذا الحديث. . . وخالفنا فيه بعض النّاس ووهّنه».

وعموماً فقـد اشترك الكتـابان في الاستـدلال بكثير من الأحـاديث إلا أنّ المدوّنة أكثر مسائل وآثاراً عن الصّحابة والتّابعين والأم أكثر حديثاً، بالإضافة إلى ما امتاز به كتاب الأم من الكلام على الرّواة من حيث الجرح والتّعديل، وعلى الأحاديث من حيث الصّحة والضّعف، والرّدّ على المخالفين.

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الوضوء باب المضمضة ٤٩/١، ومسلم بنحوه في كتاب الطهارة باب صفة وضوء النبي ﷺ ٢٠٤/١، ٢٢٦.

(٢) انظر: المدونة ط مصر ١٨٧/٣، الأم ١٩٧/٧.

(٣) أخرجه مالك في كتـاب العتاقـة والولاء بـاب من أعتق شركـاً له في مملوك ٦٦٣/٢، وأخرجه البخاري في كتاب العتق باب إذا أعتق عبداً بين اثنين ١١٧/٣، وأخرجه مسلم في كتاب العتق ١/١١٣٩/٢، كلهم من طريق ابن عمر بلفظه إلا أن عندهم أعتق بدل عتق. وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه من طريق ابن عمر في الإيمان باب من أعتق شركاً له في عبد ٥١/١٢٨٧/٣.

٢ ـ مقارنة مع نماذج من كتاب الحُجّة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشَّيْبَانِيّ صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٩).

أ ـ جاء في ما يتعلّق بالمرور بين يدي المصلّي في المدوّنة(١) ما يلي: قال مالك: «لا أكره أن يمرّ الرّجل بين يدي الصّفوف والإمام يصلّي بهم، قال: لأنّ الإمام سترة لهم»، وأورد سَحنون حديث مالك بسنده إلى ابن عبّاس قال: «جئتُ راكباً على أتان، وقد ناهزت الحُلُم فإذا النّبي ﷺ يصلّي بالنّاس بمنى، فسرت على الأتان بين يدي بعض الصّفّ ثم نزلت فأرسلتها ترتع، فدخلت في الصّفّ مع النّاس فلم ينكر ذلك عليّ أحد»(٢)، كما استدلّ سحنون بحديثين آخرين يرويهما عن ابن وهب جاء في ثانيهما: «إنّ قطّاً أراد أن يمرّ بين يدي رسول الله ﷺ وهو يصلي فحبسه رسول الله ﷺ»(٣).

وواضح ممّا تقدّم أنّ المالكيّة لا يرون بأساً من المرور بين يدي المأمومين كما صرّح به مالك، وعلّله واستدل به سحنون، أمّا الإمام والمنفرد فلا يجوّزون المرور بين يديهما بدليل الحديث الأخير(٤).

ولكنّنا نجد في كتاب الحُجّة(٥): «وقال أهل المدينة في الذي يمرّ بين يدي

---

(١) المدونة ط مصر ١/١١٤.

(٢) أخرجه مالك بنحوه في كتاب الصلاة باب الرخصة في المرور بين يدي المصلي ٢١٥/١٣٣، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب العلم باب متى يصح سماع الصغير ١/٢٧، وفي الصلاة باب سترة المصلي ١/١٢٦، وفي الأذان باب وضوء الصبيان ١/٢٠٩، وفي الصيد باب حج الصبيان ٢/٢١٨، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب الصلاة باب سترة المصلي ١/٣٦١/٢٥٤.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث أنس بمعناه وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال: فيه مندل بن علي وهو ضعيف. مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب رد من يمر بين يدي المصلي ٢/٦٠، التقريب ٢/٢٧٤.

(٤) وانظر: المدونة ط مصر ١/١١٣.

(٥) الحجة على أهل المدينة باب المرور بين يدي المصلي ١/٢٢٠.

النّاس وهم يصلّون نرى ذلك واسعاً إذا قامت الصّلاة»، ثم أورد عدة أحاديث يرويها من طريق مالك في النّهي عن المرور بين يدي المصلي منها حديث: «لو يعلم المارّ بين يدي المصلّي ماذا عليه في ذلك لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمرّ بين يديه»[1]، ثم قال: «فهذه أحاديث أهل المدينة يحتجّ عليهم بها»، قلت: إنّ الأحاديث التي أوردها محمد بن الحسن تتعلّق بالإمام والمنفرد، وقد أخذ بها المالكيّة في ذلك[2]، ولا تتناول المأمومين الذين عُرف جواز المرور بين أيديهم بحديث ابن عباس المتقدّم، فهو مخصّص لعمومها.

ب ـ وقال محمد بن الحسن[3]: «قال أهل المدينة في نكاح اللّعب والهزل: لا يجوز منه إلا ما كان على وجه الجد»، واحتجّ عليهم بحجج عقليّة ونقليّة منها حديث: «ثلاث هزلهنّ جدّ وجدّهن جدّ: النّكاح والطّلاق والعَتاق»[4]، وبالرّجوع إلى المدوّنة نجد أنّ الإمام سحنون قد عقد فصلاً في جد النّكاح وهزله[5]، وبيّن فيه أنّ نكاح الهزل عند أهل المدينة ملزم لصاحبه كنكاح الجدّ، واستدل بنفس الحديث موقوفاً على سعيد بن المسيَّب، فتبيّن بهذا أنّ محمد بن الحسن قد يهم في نسبة بعض الأقوال إلى أهل المدينة.

---

(١) أخرجه مالك بلفظه في كتاب الصلاة باب التشديد في أن يمر أحد بين يدي المصلي ٢١١/١٣٢.
(٢) انظر: المدونة ١١٣/١، ط مصر، الموطأ ٢١٠/١٣٢ - ٢١٤.
(٣) الحجة على أهل المدينة باب النكاح في الهزل ١٩٩/٣.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب الطلاق على الهزل ٢١٩٤/٦٤٣/٢، والترمذي في الطلاق باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ١١٨٤/٤٩٠/٣، وابن ماجه في الطلاق باب من طلق أو نكح أو راجع لاعباً ٢٠٦٥/٦٢٨/١، كلهم من طريق أبي هريرة بلفظه إلا أن عندهم الرجعة بدل العتاق. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.
(٥) المدونة ط مصر ١٩٨/٢.

سادساً: خدمة الكتاب:

١ ــ لقد اهتمّ العلماء بالمدوّنة فأقبلوا عليها بالشّـرع والاختصار والتّعليق وغير ذلك لتسهيل تناولها على طالبها:

أ ــ مـن شرّاحهـا:

ــ محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، شرح منها أربعة كتب[١].

ــ محمد بن إبراهيم بن عَبْدُوس (٢٠٠ ـ ٢٦١) واسم كتابه: التّنبيه على مبادىء التّوجيه[٢].

ــ عاشر بن محمد بن عامر الأندلسي[٣].

ــ أبو موسى عيسى بن مناس الإفريقيّ[٤].

ــ عبدالوهاب بن نصر القاضي العراقي (ت بمصر ٤٢٢)، غير أنّ شرحه لها لم يتمّ[٥]، وغيرهم.

ب ــ مـن مختصريهـا:

ــ عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) في كتاب مختصر المدوّنة[٦].

ــ أبو سعيد خَلَف بن أبي القاسم البَرَاذِعِيّ القيروانيّ (ت بعد ٤٣٠) في كتاب التّهذيب في اختصار المدوّنة، وعلى هذا الكتاب المعوّل بالمغرب[٧].

---

(١) المعالم ١٣٤/٢.

(٢) الشجرة ٧٠/١، تاريخ التراث العربي ١٥٠/٣/١.

(٣) بغية الملتمس ٤٢٥. (٤) المدارك ٦٢٤/٣.

(٥) المدارك ٦٩١/٣، وانظر شروحاً أخـرى لها في: تـاريخ التـراث العربي ١٥٠/٣/١، ١٥١.

(٦) تاريخ التراث العربي ١٥٢/٣/١، الفكر السامي ١٤٧/٢.

(٧) الشجرة ١٠٥/١، المدارك ٧٠٨/٤.

ـ محمد بن عبدالله بن عَيْشُون الأندلسيّ)(ت ٣٤١)[١].

ـ محمد بن رباح بن صاعد الأندلسيّ (ت ٣٥٨)[٢].

ـ إسماعيل بن إسحٰق بن إبراهيم القَيْسِيّ (ت ٣٨٤)[٣].

ـ محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩)، وقد جمع فيه بين الاختصار والشّرح حيث سمّاه: المغرب في اختصار المدوّنة وشرح مشكلها، قيل إنّه أفضل مختصراتها[٤].

ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد اللَّبِيدِيّ القيرواني (ت ٤٤٠) وسمّى كتابه الملخِّص، واختصرها كثيرون غير هؤلاء.

جـ ـ من المعلّقين عليها:

ـ أبو إسحٰق إبراهيم بن حسن المَعَافِرِيّ (ت ٤٤٣)[٥].

ـ أبو القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث السُّيُورِيّ (ت ٤٦٠)[٦].

ـ أبو الحسن علي بن محمد الرَّبَعِيّ، المعروف باللَّخْمِيّ (ت ٤٧٨) وقد سمّى تعليقه: التّبصرة، وهو كبير[٧].

ـ أبو محمد عبدالحميد بن الصائغ (ت ٤٨٦) وقد أكمل ما بقي على أبي إسحٰق المَعافِري[٨].

---

(١) المدارك ٣/٤٥٩.

(٢) المدارك ٣/٤٦٢.

(٣) المدارك ٣/٥٥٥.

(٤) المدارك ٣/٦٧٢.

(٥) مقدمة المدونة ١/٦٥، (دار الفكر).

(٦) سير أعلام ١٨/٢١٣.

(٧) المدارك ٣/٧٩٧.

(٨) المدارك ٣/٧٧٤.

د ـ شرح غريب ألفاظها:

ألّف الجُبّي (ق ٤) شرح غريب ألفاظ المدوّنة، وطبع سنة ١٤٠٢ هـ[1].

هـ ـ تبويب ما بقي منها مختلطاً:

وبوّب الكتب القليلة التي بقيت على سحنون: فقيه قُرْطُبَة سليمان بن عبدالله ابن المبارك (ت ٣٣٧)[2].

و ـ تخريج أحاديثها:

قام بذلك الباحث الأستاذ طاهر الدُّرَيْدِيّ، ونال به شهادة الدّكتوراه من جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، وقد طبعته الجامعة المذكورة.

٢ ـ طبعاتها: طبعت المدوّنة مرّتين، وصوّرت كلّ طبعة مرّة:

أ ـ طبعة دار السّعادة ـ القاهرة ـ سنة ١٣٢٣ هـ.

ب ـ دار صادر بيروت، مصوّرة عن طبعة دار السّعادة.

جـ ـ طبعة المكتبة الخيريّة ـ القاهرة ـ سنة ١٣٢٤ هـ ومعها مقدّمات ابن رشد محمد بن أحمد الجد (ت ٥٢٠)، وفي مقدّمتها كتاب تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك للسّيوطيّ (ت ٩١١)، وكتاب مناقب مالك لعيسى بن مسعود الزَّوَاوِيّ.

د ـ دار الفكر ـ بيروت ـ مصوّرة عن طبعة المكتبة الخيريّة.

---

(١) نشرته دار الغرب الإسلامي بتحقيق محدم محفوظ ولم يأتي في الكتاب اسم المؤلف كاملاً وأظنه أبو محمد عبدالله بن يوسف الجبي المتعبد وهو من أهل القرن الرّابع وكثيراً ما ينقل عنه المالكي في الرياض. انظر مثلاً: ٢/٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١/٢٢٠.

الكتاب الثّالث: كتاب آداب المعلّمين لمحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[١]:

أوّلاً: نسبة الكتاب إلى مؤلّفه:

ورد في مطلع بعض نسخ الكتاب: «ما جاء في تعليم القرآن العزيز، تأليف محمد بن سَحنون[٢]، كما أنّ المصادر أجمعت على ذكره ضمن مؤلّفات محمد بن سحنون[٣]، وكذا من نقل عنه مثل الإمام القابِسيّ الذي كان أحياناً يصرّح بذلك كما سيأتي، وقد ورد في آخر بعض النسخ: «كمل كتاب آداب المعلّمين ممّا دوّن محمد بن سحنون عن أبيه»[٤]. والجمع بين الأمرين أنّ محمد بن سحنون قد جمع كثيراً ممّا في هذا الكتاب من سماعاته من والده، وزاد عليها، فنسب إليه الكتاب بهذا الاعتبار».

ثانياً: موضوعه:

هذا كتاب تربويّ يدخل في المؤلّفات في موضوع العلم وآدابه، اهتمّ بطرق التّدريس في الكُتَّاب، وبيّن علاقة المعلّم بالأطفال، والآداب المطلوبة في تعليمهم، كالتّسوية بينهم في الاهتمام، وعدم الانشغال عنهم، وحدود تأديبهم، والمواد التي ينبغي أن يتعلّمها الطفل في الكُتَّاب، وأجرة المعلّم، وغير ذلك ممّا له مساس بهذه المؤسّسة التعليمية العظيمة التي يتلقّى فيها الطّفل المسلم تكوينه الأوّل، والتي كانت تعوّض المدارس الابتدائية.

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين، وكل ما لم أنبه على طبعته لهذا الكتاب فهو بتحقيق حسن عبدالوهاب ومراجعة المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس.

(٢) آداب المعلمين تح محمود عبدالمولى ٦٩.

(٣) انظر مصادره في: ترجمته رقم ٣٢ في المحدثين.

(٤) انظر: ص ٩٧ (تح عبدالمولى).

ثالثاً: منهج تأليفه:

أ ـ ترتيبه ومشتملاته العامّة: لقد بنى محمد بن سَحنون مادّة هذا الكتاب على الحديث وأقوال السّلف من الصّحابة والتّابعين وفقه مالك وسَحنون، وقد قسمه إلى تسعة فصول قصيرة مرتّبة على النّحو التالي:

١ ـ ما جاء في تعليم القرآن العزيز[١]، أورد فيه ثمانية أحاديث مسندة مرفوعة في الحث على تعلّم القرآن، وخمسة آثار موقوفة على بعض الصّحابة والتّابعين، وقولاً لمالك.

٢ ـ ما جاء في العدل بين الصّبيان[٢] أورد فيه حديثاً مرفوعاً وأثراً عن الحسن البصري.

٣ ـ باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى، وما ينبغي أن يُفعل من ذلك[٣]، أورد فيه حديثاً طويلاً موقوفاً على أنس بن مالك، وعلّق عليه.

٤ ـ ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز[٤]، استدلّ فيه بستة أحاديث.

٥ ـ ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلّم[٥]، وهو من اجتهاد سَحنون وابنه محمد.

٦ ـ ما جاء في القضاء في عطيّة العيد[٦]. وفيه بيّن أن ما يعطى للمعلّم في الأعياد ليس حقاً واجباً له على الصّبيان إلا أن يتطوّعوا به.

---

(١) انظر: كتاب آدا المعلمين ٧٥ بتحقيق ح. ح عبدالوهاب ومراجعة محمد العروسي المطوي.

(٢) كتاب آداب المعلمين ٨٤.

(٣) انظر: كتاب آداب المعلمين ٨٦.

(٤) انظر كتاب آداب المعلمين ٨٨.

(٥) آداب المعلمين ٩٤.

(٦) آداب المعلمين ٩٦.

٧ ـ ما ينبغي أن يخلي الصّبيان فيه[١]، وفيه حدّد عطلة الصّبيان في عيدي الفطر والأضحى.

٨ ـ ما يجب على المعلّم من لزوم الصّبيان[٢]، وهو من أهمّ الفصول، وقد استشهد فيه بثلاثة أحاديث، وبأعمال بعض الصّحابة، وبيّن فيه عدم جواز انشغال المعلّم عن الأطفال، وفصّل القول في المواد التي يجب عليه أن يعلّمهم إياها، كالقرآن والسّنن والخطّ والهجاء والتّرتيل والإعراب والأدب والوضوء والصّلاة...

٩ ـ ما جاء في إجارة المصحف ومتى تجب[٣]، استشهد فيه بحديث مرفوع، وببعض أقوال الصّحابة وأفعالهم وفتاوى التّابعين واجتهادات بعض أصحاب مالك وسحنون وابنه محمد.

ب ـ أهم ملامح منهجه:

١ ـ الصّناعة الحديثيّة: لقد اعتمد ابن سحنون على الرّواية وجعل الحديث وأقوال السّلف أساساً بنى عليه مسائل الكتاب.

أ ـ **الأحاديث المرفوعة**: اشتمل الكتاب رغم صغر حجمه على ١٨ حديثاً مرفوعة إلى النّبي ﷺ استشهد بها ابن سحنون في ثنايا الكتاب، وقد سلك في طريقة إيرادها ما يلي:

ـ الغالب عليه أن يورد الحديث بسنده مرفوعاً إلى النّبيّ ﷺ كقوله[٤]: حدّثني أبي سحنون عن عبدالله بن وهب عن سفيان الثّوري عن عَلْقَمَة، عن أبي

---

(١) آداب المعلمين ٩١.
(٢) آداب المعلمين ٩٨.
(٣) آداب المعلمين ١١٩.
(٤) آداب المعلمين ٧٥، وانظر مثلاً: ٧٦، ٧٧.

عبدالرّحمن السُّلَمِيّ عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه»[1].

ـ وقد يورد الحديث بسنده مرسلاً كقوله[2]: حدّثنا رباح بن ثابت عن عبدالرحمن بن زياد عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «أدب الصّبيّ ثلاث دُرَر فما زاد قوصص به يوم القيامة»[3].

ـ وأكثر صيغ الأداء وروداً عنده التّحديث والعنعنة[4].

ـ وقد يورد الحديث في ثنايا كلامه معلّقاً كقوله[5]: . . . وقال النّبيّ ﷺ: «يؤدّب الرّجل ولده خير من أن يتصدّق»[6].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وفي أوله زيادة «إن» ١٠٨/٦، وأخرجه ابن ماجه بلفظه في باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ٢١٣/٩٣/١، كلاهما من حديث عثمان رضي الله عنه.
وسند ابن سحنون صحيح، فهو ووالده وابن وهب والثوري ثقات مشهورون وقد ذكرت ذلك في أكثر من موضع، وعلقمة هو ابن مرثد، ثقة. (التقريب ٣١/٢)، وأبو عبدالرحمٰن السلمي هو عبدالله بن حبيب، ثقة ثبت. (التقريب ٤٠٨/١).
(٢) آداب المعلمين ٩١.
(٣) لم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر. وهو مرسل ولعل ابن زياد وهم في رفعه.
(٤) انظر مثلاً: ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ (تح عبدالمولى).
(٥) آداب المعلمين ٩٣، وانظر: ١١٦.
(٦) أخرجه الترمذي وزاد في أوله «لأن» وفي آخره «بصاع»، كتاب البر باب ما جاء في أدب الولد ١٩٥١/٣٣٧/٤، وأخرجه الإمام أحمد وزاد في أوله «لأن» وفي آخره: «كل يوم ينصف صاع» ٩٦/٥، ١٠٢، كلاهما من طريق جبار بن سمرة.
وقال الترمذي: «هذا حديث غريب»، قلت: والحديث ضعيف بهذا الإسناد لوجود ناصح بن العلاء في سنده وهو لين الحديث (التقريب ٢٩٥/٢).

ــ وقد يورد الحديث بدون سند كقوله[1]: «وقدى نهى رسول الله ﷺ عن أكل طعام النُّهْبَة»[2].

ــ وقد وقع في إيراد حديث ضعيف لا تعلم له رواية عن النّبيّ ﷺ، وهو حديث أنس يرفعه: «أيّما مؤدّب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمّة فلم يعلّمهم بالسّويّة فقيرهم مع غنيّهم، وغنيّهم مع فقيرهم حُشر يوم القيامة مع الخائنين»[3].

ب ــ الاستشهاد بأقوال الصّحابة وأفعالهم: فمن أقوالهم ما رواه محمد بن سحنون بسنده إلى عبدالله بن مسعود قال: «ثلاث لا بدّ للنّاس منهم: لا بدّ

---

(١) آداب المعلمين ٩٩، وانظر: ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري من طريق عبدالله بن يزيد الأنصاري بلفظ «نهى النبي ﷺ عن النهبى والمثلة» في كتاب المظالم باب النهب بغير إذن صاحبه ١٠٧/٣، وفي كتاب الذبائح باب ما يكره من المثلة ٢٢٨/٦، وأخرجه أبو داود من طريق عبدالرحمٰن بن سمرة بمعناه في كتاب الجهاد باب النهي عن النهبى ٢٧٠٣/١٥٠/٣، وأورد النهي عن النّهبى ضمن حديث طويل في كتاب اللباس باب من كرهه ٤٠٤٩/٣٢٥/٤.

(٣) انظر: ص ٧٤ (ط عبدالمولى)، ولم أعثر عليه في كتب السنة، وذكر المحقق أنه يوجد في مخطوطه كتاب رياض الأنس للحسن بن سعيد الواعظ موقوفاً على أنس، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ المطوي الذي حدد موضعه في المخطوط، ورقة ٦٥ ظهر. قلت: والسند لا يصح إلى أنس أيضاً، فإنه معل بالانقطاع وبجهالة بعض رواته، فإن فيه: أحمد بن إبراهيم العمري، ولم أعثر عليه، فيما بين يدي من كتب الرجال على كثرتها، وورد في بعض النسخ الربيع عن صبيح عن أنس، وفي بعضها الربيع بن صبيح عن أنس، وبعد البحث تبين أنه الربيع بن صبيح لأنه روى عن آدم بن أبي إياس، وهو شيخه في هذا السند انظر: تهذيب الكمال ٧٣/١، ٤٠٥، والربيع هذا كان عابداًمجاهداً غير أنه لا يدري الحديث وقد ضعفه النقاد (التقريب ٢٤٥/١، الكاشف ٢٣٦/١، التهذيب ٢٤٧/٣، تهذيب الكمال ٤٠٥/١)، وبالإضافة إلى ضعفه فإنه لم يسمع من أنس بن مالك شيخه في هذا الحديث، بل إنه لم يلق أحداً من الصحابة فإنه من أتباع التابعين من الطبقة السابعة (انظر: التقريب ٢٤٥/١، تهذيب الكمال ٤٠٥/١)، وعلى هذا فالحديث ضعيف موقوفاً، ولا يصح رفعه.

للنّاس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بدّ للنّاس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقلّ كتاب الله، ولا بدّ للنّاس من معلّم يعلّم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان النّاس أمّيّين»[1].

ومن أفعالهم ما أورده محتجّاً به في معرض حديثه عن سجود التّلاوة أثناء التّعليم قال[2]: «ألا ترى أنّ عمر قرأها مرّة على المنبر فنزل فسجد ثمّ قرأها مرّة أخرى فلم يسجد وقال: إنها لم تكتب علينا»[3].

جـ ـ **الاستشهاد بأقوال السّلف من التّابعين وغيرهم: مثل: عطاء** بن أبي رباح والحسن البصري ومالك وسحنون وغيرهم. من ذلك ما رواه بسنده إلى الحسن البصري قال: «إذا قُوطع المعلّم على الأُجرة فلم يعدل بينهم ـ أي الصّبيان ـ كتب من الظَّلَمة»[4].

٢ ـ اجتهاده وآراؤه: ومن اجتهاده استعماله للقياس كقوله: «هذا قولي وهو القياس»[5]. كما أنّه كثيراً ما يجتهد في الأمور التي ليس عنده فيها رواية ولا شبيه لها في النصوص فيقيس عليه، ولذلك فقد تكرّر في كتابه أمثال هذه الألفاظ: لا يحلّ للمعلّم، لا أرى ذلك يجوز له، لا أرى ذلك يلزم، وأستحسن استحساناً وليس بقياس[6]. وقد يرجّح بعض الأقوال على بعض[7].

---

(١) آداب المعلمين ٨٣، وانظر: ٨٦.
(٢) آداب المعلمين ١١٥، وانظر: ٨٣، ٩٣، ١١٠.
(٣) أخرجه مالك في الموطأ بنحوه، كتاب الصلاة باب ما جاء في سجود القرآن ٣٣٢/١٦٥، وسنده إلى عمر رضي الله عنه صحيح، فقد رواه مالك عن هشام بن عروة، (ثقة فقيه. التقريب ٣١٩/٢) عن أبيه عروة بن الزبير، (ثقة فقيه مشهور. التقريب ١٩/٢)، عن عمر رضي الله عنه.
(٤) آداب المعلمين ٨٥.
(٥) آداب المعلمين ١٢١، وانظر: ٩٣.
(٦) انظر: آداب المعلمين ٩٦، ٩٧، ٩٤، ١٠٨.
(٧) انظر مثلاً: ص ١٢٥.

غير أنّه قد يبني بعض الأحكام على ما لا يُعرف له أصل في الشّرع من ذلك ما ذكره عن حفص بن غيات أنّ «أبا جاد» أسماء الشّياطين ألقوها على ألسنة العرب في الجاهليّة فكتبوها...، قال: فلا أرى لأحد أن يكتبها فإن ذلك حرام[1]، وكان الأولى ألّا يجزم بالتّحريم لمجرّد هذا القول.

جـ ـ مصادره:

١ ـ شيوخه في هذا الكتاب:

ـ والده الإمام سحنون بن سعيد، وأغلب الكتاب مدوّن عنه[2].

ـ أبو الطّاهر أحمد بن عمرو بن السّرح الحافظ المحدّث الفقيه العلاّمة (ت ٢٥٠)[3].

ـ يعقوب بن حُمَيد بن كَاسِب، محدّث، فقيه مدنيّ (ت ٢٤٠ أو ٢٤١)[4].

ـ موسى بن معاوية الصُّمادِحِيّ من كبار محدّثي القيروان (ت ٢٢٥)[5].

ـ رباح بن ثابت الأَزْدِيّ، محدّث فقيه قرويّ (ت ٢٣٧)[6].

ـ محمد بن عبدالله البَرْقِيّ الفقيه المحدّث الرّاوية (ت ٢٤٩)، وقد ورد اسم والده في الكتاب عبدالكريم، وهو خطأ[7].

ـ محمد بن عبدالرحمن[8].

---

(١) ص ٩٦، (ط عبدالمولى)، وحفص بن غياث الكوفي، ثقة فقيه. تغير حفظه بآخره (التقريب ١/١٨٩).

(٢) انظر: آداب المعلمين ١٣٧.

(٣) حسن المحاضرة ١/٣٠٩، آداب المعلمين ٧٦.

(٤) التقريب ١/٣١٦، آداب المعلمين ٧٧، ٩٠.

(٥) انظر: ترجمته رقم ٣٨، آداب المعلمين ٧٩، ٨٠، ٨٢.

(٦) انظر: ترجمته رقم ٩، آداب المعلمين ٩١.

(٧) آداب المعلمين ٨٤، وانظر: الشجرة ١/٦٧.

(٨) آداب المعلمين ٨٦.

٢ ـ المصنّفات:

ـ موطّأ الإمام مالك: ولم يصرّح باسمه، إنما عُرف نقله عنه بالمقارنة[1].

ـ المدوّنة الكبرى للإمام سحنون، ولم يصرح بها كذلك[2].

رابعاً: مقارنة بينه وبين كتاب:

الرّسالة المُفصِّلة لأحوال المتَعلّمين وأحكام المعلّمين[3] للإمام أبي الحسن علي بن محمد القابِسي (ت ٤٠٣)[4].

لقد ناسبت المقارنة بين الكتابين لاتّحاد موضوعهما، فكلاهما خاصّ بالبحث في شؤون تعليم الصّبيان في الكُتّاب في بيئة واحدة، هي مدينة القيروان، كما أنّ كلاًّ من المؤلفين كان إمام أهل زمانه في الحديث والفقه، ويفصل بينهما قرابة ١٥٠ سنة، يمكن أن نقف من خلال الكتابين على التّطور الذي حدث على الكُتّاب فيها.

وبمطالعة الكتابيت تبيّن لي:

ـ أنّ كتاب القابِسي قد اشتمل على جميع المواضيع التي تناولها ابن سحنون، وأضاف إليها عدة مواضيع أخرى منها ما استهلّ به كتابه من تفسير

---

(١) انظر: آداب المعلمين ٨٠، ١١٥، ١١٦، وقارن بالموطأ ط دار الآفاق الجديدة ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر: آداب المعلمين ٨٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، وقارن بالمدونة ١٠٢/١، ١٠٣، ١٩/٤، ٤٢١، ١٠٢/١، ١٠٣، ٤١٩/٤، ٤٢١.

(٣) لقد اعتمدت النسخة التي نشرها الأهواني في كتاب التربية في الإسلام ط٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

(٤) سبقت ترجمته رقم ٢٤.

الإيمان والإسلام والإحسان[1]، ومنها حديثه عن آداب حامل القرآن[2]، ومنها تفسير نزول القرآن على سبعة أحرف[3]، ومنها مسألة من تعلّم القرآن ثمّ ضيّعه[4] وغير ذلك.

ـ أنّ القابِسيّ أكثر توسّعاً في المسائل التي اشترك فيها الكتابان، من ذلك ما جاء في فضائل القرآن[5]، ومناقشته لمسألة أخذ الأجرة على تعليم القرآن[6].

ـ القابِسيّ أكثر استشهاداً بالآيات، مع تفسيرها وبيان معانيها[7] في حين لم يورد ابن سحنون إلّا آية واحدة.

ـ كما أنّه أكثر إيراداً للأحاديث النبويّة مع شرحها والتّعقيب عليها بالتّوضيح[8] والجمع بين ما ظاهره التّعارض[9] والإشارة إلى ما كان منها في الصّحيح[10] وينبّه على أنّ أسانيد أبي داود ونحوها لا تقوى على مدافعة أسانيد البُخاري[11]، وأكثر ما استدلّ به من الحديث يوجد في صحيح البُخاري، والقَابِسيّ هو روايته بالقيروان، وأوّل من أدخله إلى المغرب، كما قدّمت في غير موضع[12].

---

(١) انظر: التربية في الإسلام ٢٧٠.
(٢) انظر: التربية في الإسلام ٢٨١.
(٣) انظر: التربية في الإسلام ٣٤٨.
(٤) انظر: التربية في الإسلام ٢٨٤.
(٥) انظر: التربية في الإسلام ٢٨١ ـ ٢٨٣، وقارن بما جاء في آداب المعلمين ٧٥.
(٦) انظر: التربية في الإسلام ٢٩٥ ـ ٣٠٣، وقارن بما جاء في آداب المعلمين ١١٩.
(٧) انظر: التربية في الإسلام ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.
(٨) انظر: التربية في الإسلام ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧.
(٩) انظر: التربية في الإسلام ٢٢٩، ٣٠٠، ٣٠١.
(١٠) انظر: التربية في الإسلام ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٨٩.
(١١) انظر مثلاً: ٣٠١.
(١٢) انظر مثلاً: مبحث دخول البخاري إلى القيروان ص ١٧٧.

ونظراً لهذا التّوسّع والزيادات المختلفة جاء كتاب القابِسيّ حوالي أربعة أضعاف كتاب ابن سحنون.

ـ لقد اعتمد القابِسيّ على كتاب ابن سَحنون في كثير من المسائل، ونقل عنه في عشرين موضعاً من كتابه، وأحياناً يصرّح باسمه، ولم يتعقّبه (١).

وعموماً فإنّ كتاب القَابِسيّ أكثر فائدة لما فيه من التّوسّع وغزارة الأدلّة، مع الاستطراد في مناقشة المسائل، وفي الصّناعة الحديثيّة، ويبقى لابن سَحنون فضل السّبق، ومزيّة الابتداء ووضع الأسس مبنيّة على الأدلّة الشّرعيّة.

خامساً: مميّزات كتاب آداب المعلّمين:

ـ إنّه أوّل مصنّف مستقلّ في بابه في التّاريخ الإسلامي، وقد اعتمد عليه من جاء بعده، فهو الذي نبّه إلى الأسس التّربويّة للتّعليم الابتدائيّ.

ـ بنى محمد بن سَحنون تلك الأسس التّربويّة على الأدلّة الشّرعيّة، وخاصّة الحديث النّبويّ وآثار الصّحابة والتّابعين.

ـ رسم لنا الكتاب صورة واضحة عن حياة الكتاتيب في إفريقيّة في القرن الثّالث وأهم القضايا المتعلّقة بها.

ـ ذكر لنا المواد التي كان يتلقّاها أطفال المسلمين في كتاتيب القيروان، ونبّه على ما كان منها على سبيل الإلزام وما كان منها على سبيل التّطوّع.

سادساً: خدمة الكتاب:

ـ حقّقه الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب ونشر بمطبعة العرب بتونس سنة ١٣٥٠ ـ ١٩٣١ م.

ـ نشره ـ بدون تحقيق ـ الدّكتور أحمد فؤاد الأهواني مرّتين ملحقاً برسالته

(١) انظر مثلاً: ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧.

حـول التّعليم في رأي القابِسيّ أو التّـربية في الإسـلام، الأولى سنة ١٩٥٥ م والثانية سنة ١٩٦٨ م.

ـ نشر محمد العروسي المطوي تحقيق ح.ح عبدالوهاب مرّة أخرى مع زيادة تعليق، وذلك سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م، دار الكتب الشّرقيّة ـ تونس ـ.

ـ أعاد تحقيق الكتاب محمود عبدالمولى ـ الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ـ سنة ١٩٨١ م، ط. ٢.

الكتاب الرّابـع: كتاب المحن للحـافظ أبي العرب محمـد بن أحمد التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)[1]:

أوّلاً: موضـوعــه:

ذكر أبو العرب في كتاب المحن أنواع الفتن والابتلاءات والمصائب التي نزلت بجملة من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم من الفقهاء والمحـدّثين والقُرَّاء والصّلحاء والأعيان من أهل المشرق والمغرب إلى زمنه مع بيان أسبابها وصبر من حلّت بهم على مواجهتها[2].

ثانيـاً: منهجـه:

١ ـ ترتيبـه العـام:

أ ـ صدّر أبو العرب كتابه ببعض ما ورد عن النّبيّ ﷺ في الفتن والبلاء، وعنون لها بقوله: «أحاديث المحن»[3] وهي ٢٧ حديثاً، كما أورد في هذا الجزء جملة من أقوال الصّحابة والتّابعين، وذكر فيه، عرضاً، الفتنة التي تعرّض لهـا عثمان رضي الله عنه، ثم فصّلها بعد ذلك في صلب الكتاب.

---

(١) انظر: ترجمته رقم ٣٠.   (٢) انظر: ص ٣٩ ـ ٤٧.

(٣) كتاب المحن ط دار الغرب الإسلامي ص ٣٩.

ب ــ وفي نهاية هذا التّصدير ذكر أبو العرب منهجه العام في الكتاب **فقال**: «أنا ذاكر بعد هذا من ابتُلي بأن قُتل أو حُبس أو ضُرب أو تُهدِّد في صدر هذه الأمّة وخيارهم، أبدأ في ذلك بمن قُتل من الصّحابة والتّابعين وتابعيهم إلى عصرنا هذا بالرّواية عن أهل العلم الذين سمعت منهم...»[(١)].

فهو إذا رتّب كتابه ترتيباً زمنيّاً من عهد الصّحابة إلى عصره، واعتمد في سرد الأخبار على الرّواية. وهذا الذي ذكره من التّرتيب مجمل حيث لاحظت أنّ التّرتيب الزّمني ليس من أوّل الكتاب إلى نهايته وإنّما هو داخل الأجزاء وقد يكون داخل بعض العناوين.

جـ ــ أقسام الكتاب: قسم أبو العرب كتابه إلى خمسة أجزاء، وقسم كلّ جزء إلى عناوين كثيرة، وقد يكون العنوان شاملاً لجملة من النّاس كقوله: «ذكر قتلى يوم الجمل»، «ذكر من قُتل يوم الجماجم من أهل العلم»، «ذكر من صلب بعد القتل»[(٢)].

وكثيراً ما يختصّ العنوان بمحنة شخص واحد[(٣)] وقد يقرن بين شخصين تعرّضا إلى نفس المحنة[(٤)]. أمّا مضامين هذه الأجزاء إجمالاً فهي:

ــ **الجزء الأوّل**[(٥)]: ذكر فيه أحاديث المحن، ثمّ أورد أخبار قتل عمر وعثمان وعليّ وطلحة والزّبير وعمّار بن ياسر رضي الله عنهم، وفصّل القول فيها.

ــ **الجزء الثاني**[(٦)]: ذكر فيه قتلى يوم الجمل ورتّبهم على القبائل، ومن وقع تتبّعه وقتله من أصحاب عليّ رضي الله عنه، وفصّل القول في مقتل الحسين ومن معه، ثم ذكر خبر يوم الحَرَّة ومن قُتل فيه من الصّحابة والتّابعين، وخبر مقتل عبدالله بن الزُّبير ومن معه وغير ذلك حتّى ختمه بقتلى يوم الجماجم من أهل العلم.

---

(١) كتاب المحن ٤٧.
(٢) المحن ١٠٣، ١٩٤، ٢٤٦.
(٣) انظر مثلاً: ١٧٣، ٣٠٤، ٣١٩.
(٤) انظر مثلاً: ٣٣٤، ٤٠٧.
(٥) المحن ٣٩ ـ ١٠١.
(٦) المحن ١٠٣ ـ ١٩٧.

ـ **الجزء الثّالث**[1]: **تحدّث في هذا الجزء عمّن امتحنهم الحجّاج بن يوسف بالقتل والتّعذيب من الصّحابة والتابعين، ثم ذكر أخباراً متفرّقة فيمن امتُحن بضرب أو قتل أو صلب أو بسقي سمّ، وختمه بالحديث عن استشهاد عُقبة بن نافع ومن معه من الصّحابة والتّابعين بإفريقيّة.**

ـ **الجزء الرّابع**[2]: خصّص أبو العرب هذا الجزء لمن امتُحن بشيء دون القتل كالضّرب والحبس والتّعليق والجلد والتّهديد والشّتم، وبدأ بذكر من تعرّض لشيء من ذلك من الصّحابة ثمّ التّابعين فمن بعدهم.

ـ **الجزء الخامس**[3]: لا يختلف هذا الجزء عن سابقه من حيث طبيعة المحنة، غير أنّه فصّل القول في محنة القول بخلق القرآن فذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل ببغداد والإمام سَحنون بالقيروان، وغيرهما، وذكر من رأى أن التَّقِيَّة تسعه في هذه المحنة، فأجاب بلسانه وقَلْبُهُ منكر، كما ذكر من ضُربوا لأسباب مختلفة، ورتّبهم على البلدان فبدأ بالمدنيّين ثمّ أهل الكوفة فالبصرة فالشّام فمصر فاليمن ثم إفريقيّة، وختم الكتاب بذكر بعض المحن التي تعرّض لها القرويّون على يد العبيديّين بإفريقيّة.

٢ ـ أهمّ سمات منهجه:

أ ـ **الصّناعة الحديثيّة**: لقد سلك أبو العرب في كتاب المحن مسلك المحدّثين، حيث اعتمد على الرّواية، فإنه لا يذكر فيه حديثاً أو خبراً إلّا بسنده.

ـ **الأحاديث وطريقته في إيرادها**: لقد اشتمل الكتاب على ٨٦ حديثاً مرفوعاً بسند أبي العرب ويلاحظ على روايته للحديث ما يلي:

ـ **ذكر تعدّد الطّرق، وجمعها على مدارها**: إذا كان يروي الحديث من طريقين ذكر الحديث الأوّل بسنده ثم يذكر سند الثّاني ويقول: عن النبي ﷺ

(١) المحن ١٩٩ ـ ٢٧٩.

(٢) المحن ٢٨٠ ـ ٣٧٣.

(٣) المحن ٣٧٥ ـ ٤٧٥.

نحوه. من ذلك قوله: «حدّثنا أحمد بن مُعَتِّب قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله بن صالح الكوفيّ قال: حدّثنا الفَضْل بن دُكَيْن قال: حدّثنا سفيان عن عاصم عن مُصْعَب بن سعد عن سعد (بن أبي وقاص) قال: سُئل النّبيّ ﷺ: أيّ النّاس أشدّ بلاء؟ قال: «الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل، يبتلى الرّجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رِقّة خُفّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتّى يمشي على الأرض وماله من خطيئة»، ثم قال: وحدّثني سعيد بن إسحٰق قال: حدّثنا محمد بن رَزِين عن علي بن مَعْبَد عن وَكِيع عن سفيان عن عاصم بن أبي النُّجُود عن مصعب بن سعد عن أبيه عن النّبيّ ﷺ نحوه»[1].

وإذا التقى الطّريقان في بعض الرّجال نجده يذكر السّند الثّاني حتّى يصل إلى مدار الحديث ثم يقول: «بإسناد مثله سواء»، من ذلك قوله: «حدّثني بَكر بن حمّاد قال: حدّثنا مَعَدّ قال: حدّثنا حمّاد بن زيد عن عاصم بن بَهْدَلَة عن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أيّ النّاس أشدّ بلاء...؟ الحديث، ثم قال: حدّثني أبو بكر محمد بن محمد بن الفرج البغدادي قال: حدّثنا عبدالله بن عمر القَوَارِيرِيّ حدّثنا حمّاد بن زيد عن عاصم بن بَهْدَلَة بإسناد مثله سواء»[2].

ـ جمع الشّيوخ في سند واحد: إذا سمع الحديث من أكثر من شيخ جمعهم في السَّنَد كقوله: «حدّثنا يحيى بن عمر وبَكر بن حَمّاد وفُرات قالوا...»[3]، وأحياناً يكتفي بذكر أحدهم فيقول مثلاً: حدثني عيسى بن مسكين وغيره عن سَحنون...»[4].

(١) المحن ٣٩، ٤٠، والحديث أخرجه الترمذي بنحوه في الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/٦٠١/٢٣٩٨، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء ٢/٤٨٩/٤٠٨٨، والدارمي في الرقائق باب في أشد الناس بلاء ٢/٣٢٠، ويلتقي سند الترمذي وابن ماجه مع سند أبي العرب الأول في عاصم بن بهدلة فمن بعده، ويلتقي معه الدارمي في سفيان فمن بعده.

(٢) المحن ٤٠، وانظر: تخريج الحديث السابق، وهو في هذين الطريقين يلتقي مع الترمذي وابن ماجه في حماد بن زيد فمن بعده.

(٣) المحن ٤٤.

(٤) المحن ٤٢.

ـ شرح المعاني: قد يوضّح معاني بعض الأحاديث: كقوله في حديث أنس يرفعه[1]: «عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرّضا ومن سخط فله السخط»، قال أبو العرب: «معنى قوله ـ والله أعلم ـ من رضي فله الرضا: أراد أجر الصّابر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما يُوفَّى الصّابرون أجرهم بغير حساب﴾[2]»[3].

مصطلح الحديث:

ـ صيغة أداء أصحاب مالك فيما أخذوه عنه:

قد يذكر أبو العرب بعض ما يتعلّق بمصطلح الحديث كقوله: «حدّثنا محمد بن الحسن البغدادي قال: سألت هشام بن عمّار: «من أين قلت حدّثني مالك بن أنس وإنّما كان يقرأ عليه أصحابه. وقلّ من يقول من أصحابه حدّثني مالك؟ قال: نعم، كان يقرأ عليه حبيب[4] فلمّا أن فرغ قلت له: حدّثني»، فقال مالك: أعرابي أنت، أو لم تسمع؟ فقلت له: سمعته يقرأ عليك، فلم نقول حدثنا؟ قال: فأمر السودان الوقوف على رأسه فحملوني وضربوني فلمّا رآني أبكي حدّثني ثمانية عشر حديثاً، وسألته عن اثنتي عشرة مسألة، فمن هاهنا قلت: حدّثني مالك بن أنس»[5].

ـ طرق التّحمل عنده وصيغ التّعبير عنها:

١ ـ التّحديث أو المشافهة: وهي الغالبة على كتابه، حيث نجده يروي الأحاديث والأخبار والتّواريخ ونحو ذلك عن شيوخه مباشرة، ويعبّر عن ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/٦٠١/٢٣٩٦، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ٢/٤٩٣/٤٠٩٦، كلاهما من طريق أنس بلفظه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٢) سورة الزمر: الآية ١٠. (٣) المحن ٢٧٦، وانظر: ١٤٤.

(٤) هو حبيب بن أبي حبيب المصري، كاتب مالك، ترك النقاد حديثه (التهذيب ٢/١٨١، التقريب ١/١٤٩).

(٥) المحن ٤٢٢.

بـ «حدّثنا»[1] غير أنّ أبا العرب قد يُبهم اسم شيخه أحياناً، فيقول مثلاً: «حدّثني غير واحد عن أسد»، «حُدّثت عن زياد»، ونحو ذلك[2]، وهذا عند المحدثين منقطع أو متّصل في سنده مبهم أو مجهول[3].

٢ ـ الإجازة: وقد ذكرها في هذا الكتاب مرّة واحدة، وشيخه في هذه الإجازة هو عمرو بن ثور الشّامِيّ[4]، وقد عبّر أبو العرب عن تحمّله بالإجازة بصيغة تدلّ على دقّته وإتقانه ومعرفته لاصطلاحات أهل الصّناعة[5]، حيث عبّر عن ذلك بالإخبار وقيّده بأنّه إجازة، فقال: «أخبرنا عمرو بن ثور الشّامي إجازة»[6].

٣ ـ الوجادة: نقل أبو العرب في هذا الكتاب كثيراً من الأخبار عن بعض الكتب التي لم يكن له سند إلى مؤلّفيها، وكان تعبيره عن النّقل عنها في غاية الدّقّة، من ذلك قوله: «قرأت في بعض الكتب بخط إبراهيم بن يزيد وأنا أعرف خطّه»، «قرأت في كتاب قال»، «قرأت في بعض الكتب»[7]، وهذا يدلّ على معرفته لشروط الرّواية بالوجادة ومراعاته لها[8].

ـ توثيق الرّاوي وذكر طبقته وبعض شيوخه: قد يوثّق أبو العرب بعض من ذكرهم في هذا الكتاب، وقد يذكر طبقاتهم، وبعض شيوخهم، غير أنّه مقلّ في ذلك، ويكون التّوثيق نقلاً عن غيره أو من عنده ابتداء، كقوله في علي بن مُسْهِر: «قال يحيى بن معين: «ثقة»[9]، وقوله: «وسعيد بن جُبَير كوفي تابعي ثقة، مولى

---

(١) انظر مثلاً: ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦.
(٢) انظر: المحن ٨٩، ١٠٦، ١١٠، ١١٤.
(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/١، ١٧، ٩٢.
(٤) المحن ٤٥.
(٥) علوم الحديث لابن الصلاح ١٥١.
(٦) المحن ٤٥.
(٧) المحن ٢٢٢، ٣٠٢، ٣٠٤.
(٨) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ١٥٨.
(٩) انظر: المحن ٤٦١، وهو كما قال، انظر: التهذيب ٣٨٣/٧.

لبني أسد، روى عن ابن عبّاس وابن عمر وأنس بن مالك»[1]. وقوله في صِلة بن أَشْيَم العَدَوِيّ: «مصري، تابعي، من كبار التّابعين»[2].

وقد يذكر الاختلاف في توثيق الشّخص، كما ورد في خبر قَابُوس بن أبي ظِبْيَان[3] حيث ذكر ما يُفهم منه تضعيف يحيى بن معين له، لأنّه محدود، ثم أورد قول مُصعب بن عبدالله الزُّبَيْرِيّ[4]: «ليس ما قال ابن معين، إنما حدّه الفلانيّون في التّحامل[5]، وليس حدودهم عندنا بشيء بجورهم، إن كان ثقة مأموناً صاحب حديث»[6].

ـ ذكر الوفيات: وهو كثير في كتاب المحن، فإنّه خاص بالممتحنين وكثير منهم تنتهي محنهم بالموت أو القتل، ومن ذلك قوله: «قُتل سعيد بن جُبير سنة ٩٥ هـ»[7] وقد يخصّص عنواناً لقتلى معركة واحدة، كقوله: «ذكر من قُتل يوم الجماجم من أهل العلم[8].

ب ـ جوانب أخرى: اهتمّ أبو العرب في كتاب المحن بذكر أخبار الفتن، وتوسّع فيها، وفصّل القول في أنواع من الضّرب والسّجن والقتل، وغير ذلك، كما أنّه ينبّه في ثنايا كلامه على علم الشّخص وفضله وعبادته والثّناء عليه،

---

(١) المحن ٢١٤، وانظر: تاريخ الثقات للعجلي ١٨١، التهذيب ٤/١١.

(٢) المحن ٢٣٥، ونفس كلامه يوجد في تاريخ الثقات للعجلي (٢٢٩)، مما يدل على دخوله القيروان وتداوله بين علمائها.

(٣) اختلفوا فيه، وفي حديثه لين (انظر: التهذيب ٨/٣٠٥، التقريب ٢/١١٥).

(٤) مدني نزل بغداد، صدوق، عالم بالأنساب (التقريب ٢/٢٥٢).

(٥) كان يقدم علياً على عثمان رضي الله عنهما فجاء إلى ابن أبي ليلى ليشهد عنده في قضية فحمل عليه ابن أبي ليلى فضربه (التهذيب ٨/٢٥٢).

(٦) المحن ٤١٧.

(٧) المحن ٢٢٤، وهو كما قال، انظر: التقريب ١/٢٩٢، وانظر: نماذج للوفيات في كتاب المحن ١٨٢، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٦٨، ٢٧٥.

(٨) المحن ١٩٥.

كقوله[1]: «عبّاس بن الوليد الفارسيّ المحدّث.... وكان من الفضلاء العُبّاد والعلماء الحفّاظ.. حدثني أبي رحمه الله أنّه رأى على بعض كتبه: «درستُه ألف مرّة»».

وقال عند حديثه عن محنة سعيد بن جُبير: «كان سفيان الثّوري لا يقدّم أحداً على سعيد بن جُبَير في علمه وكان معجباً به»[2].

ثالثاً: مصادره:

استمدّ أبو العرب مادّة كتابه من عدّة مصادر هي:

١ ـ شيوخه: وقد بلغت عدّتهم في هذا الكتاب ٤٠ شيخاً منهم شيخ بالإجازة. وقد أكثر أبو العرب عن خمسة منهم، وهم:

ـ عيسى بن مسكين المحدّث الفقيه قاضي القيروان (ت ٢٩٥)[3].

ـ يحيى بن محمد بن يحيى بن سلاّم المحدّث (ت ٢٨٠)[4].

ـ بَكر بن حَمّاد التّاهَرْتِيّ ثمّ القرويّ المحدّث (ت ٢٩٦)[5].

ـ سعيد بن إسحٰق الكَلْبِيّ المحدّث الفقيه (٢٩٤ أو ٢٩٥)[6].

ـ عبدالله بن الوليد وهو فقيه له مشاركة في الحديث، من أصحاب سحنون[7].

---

(١) المحن ٢٧٤، وانظر: ترجمته عباس الفارسي في الرياض ٢٤٨/١.
(٢) ٢٢٣، وانظر نماذج أخرى في: ٢١٤، ٢٣١، ٢٧٢.
(٣) انظر: المحن ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٧٦، ٨٣، وانظر: ترجمته رقم ٢٧ في المحدثين.
(٤) انظر: المحن ٤٧، ٤٨، ٦٣، ٩٥، وانظر: ط أبي العرب مح ١١٣.
(٥) انظر: المحن ٤٠، ٤٤، ٩٥، ١٠٦، ١٠٨، وانظر: ترجمته رقم ٢ في المهاجرين.
(٦) انظر: المحن ٤٠، ٥٦، ١٠٣، ١٣٦، وانظر: ترجمته رقم ١٤ في المحدثين.
(٧) انظر: المحن ٨٢، ١٢٠، ١٢٦، ١٤٥، ١٧٣، ١٩٩.

٢ ـ الكتب التي نقل عنها وسماها:

ـ طبقات محمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)[١].

ـ كتاب تسمية من قُتل بالحرّة لداود بن الحُصَيْن مولى آل عثمان[٢].

ـ كتاب أحمد بن يزيد القيرواني[٣].

ـ خطبة عليّ رضي الله عنه[٤].

٣ ـ كتـب أخرى:

ـ كتاب بخط إبراهيم بن يزيد[٥].

ـ كتاب لمحمد بن عمر الواقديّ، ولعلّه كتاب المغازي[٦].

ـ كتاب لمحمد بن إسحٰق ولعلّه مغازيه أيضاً[٧].

ـ كتابان آخران لم يذكر مؤلّفيهما[٨].

رابعاً: المميّزات والمآخذ:

١ ـ المميـزات:

ـ لقد تناول أبو العرب في هذا الكتاب موضوعاً طريفاً لم يسبق إليه بهذا الشّمول والتّوسّع، فيما وقفت عليه، حيث جمع فيه خبر من امتُحن من الصّحابة والتّابعين وعلماء السّلف ليقف اللاّحق من هذه الأمّة على ما تعرّض له السّابق منها، ويعرف صبرهم على المصائب، وصمودهم أمام المحن، وتضحياتهم في سبيل هذا الدّين، وهذا من شأنه أن يهوّن المصاب على من ابتُلي بشيء من ذلك من المتأخّرين.

---

(١) انظر: المحن ٢٦٨.
(٢) انظر: المحن ١٦٠.
(٣) انظر: المحن ٢٥٦.
(٤) انظر: المحن ٨٢.
(٥) المحن ٢٢٢.
(٦) انظر: المحن ٧٥، ١٣٦، ١٤٧.
(٧) انظر: المحن ٥٥، ٥٦.
(٨) انظر: المحن ٣٠٤، ٤٠٢.

ـ احتفظ لنا بمادّة علميـة ليست قليلة استقاهـا من كتب لم تصل إلينـا ككتاب تسمية من قُتل بالحرّة.

ـ إنّه يضيف إلى المعلومات التّاريخية والتراجم تفصيلاً تخلّ به المصادر وقد يجيء بمعلومات جديدة ينفرد بها[1].

ـ إنّ الكتاب يُغني عن غيره في بابه ويوفّر الجهد والوقت على من أراد الاطلاع على هذا الموضوع ويعفيه من الرّجوع إلى كثير من المصادر، مع سهولة الأسلوب ووضوح العبارة.

ـ اعتماده على الرّواية والصناعة الحديثيّة، وسياقه الأخبار بأسانيدها، ودقّته في العزو، وأمانته في النقل، ممّا يجعل القارىء يطمئن إلى مـا جاء فيـه من الأخبار.

ـ كثيراً ما يذكر تواريخ الوفاة، وقد يذكر بعض شيوخ الممتحن وتوثيقه، ونحو ذلك ممّا يفيد المشتغلين بالسُّنّة وعلومها، وقد تقدّمت بعض النّماذج مع مقارنتها في الهامش بما عند غيره.

٢ ـ المـآخـذ:

ـ لقد شان أبو العرب كتابه حين تعرّض بالتّفصيل لما شجر بين الصّحابة وخاصّة في الفتنة التي قُتل فيها عثمان رضي الله عنه وموقعتي الجمل وصفين. وكان الأولى به ذكر ذلك على سبيل الإجمال.

ـ أخلّ أبو العرب بالمنهج الذي رسمه لنفسه في أوّل الكتاب من السّير فيـه على التّرتيب الزّمنيّ بادئاً بالصّحابة ثمّ التّابعين وتابعيهم إلى عصره[2]، وهذا الإخلال واضح في مواضع كثيرة من الكتاب، منها ما جاء في الجزء الرّابع حيث

(١) انظر: مقدمة كتاب المحن ١١.
(٢) انظر: كتاب المحن ٤٧.

ذكر في أوّله محن بعض الصّحابة[1] والتّابعين[2] وأتباعهم[3] مرتبة، ثمّ عاد فذكر أخبار بعض التّابعين[4]، ثمّ بعض الصّحابة[5]، ثمّ بعض التّابعين[6]، ثمّ عاد فذكر بعض الصّحابة[7].

ـ اشتمل الكتاب على بعض الأخطاء التّاريخية منها ما ذكره من أنّ محمد بن مَسْلَمة الأنصاري كان موجوداً أثناء وقعة الحَرّة سنة ٦٣ هـ، والمعروف أنّه توفي سنة ٤٣ هـ[8].

خامساً: خدمة الكتاب:

طبع الكتاب مؤخّراً مرّتين:

ـ الأولى: بتحقيق الدّكتور يحيى وَهيب الجَبُّوريّ وطبع دار الغرب الإسلاميّ سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، وقد أغفل المحقّق تخريج كثير من الأحاديث [9] هذا مع ما على تخريجه من الملاحظات، كما أخطأ في رسم بعض الأسماء وخاصّة من أهل القيروان[10].

ـ والثانية: بتحقيق الدّكتور عمر سليمان العقيليّ وطبع دار العلوم بالرّياض ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، وهو أكثر فائدة من سابقه، ويلاحظ أنّهما اعتمدا على نفس المخطوطة وهي الوحيدة المعروفة حتّى الآن، وتوجد بجامعة كمبردج

---

(١) انظر: كتاب المحن ٢٨٤ ـ ٢٩٠.

(٢) انظر مثلاً: ٢٩٠.

(٣) انظر مثلاً: ٣١٩.

(٤) انظر مثلاً: ٣٣١.

(٥) انظر مثلاً: ٣٤١.

(٦) انظر مثلاً: ٣٤٨.

(٧) انظر مثلاً: ٣٥٠.

(٨) انظر مثلاً: المحن ٣٤٢، وقارن بالتهذيب ٩/٤٥٤.

(٩) انظر مثلاً: ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧.

(١٠) مثلاً جبلة بن حمود تصحف عنده إلى جبلة بن محمود (ص ٤٥٤)، ورباح بن يزيد تصحف عنده إلى رياح بالياء (ص ٣٥٧)، ويوسف بن يحيى المغامي تصحف عنده إلى المقامي بالقاف (ص ٤٣٣).

بإنجلترا[1]، ونظراً لاعتماد نسخة وحيدة فقد جاء في كـلّ من التّحقيقين عدّة سقوط لم يتمكّنا من سدّها[2].

النّتيجـة العامّـة:

وبهذه المصنّفات وغيرها يتبيّن لنا الدّور الذي قام به محدّثو القيروان في إثراء المكتبة الحديثيّة ونشر السّنّة والمنافحة عنها، كما أنّها تُظهر لنا دور وتأثير مدرسة القيروان بمؤلّفاتها الحديثيّة التي بقي كثير منها يُتداول ويؤثّر في كلّ جيل وصقع حسب درجة الإقبال عليها والحرص على الإفادة منها.

غير أنّ ما عرفناه من هذه المصنّفات قليل بالنّسبة للحقيقة، كما أنّ ما بلغنا من هذا القليل الذي عُرف شيء لا يكاد يذكر.

ولعلّ الأيام تظهر لنا بعض المخطوطات، وخاصّة الفهارس التي تُلقي مزيداً من الضّوء على مصنّفات أخرى للقرويّين، ويزيدنا إيضاحاً لدور محدّثيها في نشر السّنّة وعلومها رواية ودراية عن طريق التّصنيف فيها.

---

(١) انظر: كتاب المحن ط دار الغرب ١٤، ط دار العلوم ٣١.

(٢) انظر: ط دار الغرب ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ط دار العلوم ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٩.

الخاتمة

وفيها:

ـ تلخيص مناسب للرسالة.

ـ أهم النتائج التي توصلت إليها.

خاتمة البحث

لقد انطلق آلاف الصّحابة والتّابعين من الجزيرة العربيّة لفتح إفريقيَّة، وذلك سنة ٢٧ هـ، وما بعدها وواجهتهم فيها صعوبات لم يتعرّضوا لها في غيرها من البلاد التي فتحوها، وكلّفتهم تضحيات غالية، واستغرق زمن الفتح أكثر من نصف قرن من الزّمان تمّ خلاله وبعده أسلمة البلاد، ودخلت إفْرِيقِيَّة في الوطن الإسلاميّ الكبير، وفي تلك الأثناء أُنشئت عاصمتها الكبرى، وهي مدينة القَيْرَوان.

وقد نزل إفريقيّة والقَيْرَوان مئات من الصّحابة الكرام فاتحين وناشرين للعلم، غير أنّنا لم نعرف منهم حتّى الآن ـ حسب المادّة المتوافرة ـ إلا خمسة وأربعين صحابيّاً كبيراً عدا بعض صغار الصّحابة، والمُخَضْرَمِين، وهم واحد وعشرون رجلًا.

وبسبب وجود كثير من هؤلاء الصّحابة الكرام بإفريقيّة في وقت مبكّر فقد ظهرت فيها الحياة العلميّة قبل تأسيس القيروان، وتلقّى الأفارقة العلم من مظنّته الشّرعيّة، وبسنده العلميّ الصّحيح.

وفي سنة ٥٠ هـ تأسّست مدينة القَيْرَوان على يد ١٨ صحابيّاً بمساعدة آلاف من التّابعين وبنوا جامعها الأعظم، فكانت هذه المدينة المباركة بعد ذلك منطلقاً ثابتاً للحياة العلميّة والحديثيّة خاصّة، في إفريقيّة وسائر بلاد المغرب.

وقد دعا لها ٢٥ صحابيّاً وكثير من فضلاء التّابعين بأن تمتلىء علماً وأن يعمرها الله بالعلماء والعُبّاد، وقد استجاب الله سبحانه دعاءهم لها، فقد قام هؤلاء

الصّحابة ومن معهم من التّابعين بنشر الحديث رواية ودراية في القيروان، وبدأ النّاس يدوّنونه، ممّا حدا بالأمير عُقبة (ت ٦٣) أن يوصي بتحرّي حديث رسول الله ﷺ عن الثّقات، وعدم كتابة ما يشغل عن الاهتمام بكتاب الله عزّ وجلّ.

وقد أثبت هذا البحث الرّواية عن عشرة من الصّحابة في إفريقيّة والقيروان.

كما أنّ أهل القيروان قد انفردوا برواية حديث صحابيّين هما زياد بن الحارث الصُّدائيّ، والمُنيذِر الأسلميّ الإفريقيّ.

وكان آخر الصّحابة وجوداً بالقيروان هو سفيان بن وَهْب الخَوْلَانِيّ (ت ٨٢) وذلك سنة ٧٨ هـ.

وعلى هذا فإنّ الصّحابة هم الذين وضعوا أوّل بذرة للحديث وعلومه رواية ودراية بإفريقيّة والقَيْرَوان، وعلى أيديهم تخرّج بعض أهلها.

وقد تعهّد هذه البذرة التّابعون الكثيرون الذين دخلوا القيروان للجهاد ونشر العلم، وعلى أيديهم شاعت رواية علوم الكتاب والسّنّة فيها.

وهم عدّة آلاف عرفنا منهم بالتّحديد تسعة وأربعين تابعيّاً، كان أبعدهم إثراء للحياة العلميّة بالقيروان ـ وخاصّة في مجالس السُّنّة وعلومها ـ التّابعون العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١) سنة ٩٩ هـ لتفقيه أهل القيروان وتعليمهم السّنن وإقرائهم القرآن والحكم بينهم بشرع الله، وهم الذين أفشوا رواية الحديث فيها، وفي عهدهم دخلت نسخة من الأحاديث التي دُوّنت بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

وقد بنى هؤلاء العشرة وغيرهم بالقيروان المساجد والكتاتيب، وعلى أيديهم اتّسع نطاق التّعريب، وتَمّ إسلام بقيّة البربر.

وقد أوطن القيروان ثلاثون من فضلاء التّابعين كان عليهم مدار الرّواية بها

في عهدهم، أمّا الباقون وهم تسعة عشر فقد مكثوا بها مُدَداً متفاوتة، ونشروا فيها العلم، ثمّ نزحوا عنها إلى بلدانهم أو غيرها.

وكان للتّابعين بالقيروان آثار كبيرة متعدّدة الاتجاهات: علميّة وسياسيّة واجتماعيّة، أسهمت إلى حدّ كبير في تحديد توجّهات الأفارقة عامّة والقيروانيّين خاصّة نحو اختيار عقائد السّلف في الأصول والفروع، وتقديم الآثار على الرّأي.

وكان آخر التّابعين وجوداً بالقيروان ـ فيما وقفت عليه ـ هو يزيد بن أبي منصور، وقد كان بها حوالي سنة ١٤٤ هـ في أوّل إمارة محمد بن الأشعث الخُزاعيّ الذي ذاكره في بعض الأحاديث.

وعلى أيدي هؤلاء التّابعين تخرّجت أفواج عديدة من علماء القيروان، واستغنوا بذلك عن تكثيف الرّحلة إلى المشرق لطلب العلم في هذا الوقت المبكّر، وإن كانت الرّحلة غير المكثّفة قد بدأت قبل ذلك بكثير.

وقد كان لمختلف الأوضاع السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة بالقيروان أبعد الأثر سلباً وإيجاباً على الحياة العلميّة عامّة، وعلى الحديث وعلومه بصفة خاصة.

فإنّ الحواجز كانت قائمة في معظم الأحيان بين علماء السّنّة ـ وخاصة المالكيّة منهم ـ والعامّة من ناحية، وبين الحكّام ومؤسّساتهم ومن سار في ركابهم من ناحية أخرى، وإذا قبل بعضهم الدّخول في منصب القضاء ونحوه فإنما يكون ذلك بعد الإلحاح والتّضييق والتّهديد، وبعد أن يشترط لنفسه شروطاً يضمن معها القيام بالحقّ والعدل، ولذلك كان أغلب الحكّام يفضلون تقريب الفقهاء الحنفية لتوسع بعضهم في الرّخص وميلهم إلى الرّأي أكثر من غيرهم.

وفي بداية القرن الثّاني تسلّل إلى القيروان دعاة بعض فرق الخوارج من الإبَاضِيّة والصُّفْرِيّة، بعد أن ضاق بهم المشرق، فدعوا إلى بدعهم، وقد وجدوا من كثير من قبائل البربر آذاناً صاغية لعدم تعمّق هؤلاء في فهم الدّين الإسلامي

ولغته، ولما شاهدوه من ظلم بعض الولاة، خاصة وقد وجدوا متنفّساً في بعض الشّعارات البرّاقة التي كان ينادي بها الخوارج كعدم اشتراط القُرَشِيّة في الخلافة، ووجوب الخروج على الإمام إذا جار، وغيرها من تعاليمهم التي اشتملت على شرور عظيمة لم يكن البربر ـ وهم حديثو عهد بالإسلام ـ يدركون خطورتها آنذاك، فاندلعت بسبب ذلك في إفريقيّة والمغرب حروب واسعة النّطاق دامت أكثر من ثلاثين سنة، وذهب ضحيّتها كثير من علماء إفريقيّة والقيروان من التّابعين وغيرهم، فكان ذلك سبباً في شلّ الحركة العلميّة، بالإضافة إلى أنّ التّعريب قد أخذ من العلماء جهداً كان أساساً ضرورياً للتقدم في جميع العلوم، وإن كان أخّر من الناحية الزمنية التعمّق في تلك العلوم، وذلك أمر لا بد منه.

ولما رأى أهل إفريقيّة المزالق التي أدّى إليها الرّأي، والفتن التي نتجت عن التّأويل الفاسد وعدم التزام النّص، زاد تمسكهم بالآثار وترسّخ لديهم التّوجّه السُّنّيّ الذي غرس الصّحابة مبادئه لديهم، وتعهّده التّابعون بالرّعاية فكان نفورهم من الرّأي، وحساسيّتهم المفرطة ضده، والتزامهم بالسّنّة طابعاً خاصاً لازمهم طول الفترة التي تناولتها بالدراسة في هذه الرسالة (٥٠ ـ ٤٤٩ هـ).

وكان هذا التّوجّه من أهمّ أسباب اختيار القرويّين بعد ذلك لمذهب الإمام مالك وتفضيله على مذهب الإمام أبي حنيفة؛ لاشتهار الإمام مالك باعتماده على الحديث وأخذه عن ثقات رجاله غالباً، وبعده عن الإكثار من الرّأي، خاصّة وأنّ مذهبي الشافعيّ وأحمد لم يكونا قد ظهرا بعد ولكليهما مكان معلوم في الرّسوخ في علم الحديث وبناء الفقه على الآثار.

كما كان لوجود بعض الفرق الكلاميّة المناوئة للسّنّة أثره على الحياة العلميّة بالقيروان، مثل المعتزلة والمرجئة والشّيعة الإسماعيليّة.

وقد عاش القرويّون من أهل السّنّة بسبب ذلك في صراع فكريّ ـ بالمناظرة والتّصنيف ـ وأحياناً عسكري، شبه دائم وخاصّة مع الإسماعيليّين الرّوافض الذين كانوا يملكون دولة تحميهم، فعملوا جاهدين على طمس العلم السُّنّي وإدخال

النّاس في دعوتهم مستعملين في ذلك أخسّ الوسائل بين ترغيب وترهيب غير أنّ كلّ ذلك لم يجد شيئاً فقد كان العلماء لهم بالمرصاد رغم الضّغوط والقيود التي مُورست عليهم، وانتهى الأمر باندحار الرّفض وانتصار السّنّة، وخروج الإسماعيليّة إلى مصر سنة **٣٦٢** هـ.

ولقد ازدهرت الحياة العلميّة بالقيروان ـ وخاصّة في مجال الحديث وعلومه ـ بواسطة المراكز العلميّة الكثيرة المنتشرة فيها، وفي مقدّمتها المساجد، وكذا دُور العلماء التي لعبت في ذلك دوراً هامّاً، وخاصّة في عهد الرّافضة العُبَيديّين **(٢٩٦ ـ ٣٦٢)** الذين منعوا العلماء من الإفتاء والتّدريس في المساجد، وحرّموا عليهم تداول كتب الحديث وغيرها من المصنّفات في مختلف علوم السّنّة، وحبسوا أهل العلم في دورهم فكان يقصدهم بها الطّلبة وهم في غاية الحذر والحيطة.

كما كان للكتاتيب والمكتبات وقصور الرّباط، وغيرها من المراكز دورٌ هام في نشر الحديث وغيره من العلوم.

وكانت الرّحلة من أبرز الآداب التي تحلّى بها محدّثو القيروان وغيرهم من أهل العلم بها، حتّى إنه لم يترك الرحلة منهم إلا من عجز عن تكاليف الرّحلة أو من منعته عن الرحلة أسباب سياسيّة أو اجتماعيّة.

وقد أسهمت هذه الرّحلات العلميّة في إثراء الحياة العلميّة وازدهار المدرسة الحديثية بالقيروان؛ لأنّها كانت من أهمّ وسائل اكتساب علوم المشارقة، من مرويّات ومصنّفات، ومواكبتهم في التّقدّم العلميّ.

وإذا كان القرويّون قد عرفوا الرّحلة العلميّة إلى المشرق في أواخر القرن الأوّل فإنّها لم تتكثّف إلّا ابتداء من منتصف القرن الثّاني حين انقرض من بالقيروان من التّابعين فشعر أهلها بالحاجة إلى علوم المشارقة.

وقد غطّت الرّحلة معظم بلاد المشرق وكانت سبباً في تقوية الرّوابط الثّقافيّة

والصلاة العلميّة بين القيروان وبين معظم حواضر العالم الإسلاميّ وعواصمه العلميّة، غير أنّ هذه الصّلة قد شهدت صبغة خاصّة مع المدينة المنوّرة، وخاصة في حياة الإمام مالك، وتلاميذه، حيث رحل إليه ٤٤ من علماء القيروان وأخذوا عنه، منهم ستة رووا عنه الموطّأ، بل إنّ أوّل رواية للموطّأ خارج المدينة المنوّرة قد عُرفت بإفريقيَّة والقيروان على يد علي بن زياد التونسي (ت ١٨٣).

وبعد انقراض تلاميذ مالك من المدينة المنوّرة أضحت الصّلة بمصر تحتلّ مكان الصدارة، لكثرة من بها من علماء المذهب من فقهاء ومحدّثين وقرّاء.

وتليها من حيث متانة صلة القيروانيّين العلميّة: العراق بمختلف حواضرها، ثمّ مكّة ـ زادها الله شرفاً ـ ثمّ الشّام، ثمّ مختلف المدن العلميّة الأخرى على ما فصّلته في فصلي الرّحلة، والصّلة بين مدرسة القيروان وغيرها.

وكان الغالب على القرويّين في رحلاتهم هذه هو التّلقّي غير أنّ كثيراً منهم قد حدّث أثناء رحلته، مثل: عبدالرحمن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، وأسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، ومحمد بن سَحنون (ت ٢٥٦)، وعبدالله بن أبي هاشم (ت ٣٤٦).

كما أنّ المشرق قد استهوى بعض الأفارقة فاستوطنوه وبثّوا فيه العلم.

وفي المقابل كان بعض أهل المشرق يقدم القيروان، ويبثّ فيها العلم، ومنهم من سمع بها أيضاً، ومنهم من استوطنها.

أمّا الصّلة بالأندلس فقد كانت لها آثار كبيرة في ازدهار الحياة العلميّة في المدرستين، حيث اتّسمت الرّحلة من الأندلس إلى القيروان بالكثافة وكثرة الفائدة، وكان الغالب فيها تلقّي الأندلسيّين من القرويّين حين يرحلون إلى القيروان للطّلب في طريقهم إلى المشرق، أمّا عند عودتهم فإن كثيراً منهم يصبح أهلاً لتصدّر مجالس العلم فيسمع منه أهلها.

وقد استهوت القيروان كثيراً من علماء الأندلس فاستوطنوها وبثّوا فيها علم الحديث وغيره.

وفي المقابل كانت الرّحلة إلى الأندلس تقع في الغالب نتيجة لأسباب سياسيّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة، وقد تكون لأسباب علميّة غير أنّ العطاء كان أغلب عليها من الأخذ حتّى إنّ كثيراً من المصنّفات الحديثيّة إنّما دخلت الأندلس عن طريق من رحل إليها من القيروانيّين، مثل: أبي عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٤٣٠)، وعثمان بن أبي بكر الصّفاقُسِيّ (ت حوالي ٤٤٤)، ومحمد بن سَعدون القرويّ (ت ٤٨٥).

وقد طابت بلاد الأندلس لجماعة كثيرة من علماء الحديث القيراونيّين فاستوطنوا بعض مدنها، وأخذوا مكانهم بين علمائها وفي ثغورها، وخاصّة بعد خراب القيروان سنة ٤٤٩ هـ، فكانوا بذلك من نماذج التّأثير الواضح لمدرسة الحديث بالقيروان في غيرها.

وتأتي صِقِلّيَة ـ وهي وليدة القيروان ـ في درجة تالية لِمَا تقدّم من حيث متانةُ الصّلة العلميّة والحديثيّة.

ويليها في ذلك المغربان الأوسط والأقصى (الجزائر والمغرب)، لأسباب سياسيّة وعقديّة تقدّم بيانها في مواضعها من البحث.

كما كان لمدرسة القيروان الحديثيّة إشعاعها الواضح وأثرها الكبير في نشر الحديث وعلومه رواية ودراية في مختلف مدن إفريقيّة وقراها، التي كان معظم أبنائها يرتحلون لتلقي العلم عن شيوخ القيروان، ثمّ يعودون لنشره في مواطنهم، ومنهم من يستقر بالقيروان بعد أن يوسّع مرويّاته ومعارفه بالرّحلة إلى المشرق والأخذ عن علمائه، وذلك إلى جانب خروج بعض محدّثي القيروان بأنفسهم إلى بعض المدن والقرى والسّواحل لأداء رسالتهم في نشر السّنّة وعلومها.

وقد عادت الرّحلة على الحياة العلميّة عامّة وعلى الحديث وعلومه بصفة خاصّة بفوائد جليلة، وكان لها ثمرات عظيمة أهمّها:

١ ـ تكوين شخصيّات حديثيّة من أبناء القيروان قامت بهم وبمن انضمّ إليهم من الوافدين أركان مدرسة القيروان الحديثيّة.

٢ ـ تحصيل الحديث وشيوع روايته.

٣ ـ دخول أمّهات المصنّفات في مختلف فنون الحديث رواية ودراية.

٤ ـ التمرّس بنقد الحديث وفقهه.

٥ ـ معرفة أحوال رواة الحديث.

٦ ـ علوّ أسانيد مَحدّثي القيروان، وتعدّد طرق بعض الأحاديث والمصنّفات.

وقد كانت المصنّفات الحديثيّة من أهمّ الأسس التي قامت عليها مدرسة الحديث بالقيروان فإنّ تلك المصنّفات الكثيرة التي دخلت عن طريق الرّحلة والتي شملت أمّهات كتب السّنّة، كالكتب السّتّة باعتبار الموطّأ بدل سنن ابن ماجه التي لم تدخل في هذه الفترة، والمسانيد المختلفة، والمصنّفات المتعدّدة، وكتب الرّجال، وأصول الرّواية والجرح والتّعديل، والشّروح والأجزاء الحديثيّة، وغيرها ـ كما فصّلته في مبحث ثمرات الرّحلة ـ كان لها أبعد الأثر في إثراء علوم الحديث رواية ودراية، وبوساطتها تمكّن القرويّون من مواكبة الحركة العلميّة في المشرق والاطّلاع على جهود محدّثيه في مختلف مجالات علوم الحديث.

وبالإضافة إلى ذلك نجد أنّ القرويّين قد كان لهم في هذه الفترة إسهام ملحوظ في إثراء المكتبة الحديثيّة حيث دوّنوا كثيراً من الأجزاء الحديثيّة في وقت مبكّر، وصنفوا في مختلف علوم الحديث رواية ودراية ـ كما فصّلته في فصل المصنّفات ـ مثل المسانيد، والجوامع والمصنّفات على الأبواب، والعوالي الحديثيّة، والأمالي، والجرح والتّعديل، وغريب الحديث وشروحه، وكتب الفهارس وبرامج الشّيوخ، وغيرها، أما أكثر إنتاجهم فقد كان يتعلّق بالطبقات

وتراجم الرّواة وفضائل العلماء ومناقبهم وأنسابهم ووفياتهم، وقد وصلت مصنّفاتهم في هذه الفنون إلى ٣٥ كتاباً من مجموع ٨٢ كتاباً هي عدد ما عثرت عليه للقرويّين من المصنّفات في الحديث وعلومه في هذه الفترة.

هذا عدا المصنّفات الكثيرة التي جمعت بين الحديث وغيره من العلوم كالفقه والتّفسير، والمصنّفات التي استقلّت ببعض العلوم غير الحديث الشّريف، وقد ذكرت بعضها في مبحث أهمّ العلوم الشّرعيّة بالقيروان.

غير أنّ معظم هذه المصنّفات قد فُقِدَ بسبب الجوائح الكثيرة التي تعرّضت لها القَيْرَوان، فقد خرّبها الخوارج النَّكَّارِيّة حوالي سنة ٣٣٣ هـ، ثم خرّبت سنة ٤٤٩ هـ على يد الأعراب، كما أنّ بني عُبيد الرّوافض ـ الذين حكموا القيروان لمدة ٦٦ سنة ـ كان لهم أثر كبير في ضياع كثير من هذه المصنّفات، فإنّهم منعوا النّاس من تداولها، وحجزوا ما وقعت عليه أيديهم منها، بالإضافة إلى أسباب أخرى ذكرتها في موضعها من البحث.

وقد عرّفت تعريفاً واسعاً بأحد عشر كتاباً هي أشهر ما وصل إلينا من مصنّفات محدّثي القيروان، منها ثمانية كتب مطبوعة وكتابان مخطوطان، وكتاب مفقود، عرّفت به من خلال المادّة الموجودة عنه في المصادر نقلاً منه أو وصفاً له.

وكانت كلّ المصنّفات الحديثيّة المذكورة في ثمرات الرّحلة تُروى وتُتَدارس بالقَيْرَوان، وكذا مصنّفات القرويّين التي عدّدتها في أوّل مبحث المصنّفات، غير أنّ أشهر الكتب التي حظيت بعناية القرويّين واهتمامهم هي:

- موطأ الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩)، وقد كان يُروى في القيروان باثنتي عشرة رواية بما فيها رواية يحيى بن يحيى اللّيثي الأندلسيّ (ت ٢٣٤)، وهي أشهر روايات الموطأ، ومن تلك الرّوايات ست برواية الأفارقة والقرويّين عن مالك.

- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البُخاريّ (ت ٢٥٦) برواية الفَرَبْرِيّ، وقد أدخله سبعة من محدّثي القيروان.

- جامع عبدالله بن وهب (ت ١٩٧)، ومسند محمد بن سنجر الجُرْجَانِيّ (ت ٢٥٨)، والملخِّص لما في الموطّأ من الحديث المسند للإمام القابِسيّ (٤٠٣)، والممهّد له أيضاً، وقد رتّبه على الأبواب وجمع فيه بين الحديث والفقه، وكتاب الآثار والفوائد لأبي بكر محمد بن اللبّاد شيخ السّنّة بالقيروان (ت ٣٣٣)، والمدوّنة للإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)، وغيرها.

وقد أنجبت مدرسة القيروان أفواجاً من المحدّثين في كلّ جيل غير أنّ المصادر المتوافرة لم تمكنّا إلا من معرفة (١٨٢) مائة واثنين وثمانين من الرّواة بين محدّث، ومشارك في الحديث مشاركة بيّنة، وهو عدد قليل نسبيّاً بالنّظر إلى طول الفترة التي أدرسها، وهي أكثر من أربعة قرون، وخاصة إذا استحضرنا ازدهار الحياة العلميّة بالقيروان في هذه الفترة، وتمسّك أهلها بالسّنّة والتزامهم جانب الحديث والأثر وتجنّبهم الإيغال في الرّأي.

كما يلاحظ أيضاً أنّ كثيراً من هؤلاء المحدّثين لا توجد لهم تراجم متكاملة، بل منهم من لم أعثر له على خبر سوى وصفه بالتّقدّم في علم الحديث.

وقد عرّفت منهم بتسعة وأربعين محدّثاً رأيت أنّ خصائص مدرسة القيروان تجتمع فيهم من حيث سعةُ الرّواية وقلّتها، والثّقة والضّعف، والضّبط والتّساهل، والرّحلة وعدمها، والاقتصار على الحديث أو التّفنّن في علوم شتّى، والتّصنيف وعدمه وغير ذلك.

وقد فصلت عند التّعريف بهم بين المحدّثين القرويّين أصالة وعدّتهم أربعون، وبين من هاجر إليها واستوطنها وأخذ مكانه بين علمائها وأسهم في نشر الحديث بها رواية ودراية، وهم تسعة محدّثين.

ومن أشهر هؤلاء الرّواة وعلماء الحديث وأكثرهم أثراً في إشاعة الحديث وعلومه رواية ودراية بالتدّريس والتّأليف والمسلك والسّمت: عبدالرحمن بن زياد الإفريقيّ (ت ١٦١)، وعبدالله بن فَرُّوخ الفارسيّ (ت ١٧٦)، وأسد بن الفُرات (ت ٢١٣)، وموسى بن مُعاوية الصُّمادِحِيّ (ت ٢٢٥)، والإمام سَحنون بن سعيد (ت ٢٤٠)، وعيسى بن مسكين (ت ٢٩٥)، وبَكر بن حمّاد (ت ٢٩٦)، ومالك بن عيسى القَفْصِيّ (ت ٣٠٥)، والحافظ أبو العرب محمد بن أحمد التَّمِيمِيّ (ت ٣٣٣)، وعبدالله بن أبي هاشم التُّجِيبِيّ (ت ٣٤٦)، وعبدالله بن أبي زيد القيروانيّ (ت ٣٨٦)، والإمام الحافظ أبو الحسن علي بن محمد القَابِسِيّ (ت ٤٠٣)، والحافظ أبو عمران موسى بن عيسى الفَاسِيّ (ت ٤٣٠)، وعثمان بن حَمُّود الصَّفَاقُسِيّ (ت حوالي سنة ٤٤٤)، ومحمد بن سَعدون القَرَوِيّ (ت ٤٨٥)، وغيرهم.

وقد كان لمحدّثي القيروان في هذه الفترة إسهام بارز في علوم الحديث رواية ودراية، ويلاحظ أنّ اجتهاداتهم في ذلك وما وضعوه من القواعد المتعلّقة بها تتّفق في الغالب مع ما وصل إليه محدّثو المشرق إلا جزئيّات قليلة أشرت إليها في مواضعها.

ففي مجال الرّواية نجد أنّ محدّثي القيروان قد اهتموا ببيان آداب طالب الحديث والتزموها، ونبّهوا على آداب المحدّث ومارسوها، كما نصّوا على بعض الأسس المتعلّقة بكيفيّة سماع الحديث وتحمّله، حيث كان لهم كلام حول سنّ تحمل الحديث، وأقسام التّحمل الثّمانية.

ونبّهوا على بعض القواعد المتعلّقة بصفة رواية الحديث وأدائه، فإنّهم قد ذكروا الألفاظ المعبّر بها عن طرق التّحمل، وحكم الرّواية بالمعنى، واهتمّوا بالإسناد وطالبوا به عند الرّواية وحرصوا على اتّصاله وسلامته.

كما اهتمّوا بضوابط تقييد الحديث وتدوينه من حيث ضبط المكتوب ومقابلته بأصول السّماع، ، وضبط اختلاف الرّوايات، ومحو الغلط واطّراح الدّخيل على الأصل، وتشدّدوا في أمر اللّحن في الحديث وأرشدوا إلى كيفيّة إصلاحه.

أمّا في مجال الدّراية فقد حدّد محدّثو القيروان صفة من تُقبل روايته وهو العدل الضّابط، وتكلّموا على ما يناقضها مثل كثرة الخطأ في الكتاب.

واعتنوا بمباحث علوم الرّجال مثل:

الجرح والتّعديل، فذكروا ألفاظهما وبعض القواعد المتعلّقة بهما كالتّعديل على الإبهام وحكم الرّجوع في الرّواية، وموقفهم من رواية المبتدع وغير ذلك.

وعنوا ببيان المتّفق والمفترق من أسماء الرّواة، وتقييد المهمل، ومعرفة الصّحابة.

وكانت لهم معرفة بكثير من أنواع الحديث، ودراية بنقد الأحاديث سنداً ومتناً، وجهود في معالجة الوضع في الحديث.

كما كان لهم اهتمام بعلوم السّند، حيث نبّهوا على أهمّيّته، والألفاظ الدّالة على الاتصال أو الانقطاع، وأهمّيّة الإسناد العالي، وحكم حديث الأفراد وغير ذلك.

ولم تكن عنايتهم بعلوم المتن تقلّ عن عنايتهم بعلوم الإسناد، فقد تحدّثوا عمّا يتعلّق بالمتن من حيث قائله، كقول الصّحابيّ (الموقوف)، وقول التّابعي (المقطوع) وغير ذلك، ومن حيث درايته، مثل غريب الحديث وفقهه وتأويل مختلفه وشرح معانيه واستنباط أحكامه.

وهكذا يمكن القول بأن القيروان في هذا الفترة (٥٠ ـ ٤٤٩) قد ضمّت مدرسة حديثيّة متكاملة العناصر والأركان، حيث قامت بنشر السّنّة وعلومها رواية ودراية، بالنّقل والتّصنيف، ووضع بعض الآداب والقواعد والضّوابط، المساعدة على سلامة حديث الرّسول ﷺ من التّحريف، وتنقيته من الشّوائب.

وكان لهذه المدرسة إشعاعها في مختلف مدن إفريقيّة والأندلس وصقلية.

ويمكن اختصار هذه النّتائج وإبرازها فيما يلي:

١ ـ إن المادّة العلميّة المتعلّقة بمدرسة الحديث وعلوم الشّريعة بالقيروان وإفريقيّة في هـذه الفترة (٥٠ ـ ٤٤٩)، رغم قـوة دلالتها على شيـوع الحديث والعناية به وبعلومه رواية ودراية فإنّها قليلة ومشتّتة في المصادر، فكـان البحث عنها وفيها بسبب ذلك في غاية الصّعوبة.

٢ ـ لقـد فنّد هـذا البحث ما شـاع من أنّ علماء القيـروان قد قصـروا اهتمامهم على الفقه، وبيّن وجود مدرسـة حديثيّـة مكتملة العناصـر كانت لهـا أهمّيّتها وأثرها وإشعاعها.

٣ ـ إنّ الحديث بعلومه المختلفة كان يمثّل أولى اهتمامات القرويّين إلى جانب الفقه، وقد كانا شديدي التّرابط في هذه الفترة، ويندر أن نعثر على عالم برع في أحدهما دون الآخر، وقد يضيف إليهما علوم القرآن واللّغة وغير ذلك.

٤ ـ إنّ مصطلح الفقيه في هذه الفترة بالقيروان كانت له دلالة أوسع من مجـرّد المقدرة على استنبـاط الأحكام من أدلّتهـا، حيث نجدهم يـطلقونـه في مصنّفاتهم على من برع في علوم شتّى على رأسها الحديث والفقه والقرآن.

٥ ـ لقد بدأت الحياة العلميّة بإفريقيّة قبل تأسيس القيروان، لوجود عدد كبير من الصّحابة بها منذ سنة ٢٧ هـ، وقد أثر عنهم الرّواية بها، غير أنّهم لم يستقرّوا فيها.

٦ ـ بدأت رواية الحديث وعلومه بالقيروان منذ إنشائها سنة ٥٠ هـ وكان الصّحابة هم أوّل من نشر فيها هذه العلوم، ثمّ أشاعها التّابعون الكثيرون الذين أوطنوها.

٧ ـ لقد عرفنـا ممّن دخل القيـروان من الصّحابـة خمسة وأربعين (٤٥) صحابيّاً ثبتت الرّواية فيها عن عشرة منهم، كما عرفنا واحداً وعشرين (٢١) من صغار الصّحابة وتسعة وأربعين (٤٩) من التّابعين الرّواة.

٨ ـ وجد بالقيـروان في هذه الفتـرة مئات من المحـدّثين ازدهرت على

أيديهم علوم السُّنّة فيها رواية ودراية، وقد عرفنا منهم مائة واثنين وثمانين (١٨٢) محدّثاً، وقع التّعريف في هذه الرّسالة بتسعة وأربعين (٤٩) منهم، اجتمعت فيهم خصائص مدرستها الحديثيّة، مع الملاحظ أنّ أكثر المحدّثين لا تتوافر عنهم مادّة كافية للبحث حسب المصادر الموجودة.

٩ ــ لقد شاعت بالقيروان مختلف أنواع المراكز العلميّة، وعلى رأسها المساجد والكتاتيب والمكتبات وقصور الرّباط ودور العلماء، وبين جنباتها قرئت السُّنّة وعُرضت ودُوّنت وشُرحت ووقع حفظها وتدارسها والتّصنيف حولها.

١٠ ــ كانت الرّحلة بما دخل عن طريقها من المصنّفات والأحاديث المنثورة، وما حدث خلالها من الاحتكاك بجهابذة المحدّثين، من أهمّ عوامل ازدهار الحديث وشيوع روايته ومعرفة أحوال رجاله وأصول أدائه وتحمّله بإفريقيّة والقيروان، وعلوّ أسانيد علمائها.

١١ ــ كان الغالب على محدثي القيروان في رحلاتهم المشرقيّة هو التّلقّي، والغالب على رحلاتهم الأندلسية هو العطاء، ومنهم من جمع بين التّحمل والأداء في الجهتين.

١٢ ــ كانت المصنّفات الحديثيّة من أهمّ ركائز السّنّة وعلومها بالقيروان، سواء كانت من تصنيفهم أو ممّا دخل إليهم من وضع غيرهم، وكان الموطّأ والمدوّنة وصحيح البُخاري من أشهر الكتب التي انكبّ عليه أهل القيروان بالسّماع والمدارسة والمذاكرة والحفظ والشّرح واستنباط الأحكام والفوائد.

١٣ ــ كوّن محدثو القيروان صلات علميّة وروابط ثقافيّة متينة مع مختلف العواصم العلميّة في المشرق والأندلس والمغرب تتمثّل في التّلقيّ المباشر وتبادل المصنّفات والإجازات والمكاتبات... كما كان لهم إشعاع وتأثير في صِقِلِّيّة ومختلف مدن إفريقيَّة.

١٤ ــ لفقد استهوت القَيْرَوان جماعة من محدّثي المشرق والأندلس

فاستوطنوها وأخذوا مكانهم بين علمائها، وفي المقابل استمال المشرق والأندلس بعض القرويّين فأوطنوا بعض مدنه وبثّوا فيها العلم.

١٥ ــ أسهم محدّثـو القيروان إسهاماً لا بأس به في مجالات علوم الرّواية والدّراية ووضعوا في ذلك بعض الآداب والأسس والقواعد والضّوابط التي تساعد في دقّة تحمّل الحديث وأدائه لطالبه، وفهمه والعمل به، وصيانته.

١٦ ــ كان لمحدّثي القيروان إسهام في إثراء المكتبة الحديثيّة الإسلاميّة، حيث صنّفوا في مختلف فنون الحديث كتباً كثيرة عرفنا منها ٨٢ كتاباً، أكثرها في عداد المفقود حتّى الآن، ولو وجدت لتغيّرت النّظرة إلى مدرسة القيروان الحديثيّة ولأدرك الباحثون قيمتها، مثل مسند الإمام محمـد بن سَحنون (ت ٢٥٦) وكتب العوالي والفهارس وغيرها.

١٧ ــ لقد كان القرويّون في الأصول على عقيدة السّلف التي تلقّوها عن الصّحابة والتّابعين؛ فإنّ الأشعريّة لم تكن قد عُرفت إلاّ في نهاية المرحلة التي أدرسها.

١٨ ــ وفي الفروع مال القرويّون إلى مذهب الإمام مالك لاعتماد صاحبه على الحديث، وتقدّمه الزمني على غيره من المذاهب المتبعة للآثار، وقد وجدت بها بعض المذاهب الأخرى أشهرها مذهب الإمام أبي حنيفة، غير أنّ جميعها قد اندثر، وخاصّة عندما ألـزم المعزّ بن بـاديس (أمير القيـروان ٤٠٧ - ٤٤٩) أهل القيروان وإفريقيّة باتّباع مذهب مالك حسماً لمادّة الخلاف.

١٩ ــ إنّ كثيراً من الفرق الكلاميّة التي ظهرت في المشرق قد وجدت لها صدى في إفريقيّة والقيروان عن طريق دعاة تلك الفرق من المشارقة أو عن طريق بعض المرتحلين من الأفارقة.

ومن هذه الفرق: الإباضيّة والصُّفْرِيّة من الخـوارج، والمرجئـة والمعتزلـة والشّيعة الإسماعيليّة، وقد نافح أهل القيروان عن عقيدتهم السُّنِّيَّة باعتزال أهل

البدع في المرحلة الأولى، ثمّ بالمناظرة والتّصنيف في المرحلة الثّانية، وأحياناً بالجهاد كما هو الحال مع الخوارج الإباضيّة والصُّفْرِيَّة، ومع الشّيعة الإسماعيليّة.

٢٠ ــ لقد كثر العُبّاد والمتصوّفة في إفريقيّة، ولكنّهم امتازوا باشتغالهم بالعلم إلى جانب العبادة، ولذلك نجدهم ملتزمين بالسُّنّة في الأصول والفروع، ولم يُؤثَر عنهم انحراف أو شطحات في العقيدة، بل إنهم كانوا في مقدّمة العلماء الذين جاهدوا من أجل إحياء السّنّة وإماتة بدع الخارجيّة والاعتزال والرّفض.

٢١ ــ كان بنو عُبَيْد الإسماعيليّون الرّوافض أشدّ الفرق وطأة على أهل السّنّة بالقيروان وأبعدهم أثراً في شلّ الحركة العلميّة فيها، وذلك لتمكّنهم من أسباب القوّة المادّيّة، لأنّهم كانوا يحكمون القيروان، وكان صمود القرويّين وتمسّكهم بسّنيتهم ورفضهم الانسياق وراء الرّفض، وتفضيل الموت على ذلك... هو السّبب الأهمّ والدّافع الأقوى الذي جعل بني عُبيد يغادرون إفريقيّة إلى مصر.

٢٢ ــ لقد صان علماءُ القيروان من محدّثين وفقهاء وقرّاء العلم، وحافظوا على هيبته بتجنّب مداخلة السّلطان وترك الدّخول في خدمته، ورفض قبول هداياه وأمواله، وكانوا خير مدافع عن حقوق العامّة فأحبّهم الشّعب وتمحور حولهم ممثّلين حلفاً واحداً أمام من حاد عن الجادّة من الحكام، ومن سار في ركابهم.

٢٣ ــ كان المجتمع القيروانيّ في تلك الفترة مجتمعاً طاهراً نظيفاً، متماسكاً متكافلاً يغلب على أهله التّمسّك بالشّرع، والتّحلّي بالفضائل، ولم تفلح الأقلّيّات اليهوديّة والنّصرانيّة في محاولة إدخال الفساد عليه، حيث وقف لهم القضاة والفقهاء والمحدّثون بالمرصاد.

٢٤ ــ كان للمرأة القيروانيّة اهتمام بالعلم، تتلقاه منذ مرحلة المكتب، وقد برعت جماعة من النّساء في الحديث والفقه والأدب والخطّ...

٢٥ ــ إنّ تخريب القَيْرَوان على يد الأعراب سنة **٤٤٩ هـ** قد نتج عنه

اندثار حضارتها، وذهاب ما كان بها من العلم، ولم تعد أبداً إلى سالف مجدها، وانتقل مشعل الحضارة والعلم بإفريقيّة إلى المَهْدِيَّة ثم إلى تونُس الحَفْصِيّة، وقد أسهمت هذه النّهاية المأسويّة للقيروان إسهاماً كبيراً في ضياع معالم حضارتها.

٢٦ ـ بالرّغم من خراب القَيْرَوان فإنّ سند العلم والرّواية لم ينقطع بإفريقيَّة، فقد مثّل حلقة الاتّصال في هذا السّند تلاميذ آخر طبقة لعلماء القيروان، فإنهم انتشروا في مختلف مدن إفريقيّة ـ عدا من خرج إلى مصر والمغرب والأندلس ـ وعنهم أخذ الإمام المَازَرِيّ حافظ إفريقيَّة في زمانه بلا منازع، وغيره، فكان ذلك سبباً في حفظ تسلسل الرّواية في تلك الرّبوع، والحمد لله تعالى.

وبعد، فهذا ما يسّر الله عزّ وجلّ بفضله وكرمه كتابته في هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يجعل ما بُذل فيه من جهد خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبّله منّي إنّه سميع قريب مجيب.

والحمد لله الذي بفضله تتم الصّالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبي الهدى والرحمة ﷺ، ورضي الله عن الصّحابة أجمعين، وعن التّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أرحم الرّاحمين.

الفهارس(*)

(*) لقد حالت ظروف صدور هذه الطبعة دون الحاق جميع الفهارس الأحد عشر، ولعل الله ييسّر ذلك في الطبعة القادمة إن شاء الله تعالى.

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ المراجع المطبوعة[1]

ـ آداب المعلمين لمحمد بن سحنون (ت ٢٥٦ هـ):
* تح ح. ح عبدالوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
* تح د. محمود عبدالمولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢، ١٩٨١ م.

ـ الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، صالح باجيّه، دار بو سلامة، تونس، ط ١.

ـ إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لأحمد بن أبي الضياف (ت ١٢٩١ هـ)، الدار التونسية للنشر، ط ٢، ١٣٩٦ هـ.

ـ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، لأحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، تح د. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧ هـ.

ـ الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣ م.

ـ أحاديث فضائل إفريقية، (مقالان)، للشيخ محمد الشاذلي النيفر، المجلة الزيتونية، ١٩٤٥ م، ١٩٤٦ م.

---

(١) لم أعتبر الكنية واللقب عند الترتيب فمثلاً كتاب «أبو عبدالله الأبي» يكون في حرف العين.
اذكر اسم الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم اسم المحقق إن وجد، ثم دار الطبع، ومكانها، ثم رقم الطبعة وتاريخها إن وجدا.
أدخلت المقالات والمجلات ضمن هذا القسم.
إذا تكرر اسم مصنف أذكره، في المرة الأولى كاملاً ثم أكتفي بعد ذلك بذكر نسبته وتاريخ وفاته غالباً.

- أحاديث القُصّاص، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تح محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٩٢ هـ.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب الأندلسي (ت ٧٧٦ هـ)، تح محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين بن عبدالله الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦ م.
- أحكام السوق، يحيى بن عمر الأندلسي ثم الإفريقي (ت ٢٨٩ هـ)، تح ح. ح. عبدالوهاب، مراجعة فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط ١، ١٩٧٥ م.
- إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ)، تع عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- أحوال الرجال، إبراهيم بن يعقوب الجوزقاني (ت ٢٥٩ هـ)، تح صبحي السامرّائي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- أخبار وتراجم أندلسية ومغربية، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط ١، ١٩٦٣ م. (مستخرجة من معجم السفر) للسلفي (ت ٥٧٦ هـ).
- اختصار علوم الحديث، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٧٠ هـ.
- أدب الإملاء والاستملاء، عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المَقَّري التلمساني، تح مجموعة من علماء المغرب، مطبعة فضالة بالمغرب.
- أسباب اختلاف المحدثين، خلدون الأحدب، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن ناصر السلاّوي، تح ولدّي المؤلف، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤ م.
- الاستغناء في معرفة المشهورين من حمَلة العلم بالكنى، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣ هـ)، تح د. عبدالله السوالمة، دار ابن تيمية، الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ)، بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، علي القاري الهروي المكي (ت ١٠١٤ هـ)، تح محمد الصباغ، مؤسسة الرسالة ١٣٩١ هـ.
- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد (ضمن كتاب جوامع السيرة)، الحافظ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، تح د. إحسان عباس، د. ناصرالدين الأسد إدارة إحياء السنّة، باكستان.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تح عبدالله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمود الطحان، مكتبة السروات، ط ٤، ١٤٠٢ هـ.
- أضواء على السنة، مصطفى كمال التارزي، من منشورات مجلة الهداية - تونس - ط ١، ١٤٠١ هـ، (فيه مقال حول البخاري واهتمام أهل المغرب به وبصحيحه).
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩ م، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٩ م.
- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، محمد الفاضل بن عاشور، مطبعة النجاح تونس.
- أعلام المغرب العربي، عبدالوهاب بن منصور، المكتبة الملكية بالرباط، ط ١، ١٣٩٨ هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣ م.
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ للحافظ محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، (قسم ٣ خاص بالمغرب)،

لسان الدين بن الخطيب الأندلسي (ت ٧٧٦ هـ)، تح د. أحمد العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.
ـ الأغالبة، سياستهم الخارجية، د. محمود إسماعيل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٧٨ م.
ـ إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن رُشَيد السّبتي الفهري الأندلسي (ت بفاس ٧٢١ هـ)، تح محمد الحبيب بالخوجة، الدار التونسية للنشر.
ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الأمير أبو نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ)، تح عبدالرحمٰن بن يحيى المعلمي ١٩٦٢ م.
ـ أَلْف سنة من الوفيات، جمع وتحقيق محمد حجي، وهو يتكون من ثلاثة كتب هي: وفيات ابن قنفذ (ت ٨١٠ هـ) وفيات الونشريسي (ت ٩١٤ هـ)، ولقط الفرائد لأحمد بن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ)، دار المغرب، الرباط ١٣٩٦ هـ.
ـ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، تح السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، المكتبة العتيقة بتونس، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.
ـ الإلمام بأحاديث الأحكام، محمد بن علي القُشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ)، مراجعة محمد سعيد المولوي، دار الثقافة الإسلامية بالرياض ١٣٨٣ هـ.
ـ أَلَيْس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٦٧ م.
ـ الأم، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.
ـ الإمام المازري، حسن حسني عبدالوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس.
الإمام المازري وقصر الرباط = ذكرى المازري.
ـ الإمامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء، المنسوب لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تح د. محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٧١ هـ.

ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الخلفاء، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣ هـ).
ـ الأنساب لأبي سعيد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، تح عبدالرحمٰن المعلمي، ط ١، الهند ١٣٨٦ هـ.
ـ أنموذج الزمان في شعراء القيروان، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، جمع وتحقيق الأستاذين: بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، الشركة التونسية للتوزيع ١٤٠٦ هـ.
ـ أهم الفرق الإسلامية، محمد الطاهر النيفر، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٥ م.

* * *

ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢.
ـ البحر المحيط، محمد بن يوسف، ابن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، مطابع النصر الحديثة، الرياض.
ـ بحوث في تاريخ السنة المشرّفة، د. أكرم ضياء العمري، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
ـ البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح، مقال لمصطفى كمال التارزي، مجلة الهداية ١/٢/١٩٧٤ م، أضواء على السنة (ص ١١٥ ـ ١٥٨).
ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٦٦.
ـ برنامج المجاري، لأبي عبدالله محمد المجاري الأندلسي (ت ٨٦٢ هـ)، تح محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٢ م.
ـ برنامج المكتبة العَبْدَلِيَة، جمعه بعض علماء الزيتونة، المطبعة الرسمية بتونس ١٣٢٧ هـ.
ـ برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي، تح محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
ـ بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ح. ح عبدالوهاب، مكتبة المنار بتونس، ط ٢، ١٩٧٠ م.
ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي (ت ٥٩٩ هـ)، مطبعة روخس، مجريط (إسبانيا) ١٨٨٤ م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٨٤ هـ.
- بقي بن مخلد ومقدمة مسنده «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث»، تح ودراسة د. أكرم العمري، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- البلدان، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ)، المطبعة الحيدرية بالنجف، ط ٣، ١٩٥٧ م.
- بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري، د. عبدالحليم عويس، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١ هـ.
- بيان أخطأ البخاري في تاريخه للإمام أبي محمد عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، في آخر كتاب التاريخ الكبير للإمام البخاري.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي (ت ٧٠٦ هـ)، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م.

* * *

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرة، مصر، ط ١، ١٣٠٦ هـ.
  * تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتدأ والخبر.
  * تاريخ ابن الفرضي = تاريخ العلماء والرواة للعلم.
  * تاريخ ابن معين = يحيى بن معين وكتابه التاريخ.
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، للحافظ عبدالرحمٰن بن عمرو النصري (ت ٢٨١ هـ)، تح شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مكتبة القدسي ١٣٦٨ هـ.
- تاريخ إفريقية والمغرب، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (ت بعد ٤١٧ هـ)، تح المنجي الكعبي، مطبعة الوسط، تونس ١٩٦٨ م.
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت لبنان.
- تاريخ بغداد، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، جامعة الإمام، الرياض ١٤٠٣ هـ.

- تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة - القاهرة - ط ٥، ١٩٧٦ م.

- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٧ م.

- تاريخ الثقات، الحافظ أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي، الكوفي (ت ٢٦١ هـ)، بترتيب نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) وتضمينات ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، تح د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

- تاريخ خليفة بن خَيّاط (ت ٢٤٠ هـ)، تح د. أكرم العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

* تاريخ دمشق = تهذيب تاريخ دمشق + تاريخ مدينة دمشق.

* تاريخ الرقيق = تاريخ إفريقية والمغرب.

- التاريخ الصغير، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان ١٣٩٧ هـ.

* تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك.

- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمٰن الجبرتي، دار الفارس، بيروت.

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس للحافظ أبي الوليد عبدالله بن محمد الأزدي، المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧٣ هـ.

* تاريخ قضاة الأندلس = المرقبة العليا.

- تاريخ قفصة وعلمائها، مقالات لجماعة من الباحثين، دار المغرب العربي، تونس، ط ١، ١٩٧٢ م.

- التاريخ الكبير، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ.

- تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، محمد بن الخوجة، المطبعة التونسية، ط ١، ١٣٥٨ هـ.

- تاريخ المغرب العربي، د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة أطلس، القاهرة ١٩٧٩ م.

ـ تاريخ المغرب الكبير (جـ ٢)، د. السيد عبدالعزيز سالم، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ م.
ـ تاريخ واسط، أسلم بن سهل الواسطي، المعروف ببحشل (ت ٢٩٢ هـ)، تح كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٨٧ هـ. وط عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
ـ التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، تح د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، مصور عن ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ).
ـ تجريد أسماء الصحابة، الحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار المعرفة، بيروت.
* تجريد التمهيد = التقصي لحديث الموطأ.
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)،
* الدار القيمة، بومباي، الهند ١٣٨٦ هـ.
* تح عبدالصمد شرف الدين، الدار القيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
ـ تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي، ومعه مناقب الشام وأهله لابن تيمية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٣ هـ.
ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح عبدالوهاب عبداللطيف، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
ـ تذكرة الحُفّاظ للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
ـ تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم، إبراهيم العجمي (ت ٨٤١ هـ)، مكتبة المعارف، الطائف (ضمن الرسائل الكمالية).
ـ تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٠ هـ.

- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، جـ ١، ٢ (١٩٨٢ م)، جـ ٣ (١٩٨٤ م) جـ ٤ (١٩٨٥ م)، جـ ٥ (١٩٨٦ م).
- التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، مصر (ومعه الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين... للقابسي (ت ٤٠٣ هـ).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ).
  - الأجزاء ١، ٢، ٣، تح د. أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٨٧ هـ.
  - الأجزاء ٤، ٥، طبع وزارة الأوقاف بالمغرب.
- التصاريف، يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، تح هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع ١٤٠٠ هـ.
- التصوّف بين الحق والخلق، محمد فهر شفقة، الدار السلفية، الكويت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ):
  * المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ.
  * دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، تح د. عاصم القريوتي، مكتبة المنار، الأردن، ط ١.
- التعليق المغني على سنن الدارقطني، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار المحاسن للطباعة، القاهرة.
- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ط ٢، ١٩٧٢ م.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٣٩٨ هـ.
- تفسير مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ وقيل قبلها)، تح عبدالرحمٰن السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، باكستان.
- تقريب التهذيب، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، تح عبدالوهاب عبداللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥ هـ.
- تقريب النووي، الحافظ يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، (مع تدريب الراوي)، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.

- التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك، الحافظ ابن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ.
- التكملة لكتاب الصلة لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ)، مكتب الثقافة الإسلامية مصر ١٣٧٥ هـ.
- التكملة لوفيات النقلة، عبدالعظيم المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، تح بشار عواد، تقديم د. مصطفى جواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢)، المدينة المنورة ١٣٨٤ هـ.
- تلخيص المستدرك، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مع المستدرك وسيأتي ذكره.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ)، تح جماعة من العلماء، ط المغرب ١٣٨٧ - ١٤٠١ هـ.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمٰن بن يحيى المعلمي (ت ١٣٨٦ هـ)، تح محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
- تهذيب الأسماء واللغات، الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تهذيب عبدالقادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ)، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٢٥ هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين المزي (ت ٧٤٢ هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

- تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤ هـ)، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٤٦ هـ.

* * *

- الثقات، الحافظ محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٩٣ هـ.

* ثقات العجلي = تاريخ الثقات.

* * *

- الجامع لعبدالله بن وهب المصري (ت ١٩٧ هـ)، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، القاهرة ١٩٣٩ م.
- جامع الأصول من أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، دار الافتاء بالرياض، ط ١، ١٣٧٠ هـ.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ابن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١١ هـ)، تح محمود شاكر، ط ٢، ١٩٧٢، دار المعارف، مصر.
- الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا.
- الجامع الصحيح، للترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٩٧ هـ)، تح أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.
- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)، تح محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٧٥ هـ.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تح د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣ هـ.
- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ)، تح محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت، المكتبة العتيقة تونس، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضي المكناسي (ت ١٢٠٥ هـ)، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٤ م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث، والأدب، وذوي النباهة والشعر، لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، مكتب نشر الثقافة الإسلامية القاهرة (د. ت)، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٣ م.
- الجرح والتعديل، الحافظ عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، مطبعة دائرة المعارف الهندية، ط ١، ١٣٧١ هـ.
- الجمع بين رجال الصحيحين، محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- جوامع السيرة، الحافظ علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، تح د. إحسان عباس، د. ناصر السعيد، إدارة إحياء السنّة باكستان.
- جواهر الأصول في علم حديث الرسول لأبي الفيض محمد الفارسي الحنفي، المشهور بفصيح الهروي (ت ٨٣٧ هـ)، تح أطهر المباركفوري، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٣ هـ.

* * *

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي، المعروف بالسندي (ت ١١٣٨ هـ)، دار الفكر، ط ٢.
- الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ)، تح مهدي حسن الكيلاني، مطبعة المعارف الشرقية، الهند، ١٣٨٥ هـ.
- الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٤ م.
- حسن البيان عما بلغته إفريقية في الإسلام من السطوة والعمران، محمد النيفر، المطبعة التونسية، ١٣٥٣ هـ.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٨٧ هـ.
- الحِطّة في ذكر الصحاح الستة، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ هـ.

- الحُلّة السيراء لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تح حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣ هـ.
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي، الوزير، السراج، (ت ١١٤٩ هـ)، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحياة الثقافية بإفريقية صدر الدولة الحفصية، مقال، محمد الحبيب بن الخوجة، النشرة العلمية للكلية الزيتونية، ٧٦/٤/٤، ١٩٧٧ م.

* * *

* الخطط للمقريزي = المواعظ والاعتبار..
- خلاصة تاريخ تونس، ح. ح. عبدالوهاب، الشركة التونسية للتوزيع، ط ٥، ١٩٧٦ م.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمد بن عبدالله الخزرجي(ت بعد ٩٢٣ هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٣٩٩ هـ.
- الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، لأبي عبدالله محمد الباجي المسعودي، مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٣ هـ.
- الخلافة والخوارج في المغرب العربي، رفعت فوزي عبدالمطلب، ط ١، ١٣٩٣ هـ.
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، د. محمود إسماعيل عبدالرزاق، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٧٦ م.

* * *

- دائرة المعارف الإسلامية، جماعة من المستشرقين ١٣٥٢ هـ.
- دراسات في الجرح والتعديل، د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، الجامعة السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط ٣، ١٤٠١ هـ.
- دراسات في العمارة والفنون الإسلامية، محمد الحسيني عبدالعزيز، المطبعة العصرية، الكويت.
- دعوة الحق، مجلة، ١٣٩٥/١٦/٩ هـ.
- الدولة الأغلبة، عمار الطالبي، رسالة دكتوراه.
- الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ ديوان الضعفاء والمتروكين، وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٨٧ هـ.

* * *

ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٤ هـ.

ـ ذكرى الإمام المازري، عبدالله الزنّاد، دار بو سلامة، تونس، ١٣٨٧ هـ.

ـ الذيـل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، تح إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط ١، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٣ هـ.

ـ ذيل الكاشف لأبي زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي، تح بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

* * *

* رجال صحيح البخاري = الهداية والإرشاد.

ـ الرحلة، رحلة التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد التجـاني، المطبعـة الرسميـة، تونس، ١٣٧٧ هـ.

ـ الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تح د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٥ هـ.

ـ رسالة افتتاح الدعوة، القاضي النعمان بن محمد الشيعي الإسماعيلي (ت ٣٦٣ هـ)، تح وداد القاضي، دار الثقافة بيروت، ط ١، ١٩٧٠ م.

ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة المشرّفة، محمد بن جعفر الكتـاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.

ـ الرسالة المفصلة لأحوال المتعلين وأحكام المعلمين والمتعلمين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣ هـ)، طبعت ضمن كتاب التربية في الإسلام، وقد سبق ذكره.

ـ الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام، عبدالرحمٰن بن عبدالله الخثعمي السّهيلي (ت ٥٨١ هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

ـ رياض أهل الجنـة بآثـار أهل السنـة، عبدالبـاقي البعلي الدمشقي (ت ١٠٧١ هـ)، اختصار محمد الفاداني، دار البصائر، دمشق، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيـة وزهادهم، ونسـاكهم، وسير من أخبارهم، وفضائلهم، وأوصافهم، لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي (ت بعد ٤٦٤ هـ).

* تح حسين مؤنس، جـ ١، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥١ م.
* تح بشير البكوش (كاملًا)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١.

* * *

ـ الزهد والرقائق، عبدالله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ)، تح حبيب الرحمٰن الأعظمي، مجلس إحياء المعارف، الهند ١٣٨٥ هـ.

* * *

ـ السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تح محمد الزهراني، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
ـ سبل الهدى في إبطال حديث اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، أحمد بن محمد الغماري، دار العهد الجديد ١٣٧٩ هـ.
ـ سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، إبراهيم شبّوح، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٢، جزء ٢، ١٣٧٦ هـ.
ـ سحنون مشكاة نور وعلم وحق، سعدى أبو جيب، دار الفدكر دمشق، ط ١، ١٤٠١ هـ.
ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السّيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
ـ السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩١ هـ.
ـ السَّنَن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن، لأبي عبدالله محمد بن رُشَيد الفهري، تح محمد الحبيب بالخوجة، الشركة التونسية للتوزيع ١٣٩٧ هـ.
* السُّنن لابن أبي زيد = الجامع في السنن.
ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٢.
ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، ومعه معالم السنن للخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، دار الحديث، بيروت، ط ١، ١٣٨٨ هـ.
* سنن الترمذي = الجامع الصحيح للترمذي.
ـ سنن الدارقطني، علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ)، دار المحاسن للطباعة، القاهرة.
ـ سنن الدارمي، عبدالله بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ)، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٨ هـ.
ـ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، دار صادر، بيروت.
ـ سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ)، معه شرح السيوطي وحاشية السندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني (ت ٢٣٤ هـ)، تح موفق عبدالقادر، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
ـ سيرة القيروان، محمد العروسي المطوي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١ م.
ـ السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، بمراجعة نخبة من العلماء، دار الفكر، القاهرة.

* * *

ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، دار الآفاق الجديدة.
ـ شرح الزرقاني على الموطأ، محمد الزرقاني، دار الفكر ١٣٥٥ هـ.
ـ شرح صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الإفتاء بالرياض.
ـ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)، تح أحمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة.
ـ شرح علل الترمذي، الحافظ عبدالرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، تح صبحي السامرائي، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
ـ الشرح الكبير على متن المقنع، عبدالرحمٰن بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ)، كلية الشريعة، الرياض.
ـ شرح غريب ألفاظ المدونة، الجبي، تح محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
ـ شهيرات التونسيات، ح. ح عبدالوهاب، مكتبة المنار، تونس، ط ٢، ١٩٦٦ هـ.

* * *

ـ الصارم المُنْكي في الرد على السبكي، محمد بن أحمد بن عبدالهادي (ت ٧٤٤ هـ)، تح إسماعيل الأنصاري، دار الإفتاء بالرياض، ١٤٠٣ هـ.
ـ الصحاح، إسماعيل بن حمد الجوهري، تح أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
* صحيح البخاري = الجامع الصحيح.
* صحيح مسلم = الجامع الصحيح.
ـ الصراع المذهبي بإفريقية، عبدالعزيز المجذوب، الدار التونسية للنشر.

ـ صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب:
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، ليدن، ١٨٦٤ م.
ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وقضاتهم وأدبائهم، أبو القاسم خلف بن عبدالملك، ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٤ هـ.
ـ صورة الأرض، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ليدن، ١٩٣٨ م.

* * *

ـ الضعفاء الصغير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تح بوران الضناوي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ الضعفاء الكبير، الحافظ محمد بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢ هـ)، تح عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ الضعفاء والمتروكون، علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، تح موفق عبدالقادر، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ الضعفاء والمتروكين، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تح بوران الضناوي، كمال الحوت، مؤسسة الرسالة الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.

* * *

* طبقات أبي العرب = طبقات علماء إفريقية.
ـ طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
* ط الخشني = طبقات علماء إفريقية.
ـ طبقات خليفة، خليفة بن خياط، تح د. أكرم ضياء العمري، النجف ١٣٨٧ هـ.
ـ طبقات الشافعية الكبرى، عبدالوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
ـ طبقات علماء إفريقية، محمد بن حارث الخشني (ت ٣٦١ هـ)، تح محمد بن أبي شنب، كلية الآداب بالجزائر، ١٩١٥ م.
ـ طبقات علماء إفريقية (وتونس)، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣ هـ).
- تح محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩١٥ م، تصوير دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- تح علي الشابي ونعيم اليافي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨ م.

ـ طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ)، تح د. إحسان عباس، دار الرائد، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.
* طبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس.
ـ طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح على محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة، ط ١، ١٣٩٦ هـ.
ـ طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله الأشبيلي، المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
ـ أبو/ عبدالله الأبي وكتابه الإكمال، عبدالرحمٰن عون، الدار العربية للكتاب، ط ١، ١٩٨٣ م.
ـ العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي، تح صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٨٤ م.
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبدالرحمٰن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
ـ عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث، وهو مقدمة مسند بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ)، تح د. أكرم العمري، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ العرب في صقلية، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥ م.
ـ علل الحديث ومعرفة الرجال، الحافظ علي بن عبدالله المديني (ت ٢٣٤ هـ)، تح د. عبدالمعطي قلعجي، دار الوعي، حلب، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
ـ علل الترمذي (ت ٢٩٧ هـ)، في آخر كتاب سنن الترمذي، انظر الجامع الصحيح.
ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، أبو الفرج عبدالرحمٰن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تح إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
ـ علماء قفصة بين مدرستين (مقال)، الشيخ الشاذلي النيفر = تاريخ قفصة وعلمائها.

ـ علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمٰن الشهرزوري، ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ)، تح د. نور الدين عتر، المكتبة العلمية، ط ١، ١٤٠١ هـ.
ـ عنوان الأريب عمن نشأ بالمملكة التونيسية من عالم وأديب، محمد النيفر، المطبعة التونسية ١٣٥١ هـ.
ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق (من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم)، لمؤلف مجهول، مكتبة المثنى، بغداد.

* * *

ـ غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.
ـ الغنية، فهرسة شيوخ القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، تح ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

* * *

ـ الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، تح علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
ـ فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم الحراني، ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، جمع وترتيب عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، دار الإفتاء بالرياض، ط ١، ١٣٩٨ هـ.
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، دار الإفتاء بالرياض.
ـ فتح الباقي شرح ألفية العراقي، زكرياء بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٥ هـ).
ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت حوالي ٣١٤ هـ)، الدار السلفية، الهند، ١٣٩١ هـ.
ـ فتوح إفريقية، عبدالله بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) مطبعة المنار، تونس ١٩٦٦ م.
ـ فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
ـ فتوح مصر وأخبارها، عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧ هـ)، ليدن، ١٩٣٠ م.
ـ فتوح مصر والمغرب (القسم التاريخي)، ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧ هـ)، تح عبدالمنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة.

ـ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ألفرد بل، ترجمة عبدالرحمٰن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.
ـ الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)، تح محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة بيروت.
ـ فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعة، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي (ت ١٣٧٦ هـ)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٧٧ م.
ـ فهرس ابن عطية، عبدالحق بن عطية المحاربي (ت حوالي ٥٤١ هـ)، تح محمد أبو الأجفان، محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
ـ الفهرست لابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨ هـ)، المكتبة التجارية، القاهرة.
ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه، أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥ هـ)، المكتب التجاري، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي القاهر، ط ٢، ١٣٨٢ هـ.
ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين، محمد العابد الفاسي، الدار البيضاء، ١٣٩٩ هـ.
ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تح عبدالرحمٰن المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
ـ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، مرعي بن يوسف المقدسي (ت ١٠٣٣ هـ)، تح محمد الصباغ، الدار العربية للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٧ هـ.
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ هـ.

* * *

ـ قادة فتح المغرب العربي، محمود شيت خطاب، دار الفتح بيروت، ط ١، ١٣٨٦ هـ.
ـ قاعدة في الجرح والتعديل، عبدالوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ)، تح الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٤ هـ.
ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

ـ القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، هند شلبي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.
ـ قضاة قرطبة، محمد بن حارث الخشني القيرواني (ت ٣٦١ هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م.
ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ.
ـ قواعد في علوم الحديث، ظفر الله أحمد العثماني التَّهَانَوِي (ت ١٣٩٤ هـ)، تح الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٥، ١٤٠٤ هـ.
ـ القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، د. الحبيب الجنحاني، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ م.
ـ قيمة الزمن عند العلماء، الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

* * *

ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الشّيباني (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.
ـ الكامل في ضعفاء الرجال، الحافظ عبدالله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ)، دار الفكر بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
ـ الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث، برهان الدين الحلبي (ت ٤٨١ هـ)، تح صبحي السامرائي، مطبعة العاني، بغداد.
ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
ـ الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تقديم محمد التيجاني، مراجعة عبدالحليم عبدالحليم وعبدالرحمٰن محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ط ١.
ـ كنى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، وهي الجزء التاسع من كتابه التاريخ وقد تقدم.

- الكنى والأسماء لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، (ت ٧٨٦ هـ)، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، مصر.
- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، محمد بن أحمد بن الكيال (ت ٩٣٩ هـ)، تح عبدالقيوم عبد رب النبي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ.

* * *

- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- لسان الميزان، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٣٩٠ هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.
- لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.

* * *

- المازري الفقيه المتكلم وكتابه المعلم، محمد الشاذلي النيفر، المطبعة العصرية، تونس.
- مالك حياته وعصره، محمد أبو زهرة.
- مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٨، ١٤٠١ هـ.
- المتكلمون في الرجال، محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، تح الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٥، ١٤٠٤ هـ.
- المجتمع التونسي على عهد الأغالبة، عثمان الكعاك، مطبعة الغرب، تونس.
- «المجروحين» من المحدثين والضعفاء والمتروكين، الحافظ محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تح محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت.
- المجلة الزيتونية أعداد ٥، ٦، ٧، ٩، المجلد ٦، ١٩٤٥، ١٩٤٦ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.
- المجموع شرح المهذب، الحافظ يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.

* مجموع فتاوي ابن تيمية = فتاوي ابن تيمية.
ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبدالرحمٰن الرامهرمزي، تح د. محمد عجاج خطيب، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩١ هـ.
ـ المحن، الحافظ أبو العرب التميمي القيرواني (ت ٣٣٣ هـ)، تح يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تح د. طه جابر العلواني، طبع جامعة الإمام بالرياض، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
ـ مختصر العلو للعلي الغفار، تأليف الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، اختصار الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١ هـ.
ـ مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبدالباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، تح د. محمد الصباغ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠١ هـ.
ـ مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث، محمد المنوني، مجلة دار الحديث الحسنية، عدد ٣، ١٤٠٢ هـ.
ـ المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، د. عبدالمجيد بن حمدة، دار العرب، تونس، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
* المدارك = ترتيب المدارك.
ـ مدرسة الإمام البخاري في المغرب، د. يوسف الكتاني، دار لسان العرب، بيروت.
ـ مدرسة الحديث في مصر منذ سقوط بغداد إلى نهاية القرن العاشر الهجري، د. محمد رشاد خليفة، الهيئة العامة لشئون المطابع، القاهرة، ١٤٠٣ هـ.
ـ المدونة الكبرى، الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠ هـ): دار الفكر، دار صادر بيروت، مطبعة السعادة، مصر.
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان، عبدالله بن سعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠ هـ.
ـ المراسيل، عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، تح أحمد الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبدالمؤمن بن الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٣٧٣ هـ.

- مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية، د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، علي بن عبدالله النباهي الأندلسي، (كان حياً سنة ٧٨٨ هـ)، المكتب التجاري، بيروت.
* المسالك والممالك للبكري = المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.
- المسالك والممالك، عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة (ت حوالي ٣٠٠ هـ)، ليدن، ١٨٨٩ م.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، دار الباز، مكة المكرمة.
- المسلمون في صقلية، د. مارتينو مورينو، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٥٧ م.
- مسند أبي داود، سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ)، مكتبة المعارف، الرياض.
- مسند أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)، تح حسين أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تح وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤٠٢ هـ.
- مشاهير علماء الأمصار، الحافظ محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله التبريزي (ت بعد ٧٣٧ هـ)، تح محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
- المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، (ت ٢١١ هـ)، تح حبيب الرحمٰن الأعظمي، المجلس العلمي، ط ١، ١٣٩٢ هـ.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، علي القاري الهرويّ (ت ١٠١٤ هـ)، تح عبدالفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، تح حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبدالرحمٰن بن محمد الأنصاري الدباغ

(ت ٦٩٦ هـ)، أكمله أبو القاسم بن عيسى بن ناجي (ت ٨٣٩ هـ)، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة تونس، ط ٢، ١٣٨٨ هـ.
ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس، د. حسين مؤنس، مؤسسة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ م.
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، محمد بن عبدالواحد المراكشي، دار الكتاب بالمغرب، ط ٧، ١٩٧٨ م.
ـ معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.
ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ م.
ـ المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٣٨١ هـ.
ـ المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، مطبعة الوطن العربي.
ـ المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي، ابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ)، مطبعة روخس، مجريط، ١٨٨٥ م.
ـ معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، المكتبة العربية دمشق، ١٣٧٦ هـ.
ـ معرفة الرجال، يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ)، تح محمد القصار ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق.
ـ معرفة علوم الحديث، الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٣٩٧ هـ.
ـ المعرفة والتاريخ، أبو يوسف، يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧ هـ)، تح د. أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥ م.
ـ المعين في طبقات المحدثين، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح د. همام سعيد، دار الفرقان، عمان، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
ـ المغرب الإسلامي، د. الجيب الجنحاني، الشركة التونسية للتوزيع ١٣٨٩ هـ.
ـ المغرب العربي تاريخه وثقافته، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢، ١٩٨١ م.
* المغرب الكبير = تاريخ المغرب الكبير.

- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت ٤٨٧ هـ)، الجزائر، ١٨٥٧ م.
- المغني على مختصر عمر بن حسين الخرقي (ت ٣٣٤ هـ)، عبدالله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ)، مكتبة القاهرة، ط ١، ١٩٦٩ - ١٩٨٩ م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، عبدالرحمٰن العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت (بحاشية الأحياء).
- المغني في ضبط أسماء الرجال، محمد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- المغني في الضعفاء، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح د. نور الدين عتر.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسّنة، الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٢ هـ.
- مقاصد الحديث، د. مصطفى التازي جـ ٢، مطبعة دار التأليف، القاهرة.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد ١٣٧٥ هـ.
- المقدمة، عبدالرحمٰن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤ م.
- مقدمة تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمٰن المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- مكانة الصحيحين، د. خليل إبراهيم مُلّا خاطر، المطبعة العربية الحديثة، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- المكتبة الأثرية بالقيروان، محمد البهلي النيال، دار الثقافة، تونس، ١٩٦٣ م.
- مكتبة حسن حسني عبدالوهاب (مخطوطاتها)، عبدالحفيظ منصور، المعهد القومي للآثار، تونس، ١٩٧٥ م.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشّهر ستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تح محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥ هـ.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحنبلي، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تح عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٣٩٠ هـ.

ـ مناقب أبي إسحاق الجبنياني (ت ٣٦٩ هـ)، أبو القاسم اللبيدي، تح هـ. ر. إدريس، كلية الآداب، الجزائر.
ـ المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة، محمد عبدالباقي الأيوبي، مكتبة القدسي، ١٣٥٧ هـ.
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
ـ منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، أحمد بن عبدالرحمٰن البنا، السّاعاتي، المطبعة المنيرية بالأزهر، مصر، ط ١، ١٣٧٢ هـ.
ـ المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة، بشار عواد، مطبعة النجف ١٣٨٨ هـ.
ـ منهج النقد في علوم الحديث، د. نور الدين عتر، داد الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٠١ هـ.
ـ موضّح أوهام الجمع والتفريق، الحافظ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، الدار السلفية، الهند، ١٣٧٨ هـ.
ـ الموضوعات، أبو الفرج عبدالرحمٰن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تح عبدالرحمٰن عثمان، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
ـ الموطأ، الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ):
- تح د. فاروق سعيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
- تح محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠ هـ.
ـ موطأ مالك، قطعة منه برواية علي بن زياد (ت ١٨٣ هـ)، تح الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٢ هـ.
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، دار التحرير، ١٢٧٠ هـ.
ـ الموقظة في علم مصطلح الحديث، الحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
ـ الموقف الأدبي (مجلة)، عدد ٧٨، سنة ١٩٧٧ م.
ـ موقف متصوفة إفريقية وزهّادها من الاحتلال العبيدي، بولبابة حسين، دار اللواء، الرياض، ط ١، ١٣٩٩ هـ.
ـ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني، المعروف بابن أبي دينار، تح محمد شمّام، المكتبة العتيقة، تونس، ط ٣، ١٣٨٧ هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢ هـ.

* * *

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تعزي بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ)، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ١٣٤٨، ١٣٨٣ هـ.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ٣.
- النشرة العلمية للكلية الزيتونية (أعداد مختلفة).
- نسخة وكيع عن الأعمش، وكيع بن الجراح (ت ١٩٧ هـ)، تح عبدالرحمٰن الفريوائي، الدار السلفية، الكويت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- نصب الراية لأحاديث الهداية، الحافظ أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، دار المأمون، القاهرة، ط ٢.
* النظر والأحكام في جميع أحوال السوق = أحكام السوق.
- النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، د. عوض محمد خليفات، عمّان، ١٩٨٢ م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرِّي (ت ١٠٤١ هـ)، تح د. إحسان عباس، دار إصدار، بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- نَكت الهميان في نُكَت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩ هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ)، تح د. حسين نصار، المكتبة العربية، القاهرة، ١٤٠٣ هـ، (جـ ٢٠، ٢٤).
- نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت ١٠٣٢ هـ)، (على هامش الديباج لابن فرحون)، دار الكتب العلمية، بيروت.

* * *

- الهداية (مجلة) أعداد مختلفة، إدارة الشعائر الدينيه، تونس.
- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه، أحمد الكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ)، تح عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، دار الإفتاء بالرياض.

ـ هدية العارفين بأسماء المؤلفين (ذيل كشف الظنون، الجزآن ٥، ٦ منه)، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ.

* * *

ـ ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، حسن حسني عبدالوهاب، مكتبة المنار، تونس، ط ٢، ١٩٧٢ م، ١٩٨١ م.

ـ الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي المعروف بابن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠ هـ)، المكتب التجاري، بيروت، تح عاد نويهض، ط ١، ١٩٧١ م.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هـ.

ـ أبو الوليد الباجي، وكتابة التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤ هـ)، تح د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

* * *

ـ يحيى بن معين وكتابة التاريخ، تح د. أحمد سيف، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩ هـ.

ب ـ المراجع المخطوطة والمرقونة

ـ الأجوبة لمحمد بن سحنون (ت ٢٥٦ هـ)، مخطوط في مكتبة الدكتور علي الشابي بتونس.

ـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث للحافظ أبي يعلى الخليل بن عبدالله الخليلي (ت ٤٤٦ هـ).

- مخطوطات جامعة الإمام بالرياض رقم ٢٦٥٧، ٤٨٤٠، ٤٨٤١.
- تح محمد بن سعيد إدريس (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد).

ـ تاريخ قضاة القيروان لمحمد الجودي، مخطوط مصور بقاعة الباحثين في دار الكتب الوطنية بتونس عدد ٩٦.

ـ تخريج أحاديث المدونة للدكتور طاهر محمد الدريدي، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ـ تدريس السنة بالزيتونة مقال كتبه الدكتور أبو لبابة حسين.

ـ تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم ١٣٤٣.

- جزء من كلام أحمد في علل الحديث والرجال، تح عبدالله وكيل الشيخ، رسالة ماجستير بجامعة الإمام، كلية أصول الدين.
- الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن، رسالة ماجستير بجامعة الإمام، كلية أصول الدين، صنو بن سالم مسكين.
- الحياة الاجتماعية بالقيروان وموقف سعيد بن الحداد منها، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، من إعداد عبدالمجيد بن حمده.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، مخطوطات جامعة الإمام بالرياض، ميكروفيلم رقم ٧٧٨، ومصور رقم ٢٥٨٥، ٢٥٨٦.
- مختصر تفسير يحيى بن سلام لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المرّي المعروف بابن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ).
- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مخطوطات جامعة الإمام بالرياض، رقم ٤٧٧٤، ٢٧٧٥.
- الملخص لما في الموطأ من الحديث المسند لأبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣ هـ)، مخطوطات مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، رقم ٥٣٢، ١٧٤ / ١٣٢.
- من تُكُلِّم فيه وهو موثق أو صالح الحديث، الحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تح عبدالله الرحيلي (رسالة ماجستير) كلية أصول الدين بالرياض ١٣٩٨ هـ.
- نقد ابن حزم للرواة في المحلى في ميزان الجرح والتعديل، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام، كلية أصول الدين، من إعداد الشيخ إبراهيم الصبيحي.

ج ـ المراجع الأجنبية

- بلاد البربر الشرقية في عهد بني زيري هادي روجي إدريس.
- La Berberie Orientale Sous Les irides - HADY Roger Idris LIBRAIRIE D'AMERIQVE ET D'ORIENT - 1962.
- تونس والقيروان جورج مارسيه.
- TUNIST ET KAIROUAN - GEORGES MARCAIS PARIS - LIBRARIE RE - NOUARD - 1937.
- الحياة الأدبية في عهد بني زيري ـ الشاذلي بو يحيى ـ.
- La vie Litteraire Sous Les irides - CHEDLY BOUYAHIA.

فهرس المحتويات